تفسير
بيان السعادة
في
مقامات العبادة

تأليف
العارف الشهير
الحاج سلطان محمد الجنابذي
الملقب بسلطان علي شاه
طاب ثراه

منشورات
مؤسسة الأعلمي للمطبوعات
بيروت - لبنان
ص.ب ٧١٢٠

۱۸۵۳

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

جمعداری اموال
مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

بيان السعادة
في
مقامات العبادة

۳
جمعداری اموال مرکز

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

بيان السعادة
في
مقامات العبادة

تأليف

العارف المشهور
الحاج سلطان محمد الجنابذي
الملقب بسلطان علي شاه
طاب ثراه

المجلد الثاني

منشورات
مؤسسة الأعلمي للمطبوعات
بيروت - لبنان
ص.ب ٧١٢٠

کتابخانه
مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی
شماره ثبت ۰۲۴۵۸۵
تاریخ ثبت .

الطبعة الثانية

جميع الحقوق محفوظة ومسجلة للناشر

١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

مؤسّسة الأعلمي للمطبوعات:
بيروت - شارع المطار - قرب كليّة الهندسة - ملك الاعلمي - ص.ب ٧١٤٠
الهاتف : ٨٣٣٤٤٧ - ٨٣٣٤٥٣

سورة النساء

مدنيّة كلّها وقيل سوى آية انّ الله يأمركم ان تؤدّوا ، و آية
يستفتونك في النّساء

بسم الله الرحمن الرحيم

[يا أَيُّهَا النّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ واحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْها زَوْجَها وَبَثَّ مِنْهُما رِجالاً كَثِيراً وَ نِساءً] لمّا كان تلك الحكاية و امثالها من مرموزات الاوائل من الانبياء و الاولياء والحكماء التّابعين لهم وحملها العوامّ من النّاس على ظواهرها اختلف الاخبار في تصديقها وتقريرها وتكذيبها وتوهينها فانّ في كيفيّة خلقة آدم(ع) وحوّاء(ع) وتناسلهما وتناكحهما وتناكح اولادهما، وكذا في قصّة هاروت وماروت وقصّة داود(ع) وغير ذلك اختلافاً كثيراً في الاخبار واضطراباً شديداً بحيث يورث التحيّر والاضطراب لمن لاخبرة له ، حتّى يكاد يخرج من الدّين ولكنّ الرّاسخين في العلم يعلمون انّ كلّاً من معادن النبوّة ومحالّ الوحي صدر ولا اختلاف فيها ولا اضطراب ؛ جعلنا الله منهم والله وليّ التّوفيق ، ولمّا كان المقصود الوصاية في امر الايتام والاهتمام بهم و باموالهم اكّد الامر بالتّقوى بالتّكرير فقال تعالى [وَاتَّقُوا اللهَ الَّذِي تَساءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحامَ] وعلّقه اوّلاً على وصف الرّبوبيّة المقتضية للتّقوى عن مخالفته ووصفه ايضاً بما يقتضي التّقوى و علّقه ثانياً على وصف الآلهيّة و وصفه بما يقتضي تعظيمه و قرن الارحام به بالعطف على الضّمير المجرور او على الله مبالغة في حفظ الارحام و تمهيداً لاظهارا لمقصود من حفظ الايتام فانّ الحافظ للايتام في الاغلب ذوو الارحام ومحافظة الرّحم وتعظيمه ممّا يحكم به العقل والعرف وورد في الشّريعة مالايحصى في الاهتمام به.

اعلم انّ الله تعالى شأنه خلق الانسان ذا نشأتين وبحسب كلّ نشأة جعل له اصولاً وفروعاً ويسمّى اصوله و فروعه و من انتهى معه الى اصلٍ واحدٍ ارحاماً لانتهائهم الى رحمٍ واحدٍ و التّفاضل بين ارحامه الجسمانيّة وارحامه الرّوحانيّة كالتّفاضل بين الرّوح والجسم ، وفضل صلة الارحام الرّوحانيّة على الجسمانيّة كفضل الرّوح على الجسم لا يقال : من انتسب الى الشّيطان كان نسبته الرّوحانيّة الى الشّيطان وكان المنتسب الى الشّيطان رحماً له فليزم له مراعاته وصلته مع انّه مأمور بمباغضته وقطيعته لانّا نقول : كما اسّس الله تعالى لصحّة النّسبة الجسمانيّة في كلّ ملّة و شريعة ما تبتنى عليه ومن لم تكن نسبته مبتنيةً على ما اسّسه كان لغيّة وحاله مع اصوله وفروع اصوله كحال الاجنبيّ من غير فرقٍ ومن لم يكن رحماً لهم كما لم يكونوا ارحاماً له كذلك اسّس الله تعالى

لصحّة النّسبة الرّوحانيّة ما تبتنى عليه ومن لم تكن نسبته مبتنيةً على ما اسّسه كان لغيّة ولااعتباربنسبته ، **لايقال :** على هذا يلزم ان يكون من انتسب الى الانبياء(ع) من غير الابتناء على ما اسّسه الله تعالى لغيّة نعوذ بالله من هذا القول، **لانّا نقول:** الانتساب اليهم (ع)من غيرالابتناء على ما به الانتساب محال، لانّ من لم‌يكن له امام من‌الله يأتمّ به و انتحل الانتساب اليهم كان داخل النّسب وكان الايتمار بشريعتهم نحلة لاملّة و لذا ورد في الاخبار المعصوميّة : من اصبح من هذه الامّة لاامام له من‌الله ظاهر عادل اصبح ضالّا تائهاً ، وان مات على‌هذه الحالة مات ميتة كفرونفاق اعاذنا‌الله ، وبهذاالمضمون منهم روايات كثيرة وكما انّ داخل‌النّسب فى‌النّسبة الجسمانيّة ملعون‌كذلك من لم‌تكن نسبته الى من‌انتسب اليه بحسب الرّوحانيّة مبتنية على ما يصححّها كان داخل النّسب وكان ملعوناً و نسبة اللغيّة الى اللغيّة و نسبة داخل النّسب الى داخل النّسب كنسبة الرّوح الى الجسد [إِنَّ اللَّهَ كانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً] ايّهاالمأمورون بالتّقوى ومراعاة الارحام وحفظ اموال‌الايتام فيطّلع على خيانتكم سرّاً وعلانية [وَآتُوا الْيَتامى أَمْوالَهُمْ] بعدالحفظ وانس‌الرّشدمنهم [وَلا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ] الرّدىّ من‌اموالكم [بِالطَّيِّبِ] الجيّد من‌اموالهم‌اوالحرام من‌اموالهم بالحلال المقدّر لكم فانّ من ارتزق بالحرام حرم‌المقدّر له من الحلال لكنّ الاوّل هوالمراد لانّ قوله تعالى [وَلا تَأْكُلُوا أَمْوالَهُمْ إِلى أَمْوالِكُمْ] يفيد الثّانى.

اعلم انّ اليتيم كالرّحم روحانىّ وجسمانىّ فالجسمانىّ من‌انقطع فى‌صغره عن ابيه‌الجسمانىّ ، والرّوحانىّ من انقطع عن امامه الّذى هو ابوه الرّوحانىّ كما ورد تصريحاً و اشارةً واليتيم عن الامام امّا بغيبته عن شهود حسّه بموت و غيره اوبغيبته عن شهود بصيرته بعدم استعداد الحضور و عدم حصول الفكر الّذى هو مصطلح الصّوفيّة ، فانّ من لم يتمثّل مثال‌الشّيخ فى‌صدره ولم يشاهدصورته المثاليّة بعين بصيرته كان منقطعاً عن‌امامه وحقّه الخدمة والمواساة والمحبّة والنّصيحة الّتى يعطون الميثاق‌عليها ؛ هذاهواليتيم الرّوحانىّ فى‌العالم‌الكبير، وامّا فى‌العالم الصّغيرفالقوى الحيوانيّة والبشريّة ما لم تبلغ فى‌التبعيّة للنّفس الى مقام‌التّمتّع والالتذاذ بشهود النّفس لشيخها تكون يتامى ومالها وحقّها التلذّذ بمشتهياتها ومقتضياتها فى‌الحلال فانّ التلذّذ فى‌الحلال جعل قسيماً لتزوّد المعاد فى الاخبار ، ولمّاكان منع اليتامى بأىّ معنىً كان عن حقّهم ظلماً على المظلوم الّذى كان مستحقّاً للتّرحّم عظّم تعالى ذنبه فقال‌تعالى [إِنَّهُ كانَ حُوباً كَبِيراً] اى ذنباً عظيماً [وَإِنْ خِفْتُمْ] ايّها النّاظرون فى امر اليتامى اذا اردتم نكاحهنّ ضنّة بأموالهنّ [أَنْ لا تُقْسِطُوا فِي الْيَتامى] بالتّقصير فى‌حقّهنّ [فَ] دعوا نكاحهنّ و [انْكِحُوا ما طابَ لَكُمْ مِنَ النِّساءِ] وعن امير المؤمنين (ع) فى جواب مسائل الزّنديق الّذى سأل عن اشياء انّه اسقط بين طرفى تلك الآية اكثر من ثلث القرآن [مَثْنى وَثُلاثَ وَرُباعَ] تخيير بين الواحدة الى اربع وايضاً تخيير فى‌الاستبدال فانّ فى‌هذا الوزن دلالة على التّكرير [فَإِنْ خِفْتُمْ] ايّهاالرّاغبون فى النّكاح [أَلاَّ تَعْدِلُوا] بينهنّ اذاكنّ اكثر من الواحدة [فَ] انكحوا [واحِدَةً أَوْ ما مَلَكَتْ أَيْمانُكُمْ] ان خفتم التّقصير فى حقّ الحرّة [ذلِكَ أَدْنى أَلاَّ تَعُولُوا] اى لاتميلوا عن‌الحقّ اولاتمونوا فتعسروا فانّ خفّة العيال احد اليسارين كما فى الخبر [وَآتُوا النِّساءَ] ايّها الازواج [صَدُقاتِهِنَّ نِحْلَةً] منكم لهنّ اى‌عطيّة وفيه تنشيطاً لهم فانّ استردادالعطيّة فى‌غاية القبح وان‌كان الخطاب لاولياء النّكاح‌لانّهم كانوا يأخذون الصّداق لانفسهم كما هوالان كذلك فى‌بعض‌الاعراب والاكراد فالمعنى‌آتوهنّ صدقاتهنّ ايّهاالاولياء فانّها عطيّة لهنّ

فليس لكم ان تأخذوها [فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ] اى من الصّداق [نَفْساً فَكُلُوهُ هَنِيئاً مَرِيئاً وَلا تُؤْتُوا السُّفَهاءَ أَمْوالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللهُ لَكُمْ قِياماً] .

اعلم انّ الانسان ذونشأة محسوسة وذونشأة غير محسوسة وله بحسب كلّ نشأة ما ينفعه و ما يضرّه وكلّ من ميّز بين النّافع و الضّارّ و قدر على جلب النّافع و دفع الضّارّ يسمّى عاقلاً و رشيداً ، و من لم يميّز او لم يقدر يسمّى سفيهاً لكن لاملازمة بين سفاهة الدّنيا وسفاهة الآخرة ؛ فكم من سفيهٍ فى الدّنيا عاقل فى الآخرة، وكم من عاقلٍ فى الدّنيا سفيه فى الآخرة فمعاوية مع كونه ملقّباً باعقل زمانه سفيه ، و البهلول مع كونه مجنوناً عاقل ، واختلاف الاخبار فى تفسير السّفيه بمن لم يكن تصرّفه فى ماله على وجهٍ يرتضيه العقل وبمن لم يعرف الحقّ وبشارب الخمر وبمن لم يدخل فى هذاالامر بحسب اختلاف النّشأتين، فانّ العاقل بحسب النّشأة الآخرة من عرف امامه ودخل على الوجه المقرّر فى ولايته وبايعه بالبيعة الخاصّة وقبول الدّعوة الباطنة و دخل الايمان فى قلبه و لذلك نسبوا الى شيعتهم العقل والعلم والتّعلّم والعرفان وغير ذلك ممّا يدلّ على كونهم عاقلين مع انّ اكثرهم لم يكونوا من اهل العلوم الرّسميّة و العقول الدّنيويّة بل كانوا فى نظر اهل الدّنيا مجانين و سفهاء كما قالوا : انؤمن كما آمن السّفهاء ، وقالوا : ام به جنّة ، وكما انّ الشّرع والعقل حاكمان بقبح اعطاء المال الدّنيوىّ للسّفيه من الاولاد و الازواج او الايتام الّذين فى تربيتكم او غيرهم ممّن يضيّع المال او من لايعرف الحقّ كذلك حاكمان بقبح اعطاء المال الاخروىّ من العلم والحكمة لمن لم يكن اهله ولم يعرف الحقّ فانّ الله يأمركم ان تؤدّوا الامانات الى اهلها يعنى لا تمنعوها اهلها فتظلموهم ولا تعطوها غير اهلها فتظلموها وتكونوا كمن علّق الدرّ على اعناق الخنازير [وَارْزُقُوهُمْ فِيها وَاكْسُوهُمْ] بان تمكّنوهم فيها لتحصيل رزقهم وكسوتهم منها بالعمل فيها بحيث لم ينقص من اصل المال شيء سواء زاد فيها بعملهم اولا ، وانّما قال فى الآية الآتية : وارزقوهم منها لانّ المعطى هناك من اصل المال [وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلاً مَعْرُوفاً] لا ازدراء فيه ولا لوم [وَ] امّا اموال اليتامى فـ [ابْتَلُوا الْيَتامى] باختبار احوالهم من اوان تميزهم وزمان صغرهم [حَتّى إِذا بَلَغُوا النِّكاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْداً] وعدم تضييع للمال [فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوالَهُمْ] عن الصّادق (ع) اشارة الى وجه من وجوه التّأويل فى هذه انّه قال : اذا رأيتموهم يحبّون آل محمّد (ص) فادفعوهم درجة يعنى وابتلوا يتامى آل محمّد (ص) وراقبوا فى تربيتهم ايّها المربّون ليتامى آل محمّد (ص) حتّى اذا بلغوا مقام الزّواج بالشّواهد الآلهيّة والواردات الغيبيّة فان آنستم منهم رشداً وثباتاً فى المحبّة وعدم افشاء الاسرار بهوى النّفس فادفعوهم عن مقامهم الدّانى درجةً كما هو شأن الائمّة (ع) و المشايخ فى تربية اطفال الطّريق و ايتام السّلوك [وَلا تَأْكُلُوها إِسْرافاً] تجاوزاً عن حدّ المعروف [وَبِداراً] اى مسرعين فى الأكل خوف [أَنْ يَكْبَرُوا] اومبادرين كبرهم [وَمَنْ كانَ غَنِيّاً] عن اموالهم بعدم اشتغاله بها عن معيشته اوبعدم حاجته اليها لغنائه فى نفسه [فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَنْ كانَ فَقِيراً] لاجل اشتغاله عن مرمّة معيشته بواسطة اصلاح اموالهم اوكان فقيراً فى نفسه [فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ] اى بقدر اجرة اشتغاله بها فانّ الأكل بالمعروف عند الشّرع و العقل ماكان بقدر اجرة اشتغاله عن اصلاح معيشته لا اصلاح معيشته عن اموالهم و ان كان اضعاف عمله و بما فسّرنا يمكن الجمع بين المتخالفات من الاخبار فى هذاالمقام ولمّا كان السّورة المباركة اكثرها فى آداب المعاشرة وتدبير

المنزل وسياسة المدن ، و من جملة الحزم في المعاشرة ان تكون بريئاً من المخاصمة متّقياً عن مواضع التّهمة حافظاً لعرضك عن افواه النّاس مجتنبا عمّا فيه الملامة وذلك بان يكون معاملتك مع الغير سالماً عن الشّبهة و الادّعاء الباطل ولا يمكن السّلامة الّا بان يكون ثالث بينك و بين من تعامله حتّى يكون مانعاً لادّعائه باطلاً و مطّلعاً حتّى يرفع الشّبهة اذا وقعت ، علّم الله تعالى عباده ذلك فقال تعالى [فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهِدُوا عَلَيْهِمْ] ولاتخونوا فيما لم يطّلع هو ولاغيره عليه لان الله تعالى شاهد عليكم ويحاسبكم بدقيق ماعندكم وجليله [وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيباً] هذا بحسب التّنزيل واما بحسب التّأويل فيقال: اذا دفعتم الى يتامى آل محمّد (ص) بعد الاستحقاق ما يستحقّونه من رفع درجة فأشهدوا الله و ملائكته عليهم حتّى يكونوا بمرأى من الله و ملائكته ويكون اعطاؤكم باذن من الله بل بمرأى منه بل بيده حتّى لايكون انفسكم واسطة بينهم وبين الله ويكون المحاسب هو الله وكفى بالله حسيباً [لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيباً مَفْرُوضاً] بيان لآداب التّوارث و نهى عن رسوم الجاهليّة من منع النّساء عن الارث [وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُوا الْقُرْبَى] من غير الورّاث [وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينُ] من غير اولى القربى [فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ] تصدّقاً عليهم و تطييباً لنفوسهم فانّه مورث لترويح المورّث وبركة الوارث ولاتؤذوهم بأيديكم والسنتكم [وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلاً مَعْرُوفاً] باستقلال العطيّة والاعتذار عنه والاحترام لهم اكثر من سائر الاوقات ولمّا كان الامر بظاهره مفيداً للوجوب والمقصود الاستحباب لا الوجوب اختلف الاخبار في انّها منسوخة او باقية فما أفاد نسخها خوطب بها من فهم الوجوب ، و ما أفاد بقاءها خوطب بها من فهم الاستحباب ، ولمّا كانت النّفوس متفاوتة في التّناهي عن المنهيّات لان تناهيها امّا لخوف الافتضاح بين النّاس ، اواطّلاع الغير عليها ، اوتسلّط الظّالم ، اورفع البركة ، اوتضييع اولادها بالمكافاة ، اوسوء العاقبة والعذاب في الآخرة ذكر الله تعالى في مقام التّأكيد في امر اليتامى والتّهديد عن الخيانة والتّواني عن المحافظة بعضاً منها فقال تعالى : [وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافاً خَافُوا عَلَيْهِمْ] فانّ الدّار دار مكافاة وليعلموا انّ مايدينون به في يتامى الغير يدانون به في يتاماهم [فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ] في الخيانة في حقّهم والتّواني في تربيتهم والخشونة في القول معهم [وَلْيَقُولُوا] لهم [قَوْلاً سَدِيداً] لايجرّئهم على عدم الانقياد ولايزجرهم زائداً على قدر تربيتهم، هذا تهديد عن المكافاة في حقّ الاولاد [إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْماً إِنَّمَا يَأْكُلُونَ] اى يدخلون بأكل اموال اليتامى [فِي بُطُونِهِمْ نَاراً] اى ما يؤدّى الى اكل النّار اودخول النّار [وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيراً] هذا تهديد عن سوء العاقبة و العذاب في الآخرة [يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي] ميراث [أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ] لوجوه كثيرة ذكرت في الاخبار وغيرها [فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ] ممّا ترك [فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ] هذا احد مواضع الحجب ولا يحجب الامّ عن نصيبها الا على الا متعدّد اقلّه اثنان

ولفظ الاخوة ايضاً يدلّ عليه فانّه لايطلق على الواحد والاختان بمنزلة اخ واحد [مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصى بِهٰا أَوْ دَيْنٍ آبٰاؤُكُمْ وَأَبْنٰاؤُكُمْ لاٰ تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعاً] فتتصرّفون فى اموالكم بأهويتكم وتعطون البعض و تحرمون البعض بل النّافع لكم ان تنقادوا لقسمة الله و تكلوا الى حكم الله فانّه انفع لكم ولابائكم واولادكم اعتراض مؤكّد لتسليم القسمة الى حكم الله تعالى، يوصيكم بهذه القسمة وصيّة [فَرِيضَةً مِنَ اللّٰهِ] اوفرض هذه القسمة فريضة من الله فلاتجاوزوا وصيّته وحكمه [إِنَّ اللّٰهَ كٰانَ عَلِيماً حَكِيماً] فلاينبغى للجاهل العاجز ان يخالفه و يغيّر ما امره [وَلَكُمْ نِصْفُ مٰا تَرَكَ أَزْوٰاجُكُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُنَّ وَلَدٌ فَإِنْ كٰانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ الرُّبُعُ مِمّٰا تَرَكْنَ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهٰا أَوْ دَيْنٍ وَلَهُنَّ الرُّبُعُ مِمّٰا تَرَكْتُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ وَلَدٌ فَإِنْ كٰانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمُنُ مِمّٰا تَرَكْتُمْ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهٰا أَوْ دَيْنٍ وَإِنْ كٰانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلاٰلَةً] والمراد بها هنا الاخوة والاخوات من جهة الام خاصّة وللآية وجوه عديدة بحسب الاعراب والمعنى لايتغيّر المقصود بها [أَوِ امْرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وٰاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ فَإِنْ كٰانُوا أَكْثَرَ مِنْ ذٰلِكَ فَهُمْ شُرَكٰاءُ فِي الثُّلُثِ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصىٰ بِهٰا أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضٰارٍّ] بالزّيادة على الثّلث اوبقصد الاضرار بالاقرار على الوارث يوصيكم [وَصِيَّةً مِنَ اللّٰهِ وَاللّٰهُ عَلِيمٌ] فلاتخالفوه [حَلِيمٌ] فلا تغترّوا بعدم تعجيل مؤاخذته واحذروا فى العاقبة من معاقبته [تِلْكَ] التى امرناكم بها من آداب المعاشرة فى حقّ اليتامى والازواج والتّوارث [حُدُودُ اللّٰهِ] التى من تجاوز عنها افترسه الغيلان ومن دخل فيها كان آمنا [وَمَنْ يُطِعِ اللّٰهَ وَرَسُولَهُ] فى المحافظة على حدوده صار من خواصّ الله ، ومن صار من خواصّ الله [يُدْخِلْهُ جَنّٰاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهٰارُ خٰالِدِينَ فِيهٰا وَ ذٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ وَ مَنْ يَعْصِ اللّٰهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نٰاراً خٰالِداً فِيهٰا وَلَهُ عَذٰابٌ مُهِينٌ] آية الفروض والانصباء وان كانت مجملة غير وافية بتمام الفروض ولا ببيان الزّيادة على الفروض ولا النّقيصة عنها لكن اهل الكتاب الّذين نزل فيهم بيّنوه لنا فلاحاجة لنا الى ماقاسته عقولنا النّاقصة ومسئلة العول والتّعصيب الّتى هى من امّهات مانخالف العامّة والخاصّة فيها نشأت من الاعراض عن اهل الكتاب والاتّكال على العقول النّاقصة فى كلّ باب [وَاللّٰاتِي يَأْتِينَ الْفٰاحِشَةَ مِنْ نِسٰائِكُمْ] هذه الآية فى كيفيّة سياسة الخارجين من الحدود [فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِنْكُمْ] فاطلبوا من القاذف اربعة رجال من المؤمنين [فَإِنْ شَهِدُوا] بالكيفيّة المعتبرة فى الشّهادة على الزّنا [فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتّٰى يَتَوَفّٰاهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللّٰهُ لَهُنَّ سَبِيلاً] لمّا كان هذه الآية فى ابتداء تأسيس السّياسات لم يشدّد فى السّياسة ، ولمّا تمّ الاسلام وقوى انزلت سورة النّور والحدّ والرّجم للزّانى والزّانية ولذا قالوا نسخت هذه الاية بما فى سورة النّور والسّبيل هو الحدّ والرّجم [وَاللَّذٰانِ يَأْتِيٰانِهٰا مِنْكُمْ فَآذُوهُمٰا] بزجر الرّجل وحبس المرأة [فَإِنْ تٰابٰا وَأَصْلَحٰا فَأَعْرِضُوا عَنْهُمٰا] وخلّوا سبيلهما [إِنَّ اللّٰهَ كٰانَ

تَوّاباً رَحِيماً] يتوب على من تاب ويرحم على من ندم ، ولمّا اوهم من نسبة وصف التّوبة والرّحمة اليه تعالى انّه يتوب على العاصي اىّ عاص كان استدركه فقال تعالى : [إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللهِ] يعنى انّ التوبة حالكونها واجبة على الله بمقتضى وعده وايجابه ليست الّا [لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ] ويجوز ان يكون على الله خبراً.

تحقيق كون السّيّئات تماماً بجهالة

اعلم انّه تعالى خلق اوّل ما خلق عالم العقول الكلّيّة الّتى يعبّر عنها بالقلم والملائكة المقرّبين والكتاب المبين وغير ذلك من الاسماء اللائقة المطلقة عليها، ثمّ عالم العقول العرضيّة الّتى تسمّى فى لسان الحكماء بأرباب الانواع وأرباب الطّلسماب وبالارواح والصّافّات صفّاً، ثمّ عالم النّفوس الكلّيّة الّتى تسمّى باللّوح المحفوظ والمدبّرات امراً ، ثمّ عالم النّفوس الجزئيّة الّتى تسمّى بالملائكة ذوى الاجنحة وبالقدر العلمىّ ولوح المحو والاثبات وبعالم الملكوت العليا وبعالم المثال و الاشباح النّوريّة ، ثمّ عالم الاجسام علويّة كانت او سفليّة من العناصر و مواليدها و تسمّى بالاشباح الظّلمانيّة والقدر العينىّ، ثمّ عالم الارواح الخبيثة الّتى هى الشّياطين والجنّة والارواح البشريّة الّتى تلحق بها وتسمّى بعالم الملكوت السّفلىّ وهذا العالم بحسب رتبة الوجود تحت عالم الطّبع كما انّ عالم المثال النّورىّ فوق عالم الطّبع ، وهذا العالم أنكره كثيرٌ من الحكماء القائلين بالاشباح النّوريّة والاجسام المجرّدة الّتى تسمّى عندهم بعالم المثال وهم اتباع صاحب الاشراق ، والمشّاؤن أنكروا المثال النّورىّ فضلاً عن الظّلمانىّ وقالوا: انّ الموجود الممكن امّا مجرّد صرف او مادّىّ صرف واما المتقدّر المجرّد عن المادّة فلا وجود له، واما المتكلّمون و الفقهاء فليس شأنهم البحث عن امثال هذا من حيث اشتغالهم بالفقه والكلام فانّ موضوع الفقه افعال العباد من حيث الصّحّة والفساد الشّرعىّ ، وموضوع الكلام العقائد الدّينيّة المأخوذة عن المسلّميّات ، والدّليل على وجود العالمين شهود اهل الشّهود لهذين العالمين ومنامات عامّة الخلق ورؤيتهم فى المنام الملذّات والموذيات ومطابقة رؤياهم للواقع فى بعض الاوقات ، ولولا شهودهم لتيقّنك فى عالم محقّق مطابق لما فى هذا العالم محيط به لما طابق الواقع وخلوّ المثال النّورىّ عمّا يؤذى دليل على المثال الظّلمانىّ، وتصرّفات اهل الشّرّ فى هذا العالم مثل تصرّفات اهل الخير شاهد على وجود المثال الظّلمانىّ واحاطته بهذا العالم ، واطّلاع اهل الشّرّ على المغيبات و اشرافهم على الخواطر كاطّلاع اهل الخير يشهد بذلك ، و اشارات الكتاب وشواهد السّنّة على وجود هذا العالم كثيرة، فتح الله عيوننا بها، ولمّا كانت العوالم تجلّيات تعالى شأنه واسماؤه اللّطفيّة سابقة على اسمائه القهريّة كان خلق العوالم النّوريّة بارواحها واشباحها من تجلّياته اللّطفيّة الخالصة ، ولمّا تمّ تجلّياته النّوريّة الخالصة فى عالم المثال النّورىّ تجلّى باسمائه اللّطفيّة والقهريّة فصار عالم الطّبع موجوداً، ثمّ تجلّى باسمائه القهريّة بحيث كان اللّطف مقهوراً تحت القهر فصار عالم المثال السّفلىّ موجوداً ، وبوجه آخر لمّا انتهى تجلّياته تعالى الى عالم الطّبع وقفت و ما نفذت عنه لكثافته واظلامه فانعكست تلك التّجلّيات كانعكاس الضّوء عن المرآة فصار ذلك العكس مثالاً لهذا العالم ، نوريّاً صاعداً بازاء المثال النّورىّ النّازل وحصل من كثافة هذا العالم ظلّ ظلمانىّ تحته فصار مثالاً ظلمانيّاً وهذا المثال الظّلمانىّ محلّ للشّياطين وابالستها والجنّة وعفاريتها ، وبهذا العالم يصحّح الجحيم ودركاتها وحميمها وحيّاتها وجميع موذياتها وبه يتمّ الارض وطبقاتها، ولا حاجة لنا الى تأويل شيء ممّا ورد فى الشّريعة المطهّرة من امثال ماورد فى المعاد الجسمانىّ والجنّة والشّياطين وغير ذلك كما فعله المشّاؤن والاشراقيّون من الحكماء ، ولا الاكتفاء بمحض التّقليد والسّماع عن صادق من غير تحقيق وتفتيش عن حقيقة ماورد، كما قنع به الشّيخ الرّئيس فى المعاد الجسمانىّ لانكاره العالمين، وكما قنع به المقلّدون

الّذين ليس شأنهم التّفتيش والتّحقيق بل نقول: هذا باب من العلم ينفتح منه الف باب لاهل التّحقيق والبصيرة، واهل الله من اهل المكاشفة اكتفوا فى بيان هذاالباب بالاشارات من غير كشف حجاب اقتفاءً لسنّة السنّة وسيرة الكتاب ولم يأت احد منهم بمافيه تحقيق وتفصيل اتّباعاً لاصحاب الوحى والتّنزيل،ولاهل العالم السّفلى كاهل العالم العلوىّ لتجرّدهم عن المادّة قدرة وتصرّف فى اجزاء العناصر والعنصريّات اىّ تصرّف شاؤا ، وللعنصريّات بواسطة مادّتها جهة قبول عنهم من غير اباء وامتناع ، ومن هنا وهم الثّنويّة لمّا كاشف رؤساؤهم هذين العالمين وشاهدوا تصرّف اهلهما فى عالم العناصر فقالوا : انّ للعالم مبدئين نوراً وظلمةً او يزدان و اهريمن ، ومن هنا وهم الزّنادقة من الهنود لمّا كاشف رؤساؤهم العالم السّفلىّ من الملكوت وشاهدوا تصرّف اهله فى عالم العناصر ولم يفرّقوا بين الارواح الخبيثة والطيّبة، لانّ للارواح الخبيثة كالارواح الطيّبة نورانيّةً عرضيّةً مانعةً عن ظهور ظلمتها لمن لا يشاهد الارواح الطيّبة ، فقالوا انّ طريق الاتّصال بعالم الارواح متعدّد؛ طريق الانبياء والرّياضة بالاعمال الشّرعيّة وهذا ابعدالطّرق ، وطريق الرّياضة بالمخالفة للشّرائع الآلهيّة وهذا اقرب الطّرق؛ فيرون انّ اعظم الاعمال فى هذا الباب سفك الدّماء و شربها و خصوصاً دم الانسان و الزّنا و خصوصاً مع المحارم فيسفكون الدّماء و يجعلونها فى الدّنان ويشربون منها ويشربون من يدخلونه فى طريقهم منها و يزنون مع النّساء المحصنات فى حضور الازواج ، وبهتكون الكتب السّماويّة بتعليقها فى المزابل وغير ذلك من الشنائع وهم صادقون فى انّها اعظم الاعمال فى الوصول الى الارواح ، لكنّهم مغالطون بين الارواح الخبيثة والارواح الطيّبة و يقصرون الارواح فى الارواح الخبيثة ولا يدرون انّ الاتّصال بها اصطلاء فى النّار و دخول فى الجحيم مع الاشرار . وامثال هذه المغالطات لاصحاب الملل والاديان ايضاً كثيرة فيرون اقبح ما يأتونه حسناً عصمناالله من العمه والعمى وحفظنا من السّفه والرّدىّ . والحاكم فى العالم العلوىّ هو العقل الّذى هوحقيقة متحقّقة حقيقته عين التعقّل والادراك، والحاكم فى العالم السّفلىّ هوابليس الّذى هوحقيقة متحقّقة حقيقته عين الجهل ، وحديث العقل وجنوده والجهل وجنوده المروىّ عن الصّادق (ع) فى الكافى اشارة الى هاتين لا الجهل الّذى هوعدم ملكة لا حقيقة له ، و اخبار خلقة الانسان من امتزاج الطينتين اشارة الى انموذج العالمين و حيثيّة قبوله لتصرّف الطّرفين فكلّ من عمل سوء فبجهته الظّلمانيّة وحكومة ابليس الّذى هوالجهل وتسخيره، وكلّ من عمل خيراً فبجهته النّوريّة وحكومة العقل فلا شرّ الّا بالجهل ولاخير الّا بالعقل فقوله تعالى : بجهالة بيان لانّه لا يكون السّوء الّا بجهالة يعنى الّا بتسخّر عامله للجهل لا تقييد لفعل السّوء ، وعن مولينا و مقتدانا ومن هو كالرّوح فى ابداننا و عن انفاسه القدسيّة اوراق ارواحنا جعفر الصّادق (ع) كلّ ذنب عمله العبد و ان كان عالماً فهو جاهل حين خاطر بنفسه فى معصية ربّه (الى آخر الحديث) وفى ايراد لفظ السّوء مفرداً من غير مبالغة والتّقييد بالجهالة اشارات لطيفة الى انّ من له استعداد التّوبة بعدم ابطال الفطرة ، مساويه وان كانت كثيرة فهى قليلة مفردة فى جنب ما يمحوها من الفطرة ، وانّها وان كانت بالغة فى القبح فهى ضعيفة غير بالغة ، لانّ مصدرها الجهالة العرضيّة وانّ مصدرها وان كان نفس هذا الانسان لكن سببها الجهل الّذى هو مغاير لها بخلاف ذلك كلّه من لم يكن له استعداد التّوبة كما يأتى فى الآية الآتية [ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ] اى من غير بعد عن دار العلم و مقامه الاصلىّ بالتمكّن فى دار الجهل والتّجوهر به بابطال الفطرة سواء كان مع القرب الزّمانىّ او مع البعد الزّمانىّ حتّى لاينافى الاخبار فى سعة زمان التّوبة ولا يبقى بين من ذكر فى الآيتين واسطة [فَأُولٰئِكَ يَتُوبُ اللّٰهُ عَلَيْهِمْ] فى وضع المظهر موضع المضمر و ادائه باسم الاشارة و تقديمه على المسند و تكرار لفظة الله من تفخيم شأنهم و تأكيد

الحكم مالايخفى [وَكانَ اللهُ عَليماً حَكيماً] عطف فيه تعليل لانّ اقتضاء حكمته الّتى هى مراقبة الامور الدّقيقة واعطاء كلّ ذى حقّ حقّه جليلاً كان او حقيراً مع العلم باستعداد العباد واستحقاقهم حين توبة العبد وقربه من داره الاصليّة واستحقاقه للقبول والوصول الى داره قبول توبته [وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئاتِ] بيان وتأكيد لمفهوم الآية الاولى كأنّه تعالى قال : انّما التّوبة لهؤلاء لا لغيرهم ، و فى ايراد السّيّئات بالصّيغة الّتى فيها شوب مبالغة مجموعة محلّاة باللام من غير تقييد بالجهل اشارة الى انّ المسوّفين للتّوبة ابطلوا الفطرة ومن أبطلوا الفطرة صاروا متجوهرين بالجهل فلم يبق ميزٌ واثنينيّة بين الجهل وذواتهم وانّ مساويهم لتجوهرهم بالجهل و ان كانت قليلة القبح فهى بالغة فى القبح ، و انّهم عاملون لجميع السّيّئات لتجوهرهم بالجهل الّذى هو مصدر الجميع ، وكلّ من تجوهر بالجهل كلّ ما عمل فهو سيّئة فكأنّه قال : ليست التّوبة للّذين يعملون السّيّئات جميعها [حَتّى إِذا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ] يعنى عاين الموت كما فى الاخبار [قالَ إِنّي تُبْتُ الْآنَ وَلَا الَّذينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفّارٌ أُولئِكَ أَعْتَدْنا لَهُمْ عَذاباً أَليماً] وفى هذه الآية من التّحقير والتّأكيد ما لا يخفى و هذه الآية كأنّها معترضة بين آيات الآداب لاستطراد ذكر التّوبة [يا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا لا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّساءَ كَرْهاً] كانوا فى الجاهليّة يرثون نكاح ازواج مورّثهم بالصّداق الّذى اصدقه المورّث فنهوا عنه [وَلا تَعْضُلُوهُنَّ] لاتمنعوهنّ عن النّكاح ضراراً [لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ ما آتَيْتُمُوهُنَّ] كما هو شائع فى زماننا هذا [إِلّا أَنْ يَأْتينَ بِفاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ] مايؤدّى الى الشّقاق مع الازواج فانّه يحلّ لهم حينئذ الافتداء من المهر و غيره وخلعهنّ [وَعاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ] حسن العشرة بما يستحسنه العقل و الشّرع ممدوح مع كلّ احد خصوصاً مع من كان تحت اليد ولا سيّما الحرّة الّتى صارت مملوكة لك بسبب المهر [فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَيَجْعَلَ اللهُ فيهِ خَيْراً كَثيراً وَإِنْ أَرَدْتُمُ اسْتِبْدالَ زَوْجٍ مَكانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْداهُنَّ قِنْطاراً فَلا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئاً أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتاناً وَإِثْماً مُبيناً] قيل كان الرّجل اذا اراد جديدة بهتّ الّتى تحته ليفتدى منها و يصرفه فى الجديدة فمنعوا منه [وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضى بَعْضُكُمْ] مائه [إِلى بَعْضٍ] واستحلّ رحمه بما اعطاه [وَأَخَذْنَ مِنْكُمْ ميثاقاً غَليظاً] هو الكلمة الّتى جعلها الله ميثاقاً اكيداً بين الازواج ورتّب عليها احكاماً كثيرةً غليظة هى الاحكام الّتى للزّوج على الزّوجة وللزّوجة على الزّوج [وَلا تَنْكِحُوا ما نَكَحَ آباؤُكُمْ مِنَ النِّساءِ] وان علوا فتستحقّوا عليه العقوبة [إِلّا ما قَدْ سَلَفَ] فانّه لاعقوبة عليه وذكر من النّساء بيان لاتقييد [إِنَّهُ كانَ فاحِشَةً وَمَقْتاً] لانّ ذوى مروّاتهم كانوا يسمّونه نكاح المقت والولد منه المقتىّ [وَساءَ سَبيلاً] فانّه سبيل اهل الجهل و يؤدّى الى النّار فى العاقبة ولم يجعلها الله تعالى فى عداد المحرّمات الآتية فانّه حيث قال : و حلائل ابنائكم ينبغى ان يقول و حلائل آبائكم لانّ نكاح سائر المحرّمات لم يكن شائعاً بينهم كشيوعه فكان توكيد تحريمه وافراده بالذّكر مطلوباً لشيوعه [حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهاتُكُمْ] اى نكاحهنّ بقرينة الحال والمقام [وَبَناتُكُمْ وَأَخَواتُكُمْ وَعَمّاتُكُمْ وَخالاتُكُمْ وَبَناتُ

الْاَخِ وَبَنٰاتُ الْاُخْتِ] تعميم الامّهات للجدّات و البنات للاحفاد ممّا يفيده ظاهر اللّفظ ولا خلاف بين الفريقين فى حرمتهما و ان علون و نزلن وكذا العمّات و الخالات و ان علون و هذا بيان المحرّمات بالنّسب والملاك هوانّ اصولكك وفروعكك تماماً واوّل فرع من اصولكك والفروع الّتى نشأت من اوّل اصولكك محرّمة بالنّسب والمحرّمات بالنّسب امّا بالرّضاع وامّا بالمصاهرة وامّا بالمانع فبيّنها تعالى شأنه بقوله تعالى [وَاُمَّهٰاتُكُمُ اللّٰاتِي اَرْضَعْنَكُمْ وَاَخَوٰاتُكُمْ مِنَ الرَّضٰاعَةِ] بيان المحرّمات بالرّضاع مجملة بيّنها لنا اهل الكتاب [وَاُمَّهٰاتُ نِسٰائِكُمْ] شروع فى بيان المحرّمات بالمصاهرة .

اعلم انّ الاحكام تابعة للعنوانات والعنوانات لمصاديقها العرفيّة فكلّ من صدق عليها عرفاً انّها امرأة فلان فامّها محرّمة عليه ، ومن لم يصدق عليها عرفاً انّها امرأة فلان فظاهر الآية انّ امّها لاتكون محرّمة النّكاح ولا محلّلة النّظر للرّجل ، وصدق هذه الاضافة امّا بان يكون للمرء يد عليها بعد العقد المحلّل اوخلطة وخدمة من الطّرفين اوتمتّع اومجامعة اوغير ذلكك من اسباب صدق هذه الاضافة ، امّا بمحض العقد متعة ففى صدق تلكك الاضافة اشكال اذا كانت المعقودة صغيرة غير قابلة للاستمتاع ، وحمل ماورد فى الاخبار من الاحتياج الى الدّخول مع منافاتها الظاهر الآية على ماذكرنا من تصحيح صدق هذه النّسبة اولى من حملها على التّقيّة حتّى يلزم منه تحريم الفرج الحلال و تحليل النّظر الحرام كأنّهم (ع) قالوا: لابدّ فى التّحريم من صدق هذه النّسبة ، والدّخول احد اسباب هذا الصّدق فما شاع عندهم من تمتيع الصّغائر لتحليل النّظر الى الامّهات فيه اشكال عظيم والاحتياط هو طريق السّداد وهوان يجتنب من النّظر الى غير المواضع المستثناة من امّ المعقودة الصّغيرة وان يجتنب من تحليل بضعها ايضاً اولا يحوم حول مثل هذه الشّبهات.

تحقيق حرمة منظورة الاب والابن على الآخر

[وَرَبٰائِبُكُمُ اللّٰاتِي فِي حُجُورِكُمْ] ذكر فى حجوركم لبيان علّة الحرمة لانّه تقييد [مِنْ نِسٰائِكُمُ اللّٰاتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ] تقييد للنّساء ولذا لم يكتف به وبيّن مفهومه فقال تعالى : [فَاِنْ لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلاٰ جُنٰاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلاٰئِلُ اَبْنٰائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ اَصْلاٰبِكُمْ] و ان نزلوا لاالّذين سمّاهم النّاس ابناءكم ، و حليلة الرّجل تصدق على المرأة بمحض العقد المحلّل وامّا ملكك اليمين فهى وان كانت محلّلة بمحض عقد الملكك لكنّها لاتحرم بمحض هذا العقد من الابن اوالاب على الآخر ، لانّ عقد الملكك قد يقع لمحض الخدمة وقد يقع لمحض التمتّع و قد يقع لهما فاذا وقع عقد الملكك فان ظهر امارات التّمتّع فى هذا العقد من لمس و تقبيل ونظر بشهوة فهو بمنزلة عقد النّكاح يحرّم مملوكة الابن على الاب وبالعكس ، وان لم يظهر تلكك الامارات فهى كسائر المملوكات وله التّصرّف فيها باىّ نحو شاء ولا تصير محرّمة كحرمة المصاهرة فمنظورة الاب و ملموسته بشهوة ان كانت مملوكة له فهى محرّمة على الابن وبالعكس ، وامّا الحرّة فالحاقها بالمملوكة قياس مع الفارق وليس عليها نصّ منهم عليهم السّلام [وَاَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْاُخْتَيْنِ اِلّٰا مٰا قَدْ سَلَفَ] فانّه لاعقوبة عليكم فيما مضى وكان بجهالة منكم و هذا شروع فى بيان المانع [اِنَّ اللّٰهَ كٰانَ غَفُوراً] يغفر ما يقع عن جهل [رَحِيماً] لا يؤاخذ من لايعمّد فى مخالفته .

[الجزء الخامس]

[وَالْمُحْصَنٰاتُ مِنَ النِّسٰاءِ] لكون بضعهنّ مملوكاً للغير [إِلّٰا مٰا مَلَكَتْ أَيْمٰانُكُمْ] كالمسبيّات اللّاتى لهنّ ازواج كفّار فانهنّ محلّلة وكالاماء اللّاتى تحت العبيد فانّ امرهم بالاعتزال وكذا بيعهنّ بمنزلة الطّلاق [كِتٰابَ اللّٰهِ عَلَيْكُمْ] اى كتب الله تلك الاحكام كتاباً عليكم [وَأُحِلَّ لَكُمْ مٰا وَرٰاءَ ذٰلِكُمْ] هذا ايضاً مجمل بيّنه لنا اهله فانّ سائر المحرّمات بالرّضاع والجمع بين المرأة وعمّتها او خالتها بغير اذنهما غير مذكورة فى الآية السّابقة وغيرمحلّلة [إِنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوٰالِكُمْ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسٰافِحِينَ] حافظين لانفسكم بالنّكاح الشّرعىّ غير زانين [فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ] اى فالنّساء اللّاتى استمتعتم بهنّ من جملة النّساء فآتوهنّ اجورهنّ اوفالمال الّذى استمتعتم به من النّساء فآتوه اياّهنّ، ووضع الاجور على هذا موضع الضّمير وفى لفظ الاستمتاع وذكر الاجور وذكر الاجل على قراءة الى اجل دلالة واضحة على تحليل المتعة [فَرِيضَةً] فرضت فريضةً او حالكونها مفروضة عليكم بالعقد [وَلٰا جُنٰاحَ عَلَيْكُمْ فِيمٰا تَرٰاضَيْتُمْ بِهِ] من اعطاء الزّيادة على الفريضة اواسقاطهنّ شيئاً من الفريضة [مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ] وفيه اشعار بكون الاجر من اركان عقد التّمتّع كما عليه من قال به، وروى عن الباقر(ع) لابأس بان تزيدها وتزيدك اذا انقطع الاجل فيما بينكما تقول: استحللتك باجل آخر برضىً منهما ولاتحلّ لغيرك حتّى تنقضى عدّتها وعدّتها حيضتان [إِنَّ اللّٰهَ كٰانَ عَلِيماً حَكِيماً] فحلّل المتعة عن علم ولغايات منوطة بالمصالح والحكم [وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلاً أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنٰاتِ الْمُؤْمِنٰاتِ] فانّ فى نكاحهنّ تكاليف شاقّة من النّفقة والكسوة والمسكن والقسامة [فَ] لينكح [مِمّٰا مَلَكَتْ أَيْمٰانُكُمْ مِنْ فَتَيٰاتِكُمُ الْمُؤْمِنٰاتِ وَاللّٰهُ أَعْلَمُ بِإِيمٰانِكُمْ] فاكتفوا بظاهر الايمان فانّ الله هو العالم بالسّرائر فربّ امة كانت افضل فى الايمان من الحرّة والامة بحسب المعاش اخفّ عليكم [بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ] فى النّسبة الى آدم(ع) والى الاسلام [فَانْكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ] فانّه بدون الاذن زنا [وَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ مُحْصَنٰاتٍ] عفايف [غَيْرَ مُسٰافِحٰاتٍ] زانيات [وَلٰا مُتَّخِذٰاتِ أَخْدٰانٍ] اخلاء فى السّرّ [فَإِذٰا أُحْصِنَّ] بالتّزويج [فَإِنْ أَتَيْنَ بِفٰاحِشَةٍ] زنا [فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مٰا عَلَى الْمُحْصَنٰاتِ مِنَ الْعَذٰابِ] يعنى انّ العبيد والاماء يضربون نصف الحدّ فان عادوا الى ثمانى مرّات هكذا يحدّون وفى الثّامنة يقتلون، وعن الصّادق(ع) انّما صار يقتل فى الثّامنة لانّ الله رحمه ان يجمع عليه رقّ الرّقّ وحدّ الحرّ، وعن الباقر(ع) فى امة تزنى قال تجلد نصف حدّ الحرّ كان لها زوج او لم يكن لها زوج، وفى رواية لاترجم ولا تنفى [ذٰلِكَ] اى ترخيص نكاح الاماء [لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنْكُمْ] اى التّعب والاذى من العزوبة [وَأَنْ تَصْبِرُوا] عن نكاح الاماء بالتّعفّف [خَيْرٌ لَكُمْ] لانّهنّ فى الاغلب غيراصيلة غليظة الطّبع والمضاجعة معهنّ مؤثّرة فتؤثّر فى نفوسكم وامزجتكم واولادهنّ يصيرون مثلهنّ ولا ينبغى لنطفكم ان تقع فى ارحامهنّ فيتولّد لكم منهنّ ما لا يليق بكم [وَاللّٰهُ غَفُورٌ] للسّوءة اللّازمة من نكاحهنّ [رَحِيمٌ]

بالتّرخيص لكم فى نكاحهن حين العنت وترجيح التّعفّف عنهن مهما امكن حتّى لايرد عليكم من مضاجعتهن سوءة [يُرِيدُ اللّٰهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ] ما هو صلاحكم فى معاشكم و معادكم بتلك الاحكام من تحريم المحرّمات وتحليل المحلّلات وتسنين الاستمتاع بالنّساء والتّرخيص فى المكروهات من نكاح الاماء وقت مساس الحاجة والتّعفّف عنهن مهما امكن [وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ] من الانبياء لتقتدوا بهم [وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ] بخروجكم عن مشتهى انفسكم و دخولكم تحت امره بامتثال اوامره و نواهيه [وَاللّٰهُ عَلِيمٌ] فيعلم ما هو اصلح بحالكم [حَكِيمٌ] فلا يأمركم بما ليس فيه صلاحكم [وَاللّٰهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ] كرّره تأكيداً وتصويراً للمقابلة ترغيباً فى اتّباع اوامره واجتناب مخالفتها [وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ] كمن يمنع عن الاستمتاع بالنّساء [أَنْ تَمِيلُوا] عن الطّريق المؤدّى الى نجاتكم [مَيْلاً عَظِيماً] فهو حقيق بالاتّباع وهم احقّاء بالاجتناب [يُرِيدُ اللّٰهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ] بتشريع المتعة وترخيص نكاح الاماء حتّى لا يثقل عليكم العزوبة ، و فى الآية تعريض بمن يمنع عن المتعة وانّه من الّذين يتّبعون الشّهوات ويريد اخراجكم من سنن الانبياء وان يثقل عليكم العزوبة حتّى تدخلوا فى الزّنا [وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفاً] فلا يمكنه مقاومة الشّهوة والصّبر عنها حتّى يدخل فيما يضرّه من الزّنا ولذا رخّص له المتعة و نكاح الاماء وقت خوف العنت و رجّح له التّعفّف عن الاماء مع الامكان حتّى لايجانسهن بالمضاجعة لضعفه .

تحقيق تعميم الاكل والبطلان

[يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ] تأديب فى الاموال والانفس .

اعلم انّ الالفاظ كما سبق موضوعة للحقائق باعتبار عناوينها المرسلة من غير اعتبار خصوصيّة من خصوصيّات المصاديق فيها كلّيّة كانت ام جزئيّة ، فانّ لفظة زيد مثلاً موضوعة للذّات المخصوصة من غير اعتبار حالة وخصوصيّة من حالاتها وخصوصيّاتها ، فانّه فى حال الصّبا زيدٌ وفى حال الشّيخوخة ايضاً زيدٌ وكذا بحسب تجسّمه و تجرّده فانّه فى حالكونه مع المادّة زيدٌ و فى حالكونه فارغاً من المادّة زيدٌ متقدّراً زيدٌ ومجرّداً عن التقدّر زيدٌ ، فلا شيء من خصوصيّات الاحوال ولا من خصوصيّات النّشئات معتبراً فى وضعه ولا فى اطلاقه ، واستغراب من لايتجاوز ادراكه عن عوالم الحسّ وحصرهم المفاهيم على المصاديق الحسّيّة حجّة لهم لا لنا ، فانّهم بحسب نشأتهم لايدركون مصاديق سائر النّشئات فلايمكنهم تعميم المفاهيم وفى الاخبار نصوص واشارات الى ماذكرنا ، بصّرنا الله تعالى بها . فالاكل غير معتبر فيه خصوصيّات الاكل الحيوانىّ من ادخال شيء فى الفم الحسّىّ ومضغه بالاسنان وبلعه وادخاله فى البطن ولاخصوصيّات الاكل ولاخصوصيّات المأكول ولاخصوصيّات شيء من النّشئات فهو اسم لفعل ما به قوام الفاعل وقوّته وازدياده بايّ نحو كان و فى ايّ نشأة وقع فلعب الاطفال أكل لهم بحسب أكل هو الخيال الحيوانىّ اللّعبى ، وتجارة التجّار وزراعة الزرّاع ونكاح النّكّاح أكل لهم بحسب قوّة من قواهم بل فعل كلّ فاعل فى ايّ نشأة كان أكل له ، والمال اسم للمملوك فكلّما كان الملك فيه اقوى كان بصدق اسم المال اولى ، فالاعراض الدّنيويّة الّتى لاحيثيّة مملوكيّة لها الّا ما اعتبره الشّارع او ما اعتبره العرف حيث يعدّون ما تحت يد الرّجل ماله و مملوكه مال و القوى النّفسانيّة الّتى تحت تصرّف النّفس ولا حيثيّة لها الّا حيثيّة المملوكيّة للنّفس اولى بصدق المال ، وكذا العلوم و الصّنائع الّتى

صارت ملكة اوغيرملكة لكن كانت ثابتة فى خزانة العقل مال، والخطاب فى بينكم لجماعة الذّكورسواء كانوا فى العالم الكبير او فى العالم الصّغير الانسانىّ فى نشأة الطّبع او فى غيرها و النّساء مرادة ايضاً تغليباً ،و الباطل يقال لفعل لاغاية له اولاغاية عقلانيّة اوعرفيّة له ، ولفعل لم يصل الى غايته ، ولسنّة وطريقة لم تبتن على اساس مستحكم ، ولسنّة لم تبتن على اساس آلهىّ ، ويقال لما لاحقيقة له اصلاً كالاعدام ، ولما لاحقيقة له فى نفس الامر كالسّراب، ولما لاتحقّق له بالذّات بل بالعرض كالماهيّات ، ولمالاتحقّق له بنفسه بل بالعلّة كالوجودات الامكانيّة ، و لما اختفى تحقّقه بحيث يكون الغالب عليه الاعدام كالملكوت السّفلى فانّها باطلة لغلبة الاعدام عليها وان كان يصدق عليها ايضاً يسائرمعانيه، فالآية الشّريفة بحسب مصاديقها لها وجوه عديدة بعضها فوق بعض : **فاوّل مصاديقها** ماهواقرب الى فهم العوام من الاكل المعروف بالمضغ والبلع ومعناها لاتأكلوا بالمضغ اعراضكم الدّنيويّة بينكم بالطّريق الباطل الّذى لم يسنّه الشّارع ولم يبحه ، اوبالمبدء الباطل الّذى هو النّفس والشّيطان فانّ الحاكم والمحرّك للفعل امّا النّفس والشّيطان اوالعقل والرّحمن وقد علمت انّ الشّيطان باطل لغلبة الاعدام عليه ، **وثانيها** لاتصرفوا اموالكم الدّنيويّة بينكم بالباطل بمعنييه وهوايضاً قريبٌ من فهم العامّة ، **وثالثها لاتفعلوا** افعالكم بينكم بالباطل بمعنييه ، **ورابعها** لا تفعلوا افعالكم التّكليفيّة القالبيّة النّبويّة بالمبدء الباطل اوبالغرض الباطل ، **وخامسها** لاتفعلوا افعالكم التّكليفيّة القلبيّة الولويّة بينكم بالباطل بمعنييه ، **وسادسها** لاتصرفوا قواكم بينكم بالباطل ، **وسابعها** لاتصرفوا ولاتأخذوا علومكم، **وثامنها** لاتصرفوا مدد حيوتكم ومادّة حيوتكم، **وتاسعها** لاتأخذوا مشاهداتكم ومشهوداتكم [إِلّا أَنْ تَكُونَ تِجارَةً عَنْ تَراضٍ مِنْكُمْ] بما سبق يمكن التّعميم [وَلا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ] امّا مربوط بالمعطوف عليه لانّ صرف الاموال من غير معيار مورث لقتل الانفس والنّهى عنه كالعلّة للنّهى عنه او حكم مستقلّ وتعميمه لايخفى [إِنَّ اللّهَ كانَ بِكُمْ رَحِيماً] علّة لنهيه تعالى عن صرف الاموال بالباطل وقتل الانفس فانّ رحمته داعية الى هذا النّهى كسائر التّكاليف [وَمَنْ يَفْعَلْ ذٰلِكَ] الصّرف والقتل [عُدْواناً] لعدوان او فعل عدوان او عدى عدواناً اوحالكونه عادياً او يفعل عدوانه ذلك على ان يكون تميزاً يعنى من يفعل ذلك عن عمد وتجاوزعن حدود الله اوعن عداوة من نفسه [وَظُلْماً فَسَوْفَ نُصْلِيهِ ناراً وَكانَ ذٰلِكَ عَلَى اللّهِ يَسِيراً إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبائِرَ ما تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئاتِكُمْ] كأنّه قيل: وابّنا يخلومن صرف المال بالباطل خصوصاً على مافسّر؟ـ فقال : تسلية وتطييباً ان تجتنبوا (الى آخرالآية) وقداختلف الاخبار و الاقوال فى بيان الكبيرة ففى بعض هى سبع و فى بعض اكثر مع اختلاف فى بيان انواعها فلا بدّ من ميزان به يوزن الاعمال ويجمع بين الاخبار والاقوال .

تحقيق الكبير والصّغير

فنقول : الافعال من حيث انّها حركات وسكنات لا توصف بالحسن والقبح لاشتراكها فى تلك الحيثيّة ولا من حيث نسبتها الى الانسان لاشتراكها فيها ايضاً ، ولا من حيث انواعهاالمخصوصة كالصّوم والصّلوة والجهادوالقتل والنّهب والفساد لاتّصافها بالحسن تارة والقبح اخرى، بل الحسن والقبح يلحقان الاعمال من حيث نسبتها الى العقل والجهل فكلّ عمل يصدرعن الانسان بحكومة العقل وطاعته خصوصاً عقل الانبياء والاولياء الّذين هم العقول الكلّيّة المحيطة فى ايّ صورة كان العمل فهو حسنة و بحسب درجات الطّاعة و قبول الحكومة بالشّدّة والضّعف تتفاوت درجات الحسنة بالشّدّة والضّعف والصّغر والكبر ، وكلّما صدر عن حكومة الجهل وطاعته خصوصاً الجهل الكلّى الّذى هو

الشّيطان فهوسيّئة فى ايّ صورة كان وبحسب تفاوت درجات الطّاعة وقبول الحكومة تتفاوت درجات السّيّئة بالشّدّة والضّعف والصّغر و الكبر، فمن اراد طاعة الله و متابعة اوامره فكلّما صدرعنه بحسب هذه الارادة فهو حسنة لكنّها ضعيفة و اذا علم انّ اوامر العقل الّتى هى اوامرالله لا تتميّز عنده عن اوامر الجهل الّتى هى اوامر الشّيطان بل لابدّ من بصيرٍ نقّاد وذى قلب وقّاد اتّصل بالعقل واخذ من الله حتّى يبيّن له اوامر العقل من اوامر الشّيطان وذلك النّقّاد هو النّبىّ (ص) اوالولىّ (ع) وعزم على الوصول اليه والاخذ منه ، فكلّما صدرعنه بحسب هذا العزم فهو حسنة اقوى من الاولى فاذا اتّصل بهذا العالم وعاهد معه وبايع على يده وانقاد له واخذ الاحكام القالبيّة منه وهذا الاخذ والبيعة هوالاسلام فكلّما صدرعنه بحسب هذا الانقياد وهذا الاخذ فهو حسنة اقوى من سابقتها . و اذا علم انّ الاسلام و احكام القالب قوالب لاحكام الباطن ولا يمكن له الوصول الى حضرة العقل الّا من طريق الباطن ولايمكن السّلوك من طريق الباطن الى تلك الحضرة الّا برفع المانع منه وارتكاب الباعث عليه وعلم انّه لايمكنه معرفة المانع و الباعث الّا بالاخذ من بصيرٍ حكيمٍ وعزم على الوصول اليه و الأخذ منه ففعله من جهة هذاالعزم حسنة اقوى ، واذا وصل الى هذاالحكيم وبايع معه على قبول احكام الباطن واخذ احكام الباطن منه وذلك الاخذ والبيعة هوالايمان صارمؤمناً وصارافعاله من هذه الجهة حسنات اقوى ممّاقبلها، وللايمان بعد ذلك درجات حتّى وصل الى العقل وتحقّق به وحينئذٍ يصير اصل الحسنات وفرعها واوّلها وآخرها ؛ ان ذكرالخير كنتم اصله وفرعه واوّله وآخره، وبالعكس من ذلك من تحقّق بالجهل فهواصل السّيّئة وفرعها واوّلها وآخرها ومن تحقّق من افراد البشر بالجهل كان اقوى فى السّوء من الجهل نفسه كما انّ المتحقّق بالعقل اقوى من العقل ، ولذاكان علىّ (ع) مقدّماً على العقل وجبريل وعدوّه مقدّماً على الشّيطان وكلّ ذى سوء حتّى يحمل عليه معصية كلّ ذى معصية ، ومن تمكّن فى طاعة الجهل بحيث لم يبق عليه اثرمن طاعة العقل فكلّما فعل فهو معصية كبيرة و من لم يتمكّن فى طاعة الجهل بل بقى عليه اثر من طاعة العقل او ارادة طاعة العقل فما فعل من جهة طاعة الجهل فهوسيّئة مغفورة ان شاء الله ، ومن غلب عليه طاعة العقل اوارادة طاعة العقل ويطرء عليه طاعة الجهل حيناً فما فعل من جهة طريان طاعة الجهل فهو لمّة ممحوّة ان شاءالله ، وبين المراتب المذكورة فى الحسنات و السّيّئات درجات غير محصورة بحسب الشّدّة والضّعف والمذكورة امّهاتها ، هذا بحسب نسبة الحسنة والسيّئة الى الفاعل ؛ وبهذا الاعتباريصيرشرب دعلٍ صغيرة وصلوة النّاصبين كبيرة ولذلك ورد: لاصغيرة مع الاصرار، اى مع التّمكّن فى طاعة الجهل بحيث كلّما تمكّن من تلك المعصية وقع فيها: ولاكبيرة مع الاستغفار، اى مع بقاء طاعة العقل بحيث يحمله على الاستغفار و قد تعتبر النّسبة بين انواع الحسنات والسّيّئات مع قطع النّظر عن الفاعل اومع اعتبارها الى فاعل واحد من جهة واحدة فيعدّ بعضها احسن من بعض فى الحسنات وبعضها اغلظ من بعض فى السّيّئات ؛ كالوطى الحرام اذا اعتبر من فاعلٍ واحدٍ فانّه مع المحصنة والذّكران اغلظ من الوطى مع غير المحصنة ، والوطى مع امرأة غيرمحصنة اغلظ من الوطى مع البهائم ، والوطى الحرام اغلظ من النّظر الحرام، فمعنى الآية ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه باجتناب التّمكّن فى طاعة الجهل نكفّرعنكم سيّئاتكم الّتى تصدرعنكم بطاعة الجهل ونمحولمّاتكم الّتى تعرض عليكم [وَ] بعد تكفير اثر الجهل الّذى يمنعكم من الدّخول فى دار كرامتى ومحوه [نُدْخِلْكُمْ مُدْخَلاً كَرِيماً] ادخالاً اومكاناً كريماً [وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ] التّمنّى طلب امرمحال اوطلب شيءٍ من غير تهيّة اسباب وصوله و يجوز ان يراد كلّ من المعنيين والمراد بما فضّل الله امّاالنّعم الصّورية من سعة العيش والامن والصحّة والقوّة والعظمة فى الجسم

والجاه والمسكن والزّوج والقوى والجوارح وغيرهااوالنّعم الباطنة من الاخلاق والعلم والحكمة وحسن التّدبير والالفة و الزّهد و الطّاعة وغيرها ، و التّعبير عن النّعم بما فضّل الله للاشارة الى علّة النّهى عن التمنّى والامر بالسّؤال من فضله ولمّا كان النّهى وارداً على التمنّى اى الطّلب من دون حصول الاسباب مقيّداً بكون المطلوب النّعم المتفضّل بها الله على البعض كان المراد النّهى عن كلّ من التمنّى و قيده كأنّه قال : لا تطلبوا شيئاً بدون اسباب حصوله لانّه [لِلرِّجٰالِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسٰاءِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبْنَ] فتوسّلوا بالاسباب ولا تطلبوا نعم بعضكم لانّها من فضل الله عليه فتوجّهوا الى الله [وَاسْئَلُوا اللّٰهَ مِنْ فَضْلِهِ] فاشار الى علّة النهيين ومفهوم مخالفتهما مع ايجاز ، والسّؤال امّا بلسان القال ولا اعتداد به فانّ الاجابة والافضال بقدر الاستعداد ، اوبلسان الاستعداد والحال سواء كان مقترناً بلسان القال او لم يكن فانّه لا يخفى على الله قدر الاستعداد و خفايا الاستحقاق [إِنَّ اللّٰهَ كٰانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً] فكيف يخفى عليه قدر استحقاقكم و لمّا اشار فى هذه الآية الى توقّف الافضال على الاستعداد و الاستحقاق بالكسب و توجّه ان يقال انّ الله تعالى قد يتفضّل على عباده بمال مورّثهم ولا استعداد بالكسب لهم هنا اشارتعالى الى الاستعداد و الكسب هناك ايضاً فانّ الاستعداد و الكسب اعمّ من ان يكونا بالاختياراوبالتّكوين فانّ التّوارث لايكون الّا بين متناسبين بالنّسبة الجسمانيّة وبهذه النّسبة يكتسب كلّ من المتوارثين كيفيّة من الآخر و سنخيّة له بها يستحقّ افضال الله بمال احدهما على الآخر وايضاً كلّ منهما لحمة من الآخراو كاللّحمة فكسب احدهما اختياراً كأنّه كسب الآخراوبين متناسبين بالنّسبة الكسبيّة الاختياريّة كعقد الملك فى مولى المعتق وعقد ضمان الجريرة فى ضامن الجريرة و عقد الاسلام و الايمان فى النّبيّ (ص) اوالامام (ع) فقال [وَ] ليس للرّجال والنّساء ان يرثهم كلّ احد منتسباً اوغير منتسب بل [لِكُلٍّ جَعَلْنٰا مَوٰالِيَ] مخصوصة فى الارث اى اقارب مخصوصة او ذوى نسب مخصوصة نتفضّل عليهم باستحقاق نسبة القرابة او نسبة العقد يرثون [مِمّٰا تَرَكَ الْوٰالِدٰانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمٰانُكُمْ] عقد الملك او عقد ضمان الجريرة او عقد الاسلام و الايمان يعنى اذا لم يكن قريب نسبيّ فالمولى المعتق بالتّفصيل الّذى ذكر فى الفقه ، فان لم يوجد فضامن الجريرة ، فان لم يوجد فالنّبيّ (ص) اوالامام (ع)، وعلى ما بيّناه فلاحاجة الى القول بالنّسخ فى الآية كما قيل انّه كان الرّجل يعاقد الرّجل بنحو عقد ضمان الجريرة فيكون للحليف السّدس من ميراث الحليف فنسخ بقوله تعالى : واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض [فَآتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ] المقرّر فانّ لهم استحقاقاً وكسباً [إِنَّ اللّٰهَ كٰانَ عَلىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيداً] فيشهد دقائق الاستحقاق بحسب النّسب و اتى هنا بشهيداً وهناك بعليماً لدقّة الكيفيّة الحاصلة من النّسب كأنّها لايمكن تمييزها الّا بالمشاهدة فانّ العلم فى الاغلب يستعمل فى كلّيّات الامور و فى العلم الحصولىّ و الشّهود فى جزئيّات الامور و العلم الحضورىّ [الرِّجٰالُ قَوّٰامُونَ عَلَى النِّسٰاءِ] قائمون عليهنّ قيام الولاة على رعيّتهم مراقبون احوالهنّ مقيمون اعوجاجهنّ كأنّ المنظور كان بيان وجه استحقاق التّوارث بينهما فانّه و ان كان مستفاداً من ذكر عقد الايمان لكن لظهور عقد الايمان فى الثّلاثة السّابقة كان يمكن اختفاء هذا ثمّ اتبعه ببيان آداب المعاشرة بين الازواج [بِمٰا فَضَّلَ اللّٰهُ بَعْضَهُمْ عَلىٰ بَعْضٍ] بتفضيله الرّجال فى الجثّة والقوّة والادراك وحسن التّدبير وكمال العقل [وَبِمٰا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوٰالِهِمْ] يعنى لهم فضيلة ذاتيّة و فضيلة عرضيّة بكلّ يستحقّون التّفضيل والتّسلّط فعليهم مراقبتهنّ

وسدّ فاقتهنّ وقضاء حاجتهنّ وعليهنّ الانقياد وقبول نصحهم وحفظ غيبهم [فَالصّٰالِحٰاتُ] منهنّ لايخرجن ممّا هوشأنهنّ وحكمهنّ بل هنّ [قٰانِتٰاتٌ حٰافِظٰاتٌ] لانفسهنّ واموال ازواجهنّ [لِلْغَيْبِ] اى فى غيبهنّ عن الازواج اوغيب الازواج عنهنّ على ان يكون اللّام بمعنى فى اوحافظات للاشياء الغائبة عن نظر ازواجهنّ من اموالهم و انفسهنّ [بِمٰا حَفِظَ اللّٰهُ] نسب الحفظ هنا والتّفضيل هناك الى نفسه اشارة الى انّ كلّ من اتّصف بصفة كمال انّما هو من الله لا من نفسه [وَ] امّا غير الصّالحات [اللّٰاتِي تَخٰافُونَ نُشُوزَهُنَّ] خروجهنّ عن طاعتكم فآداب المعاشرة معهنّ مداراة بالنّصح وان لم يكففن فبا لمهاجرة قليلاً بحيث لا تنافى قسامتهنّ فان لم تنجع فيضربهنّ بحيث لم يقطع لحماً ولم يكسر عظماً [فَعِظُوهُنَّ] بالقول [وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضٰاجِعِ] بالاستدبار عنهنّ [وَاضْرِبُوهُنَّ] فبين الافراد ترتيب [فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلاٰ تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً] بالايذاء والتّحكّم بما لم يرخّصه الشّارع [إِنَّ اللّٰهَ كٰانَ عَلِيّاً كَبِيراً] فلا تغفلوا فى اعلائكم على النّساء عن علوّ الله عليكم فيورثكم الغفلة التّعدّى عليهنّ [وَإِنْ خِفْتُمْ] يا اولياء الزّوجين او ايّها الحكّام [شِقٰاقَ بَيْنِهِمٰا] اى الاختلاف والنّزاع فانّ كلّاً من المتنازعين فى شقّ غير شقّ الآخر [فَ] اصلحوا بينهما فانّه من لوازم الايمان و القرابة و الحكومة ولا تكلوهما الى انفسهما فـ [ابْعَثُوا حَكَماً مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَماً مِنْ أَهْلِهٰا] يكونان بحسب القرابة شفيقين لهما مريدين للاصلاح و يكون ارادتهما للاصلاح مؤثّرة فيهما فانّه كما يكون امزجة الاقرباء متناسبة فى الصّحّة والمرض سريعة التّأثّر من احوالهم فى الاغلب كذلك يكون نفوسهم متناسبة فى الاغلب سريعة التّأثّر فالحكمان من الاقرباء [إِنْ يُرِيدٰا إِصْلاٰحاً] بينهما يؤثّر ارادتهما فى نفوس الزّوجين ويستعدّان بذلك التّأثّر لافاضة التّوافق من الله بينهما و ان يستعدّا لذلك [يُوَفِّقِ اللّٰهُ بَيْنَهُمٰا إِنَّ اللّٰهَ كٰانَ عَلِيماً] بما به يستعدّان للتّوافق فيأمركم به [خَبِيراً] بكيفيّة التّوافق وهواهل خبرة الاصلاح [وَاعْبُدُوا اللّٰهَ وَلاٰ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً] لمّا ارادان يبيّن آداب حسن النّسبة مع الاحقّاء ببذل المحبّة و حسن الصّحبة قدّم نفسه لانّه احقّ الاحقّاء بحسن النّسبة وبذل الخدمة وبيّن طريق حسن النّسبة معه باخلاص العبوديّة ونفى الشّركة فى العبوديّة لانحصاره فيهما واطلق طريق حسن النّسبة مع غيره لعدم انحصاره فى امر مخصوص ورتّب المستحقّين للخدمة بحسب ترتّبهم فى الاستحقاق ولتعميم الوالدين للرّوحانيّين واستحقاقهما التّفرّد فى النّظر وعدم الاشراك بهما ولذلك فسّر الكفر والشّرك فى الآيات فى تفاسير المعصومين(ع) بالكفر والاشراك بعلىّ(ع) اوبالولاية قرنهما بنفسه ، واسقط الفعل واخّر المصدر ليوهم انّ قوله بالوالدين عطف على الجارّ والمجرور وانّ المعنى [وَ] لاتشركوا [بِالْوٰالِدَيْنِ] احسنوا [إِحْساناً] بهما [وَبِذِي الْقُرْبىٰ] .

تحقيق الوالدين وسائر الاقرباء و تعميمهم

والوالدان هما اللّذان باعدادهما وحركاتهما المخصوصة اوجدالله نطفتك واصل مادّتك وهذه النّسبيّة كلّما كانت فى شيء اقوى كان باسم الوالد احرى و ان كان العامّة العمياء يخصّون هذا الاسم بالمعدّ لنطفتك الجسمانيّة غافلين عن كيفيّة تولّدك الرّوحانىّ فالافلاك والعناصر آباء للمواليد ، والعقل والنّفس الكلّيان والدان لعالم الطّبع ، اذ بالقاء الافلاك بحركاتها الدوريّة وكواكبها الّتى هى كالقوى الانسانيّة الآثار على العناصر و قبول العناصر لها كتأثّر

النّساء عن الرّجال وقبول ارحامهنّ لنطفهم يتولّد المواليد و تنمو و تبقى وهي في بقائها و نمائها ايضاً محتاجة الى تلك الآباء بخلاف حاجة الحيوان الى آبائها الجسمانيّة فانّها بعد حصول مادّتها وحصول قوام ما لمادّتها مدّة كونها في الرّحم غير محتاجة الى آبائها، وبالقاء العقل الكلّيّ نقوش العالم على لوح النّفس الكلّيّة الّتي هي كالبلّور يوجد عالم الطّبع وعالم الطّبع في بقائه محتاج الى ذينك الوالدين ، هذا في العالم الكبير واما في العالم الصّغير الانسانيّ فبعد تسويته يوجد آدم الصّغير و حوّاء الصّغرى بازدواج العقل و النّفس و بازدواجهما يولد بنوآدم وذرّيّتهما ، وبازدواج الشّيطان والنّفس الامّارة يولد بنوالجانّ وذرّيّة الشّيطان ؛ هذا بحسب التّكوين في العالمين ، واما بحسب الاختيار والتّكليف وهو مختصّ بالانسان الضّعيف فقد جرت السّنّة الآلهيّة ان يكون توليد المواليد الاختياريّة من القلب ومراتبه وجنوده الخلقيّة والعلميّة والعينيّة بتعاضد نفسين مأذونتين من الله وايصالهما اثر الامر الآلهيّ الى المكلّف بتعاضدهما لتطابق التّكليف والتّكوين فانّ الاوامر التّكليفيّة متسبّبة عن الاوامر التّكوينيّة وموافقة لها ، وان لم تدرك في بعضها كيفيّة التّوافق لعدم العلم بالتّكوين وتلك السّنّة كانت جارية من لدن آدم(ع) الى زماننا هذا وتكون باقيّة الى انقراض العالم ، وان لم يبق لها اثر ولا بين العامّة منها ذكر ولا خبر . فانّ صحّة الاسلام في الصّدر ودخول الايمان في القلب ما كان الّا بتعاضد شخصين يكون احدهما مظهراً للعقل الكلّيّ و الآخر مظهراً للنّفس الكلّيّة و اخذ هما البيعة العامّة النّبويّة او البيعة الخاصّة الولويّة بالكيفيّة المخصوصة والميثاق المخصوص : انا وعليّ (ع) ابوا هذه الامّة يهديك ؛ كلّ نفس معها سائق وشهيد يشهد لك، واجعل لي وزيراً من اهلي يكفيك فمحمّد(ص) وعليّ(ع) مظهرا العقل والنّفس الكلّيّين وبالبيعة على ايديهما يتولّد جنود العقل الاختياريّة، واعداؤهما مظاهر الجهل والنّفس الامّارة الكلّيّين وبالبيعة على ايديهم يتولّد جنود الجهل الاختياريّة ، وقد فسّر المعصومون(ع) الوالدين في القرآن بمحمّد(ص) وعليّ(ع) وفسّروا ان جاهداك على ان تشرك بي ما ليس لك به علم بالجبت والطّاغوت، ويسمّى الصّوفيّة مظهر العقل بالمرشد و مظهر النّفس بالدّليل وبلسان الفرس «پيرارشاد وپيردليل» وبحسب تفاوت مظهريّتهما وتصرّفهما يكون احدهما مظهراً لاسم الله او الرّحيم والآخر مظهراً لاسم الرّحمن وباعتبار هذه المظهريّة والاثنينيّة قال تعالى: قل ادعوا الله او ادعوا الرّحمن فانّ التّخيير والتّرديد ليس باعتبار اللّفظين فانّهما آلتا الدّعوة وليسا مدعوّين ولا مفهومي اللّفظين فانّهما ايضاً عنوانا المدعوّين والمدعوّ لامحالة امر حقيقيّ لا امر ذهنيّ ، والذّات الاحديّة الّتي هي مصداق ذينك اللّفظين لاتكثّر فيه فلابدّ وان يكون المدعوّ امرين يكونان مظهرين لمفهومي هذين الاسمين حتّى يصحّ هذا التّرديد لايقال : المراد ادعوا الذّات الاحديّة بلفظ الله او بلفظ الرّحمن **لانّه يقال:** ظاهر اللّفظ غير هذا والحذف والايصال في مثل هذا شائع بيّنا في الفصاحة وتكرار ادعوا ينافيه وجعل ادعوا بمعنى سمّوا ايضاً بعيد، فالمراد ادعوا مظهر اسم الله او ادعوا مظهر اسم الرّحمن، والدّعوة هي طلب المدعوّ للورود على الدّاعي والحضور عنده امّا لانّ المطلوب منه حضور ذاته عنده او امر غير ذاته يحصل من حضور ذاته وليس معناها مسئلة شيء من المدعوّ حاضراً كان ام غائباً وبهذا وامثاله استشهد الصّوفيّة على انّ المطلوب من دعاء الله او دعاء مظاهره هو حضور المدعوّ عند الدّاعي ويسمّونه حضوراً وفكراً .

تحقيق تمثّل صورة الشّيخ عند السّالك

وبعضهم يقولون : لابدّ ان يجعل السّالك صورة الشّيخ نصب عينيه ويسمّون هذا الجعل والتّصوير حضوراً ويستشهدون بمثل ما ورد من قوله(ع): وقت تكبيرة الاحرام تذكّر رسول الله(ص) واجعل واحداً من الائمّة نصب عينيك؛ ولكنّه بعيد عن الطّريق المستقيم

فانّ الحضور هو الاتّصال بروحانيّة الشّيخ وظهور مثاله لديك لا تصوير صورة مثل صورته وجعلها نصب العين فانّها مردودة اليك ونوع كفر وشرك وبعد مايقال انّه كفر يقولون هو كفر فوق الكفر والايمان كما قال المولوىّ قدّس سرّه :

چون خليل آمد خيال يار من ظاهرش بت معنى او بت شكن

لكن نقول: تصوير صورة الشّيخ بالاختيار وتقييد الخيال به من قبيل عبادة الاسم دون المسمّى وتشبّه بعبدة الاصنام وجحيم عاجلة ينبغى للعاقل العبور عنها كما قال المولوىّ قدّس سرّه :

جمله دانسته كه اين هستى فخ است ذكر و فكر اختيارى دوزخ است

لكن لابدّ للسّالك من العبور عليها. واحسنوا بذى القربى بعدالله والوالدين فانّ اولى الاحقّاء بالاحسان ذووالقربى سواء كانوا جسمانيّين ام روحانيّين فى العالم الكبير اوالصّغير [وَالْيَتَامٰى وَالْمَسٰاكِينِ] قد مضى تفسيرهما و تعميمهما [وَالْجٰارِ ذِى الْقُرْبٰى] النّسبيّة و تأخيره بلحاظ الجوار لاالقرابة او المكانيّة [وَالْجٰارِ الْجُنُبِ] البعيد النّسبىّ اوالمكانىّ وحقّ الجوار كما فى الاخبار الى اربعين داراً من الجوانب الاربعة اومن كلّ جانب [وَالصّٰاحِبِ بِالْجَنْبِ] كالرّفيق فى تعلّم اوحرفة اوسفر [وَابْنِ السَّبِيلِ وَمٰا مَلَكَتْ أَيْمٰانُكُمْ] العبيد والاماء والاهل والخادم والخادمة وكلّ من كان تحت ايديكم فى الكبير او الصّغير فلا تتأنّفوا عن تعهّد حالهم والتّوجّه والاحسان اليهم ان كنتم تريدون محبّة الله [إِنَّ اللّٰهَ لٰا يُحِبُّ مَنْ كٰانَ مُخْتٰالاً] استيناف فى موضع التّعليل والمختال من يتأنّف عن التّوجّه الى الغير حتّى الوالدين الرّوحانيّين ولاينقاد لاحد حتّى الوالدين الرّوحانيّين ومن تأنّف عن الانقياد للوالدين الرّوحانيّين تأنّف عن كلّ من سواه ، ومن انقاد وتواضع للوالدين الرّوحانيّين تواضع لمن سواهما فالمختال الحقيقىّ من لم يتواضع لوالديه الرّوحانيّين [فَخُوراً] اذا التفت الى غيره عظّم نفسه وحقّر غيره حتّى والديه الرّوحانيّين ، ومن افتخر على والديه الرّوحانيّين افتخر على كلّ من سواه الّا اذا رأى حظّ نفسه ممّن سواه فانّه حينئذ يتملّق له وان كان يظنّ انّه يتواضع، ولمّا كانت الولاية اصل الخيرات والقرابات ، والتّواضع لها اصل التّواضعات ، و الاختيال والفخر عليها اصل الاختيالات والفخرات ومادّتها ، وعلىّ (ع) اصل الولايات وعدوّه اصل الشّرور والاختيالات صحّ ان يقال : انّ المنظور اوّلاً من الآية اختيال العدوّ وفخره على علىّ (ع) ثمّ اختيال غيره بالنّسبة الى الولاية والى غيرها، ولمّا كان المتكبّر المعجب بنفسه لايعدّ غيره الّا اسباب انتفاعه كأنّه لم يخلق غيره الّا لاجل انتفاعه ولو بهلاكته وكان لا ينفق ممّا فى يده على غيره لانّه خلاف حسبانه ويمنع غيره الّذى يراه فى مرتبة من الانفاق على غيره حتّى انّه يمنع نفسه وغيره من انفاق القوى والمدارك والانانيّات فى طريق امامه وولاية وليّ امره ويكتم من الغير نعمه الّتى لا يرى فى اظهارها صيتاً و مدحاً و جلب حظّ لنفسه ولو انفق او اظهر لم يكن ذلك الّا بملاحظة حظّ لنفسه فسّر المختال الفخور بالوصف البيانىّ فقال تعالى : [الَّذِينَ يَبْخَلُونَ] صفة اوبدل من ، من كان مختالاً اوبدل من مختالاً اوعطف بيان لواحد منهما اوخبر مبتدء محذوف اومبتدء خبر محذوف ، اومفعول فعل محذوف .

تحقيق معنى البخل والتّقتير والتّبذير

والبخل سجيّة تمنع الانسان من اخراج ما تحت يده ورفع يده عنه سواء كان من الحقوق الآلهيّة كالزّكوة والخمس اوالخلقيّة كالنّفقات الواجبة والدّيون الحالّة المفروضة كما ذكر او مسنونة كالزّكوة و سائر الصّدقات المستحبّة و الصّنائع المعروفة وكالانفاقات

المستحبّة لنفسه وعياله واقاربه وجيرانه، ولذلك وردعن رسول‌الله (ص) ليس البخيل من ادّى الزّكوة المفروضة من ماله و اعطى البائنة فى قومه انّما البخيل حقّ البخيل من لم يؤدّ الزّكوة المفروضة من ماله ولم يعط البائنة فى قومه وهو يبذّر فيما سوى ذلك ، وانّما سمّى المال المنفق بالبائنة لانّه كلّما ينسب الى الانسان حتّى وجوده من شأنه البينونة والمفارقه عنه الّا وجه الله الباقى فانّه ان كان من اعراض الدّنيا فهو بائن فى نفسه وتبين وتنقطع نسبته ايضاً عن الانسان بالموت اوبالانتقالات الشّرعيّة اوبصروف الدّهر ، وان كان من قبيل القوى والجوارح والاعراض والجاه فهو ايضاً يبين عن الانسان بالموت الاختيارىّ اوالاضطرارىّ اوبالحوادث الطّارئة .

فان تكن الاموال للترك جمعها فما بال متروك به المرء يبخل

اعلم انّ السخاء فريضة متوسّطة بين طرفى الافراط والتّفريط اللّذين هما التّبذير والتّقتير ، وللتّقتير مراتب عديدة بعضها يسمّى بخلاً و هو امساك ما فى يد الانسان و عدم قدرته على صرفه فى الوجوه المفروضة والمندوبة والمباحة ، وبعضها يسمّى شحّاً وهوامساك ما فى يده وتمنّى ان يكون ما فى يد غيره فى يده كماورد عن الصّادق (ع) : انّ البخيل بخيل بما فى يده والشّحيح يشحّ بما فى أيدى النّاس ، و على ما فى يديه حتّى لايرى فى ايدى النّاس شيئاً الّا تمنّى ان يكون له بالحلّ والحرام ولا يقنع بما رزقه الله ، وللتّبذير ايضاً مراتب و لمّا كان الظّاهر من الانسان من افعاله و اقواله و اخلاقه و احواله من المتشابهات الّتى لا يعلم تأويلها الّا الله والرّاسخون فى العلم كان التّميز بين السّخاء والتّبذير والتّقتير وبين مراتبها بحسب المعرفة وتشخيص جزئيّاتها الصّادرة عن الانسان فى غاية الخفاء حتّى على نفس الفاعل و ان كانت بحسب العلم وكلّيّاتها جليّة قد فصّلها علماء الاخلاق و بيّنوها بمراتبها فانّ الانفاق بحسب قصد المنفق و الغاية المترتّبة عليه والوجه المصروف فيه والشّخص الموصول اليه يختلف حاله واسمه ، فربّ امساك كان خيراً من الانفاق الحسن وربّ انفاق كان وبالاً على المنفق ، ونعم ما قال المولوىّ قدّس سرّه :

منفق و ممسك محل بين به بود چون محل باشد مؤثّر ميشود
اى بسا امساك كز انفاق به مال حقّ را جز بامر حقّ مده
مال را كز بهر حق باشى حمول نعم مال صالح گفت آن رسول

ولمّا كان اصل كلّ ماينسب الى الانسان انانيّته الّتى هى نسبة الوجود الى نفسه ، واصل كلّ الانفاقات و غايتها وعلّتها الغائيّة الانفاق من الانانيّة ، واصل جميع ما ينفق عليه الولاية فمن انفق انانيّته فى طريق الولاية بان يسلّمها لولىّ امره بالبيعة الخاصّة الولويّة و قبول الدّعوة الباطنة فان انفق من سائر ما ينسب اليه من حيث انتسابه الى الولاية على نفسه وعلى من تحت يده وعلى غيره بطريق الفرض اوالنّدب اوالاباحة كان انفاقه سخاءً ، و ان امسك من هذه الجهة كان امساكه ممدوحاً ولم يكن بخلاً ، ومن بخل بانانيّته ولم ينفقها فى طريق الولاية فان امسك كان امساكه بخلاً وان انفق كان انفاقه تبذيراً الّا اذا كان الامساك او الانفاق فى طلب الولاية فانّهما حينئذٍ يخرجان من اسم البخل والتّبذير فعلى هذا صحّ ان يقال: انّ المختالين الّذين يبخلون بصرف انانيّاتهم فى طريق ولاية علىّ (ع) [وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ] والامتناع من صرف انانيّاتهم فى طريق الولاية يعنى الّذين يعرضون عن الولاية ويصدّون النّاس عنها ، و صحّ ان يقال انّ الآية تعريض برؤساء منافقى الامّة حيث كانوا يعرضون بعد محمّد (ص) عن علىّ (ع) ويمنعون النّاس عن الرّجوع اليه [وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ] يعنى يعتذرون عن امساكهم بانّه ليس لهم ما ينفقون ويكتمون ماكان لهم من النّعم الظّاهره والباطنة

من قوّة قواهم وحشمتهم وجاههم وعلومهم ومعارفهم ولمّا كان اشرف النّعم الظّاهرة والباطنة مايطرء للانسان من الاحوال والاخلاق الآلهيّة الّتى تجعل الانسان فى حال طروّها فى راحة وانبساط ولذّة ، واصل الكلّ نعمة الولاية ومعرفتها وكان اقبح اقسام الكتمان كتمان تلك الاحوال وهذه المعرفة عن نفسه بان يصير الانسان غافلاً عن معرفته وعن لذّة احواله اومغمضاً عنهما وكان تلك ادلّ دليل على نبوّة من اتّصف وامر بها وولايته صحّ تفسير الآية بكتمان ما آتاهم الله من ادلّة نبوّة محمّد(ص) اوادلّة ولاية علىّ (ع) ممّا عرفوه من كتبهم واخبار انبيائهم ومن القرآن واخبار محمّد (ص) و ممّا وجدوه فى نفوسهم من الاخلاق الاخرويّة الّتى هى انموذج اخلاقهما واحوالهما [وَاَعْتَدْنا] التفت من الغيبة الى التّكلّم تنشيطاً للسّامع [لِلْكافِرِينَ] اى الكاتمين لنعم الله غير شاكرين لها باظهارها فانّ اظهار النّعمة احد اقسام الشّكر كما انّ كتمانها احداقسام كفرانها ، ووضع الظّاهر موضع المضمر للاشعار بانّ الكاتمين لنعم الله معدودون من الكفرة [عَذاباً مُهِيناً] كماانّهم اهانوا نعمنا بالكتمان وعدم الاظهار فانّ الله اذا انعم على عبد بنعمة احبّ ان يراها عليه وابتذال النّعم وتحديثها بالفعال خيرٌ من ابتذالها بالمقال ، ومن كتم علماً ألجمه الله بلجام من النّار [وَالَّذِينَ يُنْفِقُونَ اَمْوالَهُمْ رِئاءَ النّاسِ] يعنى انّ المختال جامع بين طرفى السّخاء اى التّقتير والتّبذير لامتناعهم من اداء الحقوق المفروضة والمسنونة وصرفهم اموالهم فيما يتصوّرون انتفاعهم فى الدّنيا به من مثل صيت وتعظيم من النّاس وغير ذلك، والاوّل بخل مذموم والثّانى تبذير ملعون [وَلا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَلا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ] من قبيل عطف العلّة على المعلول فانّ عدم الايمان علّة للانفاق فى سبيل الشّيطان ولعدم الانفاق فى سبيل الله يعنى البخل [وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطانُ] عطف على انّ الله لا يحبّ من كان مختالاً فخوراً ، اوجملة حاليّة والمقصود التّنبيه على انّ المرائى فى الانفاق مبذّر والمبذّر قرين الشّيطان ومن يكن الشّيطان [لَهُ قَرِيناً فَساءَ قَرِيناً] لادّاء اقترانه الى السّجن والسّجّين وملك الشّياطين فهو اشارة الى قياسات ثلاثة.

اعلم انّ الانسان خلق مفطوراً على التّعلّق والايتمار و محلّاً لتصرّف العقل و الشّيطان ، و لمّا كان فى بد و خلقته ضعيفاً غير متجاوز عن المحسوسات ، والمحسوسات شباك الشّيطان كان تصرّف الشّيطان فيه اقوى واتمّ فما لم يساعده التّوفيق ولم يصل الى شيخ من الله مرشد له الى طريق نجاته تمكّن الشّيطان منه بحيث لم يبق له طريق الى حكومة العقل ولا للعقل طريق الى الحكومة عليه ، ولذلك قال ابوجعفر الاوّل (ع) فى حديث: من اصبح من هذه الامّة لا امام له من الله عزّ وجلّ ظاهراً عادلاً اصبح ضالّاً تائهاً ؛ و ان مات على هذه الحالة مات ميتة كفر و نفاق ، و فى الآيات نصوص و اشارات على وجوب الايتمار و الايتمام بامام منصوص من الله ، و فى الرّوايات عليه تصريحاتٌ ولكن كان على سمعهم وابصارهم غشاوة فيرجّحون المفضول على الفاضل ولذا كان علىّ (ع) يرى الصّبر اجحى [وَماذا عَلَيْهِمْ] استفهام انكارىّ يعنى البتّة ليس عليهم كلفة دنيويّة ولاعقوبة اخرويّة [لَوْ آمَنُوا بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ] يعنى بالمبدأ والمعاد حتّى ايقنوا انّ النّعمة من الله وانّ خزائنه لاتنفد بالانفاق و انّ اعماله يجزى بها [وَاَنْفَقُوا مِمّا رَزَقَهُمُ اللهُ] قدّم الايمان ههنا على الانفاق واخّر عدم الايمان فى الآية السّابقة عن الانفاق الرّيائىّ لكون الايمان بالله سبباً للانفاق فى سبيل الله لعلم المؤمن بالله انّ الكلّ من الله وانّ الانفاق لايفنيه والامساك لايبقيه فلذلك ولتشريفهم قال ههنا ممّا رزقهم الله ولكون عدم الانفاق فى سبيل الله

دليلاً على عدم الايمان بالله ، ولمّا كان الامساك و التّبذير دليلاً على كفران كون النّعمة من الله قال : والّذين ينفقون اموالهم باضافة الاموال اليهم [وَكَانَ اللّٰهُ بِهِمْ عَلِيماً] حال وعدم الاتيان بقد لعدم قصد المضيّ اوهو بتقدير قد اوعطف على قصد التّعليل يعنى علم الله بهم وهم فى طريق رضاه يستدعى عدم الوزر عليهم [إِنَّ اللّٰهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ] مقدار ذرّة هى اصغر النّمل او جزء من اجزاء الهباء [وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً] قرئ بالنّصب والرّفع بتقدير تكُ ناقصةً وتامّةً [يُضٰاعِفْهٰا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْراً عَظِيماً] قوله انّ الله لا يظلم (الى آخر الآية) مستأنف اوحال فى مقام التّعليل لقوله : ماذا عليهم لانّه يستعمل فى مثل المقام لنفى الوزر والعقوبة وللتّعريض بالاجر فكأنّه قال : لا وزر ولا عقوبة عليهم بل لهم الاجر لو آمنوا بالله لانّ الله لا يظلم حتّى يعاقب المحسن ويضاعف الاجر للمحسن بحسب استحقاقه للاجر ويؤت المحسن من لدنه اجراً عظيماً من غير استحقاق ، وتسمية ما يعطيه من غير استحقاق اجراً لاستتباع الاجر له ، اوالمراد انّ الله يضاعف نفس الحسنة باعتبار جهتى النّفس العمّالة والعلّامة فى النّفس ويؤت من لدنه اجراً اخرويّاً خارج النّفس على ما سبق من تحقيق تجسّم الاعمال و استتباع تجسّم الاعمال فى النّفس الاجر الاخروىّ [فَكَيْفَ] يكون حال هؤلاء المختالين الموصوفين بالاوصاف السّابقة من شدّة الخوف والعقوبة [إِذٰا جِئْنٰا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ] من امم الانبياء [بِشَهِيدٍ] هو نبيّهم اومن كلّ فرقة من فرق امّتك بشهيد هو امامهم فى عصرهم او من كلّ امّة من امم الانبياء و من كلّ فرقة من فرق امم الانبياء ومن فرق امّتك بشهيد هو نبيّهم اووصىّ نبيّهم و امامهم وقد اشير الى الكلّ فى الاخبار لكن لمّا كان المقصود منه تحذير المنافقين من الامّة المرحومة عن مخالفة علىّ (ع) والاوصياء من بعده ورد عن الصّادق (ع) انّها نزلت فى امّة محمّد (ص) خاصّة بطريق الحصر [وَجِئْنٰا بِكَ] يا محمّد (ص) [عَلىٰ هٰؤُلاٰءِ] الامم والفرق، اوعلى هؤلاء الشّهداء اوعلى هؤلاء الامم والفرق والشّهداء [شَهِيداً] تشهد لهم وعليهم اوتشهد لبعض وهم الانبياء والاوصياء ومن اقرّبهم ، وعلى بعض وهم المنكرون لهم الغير المقرّين بهم [يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا] بالله اوبالرّسل اوبأوصيائهم وولايات اوصيائهم لكن لمّا كان المقصود تحذير منافقى الامّة كان المقصود يودّ الّذين كفروا بعلىّ (ع) وولايته [وَعَصَوُا الرَّسُولَ] فى امره بولاية علىّ (ع) فى غدير خمّ وغيره [لَوْ تُسَوّٰى بِهِمُ الْأَرْضُ] قرئ بفتح التّاء وتخفيف السّين من التّفعّل ماضياً اومضارعاً محذوف التّاء ، وقرئ بفتح التّاء مشدّد السّين من التّفعّل مدغم التّاء فى السّين، وقرئ بضمّ التّاء من التّفعيل مبنيّاً للمفعول واستوت به الارض وتسوّت وسويّت مبنيّاً للمفعول اى هلك ، ولفظة لو مصدريّة او للتمنّى والباء للتّعدية والمعنى يودّون فى ذلك اليوم مساواتهم للارض بان كانوا يدفنون فى ذلك اليوم اويوم غصب الخلافة او لم يبعثوا اوكانوا تراباً ولم يخلقوا ، او جعلوا قابلاً محضاً ولم يكن لهم فعليّة اصلاً [وَلٰا يَكْتُمُونَ اللّٰهَ حَدِيثاً] عطف على يودّ و المعنى يومئذ لايكتمون الله حديثاً كما كانوا يكتمونه من خلفائه فى الدّنيا ، اوعطف على تسوّى والمعنى يودّون لو لايكتمون الله حديثاً فى الدّنيا ، وعلى ما بيّنا انّ المقصود منهم منافقوا الامّة فهم يتمنّون انّ الارض تبلعهم فى اليوم الّذى غصبوا الخلافة ولايكتمون فى ذلك اليوم حديث الرّسول (ص) فى حقّ علىّ (ع) وقد اشير الى كلّ منهما فى الاخبار، ولمّا افاد فى السّابق لزوم الايمان بالله ولزوم طاعة الرّسول (ص) ولزوم اتّباع الشّهداء فى كلّ زمان ولكلّ فرقة ارادان يبيّن كيفيّة المعاشرة مع الرّسول والشّهداء ومع نفسه فى عباداته وخصوصاً اعظم العبادات

الّتي هي الصّلوة المسنونة من الاركان والاذكار المخصوصة اومن سائر اقسامها وناداهم تلطّفاً بهم وجبراً لكلفة النّهي بلذّة النّداء فقال تعالى : [يٰاَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا] اذعنوا بالله وبمحمّد (ص)، اوارادوا الايمان بالله على يد محمّد (ص)، اوآمنوا على يد محمّد (ص) بالبيعة العامّة النّبويّة وقبول الدّعوة الظّاهرة ، اوآمنوا بالبيعة الخاصّة الولويّة وقبول الدّعوة الباطنة [لَا تَقْرَبُوا الصَّلٰوةَ] الصّلوة تطلق لغةً على الدّعاء والرّحمة والاستغفار وشرعاً على الافعال والاذكار الموضوعة في الشّريعة ، و تطلق حقيقةً اومجازاً على المواضع المقرّرة للصّلوة الشّرعيّة، وعلى الذّكر القلبيّ المأخوذ من صاحب اجازة الهيّة ، وعلى صاحب الاجازة الالهيّة، وعلى الصّورة المثاليّة الحاضرة في قلب السّالك من صاحب الاجازة ، وعلى كلّ من مراتبه البشريّة والمثاليّة والقلبيّة والروحيّة بمراتب الرّوحيّة وذلك لانّ الاسماء وضعت للمسمّيات من غير اعتبار خصوصيّة من خصوصيّات المراتب فيها ؛ فالصّلوة وضعت لما به يتوجّه الى الله ويسلك اليه بتسنين واذن من الله كما انّ الزّكوة اسم لما به ينصرف عن غير الله بتسنين واذن من الله ، ويدلّ على ذلك انّ الصّلوة كانت في كلّ شريعة ولم تكن بتلك الهيئة المخصوصة وقوله: والّذين هم على صلوتهم دائمون يدلّ على العموم لعدم امكان ادامة الصّلوة القالبيّة وكذا قوله: رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله واقام الصّلوة ، وكذا قول علىّ (ع) في بعض ما قال : انا الصّلوة، فقلب علىّ (ع) وولايته هي الصّلوة الّتي هي عمود الدّين ، وان قبلت قبل ماسواها ، وهي معراج المؤمن وهي بيت الله الّذي اذن الله ان يرفع ، وهي الكعبة ، وهي المسجد الّذي قال تعالى : خذوا زينتكم عند كلّ مسجد، وقال: انّ المساجد لله فلا تدعوا مع الله احداً ، وما يدخل من نفخة علىّ (ع) في القلب وهو الايمان الدّاخل في القلب، و ما يؤخذ من صاحب الاجازة الالهيّة من الذّكر الجليّ والخفيّ ، و ما يؤخذ من صاحب الاجازة من الصّلوة القالبيّة كلّها صلوة ، ومايبيّنه صاحب القلب الّذي صار قلبه متّصفاً بالصّلوة من حيث ذلك الاتّصاف كالمساجد هو ايضاً صلوة كما انّه بيت الله ؛ فمن اخذ الصّلوة القالبيّة من امثاله واقرانه اوآبائه ومعلّميه من غير تقليد عالم مجاز لم يكن عمله مقبولاً ولو كان موافقاً ، وهكذا حال من تسرّع الى الاذكار والاوراد ومن تسرّع الى الذّكر القلبيّ من غير اذن واجازة من شيخ مجاز لم ينتفع به ولم يكن صلوته صلوة حقيقة ولا عبادته عبادة ، وقد ورد اخبار كثيرة في انّ العبادة بدون الولاية غير مقبولة ومردودة والولاية و قبولها عبارة عمّا يحصل بسببه الاجازة في العبادة وكأنّه تعالى اراد بالصّلوة جميع معانيها بمثل عموم المجاز والاشتراك ولذلك قال : لاتقربوا؛ ليناسب جميع معانيها دون لاتدخلوا لئلا يتوهّم ارادة بعض المعاني الدّانية منه والنّهي اعمّ من الحرمة والكراهة والنّزاهة ولا اختصاص له بشيء منها و استعماله في الموارد المخصوصة بحسب القرائن في الحرمة اوالكراهة لا ينا في عموم مفهومه .

تحقيق معنى السّكر

[وَاَنْتُمْ سُكٰارٰى] قرئ بضمّ السّين و فتحها جمعاً وكهلكى جمعاً اومفرداً على ان يكون صفة لجماعة مقدّرة وكحبلى مفرداً ، والسّكر من السّكر بمعنى السدّ ويسمّى الحالة الحاصلة من استعمال شيء من المسكرات سكراً لسدّها طرق تصرّف العقل في القوى و طرق انقياد القوى للعقل ، ولا اختصاص لها بالخمر العنبيّة المعروفة بل كلّ ما يحصل منه تلك الحالة شرباً اواكلاً اوتدخيناً اوغير ذلك فهو خمر النّفس سواء حصل منه السّكر المعروف كالفقّاع والعصيرات المتّخذة من غير العنب وكالبنج والجرس والافيون اولا كالحرص والامل والحبّ و الشّهوة و الغضب والحسد والبخل

والغمّ والفرح والنّعاس والكسل الغالبة بحيث يغلب مقتضاها على مقتضى العقل بل الحالة الحاصلة المانعة من نفاذ حكم العقل وتدبيره سكر النّفس من اىّ شيء كانت ومن اىّ سبب حصلت ، وقد اشير فى الاخبار الى تعميم السّكر ففي خبر فى بيان الآية: لاتقم الى الصّلوة متكاسلاً ولا متناعساً ولا متثاقلاً فانّها من خلال النّفاق ، وفى خبر منه سكر النّوم ، ومنها سكر الشّهوة الغالبة الّتى لا يفيق صاحبها عنه الّا بقضائها ، ويسمّى الحالة الحاصلة بعد قضاء الشّهوة من تدنّس النّفس بدنس الشّهوة وتكدّرها بكدورات الحيوانيّة ، وتوغّلها فى صفات البهائم جنابة ، ولااختصاص لتلك الحالة بشهوة خاصّة بل كلّما يدنّس الانسان ويوغّلها فى الحيوانيّة البهيميّة اوالسّبعيّة فهو جنابة النّفس حتّى تفيقوا من سكركم [وَتَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ] لفظة ما استفهاميّة اوموصولة اوموصوفة يعنى حتّى تعلموا الّذى تقولون فلا تحرّفوا الكلم عن مواضعه ولا تغيّروه عن الصّورة الّتى نزل عليها كما قيل : انّها نزلت حين قرأ بعض الصّحابة فى الصّلوة حالة السّكر، اعبد ما تعبدون ولمّا كان المتبادر من السّكر سكر الخمر و المستفاد من الآية جواز هذا السّكر و عدم جواز الدّخول فى الصّلوة معه ورد انّها نسخت من حيث هذا الجواز المستفاد ، ولمّا كان محض الافاقة من سكر النّفس من دون رفع اثر التّدنّس منها غير مبيحة للقرب من الصّلوة اضاف اليه قوله تعالى [وَلَا جُنُباً] يعنى لاتقربوا المساجد بالدّخول فيها حرمة اوكراهة ، ولاتدخلوا فى الصّلوة القالبيّة بمعنى انّها لاتنعقد منكم ولا تقربوا الصّلوة الحقيقيّة الّتى هى اذكاركم القلبيّة وافكاركم المثاليّة الّتى هى مثل مشايخكم ولاتقربوا قلوبكم وعقولكم الّتى هى قربانكم وصلوتكم ان كان لكم قلب وعقل ولا تقربوا الصّلوات الحقيقيّة الّتى هى خلفاء الله فى ارضه جنباً يعنى فى حالة تدنّسكم بادناس شهوات النّفوس و غضباتها و فى حالة توغّلكم فى عقباتها حتّى لا تدنّسوا الصّلوات بادناس نفوسكم [إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ] مطلقاً فى المسجد الصّورىّ اوبشرط التيمّم للدّخول فى الصّلوة القالبيّة اوبشرط التيمّم المعنوىّ للدّخول فى الصّلوات المعنويّة [حَتَّى تَغْتَسِلُوا] بان تغمسوا ابدانكم فى الماء حتّى تزيلوا ادناس ظواهر ابدانكم الّتى حصل عليها من الابخرة الغليظة الرّديّة العفنة الّتى حصلت فى بشرتكم وسدّت مسامّ ابدانكم الّتى بسببها ترويح ارواحكم الحيوانيّة وفى بقائها على ابدانكم احتمال امراض عديدة وحتّى تتنبّهوا من الاغتسال الظّاهر وتنتقلوا الى لزوم اغتسال نفوسكم من ادناس رذائلكم بماء التّوبة والانابة الى ربّكم فتغمسوا انفسكم فى الماء الطّهور الّذى يجرى عليكم من عين الولاية التّكوينيّة والتّكليفيّة [وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى] بعد ما علم تعميم السّكر من الاخبار سهل تعميم الجنابة ، وبعد تعميم الجنابة سهل تعميم الفقرات المذكورة فى هذه الآية ، وجملة الشّرط والجزاء معطوفة باعتبار المعنى فانّ المعنى يا ايّها الّذين آمنوا ان كنتم سكارى فلا تقربوا الصّلوة حتّى تعلموا ماتقولون ، وان كنتم جنباً فلاتقربوها حتّى تغتسلوا، وان كنتم مرضى يعنى حين ارادة قرب الصّلوة اوحين الجنابة و ارادة الاغتسال و الاخير هو المتبادر من سوق العبارة و هذا المتبادر يدلّ على قصد العموم من الفقرات كما انّ عدم التّقييد بشيء منهما يدلّ ايضاً على قصد العموم و انّ المراد ان كنتم مبتلين بالامراض البدنيّة المانعة من استعمال الماء الصّورى اومن طلبه و تحصيله ، او بالامراض النّفسانيّة المانعة من الغسل بماء الولاية او من طلبه و تحصيله فتيمّموا واقصدوا تراب الذّلّة والمسكنة عندالله الّذى هو اطيب من كلّ طيب بعد ماء الولاية، و اقصدوا تراباً من وجه الارض طاهراً و اظهروا اثر تراب الذّلّ على وجوهكم المعنويّة باظهار تضرّعكم وخشوعكم وتبصبصكم عند ربّكم، واثر تراب الارض الصّوريّة على مقاديم ابدانكم [أَوْ] ان كنتم [عَلَى سَفَرٍ]

يتعذّر عليكم فيه استعمال الماء اوتحصيله سواء كان سفركم فى الارض الصّوريّة او فى طرق النّفس للخروج من ديار الشّرك الّتى هى ديار النّفس فانّكم مادمتم متحيّرين فى طرق النّفس امّا لا تتذكّرون بماء الولاية ولا تتمكّنون من تحصيله اولايليق بكم الاغتسال بعد فيه لتضرّركم به [أَوْجَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ] الغائط المنخفضة من الارض كانوا يقصدونها للنجو فكنّى به عنه ولم يقل او على الغائط ليكون اوفق بسابقه و اخصر لانّ من كان على الغائط لم يصحّ منه صلوة اصلاً ولايرد الصّلوة ولم يقل ، اوعلى المجيء من الغائط لانّه داخل فى قوله على السّفر بلحاظ التّأويل ، ولم يقل اوجئتم من الغائط ليوافق السّابق و اللاحق فى المرفوع لارادة العموم البدلىّ من احد حتّى يصحّ الحكم بحسب التّنزيل وللاشارة الى انّ كلّ واحد منكم جماعة واذا وقع واحد منكم او من قواكم و جنودكم فى سفل النّفس و وهدتها فما دام هو فى تلك الوهدة كان حالكم حال السّكران الّذى لايليق به قرب الصّلوة اصلاً ، واذا انصرف من جهنّام النّفس كان حالكم حال الجنب المفيق من شهوة الفرج لكن لا يليق بكم استعمال ماء الولاية او لا تصلون اليه و اذا اريد تصحيح ظاهر التّنزيل يجعل اوههنا بمعنى الواو حتّى لايلزم جعل ما هو جزء الشّرط قسيمآله [أَوْلَامَسْتُمُ النِّسَاءَ] كناية عن المجامعة يعنى ان جامعتموهنّ وخالطتم نفوسكم باتّباع مقتضياتها فلا يليق بكم استعمال الماء او لاتصلون اليه [فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً] للاستعمال بان لم تجدوه اوتجدوه ولا تتمكّنوا من استعماله ، او المراد عدم وجدان الماء و يكون تعذّر استعمال الماء غير مذكور مثل سائر مجملات القرآن [فَتَيَمَّمُوا] يمّ وامّ بمعنى قصد اى فاقصدوا [صَعِيداً] اى تراباً او وجه ارض على خلاف فى معناه اللّغوىّ [طَيِّباً] اى طاهراً او مباحاً و على اختلاف تفسير الصّعيد اختلفوا فى جواز التّيمّم على الحجر والوحل ، وان كان المراد بالصّعيد مطلق وجه الارض فالآية الآتية فى سورة المائدة تدلّ على عدم جواز التّيمّم بما ليس فيه غبار مثل الحجر الصّلد والوحل حيث قال تعالى هناك: فامسحوا بوجوهكم وايديكم منه والاخبار تدلّ على جواز التّيمّم بالتّراب ثمّ بما فيه غبار من اللّبد وعرف الفرس وغيرهما، ثمّ بالوحل ثمّ بالحجر لكن تدلّ على انّ التيمّم بغير التّراب انّما هو من باب الاضطرار [فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ] اى بعض وجوهكم و هذا من المجملات الّتى بيّنوها لنا [وَأَيْدِيكُمْ] عطف على وجوهكم اى بعض ايديكم وقد بيّنوها لنا ولم يدعونا حيارى لاندرى اىّ شيء الممسوح، ولاحاجة لنا الى ان يقول كلّ منا بقول وان نجعل هوانا آلهنا والحمدلله ربّ العالمين [إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوّاً] يعنى رخّص الله لكم القرب من الصّلوة مع تدنّسكم بادناس الطّبيعة والنّفوس من دون اغتسال ابدانكم بالماء الصّورىّ و من دون اغتسال نفوسكم بالماء المعنوىّ بشرط ظهور تراب الذّلّ و المسكنة على مقاديم ابدانكم ومقاديم نفوسكم لانّه كان عفوّاً كثير العفو عن عباده وتقصيراتهم وقصوراتهم، فلايؤاخذكم بتدنّسكم بادناس النّفس والطّبع والهوى [غَفُوراً] يستر عليكم مايبقى عليكم من اثر دنس الهوى فلا يطردكم عن حضرته بسبب ذنوبكم [أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيباً] حظّاً يسيراً [مِنَ الْكِتَابِ] اى كتاب النّبوّة بان دخلوا فى شريعة وقبلوا دعوة نبىّ دعوته الظّاهرة مثل اليهود والنّصارى والمسلمين الّذين بايعوا محمّداً (ص) بالبيعة العامّة النّبويّة بان لا يخالفوا قوله ويطيعوا امره و نهيه و ان كان نزول الآية فى احبار اليهود فالمقصود منافقوا الامّة تعريضاً الّذين انحرفوا عن طريق الولاية و منعوا غيرهم والآية تعجيب من حالهم الّتى كانوا عليها لانّ النصيب من الكتاب يقتضى الاهتداء الى اصحاب الكتاب والبيعة

معهم وقبول ولايتهم لانّ الاسلام طريق الى الايمان وبه يهتدى اليه ولذلك قال تعالى [يَشْتَرُونَ الضَّلٰالَةَ] والخروج من طريق الولاية وطريق القلب بالهدى الّذى يحصل لهم من ظاهر اسلامهم لانّه بضاعتهم المكتسبة من اسلامهم و [بِالْهُدٰى] الّذى هو فطرتهم ولايقنعون به [وَيُرِيدُونَ اَنْ تَضِلُّوا] ايّها المؤمنون عن [السَّبِيلِ] الّذى انتم عليه من ولاية علىّ(ع) [وَاللّٰهُ اَعْلَمُ] منكم [بِاَعْدٰائِكُمْ] فلا تتّخذوا كلّ من اظهر بلسانه محبّتكم و ولايتكم اولياء بل اكتفوا بولاية الله فى مظاهر اوليائه الّذين امركم الله بولايتهم [وَكَفٰى بِاللّٰهِ] فى مظاهره [وَلِيّاً وَكَفٰى بِاللّٰهِ نَصِيراً] فلا تطلبوا الولاية والنّصرة من غير من امركم الله ورسوله (ص) بقبول ولايته وهو علىّ(ع) واصرفوا وجوه قلوبكم عمّن امركم بالصّرف عنه [مِنَ الَّذِينَ هٰادُوا] من بيانيّة والظّرف حال عن الّذين اوتوا نصيباً من الكتاب او من تبعيضيّة والظّرف بنفسه مبتدأ لقوّة معنى البعضيّة فى من التبعيضيّة سواء جعلت اسماً اوحرفاً، اوالظّرف قائم مقام الموصوف المحذوف الّذى هو مبتدأ [يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوٰاضِعِهِ] بتبديل كلمة مكان كلمة، اوباسقاط بعض من الكلم، اوبصرفه عن مصاديقه الى غيرها بتمويه انّ ذلك الغير مصاديقه اوبصرفه عن مقاصده المرادة بتمويه انّ غيرها مقصود من الكلم سواء كان ذلك عن علم بالمصداق والمقصود اوعن جهل وهو تعريض بمنافقى الامّة وبفعلهم بكلم الكتاب والسّنّة حيث كتموا بعضه وبدّلوا بعضه وصرفوا بعضه عن مصداقه و بعضه عن مقصوده و هو يجرى ايضاً فيمن اقام نفسه مقام بيان الكلم و صرفه عن مصداقه ومقصوده جهلاً بهما كاكثر العامّة [وَ] بيان التّحريف انّهم [يَقُولُونَ سَمِعْنٰا] بلسانهم [وَعَصَيْنٰا] فى انفسهم لانّهم لا يصرّحون بالعصيان [وَ] يقولون [اسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ] بتبديل غير مسمع عن مقصوده الّذى هو معنى غير مسمع مكروهاً الى معنى غير مسمع بالصّمم اوالموت [وَ] يقولون [رٰاعِنٰا] بصرف راعنا عن معناه ومفهومه العربىّ الى معناه الّذى هو سبّ فى لغتهم [لَيّاً بِاَلْسِنَتِهِمْ] التواءً للحروف بالسنتهم من غير القصد الى معناه المعروف اوالتواءً للكلم عن معناه المعروف المدحىّ الى المعنى الغير المعروف السبّىّ [وَطَعْناً فِى الدِّينِ] استهزاء بالدّين بسبب ما يضمرونه من خلاف المعروف و هو مفعول مطلق قائم مقام فعله او مفعول له او حال وكذلك لَيّاً [وَلَوْ اَنَّهُمْ قٰالُوا سَمِعْنٰا وَاَطَعْنٰا وَاسْمَعْ وَانْظُرْنٰا] بتبديل راعنا به اوبقصد هذا المعنى من راعنا [لَكٰانَ خَيْراً لَهُمْ وَاَقْوَمَ] واعدل [وَلٰكِنْ لَعَنَهُمُ اللّٰهُ] ابعدهم عن الخير والصّلاح [بِكُفْرِهِمْ] بكّ [فَلٰا يُؤْمِنُونَ اِلّٰا قَلِيلاً] ايماناً قليلاً وهو الايمان ببعض ما يؤمن به من آيات الكتاب والرّسل اوالّا قليلاً منهم على ان يكون المستثنى فى الكلام المنفىّ التّامّ منصوباً [يٰا اَيُّهَا الَّذِينَ اُوتُوا الْكِتٰابَ] من اليهود والنّصارى ويكون تعريضاً بامّة محمّد(ص) وتهديداً لهم اومن امّة محمّد(ص) على ان يكون الخطاب لهم ابتداء والاوّل اظهر [آمِنُوا بِمٰا نَزَّلْنٰا] من القرآن اومن ولاية علىّ(ع) [مُصَدِّقاً] ومثبتاً [لِ] صدق [مٰا مَعَكُمْ] من التّوراة والانجيل اومخرجاً عن الاعوجاج و الانحناء لما معكم من احكام النّبوّة و قبول طاعة النّبىّ (ص)، و ان كان المراد من ظاهر اللّفظ اليهود والنّصارى فامّة محمّد(ص) مقصودة تعريضاً [مِنْ قَبْلِ اَنْ نَطْمِسَ وُجُوهاً] بمحو محاسنها و اشكالها الفطريّة و الكسبيّة [فَنَرُدَّهٰا عَلىٰ اَدْبٰارِهٰا اَوْ نَلْعَنَهُمْ] بتغيير صور تمام اعضائهم

فنمسخهم [كَمٰا لَعَنّٰا] ومسخنا [أَصْحٰابَ السَّبْتِ] .

اعلم انّ الانسان خلق باطنه كظاهره مستوى القامة مشتملاً على احسن هيئة يمكن له الانتقال ، رجلاه منفصلتان من الارض لا كالنّبات الغائر اصله فى الارض لا يمكنه الانتقال من مكانه ، مستقيماً قامته و رأسه مجرّداً بشرته محسّناً صورته بانواع المحاسن الفطريّة قابلة لانواع المحاسن الكسبيّة فكلّما بالغ فى تصفيتها و تزيينها زاد حسنها و بهاؤها و حسن صورة بدنه بخطوطها و اشكالها و وضع كلّ من محالّ قواها فى موضعه اللّائق به وصفائها وبهائهاوطراوتها وتزيينها بتصفيتهامن الدّرن[1] اللّاحق بهاوالحاق مايزيّنها بهاوحسن صورة باطنه ببياضها بنور الاسلام واستنارتها بنور الايمان وتوجّهها الى عالم النّور وانفصالها عن عالم الزّور وتزيينها بتصفيتها و ازدياد عملها و تحسين اخلاقها بمتابعة من كان اخلاقه اخلاق الرّوحانيّين فاذا اعرض الانسان عن الولاية عن غفلة اوعن جهل لم يحصل لها تزيّنها ، واذا اعرض عن علم كان كمن توجّه الى قفاه ، واذا تمكّن فى هذا الاعراض صاروجهه المحاذى لمقاديم بدنه منصرفاً الى قفاه كأنّه مخلوق عليه، واذا استحكم فى التّمكّن صار ممسوخاً بالمسخ الملكوتىّ، واذا استحكم هذاالمسخ الملكوتىّ حتّى غلب على الملك صارصورته الملكيّة ايضاً مسخاً وعدّ بعض الفلاسفة المسخ الملكىّ من المحالات ؛ وتأويل ماورد منه فى الشّرعيّات ليس فى محلّه [وَكٰانَ أَمْرُ اللّٰهِ مَفْعُولاً] لامانع من نفاذه فاحذروا ما اوعدتم ، ولمّا كان المقصود من الآية السّابقة تعريضاً اواصالة امّة محمّد (ص) وقد امرهم بالايمان بما نزّله وقدكان المراد ممّا نزّل ولاية علىّ(ع) كما سبق علّلها بقوله تعالى [إِنَّ اللّٰهَ لاٰ يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ] باعتبار اتمّ مظاهره الّذى هوعلىّ (ع) و قد فسّر بالشّرك و الكفر بولايةعلىّ(ع)لانّ الله لايعرف ولايدرك الّا فى مظاهره فالشّرك بمظاهره شرك بهفكأنّه قال: ياامّة محمّد(ص) آمنوا بولاية علىّ(ع) الّتى نزّلناها مصدّقة لما معكم من احكام الاسلام واحذروا فى مخالفته عن عقوبتى فانّى لا اغفر لمن يشرك بولاية علىّ (ع) فضلاً عمّن كفر بولايته [وَيَغْفِرُ مٰا دُونَ ذٰلِكَ] الشّرك كائناً ماكان كبيراً اوصغيراً [لِمَنْ يَشٰاءُ] من شيعة علىّ(ع) و فى الاخبار تصريح بما ذكر من تفسير الآيات بمنافقى الامّة و ولاية علىّ(ع) مع انّ عمومات الاخبار واشاراتها تكفى فى تفسيرها بذلك ، فعن الصّادق (ع) فى تفسير مادون ذلك انّه قال : الكبائر فما سواها ، و فى حديث عن رسول الله(ص) : لو انّ المؤمن خرج من الدّنيا وعليه مثل ذنوب اهل الارض لكان الموت كفّارة لتلك الذّنوب ، و المراد بالمؤمن من قبل الولاية و فى آخر هذا الحديث : انّ الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء لشيعتك ومحبّيك يا علىّ(ع) وعن الباقر(ع) يعنى انّه لايغفر لمن يكفر بولاية علىّ(ع) ويغفرمادون ذلك لمن يشاء يعنى لمن والى علياً(ع) وعن علىّ(ع) مافى القرآن آية احبّ الىّ من هذه الآية [وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللّٰهِ] باعتبار الشّرك بأتمّ مظاهره [فَقَدِ افْتَرىٰ إِثْماً عَظِيماً] عطف فى معنى التّعليل، والافتراء يكون بالقول وبالفعل [أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنْفُسَهُمْ] تعجيب من تزكيتهم انفسهم بعد ماسبق من حالهم وتهديد لهم والتّزكية امّا بمعنى نسبة الطّهارة الى الانفس وعدّها زاكيات طاهرات اوبمعنى ازالة الدّرن عن الانفس بأفعالهم وأذكارهم وكلّ واحد امّا بالقول مثل ان قال انّى لم اعص، واصوم كذا، واصلىّ كذا، وانفق كذا ؛ وغير ذلك ، اومثل ان داوم على ذكر اللّسان بنفسه من دون اذن واجازة قصداً الى تحصيل كمال النّفس وتطهيرها من نقائصها من غير مراياة، وامّا بالفعل مثل ان فعل الافعال الحسنة مراءاةً واظهاراً للنّاس انّه زاهد راغب فى الآخرة ، او مثل ان اشتغل بالافعال الحسنة والرّياضات من قبل نفسه من غير مراءاة

١ ـ الدّرن = الوسخ او تلطخه .

بل لتحصيل كمال النّفس وطهارتها ظنّاً منه انّ افعاله تزكّى نفسه والكلّ خيال باطل فانّ المراءاة فعلاً اوقولاً من اعظم المعاصى و العمل من قبل النّفس لتزكيتها لا يزيد الّا فى شقائها [بَلِ اللّٰهُ يُزَكّي مَنْ يَشٰاءُ] يظهر طهارة من يشاء من دون حاجة الى اظهارهم ، اويطهّر من الادناس والرّذائل من يشاء لامن ارادان يزكّى نفسه بعمله لانّها فضل من الله لايمكن اكتسابه بالعمل بل العمل ان كان بأمر خلفائه يعدّ النّفس لقبول ذلك الفضل ، والآية ان كانت نازلة فى اليهود والنّصارى لقولهم: نحن ابناء الله ، ولن يدخل الجنّة الّا من كان هوداً اونصارى فالتّعريض بمنافقى الامّة الّذين فى اقوالهم و افعالهم مراءاةً فى نسبة الطّهارة الى انفسهم قولاً و فى رياضاتهم وعباداتهم الشّاقّة من قبل انفسهم قصداً للتّفوّق فى الكمال على اقرانهم ، ولمّا توهّم من هذا انّ العمل لاينجع فى طهارة النّفس فمن شاء الله زكّاه و من لم يشأ لم يزكّه رفع هذا الوهم فقال تعالى [وَلٰا يُظْلَمُونَ فَتِيلاً] بنقص اجر العامل اوبعقوبته اذاوقع العمل على وجهه ولابزيادة عقوبة العاصى [اُنْظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللّٰهِ الْكَذِبَ] فى نسبة الطّهارة الى انفسهم او فى تحصيل الطّهارة بفعلهم ظنّاً منهم انّ فى فعلهم رضى الله واذنه ولمّا كان الافتراء على الله المندرج فى تزكيتهم انفسهم غير ظاهر على كلّ راءٍ ومدرك اتى بلفظ انظر الدّالّ على التّأمّل والتّعمّل فى الادراك بخلاف تزكيتهم وايمانهم بالجبت والطّاغوت حيث يراهما كلّ راء [وَكَفىٰ بِهِ إِثْماً مُبِيناً اَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ اُوتُوا نَصِيباً مِنَ الْكِتٰابِ] كمنافقى امّتك وان كان نزوله فى اهل الكتاب فالتّعريض بهم بتركون وصيّك و [يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ] اسم صنم ثمّ استعمل فى كلّ ما عبد من دون الله [وَالطّٰاغُوتِ] مقلوب طيغوت مبالغة فى الطّاغى سمّى به الشّيطان ثمّ كلّ من بالغ فى الطّغيان [وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا] اى فى حقّهم [هٰؤُلاٰءِ اَهْدىٰ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلاً] اصلهم علىّ (ع) ثمّ الائمّة من بعدهم ثمّ شيعتهم [اُولٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللّٰهُ] بطردهم عن بابه و صرفهم عن الولاية و المتابعة لمن هو بمنزلته [وَمَنْ يَلْعَنِ اللّٰهُ] عن باب الولاية [فَلَنْ تَجِدَ لَهُ نَصِيراً] لانّ النّصرة هى الاعانة للمنصور فى جلب منفعة اودفع مضرّة على سبيل التّرحّم عليه وهى موقوفة على معرفة المنافع والمضارّ ومعرفة الرّحمة ومحلّها فمن اعان رجلاً على قتل محبوبه او شرب سمّ و ترحّم عليه فى ذلك لم يكن ذلك نصرة ولا ترحّمه ترحّماً بل عداوة وسخطاً وان سمّاه المحجوبون عن ادراك الاشياء كما هى نصرة ، والعارف بحقائق الاشياء هم الانبياء والاولياء (ع) ومن طرد عنهم لم يكن له ناصر فى الارض ولافى السّماء والنّاصرون له من هذه الجهة اعداء له حقيقه ولذلك يظهر يوم القيامة انّ الاخلّاء بعضهم كان لبعض عدوّاً الّا الّذين آمنوا فانّ خلّتهم ونصرتهم من جهة ايمانهم توجب قربهم الى باب الولاية ثمّ صرف القول عن التّابعين الى المتبوعين فقال تعالى [اَمْ لَهُمْ] اى للمتبوعين [نَصِيبٌ مِنَ الْمُلْكِ] حتّى يستحقّوا بذلك الاتّباع وان فرض انّ لهم نصيباً من الملك [فَإِذاً لاٰ يُؤْتُونَ النّٰاسَ] الّذين هم المتحقّقون بالانسانيّة و هم الاولياء و اصلهم علىّ (ع) فكيف بأشباه النّاس و النّساس [نَقِيراً] والنّقير النّقطة الّتى فى وسط النّواة يمثّل به فى الحقارة والمعنى انّهم ليس لهم نصيب من الملك حتّى يطمعوا فيه فيتّبعوهم وحالهم ان لو كان لهم نصيب من الملك لما اتوا النّاس شيئاً حقيراً منه فكيف بهم وهم نسناس فلا ملكهم يقتضى الاتّباع ولا حالهم ثمّ صرف القول الى الاتباع و المتبوعين جميعاً فقال تعالى

[أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ] يعنى هؤلاء الاتباع فى اتّباعهم لغير النّاس الّذين هم رؤساء الضّلالة و المتبوعون فى ترك اتّباعهم للاولياء والاصل فيهم علىّ (ع) و ادّعاء المتبوعيّة لانفسهم يريدون زوال فضل الله عن النّاس والمقصود تقرير حسدهم والاصل فى النّاس بعد محمّد (ص) علىّ (ع) وخلفاؤه [عَلَىٰ مَا آتَيٰهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ] من الامامة والخلافة [فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ] على رغم انوفهم وعمى عيونهم، وآل ابراهيم (ع) محمّد (ص) وعلىّ (ع) وخلفاؤه صلوات الله وسلامه عليهم واضافهم الى ابراهيم (ع) للاشارة الى منقبة اخرى لهم حتّى يزدادوا غيظاً [الْكِتَابَ] اى النّبوّة فانّ مرتبة النّبوّة من جهة انّها قابلة لنقوش الاحكام الآلهيّة من مرتبة الولاية يعبّر عنها بالكتاب كما انّ مرتبة الرّسالة ايضاً كذلك، لكن سيأتى انّها المرادة بالملك العظيم وقد سبق فى اوّل الكتاب تعميم اطلاق الكتاب فيراد منه فى كلّ مقام معنى بحسب اقتضاء ذلك المقام.

تحقيق معنى الحكمة

[وَالْحِكْمَةَ] الحكمة قوّة بها يقتدر الانسان على ادراك دقائق الامور وخفايا المصنوع وعلى الاتيان بالمصنوع المشتمل على دقائق الصّنع فهى باعتبار متعلّقه مركّبة من جزئين جزء علمىّ ويسمّى حكمة نظريّة وجزء عملىّ ويسمّى حكمة عمليّة ويعبّر عنهما بلسان الفرس «بخرده بينى وخرده كارى» وقد يعبّر عن الحكمة بالاتقان فى العمل للاشارة الى احد جزئيها وقد يعبّر عنها بالكمال فى العلم والاتقان فيه للاشارة الى الجزء الآخر، وقد تفسّر بالاتقان فى العلم والعمل للاشارة الى كلا جزئيها والحكمة الّتى تذكر فى مقابلة الجربزة هى القوام فى تدبير المعيشة علماً وعملاً والجربزة افراطه، وهذه الحكمة هى من نتائج مرتبة الولاية فانّ الولىّ بتجرّده يقتدر على معرفة دقائق الاشياء لعدم احتجاب شيء منه اذا اراد معرفته وعلى صنع دقائق المصنوعات لعدم تأبّى شيء منه، والحكيم المطلق هو الله تعالى ثمّ الانبياء (ع) والرّسل (ع) بجهة ولايتهم ثمّ خلفاؤهم ثمّ الامثل فالامثل. واوّل مراتب الحكمة ان تدرك دقائق صنع الله فى نفسك وبدنك وانّك خلقت برزخاً بين العالمين السّفلىّ والعلوىّ وانّ نفسك خلقت قابلة صرفة لتصرّف الملكوتين لاتأبّى لها من تصرّفهما، وان تصرّف السّفلىّ يؤدّيها الى السّجن والسّجّين، وتصرّف العلوىّ يجذبها الى قرب الملأ الاعلى، كلّ ذلك على سبيل المعرفة لا على طريق العلم، والمظنّة كما هو طريق حكماء الاخلاق فانّهم يقنعون بالعلم الكلّىّ غافلين عن نفوسهم الجزئيّة فلاينتفعون بعلمهم ثمّ تقدر على دقائق العمل لسدّ طرق تصرّف الملكوت السّفلىّ وفتح طرق تصرّف الملكوت العلوىّ كقدرة علىّ عليه السّلام فى الغزاة على ترك الضّرب حين ظفر بالعدوّ ورفع السّيف للضّرب فتفل فى وجه علىّ (ع) فترك الضّرب لهيجان النّفس للضّرب. فاذا عرف الانسان بماذكر وقدر وعمل ارتقى لامحالة الى مقام العبوديّة وهو مقام الفناء و مقام الولاية ثمّ اذا علم الله فيه استعداد اصلاح الغير ردّه الى بشريّته بخلعة النّبوّة والرّسالة اوالخلافة وبصّره دقائق الصّنع فى الملك والملكوت واقدره على دقائق التّصرّف فى الاشياء وأخدمه جميع الموجودات وهو آخر مراتب الحكمة. والمراد بالحكمة ههنا الولاية لانّها من نتائجها و هذا بيان الحكمة، وتحقيقها والتّفسيرات المختلفة الّتى وقعت فى كلماتهم راجعة اليه مثل ان قيل: هى معرفة حقائق الاشياء كما هى، او: هى العلم الحسن والعمل الصّالح، او: هى الاتيان بالفعل الّذى له عاقبة محمودة، او: هى الاقتداء بالخالق بقدر الطّاقة البشريّة، او: هى التّشبّه بالاله فى العلم والعمل بقدر الطّاقة البشريّة [وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكاً عَظِيماً] الملك اسم مصدر بمعنى مايملك، ويطلق على كلّ مملوك وعلى عالم الطّبع خاصّة لانّه لا جهة فيه الّا المملوكيّة بخلاف الملكوت الّتى هى مبالغة فى المالكيّة فانّها و ان كانت

مملوكة من وجه لكن لها مالكيّة للملك كمالكيّة الجبروت لمادونها واللّاهوت لما سواها، والمراد بالملك العظيم ههنا مقابلاً للكتاب والحكمة هو الرّسالة وخلافة الرّسالة فانّها لجمعها بين الوحدة والكثرة بنحو الكمال ملك لااعظم منها وقد فسّر في الخبر بالطّاعة المفروضة اللّازمة لها ، وبطاعة جميع الموجودات تكويناً اللّازمة للولاية ، وبملك القلوب. وتكرار آتينا للاشارة الى استقلاله بالامتنان و الانعام [فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ بِهِ] عطف باعتبار المعنى كأنّه تعالى قال بعد ارادة علىّ (ع) من النّاس المحسودين ، وذكر اعطائه من فضله تصريحاً والكتاب والحكمة والملك العظيم تعريضاً ينبغى ان يؤمنوا به ولا يخرجوا من طاعته لكنّهم تفرّقوا واختلفوا ، اوعطف على محذوف جواب لسؤال مقدّر كأنّه قيل: مافعلوا به ؟ـ فقال : اختلفوا فيه فمنهم من آمن به كسلمان واقرانه [وَمِنْهُمْ مَنْ صَدَّ عَنْهُ] اعرض او منع غيره [وَكَفىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيراً] يعنى ان لم نعاقبهم فى الدّنيا فكفاهم جهنّم فى الآخرة والجملة عطف على منهم من صدّ عنه من قبيل عطف الانشاء على الخبر اوباعتبار لازم معناه كأنّه قال: ومنهم من صدّ عنه وهم المعاقبون فى النّار [إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَاراً] تفصيل لحال المؤمنين به والصّادّين عنه وتقديم حال الصّادّين لقصد كون الافتتاح والاختتام بحال المؤمنين كأنّه قال : امّا الّذين صدّوا عنه وامّا الّذين آمنوا به ؛ لكن ادّاه هكذا اشارة الى تعليل قوله كفى بجهنّم سعيراً والى كونهم كافرين وانّ علياً (ع) اعظم الآيات وانّ الكافر به كافر بجميع الآيات [كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُوداً غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ] اختلف كلمات الحكماء و الصّوفيّة فى كيفيّة خلود اهل النّار وعذابهم الدّائمىّ واصحاب الشّرائع مطبقون على خلودهم و انّ المحكوم بكونه اهل السّجّين لا نجاة له من داره وانّ لكلّ دار عمّاراً هم اهلها لايخرجون منها ابداً، وتبديل جلودهم يكون بحسب ملكاتهم الرّديّة وعقائدهم الفاسدة واخلاقهم الكاسدة فانّها من فروع الشّجرة الخبيثة الّتى اجتثّت من فوق الارض مالها من قرار، والمراد بالجلود امّا جلود الابدان او جلود الارواح وهى ابدانهم الخبيثة ، و السّؤال بانّ المعاقب يصير غير المذنب ساقط من اصله لاجواب له [إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزاً] لامانع له من حكمه وعقوبته [حَكِيماً] لايعاقب من غير استحقاق [وَالَّذِينَ آمَنُوا] بعلىّ (ع) [وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ] حتّى كسبوا فى ايمانهم خيراً [سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً لَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلّاً ظَلِيلاً] ثمّ صرف القول الى النّاس المحسودين بالخطاب لهم فقال تعالى: [إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ] ايّها النّاس المحسودون الّذين اتاكم الله من فضله واتاكم الكتاب والحكمة والملك العظيم [أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلىٰ أَهْلِهَا] شكراً لما انعم به عليكم اى : لاتعطوها غير اهلها فتظلموها ، ولاتمنعوها اهلها فتظلموهم ، والخطاب خاصّ بهم لكن يعمّ الامر غيرهم ايضاً لكونهم مأمورين بالتّأسّى بهم ولذلك عمّموا الآية فى الاخبار .

تحقيق معنى الامانات

والامانة مايودع عند الامين قصداً الى حفظه ونمائه ان كان له نماء، وامانات الله عند الانسان كثيرة منها الامانة الّتى عرضها الله على السّماوات والارض وهى اصلها واساسها واشرفها وانماها وهى اللّطيفة السّيّارة الانسانيّة الّتى لاجوهر اشرف منها فى خزائنه تعالى، ولمّا اراد اخراجها من خزائنه وكان لها لنفاستها اعداء كثيرة طلب لها مأمناً من سماوات الارواح فلم يكن فيها مأمن لايداعها ، ثمّ عرضها على اراضى الاشباح من الملكوتين و جملة عالم الطّبع فلم يجد لها مأمناً ، ثمّ عرضها على

المواليد الجماد و النّبات و الحيوان فلم تكن لها باهل ، ثمّ عرضها على عالم الانسان فوجده اهلاً لها فاودعها فيه وقبلها الانسان ؛ فلمّا اودعها الانسان وكانت لشرافتها ونفاستها كثيرة الطّلاب والسّراق من اهل العالم السّفلىّ ولم يمكنه المدافعة منّ دون امداد من صاحب الامانة جعل الله تعالى له جنوداً من اهل العالم العلوىّ وامره بحفظها وانمائها حتّى اذا طالبها سلّمها سالباً نامياً زاكياً، فمن امتثل امره تعالى وجاهد مع طلّابها وسرّاقها وحفظها عن ايدى السّراق وانماها و زكّاها صار مستحقّاً للخلع الفاخرة البهيّة والمنصب العالى الولاية و النّبوّة والرّسالة والخلافة والجلوس فى مقعد الصّدق عند المليك المقتدر، ومن اهمل رعايتها حتّى اختطفها سرّاقها صار مستحقّاً للسّجن والعقوبات، ثمّ بعد تلك الامانة الامانات الّتى اودعها الله الانسان لحفظ تلك الامانة سوى الجنود العلويّة الّتى اعدّها لامداد الانسان فى حفظها وهى المدارك و القوى و الاعضاء الظّاهرة و الباطنة و امره بحفظها لانّ لها ايضاً طلّابا وسرّاقا من العالم السّفلىّ ، وامره بان يؤدّيها الى اهلها الّذى هو العقل ثمّ قوّة قبول التّكاليف وامره ان يؤدّيها الى اهلها الّذى هو العقل فى مظاهره البشريّة بان عرضها عليه وسلّمها لامره ونهيه ثمّ التّكاليف القالبيّة النّبويّة الحاصلة له بالبيعة العامّة ، وامره ان يؤدّيها بعد حفظها واستنمائها الى اهلها الّذى هو صاحب التّكاليف القلبيّة بان عرضها عليه سالمة نامية ، ثمّ التّكاليف القلبيّة الباطنة الّتى اخذها من صاحب الدّعوة الباطنة بالبيعة الخاصّة الولويّة وقبول الدّعوة الخاصّة، وامره ان يؤدّيها الى اهلها الّذى هو صاحب الدّعوة التّامّة والولاية المطلقة اعنى علياً(ع) فاذا استكمل له هذه الامانات وحفظها وانماها وسلّمها الى اهلها وارتضاها منه و رضى عنه اودعها امانات شريفة نفيسة هى ودائع الخلافة الآلهيّة فى العالم الكبير فى لباس النّبوّة او الرّسالة او الخلافة او الامامة وتلك اشرف الامانات بعد الامانة الاولى ؛ وهى مختلفة فمنها ماهى من قبيل التّكاليف ولها اهل وهم المستعدّون لقبولها والعمل بها ، وبعضها من قبيل الخلافة و لها اهل وهم المستعدّون لاصلاح الخلق والتّبليغ لهم كالمشايخ والنوّاب الّذين كانوا خلفاء الانبياء(ع) والاولياء(ع) ، وبعضها هو اصل الخلافة الآلهيّة ولها اهل وهم الّذين يقومون مقام الانبياء(ع) والاولياء(ع) بعد رحلتهم ويصدق على امانات النّاس الّتى هى من الاعراض الدّنيويّة ايضاً انّها امانات ولها اهل وهم صاحبو الامانات [وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ] يعنى لم يكن الحكومة حتماً عليكم وانتم فيها بالخيار لكن اذا حكمتم يأمركم ان تحكموا بالعدل اى بسبب العدل الّذى فى ايديكم ممّا نزل على محمّد(ص) من السّياسات، او بآلة العدل الّتى هو السّياسات الآلهيّة او متلبّسين بالعدل و التّسوية بين الخصمين او بالعدل و الاستقامة خارجين عن الاعوجاج الّذى هو من مداخلة الشّيطان او حالكون حكمكم متلبّساً بالعدل والتّسوية ، والعدل بين الخصمين هو التّسوية بينهما فى المجلس والتّخاطب والشّروع فى الخطاب والتّوجّه والبشر بل فى ميل القلب، فانّ التّسوية فى ذلك خروج عن الاعوجاج اذا كانا مسلمين فانّهما ان كانا مسلمين وماسوّيت بينهما كنت جائراً، وكذا اذا لم تسوّ بينهما فى الميل القلبىّ من جهة الحكومة كنت معوّجاً بتصرّف الشّيطان [إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ] فتقبّلوا عظته، هذه جملة معترضة [إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعاً بَصِيراً] تعليل لاداء الامانة الى اهلها والحكم بالعدل وتحذير عن المخالفة [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ] فيما انزل ولاسيّما عمدة ماانزل وهى ما به صلاحكم ورفع نزاعكم وردّ خلافكم وهو تعيين من ترجعون اليه فى جملة اموركم الدّنيويّة والاُخرويّة وفيما اشتبه عليكم وهى قوله انّما وليّكم الله ورسوله والّذين آمنوا (الى آخرها) فانّه لاخلاف بينهم انّه فى علىّ(ع) [وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ] فيما آتاكم وفيما نهاكم

عنه فما آتاكم الرّسول (ص) فخذوه ومانهيكم عنه فانتهوا ولا سيّما عمدة ماآتاكم وهي قوله بعد ماقال: الست اولى بكم من انفسكم، الا ومن كنت مولاه فهذا عليّ (ع) مولاه؛ ولاخلاف بينهم انّه من الرّسول (ص).

تحقيق معنى اولى الامر

[وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ] لم يكرّر اطيعوا اشارةً الى تعيين اولى الامر وانّ اولى الامر من كان شأنه شأن الرّسول وامره امره وطاعته طاعته حتّى لايكون لكلّ طاعة غير طاعة الآخر، و تفسير اولى الامر بامراء السّرايا و السّلاطين الصّوريّة الاسلاميّة نقض لصدر الآية اوالتزام نسخ له اوالتزام اجتماع النّقيضين لانّه لانزاع في وجوب طاعتهم في امر الدّنيا اولمحض التّقيّة؛ انّما النّزاع في طاعتهم في امر الدّين من غير تقيّة ويلزم منه ماذكر، لانّ واو العطف للجمع والسّلاطين بعضهم فسّاق وقد يكون امرهم خلاف امر الله وامر رسوله (ص) فلا يمكن الجمع بين الطّاعات الثّلاث فوجوب طاعتهم امّا ناقض لوجوب طاعة الرّسول (ص) اوناسخ له اوالتزام لاجتماع النّقيضين، فانّ السّلاطين الجائرة يكون امرهم بقتل النّفس المحرّمة مناقضاً لنهيه تعالى عنه وكذا حال امرهم بشرب الخمر لندمائهم مع نهيه تعالى عنه، وتقريره انّه اذاكان المراد باولى الامر السّلاطين على ما زعموا يلزم وجوب طاعتهم في جميع ما امروا و نهوا بصريح الآية وعدم ما يخصّصه، **لايقال**: المخصّص هو صدر الآية فانّ الامر بطاعة الله والرّسول (ص) مقدّماً على طاعة السّلطان يفيد وجوب طاعة السّلطان فيمالاينافي طاعتهما، **لانّا نقول**: يكون الامر بطاعة السّلطان حينئذٍ لغواً لانّ امره ان كان مطابقاً لامرهما فالامر بطاعة الاوّلين كافٍ عن ذلك الامر، و ان كان منافياً فوجوب طاعتهما يفيد عدم وجوب طاعته، وان كان غير معلوم مطابقته وعدمها فامّا ان نكون مأمورين بتشخيص المطابقة وعدمها ثمّ بالطّاعة وعدمهافبعد التّشخيص يأتي الشّقّان، اولم نكن مأمورين بتشخيص المطابقة فامّا ان نلتزم انّ امره مبيّن لأمر الله ورسوله و مطابق له فهو خلاف الفرض والتزام لمذهب الخصم، اولانلتزم ذلك فيلزم حينئذٍ من الامر بطاعته الاغراء بالحرام من الله والتّوالي باطلة، وكلّما وجب طاعة السّلاطين في جميع ماامروا ونهوا يلزم وجوب طاعتهم فيما يخالف امر الله ونهيه ويناقضهما، فامّا ان يكون وجوب طاعتهم مقدّماً على وجوب طاعة الله مع بقاء وجوبهافيكون نقضاً اورافعاً لوجوب طاعته وبياناً لانتهاء امد وجوبها فيكون نسخاً اونلتزم بقاء الوجوبين فجواز اجتماع النّقيضين، فان تعلّق الامروالنّهي بقضيّةٍ واحدةٍ في زمانٍ واحدٍ مستلزم لجواز ايجاب تلك القضيّة وسلبها وهوالتّناقض. فالحاصل انّ ارادة السّلاطين من اولي الامر مناقضة مع صدر الآية بخلاف مالوارید باولى الامر من كان شأنه شأن النّبيّ وامره امره وعلمه علمه وكان معصوماً من الخطاء والزّلل، فانّ امره حينئذٍ يكون موافقاً ومبيّناً لامر الرّسول (ص) ولو لم يكن سوى هذه الآية في اثبات مدّعى الشّيعة لكفت هذه ولاحاجة لهم الى غيرها مع انّ عليه ادلّة عديدة عقليّة ونقليّة دوّنها القوم في تداوينهم، وتوسّلهم بالاجماع وحديث لاتجتمع امّتي على خطأٍ؛ يدفعه آية الخيرة، وحديث الغدير في مشهد جمّ غفير بحيث ماامكن لهم انكاره على انّ الاجماع محض ادّعاء و افتراء لخروج بعض الصّحابة عن البيعة و عدم حضور كثير في السّقيفة و ردّ جمع على ابي بكر الخلافة وتوسّلهم بصلوته بالامّة في حال حياة الرّسول (ص) حجّة عليهم، لانّ النّبيّ (ص) بعد ما افاق وعلم انّ ابابكر امّ بالقوم خرج مع ضعفه وازاله عن مقامه قبل اتمام صلوته وامّ بنفسه، وهودليل على انّه لم يؤمّ القوم به بأمره وانّه لاينبغي له الامامة والّا كان تقريره عليها في حال حياته واجباً، وحديث: سيّدا كهول اهل الجنّة؛ يدفعه العقل والنّقل لانّ اهل الجنّة على اشرف الاحوال وهي حال الشّباب كماورد انّ اهل الجنّة جردٌ مردٌ، وحديث: لولم ابعث لبعث عمر؛ يكذّبه قول النّبيّ (ص) في حقّ من تخلّف عن جيش اسامة وردّه عليه في أمره باحضار

القلم والدّواة لرفع النّزاع ، وقوله : انّ الرّجل ليهجر ؛ وخلافة ابى بكر بلا فصل بزعمهم، ومواخاته(ص)مع علىّ(ع)دونه، ووصايته باداء ديونه و انجاز عداته(ص) الى علىّ وانت منّى بمنزلة هارون من موسى (ع)وكون علىّ(ع)بمنزلة نفسه تحت الكساء ، والمستحقّ للبعثة اولى بكلّ ذلك، وتأسّى جبرئيل بأبى بكر فى لبس الصّوف واسترضاء الله منه ؛ يكذّبه انّ التأسّى بالنّبىّ (ص) اولى واسترضاء النّبىّ (ص) اجدر مع انّه سوّف استرضاء النّبىّ (ص) فقال : و لسوف يعطيك ربّك فترضى ، و فرار الشّيطان من هيبة عمر ؛ يكذّبه فراره من الغزاء فى احد ، وآية : انّما استزلّهم الشّيطان ببعض ما كسبوا فى الفارّين فى احد . والحاصل انّ مقدّماتهم الّتى نظموها شاعرين اوغيرشاعرين مختلّة ، فانّهم حالاً وقالاً يقولون: انّ ابابكر لم يكن معصوماً وكلّ من لم يكن معصوماً يمكن ان يكون خليفة للرّسول(ص)، فأبوبكر يمكن ان يكون خليفة للرّسول، وكلّ من يمكن ان يكون خليفة واجمع الامّة على خلافته فهو خليفة ، فابوبكر خليفة ؛ فنقول : الصّغرى فى القياس الثّانى وهى انّ ابابكر يمكن ان يكون خليفة واجمع عليه الامّة باطلة بحسب امكان خلافته كما يجيء وبحسب اجماع الامّة كما عرفت، والكبرى فيه ايضاً باطلة بآية الخيرة ، والصّغرى فى القياس الاوّل مسلّمة بل نقول : انّ ابابكر مثل عمر تخلّف عن جيش اسامة فضلاً عن ان لم يكن معصوماً ، وامّا الكبرى فيه فهى فاسدة، لانّ الرّسول(ص) كان له الرّسالة والخلافة الآلهيّة وهى تقتضى ان يكون صاحبها كالآله ناظراً الى كلّ فى مقامه ومعطياً لكلّ حقّه بحسب استعداده ولسان استحقاقه حافظاً لكلّ باسباب حفظه، والّا لم يكن خليفة الله وكان له السّلطنة على كلّ من دخل تحت يده و هذه تقتضى التّسلّط عليهم بحسب الدّنيا والتّصرّف فيهم بأىّ نحو شاء فان كان المراد بخليفته وامكان عدم عصمته هو خليفته فى السّلطنة والغلبة فى الدّنيا ، فمسلّم انّه لايجب عصمته بل يجوز فسقه ؛ لكنّ الكلام فى خلافة الرّسالة و السّياسة الآلهيّة و هذا الوصف يقتضى كون صاحبه كالرّسول (ص) بصيراً ناقداً عالماً بمرتبة كلّ واستحقاقه ولسان استعداده برزخاً واسطة بين الخلق والحقّ موصلاً كلّاً الى غايته والّا كان مفسداً فى الارض ومهلكاً للحرث والنّسل ، على انّه ان لم يصدّق الخلق بأنّه بصير من الله عالم بخفيّات الموجودات وجليّاتها قادر على حفظ كلّ فى مرتبته و على اعطاء كلّ حقّه لا يقع منهم اطاعته عن صميم القلب فلم ينقادوا له باطناً فلم ينتفعوا منه بحسب الآخرة، فان علموا انّه غير معصوم ويجوز له الخطاء فيما القى اليهم فكيف يسلّمون له وهذا هو الّذى اقتضى النّصّ فى حقّه فانّ العصمة والبصيرة والعلم ببواطن الامور امر ليس فى ظاهر البشرة فيدرك بالابصار حتّى يمكن معرفته للخلق، بل أمر خفىّ لايدركه الّا من كان محيطاً به عالماً بسرائره وخفيّاته فمن لم يكن عليه نصّ لايمكن خلافته وفى آيات توقّف الشّفاعة على اذن الله اشارة الى هذا التّوقّف ولذلك قالت الصّوفيّة: توقّف الرّياسة الآلهيّة على الاذن والاجازة من ضروريّات المذهب اوقريب منها وكان سلسلة اجازتهم منضبطة يداً بيد ونفساً بنفسٍ الى المعصوم ، والفقهاء رضوان الله عليهم قائلون به وكان سلسلة اجازتهم مضبوطة بل كانوا فى الصّدر الاوّل اذا لم يحصل لاحدٍ منهم الاجازة فى الكلام مع الخصوم والرّواية عن المعصوم لم يتكلّم مع احدٍ فى امر الدّين ولم يروحديثاً من أحاديث المعصومين ، و مشايخ اجازة الرّواية معروفة فمن ادّعى الخلافة ونيابة الرّسالة من غير اذن واجازة لم يكن كالصّدر الاوّل من العذاب بمفازة . ولمّا كان الرّسول(ص) مؤسّساً للاحكام السّياسيّة والعبادات القالبيّة اخذاً للبيعة منهم من هذه الجهة ويسمّى اخذه للبيعة من هذه الجهة اسلاماً، وكان هادياً من جهة القلب ومصلحاً لاحوال الباطن و مبيّناً للآداب القلبيّة اخذاً للبيعة منهم من هذه الجهة ويسمّى ايماناً كان خليفته امّا خليفة له من الجهتين كعلىّ (ع) واولاده المعصومين (ع) وكلّ من كان جامعاً

للطّرفين حافظاً للجانبين . وامّا خليفة له من الجهة الاولى وهم الفقهاء وعلماء الشّريعة رضوان الله عليهم الّذين تصدّوا للاحكام الظّاهرة و آداب السّياسة ، و امّا خليفة له من الجهة الاخرى كالصّوفيّة الصّافية الطّويّة من الشّيعة الّذين كان تمام اهتمامهم بأحوال الباطن وأحكام القلب والنّزاع بين الفريقين بانكار كلّ طريقة الاخرى ناشٍ من الجهل بحقيقة الرّسالة والغفلة عن كيفيّة النّيابة، فانّ كلّاً اذا حصل له الاذن والاجازة كان نائباً في مرتبته مأجوراً في شغله مفروضاً طاعته اماماً في مرحلته محكوماً على الخلق بالرّجوع اليه والاخذ منه ، وكلّ منهما اذا لم يحصل له الاجازة كان نسناساً بل خنّاساً وشيطاناً مردوداً ، فالنّزاع ليس في محلّه بل الحقّ ان يبدل النّفاق بالوفاق ويرجع كلّ الى صاحبه فيما هو من شأنه ويأخذ منه فيتصالحا ، فانّ الظّاهر غير غنيّ عن الباطن والباطن لايستكمل بدون الظّاهر، وقصّة اتّباع موسى(ع) للخضر(ع) مع كونه افضل واعلى من الخضر بمراتب عديدة برهان على جواز رجوع الافضل في جهة الى من كان افضل منه في جهة اخرى ، فلابدّ ان يرجع صاحب الباطن الى عالم الشّرع في الاحكام الظّاهرة وصاحب الشّرع الى عالم الطّريقة في الاحكام الباطنة فاذا تصالحا وتوافقا فالاحسن ان يتظاهرا ويدفعا كلّ منافق كذّاب من مدّعي الفتيا والسّلوك عن ادّعائه ويظهرا بطلانه ويحفظا الدّين عن غوائل الشّياطين من الكذّابين وتلبّس بعض الزّنادقة بلباس الصّوفيّة ، وكذا تلبّس المتصوّفة من العامّة بلباسهم وصدور ماينافي الشّريعة عنهم قولاً وفعلاً لا يصير سبباً لطعن صوفيّة الشّيعة؛ فانّهم مراقبون كمال المراقبة في ان لايصدر عنهم مايخالف الشّريعة قولاً وفعلاً بل يقولون ترك القيد في ان يتقيّد الانسان بالشّريعة و يراقبون ان لا يجري على لسانهم غير ماجرى على لسان الشّريعة فكيف بفعلهم و اعتقادهم [فَإِنْ تَنٰازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ] يسير فكيف بالخطير خصوصاً النّبأ العظيم الّذي هو الخلافة [فَرُدُّوهُ إِلَى اللّٰهِ وَالرَّسُولِ] لم يقل والى اولى الامر لانّ المقصود الاصليّ انّه اذا وقع التّنازع بينكم في تعيين وليّ الامر فردّوه اليهما فاذ اعيّناه لكم فردّوا جميع اموركم اليه ، و في بعض الاخبار انّ الآية هكذا فان تنازعتم في شيءٍ فردّوه الى الله و الى الرّسول و الى اولى الامر منكم يعني ردّوا جميع ما خفتم التّنازع فيه الى قولهما فانّهما بيّنا جميع ما تحتاجون اليه ببيانه في الكتاب والسّنّة وبتعيين من عنده علم الكتاب فانّ قول الله اطيعوا الله(الى آخر الآية)وقوله انّما وليّكم الله (الى آخر الآية) في عليّ(ع) وقول محمّد(ص): من كنت مولاه(الحديث) بيّنا انّ الاولى بكم من انفسكم واحرى بالرّجوع اليه والاخذ منه والتّسليم له هو عليّ(ع) فان رددتم كلّما خفتم التّنازع فيه الى عليّ(ع) بعد ماردتم النّزاع الكلّيّ الى الكتاب والرّسول (ص) واخذتم بقولهما فيه لم يبق لكم ريب ونزاع في شيءٍ من الاشياء وان حكّمتم الرّجال دون الكتاب وقول الرّسول (ص) خرجتم من الرّشاد وطريق السّداد الى الحيرة والارتياب؛ هذا في الكبير ، و أمّا في العالم الصّغير فانّ تنازع النّفس وهواها والطّبيعة وقواها معكم في شيء من الاشياء فاعرضوه على الرّوح و العقل فكلّما ارتضاه العقل و صدّقه الرّوح فخذوه وكلّما لم يصدّقه العقل و ان كان النّفس ارتضته فاتركوه [إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللّٰهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ] يعني انّ الايمان بهما يقتضي ردّ كلّ مااشتبه عليكم الى الكتاب والسّنّة ومن عنده علمهما، وترك الرّجوع الى الكتاب والسّنّة ومبيّنهما دليل عدم الايمان بهما [ذٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً] من تحريفكم اولى الامر من معناه الى السّلاطين و وليّكم الى المحبّ ومولاه الى المحبّ حتّى يستقيم لكم رأيكم الباطل [أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمٰا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمٰا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحٰاكَمُوا إِلَى الطّٰاغُوتِ] اى الخارج من حكومة العقل الّذي هو

علیّ (ع) البالغ فی الطّغیان علیه [وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ] ای بمن خرج عن حکومة العقل وحکم الله [وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا] بعد ما بیّن وجوب طاعة الله فیما انزل و طاعة الرّسول فیما حکم و طاعة ولیّ الامر یعنی صاحب الامارة الباطنة وصاحب عالم الامر مقابل الخلق و بیّن وجوب الرّدّ الی کتاب الله و الی الرّسول (ص) وقد عیّن فی الکتاب وبیّن الرّسول من هو ولیّ الامر وترجمان الکتاب والسّنّة وقد لزم منه انّ من خرج عن طاعةالله وطاعة الرّسول(ص) ونبذ قولهما فی تعیین ولیّ الامر وراء ظهره لم یکن مؤمناً و ظهر ذلک بحیث لاخفاء فیه خاطب رسوله علی سبیل التّعجیب من بلادة من اتّبع الشّیطان باضلال الطّاغوت فانّ القضیّة وان لم تکن بعد لکنّها مشهودة لمحمّد (ص) فالآیة ان کانت نازلة فی الزّبیر بن العوّام ورجل من الیهود کما ورد انّ الزّبیر نازع یهودیاً فی حدیقة فقال الزّبیر: نرضی بابن شیبة الیهودیّ وقال الیهودیّ: نرضی بمحمّد(ص) فنزلت حرمة المحاکمة الی الطّاغوت وسلاطین الجور وقضاتهم، وحرمة مااخذ بحکمهم قد وردت عن ائمّتنا المعصومین، فعن الصّادق (ع) للاشارة الی تعمیم الآیة: ایّما رجل کان بینه وبین اخ له مماراة فی حقّ فدعاه الی رجل من اخوانه لیحکم بینه و بینه فأبی الّا ان یرافعه الی هؤلاء کان بمنزلة الّذین قال الله: الم تر الی الّذین یزعمون (الآیة)، وعنه (ع) انّه سئل عن رجلین من اصحابنا یکون بینهما منازعة فی دین اومیراث فتحاکما الی السّلطان او الی القضاة؛ ایحلّ ذلک؟ فقال: من تحاکم الی الطّاغوت فحکم له فانّما یأخذ سحتاً وان کان حقّه ثابتاً لانّه اخذ بحکم الطّاغوت وقد امر الله ان یکفر به، قیل: کیف یصنعان؟ قال: انظروا الی من کان منکم قد روی حدیثنا ونظر فی حلالنا وحرامنا وعرف احکامنا فارضوا به حکماً فانّی قد جعلته علیکم حاکماً فاذا حکم بحکمنا فلم یقبله منه فانّما بحکم الله استخفّ وعلینا ردّ، والرادّ علینا الرادّ علی الله وهو علی حدّ الشرک بالله.

تحقیق حدیث انظروا الی من کان منکم

و قد روی هذا الخبر فی الکافی بتغییر یسیر. **و قوله:** الی من کان منکم مقصوده من کان قد دخل فی هذا الامر وعرف ولایتنا وقبل الدّعوة الباطنة وبایع معنا البیعة الخاصّة الولویّة لامن انتحل الاسلام کاکثر العامّة اوبایع علی ید من لایجوز البیعة علی یده کخلفاء الزّور، **و قوله:** قد روی حدیثنا، مراده انّ العارف لهذا الامر لا ینصب نفسه لروایة الحدیث الّا ان یؤذن له بحسب استعداده واستحقاقه **وقوله:** نظر فی حلالنا وحرامنا یعنی به انّ الدّاخل فی هذا الامر مالم یستعدّ للنّظر فی حلالنا و حرامنا بخروجه من حکومة النّفس و الشّیطان و باصلاح نفسه بقدر استعداده من تخلیته عن الرّذائل و تحلیته بالفضائل لایؤذن له فی النّظر الی ما هو خارج عن نفسه بل یلقی الیه ما هو تکلیفه ویؤمر بالعمل به حتّی یخلص من غوائل نفسه فاذا خلص یؤذن له فی النّظر الی ما هو خارج عن نفسه، **وقوله:** عرف احکامنا، یعنی بسماع اشخاصها منّا اوبسماع کلّیاتها بحیث تنطبق علی الجزئیّات لانّ المعرفة تستعمل فی العلوم الجزئیّة الحاصلة من المدارک الجزئیّة **وقوله:** فارضوا به حکماً، یعنی انّ الاوصاف المذکورة تدلّ علی انّه منصوب منّا مأذون من قبلنا و کلّ من کان منصوباً منّا لابدّ من الرّضا بحکومته لانّ حکومته باذننا هی حکومتنا، **و قوله:** فانّی قد جعلته علیکم حاکماً، مؤکّداً بانّ و اسمیّة الجملة و تکرار النّسبة بتقدیم المسند الیه قریناً بقد و ما ضویّة المسند یدلّ مثل سابقه علی انّ الجعل والنّصب قد وقع منه سابقاً؛ فالحدیث دلیل علی الاذن الخاصّ الحاصل للموصوف بهذه الاوصاف وعلی انّ هذه الاوصاف امارات هذا الاذن. هذا فی الکبیر، وامّا فی الصّغیر فالمراد بالتّحاکم الی الطّاغوت التّحاکم الی الخیال وقبول حکومته باضلال شیطان الوهم وحیلته وهما مظهر الطّاغوت

والشّيطان فى الصّغير، فمن اكل و لبس ونكح وجمع المال بحكومة الخيال فهو آكل السّحت ، و شاركهم فى الاموال و الاولاد ، اشارة اليه، وقد امروا ان يكفروا بحكومته الخيال و يرجعوا الى كتاب القلب و رسول العقل ؛ وعلىّ الرّوح ، فمن رجع الى حكومة علىّ الرّوح الجارية على لسان رسول العقل الثّابتة فى كتاب القلب فكلّ مافعل فهو حلال وان كان يرى صورته خلافاً ، وكلّ مافعل بحكومة الخيال فهو حرام وان كان يرى صورته وفاقاً ، فالصّوم والصّلوة والحجّ والجهاد من اتباع الشّيطان سحت وعصيان، والنّوم والنّكاح والاكل والمزاح من اتباع علىّ (ع) طاعة واحسان . ونعم ماقال المولوىّ قدّس سرّه :

مشورت با نفس خود گر میکنی — هرچه گوید کن خلاف آن دنی
گر نماز و روزه میفرمایدت — نفس سکّار است سکری زایدت

وقوله تعالى :ولا تأكلوا ممّا لم يذكر اسم الله عليه ، وما لكم ألّا تأكلوا ممّا ذكر اسم الله عليه ، اشارة الى هذا، وقد قال المولوىّ روّح الله روحه:

هر چه گیرد علّتی علّت شود — کفر گیرد کاملی ملّت شود
از سموم نفس چون باعلّتی — هرچه گیری تو مرض را آلتی

[وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ] يعنى انّا ارينا ك القضايا الآتية والمنازعات المستقبلة ممّا سيقع بين علىّ (ع) واصحابه و بين المنافقين واحزابهم من المحاجّات والمنازعات ومن دعائهم الى كتاب الله والى ماقلت فى حقّه فكلّما قيل لهم تعالوا نجعل الكتاب وسنّة الرّسول حكماً [رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُوداً] صدّ عنه صدوداً بمعنى اعرض وصدّ عنه صداً بمعنى منع ،والمقصود انّهم يعرضون عن علىّ (ع) واتى به خطاباً لمحمّد(ص) امّا تعريضاً بعلىّ (ع) او للاشارة الى انّ الصدّ عن علىّ (ع) صدّ عنه لانّه ظهوره بعده وبمنزلة نفسه كما دلّ عليه آية انفسنا ، و فى الخبر اليه اشارة [فَكَيْفَ] حالك معهم [إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ] عقوبة من الله [بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءُوكَ] للاعتذار كذباً [يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَاناً] بك وبامّتك [وَتَوْفِيقاً] بينهم [أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ] من النّفاق و يستر عليهم [فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ] اى عن تفضيحهم ولا تعاقبهم و دارهم فانّ فى مداراتهم مصلحة كلّيّة لنظام الكلّ [وَعِظْهُمْ] اتماماً للحجّة و تقليلاً لاظهارهم نفاقهم [وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ] فى شأن علىّ (ع) فانّه نفسيّة كلّ ذى نفس او فى الخلوة او فى شأن انفسهم [قَوْلاً بَلِيغاً] يؤثّر فيهم ويمنعهم من اظهار نفاقهم حتّى لا يوافقهم كثير من امّتك فانّ اكثرهم بسبب قتل علىّ (ع) منهم اقاربهم يعادونه واذا رأوا من يعانده و ينافقه يوافقونه ، والمداراة مع هؤلاء المنافقين و موعظتهم وتخويفهم بحيث لا يجترؤن على اظهار نفاقهم مع غيرهم اصلح لحفظ امّتك عن النّفاق [وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ] عطف على قوله : اذا قيل لهم، وتنبيه على غاية شقاوتهم فى الآباء عن الرّجوع اليه(ص) [وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ] بالمعاهدة على معاندة علىّ (ع) و الاتّفاق على غصب حقّه تابوا و ندموا و [جَاءُوكَ] يعنى جاؤا علياً (ع) تعريضاً او لانّه مظهره [فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ] مخلصين عند علىّ (ع) [وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ] اى نفس الرّسول(ص) وهو علىّ (ع)

[لَوَجَدُوااللّٰهَ تَوّٰاباًرَحِيماً] فانّه جعل عليّاً (ع) بابه و مظهر رحمته فمن تاب عنده فاز بتوبة الله و رحمته [فَلاٰوَرَبِّكَ لاٰيُؤْمِنُونَ] لايصيرون متّصفين بالاسلام والايمان العامّ [حَتّٰى يُحَكِّمُوكَ] اويحكّموا عليّاً(ع) [فيمٰاشَجَرَبَيْنَهُمْ] اى فيما تنازعوا فيه من، شجرالامربينهم، بمعنى تنازعوا فيه [ثُمَّ لاٰيَجِدُوافِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجاًمِمّٰاقَضَيْتَ] انت اوعليّ(ع) [وَيُسَلِّمُوا] انفسهم لكَ اولعليّ(ع) [تَسْلِيماً] فى الكافى عن الباقر(ع) لقد خاطب الله امير المؤمنين(ع) فى كتابه فى قوله: ولو انّهم اذظلموا و تلا الى قوله فيما شجر بينهم قال فيما تعاقدوا عليه لئن امات الله محمّداً(ص) لايردّوا هذا الامر فى بنى هاشم ثمّ لايجدوا فى انفسهم حرجا ممّا قضيت عليهم من القتل اوالعفو ويسلّموا تسليماً، وامثال هذا من اسرار الكتاب الّتى لايعلمها الا من خوطب به والرّاسخون فى العلم يقولون كلّ من عند ربّنا ولقد بيّناوجه صحّته مع كون الخطاب ظاهراً لمحمّد(ص) [وَلَوْأَنّٰاكَتَبْنٰا] فرضنا [عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ] كفّارة لذنوبكم كما كتبناعلى بنى اسرائيل بعدعبادتهم للعجل [أَوِاخْرُجُوا مِنْ دِيٰارِكُمْ] بالجلاء [مٰافَعَلُوهُ إِلّٰاقَلِيلٌ مِنْهُمْ] تفضيح بليغ لهم ببيان انّ حالهم فى اتّخاذهم العجل باغواء سامريّهم اقبح واقوى فى الشّقاء من قوم موسى (ع) فانّهم ندموا وتابوا وبعد ندمهم كتبنا عليهم القتل ففعلوا وهؤلاء لا يندمون ولوندموا لا يفعلون ماكتب عليهم [وَلَوْأَنَّهُمْ فَعَلُوامٰايُوعَظُونَ بِهِ] من الرّجوع الى الكتاب والى قولك فى علىّ(ع) ومن الرّجوع اليه والرّضا بحكومته والتّسليم له بعدالتّندّم وطلب الاستغفارمنه [لَكٰانَ خَيْراًلَهُمْ وَأَشَدَّتَثْبِيتاً] لاقدامهم على الاسلام [وَإِذاًلَآتَيْنٰاهُمْ مِنْ لَدُنّٰاأَجْراًعَظِيماً] لانّه باب رحمتنا فلايردّ من اتاه خائباً [وَلَهَدَيْنٰاهُمْ صِرٰاطاًمُسْتَقِيماً] فانّ النّدم عن خلافهم معه وطلب المغفرة منه يوجب شمول رحمتنالهم، وبشمول رحمتنا يستحقّون الايمان والتّوبة الخاصّة على يده، وحينئذ يقبلهم ويتوب عليهم و يأخذ منهم البيعة الخاصّة الولويّة، ويفتح لهم باباً الى الصّراط المستقيم الّذى هو صراط القلب بل الطّريق الى الحضورعنده الّذى هو الحضور عندالله [وَمَنْ يُطِعِ اللّٰهَ وَالرَّسُولَ] بقبول امرهما فى علىّ(ع)، فاذا قبل ماقالافى علىّ(ع) رجع اليه والتجأ اليه، ومن التجأ اليه عن صدق صارمقبولاً عنده، ومن صارمقبولاً عنده رحمه و اخذ البيعة وميثاق الله منه وادخله فى ولايته، ومن ادخله علىّ (ع) فى ولايته [فَأُولٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللّٰهُ عَلَيْهِمْ] فانّ النّعمة الحقيقيّة هو علىّ(ع) وولايته فمابلغ من بلغ النّبوّة وكمالاتها الّا بولاية علىّ(ع)، ومااابتلى من ابتلى منهم الّا بالوقوف فى ولاية علىّ (ع) [مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدٰاءِ وَالصّٰالِحِينَ وَحَسُنَ أُولٰئِكَ رَفِيقاً] والنّبىّ هوانسان اوحى اليه بشيء، والصّدّيق هوالّذى خرج عن الاعوجاج قولاً وفعلاً وعقيدةً وخلقاً بحيث لا يبقى فيه اعوجاج و يخرج غيره ايضاً عن الاعوجاج فانّ المبالغة تقتضى ذلك والمراد بهم الاوصياء الّذين صارواكاملين فى أنفسهم مكمّلين لغيرهم، والشّهداء هم الّذين شهدوا الغيب بالسّلوك اوبالجذب و وصلوا الى مقام القلب و حضروا عند ربّهم فى الولاية الّذى هو علىّ (ع)، اوالمراد بهم الّذين استشهدوا فى الجهاد، والصّالحين ههنا هم الّذين توسّلوا بالولاية ولم يبلغوا مقاماً فيها لكن سلكوا عن صدق [ذٰلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللّٰهِ] ترغيب للنّاس وتحريص لهم على الولاية، وبشارة للمؤمنين بانّ الفضل الّذى ينبغى

ان يتنافس فيه ولا فضل سواه هوذلك التّرافق فمن طلب الفضل فليتولّ عليّاً (ع) وليدخل فى ولايته بالبيعة له [وَكَفىٰ بِاللّٰهِ عَلِيماً] بمقدار استحقاقكم وسلوككم فى طريق ولايته فيتفضّل عليكم بقدر طاعتكم وسلوككم فلايكتف من بايع عليّاً(ع) بالبيعة الولويّة بمحض البيعة وليطلب زيادة الفضل والدّرجة العليا [يٰاَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ] بعد ماذكر المنافقين وحالهم ومآلهم والموافقين وحالهم ومآلهم ، نادى المؤمنين شفقة بهم وحذّرهم عن صدّ المنافقين ايّاهم فأمرهم بأخذ الحذر وهو التّيقّظ والتّهيّوء للعدوّ وقد يستعمل فى السّلاح وهوما به التّيقّظ والاستعداد، فان كان المراد بالمؤمنين الّذين بايعوا البيعة العامّة الّتى هى الاسلام فالمراد بالحذر الظّاهر الاسلحة للجهاد الصّورىّ وبالحذر الباطن التّمسّك بقول محمّد(ص) فى علىّ(ع) والتّذكّر له مداماً كما قال (ص) فى خطبته قبل القاء ولاية علىّ(ع) عليهم توصيةً لهم: رحم الله امرءً سمع فوعى فوصّاهم بالحفظ وان كان المراد بهم الّذين بايعوا عليّاً (ع) وتابوا على يده ودخل بنفخته الايمان فى قلوبهم وهو الايمان حقيقة فالمراد بالحذر الصّورىّ الاسلحة ايضاً والمراد بالحذر الباطنىّ الصّلوة الّتى علّمها ايّاهم فانّها تنهى عن الفحشاء والمنكر، وانّها السّلاح الّذى تردع الشّياطين الجنّيّة والانسيّة عن باب الله الّذى هو الولاية [فَانْفِرُوا] الى الجهاد الصّورىّ الجلىّ مع الكفرة اوالصّورىّ الخفىّ مع المنافقين المبطّئين ، اوالى الجهاد الباطنىّ مع اعدائكم الباطنيّة المبطئين لكم عن سلوككم ورجوعكم الى باب القلب والحضور عند علىّ(ع) فى بيت القلب [ثُبٰاتٍ] جمع الثّبة بضمّ الثّاء بمعنى الجماعة والمعنى انفروا متدرّجين كما هو شأن الحازمين فى الغزو الظّاهرىّ وشأن السّالكين فى الغزو الباطنىّ [اَوِانْفِرُوا جَمِيعاً] مجتمعين كماهو شأن المتجلّدين المتجرّئين فى الغزو الصّورىّ وشأن المجذوبين فى النّفور الباطنىّ ولمّا كان المناسب بيان حالهم من السّلوك والتّرغيب فيه والتّبطئة منه قال تعالى فى ذلك: [وَإِنَّ مِنْكُمْ لَمَنْ لَيُبَطِّئَنَّ] عطفاً على محذوف هو قسيمه اى انّ منكم لمن يسرع فى النّفر اويبطوء فيقتل او يقتل واكتفى عنه بقوله : ومن يقاتل فى سبيل الله وفصّل احوال المبطّئين [فَاِنْ اَصٰابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ] ظاهره كالقتل والهزيمة والجراحة اوباطنه كالرّياضات والابتلاءات الّتى تكون فى الطّريق [قٰالَ قَدْ اَنْعَمَ اللّٰهُ عَلَيَّ اِذْ لَمْ اَكُنْ مَعَهُمْ شَهِيداً] فيرى السّلامة فى دار البلاء عن الابتلاء فى طريق دار الرّاحة نعمة والحال انّها نقمة اذا لم تكن فى طريق الآخرة ، اومع الانصراف عن الولاية ، فعن الصّادق(ع) لوقال هذه الكلمة اهل الشّرق والغرب لكانوا بها خارجين من الايمان ولكنّ الله قد سمّاهم مؤمنين باقرارهم ، وفى رواية : وليسوا بمؤمنين ولاكرامة، والسّرّ فيه، انّه ما لم يختر الدّنيا وهوى النّفس لايرى السّلامة فيها نعمة ، ومن اختارها لم يكن له حظّ من الايمان ، وباسم الايمان لا يحصل له كرامة بل الكرامة بالايمان الّذى هو قبول الدّعوة الباطنة والبيعة مع صاحبها بشرائطها و بكسب الخير فيه الّذى يؤدّى الى ايثار الآخرة على الدّنيا [وَلَئِنْ اَصٰابَكُمْ فَضْلٌ مِنَ اللّٰهِ] ظاهراً اوباطناً ولمّا كان القضيّة الاولى كأنّها مع من هو خالى الذّهن عن الحكم وسؤاله وانكاره حسن خلوّها عن التّأكيد وهذه لمّا كانت بعد الاولى وصار المخاطب بذكر قسيمها مستعدّاً للسّؤال عن القسيم الآخر اكّدها باللّام الموطّئة والقسم ولام القسم ونون التّأكيد استحساناً [لَيَقُولَنَّ كَاَنْ لَمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ يٰا لَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَاَفُوزَ فَوْزاً عَظِيماً] يعنى انّ الوصلة الايمانية تقتضى السّرور بتنعّمكم والحزن بمصيبتكم فالسّرور حين اصابتكم بسلامته والتّحسّر حين التّفضّل عليكم بعدم وصول الفضل اليه دليل على

مباينته لكم و ان كان موافقاً لكم بظاهر قوله ولذلك اتى بالجملة المعترضة بين القول ومقوله ، واذا كان حال المبطّئين على ما ذكر [فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللهِ] المؤمنون [اَلَّذِينَ يَشْرُونَ] اى يبيعون [الْحَيٰوةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ] اى الّذين باعوا على يد محمّد(ص) اوعلىّ(ع) انفسهم واموالهم بأنّ لهم الجنّة فصار حالهم ان يعطوا تدريجاً من المبيع ويأخذوا على حسبه من الثّمن [وَمَنْ يُقَاتِلْ] عطف على محذوف جواب لسؤال مقدّر تقديره : من لم يقاتل فهو ملحق بالمبطّئين اوحال عن الّذين يشرون [فِي سَبِيلِ اللهِ] اى حال كونه فى سبيل الله او فى حفظ سبيل الله [فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً] يعنى كلاهما له فلاينبغى ان يطلب بجهاده الغلبة بل اعزاز نفسه بامتثال الامر واعزاز الدّين ببذل نفسه اوغلبته ، روى عن النّبىّ(ص) انّه قال: للشّهيد سبع خصال من الله ، اوّل قطرة مغفور له كلّ ذنب ، والثّانية يقع رأسه فى حجر زوجيه من الحور العين وتمسحان الغبار عن وجهه ، الى ان قال : و الثّالثة يكسى من كسوة الجنّة ، و الرّابعة يبتدر خزنة الجنّة بكلّ ريح طيّبة ايّهم يأخذه منه ، والخامسة ان يرى منزله ، والسّادسة يقال لروحه: اسرع فى الجنّة حيث شئت ، والسّابعة ان ينظر فى وجه الله و انّها الرّاحة لكلّ نبىّ و شهيد [وَمَا لَكُمْ] اىّ منفعة لكم او اىّ مانع لكم و الجملة عطف على قوله ليقاتل اوحال اومعطوف على مقدّر تقديره: اذا كان القتال لكم مطلقاً فمالكم لاترغبون؟ ! فيه ومالكم [لَا تُقَاتِلُونَ] استيناف جواب لسؤال مقدّر اوحال عن المجرور [فِي] تقوية [سَبِيلِ اللهِ] اوحفظها وهى الولاية فانّها سبيل الله حقيقة وكلّما انشعب منها اواتّصل بها فهو سبيل الله بتبعها [وَالْمُسْتَضْعَفِينَ] عطف على الله اوعلى سبيل الله سواء كان المراد بهم الائمّة واتباعهم واولادهم الّذين عدّهم اشباه النّاس ضعفاء اوجعلوهم ضعفاء بمنع فيئهم وقتل انصارهم ام كان المراد بهم ضعفاء العقول من الشّيعة اوغيرهم ، والمعنى مالكم لاتقاتلون الاعداء الظّاهرة للولاية فى تقوية الولاية واعلائها واعلانها بأيديكم والسنتكم واموالكم ببذلها للاعداء فى اسكاتهم اوببذلها لمن يدافعهم و يسكتهم و الاعداء الباطنة لها بالسنتكم باذكارها و بجوارحكم باعمالها و بقواكم الّتى هى اموالكم الباطنة ببذلها حتّى تدفعوا اعداءها عنها و فى تقوية الّذين عدّهم الاعداء اوجعلوهم ضعفاء من الائمّة واتباعهم وفى نصرتهم ، اوتقوية المعدودين من الضّعفاء بدفع الشّبه الواردة عليهم من الاعداء وهم شيعة ائمّة الهدى(ع)، اوفى تقوية الضّعفاء من جنود وجودك الّتى عدّهم الشّيطان وجنوده اوجعلوهم ضعفاء ، او فى حفظ المعدودين من ضعفاء العقول عن الهلاك و الضّياع [مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ] لا قوّة لهم على مدافعة الاعداء و [يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هٰذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا] ان كان النّزول فى ضعفاء مكّة فلا اختصاص لها بهم كما فى الخبر فالقرية مكّة وكلّ قرية لايجد الشّيعة فيها وليّاً من الامام ومشايخهم وكلّ قرية وقع بها الائمّة بين منافقى الامّة وقرية النّفس الحيوانيّة الّتى لايجد الجنود الانسانيّة فيها وليّاً ويطلبون الخروج منها الى قرية الصّدر ومدينة القلب ويسألون الحضور عند امامهم اومشايخهم فى بيت القلب خالياً عن مزاحمة الاغيار بقولهم [وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيّاً وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيراً] تكرار اجعل لانّ مقام التّضرّع والابتهال يناسبه التّطويل والالحاح فى السّؤال ولانّ المسؤل ليس شخصاً واحداً ولو كان واحداً لم يكن مسؤلاً من جهة واحدة بل المسؤل محمّد (ص) و علىّ(ع)، اوالمسؤل محمّد(ص) من جهة هدايته ومن جهة نصرته، اوعلىّ(ع) كذلك وقد بقى بين الصّوفيّة ان يكون التّعليم والتّلقين بتعاضد نفسين متوافقتين يسمّى احد-

الشّخصين هادياً والآخر دليلاً، والشّيخ الهادى له الهداية و تولّى امور السّالك فيما ينفعه و يجذبه و الشّيخ الدّليل ينصره لمدافعة الاعداء ويخرجه من الجهل والرّدى بدلالته طريق التّوسّل الى شيخ الهدى ، وفى الآية اشارة الى انّ السّالك ينبغى له ان يطلب دائماً حضوره عند شيخه بحسب مقام نورانيّته ومقام صدره وهو معنى انتظار ظهور الشّيخ فى عالمه الصّغير و امّا ظهور الشّيخ بحسب بشريّته على بشريّة السّالك فلا يصدق عليه انّه من لدن الله واذا ظهر الشّيخ بحسب النّورانيّة كان وليّاً من لدن الله ونصيراً من لدنه [اَلَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ] حال او مستأنف فى مقام التّعليل و المعنى لاينبغى لكم ترك المقاتلة لانّ الانسان لا يخلو عن المقاتلة و اكتفى عن نسبة المقاتله بطريق العموم و الاستمرار الى الانسان بنسبة المقاتلة الى الفريقين و الاتيان بالمضارع الدالّ على الاستمرار التّجدّدىّ ولانّ المؤمنين يقاتلون فى سبيل الله وقدمضى انّه من يقاتل فى سبيل الله فالعاقبة له سواء غلب اوغلب [وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ] و من يقاتل فى سبيل الطّاغوت لاتجد له نصيراً كما مضى انّ المؤمنين بالجبت والطّاغوت لعنهم الله ومن يلعن الله فلن تجد له نصيراً ولاتجد له ظهيراً ، لانّ الشّيطان يعدهم وما يعدهم الّا غروراً وبعد ما يوقعهم فيما يريد يفرّ عنهم .

اعلم انّ نفس المقاتلة والمعارضة مع الاعداء لاتكون الّا عن قوّة القلب الّتى هى مبدء كثير من الخيرات كالشّجاعة والسّخاوة والعفّة والجرأة والشّهامة وغيرها وتورث قوّة للقلب، واذا كان باذن وامر من الله يورث توكّلاً تامّاً وعاقبة محمودة و يوجد للمجاهد ناصر ومظاهر من الله ولذلك ورد التّأكيد فى امر الجهاد ومدح المجاهدين و ذمّ القاعدين من غير عذر [فَقَاتِلُوا] الجملة جزاء شرط محذوف مستفاد من السّابق تقديره : اذا كان المؤمنون يقاتلون فى سبيل الله والكافرون يقاتلون فى سبيل الشّيطان فقاتلوا ايّها المؤمنون [أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ] ابدل من الكافرين اولياء الشّيطان اشعاراً بذمّ آخر لهم [إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفاً] ترغيب و تجرئة للمؤمنين [أَلَمْ تَرَ] الخطاب لمحمّد(ص) اولكلّ من يتأتّى منه الخطاب والمقصود التّنبيه على حال القاعدين و انّهم كالنّساء فى الجبن و ضعف القلب حتّى يكون ترغيباً فى الجهاد وتحذيراً عن القعود كأنّه قال: انظر [إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ] عن القتال والستتكم عن الجدال كما اشير اليه فى الخبر [وَأَقِيمُوا الصَّلٰوةَ وَآتُوا الزَّكٰوةَ] حتّى تعلم فضيلة الجهاد وانّ الّذين يقعدون عن القتال مع الاعداء الظّاهرة اوالباطنة لا تمكّن لهم فى شيء من صفات الرّجال بل يكون حالهم كحال النّساء فى ابتغائهنّ الرّاحة و البقاء و خوفهنّ عن مجاهرة الاعداء ، وان كان الخطاب للنّبىّ(ص) فالتّعريض بالامّة، ونزولها ان كان فى مؤمنى مكّة قبل هجرة الرّسول او قبل هجرتهم بعد هجرة الرّسول فهى جارية فى كلّ زمان وزمان كلّ امام ، فعن الباقر(ع) انتم والله اهل هذه الآية، وعن الصّادق(ع) : كفّوا ايديكم يعنى كفّوا الستتكم، وعن الباقر(ع) : كفّوا ايديكم مع الحسن(ع) كتب عليهم القتال مع الحسين (ع) الى اجل قريب الى خروج القائم عجّل الله فرجه فانّ معه الظّفر [فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ] لعدم تدرّبهم الجهاد وعدم تمكّنهم فى صفات الرّجال [يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا] لضيق صدورهم عن مجاهرة الاعداء [رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلَا أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ] زمان دولة المؤمنين وتلك الاحوال قدتعرض للسّالك فيؤمر بالعزلة عن الخلق والصّمت عن المجادلة والمكالمة من غير ضرورة ثمّ يؤمر بالمعاشرة والمدافعة عن اخوانه و قضاء

حوائجهم فيضيق صدره عن ذلك ولا يتمالك نفسه حتّى يصدر عنه مثل هذه المقالات ، وصدور مثل هذه المقالات عن الكافّين دليل فضيلة المقاتلة وشرف المعاشرة [قُلْ] لهم [مَتٰاعُ الدُّنْيٰا] تمتّعها واعراضها الّتى هى مرغوبة للنّساء [قَلِيلٌ] بحسب المقدار و الكيفيّة و البقاء [وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقٰى] عن التّعلّق بمتاع الدّنيا وتسارع الى قتال الاعداء [وَلٰا تُظْلَمُونَ فَتِيلاً] حتّى تخافوا ان لا توجروا على متاعبكم فان كنتم تخافون الموت وفراق الدّنيا كالنّساء فاعلموا انّ الآخرة الّتى تفرّون منها خير لكم وان تسألوا انّ الفرار من القتال هل يورث البقاء؟ فيقال فى الجواب [أَيْنَمٰا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ] قصور مرتفعة ، فالجملة مستأنفة جواب لسؤال مقدّر من الله اومقول قول الرّسول (ص) ثمّ صرف الخطاب عنهم الى محمّد (ص) فقال لكن ان تعظهم بكلّ عظة لا يفقهوا [وَإِنْ تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هٰذِهِ مِنْ عِنْدِ اللّٰهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هٰذِهِ مِنْ عِنْدِكَ] مثل قولهم لم كتبت علينا القتال (الى آخر الآية) [قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللّٰهِ] فانّ الفاعل فى كلّ موجود هو الله وليس منكم الّا استعداد القبول والسّيّئة والحسنة منسوبة اليكم نسبة الشّيء الى القابل ومنسوبة الى الله نسبة الشّيء الى الفاعل، لكنّ السيّئات اى الاعدام اوالموجبات للاعدام لمّا كان الوجود فيها ضعيفاً بحيث عدّها بعضهم اعداماً صرفة تكون نسبتها الى الفاعل ضعيفة لضعف الوجود فيها والنّسبة الى الفاعل لا تكون الّا من حيث الوجود ، وتكون نسبتها الى القابل اقوى لتبعيّتها لاعدام القابل فيكون القابل اولى بها ، والحسنات لمّا كان الوجود فيها قويّاً تكون نسبتها الى الفاعل اقوى فيكون الفاعل اولى بها [فَمٰالِ هٰؤُلٰاءِ الْقَوْمِ لٰا يَكٰادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثاً] فيتخالطون فى الكلام كتخالط النّساء [مٰا أَصٰابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ] جواب لسؤال نشأ من قوله: قل كلّ من عند الله كأنّ قائلاً يقول : فلا نسبة لها اليهم ولا تفاوت فى نسبة الجميع الى الله فقال : ما اصابك من حسنة [فَمِنَ اللّٰهِ وَمٰا أَصٰابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ] والخطاب امّا لغير معيّن اولمحمّد (ص) من قبيل : ايّاك اعنى واسمعى يا جارة ، والسرّ فى اختلاف النّسبتين ما عرفت [وَأَرْسَلْنٰاكَ لِلنّٰاسِ رَسُولاً] لا فاعلاً للخير والشّر فلا وجه للتطيّر بك [وَكَفىٰ بِاللّٰهِ شَهِيداً] فما يضرّك عدم اقرارهم برسالتك [وَمَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ] وضع المظهر موضع المضمر اشارة الى التّعليل [فَقَدْ أَطٰاعَ اللّٰهَ] فى قوله اطيعوا الرّسول ، اولانّه مبلّغ والآمر والنّاهى هو الله ، اولانّ الرّسول (ص) لمّا فنى من نفسه وبقى بالله ونسبته الى الله اقوى من نسبته الى بشريّته، وظهور الله فيه اتمّ من بشريّته كما قال: من رآنى فقد رأى الحقّ ، فمن اطاعه من حيث ظهور بشريّته يعلم انّه اطاع الله قبل حيثيّة بشريّته و لذلك اتى بالماضى مصدّراً بقد للدلالة على مضيّه لتقدّم نسبته الى الله وظهوره فيه على نسبته الى بشريّته [وَمَنْ تَوَلّٰى] الاتيان بالماضى مع كون الفعل فى المعطوف عليه مستقبلاً لكون الاطاعة امراً يحدث بعد ما لم يكن على سبيل التّجدّد والتّولّى امر مفطور عليه لا تجدّد فيه سوى البقاء عليه فقد تولّى عن الله فلا تتحسّر عليهم لتوليهم عنك [فَمٰا أَرْسَلْنٰاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظاً] حتّى تتحسّر على عدم حفظك ايّاهم [وَيَقُولُونَ] بألسنتهم شأننا [طٰاعَةٌ] لك فى علىّ (ع) كأنّه قال لكنّهم يطيعون بألسنتهم ويتولّون بقلوبهم ويقولون بألسنتهم شأننا طاعة [فَإِذٰا بَرَزُوا مِنْ عِنْدِكَ بَيَّتَ طٰائِفَةٌ مِنْهُمْ] ودبّروا ليلاً [غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ] انت فى علىّ (ع) او تلك الطّائفة من الطّاعة لك فى علىّ (ع) فيقولون

ويتعاقدون على ان يمنعوا علياً (ع) من الخلافة [وَاللّٰهُ يَكْتُبُ مٰا يُبَيِّتُونَ] تسلية للرّسول (ص) و تهديد لهم [فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ] ولاتؤاخذهم فانّه اصلح لكَ لعدم افتتان سائر امّتك [وَتَوَكَّلْ] فى جملة امورك خصوصاً فيما تهتمّ به من خلافة علىّ(ع) [عَلَى اللّٰهِ وَكَفٰى بِاللّٰهِ وَكِيلاً] فانّه لاحاجة له الى معاون فى امضاء امر ولاالى مشاور فى استعلام امرٍ [أَفَلاٰ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ] وانّه من عندالله حتّى يعلموا صدقك و رسالتك فلا يبيّتوا خلاف طاعتك، والتّدبّر كالتفكّر [وَلَوْ كٰانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللّٰهِ] عطف على القرآن باعتبار انّ التّدبّر يتعلّق بنسبة الجملة لكنّ الفعل معلّق بلواوالجملة حاليّة [لَوَجَدُوا فِيهِ اِخْتِلاٰفاً كَثِيراً] لانّ فيه بصورته تخالفاً وتناقضاً لكنّه لمّاكان من عندالله وَلّه بحسب العوالم العديدة بطون وجهات كان كلّ من المتخالفات منزّلاً على عالم اوعلى جهة اوالمعنى انّه لوكان من عندغيرالله كما قالوا انّما يعلّمه بشر، و انّه افتراء لوقعَ فيه التّخالف لانّ الكذب لعدم ابتنائه على اصلٍ اوشهود لايقع بين اجزائه توافق ولكن ليس فيه تخالف حقيقة [وَإِذٰا جٰاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذٰاعُوا بِهِ] عطف على مجموع اذابرزوا من عندك، اوعلى جزائه اعنى بيّت طائفة، او عطف على لايتدبّرون القرآن، او على مجموع افلايتدبّرون القرآن باعتبار المقصود، اوحال يعنى اذا جاءهم خبر من سراياك او من جانب العدوّ او من قولك بوعد الفتح او الوعيد من العدوّ اذاعوه لعدم توكّلهم وعدم ثباتهم فى الايمان، وكذا اذاجاءهم امر فى باطنهم من المنامات اوالحالات اوالخيالات والخطرات المبشّرة اوالمخوّفة اذاعوه [وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلىٰ أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ] اى وكلوه اليهم ولايتكلّموا فيه بشيءٍ اواظهروه عليهم لاعلى غيرهم [لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ] امّا من قبيل وضع الظّاهر موضع المضمر اشعاراً بانّهم اهل الاستنباط، اوالمراد باولى الامر اعمّ من امراء السّرايا، والمستنبطون هم الرّسول (ص) واوصياؤه(ع) [وَلَوْلاٰ فَضْلُ اللّٰهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ] خاطبهم تفضّلاً و تطفّلاً لمحمّد (ص) وعلىّ (ع) بعد ما ذمّهم على ضعف عقيدتهم وسوء صنيعتهم، وفضل الله هوالرّسالة، ولمّاكان الرّسالة من شؤن الرّسول وسعة صدره ومتّحدة معه صحّ تفسيره بالرّسول وهوههنا محمّد(ص) ورحمته هى الولاية والولاية ايضاً متّحدة مع الولىّ فصحّ تفسيرها به و هو ههنا علىّ (ع) و لذلك فسّرا بمحمّد (ص) وعلىّ (ع) فى اخبارنا، ولمّاكان محمّد(ص) اصلاً فى الولاية وان كانت الرّسالة فيه اظهر وعلىّ(ع) خليفة فى الرّسالة وان كانت الولاية فيه اظهر صحّ تفسير الفضل بعلىّ(ع) والرّحمة بمحمّد(ص) كما فى الخبر، يعنى انّا لانخذلكم مع سوء صنيعكم بواسطة محمّد(ص) وعلىّ(ع)، ولولا محمّد(ص) وعلىّ(ع) قائماً عليكم حافظاً لكم [لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطٰانَ إِلاّٰ قَلِيلاً فَقٰاتِلْ فِي سَبِيلِ اللّٰهِ] يعنى اذاعلمت حال قومك من الجبن والفشل والتّبيت بخلاف طاعتك وعدم حفظهم لما سمعوا من الاخبار وتوكّلت على الله وعلمت كفايته لك فقاتل فى حفظ سبيل الله واعلائه، اوحالكونك فى سبيل الله، او فى ولاية علىّ (ع) فانّها سبيل الله وعلىّ (ع) بنفسه ايضاً سبيل الله ولاتبال باعانة قومك و عدمها [لاٰ تُكَلَّفُ إِلاّٰ نَفْسَكَ] اى الا فعل نفسك اواصلاحها اواصلاح علىّ(ع) لانّه نفسك والجملة حال اومستأنفة جواب لسؤال مقدّر فى مقام التّعليل اوفى مقام بيان الحال [وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ] لانّك ان لم تحتج اليهم فانّهم محتاجون اليك فى اصلاحك لهم والمقاتلة اصلاح لهم لانّها تورث التّشجّع والتّمكّن والثّبات والتّوكّل

[عَسَى اللّٰهُ اَنْ يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا] يعنى قريشاً على ماروى انّها نزلت فى موعد بدر الصّغرى وتثبّط القوم عن الخروج فخرج (ص) وما معه الّا سبعون رجلاً [وَاللّٰهُ اَشَدُّ بَأْساً وَاَشَدُّ تَنْكِيلاً] اى تعذيباً من الكفّار عطف على مايستفاد من ذكر بأس الكفّار يعنى لهم بأس والله اشدّ بأساً اوحال عن الله اوعن الّذين كفروا ؛ ولمّا قال حرّض المؤمنين بعد الاشارة الى استغنائه عن الغير وكفاية الله له وامره بالقتال وحده صار المقام مناسباً لان يقال : ولم امرت بتحريض المؤمنين؟ـ اوصار المقام مقام ان يقال: الا ادلّ الكفار على الخير والانصحهم وكيف حال من نصحهم وما ينبغى ان يفعل المؤمنون بمن نصحهم ؟ـ فقال جواباً لذلك [مَنْ يَشْفَعْ شَفٰاعَةً حَسَنَةً] فهو استيناف جواب لسؤال مقدّر واقع موقع التّعليل اوموقع بيان الحال ومعناه من ضمّ عملاً حسناً الى عملٍ حسنٍ آخر ، اومن ينضمّ الى صاحبه ويشاركه فى عملٍ حسنٍ ، اومن يصلح بين اثنين اومن يطلب ويسأل من غيره لصاحبه خيراً اودفع ضرّاً وترك عقوبة سواء كان ذلك من الخلق اومن الله اومن يدعو لصاحبه بخيرٍ من «شفع» اذا دعا له اودعا عليه ، اومن يدعو صاحبه الى خيرٍ او من يعين صاحبه على خيرٍ او من يدلّ صاحبه على خيرٍ والكلّ يمكن ان يستفاد من هذه العبارة و الكلّ صحيح [يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهٰا] النّصيب والكفل الحظّ و ما يعطى من القسمة لكن استعمال النّصيب فيما فيه حظّ صاحبه اكثر من استعماله فيما فيه تعبه والكفل بالعكس من ذلك [وَمَنْ يَشْفَعْ شَفٰاعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْهٰا] توصيف الشّفاعة بالحسن و السّوئة باعتبار متعلّقها [وَكَانَ اللّٰهُ عَلٰى كُلِّ شَيْءٍ مُقِيتاً] مقتدراً اوحافظاً لايفوته شفاعة شفيع ولاكيفيّتها ولاقدرها [وَاِذٰا حُيِّيتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِاَحْسَنَ مِنْهٰا اَوْ رُدُّوهٰا] عطف على من يشفع الى آخر الآية وجواب آخر للسّؤال السّابق وهو ما يفعل المؤمنون بمن نصحهم و ان كان هو فى نفسه من الآداب المهمّة المحتاجة الى البيان لكن ادّاه بحيث يكون مرتبطاً بسابقه ليفيد تأكيداً بتقدير السّؤال ، والتّحيّة فى العرف هى التّسليم لكنّ المراد منها معنىً اعمّ من التّسليم وهو ايصال الخير الى الغير بنحو الشّفقة والتّعظيم من تسليم ودعاء وثناء وتعظيم وهديّة ، وكتابة فيها تعظيم وشفقة وزيارة وغير ذلك ممّا يدلّ على عظمة المحيىّ فى قلب المحيىّ ومحبوبيّته له ، لكن اذا كان لمحض الشّفقة والمحبّة لا للاغراض الّتى فشت بين اهل الرّسوم حتّى يتأنّف العالى ظاهراً عن التّسليم على الدّانى وينتظر تسليمه و يتأنّف عن زيارته بدواً الّا عوضاً عن زيارته ؛ وهكذا الحال فى غيرهما فما اشتهر بين الفرس من قولهم «دید مستحبّ ؛ بازدید واجب» صحيحٌ ان لم يكن مشوباً بالاغراض الفاسدة وان كان مشوباً فالزّيارة مذمومة وعوضها ايضاً مذموم ، ولذلك ورد من زار أخاه المؤمن فى بيته من غير عوضٍ ولا غرضٍ كان كمن زار الله فى عرشه ، وخلوص اعمال اهل الدّنيا من الاغراض الفاسدة محال والمخالطة معهم مؤثّرة فى النّفوس الضّعيفة، فالاولى للسّالك مهما امكن ترك مخالطتهم حفظاً لنفسه عن استراق الاغراض منهم، الّا ان تكون تقيّة لحفظ عرضٍ اومالٍ اونفس اوشفقة لاصلاح حال ، فانّها حينئذ تكون واجبة وان احتمل استراق النّفس. والمراد بردّها ليس ردّ عينها ان كانت من الاعراض الدّنيويّة فانّه لايردّ الاحسان الّا الحمار بل ردّ مثلها مثلاً اذا قال: سلام عليكم ، فقال : سلام عليكم فهو ردّها ، وان قال : سلام عليكم ورحمة الله فهو أحسن ، واحسنيّتها اعمّ من ان تكون بالزّيادة عليها اوبتغيير هيئتها الى احسن منها ؛ كما قال ابراهيم (ع) سلام فى جواب الملائكة حين قالوا سلاماً ، عدولا من النّصب الى الرّفع للدّلالة على الدّوام ، ويختلج ببالى ان ادوّن الرّسوم العاديّة والآداب المستحبّة ان وفّقنى الله ان شاء الله ليكون السّالكون على بصيرةٍ منها ، واذا ارتكبوها لايكون عن عمى وعادةٍ

صرفة [إِنَّ اللّٰهَ كٰانَ عَلىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِيباً] فيحاسبكم على تحيّاتكم وقدرها ويحاسبكم ايضاً على اغراضكم فيها فلا تخالطوها بالاغراض [اَللّٰهُ لٰا إِلٰهَ إِلّٰا هُوَ] استيناف مشير الى التّعليل للسّابق وتمهيد للّاحق [لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلىٰ يَوْمِ الْقِيٰامَةِ لٰا رَيْبَ فِيهِ] فى الجمع او فى اليوم، استيناف او حال عن اليوم [وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللّٰهِ حَدِيثاً] استفهام انكارىّ والجملة معطوفة على جملة القسم و المقسم عليها او حاليّة و تمهيد للانكار الآتى [فَمٰا لَكُمْ فِي الْمُنٰافِقِينَ فِئَتَيْنِ] حال من الضّمير المجرور يعنى لاينبغى لكم ان تتفرّقوا فرقتين فيمن حكم الله بكفرهم عن الباقر (ع) انّها نزلت فى قوم قدموا من مكّة و اظهروا الاسلام ثمّ رجعوا اليها فأظهروا الشّرك ثمّ سافروا الى اليمامة فاختلف المسلمون فى غزوهم لاختلافهم فى اسلامهم وشركهم [وَاللّٰهُ أَرْكَسَهُمْ] ردّهم فى الكفر [بِمٰا كَسَبُوا أَتُرِيدُونَ أَنْ تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللّٰهُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللّٰهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلاً وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمٰا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوٰاءً] كما هو ديدن النّاس فانّ كلّ ذى مذهب و طريق خاصّ يودّان يكون كلّ النّاس على طريقه و الآية جارية فى الانسان الصّغير ايضاً و تعريض بمنافقى الامّة المرتدّين بعد محمّد (ص) بانكار قوله فى علىّ (ع) و عدم هجرتهم من دار شركهم النّفسانيّة الى دار الاسلام و الايمان العلويّة الولويّة ان لم يكن تنزيلها فيهم [فَلٰا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيٰاءَ] بعد حكمه تعالى عليهم بالضّلالة [حَتّىٰ يُهٰاجِرُوا] عن اوطان المشركين اليكم [فِي سَبِيلِ اللّٰهِ] ظرف ليهاجروا او حال عن الفاعل يعنى يهاجروا بنيّات صادقة لا بنيّات منحرفة الى الشّيطان او يهاجروا عن دار شركهم فى ولاية علىّ (ع) الى علىّ (ع) [فَإِنْ تَوَلَّوْا] عن المهاجرة الصّحيحة صورة اليكم او باطناً الى علىّ (ع) [فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ] كما فعل محمّد (ص) بالمرتدّين فى زمانه وعلىّ (ع) بالمرتدّين فى زمانه كاصحاب الجمل والصّفين والنّهر وان [وَلٰا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وَلِيّاً وَلٰا نَصِيراً] ظاهراً ولا باطناً اى لا تبايعوهم بالبيعة العامّة المحمّديّة ولا الخاصّة العلويّة، او لا تتّخذوا منهم حبيباً ولا تستنصروا بهم [إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثٰاقٌ] فلا تتّخذوهم اولياء ولا تقتلوهم حفظاً للميثاق من جميع الوجوه [أَوْ جٰاؤُكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَنْ يُقٰاتِلُوكُمْ] فلا يكونوا عليكم [أَوْ يُقٰاتِلُوا قَوْمَهُمْ] فلايكونوا معكم فانّهم لحصر صدورهم عن مقاتلتكم يستحقّون الرّفق لا الاخذ و القتل، و نزول الآية مذكور فى التّفاسير و تعميمها سهل على البصير [وَلَوْ شٰاءَ اللّٰهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقٰاتَلُوكُمْ فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقٰاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ فَمٰا جَعَلَ اللّٰهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلاً] بالاخذ والقتل [سَتَجِدُونَ آخَرِينَ] استيناف و تنبيه على حال المختدعين و بيان لحكمهم [يُرِيدُونَ أَنْ يَأْمَنُوكُمْ] خدعة [وَيَأْمَنُوا قَوْمَهُمْ] وفاقاً حالكونهم [كُلَّمٰا رُدُّوا إِلَى الْفِتْنَةِ] اى القتال معكم فالجملة حال او استيناف جواب سؤال مقدّر [أُرْكِسُوا فِيهٰا] انقلبوا عن اظهار الوفاق الى القتال معكم [فَإِنْ لَمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيُلْقُوا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ وَيَكُفُّوا أَيْدِيَهُمْ] عطف على المنفىّ [فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأُولٰئِكُمْ جَعَلْنٰا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطٰاناً مُبِيناً] تسلّطاً ويداً او حجّة لغدرهم [وَمٰا كٰانَ

لِمُؤْمِنٍ] ما صحّ ومالاق بحاله [اَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِناً] بغير حقّ [اِلّا خَطَأً] استثناء من لازمه اى فيعذّب على كلّ حال الاخطأ [وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِناً خَطَأً] [فَ] عليه [تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ] كفّارة له [وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ اِلىٰ اَهْلِهِ] لئلّا يهدر دم امرء مسلم [اِلّا اَنْ يَصَّدَّقُوا] يتصدّقوا بالعفو فانّ التّصدّق يطلق على كلّ معروف [فَاِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ] من عطف التّفصيل على الاجمال [فَ] عليه [تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ] من غير دية لعدم التّسبيل للكافر على المسلم [وَاِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ] [فَ] عليه [دِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ اِلىٰ اَهْلِهِ] حفظاً للميثاق [وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ] قدّم الدّية ههنا للاهتمام ببيانها فانّه يتراءى ان لايكون لهم كفّاراً عليه دية مسلّماً ، واخّرها فى الآية السّابقة لانّها حقّ النّاس والتّحرير حقّ الله [فَمَنْ لَمْ يَجِدْ] رقبة ولاثمنها [فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِنَ اللّٰهِ] سبب توبة من الله [وَكَانَ اللّٰهُ عَلِيماً] بوضع الاحكام [حَكِيماً] يضعها على غايات محكمة [وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُتَعَمِّداً فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِداً فِيهَا وَغَضِبَ اللّٰهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَاَعَدَّ لَهُ عَذَاباً عَظِيماً] تهديد بمالم يهدّد به احداً من اصحاب الكبائر ، والتّعمّد المورث للوعيد الشّديد كما فى الاخبار ان يقتله من جهة ايمانه عالماً به لا ان يقتله لغضب او جدل او حقد له من جهة اخرى فانّه و ان كان عمداً فهو من وجه خفي مشوب بالخطأ ، ومن قتل مؤمناً من جهة ايمانه كان كمن قتل صاحبه ومن قتل صاحبه وهو الامام لاخلاص له من النّار ولاتوبة له ، اولايوفّق للتّوبة كما فى الاخبار ، ولذلك ورد انّ غيبة المؤمن اشدّ من الزّنية ، اومن سبعين زنية ، اومن سبعين زنية تحت الكعبة ، وفى بعض الاخبار مع المحارم ، والسّر ماذكرنا ، فانّ ذكر المؤمن بالسّوء من جهة ايمانه ذكر صاحبه بالسّوء وذكر الامام بالسّوء من اكبر الكبائر [يٰا اَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اِذَا ضَرَبْتُمْ] بارجلكم الارض [فِي سَبِيلِ اللّٰهِ] اى سافرتم فى الجهاد تأديب للمجاهدين باصلاح النّيّة فى الجهاد حتّى لايغلب الهوى على امر الله [فَتَبَيَّنُوا] فبالغوا فى طلب ظهور الامر من الكفر و الايمان ممّن تلاقونه و قرئ فتثبّتوا بمعنى التأنّى و التّأمّل و المقصود واحد يعنى لا تعجلوا فى القتل قبل التيقّن بكفرهم [وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ اَلْقىٰ اِلَيْكُمُ السَّلَامَ] وقرئ السّلم يعنى الانقياد والتّسليم او تحيّة الاسلام اظهاراً لاسلامه بشعار الاسلام [لَسْتَ مُؤْمِناً تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيٰوةِ الدُّنْيَا] اى لاتنكروا اسلامه لابتغاء ماله بقتله بل تبيّنوا أمره فان ظهر اثر الصّدق فلاتقتلوه [فَعِنْدَ اللّٰهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ] اى لاتقولوا ذلك ولا تقتلوه فانّكم ان لاتقولوا تستحقّوا مغانم اكثر من غنيمته من الله فعند الله مغانم كثيرة مبذولة لمن امتثل امره ونهيه فأقيم السّبب مقام الجواب [كَذٰلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ] كافرين و متزلزلين و مظهرين للاسلام بالسنتكم من غير علم بمواطاة القلوب [فَمَنَّ اللّٰهُ عَلَيْكُمْ] بالتّحقّق بالايمان والاشتهار به [فَتَبَيَّنُوا] كرّره للتّأكيد وللاشارة الى انّ امتثال امر الله يقتضى التّبيّن والمقايسة الى انفسكم ايضاً تقتضى التبيّن [اِنَّ اللّٰهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً] فاحتاطوا فى افعالكم وفى نيّاتكم ، والآية ان وردت فى اسامة بن زيد وقتله يهودياً وعدم اعتنائه باظهاره الشّهادتين فهو عامّ لااختصاص له بالقتل ولا بالسّفر [لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ] مستأنف جواب لسؤال مقدّر ناش من التّهديد على قتل المؤمن متعمّداً والدّية والكفّارة على قتله خطأ ومن الامر بالتبيّن عند لقاء من لا يعلم حاله و ممّا كان معلوماً من مورد

نزول الآية و هو قتل اسامة بن زيد يهودياً فدكياً جمع عياله وماله وساق غنمه وانحاز الى ناحية جبل وكان قد اسلم فقال بعد مالقي عسكر اسامة: السّلام عليكم لا اله الّا الله؛ محمّد رسول الله، فبدر اليه اسامة فقتله فلمّا رجع قال له رسول الله (ص): افلا شققت الغطاء عن قلبه ، لاماقال بلسانه قبلت ، ولا ماكان في نفسه علمت ، ونزلت الآية فحلف اسامة بعد ذلك ان لايقتل احداً قال لا آله الّا الله ، وبهذا العذر تخلّف عن علي(ع)وقيل : نزلت في رجلٍ آخر كان في سريّة لقي رجلاً كان بينهما احنة[1] فحيّاه الرّجل بتحيّة الاسلام فقتله وجاء الى رسول الله(ص) وقال: استغفرلي، فقال رسول الله(ص)لاغفرالله لك ، وعلى ايّ تقدير صار المقام مقام ان يقال: هل القعود افضل من الجهاد ان كان في الجهاد هذه الآفات ؟ ـ فقال تعالى : لا يستوى القاعدون عن الحرب [مِنَ الْمُؤْمِنِينَ] الّذين قبلوا الدّعوة الظّاهرة سواء كانوا قبلوا الدّعوة الباطنة وبايعوا البيعة الخاصّة ام كانوا واقفين على الدّعوة الظّاهرة وعلى قبول البيعة العامّة الاسلاميّة ، والظّرف مستقرّ حال عن القاعدون اوعن المستتر فيه [غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ] قرئ برفع غير صفة للقاعدون لانّ الغير وان كان لا يتعرّف بالاضافة لغاية ابهامه لكنّه اذا اضيف الى معرّف يقع صفة للمعرفة اذا كانت المعرفة معرفة باللّام الجنسيّة اوموصولة لابهامهما مثل غير ، اوكان غير واقعاً بين النّقيضين ، وقرئ بالنّصب حالاً عن القاعدون اوعن المستتر فيه اومنصوباً على الاستثناء ، وقرئ بالجرّ صفة للمؤمنين ، قيل : نزلت الآية في جمع تخلّفوا عن غزوة تبوك ولم يكن فيها غير اولى الضّرر فجاء ابن امّ مكتوم وكان اعمى وهو يبكي فقال: يارسول الله(ص) كيف بمن لايستطيع الجهاد فغشيه الوحي ثانياً ثمّ سرّي عنه فقال اقرء غير اولى الضّرر فألحقها والّذي نفسي بيده لكأنّي انظر الى ملحقها عند صدع في الكتف [وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ] ببذلها على المجاهدين وصرفها في سبيل الخيرات وانفاقها على انفسهم في الجهاد وصرف قواهم الّتي هي اموالهم الحقيقيّة وكذلك نسبة افعالهم و اوصافهم الى انفسهم [وَأَنْفُسِهِمْ] باتعابها في الجهاد واجهادها في الخيرات والرّياضات وهذا تهييج للمجاهد في جهاده وترغيب للقاعد عن قعوده [فَضَّلَ اللَّهُ] جواب لسؤال مقدّر كأنّه قيل : ما الفرق بينهما ؟ـ فقال : فضّل الله [الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ] اظهر المجاهدين و القاعدين اشعاراً بعلّة الحكم و تكراراً لوصفها الدّاعي الى التّفضيل تهييجاً وترغيباً لهما ، واظهر الاموال والانفس لانّه تعالى ارادان يعلّق حكم التّفضيل بدرجة واحدة على حالة بقاء نسبة الاموال والانفس اليهم حتّى يظهر الفرق بين هؤلاء المجاهدين والمجاهدين الآتين ، لانّه ذكر هنالك تفضيلهم على القاعدين بدرجات وما امكن الاشارة الى بقاء نسبة الاموال والانفس الّا بالتّصريح بهما واضافتهما اليهم، وقدّم الاموال على الانفس لانّ المجاهد يقدّم الاموال في الجهاد دون نفسه ولانّه ما لم تكن نسبة الاموال اولاً لم تكن نسبة الانفس ، وقدّم القاعدين اولاً واخّرهم ثانياً لانّ السّؤال كأنّه كان عن حال القاعدين وانّهم هل يبلغون درجة المجاهدين ام لا ؟ بخلاف المجاهدين فانّ فضلهم كان معلوماً .

واعلم انّه لافرق بين القاعد والمجاهد بالاموال والانفس الّا بدرجة لانّهما في نسبة الاموال والانفس اليهما متساويان لكنّ القاعد لم يترك الرّاحة بالاموال و الانفس و المجاهد ارتفع عنه درجة من حيث انّه ترك الرّاحة بالاموال و الانفس و هما بخلاف المجاهدين في الآية الآتية و لذلك قيّد ههنا التّفضيل بقوله تعالى [دَرَجَةً] و اطلقه في الآية الآتية [وَكُلًّا] منهما [وَعَدَ اللَّهُ] المثوبة [الْحُسْنَى] اذا لم يكن القعود عن عذرٍ،

١ـ الاحنة = بالكسر الحقد .

ولا اختصاص للآية بالقاعد و المجاهد الصّوريّ بل تجرى فى المؤمن القاعد فى نواحى دار اسلامه او الواصل الى دار اسلامه الّتى هى الصّدر والواقف فيها ، وفى المؤمن المجاهد فى سبيل الله حالكونه فى حدود النّفس باقياً عليه نسبة المال والنّفس وحالكونه بلغ الى القلب وطرح نسبة المال والنّفس عن نفسه وجاهد حتّى طرح نسبة المال والنّفس عن نفسه وقتل فى حضور الامام بفنائه فى شيخه فلايرى فى ممالك وجوده غير شيخه وللمجاهد فى فنائه مراتب ودرجات ، رزقنا الله وجميع المؤمنين ذلك [وَفَضَّلَ اللّٰهُ الْمُجٰاهِدِينَ] المجرّدين عن نسبة الاموال و الانفس بطرح تلك النّسبة و الفناء عن نسبة الاموال و الصّفات و الانفس [عَلَى الْقٰاعِدِينَ أَجْراً عَظِيماً] لايحدّ بحدّ لانّ هؤلاء المجاهدين قد خرجوا عن الحدود [دَرَجٰاتٍ] عظيمة [مِنْهُ وَمَغْفِرَةً] عظيمة بستر نسبة الافعال والصّفات و الانفس عنهم [وَرَحْمَةً] عظيمة لانّهم خرجوا عن دار السّخط و دخلوا فى دار الرّحمة وصاروا رحمةً بانفسهم وقد علم وجه عدم الاتيان بالاموال والانفس ههنا [وَكٰانَ اللّٰهُ غَفُوراً رَحِيماً] يعنى انّ شيمته المغفرة والرّحمة فلااختصاص لمغفرته ورحمته بالمجاهدين المستحقّين لهما بل تشملان القاعد الغير المستحقّ و فيه تهييج و اطماع للقاعدين [إِنَّ الَّذِينَ تَوَفّٰيهُمُ الْمَلاٰئِكَةُ] مستأنف جواب لسؤال مقدّر كأنّ السّامع لمّا سمع المغفرة والرّحمة للقاعد توهّم انّ القاعد بجميع اقسامه مرحوم وسأل ذلك كأنّه منكر لعذاب القاعد فقال تعالى مؤكّداً بانّ واسميّة الجملة دفعاً لهذا الوهم : انّ الّذين توفّاهم الملائكة [ظٰالِمِي أَنْفُسِهِمْ] بعدم الخروج من دار الشّرك الّتى هى نفوسهم الحيوانيّة مقصّرين كانوا كالّذين توعّدهم بكونهم اصحاب الجحيم ، اوقاصرين كالّذين استثناهم الله .

اعلم انّه تعالى ارادان يبيّن اقسام العباد فى العبوديّة وعدمها بعد ما ذكر القاعدين والمجاهدين فانّهم امّا واقفون فى دار الشّرك الّتى هى نفوسهم الامّارة سواء كانوا فى دار الشّرك الصّوريّة ام فى دار الاسلام الصّوريّة و قد اشار اليهم بقوله : انّ الّذين توفّاهم الملائكة (الآية) او خارجون من بيوتهم الّتى هى بيوت طبائعهم ونفوسهم الامّارة فى طلب من اسلموا على يده ومن قبلوا الاحكام القالبيّة منه واشار اليهم بقوله: ومن يخرج من بيته مهاجراً ، الآية، ولمّا كان المقصود ممّن يخرج من بيته الطّالب للاسلام لم يأت بقوله: فى سبيل الله، لانّه لم يكن بعد على سبيل الله واتى بقوله الى الله ورسوله لعدم وصوله الى الرّسول (ص) بعد اومهاجرون على سبيل الله الى مراتب الايمان بالتّوسّل بالولاية بعد ماكانوا قد خرجوا عن نفوسهم الامّارة بقبول الدّعوة الظّاهرة وقبول الاسلام بالبيعة العامّة النّبويّة ، وهؤلاء امّا مجاهدون اوقاعدون عن الجهاد وقد اشار اليهما بقوله سابقاً: لايستوى القاعدون ، واشار اليهم بقوله: ومن يهاجر فى سبيل الله، ولم يقل: من يخرج لانّ المفروض انّهم قد خرجوا بقبول الاسلام ، ولم يقل الى الله ورسوله لانّ المفروض انّهم قد خرجوا الى الله ورسوله وقبلوا الدّعوة الظّاهرة وقال فى سبيل الله لانّهم بقبولهم الاسلام كانوا فى سبيل الله لانّ الاسلام طريق الى الايمان .

تحقيق توفّى الله وتوفّى الملائكة و الرّسل

ووجه الجمع بين الآيات المختلفة فى توفّى الانفس بتوفّى الله وملك الموت والملائكة والرّسل لايخفى على البصير فانّ العقل فى العالم الصّغير كالحقّ فى العالم الكبير، واذا لوحظ انّ للعقل جنوداً و اعواناً و مدارك و قوىً لا يعصون ما امرهم العقل وهم بأمره يعملون و انّ امره للقوى والمشاعر امتثالها من غير تراخٍ و تأبٍّ ، وفعلها كما انّه منسوب اليها حقيقةً منسوب الى العقل ايضاً حقيقةً من غير مجازٍ لاحدى النّسبتين او اثنينيّة وتعدّد للنّسبة بل فعل القوى فعل

العقل من حيث كونه فعل القوى من غير تعدّد فى الحيثيّة ايضاً فالرّؤية مثلاً فعل الباصرة وهى من حيث انّها فعل الباصرة فعل العقل لكن فى مرتبة الباصرة لا فى مرتبته العالية، بل فعله الخاصّ به فى مرتبته العالية هو التّعقّل اعنى درك الاشياء مجرّدة عن غواشى المادّة والتّقدّر والتّحدّد والتّشكّل، علم انّ الفاعل فى كلّ فعل دانياً كان او عالياً هو الله سبحانه، لكن لكلّ مباشر خاصّ ينسب الفعل اليه والى الله باعتبار تشأّنه وظهوره بفاعله الخاصّ وله باعتبار مرتبته المخصوصة فعل خاصّ به لا ينسب الى غيره، فالعقل مظهر لله سبحانه فى مرتبته الخاصّة والنّفس مظهر لملك الموت، و القوى و المشاعر مظاهر للملائكة و الرّسل، فالباصرة كالملك تباشر نزع الصّور عن الموادّ، والنّفس كملك الموت تنزع عن الصّور المجرّدة عن الموادّ الصّور المجرّدة عن التّحدّدات والتّشكّلات المخصوصة مع تقدّرها، و العقل كالله ينزع الكلّيّات عن الصّور مع انّ نزع الاوّل ايضاً فعل العقل بواسطة الباصرة و النّزع الاخير فعله بلاواسطة فاختلاف الآيات و الاخبار باعتبار اختلاف المباشر و اختلاف المراتب مع صحّة الانحصار فى قوله تعالى اللّٰه يتوفّى الانفس، واختلاف المباشر باعتبار اختلاف النّفوس مثل مباشر نزع النّفوس النباتيّة والحيوانيّة والانسانيّة، وفى النّفوس الانسانيّة ايضاً مراتب فنفس يقبضها الله بلاواسطة، ونفس يقبضها ملك الموت، ونفس يقبضها الملائكة و الرّسل، و مقبوض الملائكة مقبوض لملك الموت ولله، ومقبوض ملك الموت مقبوض الله، والمراد بظلم النّفس ههنا غير ما ذكر فى قوله تعالى: فمنهم ظالم لنفسه لانّ الظّالمين لانفسهم هنا محكوم عليهم بالجحيم و هناك بالجنّة، فالمراد بظالمى انفسهم ههنا من لزم دار شركه ولم يخرج من بيت شركه الى الله و رسوله، و هناك من خرج من بيت شركه الى الله و رسوله و لكن وقف ولم يهاجر فى سبيل الله، فانّه محكوم عليه بالقعود عن الجهاد و عن الهجرة. و بعبارة أخرى الظّالم ههنا فى العالم الصّغير من لزم بيت نفسه الامّارة ولم يخرج منه الى مدينة صدره ليصل الى الرّسول و قبول الاسلام فهو مخلّد فى جحيم طبعه و بعد الموت فى جحيم الآخرة، و هناك من خرج من بيت نفسه الامّارة الى مدينة صدره ووصل الى الرّسول وقبل الاسلام بدليل ايراثه الكتاب اى كتاب النّبوّة بقبول احكام الرّسالة ولم يهاجر من مدينة صدره الى الجهاد الاكبر فى تحصيل الولاية فهو محكوم عليه بدخول الجنّة لكن ليس له درجة المجاهدين فى تحصيل الولاية. وماروى عن الصّادق(ع) فى تفسير الظّالم لنفسه هناك من انّه: يحوم حول نفسه؛ يشعر بماذكر [قالُوا فِيمَ كُنْتُمْ] بهذه الادناس والارجاس اى فى اىّ حال كنتم حتّى خرجتم بهذه الارجاس ولم ماطهّرتم نفوسكم فى حيوتكم؟- [قالُوا] اعتذاراً [كُنّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ] غلب علينا اهل الشّرك بحيث لا يمكننا تغيير حالنا [قالُوا] ردّاً لاعتذارهم [أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللّٰهِ واسِعَةً فَتُهاجِرُوا فِيها] اى فان تهاجروا اوفلم تهاجروا يعنى ان لم يمكنكم التّغيير فى ارضكم لامكنكم المهاجرة عنها، والارض اعمّ من ارض العالم الكبير وارض العالم الصّغير وارض كتب الانبياء وسير احوالهم وارض احكام الملل المختلفة وتمييز المستقيم منها عن السّقيم [فَأُولٰئِكَ مَأْواهُمْ جَهَنَّمُ وَساءَتْ مَصِيراً] لامنافاة بين خصوصيّة النّزول والتّعميم الّذى ذكرنا على وفق ماأشير اليه فى الاخبار [إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجالِ وَالنِّساءِ وَالْوِلْدانِ] استثناء منقطع ان خصّص ظالموا انفسهم بالمقصّرين وان عمّ المقصّرين والقاصرين فمتّصل فانّ المقيم فى دار شرك النّفس امّا متمكّن من الخروج بحسب القوّة النّظريّة و العمليّة او غير متمكّن و الاوّل مقصّر و الثّانى قاصر، والمستضعف من لاقدرة له بحسب القوّة العمليّة على الاعمال الّتى تطهّر قلبه عمّا يحجبه عن افاضات

الحقّ تعالى ولا بحسب القوّة النّظريّة على التميز بين الحقّ و الباطل ولذلك فسّر المستضعفين بقوله تعالى [لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً] بحسب العمل [وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلاً] بحسب النّظر وقد يفسّر المستضعف بمن لم يسمع ديناً و مذهباً سوى عادياته و هو راجع الى الاوّل لانّ العجز امّا من جهة اصل الفطرة او من جهة عدم المنبّه [فَأُولَئِكَ] مع عدم خروجهم عن دار شركهم [عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ] عن اقامتهم فى دار الشّرك [وَكَانَ اللَّهُ عَفُوّاً غَفُوراً] من قبيل عطف العلّة [وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ] لمّا فرغ من بيان حال المقصّر والقاصر المتوطّن فى دار الشّرك اراد ان يبيّن حال الخارج من بيت الشّرك وهو امّا يخرج فى الظّاهر من بيت وطنه الصّوريّ اوفى الباطن من بيت نفسه الامّارة فى طلب الاسلام وليس له جهادٌ لانّ الجهاد بعد قبول الاسلام ومعرفة الاعداء باذن النّبيّ اوالامام ، اويهاجر فى سبيل الله بعد اسلامه فى طلب الايمان من بيته الصّوريّ اوالمعنويّ ولهذا المهاجر يتصوّر الجهاد بمراتبه امّا بالاموال والانفس ، اوفانياً عن الاموال والانفس بمحض الامر من غير تعلّق الخاطر بغير الامر ، اوبالله بالفناء عن الامر ايضاً ولم يذكر الخارج من دار اسلامه اودار ايمانه الى دار الشّرك لعدم الاعتناء به ولاستفادته من مفهوم المخالفة و اشار الى المهاجر بعد الاسلام فى سبيل الله بقوله: ومن يهاجر فى سبيل الله [يَجِدْ فِي الْأَرْضِ] بمعانيها [مُرَاغَماً كَثِيراً] من الرّغام وهو التّراب بمعنى المذهب والمهرب والمغضب والمراد به محلّ تفرّج وتنزّه من الارض بحيث يرغم الاعداء [وَسَعَةً] فى الارض او فى نفسه او فى معيشته او فى سيره ظاهراً اوباطناً ، وقدّم بيان حال المهاجر بعد الاسلام على الخارج الى الاسلام لشرفه وان كان مؤخّراً برتبته ، و اشار الى الخارج الى الاسلام بقوله تعالى [وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ] ظاهراً وباطناً [مُهَاجِراً إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ] ذكر الى الله للاشارة الى انّ الخارج من بيت الشّرك ذاهباً الى الرّسالة فى طلب الاسلام ذاهب الى الله لانتهائه الى الله، ولانّ الرّسول مظهر الآلهة ولذا لم يكرّر لفظ الى [ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ] اختياراً بالجذبة الآلهيّة اواضطراراً فى السّبيل الظّاهريّ اوالباطنيّ [فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ] اى لاينبغى ان يتكفّل اداء اجره غيره و فيه بشارة تامّة لهم [وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً] فيغفر مساويه الغير الزّائلة عنه و يرحمه باعطاء اجره بلاواسطة ان كان نزول الآية فى جندب بن ضمرة حين خرج من مكّة الى المدينة فمات ، اوالنّجاشيّ حين خرج الى المدينة فمات ؛ لاينافى تعميمها ، ولمّا ذكر المجاهدين والمهاجرين اراد ان يبيّن حكمهم فى العبادات فقال تعالى [وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ] شرائط القصر وكيفيّته غير محتاجة الى البيان ، و نفى الجناح لاينافى وجوب القصر لانّه تعالى جرى على طريقة المخاطبات العرفيّة وآداب الملوك من نفى البأس والحرج عن الشّيء و ارادة الامر به ، وبعد ما علمت انّ الصّلوة هى ما به يتوجّه الى الله و الاصل فيه محمّد (ص) وولايته ثمّ علىّ (ع) و خلافته ، ثمّ الاعمال القلبيّة والقالبيّة المأخوذة منهما الّتى تصير سبباً للتّوجّه اليه تعالى امكنك تعميم السّفر وتعميم الصّلوة و القصر [إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا] اشارة الى الحكمة فى تشريع القصر لا انّه تقييد للحكم فلا ينافى وجوب القصر فى حال الامن على انّ حجّيّة مفهوم الشّرط غير مسلّم بل هو بحسب المفهوم كسائر المجملات ، واعتباره وعدم اعتباره محتاج الى القرينة ، ويحتمل ان يكون المراد صلوة الخوف وقصرها ويكون قصر مطلق الصّلوة فى السّفر من قبيل المجملات

التّی بیّنوها لنا بدلیل بیان صلوة الخوف بعدها [إِنَّ الْكٰافِرِينَ كٰانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُبِيناً] استیناف فی موضع التّعلیل [وَإِذٰا كُنْتَ فِيهِمْ] حین المسافرة والخوف [فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلٰوةَ] بان تؤمّهم [فَلْتَقُمْ طٰائِفَةٌ مِنْهُمْ] للصّلوة [مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ] ای الطّائفة الغازیة المستفادة التزاماً اوالطّائفة المصلّیة [فَإِذٰا سَجَدُوا] ای الطّائفة المصلّیة [فَلْيَكُونُوا] ای الطّائفة الغازیة [مِنْ وَرٰائِكُمْ] ایّتها الطّائفة المصلّیة [وَلْتَأْتِ طٰائِفَةٌ أُخْرىٰ لَمْ يُصَلُّوا] بعد ماانتظرتهم فی القیام الثّانی واتمّ الطّائفة المصلّون معک صلوتهم و ذهبوا الی مواقفهم [فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ] بان یأتمّوا بک فی القیام و تنتظرهم فی القعود حتّی یتمّوا صلوتهم بالاتیان بالرّکعة الاخری ثمّ تسلّم علیهم بعد لحوقهم بک فی القعود [وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ] ای الطّائفة الّذین صلّوا ووقفوا مواقف غیر المصلّین اوالطّائفة المشغولة بالصّلوة [وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وٰاحِدَةً] استیناف فی موضع التّعلیل [وَلٰا جُنٰاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كٰانَ بِكُمْ أَذًى مِنْ مَطَرٍ] لثقل الاسلحة [أَوْ كُنْتُمْ مَرْضىٰ] فتضعفوا عن الحمل [أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ] لمّا بالغ فی التّیقّظ و الحذر و اخذ الاسلحة فی کلّ حال اوهم ان لا یجوز وضع الاسلحة بحال فرفعه [وَخُذُوا حِذْرَكُمْ] لکن مع ذلک لاتخرجوا من طریق الحزم [إِنَّ اللّٰهَ أَعَدَّ لِلْكٰافِرِينَ عَذٰاباً مُهِيناً] علی ایدیکم ولذا یأمرکم بالحزم واخذ السّلاح حتّی لاتستأصلوا فیعذّبهم بکم وعلی هذا صحّ اخراجه مخرج التّعلیل ، وان کان نزول الآیة فی غزوة الحدیبیة اوذات الرّقاع فلا ینافی عموم حکمها [فَإِذٰا قَضَيْتُمُ الصَّلٰوةَ فَاذْكُرُوا اللّٰهَ قِيٰاماً وَقُعُوداً وَعَلىٰ جُنُوبِكُمْ] یعنی اذا ادّیتم الصّلوة فلا تغفلوا عن ذکر الله ولا تراقبوا حین الغزو ادباً للّذکر بل اذکروا الله فی جمیع احوالکم ، اوفاذا اردتم اداء الصّلوة وقت شدّة الخوف وعدم تمکّنکم من الصّلوة علی ما قرّر فصلّوا علی ایّ حال وقع منکم و تمکّنتم منها بقرینة قوله تعالی [فَإِذَا اطْمَأْنَنْتُمْ] عن شدّة الخوف [فَأَقِيمُوا الصَّلٰوةَ] ای فاتمّوها بشرائطها وآدابها المقرّرة لها فی السّفر ، او فاذا اطمأننتم فی اوطانکم اودار اقامتکم فأتمّوها باتمام رکعاتها [إِنَّ الصَّلٰوةَ كٰانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتٰاباً مَوْقُوتاً] تأکید کتاباً لانّ الموقوت بمعنی المفروض فی الاوقات والمعنی فرضاً مفروضاً یعنی انّا بالغنا فی حفظ الصّلوة وعدم ترکها فی حال من الاحوال لانّها بالغة حدّ الکمال فی الوجوب [وَلٰا تَهِنُوا] عطف باعتبار ما یفهم من تأکید فرض الصّلوة ای فحافظوا علیها ولاتهنوا [فِي ابْتِغٰاءِ الْقَوْمِ] حتّی تقتلوهم وتأسروهم اویسلّموا [إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمٰا تَأْلَمُونَ] استیناف واقع موقع التّعلیل للنّهی وتشجیع لهم علی القتال بسبب انّ المهمّ لایزید علی الم القوم و انّهم یزیدون علیهم برجاء اجر المجاهدین من الله [وَتَرْجُونَ مِنَ اللّٰهِ مٰا لٰا يَرْجُونَ وَكٰانَ اللّٰهُ عَلِيماً حَكِيماً] فیعلم انّ الاصلح بحالکم وثباتکم علی الایمان وعدم تعلّقکم بالدّنیا کالنّسوان هوالجهاد ویرغّبکم فیه علی وفق حکمته وعلمه بدقائق المصالح الّتی لاتظهر علیکم وتدبیره بادقّ وجه واتقن صنع لتمکینکم فی اکثر الکمالات [إِنّٰا أَنْزَلْنٰا إِلَيْكَ الْكِتٰابَ] کتاب النّبوّة الّذی ظهوره بالقرآن

استيناف لتأديب الامّة بالخطاب لمحمّد (ص) اولتأديب محمّد (ص) اصالة ولامّته تبعاً [بِالْحَقِّ] الحقّ المطلق هوالله جلّ شأنه والحقّ المضاف هومشيّته المسمّاة بالحقّ المخلوق به والاضافة الاشراقيّة والحقيقة المحمّديّة و هو الولاية المطلقة وهي علويّة عليّ (ع) ومعروفيّة الله و ظهوره ، خلقت الخلق بالمشيّة و المشيّة بنفسها ، اشارة اليه ، ولمّا كان النّبوّة ظهور الولاية ، وكتاب التّدوين ظهور النّبوّة والرّسالة ، وظهور الظّهور ، ظهور للظّاهر الاوّل كان انزال الكتاب بتوسّط الحقّ المضاف صحيحاً ومتلبّساً بالحقّ المضاف ايضاً صحيحاً لانّ حقّيّة كلّ حقّ وحقيقة كلّ ذى حقيقة هى هذا، ومع الحقّ ايضاً جائز [لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ] المراد من الحكم الحكومة المعروفة من قطع المنازعات ، اوماهواعمّ منها ومن تأسيس السّياسات والعبادات ، اوماهو اعمّ منها و من اصلاحهم بالنّصائح و الآداب ، او ما هو اعمّ منها و من اصلاحهم و تكميلاتهم فى الباطن بلسان السّرّ [بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ] من رؤية البصر، لانّ ظهور الولاية بالنّبوّة لايكون الّا مع فتح باب من الملكوت فيرى صاحبه بعين البصيرة دقائق امور العباد و خفايا احوالهم فيمكن له الحكم و الاصلاح بما يرى ، او من الرّأى يعنى بما جعلك الله ذارأى لاتحتاج فيه الى رأى الغير لفتح بصيرتك أيضاً بانزال الكتاب ، وفى الخبر اشارة الى المعنى الاخيروانّ التّفويض الى الرّأى خاصّ به (ص) وليس لغيره ثمّ التّفويض بعده لاوصيائه، فاذاكان انزال الكتاب لحكومتك برأيك فاحكم بينهم برأيك او رؤيتك [وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيماً] على خصمائهم برأى غيرك [وَاسْتَغْفِرِ اللَّهَ] ممّا هممت به اوفعلت من الخصومة عن قبل الخائنين [إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُوراً رَحِيماً]. وقد نقل فى نزولها ، انّ ثلاثة اخوة من بنى ابيرق نقبوا على عمّ قتادة بن النّعمان واخرجوا طعاماً وسيفاً ودرعاً فشكى قتادة الى رسول الله (ص) وقال بنوابيرق : هذا عمل لبيد، وكان لبيد رجلاً مؤمناً ، فمشى بنوابيرق الى اسيد بن عروة من رهطهم وكان منطيقاً ، فمشى الى رسول الله (ص) وقال: انّ قتادة رمى اهل بيتٍ منّا اهل شرف وحسبٍ ونسبٍ بالسّرقة، فاغتمّ رسول الله (ص) وجاء اليه قتادة فقال له رسول الله: رميت اهل بيت شرف وحسب ونسب بالسّرقة؟! وعاتبه فاغتمّ قتادة لذلك فأنزل الله فى ذلك: انّا انزلنا اليك الكتاب (الى آخر الآيات) فنقول: لو سلّم انّ نزولها كان كذا مع انّه شبيه بموضوعات العامّة فالتّعريض بالامّة كأنّه قال : يا امّة محمّد (ص) لاتغفلوا عمّا قال لكم محمّد (ص) وأعلمكم الله به من ولاية عليّ (ع) وسائر الاحكام فاذا حكمتم بحكم فليكن مطابقاً لحكم الله ولتميّزوا بين الخائن وغيره ولاتكونوا للخائنين خصيماً مع الصّالحين يعنى اذاتوفّى محمّد (ص) ووقع النّزاع بينكم فاحكموا بمااعلمكم الله وبيّنه لكم رسوله [وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ] باقتراف المعاصى ولوفسّر انفسهم بعليّ (ع) والائمّة (ع) لم يكن بعيداً لما سبق من انّ الولاية المطلقة حقيقة كلّ ذى حقيقة ونفسيّة كلّ ذى نفس [إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّاناً أَثِيماً] هما للمبالغة والجملة فى موضع التّعليل ، ونفى المحبّة فى مثل المقام يفيد البغض اى انّ الله يبغض من كان خوّاناً اثيماً [يَسْتَخْفُونَ] خبر بعد خبر اوصفة بعد صفة اواستيناف جواب لسؤال مقدّر اوحال ، و جمعيّة الضّمير باعتبار معنى من يعنى يستترون [مِنَ النَّاسِ] للحياء اوللخوف منهم حين تبييتهم ما لايرضى الله من القول [وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ] بيان لخيانتهم وكفى به خيانة مع الله و مع انفسهم وقواهم و مع الرّسول (ص) [وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ] يدبّرون

[مٰالٰا يَرْضٰى مِنَ الْقَوْلِ] والقول هنا اعمّ من الفعل لانّ فعل الاعضاء اقوالها كما انّ قول اللّسان فعله وهو عبارة عن تدبيرهم لمنع علىّ(ع) عن حقّه اوعن تدبيرهم لنسبة السّرقة الى غير السّارق على ما ذكر من التّنزيل [وَكٰانَ اللّٰهُ بِمٰا يَعْمَلُونَ مُحِيطاً] فلا يشذّ عنه خفيّات اعمالهم واقوالهم تهديد لهم [هٰا أَنْتُمْ هٰؤُلاٰءِ جٰادَلْتُمْ] هاحرف تنبيه تنبيه على حمقهم ، و انتم مبتدأ ، وهؤلاء اسم اشارة خبره او بدله او منادى ، و جادلتم خبر بعد خبر اومستأنف اوحال على الاوّل وخبر على الاخيرين ، اوهؤلاء موصول خبر انتم وجادلتم [عَنْهُمْ فِي الْحَيٰوةِ الدُّنْيٰا] صلته ، وخطاب الجمع للمحامين عن السّارقين مثل اسيدبن عروة بناء على نزول الآية فى بنى ابيرق ومحاماة اسيدبن عروة عنهم [فَمَنْ يُجٰادِلُ اللّٰهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيٰامَةِ] يعنى انّ المجادلة هذه تكون عند النّبىّ(ص) ويوم القيامة تكون عند الله [أَمْ مَنْ يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلاً] الوكيل من كان مراقباً لامور الموكّل وحافظاً لها ، و تعديته بعلى لتضمين معنى المراقبة و هذا غاية تهديد للمجادلين و المجادلين عنهم جميعاً [وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءً] بارتكاب ما لا يرضاه العقل والشّرع [أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ] بترك ارتكاب مايرضاه العقل والشّرع فانّ المراد بعامل السّوء من يرتكب القبائح الّتى يبعده عن حضرة العقل والرّبّ ، وبظالم النّفس من يقف عمّا يقرّبه الى حضرة العقل، وقد فسّر فى الخبر الظّالم لنفسه بمن يحوم حول نفسه من دون الحركة الى حول القلب [ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللّٰهَ يَجِدِ اللّٰهَ غَفُوراً رَحِيماً] وعد للخائن والمجادل عنه بقبول توبته ان تاب ، والمغفرة ستر الذّنوب وترك العقاب عليها ، والرّحمة التّفضّل عليه زائداً على ترك العقاب [وَمَنْ يَكْسِبْ إِثْماً فَإِنَّمٰا يَكْسِبُهُ عَلىٰ نَفْسِهِ وَكٰانَ اللّٰهُ عَلِيماً] بائمه [حَكِيماً] لا يفعل لغواً حتّى يمكن ان يرجع وبال اثمه على الغير فرمى الغير به لاينفعه بل يضرّه [وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْماً] الخطيئة كاللّمة ماصدر عن الشّخص مع انزجار النّفس كأنّه لم يقصده ، والاثم ما كان بدون انزجار [ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئاً فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتٰاناً] بسبب نسبة السّوء الى من هو بريء منه [وَإِثْماً مُبِيناً] زائداً على اثمه الاوّل بسبب تنزيه النّفس الخاطئة او الآثمة منه و رمى البريء به [وَلَوْلاٰ فَضْلُ اللّٰهِ] النّبوّة والرّسالة بالنّسبة الى النّبىّ المخاطب به ولولا النّبىّ والرّسول بالنّسبة الى المعرّض به [عَلَيْكَ] وارداً اوحافظاً عليك [وَرَحْمَتُهُ] الولاية اوعلىّ (ع) بالنّسبتين [لَهَمَّتْ طٰائِفَةٌ مِنْهُمْ] يعنى انّ هيبة الفضل و الرّحمة مانعة من همّتهم اومن تأثير همّتهم على تضمين اثرت [أَنْ يُضِلُّوكَ] عن رأيك الصّواب او عن رؤيتك الصّواب وعلى مابيّنا فالمعنى لولا النّبىّ(ص) وعلىّ(ع) حافظاً عليكم لهمّ منافقوا الامّة ان يضلّوكم عن نهج الصّواب و الطّريق المدلول عليه بالاسلام من ولاية علىّ (ع) [وَمٰا يُضِلُّونَ إِلاّٰ أَنْفُسَهُمْ] بهمّتهم [وَمٰا يَضُرُّونَكَ مِنْ شَيْءٍ] على فرض الهمّة منهم [وَأَنْزَلَ اللّٰهُ عَلَيْكَ الْكِتٰابَ] اى النّبوّة [وَالْحِكْمَةَ] اى الولاية [وَعَلَّمَكَ مٰا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ] بانزال الولاية من دقائق الكثرات و دقائق احكامها الّتى هى لازمة الرّسالة [وَكٰانَ فَضْلُ اللّٰهِ] اى الرّسالة او مطلق نعم الله [عَلَيْكَ عَظِيماً] و فى وصل هذا الامتنان اشارة الى تعليل عدم الاضرار [لاٰ خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوٰيهُمْ] من تبعيضيّة اوبيانيّة ومابعدها بيان لكثير، اومن ابتدائيّة

اوتعليليّة والمعنى لاخير فى كثير من النّاس ناشئاً من نجواهم اوليس لهم خير لاجل نجواهم وحينئذٍ يكون من نجويهم قيداً للنّفى اوللمنفيّ مرفوعاً بالنّفى، وقوله تعالى [إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ] استثناء من كثير بتقدير نجوى من امر بصدقة على الاوّل، و بدون التّقدير على الاخيرين ، او الاستثناء منقطع على الوجه الاوّل [أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ] و فسّر المعروف بالقرض فمن امر بالصّدقة فى نجواه من حيث انّه امر بالصّدقة كان النّجوى خيراً لهَ و للمأمور و للمأمورله سواءكان نجواه مع غيره والمأمور غيره ، اوكان نجواه مع نفسه بالخطرات والخيالات وكان المأمورنفسه وقد جاء عنهم قراءة قوله تعالى انّما النّجوى من الشّيطان (الى آخر الآية) عند المنامات المشوّشة اشارة الى انّها نجوى الشّيطان ، وروى عن الصّادق(ع) انّ الله تعالى فرض التّجمّل فى القرآن فسئل و ماالتّجمّل ؟ ـ قال : ان يكون وجهك اعرض من وجه أخيك لتمحل له و هو قوله تعالى لاخير فى كثير من نجويهم (الآية) [وَمَنْ يَفْعَلْ ذٰلِكَ] من قبيل عطف التّفصيل على الاجمال كأنّه قال : و من يفعل ذلك فله اجرعظيم ، ومن يشاقق الرّسول بنجواه فله عذاب عظيم ومن لم يأمر بالصّدقة ولم يشاقق الرّسول فلا اجر كاملاً له ولا عذاب فمن يفعل النّجوى [ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللّٰهِ] خالصاً عن شوب رياء و سمعة و عظمة و رفعة بالنّسبة الى المأمور او المأمور له او غيرهما [فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً] لصرف عرضه او لتحمّل تعب الاصلاح [وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ] بان يناجى بخلافه ولا يرضى بقوله وينهى عمّا يأمر به كمن تحالفوا فى مكّة ان لايتركوا هذا الامر فى بنى هاشم ومثل من تخلّف عن جيش اسامة [مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدٰى] الرّشاد اوحقيقة الهدى وهى الولاية فانّها تبيّنت بقول الله و قول رسوله(ص) [وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ] بالبيعة الخاصّة الولويّة كسبيل سلمان وابى ذرّ واقرانهما اوغير سبيل المسلمين من حيث اسلامهم فانّ سبيلهم من حيث الاسلام هى السّبيل المنتهية الى الولاية [نُوَلِّهِ مَا تَوَلّٰى] نوجّهه تكويناً ما توجّه اليه باختياره من سبيل الجحيم [وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ] لانتهاء سبيله اليها [وَسَاءَتْ مَصِيراً إِنَّ اللّٰهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ] باعتبارمظهره الّذى هوعلىّ(ع) استيناف فى موضع التّعليل تعليلاً للحكم واظهاراً لانّ مشاقّة الرّسول(ص) فى علىّ(ع) والشّرك به شرك بالله [وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذٰلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ] قد مضى الآية بتمام اجزائها سابقاً [وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللّٰهِ] باعتبار الشّرك بالولاية [فَقَدْ ضَلَّ ضَلٰالاً بَعِيداً] وصف الضّلال بالبعد باعتاربعدصاحبه مبالغةً [إِنْ يَدْعُونَ] هؤلآء المشركون بالله اوبعلىّ(ع) [مِنْ دُونِهِ] اى من دون الله اومن دون علىّ(ع) [إِلَّا إِنٰاثاً] لانّهم يسمّون اصنامهم اناثاً ويقولون : انثى بنى فلان و انثى بنى فلان ، اولانّهم يعبدون نفوسهم الامّارة وهى اناث العالم الصّغير وهى الّتى تمكّن فيها الشّيطان ويأمروينهى الانسان ، اولانّهم يطيعون ائمّة الضّلالة ؛ وائمّة الضّلالة لكون فعليّاتهم فعليّات النّفوس الامّارة ما بقى لهم جهة رجوليّة لا بالفعل ولا بالقوّة [وَإِنْ يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطٰاناً مَرِيداً] الشّيطان الخارجىّ اوالظّاهربنفوسهم الامّارة ، والمريد والمارد الخارج عن الطّاعة الّذى لاخير فيه [لَعَنَهُ اللّٰهُ] دعاء عليه اواخبار بحاله مستأنفاً اوصفةً اوحالاً [وَقٰالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبٰادِكَ] اى من كلّ فردٍ من عبادك اومن مجموع عبادك ، والاتيان بلام القسم ونون التّاكيد للتّاكيد والمبالغة فى وقوعه [نَصِيباً

مَفْرُوضاً] قسطاً معيّناً فرض لى اوعيّن لى وهوالجزء السجّينىّ من كلّ عبد اواهل السّجّين من العباد ، روى انّ من بنى آدم تسعة وتسعين فى النّار وواحداً فى الجنّة ، وروى من كلّ الف واحدٌ لله وسائرهم للنّار ولابليس [وَلَأُضِلَّنَّهُمْ] عن طريق الهدى [وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ] بالامانىّ الباطلة كطول العمر والرّفعة والحشمة وكثرة الاموال وغير ذلك [وَلَآمُرَنَّهُمْ] بالباطل [فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الْأَنْعَامِ] اى ليقطعنّها من اصلها ، وقيل كانوا يشقّون آذان الانعام اذا ولدت خمسة أبطن والخامس ذكر وحرّموا على أنفسهم الانتفاع بها ، وهذا احد موارد التّبتيك [وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللهِ] تغيير خلق الله بتغيير صورته الظّاهرة من غير اذنٍ من الله كقطع الاذن من الحيوان و الانسان واخصائهما وكلّ مثلة ، اوبتغيير صفته الظّاهرة من غير اذنٍ من الله ، اوبتغيير صورته الباطنة كتغيير صورته الانسانيّة عن الاستقامة الى الانحناء والنّكس وتبديل صورهم الانسانيّة بصور القردة والخنازير باغوائهم ، اوبتغيير صفته كتغيير استقامته على الطّريق الآلهىّ الى الاعوجاج ، وتغيير دينه المستقيم الى الاديان المنحرفة ، وتغيير فطرته على الاسلام الى فطرة الكفّار ، ويلزمه تغيير اوامر الله ونواهيه فصحّ مافى الخبر من تفسيره بدين الله وأمره ونهيه [وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ] الجنّىّ اوالانسىّ [وَلِيّاً] محبّاً اوامير اً [مِنْ دُونِ اللهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَاناً مُبِيناً] باتلاف رأس ماله الّذى هو اللّطيفة الانسانيّة [يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ] استيناف فى موضع التّعليل [وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ] الجنّىّ [إِلَّا غُرُوراً] مصدر غرّه اذا خدعه وأطمعه بالباطل والمراد به ما يغترّ به فيكون مفعولاً به ، اومعنى الخديعة والاطماع فيكون قائماً مقام المفعول المطلق ، او مفعولاً مطلقاً من غير لفظ الفعل [أُولَئِكَ] المتمكّن منهم الشّيطان [مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصاً] مهرباً و ذلك لانّهم تمكّنوا فى طريق العالم السّفلىّ ودار الشّياطين بحيث لايمكن لهم الرّجوع عنه [وَالَّذِينَ آمَنُوا] بالبيعة العامّة فليكن قوله تعالى [وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ] اشارة الى الايمان الخاصّ الولوىّ لانّ العمل ما لم يكن عن ايمانٍ قلبىٍّ و ميثاق علوىٍّ لا يصير صالحاً ، اوالمراد الّذين آمنوا بالبيعة الخاصّة الولويّة وعملوا الصّالحات بكسب الخيرات فيه حتّى يتمكّن فى الايمان ، فانّ الايمان ما لم يتمكّن الانسان فيه كان مستودعاً محتملاً للزّوال [سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ] لانّ طريقهم طريق القلب وطريق الولاية الموصلة الى العالم العلوىّ وفيه الجنّات [خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً وَعْدَ اللهِ] وعدالله وعداً [حَقّاً وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللهِ قِيلاً] فلا خلف لوعده ، اكّده بتأكيدات عديدة ثمّ صرف الكلام عن بيان حال المؤمنين الى الخطاب مع المنافقين التّابعين للشّيطان فقال تعالى [لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ] يعنى انتم واهل الكتاب بانتسابكم وانتحالكم النّسبة الى نبىّ وكتاب تتمنّون ان يغفرالله لكم ذنوبكم كائنة ماكانت ، وان يعامل الله معكم معاملة الوالد مع اعزّ اولاده ، وليس الامر منوطاً بامانيّكم ولا امانىّ اهل الكتاب بل [مَنْ يَعْمَلْ سُوءً يُجْزَ بِهِ] يعنى لستم ممّن يغفر اويمحى اويبدّل سيّئاتكم لانّ هذه لمن كان له نبىّ وامام يعنى نصير وولىّ ، وانتم انحرفتم عن النّبوّة والولاية ولاينفعكم انتحال احكام النّبوّة فمن يعمل منكم سوءً يجز به [وَلَا يَجِدْ لَهُ] لنفسه [مِنْ دُونِ اللهِ] من دون مظاهره [وَلِيّاً] يلى اموره من امامٍ منصوبٍ من الله صاحب ولاية [وَلَا نَصِيراً] من نبىٍّ بحقّ ينصره

عمّا يضرّه ، روى انّ اسمعيل (ع) قال للصّادق (ع) : يا ابتاه ما تقول فى المذنب منّا ومن غيرنا ؟ ـ فقال : ليس بامانيّكم ولا امانيّ اهل الكتاب من يعمل سوءً يجز به وهو يشير الى تعميم الحكم ولا ينافى تخصيص الخطاب بالمنافقين المنتحلين [وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ] لانّ شرط قبول العمل هوالايمان الخاصّ والبيعة على يد علىّ(ع) يعنى انّ العمل الصّالح يصير صالحاً اذاكان ناشئاً من الايمان وراجعاً اليه والّا لم يكن صالحاً وان كان صورته صورة العمل الصّالح ، لانّ الصّلاح اصله هوالولاية لعلىّ(ع) فكلّ ما صدر عن الوجهة الولويّة فهو صالح كائناً ماكان ، وكلّ ما لم يصدر عن الوجهة الولويّة فهو فاسد [فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيراً] شيئاً قليلاً والنّقير النّقطة فى وسط النّواة ، ووجه الاختلاف بين القرينتين بالاجمال فى الشّرط والاتيان بالجزاء مضارعاً مجرّداً عن الفاء فى الاولى ، والتّفصيل فى الشّرط والاتيان بالجزاء جملة اسميّة مصدّرة بالفاء فى الثّانى ماهو من عادة صاحبى الحياء والكرم من الاجمال والاغماض فى جانب الوعيد والتّفصيل والتّاكيد فى جانب الوعد [وَمَنْ أَحْسَنُ دِيناً مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلّٰهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ] استفهام انكارىّ فيه معنى التّعجّب عطف على من يعمل من الصّالحات باعتبار لازمه الّذى هو معنى لا احد احسن ديناً منه ، واشارة الى علّة الحكم والى وصف آخر لهم مشعر بالمدح ، فانّ المراد بمن اسلم وجهه لله هوالمؤمن ، و المراد بالمحسن من يعمل من الصّالحات ، فانّ الايمان هوانقياد وجهك الباطنىّ واخلاصه لمن بايعت على يده ، ولمّا كان من بايعت على يده بيعة حقّة واسطة بينك وبين الله كان اخلاص الوجه له اخلاصاً لله وهو علىّ(ع) او خلفاؤه ، والاحسان هو ان يكون العمل صادراً عن امر من هو اصل فى الحسن ، وهوعلىّ(ع) وخلفاؤه(ع) كما سبق فى بيان العمل الصّالح كأنّه قال : ولا احد احسن ديناً منهم لانّ حسن الدّين امّا بالعمل وهو ان يكون صادراً عن امر الحسن الحقيقى ، و امّا بالاعتقاد والعمل الجنانىّ وهو ان يكون عارفاً لامام زمانه مسلماً وجهه له بالبيعة على يده وهوالحسن الحقيقىّ ، وهؤلاء متّصفون بوصف العمل الصّادر عن امر الحسن الحقيقىّ و الانقياد اعتقاداً للحسن الحقيقىّ ، و فى النّبوىّ المشهور اشارة الى ما ذكرنا من تفسير المحسن فانّه(ص) قال : الاحسان ان تعبدالله كأنّك تراه فان لم تكن تراه فانّه يراك ، يعنى انّ الاحسان يصدق اذاكان العمل بمشاهدة الله يعنى بمشاهدة امره حتّى يكون المصدر هو امره ، وتقديم العمل الصّالح فى المعلول لكون العنوان الاعمال و جزاءها ، و تأخير الاحسان الّذى هو بمعناه فى العلّة لتقدّم الايمان على العمل الصّالح ذاتاً [وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرٰهِيمَ حَنِيفاً] فيه اشارة الى انّ المراد بالمحسن العامل بالاعمال القلبيّة الولويّة المخلّية للنّفس عن الرّذائل و الهواجس و الوساوس المحلّية لها بالخصائل و الالهامات و التّحديثات و المشاهدات والمعاينات ، والمراد بالتّابع لملّة ابراهيم(ع) هوالعامل بالاعمال القالبيّة و الاحكام النّبويّة من المفروضات والمسنونات وترك المنهيّات ، فانّ من تاب على يد علىّ (ع) وتلقّى منه آداب السّلوك واحكام القلب لابدّ له من العمل بأحكام القالب فانّها كالقشر لاحكام القلب فما لم يحفظ القشر لم يحفظ اللّبّ ، وحنيفاً حال عن التّابع اوالملّة لوابراهيم(ع) وعدم مراعاة التّأنيث امّا لتشبيه الحنيف بالفعيل بمعنى المفعول ، اولكسب الملّة التّذكير من المضاف اليه لصحّة حذفه ، والحنيف بمعنى الخالص اوالمائل عن الاديان الاُخر ، اوالرّاغب الى الاسلام الثّابت عليه [وَاتَّخَذَ اللّٰهُ إِبْرٰهِيمَ خَلِيلاً] عطف مشعر بالتّعليل اوحال بتقدير قد او بدون التّقدير على خلاف

فيه ، فى الخبر عن الصّادقين(ع)انّ الله تبارك وتعالى اتّخذ ابراهيم عبداً قبل ان يتّخذه نبيّاً ، وانّ الله اتّخذه نبيّاً قبل ان يتّخذه رسولاً ، وانّ الله اتّخذه رسولاً قبل ان يتّخذه خليلاً ، وانّ الله اتّخذه خليلاً قبل ان يتّخذه اماماً ، و قد اشار بعد الاشارة الى انتهاء العبوديّة الى المراتب الاربع الكلّيّة الّتى هى امّهات مراتب الخلافة الالٰهيّة، وتحت كلّ مرتبة منها مراتب جزئيّة الى غير النّهاية ، **وشرحها على سبيل الاجمال** بحيث لا يشمئزّ منه طباع الرّجال ولا يصير سبباً للنّشبن و الجدال **ان يقال** : انّ الانسان من بدوخلقته الى آخر مراتب وجوده الّتى لانهاية لها يطروعليه الاحوال المختلفة وينشأ ّن بشؤن متضادّة كأنّه كلّ يوم هوفى شأن: فاوّل خلقته نطفة فى قرار مكين ، ثمّ يتدرّج فى اطوار الجماديّة الى ان وصل الى مرتبة النّبات متدرّجاً فيه، الى ان ينفخ فيه الرّوح الحيوانيّة متدرّجاً الى ان ينفخ فيه الرّوح الدّماغيّة، ثمّ بعداستحكام اعضائه وبشرته بحيث يستعدّ لمباشرة الهواء يتولّدو فيه المدارك الحيوانيّة الظّاهرة بالفعل متدرّجاً الى ان صار مداركه الباطنة بالفعل و فيه العقل بالقوّة و يسمّى العقل الهيولانىّ ، و غذاءه فى الرّحم دم منضوج يصلح لان يكون غذاءه ، و بعد التّولّد ايضاً دم مستحيل الى اللّبن ليكون موافقاً لبدنه ، وبعد استحكام اعضائه وشدّة عظمه وغلظه بحيث لايستضرّ بغير اللّبن يفطم من اللّبن ويغتذى بلذائذ الاغذية ، ولايعرف الّا مايشتهيه الى ان يصل الى اوان المراهقة ويميز بين الخير والشّر فى الجملة متدرّجاً فيه الى زمان الرّشد واستعداد التّميز بين الخير والشّر الباطنين ، وحينئذ يصير عقله بالفعل ويستعدّ لان يدرك الاوامر والنّواهى التّكليفيّة. فان وفّقه الله لطلب من يأمره وينهاه من الله وطلب بصدق يصل بفضله تعالى لا محالة الى رسول من الله او خليفة الرّسول و يقبل رسالته اوخلافته ، فاذا قبله علّمه آداب الوصل و المبايعة والمعاهدة وبايع وعاهد وبعد البيعة والميثاق لقّنه أحكام القالب وحذّره من الانس بالنّفس الامّاره وينهاه من الاهوية الكاسدة وأوحشه منها، فاذاتوحّش وفطم عن لبنها طلب من يأنس به ويغذو من غذائه ، فاذاطلب بصدق وصل لامحالة الى رسول من الله اوخليفته ثانياً وقبل ولايته فاذا قبل ولايته وتسلّطه الباطنىّ علّمه آداب الوصل والمبايعة الخاصّة والميثاق الخاصّ وبايعه وعاهده بالبيعة الولويّة الباطنة القلبيّة الخاصّة و لقّنه احكام القلب وآنسه بابيه العقل بعد فطمه من امّه النّفس واطعمه من غذاء ابيه ؛ والمبايعة الاولى تسمّى اسلاماً والثّانية تسمّى ايماناً . ولايمكن للمسلم ان يسلك الى الله ولاالى الطّريق من حيث اسلامه ، فانّ المسلم قبل اسلامه بمنزلة من ضلّ فى بيداء عميقة لايظهر فيها آثار الطّريق وتكون كثيرة السّباع وفيها قطّاع الطّريق وهوغافل عن ضلالته وعن سباعها ويظنّ انّه فى الطّريق او فى موطنه ومحلّ قراره آمناً من كلّ مايوذيه ، والرّسول اوخليفته بمنزلة من ينبّهه عن غفلته و يخبره بضلالته وبكثرة السّباع و الموذيات فيتوحّش و يطلب طريقاً ينجيه و دليلاً يهديه فيسلّم قوله ويلتمس منه الدّلالة على آثار الطّريق فيقول: انّما انا منذر عن المخاوف ومنبّه عن الغفلة وللطّريق هاد فيبيّن علامة من هوهاد ويقول : من كنت مولاه فعلىّ(ع) مولاه مثلاً ، ولذاكان شأن النّبىّ (ص) منحصراً فى الانذار والهداية موكولة الى من عيّنه لاولى الابصار انّما انت منذر ولكلّ قوم هاد ، فاذاعيّن النّبىّ (ص) او خليفته من كان يدلّه على الطّريق يتسرّع لا محالة اليه ويلتمس منه آثار الطّريق فيأخذ منه المواثيق الاكيدة بالمبايعة و المعاقدة ثمّ يعلّمه آثار الطّريق وهوالايمان ، فاذا امن و علم آثار الطّريق فان تسرّع بآثاره وعلائمه يكن حينئذ سالكاً الى الطّريق خائفاً من السّباع والموذيات ، ومن عدم الوصول فيتعب نفسه فى السّير والحركة اليه وكثيراً مايعارضه الغيلان والسّباع وقطّاع الطّريق والموذيات فيدافع ويدفع عن نفسه بالسّلاح الّذى أعطاه المنذر اوّلاً والهادى ثانياً فينجو منهم بقوّة السّلاح ان شاء الله ، فيصل الى الطّريق الّذى هو علىّ(ع) ويحصل

له الحضورعنده ويسمّى عندهم تلك المرتبة بالفكر والحضور ، ويحصل له الرّاحة بعد التّعب والسّرور بعد الحزن والبشارة بعد الخوف واللّذّة بعدالالم ، ويصير سالكاً بعد ذلك الى الله . فانّه بعدالانذار متحيّر متوحّش خائف ، و بعد الدّلالة على الطّريق سالك الى الطّريق خائف راج متعب نفسه ، و بعد الوصول الى الطريق الموصل الى الله سالك الى الله راج خائف ، لكن خوفه ليس عن المهلك والموذى ولا خوف النّفس الامّارة المسمّى بالخوف ولاخوف النّفس العالمة بالله المسمّى بالخشيه بل خوف القلب المسمّى بالهيبة ، والسّالك فى هذه الحالة قد يفنى عن نسبة الافعال الى نفسه ويرى الافعال من علىّ(ع) وقد يشارك علياً (ع) فى الافعال وقد يتّحد معه فى ذلك ويسمّى فناؤه عن الافعال بالفناء الفعلىّ ، فاذا سار وسلك وارتفع درجة حتّى لاينسب الصّفات الى نفسه بل يرى الصّفات ايضاً من علىّ(ع) صارت الاثنينيّة ضعيفة والمعاينة قويّة بحيث كادان لايرى نفسه ويسمّى بالفناء عن الصّفات ، لكن له رجاء وخوف بقدرشعوره بنفسه وان كان ذاهلاً عن الشّعور بالخوف والرّجاء وخوفه يسمّى سطوة، فاذاسارمعه الى ان لايرى نفسه ويغيب فى حضوره عنده عن نفسه صارت الاثنينيّة مرتفعةً ولم يكن له حينئذ نفسيّة حتّى يكون له رجاء وخوف ، ويصير حينئذ مصداقاً لقوله (ع) : اذا وصلوا اتّصلوا فلايكون فرقٌ بينه وبين حبيبه ، و يسمّى بالفناء الذّاتىّ ؛ويسمّى الفناءات بالمحو و المحق والطّمس وهو قبل الاسلام يسمّى ضالاً تائها و بعده يسمّى مسلماً وطالباً . فان لم يطلب من يهديه الى الطّريق و وقف خصوصاً بعد الانقطاع عمّن أسلم على يده يسمّى ايضاً ضالاً ولذلك ورد: من أصبح من هذه الامّة لاامام له من الله تعالى اصبح ضالاً تائهاً، وان مات على هذه الحالة مات ميتة كفر ونفاق . وبعد الوصول الى امامه وولىّ امره والمبايعة معه واعطاء الميثاق له يسمّى سالكاً وسائراً الى الطّريق لا الى الله بلا واسطة ، وان كان سيره الى الطّريق سيراً الى الله ويسمّى سيره هذا سفراً من الخلق الى الحقّ ، وبعد وصوله الى الطّريق يصير سالكاً الى الله ويسمّى سيره هذا سفراً من الحقّ بالحقّ الى الحقّ ، فاذا وصل وفنى عن افعاله وصفاته وسار بالوصال فى فناء ذاته يسمّى سائراً فى الله ويسمّى سيره هذا سفراً بالحقّ فى الحقّ ، وبهذا السّير يتمّ له العبوديّة والفناء ولايبقى منه ذات ولااثر ويصير وصاله اتّصالاً و ينتقل بعد ذلك عبوديّته الى الرّبوبيّة وفناؤه الى البقاء . وماقالوا : من انّ الفقر اذا تمّ فهو الله، اشارة الى هذا فانّه بعد صحوه يصير موجوداً بوجود الله وباقياً ببقاء الله وحاكماً بحكم الله وخليفةً لله ، لانّه اذا صار عبداً لله وعلم الله صدق عبوديّته ردّه الى ما عاد منه ووكله بأمور بيته الّذى هو قلبه و شرّفه بشرافة خلافة البيت فاذا وجده فى اصلاح البيت بصيراً اميناً كاملاً وكله بامور مملكته و شرّفه بشرافة خلافة المملكة ويسمّى هذا العود بعد الاوب سفراً من الحقّ الى الخلق بالحقّ ، فاذا وجده فى اصلاح المملكة و تعمير بلاد ها و تكثير عبادها بصيراً اميناً بالغاً دعاه ثانياً الى مقام الانس وآنسه بنفسه ، لكن هذا الحضورغير الحضور الاوّل ؛ فانّ الاوّل دهشة وحيرة وفقر وفاقة وهذا انس وحشمة وغناء لكن بانس الله وحشمته وغنائه . فاذا آنسه وارتضاه فوّض اليه جميع اموره من عباده وجنوده وسجنه وسجّينه واضيافه و مضيفه و اعطائه و منعه فمن شاء يسجنه و من شاء يضفه ، و من شاء يعطه و من شاء يمنعه فله التّسلّط و التّصرّف فيمن شاء كيف شاء ويسمّى هذا فى الحضور الاوّل والفناء التّامّ عبداً ، و فى حال اصلاح البيت نبياً ، و فى حال اصلاح المملكة رسولاً ، وفى الحضور الثّانى خليلاً ، وفى حال التّفويض اماماً ؛ وهذه الامامة غيرمايطلق على ائمّة الجور، وغير ما يطلق على ائمّة الجماعة ، وغيرما يطلق على الاولياء الجزئيّة بل هى مرتبة لايتصوّرفوقها مرتبة . ولا يلزم ممّا ذكرنا ان يكون كلّ من بايع النّبىّ (ص) بالبيعة العامّة وصل الى مقام البيعة الخاصّة كاكثر العامّة، ولاكلّ من بايع البيعة الخاصّة وصل الى الطّريق كاكثر الشّيعة ، ولاكلّ من وصل الى الطّريق وصل الى الحقّ ، ولاكلّ من

وصل الى الحقّ صار عبداً، ولا كلّ من صار عبداً صار نبيّاً، ولا كلّ نبيّ رسولاً، ولا كلّ رسول خليلاً، ولا كلّ خليل اماماً؛ ولمّا كانت الامامة بهذا المعنى خلافة مطلقة كلّيّة و نهاية لجميع المراتب واستشعر الخليل (ع) بأنّها آخر مراتب الكمالات الانسانيّة صار مبتهجاً ومن ابتهاجه قال: ومن ذرّيّتي [وَلِلّٰهِ مٰا فِي السَّمٰوٰاتِ وَمٰا فِي الْأَرْضِ] اللّام للاختصاص وقد يستعمل باعتبار المبدأ وقد يستعمل باعتبار الغاية وقد يستعمل باعتبار المملوكيّة كما يقال: هذا البيت لفلان يعني بانيه ومصدر بنائه فلان لاغير، اوهذا البيت لسكنى الشّتاء اولسكنى الصّيف باعتبار غايته، اوهذا البيت لفلان يعني فلان مالكه من غير شراكة الغير، والمراد في هذا الموضع وامثاله معنى عامٌّ يشمل المعاني الثّلاثة، يعني لله ما فيهما بدواً وغايةً و ملكاً وهو عطف اوحال فيه اشعار بالتّعليل وكذا قوله تعالى [وَكٰانَ اللّٰهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطاً] كأنّه قال: لااحداحسن حالاً ممّن أسلم وجهه لله واتّبع خليله، لانّ كلّ مافي السّماوات و الارض مملوك له وله العلم بكلّ شيء فيعلم من اسلم وجهه له و يعلم مرتبته و قدر استحقاقه فلا يمسك عنه ما هو مستحقّ له [يَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسٰاءِ] اى في حكم نسائهم من الالفة والفرقة بقرينة و ان امراة خافت من بعلها (الآية) اوفي حكم مطلق النّساء من الارث بقرينة في يتامى النّساء اللّاتي لاتؤتونهنّ ما كتب لهنّ اوفي حكم النّساء بحسب الارث من الازواج كما مضى حكمه، اومن الارحام كما مضى ايضاً، اوبحسب المعاشرة كما يأتي [قُلِ اللّٰهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ] و في نسبة الافتاء الى الله في الجواب اشارة الى انّ ما يقوله (ص) ليس منه برأي واجتهاد وظنّ وتخمين كما سيحدّثونه، بل هو فتيا الله على لسانه امّا لفنائه من نفسه اولوحي منه [وَمٰا يُتْلىٰ عَلَيْكُمْ] عطف على الله او على المستتر في يفتيكم وسوّغه الفصل، اوهو بتقدير فعل هو يبيّن اومانافية والجملة معطوفة على جملة الله يفتيكم اوحاليّة بتقدير مبتدء والمعنى مايتلى افتاؤه بعد عليكم [فِي الْكِتٰابِ فِي يَتٰامَى النِّسٰاءِ] متعلّق بيتلى او بدل من قوله فيهنّ [اللّٰاتِي لاٰ تُؤْتُونَهُنَّ مٰا كُتِبَ لَهُنَّ] وبذكر ما كتب لهنّ اشار الى انّ لهنّ ميراثاً مفروضاً وقد بيّن في اوّل السّورة مالهنّ بحسب الارث من الازواج ومن الارحام كانوا في الجاهليّة لايورثون الصّغير ولاالمرأة ويقولون: الارث لمن تمكّن عن المقاتلة والمدافعة عن الحريم وحيازة الغنيمة [وَتَرْغَبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ] اذا لم يكنّ ذوات جمال ولايكون لهنّ اموال ايضاً فترغبون عنهنّ لعدم المال والجمال [وَالْمُسْتَضْعَفِينَ] عطف على يتامى النّساء [مِنَ الْوِلْدٰانِ] جمع الوليد وقد مضى حكمهم بحسب الارث والحفظ والمال جميعاً في اوّل السّورة [وَ] يفتيكم ايضاً في [أَنْ تَقُومُوا لِلْيَتٰامىٰ بِالْقِسْطِ وَمٰا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ] عطف على يستفتونك اوعلى الله يفتيكم على ان يكون من جملة مقول القول يعني قل لهم ما تفعلوا من خير في ارث النّساء وقسامتهنّ وفي حفظ اليتامى واموالهم لايضع عنكم [فَإِنَّ اللّٰهَ كٰانَ بِهِ عَلِيماً وَإِنِ امْرَأَةٌ خٰافَتْ مِنْ بَعْلِهٰا نُشُوزاً] سوء عشرة معها ومنعها من حقوقها لمّا قدّم ذكر خوف نشوز المرأة ذكر ههنا خوف نشوز المرء [أَوْ إِعْرٰاضاً] تجافياً وعدم توجّه اليها مع اعطائها حقوقها من النّفقة والكسوة والقسامة فانّ النشوز عدم القيام بمايجب عليه والاعراض لما ذكر في مقابله يكون غيره [فَلاٰ جُنٰاحَ عَلَيْهِمٰا أَنْ يُصْلِحٰا بَيْنَهُمٰا صُلْحاً] قرئ يصلحا من باب الافعال وحينئذ يجوز ان يكون صلحاً مفعولاً به اى يوقعا صلحاً و ان يكون بينهما مجرّداً عن الظّرفيّة مفعولاً به، وان يكون المفعول به محذوفاً وقرئ يصّالحا ويصّلحا بتشديد الصّاد

من تصالح واصطلح والمقصود نفي الجناح من ان يصطلحا على اعطاء المرأة شيئاً من مهرها اوغيره ، او على تحمّل خدمة له لاستمالته ، اوعلى اقساط قسامتها وسائرحقوقها ، فعن الصّادق(ع) هي المرأة تكون عند الرّجل فيكرهها فيقول لها: اريد ان اطلّقك فتقول له : لاتفعل انّي اكره ان يشمت بي ولكن انظر في ليلتي فاصنع بها ما شئت و ماكان سوى ذلك من شيء فهو لك ودعني على حالتي وهوقوله تعالى : فلاجناح عليهما ان يُصلحا ولااختصاص له باسقاط المرأة حقّها بلاعوض ، فيجوز ان يجعل بدل اسقاط الحقّ عوضاً [وَالصُّلْحُ خَيْرٌ] من الفرقة والطّلاق وسوء العشرة [وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ] لانّهامطبوعةعلى جذب خيرها وعدم اخراجه من ايديها كأنّها اجبرت على الحضور عند الشّح فكأنّ نفوس الرّجال لا يمكنها امساك النّساء مع كراهتهنّ ولا القيام بحقوقهنّ ولانفوس النّساء يمكنها اسقاط حقّها و ترك حظّها والجملة الاولى للتّرغيب على الصّلح و الثّانية لتمهيد العذر لمماكسة الطّرفين عن الصّلح [وَإِنْ تُحْسِنُوا] في العشرة [وَتَتَّقُوا] عن نقص حقوقهنّ اوعن الفرقة وفتح باب الشماتة لهنّ و تمسكوهنّ مع كراهتهنّ كان الله يجزيكم بالاحسان الاحسان و بالتّقوى الغفران [فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً] فاقيم السّبب مقام الجزاء [وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا] لفظة لن للتّأبيد اشارة الى انّه كالمحال [أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ] فانّ العدل التّسوية بينهنّ وهي ان كانت ممكنةً بحسب الظّاهر فليست بمقدورة بحسب ميل القلب [وَلَوْ حَرَصْتُمْ] على العدل بينهنّ ، عن النّبيّ(ص) انّه كان يقسم بين نسائه و يقول : اللّهمّ هذه قسمتي فيما أملك فلا تلمني فيما تملك ولا املك [فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ] بسراية ميل الباطن الى احديهنّ وكراهة الاخرى الى الظّاهر فتجعلوا قسامتهنّ و غير قسامتهنّ مطابقة لميلكم الباطنيّ بهنّ [فَتَذَرُوهَا] اى المكروهة [كَالْمُعَلَّقَةِ] الّتي لابعل لها ولااختيارلهالنفسها ، روى انّ عليّاً(ع) كان له امرأتان وكان اذاكان يوم واحدة لايتوضّأ في بيت الاخرى ، فواحسرتاه على العدول الّذين في زماننا وقسامتهم بين ازواجهم كسائرموارد عدلهم . ! [وَإِنْ تُصْلِحُوا] انفسكم بتقليل تفاوت الميل القلبيّ بقدرمايمكن وتسوية التّرحّم عليهنّ باتّصافكم بالرّحمة الّتي هي من صفات الله [وَتَتَّقُوا] عن الانزجار القلبيّ عمّن تكرهونهنّ بالاغضاء عن نقائصهنّ ومعايبهنّ الّذي هوالمغفرة لهنّ صرتم متخلّقين باخلاق الله ومستحقّين لرحمته ومغفرته لتخلّقكم بهما [فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُوراً رَحِيماً] فاقيم السّبب مقام المسبّب ، او المعنى ان تصلحوا ما افسدتم بالميل الكلّيّ وتتّقوا عن الافساد فيما يأتي صرتم احقّاء برحمته ومغفرته ، اوالمعنى وان توقّعوا الصّلح وتتّقوا عن الفرقة بالتّرحّم عليهنّ والمغفرة لهنّ صرتم مستحقّين لرحمته بقرينة مقابلته لقوله تعالى [وَإِنْ يَتَفَرَّقَا] بعد عدم الرّضا بالصّلح و عدم احسان الازواج [يُغْنِ اللَّهُ كُلّاً مِنْ سَعَتِهِ] بالازواج للرّجال والازواج للنّساء ، اوبصفات الملائكة وخصالهم فيسلوكلّ من الزّوج بانساء الطّبيعة عن المضاجعة وتقليل شهوة النّكاح اوبالاموال الدّنيويّة فيعطي كلّاً مايغنيه ، وحديث امر الصّادق(ع) شاكياً من الفقر بالنّكاح واشتداد الفقر عليه بعد النّكاح و امره ثانياً بالفرقة و حصول الغناء له يدلّ على الاخير ولاينا في التّعميم [وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعاً حَكِيماً] عطف فيه معنى التّعليل يعني يقدر على التّوسعة في الازواج او في الخصال او في الاموال على فرض التّفرّق لانّه واسع بحسب كلّ شيء ويأمركم بالاحسان والاغضاء لانّه حكيم وفيما يأمركم به صلاحكم [وَلِلَّهِ] صدوراً ورجوعاً

وملكاً [مٰافِي السَّمٰوٰاتِ وَمٰافِي الْاَرْضِ] فيه ايضاً معنى التّعليل [وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ اُوتُوا الْكِتٰابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَاِيّٰاكُمْ اَنِ اتَّقُوا اللّٰهَ] فيه تأكيد أكيدٌ للتّقوى اشعاراً بانّ ما ذكر على طريق المداراة معكم من التّقوى عن سوء العشرة وعن الفرقة فهو وصيّة قديمة وجديدة فما لكم لاتتّقون عن سوء العشرة وتنتهون فى امر ازواجكم الى الفرقة ولقد جمع الله فى هذه الوصيّة على سبيل الاجمال جميع ما ينبغى ان يوصى به فانّ تقوى الله عمّا لا يرضى ملاك ترك كلّ حرام ومكروه ومناط فعل كلّ واجب ومندوب [وَاِنْ تَكْفُرُوا] وتخرجوا من السّماء الّتى هى محلّ الطّاعة الى الارض الّتى هى محلّ الشّرك والمعصية فلاتخرجوا من مملكته حتّى ينقص فيها شيء ولاحاجة له الى طاعتكم وتقويكم حتّى لايقضى بتركك حاجته ، ولايلحقه ذمّ بواسطة كفركم حتّى يحتاج فى رفعه الى طاعتكم ، ولاحاجة له الى حفظكم لنفسه ومملكته حتّى تكونا بتركك الطّاعة غير محفوظتين [فَاِنَّ لِلّٰهِ مٰافِي السَّمٰوٰاتِ وَمٰافِي الْاَرْضِ وَكٰانَ اللّٰهُ غَنِيّاً حَمِيداً] فاقيم السّبب مقام الجزاء [وَلِلّٰهِ مٰافِي السَّمٰوٰاتِ وَمٰا فِي الْاَرْضِ] تأكيدٌ للسّابق و تمهيد وتعليل لكونه وكيلاً على كلّ شيء ومقتدراً على التّصرّف فى كلّ شيء بأىّ نحو شاء [وَكَفىٰ بِاللّٰهِ وَكِيلاً] فلا حاجة له فى الحفظ الى طاعتكم [اِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ اَيُّهَا النّٰاسُ وَيَأْتِ بِآخَرِينَ] فلا تخرجوا بكفركم عن تحت قدرته و تصرّفه [وَكٰانَ اللّٰهُ عَلىٰ ذٰلِكَ قَدِيراً] روى انّه لمّا نزلت هذه الآية ضرب النّبىّ(ص) يده على ظهر سلمان(ره) وقال : هم قوم هذا يعنى عجم الفرس، والمراد انّه شاء ذلك ويأتى لامحالة بآخرين وهم قوم هذا [مَنْ كٰانَ يُرِيدُ ثَوٰابَ الدُّنْيٰا] بترك التّقوى والكفر بالله فليطلبه بالتّقوى و طاعة الله حتّى يحصل له ثواب الدّنيا مع ثواب الآخرة فانّ من كانت الآخرة همّته كفاه الله همّته من الدّنيا [فَعِنْدَ اللّٰهِ ثَوٰابُ الدُّنْيٰا وَالْآخِرَةِ] فهو جواب لما عسى ان يقال : انّ تارك التّقوى لايلتفت فى طاعته و تركه الى حاجة لله اليه فى شيء ممّا ذكر بل يريد ثواب الدّنيا و يظنّ انّه لا يحصل بالتّقوى و لذا اتى به مفصولاً لاموصولاً بالعطف [وَكٰانَ اللّٰهُ سَمِيعاً بَصِيراً] فاذا اطاعوا واتّقوا وطلبوا قالاً اوحالاً يسمعهم ويجيبهم ، واذا لم يطلبوا وكان غرضهم ذلك اولم يكن غرضهم ذلك ولكن كان حاجتهم اليه يبصر اغراضهم ومقدار حاجاتهم فيعطيهم من ثواب الدّنيا ايضاً [يٰا اَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا] على يد محمّد(ص) بالبيعة العامّة وقبول الدّعوة الظّاهرة [كُونُوا قَوّٰامِينَ] اثبتوا على هذا الوصف فانّ تخليل الكون للدّلالة على الثّبات والدّوام ، والقوّام الخارج عن الاعوجاج والمخرج نفسه و قواه وغيره عنه فانّه يستفاد من المبالغة السّراية الى الغير كما فى الظّهور او هو مأخوذ من قام عليه و بأمره اذا اصلحه [بِالْقِسْطِ] اى بالعدل فانّه بسبب التّسوية بين طرفى الافراط و التّفريط فى النّفس و بسبب تساوى طرفى النّزاع عند النّفس فى النّزاع الخارجىّ يمكن الخروج و الاخراج عن الاعوجاج و يجوز تعلّقه بقوله تعالى [شُهَدٰاءَ] متحمّلين ومؤدّين للشّهادة خبرٌ بعد خبر تفسير للاوّل او حال كذلك [لِلّٰهِ] لطلب رضا الله اوفى شهادات الحسبة لانّ فيها صاحب الحقّ هو الله ، او لله باعتبار مظاهره وخلفائه ولاسيّما اتمّ مظاهره الّذى هو علىّ(ع) والآية عامّة لكنّ المقصود والعمدة هو هذا فانّها توصية وتوطئة لتحمّل الشّهادة لعلىّ(ع) حين التمسه النّبىّ(ص) منهم بقوله : رحم الله امرءً سمع فوعى، ولاداء الشّهادة

لعليّ(ع)حين التمسه عنهم بقوله ، الا فليبلغ الشّاهد منكم الغائب ، وحين التمس عليّ(ع) عنهم بعدالنّبيّ(ص) ان يؤدّوا ما سمعوا عنه ، ولكن ما وفوا بهذه الوصيّة وما ادّوا [وَلَوْعَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ] مضرّاً عليها فانّها احبّ الاشياء عليكم [أَوِالْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ] فانّهم بعدالانفس احبّ الاغيار [إِنْ يَكُنْ] كلّ واحد من الطّرفين [غَنِيّاً أَوْفَقِيراً] فلا تخرجوا عن الاستقامة بملاحظة انّ الفقير اولى بالانتفاع وعدم التّضرّر والغنيّ لايتضرّر على فرض عدم وصول ماله اليه اوينتفع الغير بما له على فرض الشّهادة عليه زوراً ، اوبخيال انتفاعكم عن الغنيّ وعدم تضرّركم منه وعدم مبالاتكم بالفقير [فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا] فامتثلوا امره ولاتبالوا بتضرّرالفقير وعدم تضرّر الغنيّ [فَلَاتَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَنْ تَعْدِلُوا] اى فى العدول عن الحقّ او بسبب العدول اولكراهة العدل فى الشّهادة [وَإِنْ تَلْوُوا] السنتكم بالشّهادة حين الاداء بان تغيّروها بالسنتكم وقرئ تلوا من ولى بمعنى توجّه [أَوْتُعْرِضُوا] بكتمانها يجازكم الله بحسبه [فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَاتَعْمَلُونَ خَبِيراً] فاقيم السّبب مقام الجزاء [يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا] بالايمان العامّ و البيعة على يد محمّد(ص) وقبول دعوته الظّاهرة [آمِنُوا] بالايمان الخاصّ والبيعة الولويّة وقبول الدّعوة الباطنة ، فانّ الاسلام وهو البيعة العامّة النّبويّة واخذ الميثاق على اعطاء الاحكام القالبيّة والتّوبة على يد محمّد(ص) قد يسمّى ايماناً، لانّه طريق اليه وسبب لحصوله ، والايمان حقيقة هو البيعة الولويّة والتّوبة على يد عليّ(ع) اوعلى يد محمّد(ص) من حيث ولوتيه واخذ الميثاق على اعطاء الاحكام القلبيّة وادخال الايمان فى القلب ، ولذلك قال فى انكارايمان المدّعين للايمان : ولمّا يدخل الايمان فى قلوبكم؛ فعلى هذا لاحاجة الى التّكلّفات البعيدة الّتى ارتكبها المفسّرون [بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ] يعنى انّ الايمان بمحمّد(ص) بقبول دعوته الظّاهرة اسلام وانقياد له وتقليد محض لامعرفة فيه ولاتحقيق ، وانّما يحصل المعرفة من طريق القلب فآمنوا بعليّ(ع) بقبول دعوته الباطنة حتّى يدخل الايمان فى قلوبكم ويفتح ابواب قلوبكم الى الملكوت فتعرفوا الله و رسوله (ص) وكتابه الجامع الّذى هو النّبوّة ، وكامله فى محمّد(ص) وصورته القرآن وناقصه كان فى الانبياء السّلف وصورته التّوراة والانجيل والصّحف والزّبور وغيرها، وللاشارة الى الفرق بين نبوّة محمّد(ص) ونبوّة غيره بالكمال والضّعف قال فى الاوّل نزّل بالتّفعيل الّذى فيه تعمّل وفى الثّانى انزل خالياً منه وقرئ فيهما بالبناء للمفعول [وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ] ذكرهم بالتّرتيب من المبدء الى المنتهى، فانّ المراد بالملائكة العقول وبالكتب النّبوّات واحكامها فانّها نزولاً بعد الملائكة والرّسالة بعد النّبوّة ، والكفر بها مسبّب عن الكفر بالولاية وعدم قبول الدّعوة الباطنة ، فانّه ما لم يدخل الايمان بالبيعة على يد عليّ(ع) فى القلب لا ينفتح بابه ، وما لم ينفتح بابه الى الملكوت لم يعرف شيء منها كما عرفت ولذلك اتى به بعد الامر بالايمان بعليّ (ع) [فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالاً بَعِيداً] وصف بحال المتعلّق وتهديد بليغ للمنحرفين عن الولاية وعن قبول الايمان على يد عليّ(ع) [إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا] مفهوم الآية عامّ وتنزيلها خاصّ ، فانّ المراد بها المنافقون الّذين آمنوا بمحمّد (ص) يعنى اسلموا [ثُمَّ كَفَرُوا] بتعاهدهم على خلافه فى مكّة [ثُمَّ آمَنُوا] حين قبلوا قوله فى الغدير وبايعوا مع عليّ(ع) بالخلافة

[ثُمَّ كَفَرُوا] بتخلّفهم عن جيش اسامة حال حيوته [ثُمَّ ازْدادُوا كُفْراً] بتشديدهم لآل محمّد (ص) [لَمْ يَكُنِ اللهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلاً] لانّهم ارتدّوا عن الفطرة بقطعهم الفطرة الانسانيّة فلا رجوع لهم بالتّوبة ولاسبيل لهم الى دار الرّاحة ، فانّ الفطرة الانسانيّة هي السّبيل الى دار الرّاحة فلا يتصوّر لهم مغفرة ولاهداية ، لانّ المرتدّ الفطريّ لاتوبة له كما قالوا بالفارسيّ « مردود شيخي را اگر تمام مشايخ عالم جمع شوند نتوانند اصلاح نمايند » لانّه مرتدّ فطريّ قاطع لفطرته [بَشِّرِ الْمُنافِقِينَ] الآية الاولى بيان حال المتبوعين وهذه بيان حال الاتباع مع امكان التّعميم [بِأَنَّ لَهُمْ عَذاباً أَلِيماً] استعمال البشارة في العذاب للتّهكّم [الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكافِرِينَ] الّذين سبق ذكرهم من اعداء آل محمّد (ص) [أَوْلِياءَ] باتّباعهم وقبول دعوتهم والبيعة معهم [مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ] عليّ (ع) واتباعه [أَيَبْتَغُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ] استفهام انكاريّ للتّوبيخ يعني لاينبغي ان يبتغوا عندهم العزّة [فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلّهِ جَمِيعاً] مجتمعة عنده فما لهم يخالفون امره ولايتّبعون اولياءه و يبتغون من غيره العزّة [وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتابِ] حال من فاعل يتّخذون و جملة ايبتغون اعتراض اوعن فاعل يبتغون اوعن الله المجرور بالّلام والمراد بالكتاب امّا احكام النّبوّة او القرآن اوهما [أَنْ إِذا سَمِعْتُمْ] ان تفسيريّة او مخفّفة [آياتِ اللهِ] واعظمها عليّ (ع) [يُكْفَرُ بِها وَيُسْتَهْزَأُ بِها فَلا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ] فضلاً عن موالاتهم [حَتّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ] غاية للنّهي عن القعود معهم اوغاية لترك تعظيمهم ولاستهزاء هم المستفادين من النّهي عن القعود اى لاتقعدوا معهم لينفعلوا ولايعودوا لمثله [إِنَّكُمْ إِذاً مِثْلُهُمْ] بمحض القعود معهم فضلاً عن موالاتهم والمماثلة معهم امّا في الكفر ، ان ترضوا بقولهم ، اوفي الاثم ، ان لم ترضوا ، [إِنَّ اللهَ جامِعُ الْمُنافِقِينَ] الّذين كانوا مع محمّد (ص) ظاهراً ثمّ اتّبعوا اعداءه [وَالْكافِرِينَ] المتبوعين [فِي جَهَنَّمَ جَمِيعاً الَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ] اى ينتظرون بسببكم يعني وقوع امر من خير اوشرّ لكم كأنّ وجودكم صار سبباً لانتظارهم [فَإِنْ كانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِنَ اللهِ قالُوا أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ] يعني انّهم كانوا طالبين للدّنيا اينما و جدوها تملّقوا لها لاتعلّق لهم بكفر ولا ايمان [وَإِنْ كانَ لِلْكافِرِينَ نَصِيبٌ] سمّى الاوّل فتحاً والثّاني نصيباً اشارة الى انّ المؤمنين مقصودهم محض الفتح لاعزاز الدّين ، والكافرين لاقصد لهم الّا حظّهم ونصيبهم من الدّنيا [قالُوا أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ] الم نستول [عَلَيْكُمْ] ونتمكّن منكم فتركنا القتال معكم فوافقونا ولاتعادونا ، والاستحواذ من الكلمات الّتي جاءت على الاصل ولم يعلّ [وَنَمْنَعْكُمْ] الم نمنعكم [مِنَ الْمُؤْمِنِينَ] يتراءى ان يقال ولم نمنع المؤمنين منكم و لكن يقال منعته من الاسد اذا حفظه من افتراسه كأنّ المانع يمنعه من التّعرّض للاسد [فَاللهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيامَةِ] دعاء عليهم اواخبار ولايخلو عن تهديد والمقصود بينكم وبينهم بتقدير بينهم او بكون الخطاب للمؤمنين و الكافرين جميعاً [وَلَنْ يَجْعَلَ اللهُ لِلْكافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً] تسلّطاً دعاء اواخبار والمراد انّه لاسبيل لهم في الآخرة اوبالحجّة او في الدّنيا بالغلبة من حيث انّهم مؤمنون فانّ قتل الكافرين للمؤمنين واسرهم ونهب اموالهم انّما هي بالنّسبة الى ابدانهم الّتي هي بمنزلة السّجن لهم لابالنّسبة

الى لطيفة ايمانهم وهذا ردّ لتربّصهم نصيب الكافرين [إِنَّ الْمُنٰفِقِينَ يُخٰدِعُونَ اللّٰهَ وَهُوَ خٰدِعُهُمْ] جواب لما يتراءى ان يسأل عنه من حال المنافقين مع الله وفي عبادة الله ولذلك لم يأت بالوصل، والمراد بمخادعتهم لله خدعته باعتبار مظاهره واتمها محمّد (ص) وعليّ (ع) اويخادعون الله باعتبار ما يذكرون بالسنتهم انّ لنا مبدءً وامراً ونهياً منه وآلا فلامعرفة لهم بالله حتّى يخادعوه، ونسبة الخدعة الى الله على سبيل المشاكلة، اولانّه باستدراجه لهم يفعل فعل المخادع ، واتيان الفعل من باب المفاعلة للاشارة الى انّهم كأنّهم يغالبون الله في المخادعة وهو يغلبهم فيها [وَ] طريق عبادتهم انّهم [إِذٰا قٰامُوا إِلَى الصَّلٰوةِ قٰامُوا كُسٰالٰى يُرٰاؤُنَ النّٰاسَ] بيان لمخادعتهم الله يعني ليس في وجودهم داعٍ وشوق للعبادة كأنّهم مكرهون وقيامهم الى الصّلوة ليس لعبادة الله بل لمحض الخدعة مع الله واراءة النّاس [وَ] لذلك [لٰا يَذْكُرُونَ اللّٰهَ إِلّٰا قَلِيلاً] اى ذكراً قليلاً اوجمعاً قليلاً منهم، عن امير المؤمنين (ع) من ذكر الله في السّر فقد ذكر الله كثيراً انّ المنافقين كانوا يذكرون الله علانية فلا يذكرونه في السّر فقال الله عزّوجلّ: يراؤن النّاس ولايذكرون الله الّا قليلاً [مُذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذٰلِكَ] الامر من الايمان والكفر، من التّذبذبة بمعنى جعل الشّيء مضطرباً واصله التّذبّ وقرئ على صيغة الفاعل بمعنى مذبذبين قلوبهم [لٰا إِلٰى هٰؤُلاٰءِ وَلٰا إِلٰى هٰؤُلاٰءِ] كالنّسوان والاطفال لايستقيم رأيهم على امر واحد لضعف عقلهم وتسلّط وهمهم فانّهم اضلّهم الله [وَمَنْ يُضْلِلِ اللّٰهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلاً] حتّى يستقيم عليه ولمّا ذكر حال البالغين في الكفر والنّفاق من هذه الامّة وذكر حال النّازلين عنهم وهم المنافقون التّابعون للكافرين نادى المؤمنين على سبيل التّلطّف بهم ونهاهم عن طريق المنافقين وهدّدهم بذكر حال المنافقين فقال تعالى [يٰا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لٰا تَتَّخِذُوا الْكٰافِرِينَ أَوْلِيٰاءَ] كالمنافقين [مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَتُرِيدُونَ أَنْ تَجْعَلُوا لِلّٰهِ عَلَيْكُمْ سُلْطٰاناً مُبِيناً] فانّ اتّخاذ البالغين في الكفر والنّفاق وهم اعداء آل محمّد (ص) اولياء مع تصريح الله وتصريح نبيّه (ص) بمن هو وليّكم وعداوة هؤلاء لمن صرّحا بولايته يوجب حجّة ظاهرة لله عليكم [إِنَّ الْمُنٰافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النّٰارِ] استيناف في موضع التّعليل للنّهي، وللعالم السّفليّ كالعالم العلويّ مراتب وكلّيّاتها سبع مراتب والاراضي السّبع اشارة اليها وتسمّى طبقات ودركات ، ولمّا كان كفر النّفاق اسوء اقسام الكفر واقبحها كان سبباً لانجرار صاحبه الى الدّرك الاسفل من النّار [وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيراً] لم يقل لن تجد لهم وليّاً ولا نصيراً للاشارة الى انّ المنافقين وقعوا في الدّرك الاسفل في الدّنيا، والوليّ لايكون الّا من ولاية محمّد (ص) الّتي تفتح باب رحمة الله على العباد ولا يتصوّر فتح باب الرّحمة لمن كان في الدّرك الاسفل حتّى يحتاج الى التّصريح بنفيه عنهم، بخلاف النّصير فانّه من رسالة محمّد (ص) والرّسالة لمّا كانت ظهور رحمة الله الرّحمانيّة يتصوّر تعلّقها بكلّ احد ومع ذلك لايكون له نصير، ومابقي بين الصّوفيّة من تعاضد نفسين حين التّوبة والتّلقين، انّما هو باعتبار مظهريّة الرّسالة والولاية وباعتبار النّصرة والولاية [إِلَّا الَّذِينَ تٰابُوا] من نفاقهم [وَأَصْلَحُوا] ما افسدوا بنفاقهم بنصرة الرّسالة والرّسول اومظهره [وَاعْتَصَمُوا بِاللّٰهِ] اى بمظهره الّذي هو شيخ الارشاد وهو عليّ (ع) [وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلّٰهِ] الدّين هو الولاية، واخلاصها بان لاتكون باشراك ولاية من ليس لها باهل وبان لاتكون مشوبة بالاغراض الكاسدة [فَأُولٰئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ] لانّهم بتوبتهم على يد عليّ (ع) واعتصامهم ببيعتهم الخاصّة الولويّة صاروا

مؤمنين بعد نفاقهم وطهروا عن دنسه بالتّوبة ولذلك قبلهم عليّ (ع) [وَسَوْفَ يُؤْتِ اللّٰهُ الْمُؤْمِنِينَ اَجْراً عَظِيماً] فيساهمونهم [مٰا يَفْعَلُ اللّٰهُ بِعَذٰابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ] قد يفسّر الشّكر بتعظيم المنعم لاجل النّعمة وعلى هذا فالمراد ههنا تعظيم الله لاجل النّعمة الّتي هي عليّ (ع) فانّه اصل النّعم بل فرعها ايضاً، فلا نعمة غيره وقرينة التّخصيص تعقيبه بقوله تعالى [وَ آمَنْتُمْ] فانّه قدعلمت انّ الايمان لايحصل الّا بالبيعة الخاصّة الولويّة على يد عليّ (ع) على انّ الكلام في آل محمّد (ص) واعدائهم، وقد يفسّر الشّكر بصرف النّعمة فيما خلقت لاجله، وعلى هذا فالمراد بالنّعمة المأخوذة في الشّكر استعداد قبول الولاية والبيعة الولويّة والتهيّؤ للعروج الى الملكوت، ولانعمة اعظم منها في العالم الصّغير، كما انّه لانعمة اعظم من عليّ (ع) في العالم الكبير، وصرف تلك النّعمة في وجهها بان يسلّمها الى عليّ (ع) حتّى يعطيه مايستحقّه والقرينة ايضاً قوله تعالى: و آمنتم وتقديم الشّكر لتقدّمه على حصول الايمان فانّ البيعة وقبول الولاية لاتكون الّا بعد التّعظيم والتّسليم، وتعميم الآية لكلّ شكر ونعمة غير مخفيّ على ذوي الدّراية [وَكٰانَ اللّٰهُ شٰاكِراً] يجزي الشّكر زيادة في النّعمة فكيف يعذّب الشّاكر [عَلِيماً] لايفوت عنه شكركم فيعذّبكم لعدم العلم بشكركم.

[الجزء السّادس]

[لٰا يُحِبُّ اللّٰهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلّٰا مَنْ ظُلِمَ] استثناء من المفعول بتقدير الّا جهر من ظلم او استثناء مفرّغ بتقدير لايحبّ الله الجهر بالسّوء من احد الّا ممّن ظلم وعليهما يكون الجهر بالسّوء من المظلوم محبوباً لكن هو محبوبٌ من كلّ المظلومين اومن بعضهم، وفي كلّ اقسام الظّلم اوبعضها، وبكلّ سوء اوبسوء مخصوص مجملٌ محتاج الى البيان، اوالمستثنى منقطع والتّقدير لايحبّ الله الجهر بالسّوء لكن من ظلم يجهر بالسّوء اويباح له الجهر بالسّوء، و هذا اوفق بقراءة ظلم مبنيّاً للفاعل وبيان نظم الآية بحيث يظهر القيود فيها هكذا لايحبّ الله الشّيء المقول المجهور السّوء، يعني لاالشّيء الصّادر من غير اللّسان من الاعضاء ولاالشّيء الصّادر من اللّسان غير المجهور كالمخفت ولا الشّيء الصّادر من اللّسان المجهور غير السّيّء، او لمّا لم يكن مفهوم المخالفة من الوصف والقيد معتبراً لايلزم ان يكون هذه محبوبة بل مسكوتاً عنها، وبيانها بالآيات الاُخر و اخبار الاحكام وهذه الآية في بيان حكم القول الجهر السّوء من احكام القالب واحكام ظاهر الشّريعة، وامّا الخطرات والخيالات فانّها وان كانت اقوال النّفس وسيّئها سيّء وحسنها حسن لكن لامؤاخذة عليها في الشّريعة ورفعت عن الامّة المرحومة وكانت عليها مؤاخذة في الطّريقة كما اشاروا اليها بقولهم، في جواب من سئل عن الخطرات، هل ريح المنتن وريح الطّيّب سواء، يعني لطيّبها مجازاة وعلى منتنها مؤاخذة، وسوء القول اعمّ من كونه كذباً وافتراء، اوصدقاً وغيبةً بمالايجوز، اوصدقاً وغيبة بمايجوز، اوصدقاً من غير اسماع لغير من ينسب السّوء اليه حتّى لايكون غيبة اومع اسماع الغير في حضور من ينسب السّوء اليه والكلّ غير محبوب لله الّا قول الجهر السّوء ممّن ظلم، لكن هذا مجمل محتاج الى البيان لانّه لا يجوز بجميع شقوقه قطعاً فبيّنوا المجوّز منه لنا مثل موارد جواز الغيبة ومثل ذكر الضّيف مساوى مضيفه في ضيافته اذا لم يحسن ضيافته، ومثل تكذيب من يمدحك بماليس فيك. وقد نسب الى عليّ (ع) انّه قال استاهم الحفر وقال لخالد: انّما يفعل ذلك من كان استه اضيق من استك، لكن بقي هل هو محبوب كما هو ظاهر الاستثناء او ليس بمذموم فنقول: انّه ليس بمحبوب لله على

الاطلاق فانّه علّق محبّته على الاحسان فى مقابل الاساءة فى قوله: والكاظمين الغيظ والعافين عن النّاس والله يحبّ المحسنين ويدلّ عليه الآيات الأخر الامرة بالصّبر عند الاساءة بل يكون محبوباً اوغير مبغوض على بعض الوجوه . فانّ للانسان من اوّل اسلامه الى كمال ايمانه مراتب ودرجات ولكلّ مرتبة حكم ليس لمافوقها ولا لمادونها فلايجرى حكم مرتبة فى مرتبة اخرى، وهذا احد معنيى النّسخ فى الآيات والاخبار، فصاحب المرتبة الاولى من الاسلام الّذى لايقنع نفسه من الاساءة الواحدة بالعشرة ولايكسر سورة غضبه الّا بالمائة فاذا ائتمر بأمر الله واكتفى من الواحدة بالواحدة كان ذلك منه محبوباً و لصاحب هذه المرتبة قال الله تعالى ، فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم ، ولكن هذا من صاحب الدّرجة الثّانية مذموم وهكذا ، ولذلك ورد: حسنات الابرار سيّئات المقرّبين، والصّبر وكظم الغيظ لصاحب الدّرجة الثّانية، والعفو وتطهير القلب لصاحب الدّرجة الثّالثة، والاحسان الى المسيء للمنتهى فى الايمان، ويمكن جعل الاستثناء من لازم الآية وهو ما يستفاد من نفى المحبوبيّة من القول الجهر السّوء كأنّه قيل: كلّ احد هذا منه مذموم الّا من ظلم [وَكانَ اللهُ سَمِيعاً عَلِيماً] فكلوا امر من ظلمكم اليه ولاتجهروا بالقول السّوء اتّكالاً على الله وحياءً منه ، اوالمراد ردع المظلوم عن الزّيادة على قدر الظّلم يعنى فلاتتجاوزوا قدر الظّلم فتصيروا ظالمين فانّ الله سميع يسمع قول الظّالم وقول المظلوم عليمٌ بقدر كلّ [إِنْ تُبْدُوا خَيْراً] بالنّسبة الى من ظلمكم [أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا عَنْ سُوءٍ] ان لم يتيسّر لكم الاوّلان فانّه مقام لامقام فوقه، والمراد من العفو ههنا اعمّ من الصّفح الّذى هو تطهير القلب عن الحقد على المسيء ولذلك لم يذكره فان تفعلوا ذلك تخلّقوا بأخلاق الله وتتّصفوا بصفاته فتستحقّوا عفوه واحسانه [فَإِنَّ اللهَ كانَ عَفُوّاً قَدِيراً] على الاحسان فاقيم السّبب مقام الجزاء وقدّم الاحسان ههنا و اخّره فى آية كظم الغيظ لانّه ابدأه ههنا بصورة الشّرط و الفرض فيناسبه التّرتيب من الاعلى الى الادنى بخلافه هناك فانّه ذكر هناك على سبيل تحقّق مراتب الرّجال كما انّ قوله عفوّاً قديراً، كان على سبيل ترتيب الصّفات ، فانّ المراد من القدرة القدرة على الاحسان الى المسيء ، والاحسان الى المسيء بعد العفو عن اساءته ويجوز ان يراد بها القدرة على الانتقام وحينئذٍ يكون المعنى انّه عفوّ مع كونه قديراً على الانتقام ليكون ترغيباً فى العفو [إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ] بعد ما ذكر ادباً من الآداب جدّد ذكر محبوبه واعداء محبوبه :

از هرچه میرود سخن دوست خوشتر است

وورّاه باداته بطريق العموم كما هو ديدنه تعالى، كما قيل :

خوشتر آن باشد كه سرّ دلبران گفته آيد در حديث ديگران

فقال تعالى : انّ الّذين يكفرون [بِاللهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللهِ وَرُسُلِهِ] بان آمنوا بالله وكفروا بالرّسول [وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ] كالله [وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ] كالرّسل(ع)، اونؤمن ببعض الرّسل كمحمّد(ص) و نكفر ببعض كاوصيائه (ع) [وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذٰلِكَ] اى الايمان بمحمّد (ص) والكفر باوصيائه(ع) [سَبِيلاً] ويجوز ان يكون المراد مظاهره كعلىّ(ع) لانّ علياً(ع) بعلويّته مرتبته مرتبة المشيّة وهى ظهور الله على العباد ومقام معروفيّته وتجلّيه باسمه العلىّ ، غاية الامر انّ علياً اسم لتلك المرتبة باعتبار اضافتها الى الخلق ، و فى تفسير القمى : هم الّذين اقرّوا برسول الله(ص) وانكروا امير المؤمنين (ع) [أُولٰئِكَ

هُمُ الْكٰافِرُونَ حَقّاً] لانّهم الكاملون فى الكفر حيث ضمّوا النّفاق الى كفرهم و باظهارهم الاسلام صدّوا كثيراً عن الايمان [وَاعْتَدْنٰا لِلْكٰافِرِينَ عَذٰاباً مُهِيناً وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللّٰهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ] كسلمان واقرانه [أُولٰئِكَ سَوْفَ نُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ] قرئ بالتكلّم وبالغيبة يعنى انّا نعطيهم اجورهم بحسب عملهم ونغفرز لانهم ونتفضّل عليهم بالرّحمة الخاصّة بحسب شأننا من المغفرة والرّحمة، ولذا قال تعالى بعد ذكر اعطاء اجورهم [وَكٰانَ اللّٰهُ غَفُوراً رَحِيماً يَسْئَلُكَ أَهْلُ الْكِتٰابِ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتٰاباً مِنَ السَّمٰاءِ] استيناف منقطع لفظاً و معنىً عن سابقه و لذا لم يأت بالوصل ، روى انّ كعب بن الاشرف وجماعة من اليهود قالوا : يامحمّد(ص) ان كنت نبيّاً فأتنا بكتاب من السّماء جملة كما اتى موسى بالتّوراة جملة، فنزلت، وقال تعالى تسلية لرسوله: لاتعجب من سؤالهم ولاتعظمنّه فانّ هذا ديدنهم [فَقَدْ سَأَلُوا مُوسىٰ أَكْبَرَ مِنْ ذٰلِكَ] يعنى سأل آباؤهم الّذين هم من اسناخهم [فَقٰالُوا أَرِنَا اللّٰهَ جَهْرَةً] عياناً [فَأَخَذَتْهُمُ الصّٰاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ] وهو سؤالهم ما ليس لهم بحقّ وتجاوزهم عن حدّهم [ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ] معبوداً [مِنْ بَعْدِ مٰا جٰاءَتْهُمُ الْبَيِّنٰاتُ] اى المعجزات من موسى(ع) [فَعَفَوْنٰا عَنْ ذٰلِكَ] بمحض رحمتنا [وَآتَيْنٰا مُوسىٰ سُلْطٰاناً مُبِيناً] حجّة واضحة اوموضحة لصدقه ، اوتسلّطاً فى الظّاهر بحيث ماكان يمكن لهم التّخلّف عنه ويكون قوله تعالى [وَرَفَعْنٰا فَوْقَهُمُ الطُّورَ] بياناً للسّلطان باىّ معنىً كان [بِمِيثٰاقِهِمْ] بسبب تحصيل ميثاقهم [وَقُلْنٰا لَهُمُ] على لسان مظهرنا و خليفتنا موسى(ع) [ادْخُلُوا الْبٰابَ سُجَّداً] يعنى باب حطّة [وَقُلْنٰا لَهُمْ لاٰ تَعْدُوا فِي السَّبْتِ] يعنى جعلنا السّبت محترماً لهم ومنعناهم فيه عن بعض ما ابحناه لهم فى غيره كالصّيد [وَأَخَذْنٰا مِنْهُمْ مِيثٰاقاً غَلِيظاً] على ذلك ، ولمّا كان مقصوده تعالى من كلّ قصّة وحكاية ذكر علىّ(ع) والتّرغيب فى الولاية عرّض بذكره بعد هذه الحكاية فكأنّه قال: ياامّة محمّد(ص) قد أخذنا عليكم الميثاق بالولاية فتذكّروا امّة موسى(ع) حتّى لاتصيروا بسبب نقض هذا الميثاق معاقباً مثلهم [فَبِمٰا نَقْضِهِمْ مِيثٰاقَهُمْ] فعلنا بهم ماهو مثل على السنتكم ومشهور بينكم بحيث لاحاجة الى ذكره من مسخهم وعقوباتهم للاُخر [وَكُفْرِهِمْ بِآيٰاتِ اللّٰهِ] فتنبّهوا حتّى لاتكفروا بعلىّ(ع) [وَقَتْلِهِمُ الْأَنْبِيٰاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ] فاحذروا ان تقتلوا علياً (ع) والحسن (ع) والحسين (ع) فانّ شأنهم شأن الانبياء بل أرفع كما حدّثكم به نبيّكم [وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنٰا غُلْفٌ] اوعية للعلوم استكباراً وارتضاءً بانفسهم، اوفى اكنّة استهزاءً بالانبياء فاحذروا ان تستبدّوا بآرائكم فى مقابلهم [بَلْ طَبَعَ اللّٰهُ عَلَيْهٰا بِكُفْرِهِمْ] اضراب وابطال لما قالوا واثبات لضدّه ، يعنى ليس فى قلوبهم علم اوليس قلوبهم فى اكنّة بل طبع الله عليها بكفرهم [فَلاٰ يُؤْمِنُونَ إِلاّٰ] ايماناً [قَلِيلاً] وهو الايمان العامّ النّبوىّ (ص) اوالا قليلاً منهم [وَبِكُفْرِهِمْ] بعيسى (ع) [وَقَوْلِهِمْ عَلىٰ مَرْيَمَ بُهْتٰاناً عَظِيماً] فاحذروا ان لاتبهتوا على مريم هذه الامّة ولاتضعوا حديثاً ولاتأخذوا فدك منها [وَقَوْلِهِمْ إِنّٰا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى بْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللّٰهِ] ذكروا رسول الله استهزاءً والافما كان لهم اعتقاد برسالته يعنى بتجرّيهم على انتحال قتله و قولهم هذا لعنّاهم وعاقبناهم

فاحذروا ان تقتلوا مسيح هذه الامّة وان تفعلوا ماقال امّة عيسى (ع) فى حقّه ولم يفعلوه من ادّعاء قتله [وَمَا قَتَلُوهُ] عطف باعتبار المعنى اوحال [وَمَاصَلَبُوهُ وَلٰكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ] قد مضى فى سورة آل عمران عند قوله ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين قصّة عيسى (ع) وقتله وصلبه [وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ] عطف على ماقتلوه او على شبّه لهم اوحال من الضّمير المجرور اومن فاعل ماقتلوه قيل بعد وقوع تلك الواقعة اختلف اليهود والنّصارى فقال بعضهم: كان عيسى (ع) كاذباً وقتلناه، وقال بعضهم: لو كان المقتول عيسى (ع) فاين صاحبنا ؟ ـ وقال بعضهم: الوجه وجه عيسى (ع) والبدن بدن صاحبنا، وقال بعضهم: رفع الى السّماء لما اخبر عيسى (ع) برفعه الى السّماء، وقال بعضهم: رفع الملكوت وصلب النّاسوت، وقيل القى شبهه على جميع الحواريّين وكانوا سبعة عشر فى بيت فلمّا أحاط اليهود بهم رأوا كلّهم على مثال عيسى (ع) وقالوا: سحرتمونا فليخرج الينا عيسى (ع) والّا نقتل كلّكم فأخذوا واحداً وقالوا: هذا عيسى (ع) واشتبه الحال عليهم فاختلفوا، وقيل: انّ رؤساء اليهود اخذوا انساناً و قتلوه وصلبوه فى موضع عالٍ ولم يمكّنوا احداً منه حتّى تغيّر حليته فقالوا: قتلنا المسيح ليشتبه الامر على العوامّ لانّهم لمّا احاطوا بالبيت ورفع الله عيسى (ع) خافوا ان يؤمن به عامّتهم [مَالَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ] استثناء منقطع [وَمَا قَتَلُوهُ يَقِيناً] مفعول مطلق مؤكّد لغيره اى يُقِنّ عدم القتل يقيناً، وامّا جعله حالاً اومضافاً اليه لمفعول مطلق محذوف تقديره قتل يقين فبعيدٌ معنىً لافادته تقييد نفى القتل بحال اليقين واثباته مع الشّكّ وليس هذا مقصوداً [بَلْ رَفَعَهُ اللّٰهُ إِلَيْهِ] اختلاف اليهود والنّصارى فى مولد عيسى (ع) و فى قتله وصلبه ورفعه الى السّماء ونزوله منها علاوة على ما ذكر ههنا وعلى ماذكر فى سورة آل عمران معروف مسطور فى التّواريخ، ولاغرابة فى رفعه ببدنه العنصرىّ لغلبة الملكوت على الملك، وانكار الفلسفىّ والطّبيعىّ غير مسموع فى مقابل المشهود، والتّأويل بأنّ المقتول والمصلوب هو بدنه الدّنيوىّ وهو بماهو ليس بعيسى (ع) بل متشبّه به، والمرفوع هو بدنه الملكوتىّ وروحه عنهم معروف، ولكن بعد امكان غلبة الملكوت على الملك بحيث يعطى الملك حكمه لاحاجة لنا الى هذا التّأويل بل نقف على ظاهر ماورد فى التّنزيل و الاخبار [وَكَانَ اللّٰهُ عَزِيزاً] لايغلب فيقتل نبيّه (ع) على خلاف ارادته، اولايغلب فى مظاهر خلقائه، ومايتراءى من القتل والاذى لهم انّماهو بالنّسبة الى بدنهم العنصرىّ وهو سجن لهم ولباس لأنفسهم، وقوله تعالى [حَكِيماً] اشارة اليه يعنى ان وقع على سجنهم ولباسهم تصرّف من الاعداء فهو ايضاً بحكمه [وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ] يعنى ما احد من اهل الكتاب الّا ليؤمنن بعيسى (ع) قبل موته حين احتضاره او قبل موت عيسى (ع) اوقبل موته حين نزول عيسى (ع) من السّماء مع مهدىّ هذه الامّة، لكن نقول فى بيان ماهو المقصود انّه صرف الكلام عن حكاية حال اهل الكتاب متوجّهاً الى المقصود مخاطباً لحبيبه محمّد (ص) فى حبيبه علىّ (ع) تسليةً له (ص) فقال: ان فعلوا كلّ ما فعلوا فلاتحزن فانّهم وجميع اهل الارض يؤمنون به قبل موتهم فانّه مامن احدٍ يموت الّا ويرى علياً (ع) حين موته ويكون رؤيته راحةً لهم اونقمةً لهم، ونسب اليه عليه السّلام:

يا حار همدان من يمت يرنى ... من مؤمنٍ او منافقٍ قبلا
يعرفنى طرفه و أعرفه ... بعينه و اسمه و ما فعلا

والسّرّ فيه انّ حال الاحتضار يرتفع الحجاب ويشاهد المحتضر الملكوت، واوّل مايظهر من الملكوت

هوالولاية السّارية المقوّمة لكلّ الاشياء و الاصل فيها عليّ (ع) وكلّ الانبياء و الاولياء من السّلف و الخلف أظلاله فاوّل مايظهرهوالولاية المطلقة فيؤمن الكلّ بها ، والاخبارفي انّ المعني مامن كتابيّ الا ليؤمننّ قبل موته بمحمّد(ص) وعليّ (ع) كثيرة ، وفي خبر : هذه نزلت فينا خاصّة ، وحاصل ذلك الخبرانّه ما من ولد فاطمة احد يموت حتّى يقرّ للامام بامامته ، وماورد في تفسيره من الايمان بمحمّد(ص) اوبعيسى (ع) اوبالمهديّ (ع) كلّها راجع الى الايمان بعليّ (ع) فانّ الكلّ ظهور الولاية الكلّيّة و هو المتحقّق بها [وَيَوْمَ الْقِيٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً] يعني عيسى (ع) اوالمنظور منه تسلية اخرى لمحمّد (ص) بأنّ علياً (ع) يكون يوم القيامة شاهداً على اهل الكتاب وعلى منافقي امّته فيشهد عليهم بمافعلوا [فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هٰادُوا حَرَّمْنٰا عَلَيْهِمْ طَيِّبٰاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ] اى طيّبات الرّزق الصّوريّ او طيّبات عظيمة هي رزق الرّوح الانسانيّ من العلوم الكسبيّة او اللدنّيّة والمشاهدات والمعاينات ، والآية بتمام اجزائها تعريض بمنافقي الامّة المعرضين الصّادّين عن الولاية وآكلي الرّبا وآكلي الرّشى وغيرهم يعني اذا علمت انّ كلّما اصاب الّذين هادوا كان بشنائع اعمالهم علمت انّ تحريم الطّيّبات المحلّلة عليهم ايضاً كان بواحد منها ، يعني فاحذروا عن مثل افعالهم اوعلمت انّه كان بظلم عظيم من انواع ظلمهم وهواعراضهم عن الولاية بقرينة قوله تعالى [وَبِصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللّٰهِ] وسبيل الله هوالامام الّذي يفتح باب القلب فيسير السّالك بالتّوسّل به الى الله وكلّ عمل يدلّك على هذا الامام ايضاً سبيل الله لانّ سبيل السّبيل سبيل [كَثِيراً] صدّاً كثيراً او جمعاً كثيراً [وَأَخْذِهِمُ الرِّبٰوا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوٰالَ النّٰاسِ بِالْبٰاطِلِ] قد سبق معنى الباطل والحقّ الّذي في مقابله [وَأَعْتَدْنٰا لِلْكٰافِرِينَ مِنْهُمْ] لا التّائبين ولا المذنبين المعترفين [عَذٰاباً أَلِيماً] لمّا توهّم من نسبة سؤال الكتاب والنّقض والصّدّ وغير ذلك اليهم عموماً انّ الكلّ كانوا مخالفين له (ص) غير مؤمنين به استدركه بقوله تعالى [لٰكِنِ الرّٰاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ] اى منهم فالمعنى و المنقادون المسلمون بأنبيائهم و خلفاء انبيائهم او المؤمنون من امّتك فالمعنى والمنقادون المسلمون بك من امّتك اومنهم ومن امّتك [يُؤْمِنُونَ بِمٰا أُنْزِلَ إِلَيْكَ] عموماً ومنه الولاية اوبما انزل اليك من ولاية عليّ (ع) خصوصاً فانّها منظورة من كلّما ذكر [وَمٰا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ] في عليّ (ع) اوعموماً [وَالْمُقِيمِينَ الصَّلٰوةَ] ويؤمنون بالمقيمين الصّلوة ولمّا وسم علياً (ع) باسم مقيم الصّلوة ومؤتي الزّكوة بقوله: الّذين يقيمون الصّلوة ويؤتون الزّكوة وهم راكعون وربّما عنه بالمقيمين الصّلوة وأتى بالمؤتون الزّكوة بالرّفع ليكون توريةً اخرى حتّى لايسقطوه كسائر موارد التّصريح به وعلى هذا فقوله تعالى [وَالْمُؤْتُونَ الزَّكٰوةَ] خبر مبتدء محذوف كأنّه قال : و هم المعهودون بايتاء الزّكوة في الرّكوع وقد بيّن العامّة وجوهاً لاعراب الآية لافائدة في ايرادها وان كانت محتملةً بحسب اللّفظ [وَ] هم [الْمُؤْمِنُونَ بِاللّٰهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أُولٰئِكَ] الرّاسخون المؤمنون [سَنُؤْتِيهِمْ أَجْراً عَظِيماً] لايمانهم بما انزل اليك في عليّ (ع) [إِنّٰا أَوْحَيْنٰا إِلَيْكَ] استيناف لتشييد رسالته حتّى يستفاد منه صدقه في الولاية او لتشييد الوحي اليه في الولاية ولذا لم يأت بأداة الوصل ، وتقديم المسند اليه مضمراً مصدّراً بانّ لتقوية الحكم مع اشارة ما الى الحصر ، فان كان المقصود نفس تقرير الوحي اليه من غير نظر الى الوحي به فالمعنى لابدع في الوحي اليك حتّى

تستوحش من عدم قبولهم ويستوحشوا من ادّعائك فلاتبال بردّهم وقبولهم ، وان كان المقصود تقرير الوحى بالخلافة فالمعنى انّا اوحينا اليك بالخلافة ، ويؤيّده انّه لو كان المراد تقرير الرّسالة لكان ارسلنا مقام اوحينا اوقع ، وايضاً لو كان المراد ذلك لما ذكر بعد الرّسل فى قوله لئلّا يكون للنّاس على الله حجّة بعد الرّسل لانّ معناه حينئذٍ بعد ارسال الرّسل ، وهذا المعنى يستفاد من كون اللّام غايةً لارسال الرّسل بخلاف ما اذا كان غايةً للوحى بالخلافة ، فانّ معناه حينئذٍ لئلّا يكون الارض بعد مضىّ الرّسل خاليةً عن الحجّة [كَمٰا أَوْحَيْنٰا إِلىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ] بالخلافة فلم يكن الوحى بالخلافة بدعاً حتّى يستوحشوا منه فلاتبال بهم [وَأَوْحَيْنٰا إِلىٰ إِبْرٰاهِيمَ] عطف على المشبّه اوالمشبّه به و ذكر هؤلاء مخصوصاً بعد ذكرهم عموماً فى النّبيّين لشرافتهم والاهتمام بهم [وَإِسْمٰاعِيلَ وَإِسْحٰاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبٰاطِ وَعِيسىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهٰارُونَ وَسُلَيْمٰانَ وَآتَيْنٰا دٰاوُدَ زَبُوراً وَرُسُلاً] امّا من باب الاشتغال اوبتقدير ارسلنا [قَدْ قَصَصْنٰاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ] اليوم اومن قبل هذه السّورة [وَرُسُلاً لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللّٰهُ مُوسىٰ تَكْلِيماً] فكيف بالوحى [رُسُلاً] حال موطّئة [مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلّٰا يَكُونَ لِلنّٰاسِ عَلَى اللّٰهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ] بعد ارسال الرّسل وقد مضى انّ هذا المعنى يستفاد من اللّام ، اواوحينا بالخلافة لئلّا يكون للنّاس على الله حجّة بعد مضىّ الرّسل بان قالوا: كنّا فى زمانٍ لم يكن فيه رسولٌ ولا من يعلّمنا معالم ديننا [وَكٰانَ اللّٰهُ عَزِيزاً] لا مانع له من ارسال الرّسل ولامن نصب الخليفة لهم [حَكِيماً] يكون ارسال الرّسل منه ونصب الخليفة لمصالح كلّيّة وغايات متقنة [لٰكِنِ اللّٰهُ يَشْهَدُ] استدراك عن جواب سؤالٍ يناسب المقام كأنّ سائلاً يسأل: هل يشهد الامّة بذلك؟ فأجيب لايشهدون لكن الله يشهد [بِمٰا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلاٰئِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفىٰ بِاللّٰهِ شَهِيداً] فلا حاجة الى غيره ، وورد عنهم (ع) انّه أنزل لكن الله يشهد بما انزل اليك فى علىّ (ع) [إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا] استيناف كأنّ السّامع سئل و طلب بيان حال الكافر بما أنزل اليه مع انّ الله يشهد به و لذا اكّده و المراد بهذا الكفر ، الكفر بما انزل اليه فى علىّ (ع) اوالكفر بسبيل الله على سبيل التّنازع [وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللّٰهِ] عن ولاية علىّ عليه السّلام [قَدْ ضَلُّوا] عن الطّريق [ضَلاٰلاً بَعِيداً] لانّك قد علمت انّ الطّريق هو علىّ (ع) ولايحصل الّا بدلالة علىّ (ع) وانّهم كفروا به وصدّوا الغير عنه ، ولمّا ذكر حالهم فى انفسهم كأنّ السّامع طلب حالهم مع الله ونسبة مغفرته وهدايته لهم فقال جواباً لهم: [إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا] بوضع المظهر موضع المضمر اظهاراً لشناعة حالهم وذكراً لذمّ آخر لهم بذكر ظلمهم وابرازاً للسّبب فى عدم المغفرة [وَظَلَمُوا] آل محمّد (ص) هكذا ورد عنهم (ع) [لَمْ يَكُنِ اللّٰهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلاٰ لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقاً] لانّ ما به المغفرة هو الولاية و لانّ الهداية الى طريق الجنّة قد عرفت انّها مخصوصة بالولاية لانّ شأن النّبوّة الانذار [إِلّٰا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خٰالِدِينَ فِيهٰا أَبَداً وَكٰانَ ذٰلِكَ عَلَى اللّٰهِ يَسِيراً] ثمّ نادى النّاس تلطّفاً بهم وتنبيهاً لهم بعد ما اكّد امر الولاية و هدّد الكافرين بها ابلغ تهديد فقال تعالى : [يٰا أَيُّهَا النّٰاسُ قَدْ جٰاءَكُمُ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ] اى بولاية علىّ (ع) فانّها الحقّ وكلّ ماسواها حقّ بها كما مضى [مِنْ رَبِّكُمْ] فلا تبالوا بمن كفر به ولاتتّبعوه [فَآمِنُوا] بهذا الحقّ

اوبالرّسول فيما قال فى حقّ هذاالحقّ واتّبعوا [خَيْراً لَكُمْ] اوايماناً خيراً لكم او حالكونه خيراً لكم او يكن خيراً لكم [وَإِنْ تَكْفُرُوا] بهذا الحقّ لاتخرجوا من حيطة قدرته و تصرّفه ولا يهملكم من غير عقوبة وجزاء [فَإِنَّ لِلّٰهِ مٰا فِي السَّمٰوٰاتِ وَمٰا فِي الْأَرْضِ وَكٰانَ اللّٰهُ عَلِيماً حَكِيماً] لايهملكم بل يجزيكم بما يقتضى حكمته [يٰا أَهْلَ الْكِتٰابِ لاٰ تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ] بحطّ عيسى(ع) عن مرتبته و جعله لغير رشده ورفعه عن مرتبته بجعله آلهاً اوابناً والغلوّ وان كان فى الافراط اظهر لكن صاحب التّفريط فى حقّ عيسى(ع) من اليهود باعتبار انّه مجاوز للحدّ فى حطّه(ع) عن مرتبة ولد الرّشدة الى اللّغيّة وباعتبار انه مجاوز فى حقّ دينه بعد النّسخ الى ابقائه غال وهوتعريض بالمفرط والمفرّط فى علىّ(ع) من هذه الامّة [وَلاٰ تَقُولُوا عَلَى اللّٰهِ إِلَّا الْحَقَّ] لاتقولوا والداً اوثالث ثلاثة [إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللّٰهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقٰيٰهٰا إِلىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ] وليس لغيّة كما زعمته اليهود ولابناً اوآلهاً كما زعمته النّصارى [فَآمِنُوا بِاللّٰهِ وَرُسُلِهِ وَلاٰ تَقُولُوا] الاقانيم[1] [ثَلٰاثَةٌ] الله والمسيح(ع) ومريم(ع) وهذا قول بعضهم كما اشار اليه تعالى بقوله: «انت قلت للنّاس اتّخذونى وامّى الٰهين اثنين» والّا فاكثرهم لا يقولون ذلك وسيجيء تحقيقه فى سورة المائدة [انْتَهُوا] عن التّثليث [خَيْراً لَكُمْ] مضى نظيره [إِنَّمَا اللّٰهُ إِلٰهٌ وٰاحِدٌ] لا شريك له فى الآلهة كما توهّمتم يظنّ انّ المناسب لنفى القول بانّ الآلهة ثلاثة ان يقال انّما الآله واحد لكنّه تعالى عدل الى هذا لافادة هذا المعنى منه مع شيء زائد هو تعيين ذلك الواحد لانّه قد يقال: هذا واحد مقابل الاثنين و بهذا المعنى كلّ ذات واحدة و قد يقال: هذا واحد ويراد نفى التّشريك والنّظير والقرين عنه و هذا هو المراد فانّ المقصود انّ الله آلهٌ واحدٌ لا شريك له فى الآلهة ولا نظير ولا قرين، و هذا يفيد انّ جنس الآله واحد و ذلك الواحد هوالله [سُبْحٰانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مٰا فِي السَّمٰوٰاتِ وَمٰا فِي الْأَرْضِ] كلٌّ له مملوك لايماثله شيءٌ ولايساويه حتّى يكون له ولد [وَكَفىٰ بِاللّٰهِ وَكِيلاً] يعنى انّه غنىّ عن اخذ الوكيل فلايحتاج الى ولد يكون وكيلاً له [لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْداً لِلّٰهِ] جواب آخر للنّصارى فى افراطهم و توطئة للتّعريض بالمستنكفين من امّة محمّد (ص) عن عبادة الله فى امره بولاية علىّ(ع) [وَلاَ الْمَلاٰئِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبٰادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ] الاستنكاف التّرفّع على الشّيء بتصوّر نقصان فيه و الاستكبار التّرفّع عليه بتصوّر المستكبر رفعة فى نفسه [فَسَيَحْشُرُهُمْ] اى العابدين والمستنكفين [إِلَيْهِ جَمِيعاً] و فيه تعريض بالمستنكفين عن قول الله فى ولاية علىّ(ع) [فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا] بالبيعة العامّة [وَعَمِلُوا الصّٰالِحٰاتِ] بالبيعة الخاصّة والاعمال المتعلّقة بها، اوآمنوا بالبيعة الخاصّة وعملوا الاعمال المتعلّقة بها، وقدعرفت انّ الصّالح اصلاً هوالولاية وكلّ ماتعلّق بها فهوصالح من باب الفرعيّة وكلّ ما لم يتعلّق بها فليس بصالح وان كان بصورة الصّالح [فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ] التّوفية الاعطاء بالتّمام [وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنْكَفُوا وَاسْتَكْبَرُوا فَيُعَذِّبُهُمْ عَذٰاباً أَلِيماً

---

١ - الاقنوم بالضم الاصل، لغة رومية.

وَلا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللهِ وَلِيّاً وَلا نَصِيراً] قد مضى انّ النصير هو النّبوّة والنّبيّ و انّ الولىّ هوالولاية والولىّ ويقوم مقامهماخلفاؤهما [يا أَيُّهَا النّاسُ قَدْ جاءَكُمْ بُرْهانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنا إِلَيْكُمْ نُوراً مُبِيناً] برهان الشّيء ما يدلّ عليه ، و النّور ما به يرى الاشياء ، وقد سبق انّ الرّسالة تنبّه عن الغفلة و الجهالة و تدلّ على من يهدى الى الطّريق ، والولاية بها يرى الطّريق فالبرهان محمّد(ص) من حيث الرّسالة والنّور علىّ(ع) من حيث الولاية اذا تحقّقت هذا فلا اعتناء بما قيل فى تفسير الآية خصوصاً بعد ما فسّره الائمّة الّذين هم اهل الكتاب بما ذكرنا، والمبين بمعنى الظّاهراوالمظهر وفى ذكر جاء ومن ربّكم فى جانب البرهان و الانزال مع ضميرالمتكلّم فى جانب النّور اشارة الى شرافة الولاية بالنّسبة الى الرّسالة ، لا اقول ولاية علىّ(ع) اشرف من ولاية محمّد(ص) ورسالته حتّى يتوهّم متوهّم بل اقول : ولاية محمّد(ص) اشرف من رسالته [فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ] لمّا كان ذكرالايمان ههنا بعد البرهان والنّور فالاولى ان يكون اشارة الى البيعتين فقوله آمنوا بالله اشارة الى البيعة العامّة على يد محمّد (ص) [وَاعْتَصَمُوا بِهِ] اشارة الى البيعة الخاصّة على يد علىّ(ع) [فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِنْهُ] هى موائد الولاية [وَفَضْلٍ] موائد الرّسالة لما مضى انّ الرّحمة هى الولاية والفضل هوالرّسالة [وَيَهْدِيهِمْ] يذهبهم [إِلَيْهِ صِراطاً مُسْتَقِيماً] اى درجات الولاية و لمّا كانت البيعة العامّة متقدّمة على البيعة الخاصّة قدّم الايمان بالله على الاعتصام بعلىّ (ع) و لمّا كان ثمرة الولاية وهى الفناء متقدّمة على حاصل الرّسالة و هو البقاء بعد الفناء عكس فى الجزاء و قدّم الادخال فى الرّحمة على الادخال فى الفضل واخّر الهداية الى الصّراط المستقيم لانّها تكون بمجموع الفناء والبقاء و [يَسْتَفْتُونَكَ] اى فى الكلالة والاخوّة وميراثها فانّ المراد بالكلالة هنا الاخوّة [قُلِ اللهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلالَةِ إِنِ امْرُؤٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَها نِصْفُ ما تَرَكَ وَهُوَ يَرِثُها] تمام مالها [إِنْ لَمْ يَكُنْ لَها وَلَدٌ فَإِنْ كانَتا اثْنَتَيْنِ] اى الوارث بالاخوّة [فَلَهُمَا الثُّلُثانِ مِمّا تَرَكَ وَ إِنْ كانُوا إِخْوَةً رِجالاً وَ نِساءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ] عن الباقر (ع): اذامات الرّجل ولهاخت تأخذ نصف الميراث بالآية كما تأخذالبنت لوكانت والنّصف الباقى يردّ عليها بالرّحم اذالم يكن للميّت وارث اقرب منها، فان كان موضع الاخت اخ اخذالميراث كلّه بالآية لقول الله وهو يرثها ان لم يكن لها ولد ، فان كانتا اختين اخذتا الثّلثين بالآية والثّلث الباقى بالرّحم ، وان كانوا اخوةً رجالاً ونساءً فللذّكر مثل حظّ الانثيين وذلك كلّه اذا لم يكن للميّت ولد وابوان او زوجة [يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ] كراهة [أَنْ تَضِلُّوا] اويبيّن الله ضلالكم، اويبيّن الله لئلّا تضلّوا ، اويبيّن الله لضلالكم الحاصل فانّه الدّاعى الى البيان حتّى يرتفع [وَاللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ] فيشرع لكم بحسب مصالحكم .

سورة المائدة

وهی مدنیّة کلّها وقیل سوی قوله: الیوم اکملت لکم دینکم
لانّها نزلت فی حجّة الوداع

بسم الله الرحمن الرحیم

[یاأَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا] ایماناً عامّاً اوخاصّاً اوبمعنی اعمّ منهما لانّ الخطاب لعامّة الامّة للتّحریص علی امر الولایة [أَوْفُوا بِالْعُقُودِ] اعلم انّ سورة النّساء وهذه السّورة نزلتا فی خلافة علیّ (ع) والتّرغیب فیها والتّهدید علی خلافها، فکلّما ذکر فیهما من امر ونهی وحلال وحرام واجر وعقاب وقصّة وحکایة عموماً وخصوصاً مطلقاً و مقیّداً فالمقصود منه الاشارة الی الولایة سواء قلنا ان ذکر علیّ (ع) کان مصرّحاً فاسقطوه او مورّیً فلم یفهموه، وفی اخبارنا تصریحات بانّ ذکره (ع) کان مصرّحاً فی کثیر من المواضع فاسقطوه، والایمان عامّاً کان اوخاصّاً قد علمت سابقاً انّه ما کان یحصل الّا بالبیعة علی ید النّبیّ (ص) اوالامام (ع) اوخلفائهما (ع) وکانت فی تلک البیعة معاهدات وموائقات وشروط تؤاخذ علی البائع، لکن فی کلّ من البیعة العامّة والخاصّة بکیفیّة مخصوصة بها غیر کیفیّة الاخری، وقد اشیر الی بعض الشّروط فی آیة مبایعة النّساء وکان من جملة شروط البیعة العامّة عدم مخالفة المشتری وطاعته فی امره ونهیه وکانت البیعة لاتحصل الّا بعقد یمین البایع علی یمین المشتری کما هو المعهود الیوم بینهم فی المعاملات، ولذا یسمّی مطلق المبایعة وسائر المعاملات الّتی فیها ایجاب وقبول عقوداً للاهتمام بعقد الید فیها . والوفاء بالعقد عبارة عن الاتیان بمقتضی اصل العقد والاتیان بشرائطه و معاهداته تماماً فالمعنی یاایّها الّذین بایعوا مع محمّد (ص) اومع علیّ (ع) اوفوا بجملة العقود من المعاملات بینکم والمبایعة مع الله ولا تدعوا شیئاً من شرائطها وعهودها ، وسوق هذا الکلام من ذکر عقد خاصّ فی ضمن آمنوا وتعقیبه بذکر جملة العقود عموماً والامر بالوفاء بها یقتضی ان یکون المقصود الوفاء بهذا العقد الخاصّ ، کأنّه قال : یا ایّها الّذین عقدتم البیعة مع محمّد (ص) اوفوا بجملة العقود خصوصاً بهذا العقد او اوفوا بهذا العقد لکنّه جمع العقود باعتبار تعدّد العاقدین او باعتبار تعدّد وقوع هذا العقد فی عشرة مواطن اوفی ثلاثة مواطن، فالمقصود لا تخلعوا بیعتکم عن رقابکم بالارتداد عن الاسلام اوالایمان ولاتترکوا شرائطها بمخالفة قول النّبیّ (ص) فی الامر بالولایة وروی عن الجواد (ع) انّ رسول الله (ص) عقد علیهم لعلیّ (ع) بالخلافة فی عشرة مواطن، ثمّ انزل الله یاایّها الّذین آمنوا اوفوا بالعقود الّتی عقدت علیکم لامیر المؤمنین (ع) وعلی هذا کان المراد بالآیة، الامر بالوفاء بعقود الولایة

بحسب المنطوق وعلى ما ذكر سابقاً فى وجهها الاوّل كان المراد بها الامربالوفاء بعقد الولاية التزاماً [أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ] لمّاكان من جملة شرائط البيعة الاسلاميّة و الايمانيّة ترك اذى الحيوان صار المقام مظنّة ان يسأل عن ذبح البهائم الّذى كان شائعاً فيهم مسلمين وجاهلين خصوصاً مع ملاحظة ماكان مشهوراً من اتباع العجم من حرمة ذبح الحيوان واكله فأجاب تعالى بانّ ذبح البهائم واكلها احلّ لكم، فى القاموس: البهيمة كلّ ذات اربع قوائم ولوفى الماء ، اوكلّ حىّ لايميّز، والبهيمة اولاد الضّأن والمعز والبقر، وعلى هذا فالاضافة من قبيل اضافة العامّ الى الخاصّ و الانعام الازواج الثّمانية و فى الاخبار فسّر بهيمة الانعام بالاجنّة من الانعام ولاينافى التّعميم، لانّ المراد بذلك التّفسير بيان الفرد الخفىّ والمصداق الّذى لايكاد يطلق اسم البهيمة عليه، اوالمقصود من هذا التّفسير انّه احد وجوه الآية بتصوير انّ بهيمة الحيوان مالانطق له ولا تميز و بهيمة الانعام ما يكون عدم نطقه وعدم تميزه بالنّسبة الى الانعام ومالاتميز له بالنّسبة الى الانعام هوجنينها ، واعلم انّ ماذكر من جعل قوله تعالى احلّت لكم بهيمة الانعام مستأنفاً جواباً لسؤال مقدّر انّما هو بحسب احتمال ظاهر اللّفظ و بحسب ظاهر الشّريعة المطهّرة ، واّلا فالمقصود تعليق احلال البهيمة على الوفاء بعقد الولاية كما صرّح بهذا التّعليق فى قوله تعالى اليوم احلّ لكم الطّيّبات كماسيجيء وكمايستفادمن اشارات الآيات وتصريحات الاخبار، انّ احلال كلّ حلال معلّق على قبول الولاية ، وانّ من لم يقبل الولاية ولم يعرض عنها لايحكم عليه بحلّيّة شيء ولابحرمته ومن اعرض عنها يحكم عليه بحرمة كلّ شيء عليه ، ومن قبل الولاية و وفى بعقدها حكم عليه بحلّيّة المحلّلات ؛ ولىّ علىّ(ع) لايأكل الّا الحلال وعدوّ علىّ (ع) لايأكل الّا الحرام .

گر بگيرد خون جهانرا مال مال کی خورد مرد خدا الّا حلال

فعلى هذاكان احلّت فى هذه الآية جواباً للامر و فى محلّ الجزم واداه بالماضى لئلا يكون تصريحاً بتعليق احلال البهائم على الوفاء بعقد الولاية حتّى لايسقطوه مثل سائر ماصرّح به من مناقب علىّ(ع) [إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ] ممّايأتى فى الآية الآتية [غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ] حال عن المجرور فى لكم، والمعنى احلّت لكم بهيمة الانعام حالكونكم غير معتقدين حليّة الصّيد [وَأَنْتُمْ حُرُمٌ] حال عن المستتر فى محلّى الصّيد يعنى ان اعتقدتم حليّة الصّيد وقت الاحرام كانت المحلّلات حراماً عليكم لانّكم اوفيتم بشروط عقدكم، والحرم جمع الحرام بمعنى المحرم للحجّ اوالعمرة سواء كان وصفاً اومصدراً فى الاصل كالحلال بمعنى الخارج من الاحرام [إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ] فلاتتعجّبوا من تعليق احلال المحلّلات على الوفاء بعقد الولاية ولاتتحرّجوا من ذبح البهائم و اكلها بشبهة سبقت الى اوهامكم من الاعاجم [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا] كرّره تلطّفاً بهم و تذكيراً لعلّة النّهى تهييجاً على الامتثال والمراد بالايمان كالسّابق امّا الايمان العامّ اوالخاصّ اواعمّ منهما [لَا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ] يستعمل الاحلال المتعلّق بالامور ذوى الخطر فى ترك حرمتها و فى اعتقاد حليّة ترك حرمتها و المعاملة معها بخلاف شأنها فالمعنى لا تتركوا حرمة شعائر الله ولا تعتقدوا حليّة ترك حرمتها فتتهاونوا بها ، و الشّعائر جمع الشّعيرة اوالشّعارة اوالشّعار بمعنى العلامة ، ولمّاكان كلّ من العبادات علامة لدين الاسلام وللعبوديّة وقبول آلهة الله سميّت شعائر الدّين وشعائر الاسلام وشعائر الله ، ولمّاكان اعظم شعائر الاسلام هى الولاية لانّها اعظم اركانها الخمسة واساسها وكان المقصود من الوفاء بالعقود الوفاء بعقد الولاية كماعلمت كان المقصود ههنا ايضاً

النّهى عن احلال حرمة الولاية ، ولمّا كانت الولاية من شؤن الولىّ وكان علىّ (ع) هو الاصل فى ذلك كان المقصود لاتنتهاونوا بعلىّ (ع) [وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ] من قبيل ذكر الخاصّ بعد العامّ لانّ الشّهر الحرام من حيث حرمته من شعائرالله ، وعن علىّ(ع) انا الاعوام والدّهور وانا الايّام والشّهور، ونزول الآية كما فى الخبر فى رجل من بنى ربيعة قدم حاجّاً و ارادالمسلمون قتله فى الاشهر الحرم لكفره و لانّه كان قد استاق سرح المدينة [وَلَا الْهَدْىَ] مااهدى به الى البيت [وَلَا الْقَلَائِدَ] ذوات القلائد جمع القلادة ماشعر به الهدى من نعلٍ صلّى فيه اولحاء شجرٍ اوغيره اعلاماً بانّه هدى البيت لئلا يتعرّض له اوالمراد النّهى عن احلال القلائد انفسها ، وعلى الاوّل يكون من عطف الخاصّ على العامّ [وَلَا آمِّينَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ] قاصدين البيت لزيارته بقرينة قوله تعالى [يَبْتَغُونَ] بزيارتهم [فَضْلًا مِنْ رَبِّهِمْ] من سعة العيش فى الدّنيا [وَرِضْوَانًا] رضا ربّهم فى الآخرة، وبعد ما علمت انّ البيت الحقيقىّ لله هو القلب فى العالم الصّغير وصاحب القلب فى العالم الكبير وانّ البيت الّذى بناه ابراهيم(ع) صورة هذاالبيت وظهور القلب الّذى هوبيت حقيقىّ لله ولذا سمّى بيتاً لله ، وكونه بحذاء البيت المعمور وانّه فى السّماء الرّابعة يدلّ على هذا ، فاعلم انّ جميع ما سنّ الله تعالى من مناسكه ومواقفه صورة ما سنّه تعالى تكويناً وتكليفاً من مناسك الحجّ الحقيقىّ فى الصّغير والكبير، فاوّل بيتٍ وضع للنّاس فى ملك الصّغير هوالقلب فانّه اوّل عضوٍ يتكوّن ومن تحته دحوارض البدن ، واوّل بيتٍ وضع للنّاس فى ملكوت الصّغير هوالقلب الملكوتىّ، واوّل بيتٍ وضع للنّاس فى الكبير هوخليفةالله فى ارضه ، ولمّا كان بيت الاحجار ظهورقلب ذلك الخليفة فكلّما يتأتّى فى القلب يجرى بعينه فى هذاالبيت وتفصيله قد مضى فى آل عمران عند قوله: انّ اوّل بيتٍ وضع للنّاس، فالقلب هوبيت الله والصّدر المستنير بنورالقلب مسجد وحرم وشهرحرام بتفاوت الاعتبارات ، وصاحب هذا الصّدر المأذون فى التّكلّم مع الخلق ونقل اخبارهم وبيان احكامهم ايضاً شهرحرام وحرم ومن بيوت الانبياء(ع) ومسجدالمحلّة ومن القرى الظّاهرة الواسطة بين الخلق وبين القرى المباركة، والبهيمة والهدى وذوات القلائد فى الصّغير القوى الغير الشاردة الابيّة المتوقّفة عن حضرة القلب اوالمتحرّكة اليها بتبعيّة اللّطيفة الانسانيّة غير المستنيرة بنورالقلب، اوالمستنيرة المتقلّدة بقلادة نورالقلب وفى الكبير افراد الانسان الّتى لاتأبّى لهاعن الطّاعة ولاتهيّج لهاللحركة الى بيت الله الامام ، اوالمتحرّكة مع قاصدالبيت من غير تعلّم شيءٍ من علامات الدّين الّذى هوقلادتها واشعارها، اومع تعلّم شيء منها وتقلّدهابقلادتها، والصّيد هوالشّارد الابىّ من القوى ومن افراد الانسان ، ولايجوز للمحرم لحضرة القلب مالم يطف به ولم يتمكّن من مناسكه التّعرّض له ، فانّه خلاف قصده ومضرّ احرامه لانّه شاغل له عن الحركة اليه ، فاذا تمكّن من طواف القلب وعاد بعدالهجرة الى مقام الصّدر و استنار صدره بنور القلب بحيث لاينطفى ولا يختفى ذلك النّور باشتغاله بامر الصّيد فله التّعرّض بقتل و قيد واسر، والفضل استنارة الصّدر بنورالقلب، والرّضوان استنارة القلب بنورالرّوح، ومالم تشتدّ اكانتا للانسان قبولاً وصاحبهما قابلاً وتابعاً ومقلّداً ، واذا اشتدّتا وتجوهر الصّدر والقلب بهما وكان صاحبهما محتاجاً الى الاستمداد من الواسطة بينه وبين الله صارتا خلافةً للرّسالة اوللولاية ، واذا استغنتا عن الواسطة واستمدّتا من الله بلاواسطة صارتا رسالة وولاية وهما كما علمت من شؤن الرّسول والولىّ ومتحدّتان معهما، والاصل فى الرّسل والاولياء محمّد(ص) وعلىّ(ع) فصحّ تفسيرهما بمحمّد(ص) وعلىّ(ع) وحصرهما فيهما. ولمّا اجمل ذكر الصّيد فى قوله: غير محلّى الصّيد؛ ولم يتعرّض له فى جملة المنهيّة عن التّهاون بها ناسب المقام السّؤال عن حاله والجواب عنه فقال تعالى جواباً و بياناً [وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا] امر فى معنى الاباحة بحسب التّكاليف القالبيّة و فى معنى الرّجحان

بحسب التّأويل [وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ] لايكسبنّكم اولايحملنّكم [شَنَآنُ قَوْمٍ] بغضاؤكم لقوم اوبغضاء قوم لكم قرء شنأن قوم بفتح النّون مصدراً او بسكون النّون مصدرا اووصفا [أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ] قرئ بفتح الهمزة بتقدير اللّام اوالباء اوعلى ويجوز ان يكون بتقدير فى وان يكون بدلا من شنأن قوم بدل الاشتمال او مفعولاً ثانياً ليجرمنّكم و قرئ بكسر الهمزه [أَنْ تَعْتَدُوا] مفعول ثان ليجرمنّكم او بتقدير اللّام او الباء اوعلى اوفى اوبدل من شنأن قوم اومن ان صدّوكم نحو بدل الاشتمال ، اى لايحملنّكم بغضاء قوم على الاعتداء بالخروج عمّا رخّص الله لكم فى شريعتكم وعمّا حدّه لكم فى طريقتكم من التّنزّل عن مقام الصّدر المنشرح بالاسلام الى مقام النّفس الامّارة والايتمار بأمرها وقمع القوى المانعة لكم من الحضور لدى القلب و قتل من يمنعكم من الحضور عند صاحب القلب، بل عليكم بالملاينة والمرافقة والمداراة واعطاء كلّ ذى حقّ حقّه فى مقامه [وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى] البرّ ههنا الاحسان الى خلق الله وهومن احكام الرّسالة ولوازمها كماقال: وما ارسلناك الّا رحمة للعالمين ؛ والتّقوى حفظ النّفس عن ضرّ الغير وعن اضرارها للغير وهو من آثار الولاية ولوازمها لانّ الرّسالة رجوع الى الخلق بصفات الحقّ من عموم الرّحمة، وقبول الولاية انزجار ورجوع من الخلق الى الحقّ ، وصاحب الولاية شأنه ارجاع النّاس من الكثرات الى الوحدة وهما متّحدان مع الرّسالة والولاية وهما متّحدتان مع الرّسول (ص) والولىّ (ع) فصحّ تفسيرهما بمحمّد (ص) وبعلىّ (ع) وحصرهما فيهما [وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ] الاثم الاساءة الغير المتعدّية والعدوان الاساءة المتعدّية وهما متّحدان مع الآثم والعادى يعنى لاتعاونوا على الاساءتين [وَاتَّقُوا اللَّهَ] فى الاعتداء والتّعاون عليهما [إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ] استيناف لبيان المستثنى المقدّم كأنّ السّامع يطلب ويسأل بيانه وينتظر ذكره ولذا لم يأت باداة الوصل [وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ] اى رفع الصّوت لغير الله به والمراد تنزيلاً الذّبيحة الّتى ذكر غير اسم الله عليه وتأويلاً كلّ فعل رفع صوت النّفس بالامر به ، فانّ صوتها لغير الله لامحالة كما انّ قوله ومالكم الّا تأكلوا ممّا ذكر اسم الله عليه اشارة الى كلّ فعل امر العقل به فانّ امره لامحالة لله [وَالْمُنْخَنِقَةُ] كانوا يخنقون البقر اوالغنم فاذا انخنق اكلوه [وَالْمَوْقُوذَةُ] كانوا يشدّون ارجل الانعام ويضربونها حتّى تموت فيأكلونها [وَالْمُتَرَدِّيَةُ] كانوا يشدّون اعينها ويلقونها من السّطح ثمّ يأكلونها [وَالنَّطِيحَةُ] كانوا يناطحون بالكباش فاذا ماتت اكلوها [وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ] كانوا يأكلون فريسة السّبع [وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ] كانوا يذبحون لبيوت النّيران وكانوا يعبدون الشّجر و الصّخر و الاصنام فيذبحون لها [وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ] جمع الزّلم محرّكة اوكصرد قدح يتقامر به كانوا يعمدون الى الجزور فيقوّمونه بينهم ثمّ يسهمون عشرة أسهم سبعة لهاانصباء وثلاثة لاانصباء لهاويجعلون ثمن الجزور على الثّلاثة الّتى لاانصباء لها ثمّ يخرجون السّهام فمن خرج باسمه الثّلاثة الّتى لاانصباء لهاالزموهم ثمنها والسّبعة الّتى لهاانصباء يأخذون لحم الجزور بلاثمن فحرّم ذلك كلّه وقال تعالى [ذَلِكُمْ] اشارة الى المجموع اوالى الاستقسام بالازلام [فِسْقٌ الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ] اشارة الى يوم نصب علىّ (ع) بالخلافة يعنى كان الكافرون و المنافقون يترقّبون

لموت النّبيّ(ص) اوقتله (ص) وتفرّق كلمتكم والغلبة على دينكم وبعد نصب امير لكم يئس الكفّار من الغلبة وتفرّق الكلمة ويئس المنافقون بنصب عليّ(ع) عن الغلبة على دينكم وترويج باطلهم واظهار نفاقهم فاذا يئس الكفّار [فَلاٰتَخْشَوْهُمْ] و لمّا لم يستكمل ايمانكم فلا تأمنوا من عقوبتى [وَاخْشَوْنِ اَلْيَوْمَ] يوم نصب عليّ(ع) بغديرخمّ [اَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ] الاكمال قديستعمل فى اتمام ذات الشّيء كاكمال النّوع بالفصل والبيت بأركانه وسقفه ، وقد يستعمل فى اتمام الشّيء بمحسّناته ومتمّماته الزّائدة على ذاته كاكمال الانسان بمهارته فى العلوم والصّنائع ، والبيت بزخرفته وفروشه ، والمراد بالدّين هناهو الاسلام الحاصل بالبيعة العامّة النّبويّة وقبول الاحكام النّبويّة والمراد بالاكمال هو اتمامه فى ذاته ، لانّ الاسلام بنى على خمسة اركان والرّكن الاخير هو الولاية اعنى البيعة مع عليّ(ع) بالامامة لانّ الولاية بمعنى المحبّة اواعتقاد الولاية لعليّ(ع) خارجة عن الاعمال القالبيّة الاسلاميّة فلا تكون من اركان الاسلام ومتمّمات احكام القالب و اتمامه فى خارج ذاته باعتبار ، فانّ الاسلام كالمادّة للولاية بالمعنى الحاصل بالولاية الّتى هى من اركان الاسلام وهو الايمان الدّاخل فى القلب وبه الحركة والسّير الى الله وهو بمنزلة الصّورة للاسلام والصّورة وان كانت محصّلة للمادّة وما به قوام المادّة وبقاؤها لكنّها خارجة عن ذاتها [وَاَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى] فانّ الاسلام نعمة من الله لكنّه مركّب من الاركان الخمسة ولا يتمّ المجموع الّا بتمام اجزائه و ايضاً هو مادّة للولاية بالمعنى الآخر ولا بقاء ولاقوام للمادّة الّا بالصّورة فبالولاية تتمّ نعمة الاسلام [وَرَضِيتُ لَكُمُ الْاِسْلاٰمَ دِيناً] فانّه لنقصان اركانه وعدم تحصّله كان غير مرضيّ و عن الصّادقين (ع) انّما نزل بعد ان نصب النّبيّ (ص) عليّاً (ع) علماً للانام يوم غدير خمّ عند منصرفه عن حجّة الوداع ، قالا : وهى آخر فريضة انزلها الله ثمّ لم تنزل بعدها فريضة ، وورد عنهم(ع) اخبار كثيرة قريبة من هذا [فَمَنِ اضْطُرَّ فِى مَخْمَصَةٍ] المخمصة هى المجاعة لكن تستعمل فى كلّ شدّة وضيق ، فى تفاسير العامّة انّه مربوط بذكر المحرّمات وما بينهما اعتراض ، ولمّا علّق وقيّد يأس الكفّار عن الدّين واكمال الدّين واتمام النّعمة وارتضاء الاسلام منهم بيوم مخصوص ووقت معيّن ، علم انّه لا يكون الّا لوقوع امر عظيم فيه هو يقطع طمع الكفّار ويصير سبباً لاكمال الدّين والّا لم يكن للتّقييد به وجه وماذاك الّا سدّ خلل الدّين بعد النّبيّ(ص) بنصب من يحميه و يحفظ أهله من الاختلاف والافتراق فانّه لاامر اعظم منه فضلاً عمّا بيّنوا لنا من انّ نزولها بغدير خمّ بعد نصب عليّ(ع) علماً للنّاس ، واذا علم ذلك تيسّر ربط هذه الآية بما قبلها تماماً من تحريم المحرّمات وتتميم الدّين بنصب عليّ(ع) والتّرغيب فيه كأنّهم سألوا فما لنا ان اضطررنا الى اكل المحرّمات اوالى ترك التّوسّل بعليّ (ع) والتبعيّة له ؟ ـ فقال تعالى : فمن اضطرّ فى مخمصة بياناً لوجه الاضطرار حالكونه [غَيْرَ مُتَجٰانِفٍ لِاِثْمٍ] اى غير مائل اليه او غير متجاوز عن قدر الضّرورة كما فى قوله غير باغٍ ولا عادٍ ، ولمّا كان المقصود هو الاضطرار الى اتّباع معاوية و ترك اتّباع عليّ (ع) فلاضيران يفسّر الاثم بمعاوية ، اى غير مائل فى الباطن الى معاوية ، فانّه لايؤاخذ اذا كان اكل الحرام اواتّباع غير عليّ(ع) عن اضطرار من غير ميل قلبيّ [فَاِنَّ اللّٰهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ يَسْـَٔلُونَكَ مٰاذٰا اُحِلَّ لَهُمْ] اى اىّ شيء اوما الّذى احلّ لهم سألوا عن المحلّلات بعد ذكر المحرّمات [قُلْ اُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبٰاتُ] لا اختصاص لها بالاغذية الغير المستخبثة كما فسّره المفسّرون ، بل اصل الطّيّبات هو عليّ(ع) ثمّ ولايته بالبيعة الولويّة ثمّ العمل بما دخل منه(ع) فى القلب ثمّ العمل بما اخذ عليه فى ميثاقه ثمّ

اخذ العلم منه ثمّ العمل به ثمّ المباحات من الاغذية والاشربة والالبسة والازواج والمساكن واثاثها والمراكب وجملة الاعراض الدّنيويّة الّتى حصلت فى اليد من الوجه الحلال [وَمَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ] اى نفس ماعلّمتم من حيث التّعليم يعنى احلّ لكم تعليم الكلاب الاصطياد، وحلّيّة مقتولها تستفاد ممّا يأتى او صيد ماعلّمتم ويجوز ان يكون ماشرطيّة، وقوله فكلوا ممّا امسكن جزاؤه، ولمّا كان مقتول الكلاب مظنّة الاستخباث افرده بالذّكر [مُكَلِّبِينَ] تقييد للاحلال بتعليم الكلاب اوبمقتول الكلب المعلّم لاغيره من السّباع المعلّمة فانّ المكلّب بصيغة اسم الفاعل هو المعلّم للكلب و مشتقّ منه [تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ] تكويناً او تحصيلاً بتوسّط بشر اخر من آداب الاصطياد والانقياد فى الارسال والزّجر وضبط الصّيد على صاحبهنّ [فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ] لمّا لم يكن الواو للترتيب لم يكن تأخير الامر بذكر اسم الله فى اللّفظ منافياً لوجوب تقديم الذّكر عند الارسال [وَاتَّقُوا اللَّهَ] فيما لم يحلّ لكم [إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ] يحاسب على الدّقيق والجليل [أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ] فى تقييد احلال الطّيّبات بعد ذكره مطلقاً باليوم الخاصّ الّذى هو يوم نصب علىّ (ع) بالخلافة، اشارة لطيفة الى انّ حلّيّة الطيّبات موقوفة على الولاية ولولاها لكانت محرّمة وانكانت طيّبة حاصلة من كسب اليد والوجه الحلال، غاية الامر ان يكون المراد بالحلّيّة ههنا الحلّيّة فى نفس الامر وبحسب الطّريقة لابحسب ظاهر الشّريعة [وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ] قد اختلف الاخبار فى طهارة اهل الكتاب ونجاستهم، واكثرها يشعر بأنّ نجاستهم عرضيّة بواسطة عدم اجتنابهم عن الخمر ولحم الخنزير، وانّ فى انيتهم الخمر ولحم الخنزير وقد فسّر الطّعام بالحبوب دون ذبائحهم لانّهم غير مأمونين على تسمية الله عليها فنقول: ليس المراد بطعام الّذين اوتوا الكتاب طعامهم المصنوع لهم حتّى كانت حلّيّته منافية لنجاستهم ان قلنا بنجاستهم كالمشركين، بل المراد نفى الحرج عن طعامهم المنسوب اليهم من حيث انّه منسوب اليهم يعنى لاحرج عليكم فى طعامهم من حيث تلك النّسبة فانّ النّسبة لاتستخبث الطّعام اذا لم يكن فيه خباثة من وجه اخر، ولذلك كان طعامكم حلّالهم يعنى انّ نسبة الطّعام اليكم لاتورث حرجاً عليكم اذا اطعتموه اهل الكتاب ولاتجعلهم ممنوعين من الاكل ولمّا كان طعامهم مظنّة الخباثة ذكره بعد احلال الطيّبات، وايضاً لما ندب على ولاية علىّ (ع) وقيّد احلال الطيّبات بزمان نصب علىّ (ع) للاشارة الى تقييد الحلّيّة بالولاية ولم يكن لاهل الكتاب ولاية صار المقام مظنّة لحرمة المخالطة معهم و عدم حلّيّة طعامهم واطعامهم فنفى هذا الوهم، لانّهم بانتحال ملّة آلهيّة وقبول الدّعوة الظّاهرة كانوا مسلمين ولم يخرجوا بحسب الظّاهر عن الاسلام، وبمخالطتهم واكل طعامهم واطعامهم يستعدّون للهداية ولمّا كان حلّيّة طعامهم واطعامهم بحسب الظّاهر وحلّيّة الطيّبات المتوقّفة على الولاية بحسب نفس الامر غيّر الاسلوب واتى بالجملة الاسميّة عطفاً على مجموع القيد والمقيّد حتّى لايتقيّد بالولاية [وَالْمُحْصَنَاتُ] الّلائى احصنّ انفسهنّ عمّا لاينبغى عطف على الطيّبات المتقيّد احلالها بولاية علىّ (ع) ولذا قيّد هنّ بوصف الاحسان والايمان، يعنى اليوم احلّت لكم حلالاً واقعيّاً المحصنات [مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ] ولاينبغى لكم غيرهنّ فانّ غيرهنّ من الاماء والمتجرّيات على ما لا ينبغى وانكنّ حلالاً بحسب ظاهر الاسلام، لكنّهنّ غير محلّلات بحسب نسبة الايمان و فى نفس الامر [وَالْمُحْصَنَاتُ] الّلائى احصنّ انفسهنّ عمّا لاينبغى [مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ] قد اختلف

الاخبار والاقوال فى نكاح النّساء من اهل الكتاب، وكذا فى انّ هذه الآية منسوخة بآية حرمة نكاح المشركات وحرمة الاخذ بعصم الكوافر اوناسخة ، وكذا فى الدّوام والتّمتّع بهنّ وقول النّبىّ (ص) : انّ سورة المائدة آخر القرآن نزولاً فأحلّوا حلالها وحرّموا حرامها، ينفى كونها منسوخة، وقوله تعالى [إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ] مشعرٌ بتقييد الحلّيّة بحال التّمتّع بهنّ فانّ استعمال الاجور فى مهور المتمتّعات اكثر واشهر [مُحْصِنِينَ] حال كونكم حافظين انفسكم من السّفاح علانيةً وسرّاً ، امّا بيانٌ لوجه الاحلال اوتقييدٌ له باعتبار الواقع لا باعتبار ظاهر الاسلام [غَيْرَ مُسَافِحِينَ] حال بعد حالٍ يعنى غير متجاهرين بالزّنا [وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ] ولامسرين لهنّ جمع الخدن وهو الصّديق يقع على الذّكر والانثى ، ولمّا ندب على الولاية وعلّق اكمال الدّين واحلال الطيّبات عليها ناسب المقام ان يذكر حال مخالف الولاية فقال تعالى: [وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ] اى بقبول ولاية علىّ (ع) والبيعة الخاصّة الولويّة معه ، وماورد فى الاخبار من التّفسير بترك الصّلوة ، اوترك العمل الّذى اقرّ به فى بيعته، او ترك العمل اجمع ، او التّبدّد بأمر هو خلاف الحقّ فانّما هو تفسير لفروع الولاية ، ولا ينا فى كون المقصود هو الولاية كما فى بعض الاخبار [فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ] الّذى عمله فى الاسلام فانّ ما به القبول هو الولاية [وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ] لصرف بضاعته فيما لاقدر له [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا] عامّاً او خاصّاً [إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَوٰةِ] اى اذا قمتم من النّوم كما فى الخبر ، اواذا اردتم القيام [فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُؤُسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ] وبعد مامضى فى سورة النّساء لايتعسّر عليك تعميم الصّلوة ولاتعميم الغسل ولاتعميم سائر اجزاء الآية ، والوجه مايواجه به وهو من قصاص الشّعر الى الذّقن ومادارت منه الابهام و الوسطى عليه و مازاد فليس بوجهٍ ، وعدم وجوب تخليل الشّعر يمكن استنباطه من عنوان الوجه فانّ ما به التّوجّه هو ظاهر الشّعر لا البشرة المستورة تحته ، و اليد اسم للعضو المخصوص تطلق على مادون المنكب وعلى مادون المرفق وعلى مادون الزّند فاحتاجت الى التّحديد والبيان، فحدّده بقوله الى المرافق فلفظ الى لانتهاء المغسول لاالغسل فالتّمسّك بها مع احتمال كونها لانتهاء المغسول فى الاستدلال على انتهاء الغسل كما فعلوا خارج عن طريق الاستدلال ، والباء للتّبعيض كما وصل الينا من اهل الكتاب واثبت التّبعيض لها كثير منهم و ارجلكم بالجرّ عطف على رؤسكم وبالنّصب على محلّ رؤسكم، وعطفه على وجوهكم مع جواز العطف على رؤسكم فى غاية البعد ، غاية الامر انّها فى هذا العطف محتملة مجملة كسائر اجزاء الآية محتاجة الى البيان ولم يكن رأينا مبيّناً للقرآن لاستلزامه التّرجيح بلامرجّح، بل المبيّن من نصّ الله ورسوله عليه لامن نصبوه لبيانه فانّ نصب شخص انسانىّ لبيان القرآن و خلافة الرّحمن ليس باقلّ من نصب الاصنام لعبادة الانام ، او العجل المصنوع للعوام ، وتفصيل الوضوء وكيفيّته قد وصل الينا مفصّلاً مبيّناً عن ائمّتنا المنصوصين من الله ورسوله وقد فصّله الفقهاء رضوان الله عليهم فلاحاجة الى التّفصيل ههنا [وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُباً فَاطَّهَّرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيداً طَيِّباً فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ] اى من الصّعيد وقد مضى شرح الآية مفصّلاً فى سورة النّساء فلاحاجة الى التّكرار [مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ] فى الدّين [مِنْ حَرَجٍ] مفعول يريد محذوف اى ما يريد الامر

بالغسل اوالتّيمم ليجعل عليكم حرجاً اولام ليجعل للتّقوية ومابعده مفعول وهواستيناف لبيان وجه تشريع التّيمم [وَلٰكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ] بغسل الاعضاء الباطنة بالتّوبة عنداهله وبغسل الاعضاء الظّاهرة بالماء، فان لم يتيسّر لكم فباظهار الذّلّ والمسكنة والعجز واعلاء تراب الذّلّ على مقاديم نفوسكم وابدانكم وليعدّكم لقبول التّوبة و البيعة الولويّة الّتى هى تمام نعمة الاسلام كما مضى [وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ] الّتى هى الاسلام [عَلَيْكُمْ] بمتمّمه الّذى هوالولاية والبيعة مع علىّ (ع) [لَعَلَّكُمْ] بعد تمام النّعمة عليكم [تَشْكُرُونَ] المنعم بصرف النّعمة الّتى هى احكام الاسلام القالبيّة واحكام الايمان القلبيّة فى وجهها من صدورها من حضرة العقل ورجوعها اليها، فانّ شكر النّعمة و صرفها فى وجهها لا يحصل الّا بدخول الايمان فى القلب و فتح بابه الى الملكوت [وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللّٰهِ عَلَيْكُمْ] عطف على تيمّموا يعنى حين تطهّركم تذكّروا محمّداً (ص) اوالاسلام الّذى هوالبيعة مع محمّد (ص) ، اوالاسلام الحاصل بالبيعة مع محمّد (ص) حتّى يكون شروطها فى ذكركم من عدم المخالفة واتّباع قوله فى كلّ ما يأمر و ينهى ، هذا ان كان المراد بالميثاق الميثاق الّذى أخذ عليهم بغدير خمّ ، وان كان المراد بالميثاق المبايعة مع محمّد (ص) فالمراد بالنّعمة هوالاسلام الحاصل بالبيعة ، اومحمّد (ص) فانّه اصل نعمة الاسلام كما انّ علياً (ع) اصل نعمة الايمان [وَمِيثَاقَهُ الَّذِى وَاثَقَكُمْ بِهِ] عاهدكم عهداً وثيقاً به لعلىّ (ع) فى غدير خمّ حتّى لاتنسوه فتخالفوا علياً (ع) اوعهداً وثيقاً بان لاتخالفوا قوله حتّى لاتنسوه فتخالفوا قوله فى علىّ (ع) والاوّل هوالمروىّ [إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا] قولكم فى علىّ (ع) على الاوّل ، اوشرطكم علينا بعدم المخالفة على الثّانى [وَأَطَعْنَا] علياً (ع) اواطعناك [وَاتَّقُوا اللّٰهَ] فى نسيان نعمته و نقض ميثاقه بالمخالفة لعلىّ (ع) [إِنَّ اللّٰهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ] فيعلم نيّاتكم و اغراضكم فكيف بأفعالكم [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلّٰهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ] توصية لهم بالاستقامة وتقويم الغير عن الاعوجاج كما مضى حين تحمّل الشّهادة خصوصاً وقت توصية محمّد (ص) بحملها وحفظها ، وحين اداء الشّهادة خصوصاً وقت سؤال علىّ (ع) عنهم الشّهادة فانّ المقصود هو هذا [وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ] بغضاءكم لقوم او بغضاء قوم لكم [عَلٰى أَلَّا تَعْدِلُوا] فى اداء شهاداتكم بتغييرها اوكتمانها خوفاً من مخالفى علىّ (ع) اوبغضاً لموافقى علىّ (ع) [اِعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوٰى وَاتَّقُوا اللّٰهَ] فى الشّهادات ولاتكتموها ولاتغيّروها [إِنَّ اللّٰهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ] فيجازيكم بحسبه [وَعَدَ اللّٰهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصّٰالِحٰاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ] الجملة فى محلّ المفعول لوعد لانّه بمعنى القول والمراد بالايمان هوالحاصل بالبيعة مع محمّد (ص) ، وبالعمل الصّالح البيعة مع علىّ (ع) ، او المراد بالايمان البيعة مع علىّ (ع) وبالعمل الصّالح العمل على طبق البيعة [وَالَّذِينَ كَفَرُوا] ببيعة علىّ (ع) اوببيعة محمّد (ص) [وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا] واصلها علىّ (ع) [أُولٰئِكَ أَصْحٰابُ الْجَحِيمِ] جمع بين الوعد و الوعيد كما هو شأنه و للاشارة الى انّ المغفرة و الاجر للمؤمن المستقيم مقصودة بالذّات وجزاء المسيء مقضىّ بالعرض غيّر الاسلوب واتى بالجملة الاسميّة الدّالّة على انّ الجزاء لهم كأنّه من لوازم ذواتهم المسيئة [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللّٰهِ عَلَيْكُمْ] بالاسلام من مدد الملائكة وجنود لم تروها

اومن قوّةعلىّ(ع)وسيفه [إِذْهَمَّ قَوْمٌ] بدل من نعمةالله اوظرف لهاباعتبار الانعام [أَنْ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ] بمكّة قبل الهجرة اوببدرٍ اوبأحدٍ اوبخندق [فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ] بسبب اسلامكم او بعلىّ (ع) فتذكّروا شرف الاسلام حتّى لاتخالفوه بترك قول محمّد(ص) فى علىّ(ع) ، اوتذكّروا شأن علىّ(ع) فلا تخالفوه بعد وفاة محمّد (ص) [وَاتَّقُوا اللّٰهَ] فى نسيان النّعمة و مخالفة علىّ (ع) ولاتخافوا غيره [وَعَلَى اللّٰهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ] فلا يعتمدوا على غيره ولايخافوا الّا منه ، وضع المظهرموضع المضمرالتفاتاً من الخطاب الى الغيبة بياناً لما به التّوكّل [وَلَقَدْ أَخَذَ اللّٰهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ] تعريض بامّة محمّد (ص) لاخذ ميثاقهم لنقيبهم الّذى هو علىّ(ع) [وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيباً] بأمرونهم وينهونهم [وَقَالَ اللّٰهُ إِنِّي مَعَكُمْ] فاشاهد منكم ماتفعلون [لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلٰوةَ] بوصلها الى النّقباء (ع) [وَآتَيْتُمُ الزَّكٰوةَ] من كلّ شيءٍ حتّى من ميل قواكم الى مخالفة النّقباء(ع) [وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي] الّذين منهم النّقباء (ع) [وَعَزَّرْتُمُوهُمْ] نصرتموهم وقوّيتموهم [وَأَقْرَضْتُمُ اللّٰهَ قَرْضاً حَسَناً] من اصل المال بانفاقه فى سبيل الله ، واصل القوى باضعافها بالعبادات والرّياضات ، فانّ الزّكوة هى فضول المال الّتى هى حقّ الغير والقرض من اصل المال [لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ] بزكوتكم وقرضكم [وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنّٰاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهٰارُ] بصلوتكم وايمانكم وتعزيركم [فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذٰلِكَ] الميثاق للنّقباء(ع) والوعد عليه [مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوٰاءَ السَّبِيلِ] فتذكّروا يا امّة محمّد (ص) و اوفوا بميثاقكم لعلىّ (ع) ولا تكفروا بعد الميثاق [فَبِمٰا نَقْضِهِمْ مِيثٰاقَهُمْ لَعَنّٰاهُمْ] فتذكّروا ميثاقكم ولاتنقضوه [وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قٰاسِيَةً] لاتتأثّر بالمواعظ [يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوٰاضِعِهِ] حال او جواب سؤال مقدّر كما ستحرّفونه يا امّة محمّد (ص) بعد بتأويلات فضيحة للتّمويه على من لا عقل له [وَنَسُوا حَظّاً مِمّٰا ذُكِّرُوا بِهِ] من الميثاق والوعد عليه عطف على يحرّفون ، والاختلاف بالمضىّ والمضارعة للاشارة الى انّ الثانى وقع منهم فصارسبباً لاستمرارهم على الاوّل [وَلٰا تَزٰالُ تَطَّلِعُ عَلىٰ خٰائِنَةٍ مِنْهُمْ] بواسطة نقض الميثاق الّذى هواصل الخيانات كما انّ الوفاء به هواصل الوفاء بالامانات، والخائنة مصدر اووصفٌ بمعنى فرقة خائنة ، او نفس خائنة ، اوشخص خائن على ان يكون التّاء للمبالغة [إِلّٰا قَلِيلاً مِنْهُمْ] استثناء من مفهومه كأنّه قال كلّهم خائنون الّا قليلاً منهم ، ويحتمل الاستثناء من قلوبهم اومن المضاف اليه فى قلوبهم اومن فاعل يحرّفون اومن فاعل نسوا ، ويمكن جعل الّا بمعنى غيرصفة لخائنة منهم، ويحتمل كون الكلام منصرفاً عن بيان حال بنى اسرائيل الى بيان حال منافقى الامّة ولذا خاطب محمّداً(ص)، ويحتمل ان يكون المراد بيان حال بنى اسرائيل و يكون التّعريض بالامّة كما هوطريقة جملة القصص والحكايات وقوله تعالى [فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ] يؤيّد المعنى الاوّل ، والعفوترك الانتقام ، والصّفح ترك تذكّر المساوى والاخراج من القلب، و قد يستعمل كلّ فى كلّ وكلٌّ فى كلا المعنيين ، ولا تقف على العفو والصّفح و احسن اليهم [إِنَّ اللّٰهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ وَمِنَ الَّذِينَ قٰالُوا إِنّٰا نَصٰارىٰ] لم يقل ومن النّصارى لانّ التّنصّر انّما يحصل بالبيعة مع

اوصياءعيسى(ع)وهؤلاء انتحلوا التّنصّرلانّهم بايعوا على النّصرانيّة [أَخَذْنا مِيثاقَهُمْ] بعد بيان حال اليهود بيّن حال النّصارى للتّعريض بامّة محمّد(ص) يعنى اخذنا ميثاق اسلافهم لاوصياء عيسى(ع) [فَنَسُوا] كاليهود [حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ] فصار النّسيان سبباً لاختلافهم [فَأَغْرَيْنا بَيْنَهُمُ الْعَداوَةَ] بالافعال [وَالْبَغْضاءَ] بالقلوب وكان ذلك خزيهم فى الدّنيا [إِلى يَوْمِ الْقِيامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللهُ بِما كانُوا يَصْنَعُونَ] يعنى ينبّئهم فى الآخرة فيعذّبهم عليه فاحذروا ان تكونوا مثلهم فى نسيان الميثاق لعلىّ(ع) يا امّة محمّد(ص) فيقع بينكم العداوة والبغضاء فى الدّنيا ويؤاخذكم الله عليه فى الآخرة [يا أَهْلَ الْكِتابِ قَدْ جاءَكُمْ رَسُولُنا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيراً مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتابِ] كتاب النّبوّة بصورة التّوراة والانجيل تعريض بامّة محمّد(ص) واخفائهم بعده كثيراً من الكتاب وبتبيين علىّ(ع) لهم مايخفون ، وقد ذكر فى نزول الآية انّه كان فى زانٍ وزانية محصنين من اشراف اليهود وكرهوا رجمهما فسألوا محمّداً(ص) عن ذلك فقال(ص) :حكمهما الرّجم، فأبوا ورضوا بابن صوريا وكان أعلم اليهود فسأله محمّد(ص) عن ذلك فقال : نعم هو الرّجم فأمر بهما النّبىّ فرجما عند باب مسجده [وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ] بعرض عنه ولايظهره [قَدْ جاءَكُمْ مِنَ اللهِ نُورٌ وَكِتابٌ مُبِينٌ] تأكيدٌ للجملة الاولى ولذا لم يأت بالعطف، وكونه تأكيداً اذا كان المراد بالنّور الولاية وبالكتاب النّبوّة ظاهر، فانّ الرّسول صاحب الولاية والنّبوّة ، واذا كان المراد بالنّور امير المؤمنين(ع) وبالكتاب القرآن ايضاً ظاهر، لانّ الرّسالة تستلزم مابه الرّسالة ومالاجله الرّسالة والاوّل الكتاب والثّانى الولاية، وعلمت سابقاً انّها من شؤن الولىّ ومتّحدة مع علىّ(ع) [يَهْدِي بِهِ اللهُ] توحيد الضّمير ان كان راجعاً الى الكتاب اوالنّور ظاهر ، وان كان راجعاً اليهما كان باعتبار انّ الكتاب ليس الّا ظهور النّور [مَنِ اتَّبَعَ رِضْوانَهُ] هوولاية علىّ(ع) والبيعة له كما اشير اليه فى قوله: ورضيت لكم الاسلام ديناً يعنى يهدى بالكتاب من بايع علياً(ع) بالبيعة الولويّة [سُبُلَ السَّلامِ] طرق الله اوطرق السّلامة [وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُماتِ] المتراكمة الّتى فى مرتبة النّفس [إِلى] عالم [النُّورِ] وهوفسحة عالم الرّوح [بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ] و هو المراتب النّورانيّة لعلىّ (ع) الّتى معرفتها معرفة الله تعالى [لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قالُوا إِنَّ اللهَ هُوَ الْمَسِيحُ بْنُ مَرْيَمَ] قيل انّهم فرقة منهم وهم اليعقوبيّة يقولون باتّحاده تعالى مع عيسى(ع) لكن نقول: اعتقاد النّصارى انّ عيسى(ع) فيه جوهرٌ آلهىٌّ و جوهر آدمىٌّ و باعتباره الآلهىّ يقولون هوالله و مرادهم تأكيد اتّحاده مع عيسى (ع) باعتبار جوهره الآلهىّ ويقولون: هوباعتبار جوهره الآدمىّ ابن ومولود وجسم ومقتول ومصلوب ، هذا اعتقاد محقّقيهم، وامّا اتباعهم فلايعرفون منه الّا مقام بشريّته ويقولون: هوالله ومقصودهم مقام بشريّته [قُلْ] يامحمّد(ص) للردّ عليهم ان كان الامر كما تقولون [فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللهِ شَيْئاً] مفعول يملك ومن الله حالٌ منه مقدّم عليه ، والمعنى لايقدر احدٌ على شيء ممّا يملكه الله بتغييره اودفعه فانّ الملك عبارة عن قدرة التّصرّف فى المملوك، وان كان فى عيسى(ع) جوهر آلهىٌّ كان قادراً على التّغيير والدّفع [إِنْ أَرادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً] بيان لحال النّصارى وقالهم وتوهينٌ لهم وتعريض بالغالى من امّة محمّد(ص) وبالقائلين منهم بالاتّحاد

والحلول وحقّ العبارة ان يقال: لواراد ان يهلك المسيح وامّه لانّ المسيح وامّه كانا قد مضيا لكنّه تعالى ادّاه بصورة الشّرط المستقبل لفرض الحال الماضية حاضرة ، اولاعتقادهم انّ عيسى(ع) حيّ فى السّماء قاعد على يمين ابيه وكذلك امّه ، اوللاشارة الى انّه حيٌّ بحيوته الطّبيعيّة فى السّماء الرّابعة [وَلِلّٰهِ مُلْكُ السَّمٰوٰاتِ وَالْاَرْضِ وَمٰابَيْنَهُمٰا] استيناف او حال لبيان عدم المانع له من ارادته و نفاذ أمره و للدّلالة على انّ المسيح مملوك له والمملوك لايكون آلهاً ولاولداً للمالك [يَخْلُقُ مٰايَشٰاءُ] فلاغروان يخلق عيسى(ع) من انثى بلاذكر ولادلالة فيه على كونه آلهاً اوابناً كماتمسّكوا به ، بل فيه دلالة على آلهة الخالق الّذى خلقه بلاذكر نقضاً لماقالته الطّبيعيّ [وَاللّٰهُ عَلٰى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ] فيقدر على خلق الانسان بلا اب وعلى اهلاك من فى الارض جميعاً ، وخلق عيسى(ع) بلا اب يدلّ على عموم قدرته لاعلى آلهة عيسى(ع) [وَقٰالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصٰارٰى نَحْنُ اَبْنٰاءُ اللّٰهِ وَاَحِبّٰاؤُهُ] بيان لحال الفريقين ومقالتهم الفضيحة ، ووجه هذا الادّعاء انّهم قالوا من اقرّ به تعالى وتقرّب لديه فهو ابنه الرّوحانيّ وقيل : مقصودهم من هذا انّهم اشياع ابنيه المسيح(ع) وعزير(ع) وهوبعيد [قُلْ] ردّاً لهم [فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ] فى الدّنيا بالمغلوبيّة وفى الآخرة بالنّار دائماً اوايّاماً قلائل على زعمكم [بَلْ اَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشٰاءُ] منكم [وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشٰاءُ] منكم على حسب اختلاف استعداداكم [وَلِلّٰهِ مُلْكُ السَّمٰوٰاتِ وَالْاَرْضِ وَمٰابَيْنَهُمٰا] بيان لتسويتهم مع غيرهم فى النّسبة اليه ، وتكراره ههنا وفى غيرهذا الموضع لتمكينه فى قلب السّامع ولانّ كلاً يقتضيه المقام المخصوص [وَاِلَيْهِ الْمَصِيرُ] بيان لمساواتهم مع غيرهم فى الانتهاء اليه [يٰااَهْلَ الْكِتٰابِ قَدْ جٰاءَكُمْ رَسُولُنٰا] اضاف الرّسول الى نفسه فى الموضعين تشريفاً له وتهويلاً لمخالفيه [يُبَيِّنُ لَكُمْ] ماتحتاجون اليه اوالمفعول منسيّ [عَلٰى فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ] حال من رسولنا اومن المستتر فى يبيّن ، اومن الضّمير فى لكم اومتعلّق بجاءكم اوبيبيّن على تضمين معنى يورد والمراد فتور احكام الرّسل (ع) لعدم ظهورهم و اختفاء اوصيائهم لا انقطاع الوحي و انقطاع الحجّة كما هو مذهب العامّة فانّه كان بين عيسى(ع) ومحمّد(ص) انبياء(ع) واوصياء(ع) كان اكثرهم مغمورين غير ظاهرين وكان دينه فى نهاية الخفاء وان كانت ملّته ظاهرة غالبة وقيل : كان بين ميلاد عيسى(ع) ومحمّد(ص) خمسمائة وتسع وستّون سنة وكان من تلك المدّة مائة واربع وثلثون زمان ظهور الرّسل والباقى زمان الفترة وهذا احد الاقوال ، وقيل: مدّة الفترة كانت ستّمائة سنة وقيل: خمسمائة وستّين ، وقيل: اربع مائة وبضعاً وستّين وقيل: خمسمائة وشيئاً [اَنْ تَقُولُوا] كراهة ان تقولوا اولئلا تقولوا [مٰاجٰاءَنٰا مِنْ بَشِيرٍ وَلٰا نَذِيرٍ فَقَدْ جٰاءَكُمْ] الفاء للسّببيّة فانّ التّقدير لا تعتذروا بذلك فقد جاءكم [بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللّٰهُ عَلٰى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ] فيقدر على ارسال الرّسول حين الفترة ، اويقدر على انطاق جوارحكم ان تنكروا مجيء الرّسول و تبليغه ، اويقدر على عذابكم ان تنكروا رسوله ولاتقرّوا به [وَاِذْ قٰالَ مُوسىٰ لِقَوْمِهِ] عطف على مقدّر هولاتعتذروا المقدّر السّابق اى لاتعتذروا واذكروا ماقال موسى(ع) لقومه حتّى تذكروا نعمة وجود الرّسول(ع) فيكم ولاتخالفوا قوله والمقصود التّعريض بامّة محمّد(ص) بتذكير حال امّة موسى(ع) والنّعم الّتى انعم الله بها عليهم و ابائهم عن امر موسى(ع) وضلالتهم فى التّيه اربعين سنة حتّى يتنبّهوا للنّعم الّتى انعم الله بها عليهم ولايخالفوا قوله ولايخرجوا من امره فى علىّ(ع)

فلا يضلّوا كما ضلّ قوم موسى (ع) [يٰاقَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللّٰهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيٰاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكاً وَ آتٰيكُمْ مٰا لَمْ يُؤْتِ أَحَداً مِنَ الْعٰالَمِينَ] من فلق البحر وتظليل الغمام وانزال المنّ والسّلوى وغير ذلك [يٰاقَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ] يعنى الشّام [الَّتِي كَتَبَ اللّٰهُ لَكُمْ] ان تكون مسكناً لكم فخالفوا وحرموا و دخلها أبناء أبنائهم كذا نقل [وَلاٰ تَرْتَدُّوا] من طريق الارض المقدّسة الّتى هى الشّام اوارض القلب [عَلىٰ أَدْبٰارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خٰاسِرِينَ] كماقال نبيّنا (ص) لامّته هذه المقالة فى علىّ (ع) فأبوا الّا الارتدادو [قٰالُوا يٰا مُوسىٰ إِنَّ فِيهٰا قَوْماً جَبّٰارِينَ وَ إِنّٰا لَنْ نَدْخُلَهٰا حَتّىٰ يَخْرُجُوا مِنْهٰا] لعدم طاقتنا لمقاومتهم [فَإِنْ يَخْرُجُوا مِنْهٰا فَإِنّٰا دٰاخِلُونَ قٰالَ رَجُلاٰنِ] يوشع بن نون وكالب بن يوفنّا ابنا عمّه وقيل: رجلان من اهل الشّام اسلما بموسى (ع) [مِنَ الَّذِينَ يَخٰافُونَ] يتّصفون بالخوف اويخافون سخط الله [أَنْعَمَ اللّٰهُ عَلَيْهِمٰا] معترضة اوحال [ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبٰابَ] يعنى باغتوهم حتّى لايتمكّنوا من الاصحار اوقوّوا قلوبكم ولاتنظروا الى عظم جثّتهم فانّهم اجسام خالية عن الجرأة [فَإِذٰا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غٰالِبُونَ وَ عَلَى اللّٰهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ] يعنى انّ الايمان يقتضى التّوكّل عليه فهوشرط للتّهييج [قٰالُوا يٰا مُوسىٰ إِنّٰا لَنْ نَدْخُلَهٰا أَبَداً مٰا دٰامُوا فِيهٰا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَ رَبُّكَ فَقٰاتِلاٰ إِنّٰا هٰاهُنٰا قٰاعِدُونَ] هذاالكلام منهم لغاية حماقتهم واعتقادهم انّ الله هوواحد مثلهم لكنّه يقدر على مالايقدرون فقالوا خوفاً من الجبابرة: اذهب انت وربّك، وقيل: هذاالقول منهم كان استهزاءً بالله و رسوله و عدم مبالاة بهما [قٰالَ رَبِّ إِنِّي لاٰ أَمْلِكُ إِلاّٰ نَفْسِي وَ أَخِي] امّا المراد بأخى هرون او المراد كلّ من كان منقاداً له و مواخياً معه على ان يكون المفرد المضاف كالمعرّف باللّام للعموم، واخى فى موضع الرّفع معطوفاً على محلّ اسم انّ اوعلى المستتر فى لااملك وسوّغه الفصل بـ«او» فى موضع النّصب معطوفاً على اسم انّ، او على نفسى، او فى موضع الجرّ معطوفاً على الياء مضاف اليها النّفس من دون اعادة الجارّ على ضعف [فَافْرُقْ بَيْنَنٰا وَ بَيْنَ الْقَوْمِ الْفٰاسِقِينَ] قاله دعاءً عليهم وتحسّراً [قٰالَ فَإِنَّهٰا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ] عقوبة لهم فلا يدخلونها ولا يملكونها بسبب عصيانهم [أَرْبَعِينَ سَنَةً] ظرف لمحرّمة اولقوله تعالى [يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ] ومعنى يتيهون يتحيّرون لايرون طريقاً للخروج [فَلاٰ تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفٰاسِقِينَ] كأنّه كان نادماً عن دعائه عليهم متحسّراً لهم، عن الباقر (ع) عن رسول الله (ص) والّذى نفسى بيده لتركبنّ سنن من كان قبلكم حذوالنّعل بالنّعل والقذّة بالقذّة حتّى لا تخطؤا طريقهم ولا تخطأكم سنّة بنى اسرائيل ثمّ قال الباقر (ع): قال موسى (ع) لقومه: يا قوم ادخلوا الارض المقدّسة الّتى كتب الله لكم، فردّوا عليه وكانوا ستّمائة الف فقالوا: ياموسى انّ فيها قوماً جبّارين (الآيات)، قال فعصى اربعون الفاً وسلم هرون و ابناه و يوشع بن نون وكالب بن يوفنّا، فسمّاهم الله فاسقين فقال: لاتأس على القوم الفاسقين فتاهوا اربعين سنة لانّهم عصوا وكانوا حذوالنّعل بالنّعل انّ رسول الله (ص) لمّا قبض لم يكن على امرالله الّا علىٌّ والحسن (ع) والحسين (ع) وسلمان (ره) والمقداد (ره) وابوذرّ (ره) فمكثوا اربعين حتّى قام علىّ (ع) فقاتل من خالفه [وَاتْلُ عَلَيْهِمْ

نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ] قابيل و هابيل [بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَاناً] اظهر كلٌّ منهما و عرض قرباناً على الله ، والقربان ما يتقرّب به من ذبيحة او غيرها [فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا] لانّه خرج من نفسه و هواها و اتى بالقربان بأمر مولاه وعمد الى احسن ماعنده [وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ] لسخطه حكم الله وكون قربانه من قبل النّفس وهواها واتيانه بأخسّ ماعنده وهو قابيل [قَالَ] قابيل لهابيل [لَأَقْتُلَنَّكَ] توعّده بالقتل لفرط حسده عليه لقبول قربانه [قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ] لا من المعتدين المقدمين على قتل النّفس المحترمة يعنى قبول القربان انّما يحصل بالتّقوى عن النّفس وهواها لابالحسد على الغير وقتله لتقواه [لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَ ذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ] فى الدّنيا والآخرة روى انّه لمّا اراد قتله لم يدر كيف يقتله فجاء ابليس فعلّمه ولم يدر بعدالقتل مايصنع به [فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَاباً يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ] نقل انّه جاء غرابان فاقتتلا فقتل أحدهما الاخر فوارى جثّة المقتول فى الارض [لِيُرِيَهُ] اى الله اوالغراب [كَيْفَ يُوَارِي سَوْأَةَ أَخِيهِ] السّوأة الفرج ومايستقبح وانّما قال سوأة اخيه لانّ جثّة المقتول يستقبح ويستقذر [قَالَ يَا وَيْلَتَى] الالف بدل من ياء التّكلّم و الويل حلول الشّرّ اونفس الشّرّ وبهاء الفضيحة وهو كلمة تفجّع وندبة [أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْأَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ] ندم النّفس الّذى هو عقوبة وحسرة لاندم العقل الّذى هو منجاة وتوبة لقطعه مادّة التّوبة .

اعلم انّ امثال حكاية خلق آدم(ع) وحوّاء(ع) واسكانهما جنّة الدّنيا ونهيهما من شجرة الحنطة اوالعنب اوالعنّابه اوالحسد اوالعلم اوغير ذلك، ووسوسة الشّيطان لهما واكلهما من الشّجرة المنهيّة ونزع لباسهما عنهما وظهور سوأتهما وهبوطهما الى الارض، وافتراقهما سنين وحزنهما وبكاءهما على الفراق، ثمّ مواصلتهما وحمل حوّاء(ع) فى كلّ بطن غلاماً وجارية، وتولّد قابيل وتوأمته اقليما فى اوّل بطن ، وتولّد هابيل وتوأمته ليوذا فى بطن آخر، وامر الله لآدم(ع) ان ينكح من قابيل اخت هابيل ومن هابيل اخت قابيل، وحسد قابيل على هابيل لكون اخته اجمل من اخت هابيل، وعدم رضاه وامر آدم(ع) لهما ان يقرّبا قرباناً وقبول قربان هابيل وعدم قبول قربان قابيل، واشتداد حسده على هابيل وقتله اياه؛ من مرموزات السّابقين كمامرّ. وهكذا الحال فى حكاية سليمان(ع) وخاتمه وجلوس شيطان على كرسيّه بعد سرقة خاتمة ، وحكاية داود(ع) وتصوّر الشّيطان له بصورة طير احسن ما يكون من الطّيور ، وكون داود(ع) فى الصّلوة وقطعه الصّلوة فى طلب الطّير وصعود السّطح واشرافه على دار اوريا وتعشّقه بزوجته وكتابته لامير الجندان يقدّمه امام التّابوت حتّى يقتل ، وحكاية هاروت وماروت ونزولهما الى الارض وتعشّقهما بامرأة وابتلائهما بشرب الخمر وسجدة الوثن وقتل النّفس ، وغير ذلك ممّا فيها مالايوافق شأن الانبياء والملئكة فانّهم ارادوا بها التّنبيه على المعانى الغيبيّة المشهودة لهم الغائبة عن الانظار، وكانت العوامّ تداولوها بنحو الاسمار ولم يدركوا منها سوى معانيها الظّاهرة المدركة بالمدارك الحيوانيّة ونسبوا بذلك الى الانبياء والملائكة مايقتضى عصمتهم تطهير ساحتهم عن امثالها؛ ولبطلانها بظواهرها وصحّتها بمعانيها المقصودة

للانبياء(ع)والحكماء(ره)ورد فى اخبارنا انكارها وتعيير القائلين بها وتقريرها والتّصديق بها من هاتين الجهتين.

ثمّ اعلم ، انّه كلّ ماكان فى العالم الكبير كان انموذجه فى العالم الصّغير بل التّحقيق انّه انموذج لما فى العالم الصّغير خصوصاً ان كان من قبيل الافعال الاختياريّة اوالحوادث اليوميّة ، وماورد فى الاخبار من بركة الاموال والاولاد والاعمار بصلة الارحام وحسن الجوار ، وحبس الامطار بمنع الزّكوة ، وانتشار الوباء بكثرة الزّنا يدلّ على ذلك ، وكما انّ آدم ابا البشر وحوّاء امّ البشر خلقا فى العالم الكبير وهبطا الى الارض، آدم على الصّفا جبل قرب المسجدالحرام ويشاهد منه البيت من باب المسجد المحاذى للصّفا ، وحوّاء على المروة الّتى هى ابعد من المسجد الحرام والبيت ولا يشاهد البيت منها ، واوّل بطن من حوّاء كان قابيل مع توأمته وثانيه كان هابيل مع توأمته ، واشير فى بعض الاخبار الى انّه لم يكن لآدم اولاد غير اثنين ونزلت لاحدهما حوريّة من الجنّة واتى لآخر بجنّيّة وكثر نسل آدم منهما. كذلك كان هبوط آدم(ع)وحوّاء(ع)فى العالم الصّغير هبط احدهما على صفا النّفس واعلاها واصفى اطرافها واقربها من بيت الله الحقيقىّ ، والاخرى على مروة النّفس وادناها واكدر اطرافها وابعدها من القلب ، ولذلك سمّى آدم(ع)بآدم(ع) لأُدمته باختلاط على النّفس وصافيها وحوّاء بحوّاء لحوّته باختلاط ادانى النّفس، لانّ الحوّة خضرة الى السّواد اوحمرة الى السّواد . واوّل بطن من حوّاء بعد ازدواجهما كان قابيل النّوعىّ الّذى كان الغالب عليه صفات النّفس من الانانيّة والبخل والحسد والحقد والعداوة وحبّ الجاه والكبرياء بغلبة النّفس وقوّة صفاتها حينئذ ، وثانى بطن منها كان هابيل الّذى كان الغالب عليه صفات العقل لاستكمال النّفس بمجاورة آدم(ع)وحوّاء وضعف صفاتها وغلبة صفات العقل ، وكان كلّ منهما توأماً لاخت له و اراد آدم النّوعىّ جذب قابيل واخته الى قرب العقل وتبديل صفاتهما النّفسانيّة بالصّفات العقلانيّة ، فأراد تزويج اخته لهابيل وتزويج اخت هابيل له حتّى يتبدّل صفاتهما بذلك ، وابى قابيل عن التّبديل وعن الصّعود الى مقام العقل وحسد اخاه واستبدّ برأيه فقتله فأصبح من الخاسرين لابطاله وافنائه بضاعته الّتى هى استعداده للصّعود الى مقام العقل ، ويقتل هابيل ينقطع الانسانيّة من العالم الصّغير ويفنى النّاس فى هذا العالم كلّهم لانّ النّاس كلّهم فى هذاالعالم كانوا من نسل هابيل وكان اناسىّ هذاالعالم ابناء العقل الّذى هو اسرائيل النّوعىّ اى عبدالله وصفوة الله، كماكان قابيل وذرّيّته هم الجنّة والشّياطين فى هذا العالم، ومالم يقتل هابيل العالم الصّغير كان الحكم جارياً عليهم والتّكليف باقياً لهم والخطاب من الله متوجّهاً اليهم، واذا قتل هابيل وانقطع الاناسىّ لم يكن من الله حكم و خطاب وتكليف وكان الزّنا والصّلوة متساويين لهم؛ فمن قتل فى ملكه قابيل وجوده هابيل وجوده قتل النّاس كلّهم فى وجوده ولم يتوجّه اليهم بعد خطاب وتكليف. فقوله تعالى [مِنْ أَجْلِ ذٰلِكَ] معناه من اجل قتل قابيل العالم الكبير هابيله الّذى هو دليل قتل قابيل العالم الصّغير هابيله [كَتَبْنٰا] اى اثبتنا والزمنا تكويناً [عَلٰى بَنِي إِسْرٰائِيلَ] اى على من بقى فى وجوده الانسانيّة وهم بنوا العقل الّذى هو اسرائيل ، ولمّا كان بنو اسرائيل الشّخصىّ فى العالم الكبير كلّهم اواكثرهم على طريق الحقّ وكان كثير منهم انبياء(ع)وكان هذا الحكم اكثر ظهوراً فيهم كان التّفسير ببنى يعقوب صحيحاً [أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ] فى العالم الكبير [نَفْساً] بازهاق روحه الحيوانىّ اوقطع روحه الانسانىّ بدعوته الى الضّلالة وصدّه عن طريق الهداية بمباشرته اوبتسبيبه [بِغَيْرِ] قصاص [نَفْسٍ أَوْ] بغير [فَسٰادٍ] من المقتول [فِي الْأَرْضِ] بقطع طريق ونهب مال واخافة المسلمين بان يشهر السّيف اويحمله بالليل الّا ان لايكون من اهل الرّيبة [فَكَأَنَّمٰا قَتَلَ النّٰاسَ جَمِيعاً] لانّه ما لم يقتل قابيل وجوده هابيل وجوده

ولم يقطع الانسانيّة ولم يفن انانيّ وجوده لم يرض بقتل نفس ، فالقاتل قتل النّاس جميعاً فى وجوده وقتل نفساً بعده فى الخارج ، ومن قتل النّاس جميعاً فى وجوده كان كمن قتل النّاس جميعاً فى الخارج ، وايضاً من قتل نفساً كان قد قتل وقطع ربّ النّوع فى وجوده ، ومن قتل ربّ النّوع كان كمن قتل النّاس جميعاً ، واشير فى الخبر الى وجه آخر ، وهو انّ فى جهنّم لواديا من قتل نفساً واحدة ينتهى اليه ، ومن قتل جميع النّاس لا يتجاوزه [وَمَنْ أَحْيَاهَا] بانجائها من الهلاك الطّبيعىّ اودعوتها الى هداية واحيائها بالحيوة الانسانيّة الايمانيّة [فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعاً] لانّ احياء النّاس لايكون الّا اذا صار قابيل وجوده مبدلاً فى وجوده وصار جميع جنوده احياء بحيوة العقل [وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ] اى المعجزات اواحكام الشّريعة القالبيّة اوالدّلائل الدّالّة السمعيّة و العقليّة على هذا الحكم و التّغليظ فيه [ثُمَّ إِنَّ كَثِيراً مِنْهُمْ] من بنى اسرائيل [بَعْدَ ذَلِكَ] اى بعد مجيء الرّسل بالبيّنات اوبعد هذا الحكم اوبعد هما [فِي الْأَرْضِ] ارض العالم الصّغير اوالكبير [لَمُسْرِفُونَ] متجاوزون عن حدود الله بسفك الدّماء واستحلال المحارم وغيرها كما فى الخبر ولمّا ذكر القتل وبالغ فى ذمّ من ارتكبه صار المقام مقام ان يسأل : ماحال من حارب اولياءالله(ع)؟ـ فقال تعالى جواباً لهذا السّؤال [إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ] بمحاربة اولياءه وعباده المؤمنين [وَرَسُولَهُ] بمحاربة نفسه اوخليفته اوالمؤمنين اوبقطع طريقهم اوقطع طريق من يريد الرّسول(ص) اوالامام(ع) واقلّه ان يشهر السّيف لاخافة مؤمن ويحمل السّيف باللّيل الّا ان لايكون من اهل الرّيبة [وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَاداً] مفعول مطلق ليسعون من غير فعله اوبتقدير مصدر من السّعى ، والافساد فى الارض بقطع طريق ونهب مال وقتل نفس [أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ] وقد اختلف الاخبار فى انّ العقوبات مخيّرة اومنوطة برأى الامام كيف شاء ، اومنوطة برأيه لكن بملاحظة الجناية ومقدارها واختياره العقوبة على قدر الجناية ، وكذا فى النّفى من الارض بأنّه اخراج من المصر الّذى هو فيه الى مصر آخر ، مع انّه يكتب الى ذلك المصر بانّه منفىّ فلا تجالسوه ولاتبايعوه ولا تناكحوه ولاتؤاكلوه ولاتشاربوه الى سنة ، اوبأنّه اغراق فى البحر ، اوبأنّه ايداع فى الحبس [ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ] ليس المراد بهذه التّوبة هى الّتى بين الله وبين العبد من النّدم على المعصية واجراء لفظ التّوبة على اللّسان ، فانّه لاتعلم الّا باقرار التّائب واقرار الشّخص غير نافذ فيما هو له ، بل فيما هو عليه بل المراد هى الّتى تكون مناط الاسلام اوالايمان بقبول الدّعوة الظّاهرة اوالدّعوة الباطنة فانّها ليست امراً بين الله وبين العبد فقط ، بل لابدّ فيها من قبول الرّسول(ص) اوالامام(ع) توبته والاستغفار له واخذ الميثاق منه ، ومن استغفر الرّسول(ص) اوالامام له وقبل توبته فهو مغفور له مقبول توبته ومشهود له بالتّوبة ، لانّ الاسلام يجبّ ما قبله ، ولمّا ذكر حال المحاربين والمفسدين وانّ عقوبتهم فى الدّنيا وفى الآخرة اشدّ عقوبة وانّ من تاب على يدالرّسول(ص) اوالامام(ع) وتوسّل بهما الى الله يسقط منه تلك العقوبة العظيمة ، صار المقام مناسباً لان ينادى التّائبين على يد محمّد(ص) ويحذّرهم عمّا يوجب تلك العقوبة ويرغّبهم فيما يسقطها فيقول: [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا] بالبيعة العامّة [اتَّقُوا اللَّهَ] عمّا يوجب تلك العقوبة [وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ]

الّتی تسقط تلک العقوبة ، و لمّا کان الخطاب للمؤمنین کان المراد بالوسیلة المعرفة باللّام من یقبل التّوبة بعد الایمان بالرّسول (ص) والتّوبة علی یده ، ولیس الّا الامام الّذی یدعوبالدّعوة الباطنة الولویّة ولذلک فسّروها بأنفسهم [وَجٰاهِدُوا فِی سَبِیلِهِ] کأنّ فیه اشعاراً بانّ المجاهدة تکون بعد التّوسّل بالوسیلة، وامّا قبل الوسیلة فلا سبیل له حتّی یجاهد فیه [لَعَلَّکُمْ تُفْلِحُونَ إِنَّ الَّذِینَ کَفَرُوا] بهذه الوسیلة وهو فی موضع تعلیل لابتغاء الوسیلة [لَوْ أَنَّ لَهُمْ مٰا فِی الْأَرْضِ جَمِیعاً وَمِثْلَهُ مَعَهُ لِیَفْتَدُوا بِهِ مِنْ عَذٰابِ یَوْمِ الْقِیٰمَةِ مٰا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذٰابٌ أَلِیمٌ] تمثیل للزوم العذاب وشدّته وانّ من ابتلی به لاخلاص له [یُرِیدُونَ أَنْ یَخْرُجُوا مِنَ النّٰارِ وَمٰا هُمْ بِخٰارِجِینَ مِنْهٰا] لانّ طریق الخروج من النّار منحصر فی التّوسّل الی الوسیلة المذکورة ومن کفر به فلا طریق له الی الخروج [وَلَهُمْ عَذٰابٌ مُقِیمٌ وَالسّٰارِقُ وَالسّٰارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَیْدِیَهُمٰا] لمّا ذکر حکم المحارب والمفسد فی الارض والکافر، ذکر حکم السّارق الّذی هو ایضاً مفسد لکن لاالی حدّ القتل وشرائط السّرقة المؤدّیة الی الحدّ من کونها من حرز وبلوغ المسروق الی ربع دینار و فی غیر المجاعة ، وشرائط القطع من الابتداء بالید وانّه لایقطع الّا الاصابع الاربعة من الید الیمنی من اصولها ویترک الابهام ، وانّ الرّجل الیسری تقطع من دون العقب مذکورة فی الکتب الفقهیّة مفصّلة ولیس ههنا مقام تحقیقها وتفصیلها [جَزٰاءً بِمٰا کَسَبٰا نَکٰالاً مِنَ اللّٰهِ] عقوبة منه [وَاللّٰهُ عَزِیزٌ حَکِیمٌ فَمَنْ تٰابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ] بالتّوبة الخاصّة النّبویّة اوالولویّة من قبل قدرة الامام بقرینة السّابق وبیان المعصومین (ع) [وَأَصْلَحَ] بردّ المسروق الی صاحبه فلا حدّ علیه کالمحارب [فَإِنَّ اللّٰهَ یَتُوبُ عَلَیْهِ إِنَّ اللّٰهَ غَفُورٌ رَحِیمٌ] تعلیل لماقبله [أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللّٰهَ لَهُ مُلْکُ السَّمٰاوٰاتِ وَالْأَرْضِ] لمّا صار المقام مظنّة خطورانّه لاینبغی ان یسقط الحدّ الّذی ثبت علیه بمحاربته اوسرقته بمحض توبته اجاب عنه بقوله، الم تعلم، والخطاب امّا عامّ لمن یتأتّی منه الخطاب اوخاصّ بمحمّد (ص) من قبیل ایّاک اعنی واسمعی یا جارة [یُعَذِّبُ مَنْ یَشٰاءُ وَیَغْفِرُ لِمَنْ یَشٰاءُ وَاللّٰهُ عَلیٰ کُلِّ شَیْءٍ قَدِیرٌ یٰا أَیُّهَا الرَّسُولُ] لمّا ذکر حال المحارب و المفسد فی العالم الکبیر والعالم الصّغیر، وذکر حال السّارق فی العالمین وعقوبتهم و ما یسقط العقوبة عنهم من الوسیلة ، صار الرّسول (ص) لکونه رحمةً للعالمین محزوناً علی منافقی امّته الّذین انصرفوا من الوسیلة وکفروا به، کأنّهم سارقون صورة الاسلام وسارقون الکلم عن مواضعه وعلی الیهود الّذین سرقوا القول للحکایة لقوم آخرین وسرقوا الکلم عن مواضعه ، علی انّ الکلّ بوجه مفسدون فی الارض فناداه تسلیةً له (ص) بقوله تعالی [لاٰ یَحْزُنْکَ الَّذِینَ یُسٰارِعُونَ فِی الْکُفْرِ] بالوسیلة [مِنَ الَّذِینَ قٰالُوا آمَنّٰا بِأَفْوٰاهِهِمْ] کأنّهم سرقوا الاسلام وأظهروه بلسانهم [وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِینَ هٰادُوا سَمّٰاعُونَ لِلْکَذِبِ] بکثرة مایقولون الکذب، فانّ التفوّه بالکذب مستلزم لسماعه اوسمّاعون لقولک لیکذبوا علیک؛ اوسمّاعون للکذب لاالصّدق لسنخیّتهم للکذب [سَمّٰاعُونَ] کلامک لینقلوه [لِقَوْمٍ آخَرِینَ لَمْ یَأْتُوکَ] تکبّراً ومناعة اوحنقاً وغیظاً [یُحَرِّفُونَ الْکَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوٰاضِعِهِ] استیناف جواب سؤال مقدّر لبیان حال المسارعین فی الکفر والیهود السمّاعین للکذب ، اوصفة لقوم آخرین لکنّ الاوّل اوفق واشمل والمراد بتحریف

الكلم، امّا تغييره فى اللّفظ بزيادة اونقصان كما روى فى كثير من الآيات ، وامّا صرفه عن مفهومه ، وامّا صرفه عن مصداقه الّذى وضعه الله اوالرّسول (ص) فيه ، والمعنى يحرّفون الكلم عن مواضعه من بعد ثبوته فى مواضعه وكأنّ المنظور بهذا اللّفظ الاشارة الى كلم ولاية العهد من الله من قوله : انّما وليّكم الله ورسوله (الآية) فانّه لم يكن خلاف فى انّ موضعه علىّ (ع) ، ومن الرّسول (ص) بقوله : من كنت مولاه فعلىّ مولاه ، فانّه لم يكن خلاف فى انّه ولاية العهد ولعلىّ (ع) [يَقُولُونَ] اى المسارعون فى الكفر اوالقوم الآخرون [إِنْ أُوتِيتُمْ هٰذا فَخُذُوهُ] يعنى ان اوتيتم ايّها الموافقون فى طريقتنا هذا الّذى قلناه فخذوه [وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ] بل اوتيتم غيره [فَاحْذَرُوا] من قبوله ، وقد ذكر فى سبب نزولها انّها نزلت فى محاكمة يهود خيبر الى النّبىّ (ص) ومحاكمة ابن صوريا للنّبىّ (ص) وقد ذكر ايضاً انّه كان بين بنى قريظة و بنى النّضير كتاب وعهد على انّه اذا قتل رجل من بنى قريظة رجلاً من بنى النّضير ادّوا القاتل اليهم ليقتل ، و الدية كاملة لانّ بنى النّضير كانوا اقوى حالاً و اكثر مالاً من بنى قريظة ، و اذا قتل رجل من بنى النّضير رجلاً من بنى قريظة ادّوا القاتل اليهم ليركبوه على جمل و يولّى وجهه الى ذنبه ويلطخ وجهه بالحمأة ويدفع نصف الدّية اليهم ، فقتل بعد مقدم النّبىّ (ص) رجل من بنى قريظة رجلاً من بنى النّضير فطلبوا القاتل والدّية على العهد الّذى كان بينهم ، فابى بنوقريظة وقالوا : هذا محمّد (ص) بيننا وبينكم فهلمّوا نتحاكم اليه ، فمشوا الى عبدالله بن ابىّ وكان حليفاً لبنى النّضير وقالوا له : سل محمّداً (ص) ان لا ينقض عهدنا على بنى قريظة ، فذهب عبدالله بن ابىّ اليه وقال له مثل ماقالوا ، فنزل جبرئيل و قال : يحرّفون الكلم الّذى فى التّوراة من بعد مواضعه ، الآية [وَمَنْ يُرِدِ اللّٰهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللّٰهِ شَيْئاً] حتّى تقدر على منع فتنته واصلاحه [أُولٰئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللّٰهُ أَنْ يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ] من الارجاس الّتى هى سبب الكفر والعقوبة [لَهُمْ فِي الدُّنْيا خِزْيٌ] بالقتل والاسر والجزية والاجلاء واظهار نفاق المنافق وتفضيحه وخوفهم جميعاً من المؤمنين [وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذابٌ عَظِيمٌ سَمّاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكّالُونَ لِلسُّحْتِ] تكرار السّماع للكذب لابداء العلّة فى الخزى و العذاب ، و السّحت كلّ حرام من الرّشى فى الحكم وكلّ ما لم يأذن الله فى طريق تحصيله من ثمن الميتة والخمر واجر البغيّة واجر الكهانة واكل مال اليتيم والرّبا بعدالبيّنة و فى بعض الاخبار وامّا الرّشى فى الحكم فانّ ذلك الكفر بالله العظيم ، وفى بعض الاخبار من ذلك قبول هديّة على قضاء حاجة اخيه المؤمن ، و فى بعض الاخبار عدّما اخذ من حقّ بمحاكمة الطّاغوت سحتاً [فَإِنْ جاؤُكَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ] يعنى اذاجاءك اليهود للمحاكمة فانت مخيّر بين قبول محاكمتهم والاعراض عنهم [وَإِنْ تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَنْ يَضُرُّوكَ شَيْئاً] يعنى ان حكمت بينهم فلا يكن محاكمتك عن خوف منهم واستمالة لهم لانّك ان تعرض عنهم فلن يضرّوك شيئاً حتّى يكون اقبالك عليهم من خوف ضرر منهم [وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ] يعنى ينبغى ان يكون حكمك بما امرك الله به من القسط لابماهم عليه من الكفر وعدم الحرمة [إِنَّ اللّٰهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ] فى المؤمن والكافر [وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ] يعنى انّهم ان رضوا بحكم الله لايلجأوا الى حكمك لانّهم اهل كتاب الله [وَعِنْدَهُمُ التَّوْرِيٰةُ فِيهَا حُكْمُ اللّٰهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنْ بَعْدِ ذٰلِكَ] التّحكيم عن حكمك لعدم موافقته لرأيهم وان كان موافقاً لحكمهم، اوثمّ يتولّون عن التّوراة

وعن حكم الله الّذى فيه [وَمَا أُولٰئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ] بكتابهم وبكث ، وفيه تعريض بالمنحرفين عن حكمه (ص) فى علىّ (ع) [إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرٰيةَ فِيهَا هُدىً] يهدى به للحقّ [وَنُورٌ] يكشف به المبهمات ، تعليل لعدم ايمانهم وتعريض بمن يعرض عن القرآن الّذى فيه بيان الحقّ وكشفه من ولاية علىّ (ع) [يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا] صفة لبيان حالهم وتعريض بانّ من لم يرض بحكم القرآن لم يكن مسلماً منقاداً لله [لِلَّذِينَ هَادُوا وَ] يحكم بها [الرَّبَّانِيُّونَ] الّذين طلبوا الحقّ بالرّياضات والمجاهدات [وَالْأَحْبَارُ] الّذين طلبوه بالعلم وطريق البحث [بِمَا اسْتُحْفِظُوا] استحفظه طلب منه حفظ شيء اوجعله حافظا لشيء ، ولفظة ما موصولة اومصدريّة وفيه اشارة الى انّهم كانوا حافظين لكتاب الله من التّغيير اوحافظين له فى صدورهم [مِنْ كِتَابِ اللّٰهِ] التّدوينىّ اواحكام النّبوّة [وَ كَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ] يشهدون له على من يغيّره ، وعنهم (ع) فى بيان التّعريض: هذه الآية فينا نزلت، والرّبانيّون الائمّة دون الانبياء الّذين يربّون النّاس بعلمهم ، والاحبار هم العلماء يعنى انّ المقصود التّعريض بامّة محمّد (ص) وانزال القرآن وانّ الحاكم به هم الائمّة (ع) ومشايخهم الّذين اجازوا لهم الحكم به [فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ] فى حكوماتكم ولا تعرضوا عمّا قرّرناه من الاحكام، والخطاب لمحمّد (ص) ولمّا كان التّعريض بأمّته جمع أمّته معه فى الخطاب [وَاخْشَوْنِ] فانّى احقّ بالخشية [وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي] التّدوينيّة بان تغيّروها وتبدّلوها ، ولا بآياتى التّكوينيّة من النّبىّ (ص) وقوله (ص) ومن الائمّة الهداة [ثَمَناً قَلِيلاً] من الاعراض الدّنيويّة و اغراضها ، وقد مضى فى اوّل البقرة فى نظير الآية تفصيل تامّ لاشتراء الثّمن القليل بالآيات [وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللّٰهُ فَأُولٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ] اعلم، انّ الآيات الثّلاثة مذكورة ههنا بهذه الصّورة من ترتّب الكفر والظّلم والفسق على عدم الحكم بما انزل الله ، ويلزم منه ان يكون كلّ فرد من افراد الانسان حاكماً بما انزل الله تعالى حتّى لا يكون داخلاً تحت الآيات ، والحال انّ اكثرهم لا يعلمون حكم الله وليس كلّ من يعلم حكم الله يؤذن له فى الحكم بين النّاس ، ولذلك فسّروه بمن يحكم بغير ما انزل الله وهو اخصّ من الاوّل ، لانّ عدم الحكم بما انزل الله امّا بان لا يحكم اصلاً اوبان يحكم بغير ما انزل الله **والتّحقيق فى هذا المقام ان يقال :** انّ ما انزل الله غير مختصّ بالتّدوينىّ بل هو اعمّ من التّدوينىّ الّذى اتى به الانبياء (ع) مسطوراً فى الصّحائف و الالواح و من التّكوينىّ فى العالم الكبير من النّبوّات و احكامها الّتى نزلت من مقام الرّوح الى قلوب الانبياء (ع) ومنها الى صدورهم ، ومنها الى الخلق من السّياسات و العبادات القالبيّة ، و من التّكوينىّ فى العالم الصّغير من الاحكام العقليّة النّازلة من مقام العقل اوانّ البلوغ الى صدور الخلق فكلّ انسان له زاجر آلهىّ وشيطان يغويه وكلّ انسان له الحكومة لامحالة، امّا فى وجوده وعالمه الصّغير لانّه لامحالة لا يخلو عن حركة وسكون ولو فى الاكل والشّرب وسائر الضّروريّات، وان كان له عيال ودار ففى اهل داره ايضاً وان كان له خدم وحشم واموال ففيها ايضاً، ولابدّ لحركته وسكونه الاختياريّين من محرّك وباعث فالباعث ان كان الهيّاً فهو حاكم فى حركته وسكونه بما انزل الله من حكم العقل على صدره ، وان كان شيطانيّاً فهو حاكم بغير ما انزل الله وهذا الحاكم بين الخلق ان كان الباعث له على الحكومة آلهيّاً كان حاكماً بما انزل الله ، و ان كان شيطانيّاً كان حاكماً بغير ما انزل الله ولم يحكم بما انزل الله ، و ان كان صورة الحكم صورة ما انزل الله فانّه اذا حكم من لم يكن مأذوناً من الله بلاواسطة كالانبياء (ع) او بالواسطة كأوصيائهم (ع) وكان حكمه بصورة

ما انزل الله فى التّدوين او فى التّنبوّات كان حكمه بغير ما انزل الله وكان طاغوتاً ، وما ورد فى الاخبار من انّ هذا مجلس لايجلس فيه الّا نبيٌّ اووصيّ اوشقيّ؛ يدلّ على هذا ، لانّ من جلس بغير الوصاية لم يكن جلوسه وحكمه بما أنزل الله بل بغير ما أنزل الله وبحكم الشّيطان ولذلك علّق الشّفاعة الّتى هى والحكومة توأمان على الاذن فى عدّة من الآيات . و ممّا ذكرنا ظهر انّ عدم الحكم بما أنزل الله لازمٌ مساوٍ للحكم بغير ما أنزل الله لا انّه أعمّ منه لانّ الانسان لايخلو من حكومة ما ، ومن لم يكن خالياً من الحكومة فكلّما لم يحكم بما أنزل الله كان حاكماً بغير ما أنزل الله لما عرفت من التّلازم فصحّ ماورد من تفسيره فى الاخبار بالحكم بغير ما أنزل الله؛ روى عن امير المؤمنين (ع) انّ الحكم حكمان؛ حكم الله وحكم الجاهليّة فمن أخطأ حكم الله حكم بحكم الجاهليّة وهو دليل على ما قلنا [وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا] اى فى التّوراة وهو تقرير لعدم رضاهم بحكم الله وانّهم رضوا بمحمّد(ص) ليفرّوا من حكم التّوراة [أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ] مجمل محتاج الى البيان يعنى نفس المرء بالمرء والعبد بالعبد والانثى بالانثى اوكان حكم التّوراة عامّاً [وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ] ذات قصاص و الفقرات محتاجة الى تقدير آخر ايضاً و هو انّ النّفس تقتل بالنّفس والعين تفقأ بالعين وهكذا [فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ] اى بالقصاص اى عفا عنه [فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ] من ذنوبه [وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ] كرّره ثلاث مرّات لكمال الاهتمام به ، لانّه كما علمت معيار تمام الحركات والسّكنات ومصحّح العبادات والسّياسات وبه قوام المعاش والمعاد، ولانّ الاوّل ناظر الى امّة محمّد (ص) لانّ الخطاب فى قوله فلا تخشوا النّاس (الى آخره) كان لهم والثّانى ناظر الى احكام التّوراة واهلها ، والثّالث ناظر الى احكام الانجيل واهلها [وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ] اى آثار النبيّين والرّبانيّين والاحبار الّذين كانوا يحكمون بالتّوراة [بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقاً] عطف على جملة فيه هدى و نور لانّها حال و منصوب محلّاً وكرّره لانّ الاوّل حال من عيسى (ع) و الثّانى من الانجل [لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدًى] كرّره لانّ الاوّل باعتبار اجزائه وهذا باعتبار المجموع ، وايضاً الاوّل وصف باعتبار معانيه والثّانى للفظه وان كان باعتبار المعانى و التّأكيد مطلوب ايضاً [وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ] لانّ الوعظ اضافة بين الواعظ و المتّعظ و من لم يتّعظ لم يكن الوعظ وعظاً له ، والمتّقون هم الّذين يكون الوعظ وعظاً لهم [وَلْيَحْكُمْ] قرئ بالامر و بكسر اللّام وفتح الميم [أَهْلُ الْإِنْجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ] وصفهم بالكفر تارة وهو عدم الاقرار بالله او بدينه، وبالظّلم اخرى وهو اعطاء الحقّ لغير المستحقّ ومنع الحقّ عن المستحقّ ، وبالفسق اخرى وهو الخروج عن طريق الشّرع والعقل لاتّصافهم بالاوصاف الثّلاثة ولتفضيحهم غاية التّفضيح ولانّ الاوّل بالنّسبة الى امّة محمّد(ص) ولمّا كان رسالته وكتابه واحكامه اشرف سمّى المنحرف عن احكامه ، والحاكم بغيرها كافراً اشعاراً بانّ المنحرف عن احكامه لشرافتها اسوء حالاً من الكلّ و الثّانى بالنّسبة الى اليهود ، ولمّا كان الكثرة فيهم غالبة كان الظّلم و هو الاضافة الى الغير فيهم اظهر والثّالث بالنّسبة الى النّصارى ولمّا كان الوحدة فيهم اظهر كان الخروج عن طريق الوحدة وهو الفسق انسب بحالهم

واعلم ، انّه ليس المراد بالحكم بالتّوراة والحكم بالانجيل الحكم فى مطلق السّياسات و العبادات فانّهما منسوختان بمحمّد (ص) وكتابه ، بل المقصود الحكم بهما باعتبار ما ثبت فيهما من بعثة النّبيّ (ص) وآثاره وعلاماته ، والمقصود الاهمّ التّعريض بالامّة فى الحكم بالقرآن فى خلافة علىّ(ع) فلاتغفل [وَأَنْزَلْنا إِلَيْكَ الْكِتابَ بِالْحَقِّ] بسبب الحقّ اومتلبّساً بالحقّ اومع الحقّ ، وقدسبق انّ الحقّ فى امثال المقام هو الولاية الكبرى [مُصَدِّقاً لِما بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتابِ] من جنس الكتب المنزلة والنّبوّات الماضية [وَمُهَيْمِناً عَلَيْهِ] رقيباً على ذلك الكتاب بحفظه عن التّغيير واظهار ماكتموه منه وتصديقه وتصديق النّبوّات الماضية ، والمهيمن من اسمائه تعالى بمعنى الرّقيب والحافظ و المؤتمن و الامين و الشّاهد [فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ] بين امّتك او بين اهل الكتاب ان اخترت الحكم بينهم والمقصود التّعريض بالامّة وحكمهم [بِما أَنْزَلَ اللّهُ] فى علىّ(ع) [وَلا تَتَّبِعْ أَهْواءَهُمْ عَمّا جاءَكَ مِنَ الْحَقِّ] وهو الكتاب والنّبوّة فانّهما صورتا الحقّ الّذى هو الولاية [لِكُلٍّ جَعَلْنا مِنْكُمْ شِرْعَةً] اى لكلّ فرقة وامّة منكم جعلنا شريعة بحسب القالب و تأخير منكم للاشارة الى انّ الشّرعة الخاصّة بكلّ امّة انّما نشأت من اختلاف استعدادهم [وَمِنْهاجاً] طريقاً واضحاً بحسب القلب ، و الشّرعة الطّريقة الى الماء الّتى يرد عليها جميع الخلق بالسّويّة والاحكام القالبيّة فى كلّ امّة وشريعة طريقة الى ماء الحيوة و يستوى فيها جميع الامّة ، و المنهاج من نهج الامر اذا وضح و المراد الطّريق الواضح من القلب الى الحقّ وهو بمنزلة التّعليل لسابقه يعنى لاتتجاوز عن شرعتك الخاصّة بواسطة شرائعهم ، فانّ شرائعهم كانت خاصّة بهم ولك شرعة خاصّة بك [وَلَوْ شاءَ اللّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً واحِدَةً] متّفقة على طريقة واحدة من غير نسخ شريعة و تجديد اخرى [وَلكِنْ] جعلكم اممّاً مختلفة [لِيَبْلُوَكُمْ فِيما آتاكُمْ] من الشّرائع الجديدة لانّ قبول المألوف المعتاد اسهل على النّفس ولايظهر صدق الايمان به بخلاف غير المألوف ، فانّ قبوله لايكون الّا عن صدق الايمان بمن اتى به [فَاسْتَبِقُوا الْخَيْراتِ] يعنى اذا علمتم انّ الاختلاف امتحان لكم فاستبقوا الخيرات الّتى هى ما أمر الله به على لسان نبيّه (ص) لاالعادات الّتى اخذتموها من اسلافكم ، يعنى خذوا الخيرات سابقين على نفوسكم فانّها تأمركم بالعادات اوسابقين على اقرانكم حيازة لقصب السّبق [إِلَى اللّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً] السّابق واللّاحق و الاخذ بالامر والاخذ بالعادة وهو تعليل لقوله فاستبقوا و وعد و وعيد للفريقين [فَيُنَبِّئُكُمْ بِما كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ] من الحقّ والباطل و الامر والعادة وهذا ايضاً تعريض بالولاية واختلافهم فيها بعد الرّسول (ص) [وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِما أَنْزَلَ اللّهُ] قيل عطف على الكتاب او على الحقّ بجعل ان مصدريّة ودخول ان المصدريّة على الامر نادر وغير فصيح ، بل هى فى الاغلب تكون مفسّرة اذا وقع بعد ما فيه معنى القول والعطف على المعنى كثير شائع فى كلام الفصحاء ، فهو امّا عطف على مصدّقاً باعتبار المعنى اى انزلنا عليك الكتاب ان صدّق لما بين يديك وان احكم فيكون تفسيراً للانزال الّذى فيه معنى القول فانّ الانزال اذا نسب الى اللّفظ كان فى معنى القول ، ويحتمل ان يكون بتقدير امرنا عطفاً على انزلنا ويكون ان تفسيريّة ايضاً وتكرار الامر بالحكم بما انزل الله للتّأكيد ، او لكون احد هما فى زنا المحصنين والآخر فى قتل وقع بينهم ، كما روى عن الباقر(ع) انّما كرّر الامر بالحكم بينهم لانّهما حكمان امر بهما جميعاً لانّهم احتكموا اليه فى زنا المحصنين

ثمّ احتكموا اليه فى قتل كان بينهم [وَلَاتَتَّبِعْ اَهْوٰاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ اَنْ يَفْتِنُوكَ] يصرفوك [عَنْ بَعْضِ مَااَنْزَلَ اللّٰهُ اِلَيْكَ فَاِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ اَنَّمَا يُرِيدُ اللّٰهُ اَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ] يعنى فاعلم انّ لهم ذنوباً كثيرةً و الاقبال عليك مسقط لعقوبتها و التّولّى عنك دليل على ارادة الله لعقوبتهم ببعض منها [وَ اِنَّ كَثِيراً مِنَ النّٰاسِ لَفٰاسِقُونَ] خارجون عن طريق الحقّ وهوتعريض بالامّة حيث تولّوا عنه فى امره بولاية علىّ (ع) انكان نزوله فى اهل الكتاب وتسلية للرّسول (ص) بان لايعظّم تولّيهم ولايحزن عليهم لتولّيهم [اَفَحُكْمَ الْجٰاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ] وهذا مؤيّد لوجه التّعريض ، فانّ توبيخ الامّة بعد تصديق الرّسول (ص) على طلب حكم الجاهليّة له موقع دون توبيخ غير المصدّقين [وَمَنْ اَحْسَنُ مِنَ اللّٰهِ حُكْماً لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ] اللّام لام اختصاص والظّرف متعلّق بحكماً اوبأحسن ، والاستفهام للانكار يعنى لا احسن من الله حكماً لقوم يوقنون و المقصود انّ الله احسن حكماً فانّه وانكان بحسب المفهوم اعمّ ، لكن استعماله فى مثل هذا المقام لاثبات الاحسنيّة للمفضّل عليه و نفيها من غيره و التّعبير عنه بحيث يظهر تعلّق اللّام هكذا الله يحسن حكومته لقوم يوقنون اشدّ حسن ، اوحكومةالله تحسن لقوم يوقنون ، وتخصيص احسنيّة الحكومة بالموقنين لظهورهاعليهم ولموافقتها لهمدون غيرهم من اصحاب الاهواء والظّنون، وقيل: اللّام بمعنى عند ويكون حينئذٍ متعلّقاً بأحسن، وقيل: اللّام للبيان اى لبيان متعلّق الاستفهام اى هذاالاستفهام لقوم لايوقنون [يٰاَيُّهَا الَّذِينَ اٰمَنُوا لَاتَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصٰارٰى اَوْلِيٰاءَ] احبّاء تعاشرونهم معاشرة الاحباب وتتوقّعون منهم النّصرة فى البلايا [بَعْضُهُمْ اَوْلِيٰاءُ بَعْضٍ] فلا تتوقّعوا منهم الولاية فانّهم لكونهم على دينٍ واحدٍ متوادّون وانكانوا متنازعين من جهةٍ اخرى [وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَاِنَّهُ مِنْهُمْ] لانّ التّولّى والتّودّد لا يكون الّا من سنخيّة بين المتوادّين والسّنخيّة تقتضى الدّخول فى الاسناخ ، عن الصّادق (ع) من تولّى آل محمّد (ص) وقدّمهم على جميع النّاس بما قدّمهم من قرابة رسول الله (ص) فهو من آل محمّد (ص) بمنزلة آل محمّد (ص) لانّه من القوم باعيانهم وانّما هو منهم بتولّيه اليهم و اتّباعه ايّاهم وكذلك حكم الله فى كتابه ومن يتولّهم منكم فانّه منهم، وقول ابراهيم (ع) فمن تبعنى فانّه منّى [اِنَّ اللّٰهَ لَايَهْدِى الْقَوْمَ الظّٰالِمِينَ] يعنى لاتتّخذوا منهم اولياء لانّهم ظالمون بعدم قبول الاسلام وانّ الله لايهدى القوم الظّالمين ، اولاتتّخذوا منهم اولياء فتصيروا ظالمين بتولّيهم وعدم تولّى المؤمنين فلا يهديكم الله الى الحقّ لانّ الله لايهدى القوم الظّالمين [فَتَرَى الَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ] كابن ابىّ واضرابه [يُسٰارِعُونَ فِيهِمْ] فى موالاتهم [يَقُولُونَ نَخْشٰى اَنْ تُصِيبَنٰا دٰائِرَةٌ] اعتذار من تودّدهم ، والدّائرة عبارة عن نوائب الدّهر تدور على الخلق ، روى ان عبادةبن الصّامت قال لرسول الله (ص): انّ لى موالى من اليهود كثيراً عددهم وانّى ابرء الى الله ورسوله (ص) من ولايتهم واوالى الله ورسوله (ص) فقال ابن ابىّ: انّى رجلٌ اخاف الدّوائر لاابرء من ولاية موالىّ فنزلت [فَعَسَى اللّٰهُ اَنْ يَاْتِيَ بِالْفَتْحِ] لرسوله (ص) و للمؤمنين [اَوْ اَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ] دون الفتح من غنيمة او اهلاك عدوّ او اهلاك القائلين يكون فيه اعزاز المؤمنين ويظهر به ذلّة الكافرين والموالين لهم [فَيُصْبِحُوا] اى هؤلاء المنافقون فى الدّنيا اوفى الآخره [عَلٰى مٰا اَسَرُّوا

فِي أَنْفُسِهِمْ] من نفاق المؤمنين و موالاة الكافرين [نَادِمِينَ] ورد فى الاخبار انّ تأويله فى بنى اميّه فنقول انّ كان نزوله فى عبدالله بن ابىّ واصحابه فالتّعريض بمخالفى علىّ(ع) و يجرى فى كلّ من خالف الائمّة (ع) ومنهم بنواميّة الى ظهور القائم عجّل الله فرجه [وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا] فى الدّنيا بعد انقلاب الامر على الكفّار او على المنافقين بعد مارأوا المنافقين فى زمرة الكافرين او فى الآخرة بعد مارأوهم فى طريق الكافرين ، وقرئ بنصب يقول عطفاً على يأتى او يصبحوا [أَهَؤُلَاءِ] اشارة الى المنافقين يعنى يقول المؤمنون فى حقّ المنافقين بعد مارأوهم فى زمرة الكافرين ورأوا حسن حال المؤمنين تبجّحاً وسروراً بما للمؤمنين اهؤلاء [أَلَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ] اغلظ ايمانهم [إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ] فيه معنى التّعجّب [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ] فلن يضرّ دين الله شيئاً [فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ] والمقصود الارتداد عن قول محمّد(ص) فى ولاية علىّ(ع) والمراد بقوم يحبّهم اصحاب علىّ(ع) فانّ هذا الوصف لهم مأخوذ من سيّدهم علىّ(ع) لقول النّبىّ(ص) فى خيبر: لاعطينّ الراية غداً رجلاً يحبّ الله ورسوله ويحبّه الله ورسوله ، ولاخلاف انّ الرّجل كان علياً(ع) ولمّا كانت الآية جارية الى يوم القيامة فكلّ من اصحاب الائمّة (ع) داخل تحتها الى المهدىّ عجّل الله فرجه، وقد فسّرت بعلىّ(ع) واصحابه وباصحاب علىّ(ع) وقال علىّ(ع) يوم الجمل : والله ما قوتل اهل هذه الآية حتّى اليوم ، وعن الصّادق(ع) : هم امير المؤمنين واصحابه حين قاتل من قاتله من النّاكثين والقاسطين والمارقين [أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ] من الذّلّ بالكسر بمعنى اللّين اومن الذّلّ بالضمّ بمعنى الهوان بمعنى انّهم يعدّون انفسهم اذلّاء عند المؤمنين بتحقير انفسهم وتبجيل المؤمنين لانّ المؤمنين يعدّونهم اذلّاء [أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ] غلاظ شداد والمقصود انّهم ذو مناعة وعزّة على الكافرين لا يعدّونهم فى شيء [يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ] لا فى سبيل النّفس و الشّيطان [وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ] فيما يفعلون بأمر الله يعنى انّهم ناظرون الى أمر الله لاالى مدح مادح ولوم لائم [ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ] الاتيان باسم الاشارة البعيدة غاية تعظيم لما ذكر لهم من الصّفات وكذا اضافة الفضل الى الله [إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ] قد ورد من طريق العامّة والخاصّة انّ الآية نازلة فى علىّ(ع) حين تصدّق فى المسجد فى ركوع الصّلوة بخاتمه او بحلّته الّتى كان قيمتها الف دينار ، و مفسّروا العامّة لا ينكرون الاخبار فى كونها نازلة فى امير المؤمنين (ع) وقد نقلوا بطرق عديدة من رواتهم انّها نزلت فى علىّ (ع) و مع ذلك يقولون فى تفسيرها انّ الآية لمّا نزلت بعد النّهى عن اتّخاذ اهل الكتاب اولياء ، ولاشكّ انّ المراد بالاولياء هناك اولياء المعاشرة لا اولياء التّصرّف كان المراد بالاولياء ههنا ايضاً اولياء المعاشرة بقرينة المقابلة وبقرينة جمع المؤمنين ، ولو كان المراد امير المؤمنين (ع) وبالولاية ولاية التّصرّف، لصرّح باسمه اولقال والّذى آمن بالافراد؛ وهم غافلون عن انّه لو صرّح باسمه اوافرد المؤمن مع الاتّفاق فى انّها نازلة فى امير المؤمنين(ع) لأسقطوه تمويهاً على مخالفى علىّ(ع) فنقول : نسبة الولاية اوّلاً الى الله ثمّ الى رسوله(ص) ثمّ الى الّذين آمنوا تدلّ على انّ المراد بالولايه ولاية التّصرّف الّتى فى قوله تعالى : النّبىّ اولى بالمؤمنين من انفسهم لانّ ولاية الله ليست ولاية المعاشرة

ولا ولاية الرّسول (ص) بقرينة العطف وبما هومعلوم من الخارج ، فكذلك ولاية الّذين آمنوا بقرينة العطف وبقرينة عدم تكرار الولىّ، فانّ المراد انّ الولاية ههنا امر واحد مترتّب فى الظّهور، فانّ ولاية الرّسول (ص) ليست شيئاً سوى ولاية الله وولاية الله تتحقّق بولاية الرّسول (ص) فهكذا ولاية الّذين آمنوا فانّها ولاية الرّسول (ص) تظهر فى ولاية الّذين آمنوا على ماقاله الشّيعة ، ولو كان المراد ولاية المعاشرة كان اولياؤكم بلفظ الجمع اولى، وتقييد الّذين آمنوا باقامة الصّلوة وايتاء الزّكوة فى حال الرّكوع يدلّ على انّها ليست ولاية المعاشرة والّا لكان جملة المؤمنين فيهاسواءً ، وليس كذلك المؤمنين متّصفين بالصّفات المذكورة على انّه لاخلاف معتدّاً به فى انّها نزلت فى علىّ (ع) وصورة الاوصاف خاصّة به ، وقوله الّذين يقيمون الصّلوة بالمضارع اشارة الى انّ هذا الوصف مستمرّ لهم يعنى حالهم استمرار اقامة الصّلوة و ايتاء الزّكوة فى حال الخضوع لله لا فى حال بهجة النّفس، لانّهم يؤتون ماآتوا وقلوبهم وجلة انّهم الى ربّهم راجعون ، بخلاف الفاعل من قبل النّفس فانّ شأنه الارتضاء بفعله وتوقّع المدح من الغير على فعله ، لانّ كلّ حزب من احزاب النّفس بمالديهم فرحون ويحبّون ان يحمدوا على مالم يفعلوا فضلاً عمّا فعلوا ، واستمرار الصّفات بحسب المعنى لعلىّ (ع) واولاده المعصومين (ع) بشهادة اعدائهم و بحسب الصّورة ماكان احد مصداقها الّا علىّ (ع) نقلا عن طريق العامّة و الخاصّة وقد وقع صدور الزّكوة فى الرّكوع من كلّ من الائمّة (ع) كما ورد عن طريق الخاصّة ، وفى نسبة الولاية الى الله دون المخاطبين والاتيان باداة الحصر دلالة تامّة على انّ المراد بهاولاية التّصرّف فانّهاامر ثابتة لله ذاتاً ولرسوله (ص) ولخلفاء رسوله (ص) باعتبار كونهما مظهرين لله وليس لاحد شراكة فيها وليس المراد بها ولاية المعاشرة الّتى تكون بالمواضعة والاتّخاذ ، والّا لم يكن للحصر وجه وكان اقتضاء المقابلة ان يقول بل انتم اولياءالله (الى آخرها) او بل اتّخذوا الله ورسوله والمؤمنين اولياء ولانّ المراد بهاولاية التّصرّف الّتى كانت بالذّات لله قال فى عكسه [وَمَنْ يَتَوَلَّ اللّٰهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ اٰمَنُوا] اشعاراً بانّ الولاية السّابقة هى ولاية التّصرّف و ليست لغير الله وخلفائه الّا قبولها ومن قبلها منهم باستعداده لظهورها فيه صار مرتبطاً بالله وخلفائه ، ومن صار مرتبطاً بالله صار من حزب الله ، ومن صار من حزب الله كان غالباً [فَاِنَّ حِزْبَ اللّٰهِ هُمُ الْغَالِبُونَ] ولو كان المراد بهاولاية المعاشرة لكان الاولى ان يقول ومن يتّخذالله اومن صار ولياً لله، والحاصل انّ فى لفظ الآية دلالات واضحة على انّ المراد بالولاية ولاية التّصرّف وانّها بعد الرّسول (ص) ليست لجملة المؤمنين بل لمن اتّصف بصفات خاصّة كائناً من كان متعدّداً او منفرداً سواء قلنا نزلت فى علىّ (ع) او لم نقل ، لكن باتّفاق الفريقين لم توجد الاوصاف الّا فيه (ع) ونزلت الآية فى حقّه (ع) والمراد بالّذين آمنوا ههنا هم الموصوفون فى الآية السّابقة لما تقرّر عندهم انّ المعرفة اذا تكرّرت كانت عين الاولى [يٰاَيُّهَا الَّذِينَ اٰمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُواً وَلَعِباً مِنَ الَّذِينَ اُوتُوا الْكِتٰابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكُفّٰارَ] بولاية من امرتم بولايته بقرينة كونها بعد آية ولاية الله و قبول ولايته و التّعليق على هذا الوصف للاشعار بعلّة النّهى [اَوْلِيٰاءَ] لانّهم فى شقاق معكم فلا ينبغى لكم توليهم [وَاتَّقُوا اللّٰهَ] فى اتّخاذ المذكورين اولياء [اِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ] فانّ الايمان يقتضى المجانبة لا المجانسة معهم [وَاِذٰا نٰادَيْتُمْ] عطف على قوله اتّخذوا دينكم اوحال [اِلَى الصَّلٰوةِ اتَّخَذُوهٰا هُزُواً وَلَعِباً ذٰلِكَ بِاَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ] فانّ العقل يقتضى تعظيم الحقّ وعباداته لا الاستهزاء بها [قُلْ يٰا اَهْلَ الْكِتٰابِ هَلْ

تَنْقِمُونَ] تكافؤن او تكرهون او تعاقبون [مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِاللّٰهِ] المستثنى بتقدير اللّام اوالباء او مفعول به بلاواسطة حرف [وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلُ] تعريضٌ بمنافقى الامّة فى النّقمة من عليّ (ع) و اولاده المعصومين (ع) واصحابهم التّابعين لهم [وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ] خارجون عن طريق الحقّ و العقل و هو عطف على انآمنّا اوعلى‌الله يعنى الا لان آمنّا بانّ اكثركم فاسقون [قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذٰلِكَ] الايمان الّذى تنقمون لاجله او من ذلك الفسق او من ذلك النّقم يعنى ان كان هذا شرّاً باعتقادكم او فى الواقع فهل انبّئكم بشرٍّ منه [مَثُوبَةً] جزاء [عِنْدَ اللّٰهِ مَنْ لَعَنَهُ اللّٰهُ] هو خبر مبتدءٍ محذوفٍ تقديره صاحب ذلك الشّرّ من لعنه‌الله اوذلك الشّرّ صفة من لعنه‌الله اوبدل بتقدير مضاف، تقديره بصفة من لعنه‌الله وهومبتدءٌ وجملة اولٰئك شرٌّ مكاناً خبره [وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ] فيه قراءات، قرئ فعلاً مبنيّاً للفاعل ومبنيّاً للمفعول بتقدير فيهم وعابدالطّاغوت وعبدةالطّاغوت وعبّد الطّاغوت جمعاً كخدم وعبُد الطّاغوت بضمّ الباء وصفاً ، وعطفه على القراءات واضح و قد مضى تفسير الطّاغوت [أُولٰئِكَ شَرٌّ مَكَاناً وَأَضَلُّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ] من قبيل اضافة الصّفة الى الموصوف اى السّبيل السّواء غيرمائل الى احد الطّرفين من الافراط والتّفريط للنّصارى واليهود والمراد بالتّفضيل امّاالزيادة مطلقاً لابالاضافة الى المؤمنين اوبالاضافة الى النّاقمين اوالى الفاسقين ، اوالى المؤمنين على اعتقادهم او بالاضافة الى المؤمنين على سبيل التّهكّم بهم [وَإِذَا جَاؤُكُمْ قَالُوا آمَنَّا] تأديب للمؤمنين بان يراقبوا حالهم وتعريض بالمنافقين من امّة محمّد (ص) [وَقَدْ دَخَلُوا] فى مجلسك او فى دينك [بِالْكُفْرِ] يعنى لم يكن دخولهم خلوصاً من الكفر بل انقياداً لسلطنتك [وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ] من عندك او من دينك من غير تأثير لكلامك فيهم [وَاللّٰهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَ] تهديد لهم [وَتَرَىٰ كَثِيراً مِنْهُمْ يُسَارِعُونَ فِي الْإِثْمِ] الذّنب الغير المتعدّى الى الغير [وَالْعُدْوَانِ] الاساءة الى الغير فان كان المراد اهل الكتاب فالتّعريض بهم [وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ] ذمّ على فعلهم [لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ] قد مضى انّ الاوّل هم المرتاضون والثّانى العلماء [عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ] القول اعمّ من الفعل كما مضى تحقيقه [وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ] والتّعبير ههنا بيصنعون للاشارة الى انّهم ابلغ ذمّاً من السّابقين، لانّهم بجهلهم يعملون وهؤلاء عن علم يتركون لانّ استعمال الصّنع فى الاغلب فيما اذا تمكّن وتعمّل فى العمل، عن ابن عبّاس انّها اشدّ آية فى القرآن [وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللّٰهِ مَغْلُولَةٌ] غلّ اليد كناية عن الامساك والبخل وبسطها كناية عن الجود. **اعلم** ، انّ لليهود مذاهب مختلفة وعقائد مشتتة وآراء مبتدعة فمنها اعتقادهم انّ الله جسم وانّه خلق السّماوات و الارض و ما فيها من المواليد فى ستّة ايّام ، وآخر المخلوقات فى اليوم الآخر كان آدم (ع) وخلق له من ضلعه الا يسر حوّاء واسكنه جنّة خلق له فى عدن و منعه من اكل شجرة ، و اكلت حوّاء باغواء الشّيطان والحيّة من تلك الشّجرة وحملت آدم (ع) على الاكل و انّ الله ندم من خلق آدم (ع) وبنى آدم ، وانّ الله فرغ من الخلق يوم الجمعة واستراح يوم السّبت وهومستريح فارغ من الامر، فنقل تعالى قولهم الباطل وردّ عليهم ودعا عليهم بقوله [غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا

بِمٰاقٰالُوابَلْ يَدٰاهُ مَبْسُوطَتٰانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشٰاءُ] واليد كما سبق فى امثالها غير مختصّة بالعضو المخصوص الّذى للذوى الحيوة الحيوانيّة ، بل هى اسم لمعنى عامّ له مصاديق كثيرة مترتّبة بعضها فوق بعض ، وهو معنىً مابه التّصرّف بالحركة فى الجذب والدّفع والدّخل والخرج ، ومابه القدرة فى الانفاق والامساك والايجاد والاعدام وغير ذلك من لوازم التّصرّف ، وهى فى الحيوان آلة مخصوصة مركّبة من اجسام مختلفة ، وفى الانسان الملكىّ آلة اخرى و فى الانسان الملكوتىّ ايضاً آلة محسوسة غير ما للانسان الملكىّ ، وفى الجبروتىّ ليست آلة محسوسة بل امر معقول مجرّد عن المادّة ولوازم المادّة وعن التّقدّر والتّشكّل ، والحقّ تعالى شأنه لمّا كان احديّ الذّات لا كثرة لذاته بوجه من وجوه الكثرة ولا تركيب فيه بوجه من وجوه التّركيب ، بل انيّته وجود صرف محيط بكلّ الكثرات بحيث لا يشذّ عن وجوده شيء منها وا لا كان محدوداً مركّباً ، فهو بذاته الاحديّة مصداق لجميع الاسماء والصّفات المتقابلة بحيث لا يلزم منه تكثير ولا تركيب ولا تحديد ، فانّ من حدّه بشيء فقد عدّه واثبت له ثانياً ، ومن عدّه فقد ثنّاه ، ومن ثنّاه فقد جزّاه ، ومن جزّاه فقد جهله ، فمن وجوب وجوده يستدلّ على عدم تركّبه ، و منه على عدم تحدّده ، ومنه على احاطته فهو بكلّ شيء محيط . وهذا اتمّ البراهين الّتى اقامها الحكماء على احاطته بل هو اصل للكلّ والكلّ راجع اليه فهو باحديّته مصداق الصّفات الحقيقيّة المحضة ومصداق الصّفات الحقيقيّة ذات الاضافة ، و مصداق الاضافات و السّلوب تماماً فهو الحىّ العليم السّميع البصير المدرك القادر المريد المتكلّم الرّحمن الرّحيم الخالق الرّازق المبدء المعيد المتصرّف الهادى المفضل المضلّ المنتقم السّبّوح القدّوس ، لكن هذه الاسماء غير ظاهرة فى مرتبته الاحديّة فانّها الغيب الّذى لا اسم له ولا رسم ولا خبر عنه ولا اثر بل هى ظاهرة فى مقام المعروفيّة المسمّاة بنفس الرّحمن و الحقيقة المحمّديّة و الاضافة الاشراقيّة و عرش الرّحمن والولاية المطلقة والمشيّة والحقّ المخلوق به وغير ذلك من اسمائها ، سوى الف الف اسم لله تعالى شأنه هى مصداقها فى مقام الظّهور وهى باعتبار نفسها من غير اعتبار حيثيّته وحيثيّة يدالله وباعتبار وجهها الى الله ووجهها الى الخلق ، وباعتبار انضيافها الى الملكوت العليا والسّفلى ، وباعتبار ظهور اللّطف والقهر فيها يد ان لله وكلتا يديه يمين وباسط اليدين بالرّحمة فى هذا المقام ، وباعتبار انضيافها الى المهيّات والاعيان الثّابتات تظهر فيها الاسماء المتقابلات من اللّطيف والقاهر و الرّحيم و المنتقم ولكلّ صنف من اسمائه تعالى عالم هو محلّ ظهوره فعالم الارواح والاشباح النّوريّة الّتى هى عالم المثال والفلكيّات تماماً مظاهر اسمائه اللّطفية . والعالم السفلىّ الّذى هو عالم الشّياطين والجنّة ومقرّ الارواح الخبيثة وفيه الجحيم و نيرانها مظاهر اسمائه القهريّة ، وعالم العناصر بموالیدها مظاهر اللّطف والقهر تماماً فأسماءه تعالى اللّطفيّة والقهريّة يداه تعالى وبهذا الاعتبار ايضاً كلتا يديه يمين ومظاهر الاسماء اللّطفيّة من عالم الارواح والسّماوات يمينه ، و السّموات مطويّات بيمينه والطّاوى والمطوىّ باعتبار الظّاهر والمظهر ، وا لا فالسّماوات يمين والظّاهر فيه ايضاً يمين والظّاهر السّفلىّ شمال و اصحاب اليمين و اصحاب الشّمال اشارة الى اهل هذين العالمين ، لكن كونهما يميناً وشمالاً باعتبارهما فى انفسهما لا بالاضافة اليه تعالى فانّ كلّاً منهما بالاضافة اليه تعالى يمين ، ولذلك لم يرد فى كلامه تعالى شمال الله ، بل اصحاب الشّمال و اصحاب المشئمة بدون الاضافة ، ولم يقل تعالى و الارض جميعاً فى شماله مع انّ المناسب فى مقابل و السّموات مطويّات بيمينه ان يقول والارض مقبوضة بشماله بل قال قبضته لا باسم اليمين ولا باسم الشّمال فباضافة العالمين اليه كلتا يديه يمين ايضاً ، واذا اريد بالرّحمة ، الرّحمة الرّحمانيّة فهو باسط اليدين بالرّحمة فى هذين العالمين ايضاً ، واذا اريد اظهار الاضافة اللازمة لليمين والشّمال يقال يمين العالم وشمال العالم . اذا علمت

ذلك فاعلم، انّه تعالى قيّوم ومعنى قيّوميّته انّ به تحصّل الاشياء وبقاءها ومعنى به بقاؤها ان لابقاء لهافى انفسها الّا بمبقيها ايّها النّاس انتم الفقراء الى الله والله هو الغنىّ، مثالها فى بقائها بمبقيها وفنائها فى انفسها ، مثال ضوء الشّمس المنبسط على السّطوح فانّه من حيث اضافته الى السّطوح آناً فاناً فى الفناء بحيث لا يبقى ضوء على سطح آنين ، اذا اردت معرفة ذلك من طريق الحسّ فانظر الى ضوء منبسط على سطح من كوّة يكون بينها وبين ذلك السّطح مسافة بعيدة ، فاذا انسدّ تلك الكوّة فنى ذلك الضوء من السّطح من غير تراخ ولولا فناؤه فى نفسه وبقاؤه بمبقيه الّذى هو الشّمس لبقى آناً مابعد سدّ الكوّة ، واذا كان حال الاشياء بالنّسبة الى الله تعالى حال الضّوء بالنّسبة الى الشّمس فلو لم يجد بافاضة الضّوء الحقيقىّ على سطوح المهيّات آناً ، لفنت الاشياء فهو تعالى ابداً فى الافاضة والخلق والابداء ، فيداه بمعانيهما الّتى عرفت مبسوطتان بالانفاق وكيفيّة انفاقه منوطة بمشيّته فمن قال قد فرغ من الامر جهل الامر وكذب على الله ولعن من باب معرفته وغلّت يداه العلمىّ والعملىّ الى عنقه. هذا فى العالم الكبير وكلّ ما فى العالم الكبير فهو بعينه فى العالم الصّغير من غير تفاوت الّا بالكبر و الصّغر مادام الصّغير صغيراً فالنّفس الامّارة كالعالم السّفلىّ واللّوامة و بدنه كعالم العناصر و المطمئنّة كالسّموات و القلب كالانسان واقع بين السّفلىّ والعلوىّ والرّوح والعقل كعالم الارواح ؛ قلب المؤمن بين اصبعى الرّحمن، اشارة الى السّفل والعلو كاليدين فى الكبير ولكونه صغيراً عبّر عنهما بالاصبعين [وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيراً مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَاناً وَكُفْراً] اللّام موطّئة ويزيدنّ جواب القسم، والسّر فيه انّهم لمّا تمكّنوا فى الكفر فكلّما قرع الحقّ سمعهم ازدادوا تنفّراً و اشمئزازاً منك ومن الحقّ لعدم السنخيّة فازدادوا حنقاً وكفراً [وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ] فى القلوب [وَالْبَغْضَاءَ] فى الافعال لانّ ما به الاتّفاق و المحبّة هو الايمان و التّوجّه الى عالم الوفاق و الوداد وهم بريئون منه [إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَاراً لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ] لعدم وفاقهم فأجسادهم عظيمة مجتمعة وقلوبهم ضعيفة شتّى [وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَاداً] مفعول مطلق من غير لفظ الفعل ان كان السّعاية بمعنى الافساد والّا فمفعول له ، وافسادهم فى ارض عالمهم الصّغير بترك اصلاح اهله وصدّهم عن طريق القلب و فى الكبير بصدّ اهله عن طريق الايمان قيل : بافسادهم سلّط الله عليهم بُخت نصّر فاستأصلهم ثمّ فطرس الرّومىّ ثمّ المجوس ثمّ المسلمين [وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ] فلا قدر لهم عنده [وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا] بنبيّهم وكتابهم [وَاتَّقَوْا] مخالفة كتابهم و مخالفة ما فيه من الاحكام و من وصف محمّد (ص) حتّى يؤمنوا به وهذا و ان كان لاهل الكتاب من اليهود والنّصارى لكنّ التّعريض باهل الكتاب من امّة محمّد (ص) [لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ] الّتى لزمت نفوسهم حاصلة من افعال جوارحهم والّتى صارت سبباً لافعال جوارحهم [وَلَأَدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ] لانّ الايمان يعدّ لدخول الجنّة والتّقوى لازالة السّيّئات [وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ] يعنى لوانّ امّة محمّد (ص) اقاموا القرآن لانّه تعريض بهم والمعرّض به هو المقصود فى الكلام ، واقامة الكتاب بالايتمار بأوامره والانتهاء بنواهيه وحفظ ما نزل فيه [وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ] قد فسّر فى الخبر بالولاية مناسباً للتّعريض و امّا بالنّسبة الى المعرّض عنهم فالمراد سائر ما وصل اليهم من انبيائهم (ع) الآخرين اوما وصّاهم انبياؤهم اواوصياؤهم من المحافظة على الكتابين وحدودهما [لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ] من الارزاق السّماويّة الاخرويّة الرّوحيّة [وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ]

من الارزاق الارضيّة الدّنيويّة البدنيّة ، اوالمراد بكليهما اكل الرّوح فانّ المؤمن بالبيعة الولويّة وقبول الولاية يفتح له باب القلب ، فاذا انفتح باب القلب فكلّماحصل له من الارزاق النّباتيّة والعلوم الحسيّة والكسبيّة التي هي من السّفل وكذا العلوم الحاصلة له بمحض الافاضة الآلهيّة المسمّاة بالعلوم اللّدنيّة تكون غذاء روحه لاغذاء نفسه وشيطانه ، لما مرّ سابقاً انّ اسماء الاشياء اسماء لفعليّاتها الاخيرة ، ومن اقام التّوراة والانجيل اقرّ بمحمّد(ص) ومن اقرّ بمحمّد (ص) اقرّ بالولاية ومن اقرّ بالولاية صار فعليّته الاخيرة فعليّة الولاية ، ومن صار فعليّته الاخيرة فعليّة الولاية صار جميع ماحصل له من العلوم والاعمال غذاء لفعليّة الولاية [مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ] خارجة عن تفريط اليهود وافراط النّصارى وداخلة في الطّريق المقتصد المحمّديّ(ص) [وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ] لخروجهم عن الاقتصار الى احد طرفيه [يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ] عنهم(ع) كان هناك: في عليّ ؛ فاسقطوه [وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ] خوفاً من افتتان امّتك وفتنتك بهم [فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ] لانّ الولاية غاية الرّسالة فان لم تحصل كانت الرّسالة كأن لم تحصل [وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ] فلا يكن خوف فتنتك منهم مانعاً من التّبليغ [إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ] الى مرادهم من السّوء بك يعني لايخلّي بينهم وبين مرادهم. هذه الآية وآية اليوم اكملت لكم دينكم قد روى من طريق الخاصّة بطرقٍ كثيرة انّهما في ولاية عليّ (ع) ونزولهما كان في حجّة الوداع قبل منصرفه (ص) اوبعده (ص) الى غديرخمّ ، وهذه السّورة بتمام آيها آخر ما نزلت ولم ينزل بعدها شيء من القرآن ، والخطب التي خطب النّبيّ(ص) بها في مكّة ومسجدالخيف وغديرخمّ مذكورة من طريقهم في المفصّلات من التّفاسير وغيرها ، ومتأخّروا مفسّري العامّة اكتفوا في تفسير هذه الآية بظاهر اللّفظ و فسّروها هكذا يا ايّها الرّسول بلّغ جميع ما انزل اليك من ربّك وان لم تفعل اى تبليغ الجميع فمابلّغت شيئاً من رسالته على قراءة رسالته بالافراد اومابلّغت جميع رسالاته على قراءة رسالاته بالجمع، ونزول الآية لوكان في اوّل التّبليغ كان لهذا التّفسير وجه ، ولمّاكان نزول الآية في آخر التّبليغ كماعليه الشّيعة اوبعد الهجرة كما عليه الكلّ لم يكن لهذا التّفسير موقع ، لانّه قبل نزول الآية كان قد بلّغ اكثر التّكاليف وبقي بعضها فان كان الباقي مثل ما بلّغ سابقاً من احكام القالب لم يكن يخاف من التّبليغ ولايتأمّل فيه حتّى يصير معاتباً بتركه ، لانّه كان قد بلّغ اكثر الاحكام حين الانغماروغلبة المشركين ولم يخف منهم فكيف يخاف حين ظهورسلطانه وقبول احكامه ، فينبغي ان يكون خوفه من امّته و افتتان اتباعه ولا يكون الّا اذاكان الامر المأمور هو بتبليغه امراً عظيماً ثقيلاً على اسماع الامّة ، حتّى يخاف (ص) من عدم قبولهم وارتدادهم ويخاف على نفسه ايضاً من الاذى والقتل، ويتأمّل في التّبليغ ويتردّد فيه فيصحّ من الله مجيء العزيمة والامر البتّي[1] فيه والعتاب والتّهديد على تركه ووعد العصمة من النّاس في تبليغه، ومن انصف من نفسه علم انّ هذا الامر لايكون من جنس الصّوم والصّلوة ولاالحجّ والزّكوة ولاالخمس والجهاد ولاسائر العقود والمعاملات بل امراً خارجاً من جنس تلك الاحكام ولا يتصوّر الّا ان يكون ذلك الامر نصب شخص للامارة عليهم بعده وادخالهم تحت حكمه مع كونه مبغوضاً لهم، وما ادّعى هذا لاحدٍ الّا لعليّ(ع) وقد قال(ص) باتّفاق الفريقين: من كنت مولاه فعليّ مولاه ، و تأويلهم هذا بالمحبّ كما أوّلوه بعيد عن الانصاف غاية البعد ، وكلامنا مع المنصف لا مع المتعصّب المنحرف فانّه لاكلام لنا معه ولاكتاب والله المتفضّل بالتّوفيق والصّواب . **هذا مع قطع النّظر عمّا ثبت وورد بطريق الخاصّة والعامّة في حقّه(ع) ممّا يدلّ على استحقاقه(ع) خلافة النّبيّ(ص)**

١- بتّ الامر = امضاه وبتّ النيّة = جزمها .

دون غيره من كونه لم يشرك بالله طرفة عين ولم يعبد وثناً بخلاف غيره و من دعاء الرّسول (ص) له الى الاسلام و تكليفه (ص) البيعة معه واجابته (ع) له (ص) حين كونه (ع) ابن تسع سنين ، فانّه ان كان في ذلك الزّمان مستعداً لتعلّق التّكليف به ومستحقّاً لدعوة الرّسول وقابلاً للتّوبة على يده والبيعة معه، كفى به شرفاً لانّه لاخلاف في انّه اوّل من بايع الرّسول (ص) وانّه كان حين بايع ابن تسع سنين ، وان لم يكن اهلاً للدّعوة و البيعة و مع ذلك دعاه محمّد(ص) و بايعه كان مرتكباً للّغو وهو بحكمته الكاملة اجلّ من ان يفعل اللّغو . ومن مبيته على فراش الرّسول (ص) وفداءه بنفسه ليلة المبيت ، و من استخلافه له بمكّة في اهله ، و في ردّ امانات النّاس ، ومن حمله الفواطم ومنهنّ فاطمة بنت رسول الله(ص) بعده الى المدينة ، ومن كونه بمنزله نفسه (ص) كما سبق في آية المباهلة ، ونقلنا هناك اتّفاق الخاصّة والعامّة على انّه لم يكن معه(ص) حين الخروج الى المباهلة احد من الصّحابة سوى الحسنين و فاطمة و عليّ (ع) و نقلنا هناك عن بعض مفسّريهم و رواتهم انّه قال : لم يكن معه غير هؤلاء ، وهو يدلّ على انّه لم يكن اعزّ عليه من هؤلاء ؛ والفضل ما شهدت به الاعداء . ومن كونه قتّال ابطال العرب لحماية الدّين و لطاعة سيّد المرسلين (ص) وكفى به فضلاً و شرفاً ، حيث بذل نفسه و اهلك انانيّته لامربّه واقدم على ما لم يقدم عليه أحد من اقرانه الّذين ارادوا بالدّين وبالبيعة مع سيّدالمرسلين(ص) ابقاء انانيّاتهم و جذب الخير لانفسهم ، و من قوله (ص) في حقّه(ع) : لاعطينّ الرّاية غداً رجلاً يحبّ الله و رسوله و يحبّه الله و رسوله ، و من قوله (ص) : انّي تارك فيكم الثّقلين كتاب الله و عترتي اهلبيتي و انّهما لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض ، ولم يدّع احد من مدّعي الخلافة كونه من اهلبيته ومن عترته ، ومن قوله(ص): انا مدينة العلم و عليٌّ بابها ، ومن كونه اعلم الصّحابة و أقضاهم و اشجعهم و اغزاهم ، ومن رجوع الخلفاء اليه في معضلاتهم وقولهم : قضيّة ولا باحسن لها ، صار مثلاً بينهم وقد تيمنّت بماذكرت وإلّا فمناقبه المشهورة المذكورة بين العامّة والخاصّة قد بلغت من الوضوح مبلغ الشّمس في رابعة النّهار غنيّة عن الوصف والاظهار، ومن الكثرة بحيث ملأت الخافقين لا يمكن احصاؤها مع انّ اعداءه كتموها حسداً وبغياً واحبّاؤه ضنّة وخوفاً: و قد اغنى ابن ابى الحديد الشّيعة عن ذكر مناقبه بما ذكر في شرحه لنهج البلاغة ، و ان كان مع اطرائه لم يبلغ قطرة من بحار مناقبه و قد ذكر صريحاً وتلويحاً مثالبهم في ضمن اوصافهم، وكان ابن ابى الحديد من مشايخهم وعلمائهم و ذكر في شرح نهج البلاغة ما مضمونه: انّ رجلاً من اهل البصرة كان يوم الغدير بمشهد عليّ (ع) وسمع من الرّفضة رفض الخلفاء وبعض الصّحابة وسبّهم ومثالبهم، فرجع الى البصرة ودخل على قاضيها وقال للقاضي رأيت العجب في مشهد عليّ قال : ما رأيت ؟ـ قال : رأيت الشّيعة يسبّون الخلفاء، قال القاضي : هذا ماعلّمهم صاحب القبر، قال : فما لنا نحبّه ونحبّهم ؟ ! فقام القاضي وخرج من الباب الّذى يلي داره وقال : لعن الله الفاعل ابن الفاعلة ان كان يعلم جواب هذى المسئلة ، فان كان عليٌّ باقرارهم علّم شيعته سبّ الخلفاء كان مبغضاً لهم فان كنت محبّاً له فاقتضاء محبّته ان تبغض الخلفاء و ان كنت محبّاً لهم فاقتضاء محبّتهم ان تبغض علياً فما لك تحبّه و تحبّهم ، فاخرج من عصبيّتك و انظر الى آثار كبار ملّتك وخذ من دنياك لآخرتك . وللتيمّن بقوله(ص) في خلافة خليفته (ع) نذكر شطراً من الخطب الّتي خطب بها في حجّة الوداع ، فنقول : نسب الى ابن عبّاس و الثّعلبيّ و غيرهما من العامّة انّهم قالوا : انّ الله امر نبيّه ان ينصب علياً علماً للنّاس و يخبرهم بولايته ، فتخوّف ان يقولوا حابى ابن عمّه و ان يشقّ ذلك على جماعة من اصحابه ، فنزلت هذه الآية فأخذ بيده يوم غدير خمّ وقال: من كنت مولاه فعليٌّ مولاه، وقرأ الآية ، ونسب الى الباقر(ع) انّه قال: قد حجّ رسول الله (ص) من المدينة و قد بلّغ جميع الشّرائع قومه غير الحجّ والولاية ، فأتاه جبرئيل فقال له يا محمّد

انّ الله عزّوجلّ يقرئك السّلام ويقول لك : انّي لم اقبض نبيّاً من انبيائي ولارسولاً من رسلي الّا بعد اكمال ديني وتأكيد حجّتي ، وقد بقي عليك من ذلك فريضتان ممّا يحتاج ان تبلّغهما قومك فريضة الحجّ وفريضة الولاية و الخلافة من بعدك ، فانّي لم اُخل ارضي من حجّتي ولن اخليها ابداً ، فانّ الله يأمرك ان تبلّغ قومك الحجّ ، تحجّ ويحجّ معك كلّ من استطاع اليه سبيلاً من اهل الحضر والاطراف والاعراب وتعلّمهم من حجّهم مثل ما علّمتهم من صلوتهم وزكوتهم وصيامهم ، وتوقّفهم من ذلك على مثال الّذي اوقفتهم عليه من جميع مابلّغتهم من الشّرائع ، فنادى منادي رسول الله (ص) في النّاس الا انّ رسول الله (ص) يريد الحجّ وان يعلّمكم من ذلك مثل الّذي علّمكم من شرائع دينكم ويوقفكم من ذلك على ما اوقفكم عليه من غيره ، فخرج رسول الله (ص) وخرج معه النّاس واصغوا اليه لينظروا ما يصنع فيصنعوا مثله ، فحجّ بهم و بلغ من حجّ مع رسول الله (ص) من اهل المدينة واهل الاطراف والاعراب سبعين الف انسان اويزيدون ، على نحو عدد اصحاب موسى (ع) سبعين الفاً الّذين اخذ عليهم بيعة هارون (ع) فنكثوا واتّبعوا العجل والسّامريّ ، وكذلك رسول الله (ص) اخذ البيعة لعليّ بن أبي طالب (ع) بالخلافة على عدد اصحاب موسى (ع) فنكثوا البيعة واتّبعوا العجل سنّة بسنّة ومثلاً بمثل ، واتّصلت التلبية ما بين مكّة و المدينة فلمّا وقف بالموقف اتاه جبرئيل عن الله تعالى فقال : يا محمّد ، انّ الله تعالى يقرئك السّلام ويقول لك : انّه قد دنا اجلك ومدّتك ، وانا مستقدمك على مالابدّ منه ولاعنه محيص فاعهد عهدك وقدّم وصيّتك واعمد الى ماعندك من العلم وميراث علوم الانبياء من قبلك ، والسّلاح والتّابوت وجميع ماعندك من آيات الانبياء ، فسلّمها الى وصيّك وخليفتك من بعدك حجّتي البالغة على خلقي عليّ بن أبي طالب ، فأقمه للنّاس علماً و جدّد عهده و ميثاقه و بيعته و ذكّرهم ما اخذت عليهم من بيعتي و ميثاقي الّذي و اثقتهم به وعهدي الّذي عهدت اليهم من ولاية وليّ ومولاهم ومولى كلّ مؤمن ومؤمنة عليّ بن أبي طالب . فانّي لم اقبض نبيّاً من الانبياء الّا من بعد اكمال ديني واتمام نعمتي بولاية اوليائي ومعاداة اعدائي ، وذلك كمال توحيدي وديني واتمام نعمتي على خلقي باتّباع وليّ وطاعته ، وذلك انّي لا أترك ارضي بغير قيّم ليكون حجّة لي على خلقي ، فاليوم اكملت لكم دينكم (الآية) بولاية وليّ ومولى كلّ مؤمن ومؤمنة عليّ عبدي ووصيّ نبيّي والخليفة من بعده وحجّتي البالغة على خلقي مقرون طاعته بطاعة محمّد نبيّي و مقرون طاعته مع طاعة محمّد بطاعتي ، من أطاعه فقد اطاعني ومن عصاه فقد عصاني ، جعلته علماً بيني وبين خلقي من عرفه كان مؤمناً ومن انكره كان كافراً ، ومن أشرك ببيعته كان مشركاً ، ومن لقيني بولايته دخل الجنّة ، ومن لقيني بعداوته دخل النّار ، فأقم يامحمّد عليّاً علماً وخذ عليهم البيعة وجدّد عليهم عهدي وميثاقي لهم الّذي واثقتهم عليه ، فانّي قابضك اليّ ومستقدمك عليّ . فخشي رسول الله (ص) قومه واهل النّفاق والشّقاق ان يتفرّقوا ويرجعوا جاهليّة لما عرف من عداوتهم ، ولما ينطوي عليه انفسهم لعليّ من البغضة ، وسأل جبرئيل ، ان يسأل ربّه العصمة من النّاس وانتظر ان يأتيه (ص) جبرئيل بالعصمة من النّاس من الله جلّ اسمه فأخّر ذلك الى ان بلغ مسجد الخيف ، فأتاه جبرئيل في مسجد الخيف فأمره ان يعهد عهده ويقيم عليّاً (ع) للنّاس ولم يأته بالعصمة من الله جلّ جلاله الّذي اراد ، حتّى اتى كراع الغميم بين مكّة والمدينة فأتاه جبرئيل وأمره بالّذي اتاه من قبل ولم يأته بالعصمة ، فقال (ص) : ياجبرئيل انّي اخشى قومي ان يكذّبوني ولا يقبلوا قولي في عليّ ، فرحل فلمّا بلغ غدير خمّ قبل الجحفة بثلاثة اميال اتاه جبرئيل على خمس ساعات مضت من النّهار بالزّجر والانتهار والعصمة من النّاس ، يا محمّد ، انّ الله تعالى يقرئك السّلام و يقول لك : يا أيّها الرّسول

بلّغ ما انزل اليك من ربّك فى عليّ و ان لم تفعل فما بلّغت رسالته والله يعصمك من النّاس، وكان اوائلهم قربت من الجحفة فأمره بان يردّ من تقدّم منهم و يحبس من تأخّر عنهم فى ذلك المكان ليقيم عليّاً للنّاس ويبلّغهم ما انزل الله تعالى فى عليّ وأخبره بانّ الله عزّوجلّ قد عصمه من النّاس ، فأمر رسول الله عند ماجاءته العصمة منادياً ينادى فى النّاس بالصّلوة جامعة ، ويردّ من تقدّم منهم ويحبس من تأخّر فتنحّى عن يمين الطّريق الى جنب مسجد الغدير امره بذلك جبرئيل عن الله عزّ و جلّ ، و فى الموضع سلمان فأمر رسول الله (ص) ان يقمّ ماتحتهنّ وينصبُ له احجار كهيئة المنبر ليشرف على النّاس، فتراجع النّاس واحتبس اواخرهم فى ذلك المكان لايزالون فقام رسولُ الله (ص) فوق تلك الاحجار، ثمّ حمدالله تعالى و أثنى عليه بما أثنى (الى ان قال) واومن به وبملائكته وكتبه ورسله ، اسمع أمره وأطيع وابادر الى كلّ مايرضاه و استسلم لقضائه رغبةً فى طاعته وخوفاً من عقوبته، اقرّ له على نفسى بالعبوديّة واشهد له بالرّبوبيّة وأودّى ماأوحى اليّ حذراً من ان لاافعل فتحلّ بى منه قارعة لا يدفعها عنّى احدٌ وان عظمت حيلته ، لاآله الّا هو لانّه قد أعلمنى انّى ان لم ابلّغ ما أنزل اليّ فما بلّغت رسالته ، فقد ضمن لى تبارك وتعالى العصمة وهوالله الكافى الكريم، فأوحى اليّ بسم الله الرّحمن الرّحيم يا ايّها الرّسول بلّغ ما انزل اليك من ربّك فى عليّ وان لم تفعل فما بلّغت رسالته والله يعصمك من النّاس ؛ معاشر النّاس ، ماقصّرت فى تبليغ ما انزله وانا مبيّن لكم سبب هذه الآية انّ جبرئيل هبط اليّ مراراً ثلاثاً يأمرنى عن السّلام ربّى و هو السّلام ان اقوم فى هذا المشهد ، فأعلم كلّ أبيض وأسود انّ عليّ بن أبى طالب أخى ووصيّ و خليفتى والامام من بعدى الّذى محلّه منّى محلّ هارون من موسى الّا انّه لا نبيّ بعدى وهوولىّكم بعدالله و رسوله و قد أنزل الله تعالى علىّ بذلك آيةً من كتابه انّما وليّكم الله و رسوله و الّذين آمنوا الّذين يقيمون الصّلوة و يؤتون الزّكوة وهم راكعون ، و علىّ بن أبى طالب أقام الصّلوة و آتى الزّكوة و هو راكع يريدالله عزّوجلّ فى كلّ حال وسألت جبرئيل ان يستعفينى عن تبليغ ذلك اليكم ايّها النّاس، لعلمى بقلّة المتّقين وكثرة المنافقين وادغال الآثمين وحيل المستهزئين بالاسلام ، الّذين وصفهم الله فى كتابه ، بأنّهم يقولون بألسنتهم ماليس فى قلوبهم ويحسبونه هيّناً هو عندالله عظيم ، وكثرة اذاهم لى غير مرّة حتّى سمّونى اذناً وزعموا انّى كذلك لكثرة ملازمته ايّاى واقبالى عليه ، حتّى انزل الله عزّ و جلّ فى ذلك : و منهم الّذين يؤذون النّبىّ ويقولون هواذن قل اذن على الّذين يزعمون انّه اذن خير لكم (الآية) ولوشئت ان اسمّى بأسمائهم لسمّيت و ان اومى اليهم بأعيانهم لاومأت و ان ادلّ عليهم لدللت ، و لكنّى والله فى امورهم قد تكرّمت وكلّ ذلك لايرضى الله منّى الّا ان ابلّغ ما انزل اليّ ثمّ تلا : يا ايّها الرّسول بلّغ ما انزل اليك من ربّك فى عليّ و ان لم تفعل فما بلّغت رسالته و الله يعصمك من النّاس ، فاعلموا ، معاشر النّاس ، انّ الله قد نصبه لكم وليّاً واماماً مفترضاً طاعته على المهاجرين و الانصار و على التّابعين لهم باحسان و على البادى و الحاضر و على الاعجمىّ و العربىّ والحرّ والمملوك و الصّغير و الكبير وعلى الابيض والاسود وعلى كلّ موجودٍ ماض حكمه جائز قوله نافذ امره ، ملعونٌ من خالفه مرحومٌ من تبعه ، ومن صدّقه فقدغفرالله له ولمن سمع منه واطاع له ، معاشر النّاس انّه آخر مقام اقومه فى هذا المشهد، فاسمعوا واطيعوا وانقادوا لامرربّكم، فانّ الله عزّوجلّ هوربّكم ووليّكم و آلهكم ، ثمّ من دونه رسوله محمّد وليّكم القائم المخاطب لكم ، ثمّ من بعدى علىٌّ وليّكم و امامكم بأمرالله ربّكم ، ثمّ الامامة فى ذرّيّتى من ولده الى يوم القيامة يوم يلقون الله ورسوله ، لاحلال الّا ما أحلّه الله ولاحرام الّا ما حرّمه الله ، عرّفنى الحلال والحرام وانا افضيت بماعلّمنى ربّى من كتابه وحلاله وحرامه اليه .

معاشر النّاس ، ما من علم الّا وقد أحصاه الله فيّ وكلّ علم علّمته فقد أحصيته في عليّ امام المتّقين ما من علم الّا و قد علّمته عليّاً و هو الامام المبين ، معاشر النّاس ، لا تضلّوا عنه ولا تنفروا منه ولا تستنكفوا من ولايته فهو الّذي يهدي الى الحقّ و يعمل به و يزهق الباطل و ينهى عنه ولا تأخذه في الله لومة لائم ، انّه اوّل من آمن بالله ورسوله ، والّذي فدى رسول الله بنفسه ، والّذي كان مع رسول الله ولا احد يعبدالله مع رسوله من الرّجال غيره ، معاشر النّاس ، فضّلوه فقد فضّله الله و اقبلوه فقد نصبه الله ، معاشر النّاس ، انّه امام من الله ولن يتوب الله على احد انكر ولايته ولن يغفر الله له حتماً على الله ان يفعل ذلك بمن خالف أمره فيه وان يعذّبه عذاباً نكراً ابد الاباد ودهر الدّهور ، فاحذروا ان تخالفوه فتصلوا ناراً وقودها النّاس والحجارة أعدّت للكافرين، ايّها النّاس ، بي والله بشّر الاوّلون من النّبيّين والمرسلين وانا خاتم الانبياء والمرسلين والحجّة على جميع المخلوقين من اهل السّماوات والارضين، فمن شكّ في ذلك فهو كافر كفر الجاهليّة الاولى ومن شكّ في شيء من قولي هذا فقد شكّ في الكلّ منه والشّاكّ في الكلّ فله النّار ، معاشر النّاس ، حباني الله بهذه الفضيلة منّاً منه عليّ واحساناً منه اليّ ، ولا اله الّا هو له الحمد منّي ابد الآبدين ودهر الدّاهرين على كلّ حال ، معاشر النّاس، فضّلوا عليّاً فانّه افضل النّاس بعدي من ذكر و أنثى ، بنا انزل الله الرّزق وبقي الخلق ، ملعونٌ ملعونٌ مغضوبٌ مغضوبٌ من ردّ قولي هذا وان لم يوافقه ، الا انّ جبرئيل خبّرني عن الله تعالى بذلك و يقول : من عادى عليّاً ولم يتولّه فعليه لعنتي وغضبي ، فلتنظر نفسٌ ما قدّمت لغد واتّقوا الله ان تخالفوه فتزلّ قدم بعد ثبوتها انّ الله خبير بما تعملون ، معاشر النّاس، انّه جنب الله نزل في كتابه : ياحسرتى على مافرّطت الله في جنب الله ، معاشر النّاس، تدبّروا القرآن وافهموا آياته وانظروا الى محكماته ولاتتّبعوا متشابهه فوالله لن يبيّن لكم زواجره ولا يوضح لكم تفسيره الّا الّذي انا آخذٌ بيده و مصعده اليّ و شائل بعضده ، و معلّمكم انّ من كنت مولاه فهذا عليٌّ مولاه وهو عليّ بن أبي طالب ، اخي ووصيّي ، وموالاته من الله عزّوجلّ انزلها عليّ ، معاشر الناس ، انّ عليّاً والطّيّبين من ولدي هم الثّقل الاصغر والقرآن هو الثّقل الاكبر فكلّ واحد منبيء عن صاحبه وموافق له لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض ، امناء الله في خلقه و حكّامه في ارضه الا و قد اديت ، الا و قد بلّغت ، الا وقد أسمعت ، الا وقد أوضحت ، الا وانّ الله عزّوجلّ قال وانا قلته عن الله عزّوجلّ ، الا انّه ليس امير المؤمنين غير اخي هذا ولا تحلّ امرة المؤمنين بعدي لأحد غيره . ثمّ ضرب بيده الى عضده فرفعه و كان منذ اوّل ما صعد رسول الله شال عليّاً حتّى صار رجله مع ركبة رسول الله ثمّ قال : معاشر النّاس ، هذا عليٌّ اخي ووصيّي وواعي علمي وخليفتي على امّتي وعليّ تفسير كتاب الله والدّاعي اليه ، والعامل بما يرضيه ، والمحارب لاعدائه ، و الموالي على طاعته و النّاهي عن معصيته خليفة رسول الله و امير المؤمنين و الامام الهادي و قاتل النّاكثين و القاسطين و المارقين ، بأمر الله اقول ما يبدّل القول لديّ ، بأمر الله ربّي اقول : اللّهمّ وال من والاه وعاد من عاداه ، والعن من أنكره واغضب على من جحد حقّه، اللّهمّ انّك انزلت عليّ انّ الامامة لعليّ وليّك عند تبياني ذلك ونصبي اياه ، بما اكملت لعبادك من دينهم واتممت عليهم نعمتك ورضيت لهم الاسلام ديناً. فقلت : ومن يبتغ غير الاسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الاخرة من الخاسرين اللّهمّ انّي اشهدك انّي قد بلّغت، معاشر النّاس ، انّما الله عزّوجلّ أكمل دينكم بامامته فمن لم يأتمّ به و بمن يقوم مقامه من ولدي من صلبه الى يوم القيامة ، والعرض على الله عزّوجلّ فاولئك الّذين حبطت اعمالهم وفي النّار هم خالدون لا يخفّف الله عنهم العذاب ولا هم ينظرون ، معاشر النّاس ، هذا عليٌّ انصركم لي ، و احقّكم بي ، و أقربكم اليّ وأعزّكم عليّ

والله عزّ و جلّ و انا عنه راضيان و ما نزلت آية رضى الّا فيه ، و ما خاطب الله الّذين آمنوا الّا بدء به ، ولا نزلت آية مدحٍ في القرآن الّا فيه ، ولا شهدالله بالجنّة في هل اتى على الانسان الّا وله ولا انزلها في سواه ولا مدح بها غيره ، معاشر النّاس ، هو ناصر دين الله ، والمجادل عن رسول الله ، و التّقيّ النّقيّ الهادى المهديّ نبيّكم خير نبيّ ووصيّكم خير وصيّ ، و بنوه خير الاوصياء ، معاشرالنّاس : ذرّيّة كلّ نبيّ من صلبه وذرّيّتي من صلب عليّ ، معاشرالنّاس ، انّ ابليس أخرج آدم من الجنّة بالحسد فلا تحسدوه فتحبط اعمالكم و تزلّ اقدامكم ؛ فانّ آدم اهبط الى الارض بخطيئة واحدة و هو صفوة الله عزّ و جلّ فكيف بكم و أنتم أنتم و منكم أعداء الله ، الا انّه لا يبغض عليّاً الّا شقيّ ولا يتولّى عليّاً الّا تقيّ ولا يؤمن به الّا مؤمن مخلص ، وفي عليّ والله انزل سورة العصر بسم الله الرحمن الرّحيم والعصر الى آخره ، معاشر النّاس قد استشهدت الله و بلّغتكم رسالتي و ما على الرّسول الّا البلاغ المبين ، معاشرالنّاس، اتّقوا الله حقّ تقاته فلا تموتنّ الّا و انتم مسلمون ، معاشرالنّاس ، آمنوا بالله و رسوله والنّور الّذى انزل معه من قبل ان نطمس وجوهاً فنردّها على ادبارها ، معاشرالنّاس، النّور من الله عزّوجلّ فيّ ، ثمّ مسلوك فيعليّ، ثمّ فيالنّسل منه الى القائم المهديّ الّذى يأخذ بحقّ الله و بكلّ حقّ ، هو لنا لانّ الله عزّوجلّ قد جعلنا حجّة علىالمقصّرين و المعاندين و المخالفين و الخائبين و الآثمين والظّالمين من جميع العالمين . معاشرالنّاس ، انّي انذركم انّي رسول الله اليكم قد خلت من قبلي الرّسل افان متّ او قتلت انقلبتم على أعقابكم و من ينقلب على عقبيه فلن يضرالله شيئاً و سيجزى الله الشّاكرين ، الا و انّ عليّاً الموصوف بالصّبر و الشّكر ثمّ من بعده ولدى من صلبه ، معاشرالنّاس ، لاتمنّوا على الله اسلامكم فيسخط عليكم ويصيبكم بعذابٍ من عنده انّه لبالمرصاد، معاشر النّاس ، سيكون من بعدى ائمّة يدعون الى النّار ويوم القيامة لاينصرون، معاشرالنّاس، انّ الله وانا بريئان منهم، معاشرالنّاس، انّهم واشياعهم واتباعهم وانصارهم في الدّرك الاسفل من النّار ولبئس مثوى المتكبّرين ، الاانّهم اصحاب الصّحيفة فلينظر أحدكم في صحيفته (قال : فذهب على النّاس الّا شرذمة امر الصّحيفة) معاشرالنّاس ، انّي ادعها امامة ووراثة فيعقبي الى يوم القيامة ، وقد بلّغت ما أمرت بتبليغه حجّة على كلّ حاضر وغائب وعلى كلّ احد ممّن شهد اولم يشهد ولد اولم يولد ، فليبلغ الحاضر الغائب والوالد الولد الى يوم القيامة وسيجعلونها ملكاً اغتصاباً ، الا لعن الله الغاصبين و المغتصبين و عندها سنفرغ لكم ايّها الثّقلان فيرسل عليكما شواظ من نارٍ و نحاس فلا تنتصران ، معاشرالنّاس، انّ الله عزّوجلّ لم يكن يذركم على ماانتم عليه حتّى يميز الخبيث من الطّيّب وماكان الله ليطلعكم على الغيب ، معاشرالنّاس ، انّه ما من قريةٍ الّا والله مهلكها بتكذيبها وكذلك يهلك القرى وهي ظالمة كما ذكرالله تعالى، وهذا امامكم ووليّكم وهو مواعيدالله والله يصدق ما وعده ، معاشر النّاس، قد ضلّ قبلكم اكثرالاوّلين والله لقد اهلك الاوّلين وهو مهلك الآخرين، معاشرالنّاس، انّ الله قدأمرني و نهاني وقد أمرت عليّاً و نهيته فعلم الامر والنّهي من ربّه عزّوجلّ فاسمعوا لأمره تسلموا ، وأطيعوه تهتدوا ، وانتهوا لنهيه ترشدوا ، وصيروا الى مراده ولايتفرّق بكم السّبل عن سبيله ، انا صراط الله المستقيم الّذى امركم باتّباعه ثمّ عليٌّ من بعدى ثمّ ولدى من صلبه ائمّة يهدون بالحقّ وبه يعدلون. ثمّ قرأ (ص) الحمدلله ربّ العالمين (الى آخرها) وقال ، فيّ نزلت وفيهم نزلت ولهم عمّت وايّاهم خصّت، اولئك اولياء الله لاخوف عليهم ولاهم يحزنون الا انّ حزب الله هم الغالبون ، الا انّ اعداء عليّ هم اهل الشّقاق العادون ، و اخوان الشّياطين

الّذين يوحى بعضهم الى بعض زخرف القول غروراً ، الا انّ اولياء الله هم المؤمنون الّذين ذكرهم الله فى كتابه فقال عزّوجلّ : لاتجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادّون من حادّ الله ورسوله، (الى آخر الآية) الا انّ اولياء الله هم الّذين وصفهم الله عزّوجلّ فقال : الّذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم اولئك لهم الا من وهم مهتدون ، الا انّ اولياء الله هم الّذين يدخلون الجنّة آمنين وتتلقّاهم الملائكة بالتّسليم ان طبتم فادخلوها خالدين، الا انّ اولياء الله هم الّذين قال الله عزّوجلّ : يدخلون الجنّة بغير حساب ، الا انّ اعداءهم الّذين يصلون سعيراً، الا انّ اعداءهم الّذين يسمعون لجهنّم شهيقاً وهى تفور ولها زفير كلّما دخلت امّة لعنت اختها (الآية) ، الا انّ اعداءهم الّذين قال الله عزّوجلّ كلّما القى فيها فوج سألهم خزنتها الم يأتكم (الآية) ، الا انّ اولياء الله هم الّذين يخشون ربّهم بالغيب لهم مغفرة وأجر كبير ، معاشر النّاس، شتّان ما بين السّعير والجنّة ، عدوّنا من ذمّه الله و لعنه و وليّنا من أحبّه الله و مدحه ، الا وانّى منذر و علىٌّ هاد ، معاشر النّاس ، انّى نبىّ وعلىٌّ وصىّ الا و انّ خاتم الائمّة منّا القائم المهدىّ ، الا انّه الظّاهر على الدّين ، الا انّه المنتقم من الظّالمين ، الا انّه فاتح الحصون و هادمها ، الا انّه قاتل كلّ قبيلة من اهل الشّرك ، الا انّه مدرك كلّ ثأر لاولياء الله عزّ و جلّ ، الا انّه ناصر دين الله عزّوجلّ ، الا انّه الغرّاف من بحر عميق ، الا انّه يسم كلّ ذى فضل بفضله وكلّ ذى جهل بجهله ، الا انّه خيرة الله ومختاره ، الا انّه وارث كلّ علم والمحيط به ، الا انّه المخبر عن ربّه عزّوجلّ المنبّه بأمر ايمانه ، الا انّه الرّشيد السّديد ، الا انّه المفوّض اليه ، الا انّه قد بشّر به من سلف بين يديه ، الا انّه الباقى حجّة ولا حجّة بعده ولا حقّ الّا معه ولانور الّا عنده ، الا انّه لاغالب له ولامنصور عليه ، الا انّه وليّ الله فى ارضه ، وحكمه فى خلقه ، و امينه فى سرّه وعلانيته . معاشر النّاس، قد بيّنت لكم وأفهمتكم وهذا علىٌّ يفهمكم بعدى ، الا وانّ عند انقضاء خطبتى ادعوكم الى مصافقتى على بيعته والاقرار به ثمّ مصافقته من بعدى، الا وانّى قد بايعت الله وعلىٌّ قد بايعنى وانا آخذكم بالبيعة له عن الله عزّوجلّ ، و من نكث فانّما ينكث على نفسه (الآية). معاشر النّاس، انّ الحجّ والصّفا والمروة والعمرة من شعائر الله فمن حجّ البيت او اعتمر (الآية) ، معاشر النّاس، حجّوا البيت فما ورده اهل بيت الّا استغنوا ولاتخلّفوا عنه الّا افتقروا ، معاشر النّاس، ماوقف بالموقف مؤمن الّا غفر الله له ماسلف من ذنبه الى وقته ذلك، فاذا انقضت حجّته استأنف عمله ، معاشر النّاس، الحجّاج معانون ونفقاتهم مخلفة والله لايضيع اجر المحسنين ، معاشر النّاس ، حجّوا البيت بكمال الدّين والتّفقه ولاتنصرفوا عن المشاهد الّا بتوبة واقلاع ، معاشر النّاس ، اقيموا الصّلوة و آتوا الزّكوة كما أمركم الله عزّوجلّ لئن طال عليكم الامد فقصّرتم او نسيتم فعلىٌّ وليّكم و مبيّن لكم، الّذى نصبه الله عزّوجلّ بعدى ومن خلّفه الله منّى ومنه يخبركم بما تسألون منه و يبيّن لكم ما لا تعلمون ، الا انّ الحلال والحرام اكثر من أحصيهما واعرّفهما ، فآمر بالحلال وأنهى عن الحرام فى مقام واحد فأمرت ان آخذ البيعة عليكم والصّفقة لكم بقبول ما جئت به عن الله عزّوجلّ فى علىّ امير المؤمنين ، والائمّة من بعده الّذين هم منّى ومنه امّة قائمة و منهم المهدىّ الى يوم القيامة الّذى يقضى بالحقّ ، معاشر النّاس، وكلّ حلال دللتكم عليه وكلّ حرام نهيتكم عنه فانّى لم ارجع عن ذلك ولم ابدّل ، الا فاذكروا ذلك و احفظوه و تواصوا به ولا تبدّلوه ولا تغيّروه ، الا و انّى اجدّد القول ، الا فأقيموا الصّلوة وآتوا الزّكوة وامروا بالمعروف وانهوا عن المنكر ، الا وانّ رأس الامر بالمعروف ان تنتهوا الى قولى و تبلّغوه من لم يحضره وتأمروه بقبوله و تنهوه عن مخالفته فانّه امر من الله عزّوجلّ و منّى ، ولا امر بمعروف ولانهى عن منكر الّا مع امام ، معاشر النّاس ، القرآن يعرّفكم انّ الائمّة من بعده ولده وعرّفتكم انّهم منّى ومنه

حيث يقول الله و جعلها كلمة باقية في عقبه وقلت: لن تضلّوا ما ان تمسّكتم بهما، معاشر النّاس، التّقوى التّقوى احذروا السّاعة كما قال الله تعالى، انّ زلزلة السّاعة شيءٌ عظيم، اذكروا الممات والحساب والموازين والمحاسبة بين يدى ربّ العالمين، والثّواب والعقاب فمن جاء بالحسنة اثيبُ، ومن جاء بالسيّئة فليس له في الجنان نصيب، معاشر النّاس، انّكم اكثر من ان تصافقوني بكفّ واحدةٍ و امرني الله عزّوجلّ ان اخذ من الستتكم الاقرار بما عقدت لعليّ من امرة المؤمنين و من جاء بعده من الائمّة منّي ومنه على ما أعلمتكم انّ ذرّيّتي من صلبه فقولوا بأجمعكم انّا سامعون مطيعون راضون منقادون لما بلّغت عن ربّنا و ربّك في امر عليّ و امر ولده من صلبه من الائمّة نبايعك على ذلك بقلوبنا و أنفسنا و ألسنتنا و أيدينا، على ذلك نحيى و نموت و نبعث ولا نغيّر ولا نبدّل ولا نشكّ ولا نرتاب ولا نرجع عن عهدٍ ولا ننقض الميثاق ونطيع الله ونطيعك وعليّاً امير المؤمنين وولده الائمّة الّذين ذكرتهم من ذرّيّتك من صلبه بعد الحسن والحسين، الّذين قد عرّفتكم مكانهما منّي ومحلّهما عندى و منزلتهما من ربّي عزّوجلّ، فقد ادّيت ذلك اليكم وانّهما سيّدا شباب اهل الجنّة و انّهما الامامان بعد ابيهما عليٌّ و انا ابوهما قبله و قولوا اطعنا الله بذلك و اياك و عليّاً و الحسن و الحسين و الائمّة الّذين ذكرت عهداً و ميثاقاً مأخوذاً لامير المؤمنين من قلوبنا و انفسنا و السنتنا و مصافقة أيدينا من ادركهما و اقرّ بهما بلسانه لانبتغي بذلك بدلاً ولانرى من انفسنا عنه حولاً ابداً، أشهدنا الله وكفى به شهيداً وانت علينا به شهيد، وكلّ من اطاع ممّن ظهر واستتر وملائكة الله وجنوده وعبيده والله اكبر من كلّ شهيدٍ. معاشر النّاس، ماتقولون فانّ الله يعلم كلّ صوت وخافية كلّ نفس فمن اهتدى فلنفسه ومن ضلّ فانّما يضلّ عليها ومن بايع فانّما يبايع الله عزّوجلّ، يدالله فوق ايديهم، معاشر النّاس، فاتّقوا الله و بايعوا عليّاً امير المؤمنين والحسن والحسين والائمّة كلمة باقية يهلك الله من غدر و يرحم الله من وفى، ومن نكث فانّما ينكث على نفسه، الآية، معاشر النّاس، قولوا الّذى قلت لكم و سلّموا على عليّ بامرة المؤمنين و قولوا سمعنا واطعنا غفرانك ربّنا واليك المصير. و قولوا: الحمدلله الّذى هدانا لهذا و ماكنّا لنهتدى لولا ان هدانا الله، معاشر النّاس، انّ فضائل عليّ بن ابى طالبٍ عندالله عزّ و جلّ و قد انزلها عليٌّ في القرآن اكثر من ان احصيها في مكانٍ واحدٍ فمن أنبأكم بها وعرّفها فصدّقوه، معاشر النّاس، من يطع الله ورسوله وعليّاً والائمّة الّذين ذكرتهم فقد فاز فوزاً مبيناً، معاشر النّاس، السّابقون الى مبايعته و موالاته والتّسليم عليه بامرة المؤمنين اولئك هم الفائزون في جنّات النّعيم، معاشر النّاس، قولوا ما يرضى الله به عنكم من القول فان تكفروا انتم ومن في الارض جميعاً فلن يضرّ الله شيئاً، اللّهمّ اغفر للمؤمنين والمؤمنات واغضب على الكافرين والكافرات والحمدلله ربّ العالمين. فناداه القوم، نعم سمعنا وأطعنا على أمر الله وأمر رسوله بقلوبنا والسنتنا وأيدينا وتداكّوا على رسول الله (ص) وعلى عليّ (ع) وصافقوا بأيديهم فكان اوّل من صافق رسول الله (ص) الاوّل والثّاني والثّالث والرّابع والخامس وباقي المهاجرين والانصار وباقي النّاس على طبقاتهم وقدر منازلهم الى ان صلّيت العشاء والعتمة في وقتٍ واحدٍ، وواصلوا البيعة والمصافقة ثلاثاً ورسول الله يقول كلّما بايع قوم: الحمدلله الّذى فضّلنا على جميع العالمين وصارت المصافقة سنّة ورسماً يستعملها من ليس له حقّ فيها [قُلْ يٰا أَهْلَ الْكِتٰابِ لَسْتُمْ عَلىٰ شَيْءٍ] من الدّين يعتنى به ويسمّى شيئاً امّا تعريض بالامّة اوخطاب على سبيل العموم لهم ولاهل الكتاب والمقصود خطاب الامّة باقامتهم ماانزل اليهم في الولاية [حَتّىٰ تُقِيمُوا التَّوْرٰيةَ وَالْإِنْجِيلَ] باقامة اوامرهما و نواهيهما [وَمٰا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ] من القرآن

باقامة حدوده ومن جملة حدوده الامر بالولاية وهي العمدة، اوما انزل اليكم من ربّكم في الولاية كما في أخبارنا على وجه التّعريض ، ويمكن ان يقال : وما أنزل اليكم من ربّكم على السنة انبيائكم واوصيائهم من اخذ الميثاق وانتظار الفرج بمحمّد(ص) [وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيراً مِنْهُمْ مٰا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ] في عليّ او مطلقا لكن يكون المقصود ما انزل في الولاية بنحو التّعريض [طُغْيٰاناً وَكُفْراً فَلا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكٰافِرِينَ] فانّهم لانحرافهم عن باب الولاية لم يبق فيهم ما يتأسّف به عليهم ولا يضرّونك ولا عليّاً (ع) ايضاً بانحرافهم حتّى تتأسّف على ذلك [إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا] بمحمّد(ص) بقبول الدّعوة الظّاهرة وبالبيعة العامّة النّبويّة [وَالَّذِينَ هٰادُوا وَالصّٰابِؤُنَ] عطف على محلّ اسم انّ على ضعف اوعلى محلّ ان واسمها [وَالنَّصٰارىٰ مَنْ آمَنَ] بقبول الدّعوة الباطنة والبيعة مع عليّ (ع) بالبيعة الخاصّة الولويّة ودخول الايمان في قلوبهم ، فانّ به فتح باب القلب ، و بفتحه رفع الخوف و الحزن و الايقان باليوم الآخر ، و به يعمل العمل الصّالح [بِاللّٰهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صٰالِحاً] الاعمال المرتبطة بالايمان الدّاخل في القلب الّذي هو اصل كلّ صالح ، وغيره بتوسّطه يصير صالحاً [فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ] لانّ الخوف والحزن من صفات النّفس وهؤلاء قد خرجوا من دار النّفس ودخلوا في حدود دار القلب فتبدّل خوفهم خشيةً وحزنهم قبضاً ، ولاينا في هذا ماورد كثيراً من نسبة الخوف والحزن الى المؤمن الخاصّ في الآيات والاخبار ، لانّ اطلاق الخوف والحزن على ماللمؤمن الخاصّ انّما هو باعتبار معناهما العامّ وقد عدّ الفرح من جنود العقل والحزن من جنود الجهل ، وماورد من انّ المؤمن خوفه ورجاءه متساويان ككفّتي الميزان فانّما يراد بالخوف معناه الاعمّ ، وورد انّ المراد نفي الخوف والحزن في الآخرة [لَقَدْ أَخَذْنٰا مِيثٰاقَ بَنِي إِسْرٰائِيلَ] يعني كما أخذنا ميثاقكم بولاية عليّ (ع) فاحذروا ان تكونوا مثلهم فتكذّبوا فريقاً وتقتلوا فريقاً كما فعلوا بعليّ (ع) والحسن (ع) و الحسين (ع) [وَأَرْسَلْنٰا إِلَيْهِمْ رُسُلاً كُلَّمٰا جٰاءَهُمْ رَسُولٌ بِمٰا لا تَهْوىٰ أَنْفُسُهُمْ فَرِيقاً كَذَّبُوا وَفَرِيقاً يَقْتُلُونَ] الاتيان بالاستقبال لاستحضار الحال الماضية تفضيحاً لهم باحضار اشنع أحوالهم وللمحافظة على رؤس الآى [وَحَسِبُوا] من تماديهم في الغفلة والاعراض [أَنْ لا تَكُونَ فِتْنَةٌ] عذاب و ابتلاء من الله بسبب هذا التّكذيب و القتل استصغاراً للذّنب العظيم [فَعَمُوا] عن الاعتبار بمن مضى [وَصَمُّوا] عن استماع حكاياتهم وعن استماع الحقّ [ثُمَّ تٰابَ اللّٰهُ عَلَيْهِمْ] بتوبتهم وقبول نصح الانبياء و اوصيائهم [ثُمَّ عَمُوا وَصَمُّوا] كرّة اخرى [كَثِيرٌ مِنْهُمْ] بدل بعض من الكلّ [وَاللّٰهُ بَصِيرٌ بِمٰا يَعْمَلُونَ] وقد وقع هذا في امّة محمّد(ص) والمقصود بالآية التّعريض بهم، **في الكافي عن الصّادق(ع)** في بيان وجه التّعريض وحسبوا ان لاتكون فتنة قال حيث كان النّبيّ(ص) بين اظهرهم فعموا وصمّوا حيث قبض رسول الله(ص) ثمّ تاب الله عليهم حيث قام امير المؤمنين(ع) ثمّ عموا وصمّوا الى السّاعة، ويمكن بيان التّعريض بوجه آخر وهو ان يقال : حسبوا ان لاتكون فتنة حيث تعاهدوا في مكّة فعموا و صمّوا عن دلائل صدق محمّد(ص) ثمّ تاب الله عليهم حيث بايعوا عليّاً(ع) بالخلافة ثمّ عموا وصمّوا حيث نقضوا بيعته [لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قٰالُوا إِنَّ اللّٰهَ هُوَ الْمَسِيحُ بْنُ مَرْيَمَ] حيث قالوا بآلهة عيسى (ع) وحصروها فيه امّا بالاتّحاد كما هو زعم بعض او بالحلول كما هو زعم بعض ، اوبالفناء من نفسه والبقاء بالله وظهور الله فيه كما هو

زعم آخرين، وبطلان الاتّحاد والحلول لمن ذاق من رحيق التّوحيد لايحتاج الى مؤنة فانّهما مستلزمان للاثنينيّة والثّانى للحقّ تعالى وهو محال وقد قيل :

حلول و اتّحاد اينجا محال است كه دروحدت دوئى عين ضلال است

و بطلان الثّالث ايضاً لا يحتاج الى مؤنة باعتبار الحصر و لمّا كان أتباع ملّة النّصارى تفوّهوا بهذا القول من غير تحقيق وتعمّق وذهبوا الى التّجسّم المتوهّم من ظاهره ، حكم تعالى عليهم بالكفر وهذا كما مضى مذهب طائفة منهم تسمّى باليعقوبيّة ، ومضى انّ محقّقيهم قالوا بانّ فيه جوهراً آلهيّاً وجوهراً آدميّاً و ليس ههنا مقام تفصيل هذا المطلب وتحقيقه [وَقَالَ الْمَسِيحُ] الانسب ان يكون الجملة حالاً بتقدير قد ليكون ابلغ فى تفضيحهم وليكون احتجاجاً عليهم بقوله تعالى [يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ] يعنى انّى مربوب مثلكم فاعبدوا من هو ربّى كما انّه ربّكم [إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ] شيئاً كائناً ماكان وهو مقول قول عيسى (ع) اوابتداء كلام من الله [فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ] لانّه أخطأ طريقها وهو التّوحيد [وَمَأْوَاهُ النَّارُ] لانّ من أخطأ طريق الجنّة سلك طريق النّار لامحالة لعدم الواسطة ولكونه متحرّكاً الى جهة من الجهات وخارجاً من القوى الى الفعليّات [وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ] وضع المظهر موضع المضمر اشعاراً بظلمه و بعلّة الحكم فانّ الظّالم كما لايتصوّر له وليّ يتولّى اموره ويربّيه كذلك لايتصوّر له ناصر ينصره من عذاب الله فانّ النّصير والوليّ هما النّبيّ (ص) والوليّ (ع) وخلفاؤهما، والظّلم عبارة عن الانصراف والاعراض عنهما وعن التّوحيد، والمعرض لايستحقّ القبول لانّه لااكراه فى الدّين ومن لم يكن مقبولاً لم يكن له نصرة ولاولاية، واكتفى بذكر الانصار لانّه اذا لم يكن له ناصر لم يكن له وليّ بطريق اولى ، اولانّه يستعمل كلّ من النّصير والوليّ فى الاعمّ منهما اذا انفرد، اوهذا كان تعريضاً بمن قال بعد ذلك فى الائمّة (ع) مثل ماقالوه فى المسيح (ع) [لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ] اعلم، انّ للنّصارى كاليهود وكالمسلمين مذاهب مختلفة فى فروعهم واصولهم ، فمنهم من قال بالاقانيم الثّلاثة ، الاب والابن و روح القدس ، والاقنوم بمعنى الاصل وهؤلاء معظم النّصارى يقولون : انّ الاله ذات واحدة لاكثرة فيه وانّه تشأّن بشؤن ثلاثة بشأنى الابوّة والبنوّة و بشأن روح القدس ، ولاينفصم وحدته بتشأّنه ويمنعون من القول بانّ الالهة ثلاثة وبانّ الله ثالث ثلاثة وقيل بالفارسيّة .

در سه آئينه شاهد ازلى پرتو از روى تابناك افكند
سه نگردد بريشم او را پرنيان خوانى و حرير وپرند

لكنّ الاتباع لعدم تجاوزهم عن المحسوسات والكثرات اذا تفوّهوا بمثل هذه المقالة لايدركون منها غير الالهة الثّلاثة ، وانّ الله الّذى هو ابٌ باعتقادهم واحد من الثّلاثة ولايدركون منها مايريد منها محقّقوهم من انّه تعالى حقيقة واحدة مقوّمة لكلّ ممكن متجلّية فى كلّ مظهر، واختصاص بعض المظاهر بالمظهريّة انّما هو لشدّة ظهوره تعالى فيه ، وانّ عيسى (ع) وروح القدس لمّا كان كلّ واحد منهما اتمّ مظهر له تعالى وكذا ماسمّى بالاب سمّوهم باسم الاقانيم فردّ الله تعالى عليهم مقالتهم الّتى يلزمها التّحديد والتّشبيه لله تعالى، وماورد فى الآيات والاخبار من انّه تعالى رابع ثلاثة انّما هو للاشارة الى قيّوميّته تعالى لكلّ الاشياء وظهوره بكلّ مظهر ودخوله فى كلّ الاشياء لابالممازجة ولاكدخول شيء فى شيء [وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ] هو الحقيقة الغيبيّة الظّاهرة فى كلّ المظاهر [وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ] حتّى يقول الاتباع بتقليد المتبوعين بالالهة الثّلاثة فيكفروا من

حيث لايعلمون [لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ] اى الّذين قالوا انّ الله هو المسيح والّذين قالوا انّ الله ثالث ثلاثة [عَذَابٌ أَلِيمٌ] يعنى انّهم بقولهم على الله ما لايجوز فى حقّه ممتازون بالعذاب الاليم ، وامّا رؤساؤهم الّذين ما قالوا على الله ما لا يجوز فى حقّه ولم يكفروا مثل الاتباع من هذه الجهة فلهم عذاب ايضاً بانكارهم نبوّة محمّد(ص) والقاء كلمة لايدرك الاتباع المقصود منها [أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ] بعد ماعلموا انّ هذه الكلمة كفر واغواء للغير [وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ] حال للتعليل [مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ] لا آله كما قال الفرقة الاولى ولا واحد الالهة كما قال الفرقة الثّانية [قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ] صدقت عن الاعوجاج قولاً وفعلاً وحالاً ، وصدّقت بكلمات ربّها وكتبه ورسله والدّليل على انّهما ليسا آلهين انّهما [كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ] فيشتركان معكم فى اخسّ احوالكم وهو الاحتياج الى الاكل ، وهو كناية عن الاحتياج الى التخلّى ومن كان محتاجاً مبتلى بأخسّ الاحوال لايصير آلهاً فى ارفع المقام [انْظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ] يعنى انظر الى بياننا العجيب لآيات القرآن فى بيان حال عيسى (ع) وامّه مناسباً لفهمهم وشأنهم بحيث لايمكن لهم انكاره ، اوانظر الى بياننا لآياتنا الّتى منها عيسى (ع) وامّه (ع) بحيث يدركه كلّ احد ولايبقى له ريب [ثُمَّ انْظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ] تخليل ثمّ للتفاوت بين التعجّبين يعنى انصرافهم عن الحقّ فى عيسى (ع) وامّه (ع) بعدهذاالبيان اوبعد مارأوامنهم وعلموا هذه الحالة الخسيسة اعجب من كلّ عجيب [قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا] يعنى المسيح (ع) فانّه بعد ماعلم احتياجه الى اخسّ الاحوال وعدم مالكيّته لدفع ضرّ تلك الحاجة عن نفسه يعلم انّه لم يكن مالكاً للضرّ والنّفع لغيره فلم يكن اهلاً لان يعبد والمقصود التّعريض بالامّة فى طاعة من لايدفع ضرّاً عن نفسه [وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ] يعنى والحال انّ سماع الحاجات وقضائها منحصر فيه ليس لغيره [الْعَلِيمُ] والعلم بمقدار الحاجات وكيفيّة دفع المضارّ وجلب المنافع أيضاً منحصر فيه [قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ] غلوّاً غير الحقّ وهو القول و الاعتقاد فى الانبياء (ع) زائداً على مرتبة فهمكم اوزائداً على مرتبتهم هذا للمتبوعين [وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ] اى من قبلكم باستبدادهم فى الرّأى من المبتدعين الماضين او الحاضرين و هذا للاتباع المقلّدين [وَأَضَلُّوا كَثِيرًا] باستتباعهم ايّاهم فى رأيهم [وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ] السّبيل المستوى الى طرفى الافراط والتّفريط والتّكرار باعتبار انّ الاوّل الضّلال عن احكام النّبوّة القالبيّة والثّانى الضّلال عن احكام الولاية القلبيّة وهذاتعريض بالامّة فى ضلالهم عن احكام محمّد(ص) واقواله وضلالهم عن ولاية علىّ(ع) واتباعه [لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ] استيناف واقع موقع التّعليل، فى المجمع عن الباقر (ع): امّا داود(ع) فانّه لعن اهل ايلة لمّا اعتدوا فى سبتهم وكان اعتداؤهم فى زمانه فقال: اللّهمّ البسهم اللّعنة مثل الرّداء على المنكبين و مثل المنطقة على الحقوين فمسخهم الله قردة ، وامّا عيسى (ع) فانّه لعن الّذين انزلت عليهم المائدة ثمّ كفروا بعدذلك فصاروا خنازير [ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ] فلاتعصوا انتم ولاتعتدوا واسمعوا يا امّة محمّد (ص) [كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ] يعنى لا ينهى بعضهم بعضاً او لا يرعوون

وعن علىّ(ع) لمّا وقع التّقصير فى بنى اسرائيل جعل الرّجل يرى اخاه فى الذّنب فينهاه فلاينتهى فلايمنعه ذلك من ان يكون اكيله وجليسه وشريبه حتّى ضرب الله قلوب بعضهم ببعض ونزل فيهم القرآن حيث يقول جلّ وعزّ: لعن الّذين كفروا (الآية) وفيه دلالة على ذمّ المؤانسة مع اهل المعصية [لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ] من عدم نهى بعضهم بعضاً قولاً وفعلاً وقلباً، اومن عدم ارعوائهم عن الشّر [تَرَىٰ كَثِيراً مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا] امّا بيان حال الامّة اوبيان حال اهل الكتاب والتّعريض بالامّة والخطاب لمحمّد(ص) اوعامّ [لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ] المخصوص بالذّمّ محذوف اى تولّيهم [أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ] بتقدير اللّام او الباء او هو مخصوص [وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ] بسبب ذلك التّولّى، عن الباقر(ع) يتولّون الملوك الجبّارين ويزيّنون لهم اهواءهم ليصيبوا من دنياهم [وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ] الحاضر اعنى محمّداً(ص) على ان يكون بيان حال الامّة او نبيّهم على ان يكون بيان حال اهل الكتاب لكنّ الاوّل اولى لافراده [وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ] يعنى فى علىّ(ع) اومطلقاً والمقصود ما انزل فى علىّ (ع) [مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ] لمجانبة الايمان للكفر والتّولّى يقتضى المجانسة [وَلَٰكِنَّ كَثِيراً مِنْهُمْ فَاسِقُونَ] خارجون عن الحقّ الّذى هو الايمان.

[الجزء السّابع]

[لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا] لانّهم لتوغّلهم فى الدّنيا وعدم توجّههم الى الآخرة بسبب بعد زمان نبيّهم واندراس شريعته واستبدال احكامه صارت احوالهم بعيدة عن احوال المؤمنين لتوجّههم الى الآخرة وتلبّسهم الاحكام الشّرعيّة فلم يبق مجانسة بينهما بوجه من الوجوه، والعداوة ناشئة من عدم المجانسة كما انّ المحبّة ناشئة من المجانسة [وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا] وضع الظّاهر موضع المضمر ليكون تصريحاً بأنّ ملاك عداوة اولئك ومحبّة هؤلاء هو الايمان لاغير [الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ] لم يقل النّصارى لانّ هذا الاسم لاشتقاقه من النّصرة يدلّ على انّهم انصار الله ولو كانوا انصار الله لكانوا اتابعى محمّد(ص) كذا قيل، او لانّ التّنصّر يكون بالتّدّين بدين عيسى(ع) على شرائطها من البيعة مع خلفائه واخذ الميثاق منهم وهؤلاء انتحلوا التّنصّر كانتحال التّشيّع لاكثر الشّيعة من غير القائلين بالائمّة الاثنى عشر، وامّا اسم اليهود فانّه يطلق عليهم لكونهم من نسل يهودا بن يعقوب اومن اتباع اولاده الّذين فيهم النّبوّة وان كان اتّفق تديّنهم بدين موسى(ع) [ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ] العلماء الّذين يأمرونهم بأحكام الانجيل من العقائد والاحكام الفرعيه [وَرُهْبَاناً] الزّهّاد الّذين تركوا الدّنيا واشتغلوا بالعبادة وتحصيل العقبى، اعلم انّ كلّ شريعة من لدن آدم(ع) كانت مشتملة على السّياسات والعبادات القالبيّة وعلى العبادات والتّهذيبات القلبيّة ولكلّ منهما كان اهل ورؤساء يبيّنها لمن اراد التّوسّل بها واتباع يعمل بها ويسمّى رؤساء كلّ منهما فى كلّ ملّة باسم خاصّ كالاحبار والرّهبان فى ملّة النّصارى والموبد والهربد فى ملّة العجم، والمجتهد والصّوفى، اوالعالم والعارف، اوالعالم والتّقى فى ملّة الاسلام، والمقصود انّ النّصارى بواسطة عدم بعد زمان نبيّهم وعدم اندراس احكامهم وعدم انقطاع علمائهم الّذين يأمرونهم بطلب الآخرة قالاً وعدم انقطاع مرتاضيهم الّذين يأمرونهم حالاً طالبون للآخرة ومجانسون للمؤمنين فهم محبّون لهم لمجانستهم [وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ] عن انقياد الحقّ [وَإِذَا سَمِعُوا

مٰا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرٰى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ] لانّهم كانوا طالبين للحقّ فاينماوجدوه عرفوه [يَقُولُونَ] انقياداً للحقّ [رَبَّنٰا آمَنَّا] بما انزل الى الرّسول [فَاكْتُبْنٰا مَعَ الشّٰاهِدِينَ] بحقيّته [وَ] يقولون [مٰا لَنٰا لاٰ نُؤْمِنُ بِاللّٰهِ] بعد معرفة الحقّ وطلبه [وَمٰا جٰاءَنٰا مِنَ الْحَقِّ] و قدكنّا طالبين له ووجدناه [وَ] الحال انّا [نَطْمَعُ أَنْ يُدْخِلَنٰا رَبُّنٰا] جنّته اومحضره [مَعَ الْقَوْمِ الصّٰالِحِينَ فَأَثٰابَهُمُ اللّٰهُ بِمٰا قٰالُوا] بلسان القال و الحال او بلسان القال قريناً بالاعتقاد فانّه عبادة لسانيّة وكمال الايمان باقرار اللّسان منبئاً عن الجنان [جَنّٰاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهٰارُ خٰالِدِينَ فِيهٰا وَذٰلِكَ جَزٰاءُ الْمُحْسِنِينَ] وقد نقل انّ نزول الآية فى النّجاشيّ و بكائه حين قرأ جعفربن أبى طالب (ع) وقت هجرته الى الحبشة عليه آياً من القرآن [وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيٰاتِنٰا أُولٰئِكَ أَصْحٰابُ الْجَحِيمِ] عطف باعتبار المعنى كأنّه قال فالّذين آمنوا وصدّقوا بآياتنااولئك اصحاب الجنّة والّذين كفروا الى آخرها وهولبيان حال منافقى الامّة اوللتّعريض بهم فانّ علياً (ع) اعظم الآيات [يٰا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا] بالبيعة الخاصّة الولويّة على ان يكون النّظر الى من نزلت فيه ، فانّهم كانوا ثلاثة منهم اميرالمؤمنين(ع) ولايكون مرافقة علىّ (ع) فى الارتياض الّا لمن كان مثله داخلاً فى قلبه الايمان سالكاً الى الله رفيقاً له فى الطّريق، اوبالبيعة العامّة النّبويّة على ان يكون النّظر الى التّعميم و ان كان النّزول خاصّاً لانّ النّهى عامّ للمسلمين [لاٰ تُحَرِّمُوا] على انفسكم [طَيِّبٰاتِ مٰا أَحَلَّ اللّٰهُ لَكُمْ وَلاٰ تَعْتَدُوا إِنَّ اللّٰهَ لاٰ يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ] اعلم ، انّ الانسان ذومراتب عديدة بعضها فوق بعض الى ما لانهاية له ، والتّكاليف الآلهيّة الواردة عليه ليست لمرتبة خاصّة منه بل كماعرفت سابقاً للمفاهيم الواردة فى التّكاليف مصاديق متعدّدة بتعدّد مراتب الانسان بعضهافوق بعض ، فكلّماوردفى الشّريعة المطهّرة من الالفاظ فهى مقصودة من حيث مفاهيمها العامّة باعتبارجميع مصاديقها بحيث لايشذّ عنهامصداق من المصاديق فالانسان بحسب مرتبته النّباتيّة له محلّلات آلهيّة ، وبحسب مرتبته الحيوانيّة اخرى ، وبحسب الصّدراخرى ، وبحسب القلب اخرى، و بحسب الرّوح اخرى ، والتّحريم الآلهيّ فى كلّ مرتبة بحسبه ، وكذا تحريم الانسان على نفسه فالمحلّلات بحسب مرتبته الحيوانيّة و النّباتيّة ما اباح الله له من المأكول و المشروب و الملبوس و المركوب و المنكوح والمسكن والمنظور، وبحسب الصّدرماابا ح الله له من الافعال الارادية والاعمال الشّرعيّة والتّدبيرات المعاديّة والمعاشيّة والاخلاق الجميلة والمكاشفات الصّوريّة ، وبحسب القلب ماابا ح الله له من الاعمال القلبيّة والواردات الآلهيّة والعلوم اللّدنيّة و المشاهدات المعنويّة الكلّيّة ، وهكذا فى سائر المراتب ، والطّيّبات من ذلك فى كلّ مرتبة ماتستلذّه المدارك المختصّة بتلك المرتبة ، ومطلق المباح فى كلّ مرتبة طيّب بالنّسبة الى مباح المرتبة الدّانيّة منه ، و انّ الله تعالى يحبّ ان يؤخذ برخصة كما يحبّ ان يؤخذ بعزائمه ، ولا يحبّ التّشره و الاعتداء فى رخصه بحيث يؤدّى الى الانتقال الى ماهوحرام محظورباصل الشّرع ، اوبحيث يؤدّى الى صيرورة المباح حراماً بعرض التّجاوزعن حدّ التّرخيص بالاكثارفيه كما لايحبّ الامتناع عن رخصه ، فمعنى الآية ياايّها الّذين آمنوا لاتمتنعوا من الرّخص ولاتحرّموا بقسم وشبهة ولابكسل ونحوه على انفسكم ماتستلذّه المدارك بحسب كلّ مرتبة وقوّة ممّا اباحه الله لكم ، لانّ الله يحبّ ان يرى عبده مستلذّاً بما اباحه له كما يحبّ ان يراه مستلذّاً بعباداته ومناجاته، ولاتمتنعوا بالاكتفاء بمستلذّات المرتبة الدّانية عن مستلذّات المرتبة العالية ، فانّه يحبّ ان يرى عبده

مصرّاً على طلب مستلذّات المرتبة العالية كما يحبّ ان يراه فى هذه الحالة معرضاً عن مباحات المرتبة الدّانية مكتفياً بضروريّاتها وراجحاتها ، ولاتعتدوا عمّا أباح الله الى ما حظره اوفى المباح الى حدّ الحظر ، والآية اشارة الى التّوسّط بين التّفريط والافراط فى كلّ الامور من الافعال والطّاعات والاخلاق والعقائد والسّير الى الله فانّ المطلوب من السّائر الى الله ان يكون واقعاً بين افراط الجذب وتفريط السّلوك [وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالاً طَيِّباً] فى كلّ مرتبة [وَاتَّقُوا اللَّهَ] فى الاعتداء عن حدّ الرّخصة الى مرتبة الحظر على ان يكون الفقرتان مطابقتين للفقرتين السّابقتين او فى الاعتداء و فى تحريم رخصه على ان يكون متعلّق التّقوى اعمّ من التّحريم والاعتداء [الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ] توصيفه تعالى بهذا الوصف للتّهييج .

حكاية علىّ (ع) وبلال وعثمان بن مظعون عند قوله كلوا ممّا رزقكم الله حلالاً طيّباً

روى عن الصّادق(ع) انّ هذه الآية نزلت فى مولانا امير المؤمنين(ع) وبلال وعثمان بن مظعون، فامّا امير المؤمنين(ع) فحلف ان لاينام بالليل، وامّا بلال فانّه حلف ان لايفطر بالنّهار ابداً ، و نقل انّه حلف ان لايناجى ربّه ، و امّا عثمان بن مظعون فانّه حلف ان لاينكح ابداً ، ومضى عليه مدّة على مانقل فدخلت امرأة عثمان على عائشة وكانت امرأة جميلة فقالت عائشة : ما لى اراك متعطّلة ؟ـ فقالت : ولمن اتزيّن؟ ! فوالله ماقربنى زوجى منذ كذا وكذا ، فانّه قد ترهّب ولبس المسوح وزهد فى الدّنيا، فلمّا دخل رسول الله(ص) اخبرته عائشة بذلك، فخرج فنادى الصّلوة جامعة فاجتمع النّاس فصعد المنبر فحمد الله واثنى عليه ثمّ قال: مابال اقوام يحرّمون على انفسهم الطّيّبات اتى انام بالليل وانكح و افطر بالنّهار فمن رغب عن سنّتى فليس منّى ، فقام هؤلاء فقالوا: يارسول الله(ص) فقد حلفنا على ذلك فأنزل الله آيات الحلف الآتية ، والاشكال اولاً بانّ امثال هذه المعاتبات ونسبة التّحريم والاعتداء والتّقوى ولغو الايمان غير مناسبة لمقام علىّ (ع) وثانياً بانّه (ع) امّا كان عالماً بأنّ تحريم الحلال ان كان بالاستبداد والرّأى كان من البدع و الضّلال ، و ان كان بالنّذر و شبهه كما دلّ عليه الخبر كان مرجوحاً غير مرضىّ لله تعالى ومع ذلك حرّمه على نفسه ، اوكان جاهلاً بذلك، وكلا الوجهين غير لائق بمقامه(ع) منقوض بقوله تعالى فى حقّ رسوله (ص) : يا أيّها النّبىّ لم تحرّم ما احلّ الله لك تبتغى مرضاة ازواجك والجواب الحلّىّ لطالبى الآخرة والسّالكين الى الله الّذين بايعوا علياً(ع) بالولاية وتابعوه بقدم صدق و استشمّوا نفحات نشأته حال سلوكه ان يقال : انّ السّالك الى الله يتمّ سلوكه باستجماعه بين نشأتى الجذب و السّلوك بمعنى توسّطه بين تفريط السّلوك الصّرف وافراط الجذب الصّرف ، فانّه ان كان فى نشأة السّلوك فقط جمد طبعه ببرودة السّلوك حتّى يقف عن السّير، وان كان فى نشأة الجذب فقط فنى بحرارة الجذب عن افعاله وصفاته وذاته بحيث لايبقى منه اثر ولاخبر ، وهو وان كان فى روح وراحة لكنّه ناقص كمال النّقص من حيث انّ المطلوب منه حضوره بالعود لدى ربّه مع جنوده وخدمه واتباعه وحشمه وهو طرح الكلّ وتسارع بوحدته ، فالسّالك الى الله تكميله مربوط بان يكون فى الجذب و السّلوك منكسراً برودة سلوكه بحرارة جذبه فالجذب والسّلوك كالليل والنّهار او كالصّيف والشّتاء من حيث انّهما يربّيان المواليد بتضادّهما فهما مع كونهما متنازعين متألّفان متوافقان، اذا علمت ذلك فاعلم، انّ السّالك اذا وقع فى نشأة الجذب وشرب من شراب الشّوق الزّنجبيلىّ سكر وطرب ووجد بحيث لايبقى فى نظره سوى الخدمة للمحبوب وكلّما رآه منافياً للخدمة رآه ثقلاً ووبالاً على نفسه و مكروهاً لمولاه فيصمّم فى طرحه و يعزم على ترك الاشتغال به وهو من كمال الطّاعة لا انّه

ترك الطّاعة كما يظنّ، فلا ضير ان يكون امير المؤمنين (ع) حال سلوكه وقع فى تلك النّشأة وحرّم على نفسه كلّما يشغله عن الخدمة لكمال الاهتمام بالطّاعة ، ولمّا لم يكن تحصيل الكمال التامّ الّا بالجمع بين النّشأتين اسقاه محمّد(ص) من شراب السّلوك الكافوريّ وردّه الى نشأة السّلوك لانّه كان مكمّلاً مربّياً له ولغيره ولذا قالوا: لابدّ ان يكون للسّالك شيخ والّا فيوشك ان يقع فى الورطات المهلكة، ولامنقصة فى امثال هذه المعائبات على الاحباب بل فيها من اللّطف والتّرغيب فى الخدمة مالايخفى ، وعلىّ(ع) كان عالماً بانّ الكمال لايحصل الّا بالنّشأتين لكنّه يرى حين الجذب انّ كلّما يشغله عن الخدمة فهومكروه المحبوب ومرجوح عنده فحلف على ترك المرجوح ، او يقال: انّ علياً(ع) لمّا كان شريكاً للرّسول(ص) فى تكميل السّلاك لقوله : انت منّى بمنزلة هارون من موسى(ع)، وكان له شأن الدّلالة ولمحمّد (ص) شأن الارشاد، والمرشد بنشأته النّبويّة شأنه تكميل السّالك بحسب نشأة السّلوك و ان كان بنشأته الولويّة و شأن الارشاد شأنه التّكميل بحسب الجذب ، والدّليل بنشأته الولويّة شأنه التّكميل بحسب نشأة الجذب وان كان بنشأته النّبويّة ، وشأن الدّلالة شأن التّكميل بحسب السّلوك فالدّليل بولايته يقرّب السّالك الى الحضور ويعلّمه آداب الحضور وطريق العبوديّة من عدم الالتفات الى ماسوى المعبود وطرح جميع العوائق من طريقه ، والمرشد بنبوّته يبعّده عن الحضور و يقرّبه الى السّلوك و يرغّبه فيه فهما فى فعلهما كالنّشأتين متضادّان متوافقان ، فأمير المؤمنين(ع) لمّا رأى بلال و عثمان مستعدّين لنشأة الجذب رغّبهما الى تلك النّشأة بطرح المستلذّات وترك المألوفات وشاركهما فى ذلك ليستكمل بذلك شوقهما و يتمّ جذبهما ، ولمّا مضى مدّة و رأى الرّسول(ص) انّ عودهما الى السّلوك اوفق وانفع لهما ردّهما الى نشأة السّلوك وعاتبهما بألطف عتاب ، ولايرد نقص على امير المؤمنين(ع)، ولمّا قالوا بعد عتابه(ص) قد حلفنا نزل [لَايُؤَاخِذُكُمُ اللّٰهُ بِاللَّغْوِ فِى أَيْمَانِكُمْ] وهو الّذى يؤتى به للتّأكيد فى الكلام كماهو عادة العوامّ [وَلٰكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ] ما مصدرية و هو الموافق لقوله باللّغو فى ايمانكم او موصولة و المعنى بالّذى عقّدتم الايمان عليه من الامور المحلوف عليها من حيث الحلف عليها اذا حنثتم حذف لانّه معلوم ولكن جعل الله لكم لرفع المؤاخذة كفّارة يسيرة ترحّماً عليكم [فَكَفَّارَتُهُ] اى مايستر اثمه اويزيله [إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ] فاذا اطعمتم عشرة من المساكين الّذين هم عيالى جبرتم نقصان تعظيم اسمى و استحققتم رحمتى [أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ] بان لا يملك طعاماً وكسوة ورقبة ولاثمناً لها [فَصِيَامُ ثَلٰثَةِ أَيَّامٍ] لانّ الله يريد بكم اليسر ولايريد بكم العسر [ذٰلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ] وحنثتم [وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ] بعدم بذلها لكلّ امر بتعظيم اسم الله وبعدم الحنث اذا بذلتموها وبالكفّارة اذا حنثتم [كَذٰلِكَ يُبَيِّنُ اللّٰهُ لَكُمْ آيَاتِهِ] اى آيات حدوده وشرائعه [لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ] نعمة التّعليم والتّسهيل ، اعلم انّ اليمين امّا من المؤكّدات فى الكلام وهى المسمّاة باللّغو وامّا مع قصد ونيّة لليمين فهى امّا على ترك برّ اوفعل شرّ ، وهى ايضاً لغو لكفّارتها فعل البرّ وترك الشرّ، اوعلى فعل برّ وترك شرّ وهى عزم يحفظ على متعلّقها ، واذا حنثت يكفّر عنها بما ذكر، وامّا يمين غموس وهى الّتى تقع على منع حقّ امرء مسلم اواخذ حقّه بغير حقّ وهى الّتى توجب النّار ، وامّا اليمين على دفع الادّعاء الباطل اواحقاق الحقّ فهى مشروعة لقطع الخصومات لكن كراهتها والاهتمام بعدم الاتيان بهاتستنبط من الاخبار [يٰاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا

إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ] كلّ ما تقومر به [وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ] قد سبقا فى اوّل السورة [رِجْسٌ] قذر تستكرهه العقول [مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ] اكدّ الحرمة باداة الحصر ، واطلاق الرّجس عليها و كونها من عمل الشّيطان والامر بالاجتناب فانّه يفيد التّأكيد بالنّسبة الى النّهى عن الفعل والمقصود ههنا النّهى عن الخمر والميسر، وقرنهما بالانصاب والازلام مبالغة فى حرمتهما ولذلك لم يذكر فى بيان الغاية سواهما ، وذكر غايتهما والمفسدة الّتى تترتّب عليها مبالغة اخرى فى حرمتهما فقال [إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ] هذا بحسب الدّنيا [وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ] وهذا بحسب الآخرة ، وذكر الصّلوة بعد الذّكر من قبيل ذكر الخاصّ بعد العامّ للاشارة الى انّهما صادّان عمّا هو عماد الدّين ليكون ابلغ فى المنع [فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ] اداء الامر بصورة الاستفهام لاالحكم تلطّف بهم يعنى بعد ما ذكر من المفاسد و الاوصاف فى الخمر و الميسر ينبغى لكم ان تنتهوا ان تأمّلتم فيها [وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ] فى خصوص النّهى عن الاربعة المذكورة او فى كلّ ما أمرتم و نهيتم عنه ، و العمدة فى الكلّ و غايته الامر بالولاية او فى الامر بالولاية مخصوصاً فانّ الاطاعة فيه غاية جميع الطّاعات ومستلزم لجميع الطّاعات [وَاحْذَرُوا] عن عقوبة مخالفتهما [فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ] عنهما [فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ] فلا يرد من توليكم منقصة عليه وقد بلّغ ما امر بتبليغه [لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ] هذه الجمل فى مقام التّعليل للامر بالاجتناب والطّاعة ، اعلم انّ للانسان من اوّل تميزه الى آخر مراتبه تطوّرات ونشأت ، وبحسب كلّ نشأة له اعمال وارادات وشرور وخيرات وللسّالك الى الله من بدو سلوكه الى آخر مراتبه الغير المتناهية مقامات ومراحل واسفار ومنازل ، والتّقوى تارة تطلق على التّحفّظ عن كلّ مايضرّ للانسان فى الحال اوفى المآل وهو معناها اللّغوىّ ، وبهذا المعنى تكون قبل الاسلام وقبل الايمان ومعهما وبعدهما ، وتارة تطلق على التّحفّظ عمّا يصرفه عن توجّهه الى الايمان ، وبهذا المعنى تكون مع الاسلام وقبل الايمان ومع الايمان لكن فى مرتبة الاسلام فانّه ما لم يسلم لم يتصوّر له توجّه واهتداء الى الايمان حتّى يتصوّر صارف له عن الايمان وحفظ عن ذلك الصّارف ، والتّقوى بهذا المعنى عبارة عن تحفّظ النّفس عن جملة المخالفات الشّرعيّة ، وتارة تطلق على مايصرفه عن الطّريق الموصل له الى غايته ويدخله فى الطّريق الموصلة الى الجحيم ، وبهذا المعنى لا تكون قبل الايمان لانّه لم يكن حينئذٍ فى الطّريق بل تكون مع الايمان الخاصّ الّذى به يكون الوصول الى الطّريق ، والايمان قد يطلق على الاذعان وهو معناه اللّغوى وقد يطلق على مايحصل بالبيعة العامّة وهو الايمان العامّ المسمّى بالاسلام ، وقد يطلق على ما يحصل بالبيعة الخاصّة الولويّة وهو الايمان الحقيقىّ ، وقد يطلق على شهود ماكان موقناً به وهو الايمان الشّهودىّ وقد سبق فى اوّل سورة البقرة تحقيق وتفصيل للايمان ، والتّقوى وصلاح العمل بخروج الانسان من امر نفسه فى العمل ودخوله تحت امر آمرٍ آلهىّ ، وفساده بدخوله تحت امر نفسه ، والجناح بمعنى الحرج والاثم ، والطّعم كما يطلق على الاكل والشّرب الظّاهرين يطلق على مطلق الفعل ومطلق الادراك من الجزئيّة والكلّيّة ففعل القوى المحرّكة اكلها،

وادراك المدارك الجزئيّة والكلّيّة اكلها،وكذلكتصرّفاتالقوى العلّامة لتهيّؤالقوىالعمّالةاكلها، والانسان منأوّل تميّزه نشأته نشأة الحيوانلايدرى خيراً الّا ماافتضته القوىالحيوانيّة ولاشرّاً الّاماستكرهته ولايتصوّر له التّقوى سوى التّقوى اللّغويّة، فاذا بلغ مقامالمراهقة حصل له فىالجملة تميزالخيروالشّرّالانسانيّين وتعلّق به زاجر آلهيّ باطنيّ بحيث يستعدّ لقبول الامر والنّهى من زاجر بشريّ ، لكن لايكلّف لضعفه ويمرّن لوجود الاستعداد والزّاجر الباطنيّ ويتصوّر له التّقوى بالمعنى الاوّل والثّانى فى هذاالمقام بمقدار تميزه الخير والشّرّ الانسانيّين ، فاذا بلغ اوان التّكليف وقوى التميز والاستعداد والزّاجرالآلهيّ تعلّق به التّكليف منالله بواسطة النّذر ، وبقبوله التّكليف بالبيعة و الميثاق يحصل له الاسلام ويتصوّرله التّقوى ايضاً بالمعنى الاوّل والثّانى ، ولايتصوّرله التّقوىبالمعنىالثّالثلعدموصولهالىالطّريق بعد، وفىهذاالمقامبكلّفهالمكلّفالآلهيّ بالتّكاليف القالبيّة وينبّهه علىانّ للانسان طريقاً الى الغيب و له بحسب هذا الطّريق تكاليف اُخر و يدلّه على من يريه الطّريق ويكلّفهالتّكليفات الاُخراشارة اوتصريحاً ، اويريه بنفسهالطّريقفاذاساعده التّوفيق وتمسّكبصاحب الطّريق حتّى قبله وكلّفه بالبيعة و الميثاق التّكليفات القلبيّة صار مؤمناً بالايمان الخاصّ و متمسّكاً بالطّريق متّقياً بالمعنى الثّالث وسالكاً الى الله وله فى سلوكه مراحل ومقامات و زكوة وصوم وصلوة ونروك وفناءات . ففىالمرتبة الاولى يرى منفسه الفعل والتّرك وجملة صفاته فاذا ترقّى وطرح بعضمالىس له ويرى الفعلمنالله ولاحول ولاقوّة الّا بالله صارفانياً من فعله باقياً بفعل الحقّ ، فاذا ترقّى وطرح بعضاً آخربحيث لايرى من نفسه صفةً صار فانياً من صفته باقياً بصفة الله ، فاذا ترقّى و طرح الكلّ بحيث لا يرى نفسه فىالبين صارفانياً من ذاته و فى هذا المقام ان ابقاءالله صار باقياً بعدالفناء ببقاء الله وتمّ له السّلوك وصارجامعاً بينالفرق والجمع والوحدة والكثرة ، وجعلالعرفاء الشّامخون بحسبالامّهات أسفارالسّالكث وسيره اربعةً وسمّوهااسفاراً اربعة: السّفر الاوّل السّير من النّفس الى حدود القلب وهو سيره فى الاسلام وعلى غير الطّريق ويسمّونه السّفر من الخلق الى الحقّ ، والثّانى سيره من حدود القلب الى الله وهو سيره فى الايمان وعلى الطّريق و بدلالة الشّيخ المرشد و فى هذا السّير يحصل الفناءات الثّلاثة ويسمّونه السّفر من الحقّ فى الحقّ الى الحقّ ، و الثّالث سيره بعد الفناء فى المراتب الآلهيّة من غيرذات وشعورٍ بذات ويسمّونه السّفر بالحقّ فى الحقّ ، والرّابع سيره بالحقّ فىالخلق بعد صحوه وبقائه بالله ويسمّونه السّفربالحقّ فىالخلق ، اذا علمت ذلك فنقول: معنى الآية انّه ليس على الّذين بايعوا بالبيعة العامّة النّبويّة وقبول الدّعوة الظّاهره وأسلموا بقبول الاحكام القالبيّة وتوجّهوا من ديار الاسلام الّتى هى صدورهم الى ديار الايمان الّتى هى قلوبهم و عملوا الاعمال الّتى اخذوها من صاحب اسلامهم جناح فيما فعلوا وحصّلوا من الافعال والعلوم ، ولمّاكان المراد بالتّقوى فى لسان الشّارع هوالمعنى الثّانى و الثّالث دون الاوّل لم يقل تعالى شأنه : ليس على الّذين اتّقوا وآمنوا فى تلك المرتبة و اقتصر على الايمان والعمل الصّالح، لكن نفى الجناح بشرط ان اتّقوا صوارفهمعنالتّوجّه الىالايمان والترحّلالىالسّفر الثّانى والوصول الى الطّريق ، وجملة المخالفات الشّرعيّة صوارفه عن هذا التّوجّه ، وآمنوا بالبيعة الخاصّة الولويّة و قبول الدّعوة الباطنة و عملوا الصّالحات الّتى اخذوها من صاحب الطّريق ثمّ اتّقوا نسبة الافعال والصّفات الىانفسهم وآمنوا شهوداً بماآمنوا به غياباً ، وفىهذاالمقام يقعالسّالكث فىورطاتالحلول والاتّحاد والالحاد وسائرانواع الزّندقة من الثّنويّة وعبادة الشّيطان والرّياضة بخلاف الشّرائع الآلهيّة ومغلطة الارواح الخبيثة بالارواح الطّيّبة فانّه مقام تحته مراتب غير متناهية وورطات غير محصورة واكثر ما فشا فى القلندريّة من العقائد و الاعمال نشأ من هذا المقام ، و السّالكث فى هذه المرتبة لايرى صفةً ولا فعلاً من نفسه و لذلك

اسقط العمل الصّالح ولم يذكره ثمّ اتّقوا من رؤية ذواتهم وهذا هوالفناء التامّ والفناء الذّاتيّ، وفي هذاالمقام لايكون لهم ذات بعد التّقوى حتّى يتصوّرلهم ايمان اوعمل ، والسّالك في هذا السّفر لانهاية لسيره ولاتعيّن لوجوده ولانفسيّة له و يظهر منه الشّطحيّات الّتي لاتصحّ من غيره كما تظهر منه في المقام السّابق ايضاً وكما لايرى السّالك في هذا المقام لنفسه عيناً ولااثراً لايرى لغيره ايضاً عيناً ولااثراً، ومن هذاالمقام ومن سابقه نشأت الوحدة الممنوعة ومايترتّب عليها من العقائد الباطلة والاعمال الكاسدة فان ادركته العناية وافاق من فنائه وصار باقياً ببقاءالله صار محسناً بحسب الذّات والصّفات والافعال ، ولذلك قال تعالى بعدذكر التّقوى واحسنوا واسقط الايمان والعمل جميعاً ، لانّه بعد فنائه الذّاتيّ وبقائه بالله صار ذاته وصفته وفعله حسناً واحساناً حقيقيّاً، واماّ قبل ذلك فانّه لايخلو من شوب سوئة واسائة بقدربقاء نسبة الوجود الى نفسه قبل فنائه ، وايضاً قبل الفناء بقدرنسبة الوجود الى نفسه يكون مبغوضاً لامحبوباً على الاطلاق وبعد الفناء وقبل البقاء بالله لاموضوع له حتّى يحكم عليه بالمحبوبيّة والمبغوضيّة، وبعدالبقاء بالله يصير محبوباً على الاطلاق ولذلك قال: والله يحبّ المحسنين في آخر الآية [يٰاَيُّهَا الَّذِينَ اٰمَنُوا] بقبول الدّعوة الظّاهرة اى اسلموا [لَيَبْلُوَنَّكُمُ اللّٰهُ بِشَيْءٍ مِنَ الصَّيْدِ تَنٰالُهُ اَيْدِيكُمْ وَرِمٰاحُكُمْ] يعنى في احرامكم قيل: نزلت في غزوة الحديبية جمع الله عليهم الصّيد، وعن الصّادق (ع) حشر عليهم الصّيد في كلّ مكان حتّى دنامنهم [لِيَعْلَمَ اللّٰهُ مَنْ يَخٰافُهُ بِالْغَيْبِ] بترك الصّيد مع سهولته بمحض النّهي [فَمَنِ اعْتَدىٰ بَعْدَ ذٰلِكَ] الابتلاء والنّهي [فَلَهُ عَذٰابٌ اَلِيمٌ يٰاَيُّهَا الَّذِينَ اٰمَنُوا لاٰ تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَاَنْتُمْ حُرُمٌ] عن الصّادق (ع) اذا أحرمت فاتّق قتل الدّواب كلّها الا الافعى والعقرب والفأرة ، و ذكر الوجه لكلّ وتفصيل ذلك موكول الى الفقه ، والحرم جمع الحرام بمعنى المحرم اوجمع الحرم بكسر الحاء وسكون الرّاء اوجمع الحريم بمعنى المحرم بالحجّ اوالعمرة وبمعنى الدّاخل في الحرم وكلاالوجهين صحيح لفظاً ومعنى [وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّداً فَجَزٰاءٌ مِثْلُ مٰا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوٰا عَدْلٍ مِنْكُمْ] في اخبار كثيرة انّ المرادذوعدل وهوالعدل الآلهيّ من الرّسول (ص) والامام وتثنية ذواعدل خطأ من الكتّاب ولفظ الكتاب ذوعدل بدون الالف ، ولمّا لم يرخّص في الشّريعة الآلهيّة لشيء من القياس كان هذه الكلمة ذاعدل بالافراد وكان ذاعدل مختصّاً بالحاكم الآلهيّ حتّى يسدّ باب القياس بالكلّيّة ، وان لم يكن كذلك جاز لمجوّز القياس التّمسّك به في جواز قياسه [هَدْياً بٰالِغَ الْكَعْبَةِ] كيفيّة بلوغه الكعبة موكولة الى الفقه [اَوْ كَفّٰارَةٌ طَعٰامُ مَسٰاكِينَ اَوْ عَدْلُ ذٰلِكَ صِيٰاماً] كما فصّل في الفقه [لِيَذُوقَ وَبٰالَ اَمْرِهِ] وثقل هتكه لحرمة الحرم [عَفَا اللّٰهُ عَمّٰا سَلَفَ] على زمان الحكم بحرمة قتل الصّيد [وَمَنْ عٰادَ فَيَنْتَقِمُ اللّٰهُ مِنْهُ وَاللّٰهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقٰامٍ] عن الصّادق (ع) في محرم اصاب صيداً؟ـ قال: عليه الكفّارة ، قيل فان اصاب آخر؟ـ قال: فان اصاب آخر فليس عليه كفّارة وهو ممّن قال الله تعالى: ومن عادفينتقم الله ، وفي معناه اخبار أخر ، وعنه اذا اصاب المحرم الصّيد خطأ فعليه الكفّارة فان اصاب ثانية خطأ فعليه الكفّارة ابداً اذاكان خطأ، فان اصابه متعمّداً كان عليه الكفّارة ، فان اصابه ثانية متعمّداً فهو ممّن ينتقم الله منه ولم يكن عليه الكفّارة، وعلى هذا فمعنى عفاالله عمّا سلف عفا عن الدّفعة الاولى السّابقة على الثّانية [اُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعٰامُهُ مَتٰاعاً لَكُمْ وَلِلسَّيّٰارَةِ] مطلقاً حال الاحرام و غيره و الضّمير في طعامه للصّيد اوللبحر [وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مٰا دُمْتُمْ حُرُماً وَاتَّقُوا اللّٰهَ الَّذِي اِلَيْهِ تُحْشَرُونَ]

فى مخالفة أمره ونهيه لانّ حشركم يكون اليه [جَعَلَ اللّٰهُ] جملة مستأنفة فى مقام التّعليل لتحريم صيد البرّ حين الاحرام لزيارة البيت اوحين دخول الحرم الّذى هوحريم البيت ، وجعل بمعنى صيّر اوبمعنى خلق [الْكَعْبَةَ] سمّى الكعبة كعبة لتكعّبه والعرب تسمّى كلّ مربّع وناتٍ كعباًوكعبة [الْبَيْتَ الْحَرٰامَ] مفعول ثانٍ او بدل من الكعبة والتّوصيف بالحرام لحرمة هتكه بأخذ الصّيد من حواليه واقتصاص الملتجى الى حريمه الّذى هوالحرم [قِيٰاماً لِلنّٰاسِ] مفعول ثانٍ او حال من قام اذا اعتدل اى جعلها سبب اعتدال للنّاس اوجعلها معتدلة لانتفاع النّاس ، اومن قام المرأة اذا قام بشأنها وكفى امرها والمعنى جعلها كافية للنّاس اوبمعنى القوام الّذى هومايعاش به او بمعنى ملاك الامر وعماده يعنى جعلها عماد جملة الامور للنّاس فى معادهم ومعاشهم [وَالشَّهْرَ الْحَرٰامَ] اى جنس الشّهر الحرام وافراده اربعةٌ ذوالقعدة وذوالحجّة والمحرّم ورجب اوالشّهر الحرام المعهود اى شهر الحجّ وهوعطف على الكعبة سواء قدّر توصيفه بكونه قياماً للنّاس اولم يقدر [وَالْهَدْيَ وَالْقَلٰائِدَ] اى ذوات القلائد او القلائد انفسها وقد مضى ذكرها فى اوّل السّورة ، اعلم ، انّ جعل كعبة القلب بيت الله الحرام وسبب اعتدال للنّاس فى العالم الصّغير وكافية لامورهم وما به تعيشهم وملاك أمرهم وعمادهم واضح وكذلك كون الشّهر الحرام الّذى هوالصّدر وهدى القوى وقلائدها او ذوات القلائد منها ، وكون صاحب القلب وصاحب الصّدر والطّالبين للوصول اليهما قياماً للنّاس لاخفاء فيه ، وقد مضى فى اوّل السّورة اشارة الى التّأويل فيها وعند قوله: من دخله كان آمناً فى سورة آل عمران وكون كعبة الاحجار قياماً للنّاس يظهر ممّاسبق منّا من انّها ظهور القلب ويجرى فيها كلّ مايجرى فى القلب على انّها بربح فيها تاجروها ويرزق ساكنوها ويؤمن ملتجئوها ويخلّف نفقات زائريها ويستجاب دعاء الدّاعين فيها لمعاشهم ومعادهم ، وبقاء اهل الارض تماماً ببقائها فيهم وزيارة بعضهم لها كما أشير اليه فى الخبر ، وكون الشّهر الحرام قياماً لما سبق من انّه مظهر الصّدر ومظهر صاحب الصّدر وكلّما يجرى فيه يجرى فيه على انّه شهر فراغة عن القتال وشهر اشتغال بمرمّة المعاش والمعاد ، وكون الهدى والقلائد قياماً للنّاس لانّهما مظاهر لطالبى العلم وهم بركات لاهل الارض على انّه ينتفع بايعوها بثمنها واكلوها بلحومها واهبها [ذٰلِكَ] يعنى جعل الكعبة الّتى هى فى بلد خال من الزّراعات او اسباب التّجارات من سائر منافع البرّ والبحر وخال نواحيه القريبة والبعيدة من الزّراعات والتّجارات سبب تعيّش النّاس وارباحهم الدّنيويّة والمنافع الغير المترقّبة وهو مبتدء خبره قوله تعالى [لِتَعْلَمُوا] بذلك [أَنَّ اللّٰهَ يَعْلَمُ مٰا فِي السَّمٰاوٰاتِ] من الاسباب الغيبيّة الرّوحانيّة والاسباب السّماويّة العلويّة البعيدة [وَ] يعلم [مٰا فِي الْأَرْضِ] من الاسباب الطّبيعيّة الحسّيّة القريبة لانّكم بعد مارأيتم ارتزاق اهل هذا البلد الخالى من كلّ ماينتفع به مع انتفاعهم وارباحهم الكثيرة ، علمتم انّه ليس الّا بتسبيبات آلهيّة من دون استقلال الاسباب الطّبيعيّة ، بخلاف ما اذاكان الكعبة فى البلاد المعمورة الكثيرة الزّراعات والتّجارات فانّه لا يعلم حينئذٍ انّ ارزاق اهلها باسباب آلهيّة اواسباب طبيعيّة ، بل يعتقد انّها باسباب طبيعيّة كماعليه اصحاب الحسّ والطّبيعيّون والدّهريّون ، واذاعلمتم انّ ارزاق الخلق وارباحهم ليست الّا باسباب آلهيّة علمتم انّه تعالى يعلم جميع الاسباب القريبة والبعيدة والرّوحانيّة والجسمانيّة والعلويّة والسّفليّة وانّه تعالى يقدر على توجيه الاسباب نحوهذا المسبّب ، ولم يقل لتعلموا انّ الله يقدر لانّ القدرة سبب قريب من المسبّب بخلاف العلم فكأنّها تستفاد من حصول المسبّب [وَ] لتعلموا [أَنَّ اللّٰهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ]

لانّ من علم الاسباب الخفيّة الرّوحانيّة والجليّة الجسمانيّة وتوجيه تلك الاسباب نحو مسبّب بعيد الحصول كان عالماً بكلّ شيءٍ من الجليل والحقير وهو تأكيدٌ وتعميم بعد اطلاق وتخصيص [اِعْلَمُوا] بعد ماذكر شمول علمه لكلّ شيءٍ اقتضى المقام ترغيب المنحرفين عن علىّ (ع) الى التّوبة والرّجوع اليه بسبب شمول غفرانه و رحمته و ترهيب المنحرفين عنه بشدّة عقابه واطّلاعه على سرائرهم فقال اذا علمتم انّه بكلّ شيءٍ عليم من الاعلان والاسرار والضّمائر فاعلموا [اَنَّ اللّٰهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ] لمن تهاون فى حرمات الله واضمر فى حقّ علىّ (ع) خلاف ماقلت لهم [وَاَنَّ اللّٰهَ غَفُورٌ] يغفر زلّات من تهاون فى الحرمات وزلّات من خالف علياً (ع) اذا تاب وعاد الى ماتهاون به والى علىّ (ع) [رَحِيمٌ] يتفضّل عليه بسبب رحمته [مَا عَلَى الرَّسُولِ] جواب سؤالٍ مقدّرٍ كأنّه قيل: امايقدر الرّسول (ص) الّذى بين اظهرنا على دفع العقاب؟ اوقيل: امايقدر الرّسول (ص) على ان يحملنا على الطّاعة واستحقاق الرّحمة فقال: ما على الرّسول [اِلَّا الْبَلَاغُ] لاالحفظ من العقاب ولاالحمل على الطّاعة وقد بلّغ ماكان عليه تبليغه و اعظمها واشرفها واساسها الولاية و قد بلّغها على رؤس الاشهاد فى محضرٍ نحوٍ من سبعين الفاً [وَاللّٰهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ] من الاقوال والافعال من الطّاعة و المخالفة وتولّى علىّ (ع) والتولّى عنه [وَمَا تَكْتُمُونَ] من مكمونات نفوسكم الّتى لاتعلمونها ولاتستشعرون بها ومن عقائدكم ونيّاتكم وعزماتكم الّتى لايعلمها غيركم ، ومن اقوالكم وافعالكم الّتى تخفونها عن انسانٍ آخر اوتخفونها عن غير رفقائكم فاحذروا ان تقولوا اوتفعلوا اوتضمروا خلاف ماقال لكم محمّد (ص) فى امر دينكم ، اوماقاله فى حقّ علىّ (ع) [قُلْ] يا محمّد (ص) لامّتك [لَا يَسْتَوِى الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ] يعنى ذكّرهم بهذه الكبرى الكلّيّة البديهيّة حتّى يكونوا على ذكر منها و على الحذر من الخبيث و الرّغبة فى الطّيّب حين عراهم خبيث او طيّب من الاعمال والاخلاق والاوصاف والحيوان والانسان بان يقولوا هذا خبيث اوطيّب و كلّ خبيث مكروه و كلّ طيّب مرغوب فيه ، والمنظور هو المقصود من كلّ مقصود وهو ولاية علىّ (ع) وولاية اعدائه فانّ طيبوبة علىّ (ع) لاينكره احد [وَلَوْ اَعْجَبَكَ] كلام من الله والخطاب لمحمّد (ص) يعنى يا محمّد (ص) قل لهم لايستويان لو لم يعجبك ولواعجبك [كَثْرَةُ الْخَبِيثِ] او جزء مفعول للقول والخطاب حينئذٍ لغير معيّن يعنى قل لهم لايستويان ولو أعجبكم كثرة الخبيث فانّ السّنخيّة الغالبة فى وجود الاكثر مع الخبيث تقتضى اتّباع الخبيث وكثرته ، وعدم السّنخيّة بين الخلق والطّيّب يقتضى عدم اتّباعه وكون القلّة فى جانبه [فَ] لا تنظروا الى الكثرة ولاتغفلوا عن الطّيبوبة و [اتَّقُوا اللّٰهَ] فى ترك الطّيّب واتّخاذ الخبيث [يَا اُولِى الْاَلْبَابِ] فانّكم المخاطبون المعتنى بكم لاغيركم فانّهم ليس لهم تميز الطّيّب من الخبيث حتّى يستحقّوا الخطاب بترك الخبيث [لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ يَا اَيُّهَا الَّذِينَ اٰمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ اَشْيَاءَ اِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَ اِنْ تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْاٰنُ تُبْدَ لَكُمْ] يعنى ان تسألوا لامحالة عنها فحين ينزّل القرآن نظهره عليكم فقوله حين ينزّل القرآن متعلّق بتبد، عن امير المؤمنين (ع) خطب رسول الله (ص) فقال : انّ الله كتب عليكم الحجّ فقال عكاشة بن محصن و روى سراقة بن مالك : افى كلّ عام يارسول الله (ص) فاعرض عنه حتّى عاد مرّتين اوثلاثاً فقال رسول الله : ويحك ومايؤمنك ان اقول: نعم والله لوقلت: نعم لوجبت ولووجبت مااستطعتم ولوتركتم كفرتم فاتركونى ماتركتم

فانّما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على انبيائهم فاذا أمرتكم بشيء فأتوا منه مااستطعتم ، واذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه ، فالمراد بالسّؤال عن اشياء ان تبدلكم تسؤكم كثرة السّؤال والمداقّة فيما كلّفوا به وقد ورد ، انّ بنى اسرائيل شدّدوا على انفسهم بكثرة السّؤال والمداقّة عن البقرة الّتى امروا بذبحها فشدّدالله عليهم، وروى انّ صفيّة بنت عبدالمطّلب مات ابن لها فأقبلت فقال عمر غطّى قرطك فانّ قرابتك من رسول الله (ص) لا تنفعك شيئاً فقالت : هل رأيت قرطاً يا ابن اللّخناء ، ثمّ دخلت على رسول الله (ص) وبكت وشكت فخرج رسول الله (ص) فنادى: الصّلوة جامعة فاجتمع النّاس، فقال: مابال أقوام يزعمون انّ قرابتى لاتنفع لو قدمت المقام المحمود لشفعت فى خارجكم ، لايسألنى اليوم احدٌ من ابوه الّا اخبرته، فقام اليه رجلٌ فقال من ابى يارسول الله؟ـ فقال : ابوك غير الّذى تدعى له ، ابوك فلان بن فلان ، فقام آخر فقال : من ابى يا رسول الله ؟ ـ قال : ابوك الّذى تدعى له ثمّ قال رسول الله (ص) مابال الّذى يزعم انّ قرابتى لاتنفع لايسألنى عن ابيه ، فقام اليه عمر فقال له اعوذ بالله يارسول الله (ص) من غضب الله وغضب رسول الله اعف عنّى عفاالله عنك ، فأنزل الله الآية وعلى هذا فالمعنى لاتسألوا عن اشياء ستره الله عليكم من انسابكم ان تبدلكم تسؤكم، ويمكن التّعميم لكلّ ماكان ظهوره سبب الاساءة من التّكاليف والانساب والاخلاق والاوصاف والاعمال من السّائل ومن غيره [عَفَا اللّٰهُ عَنْهَا] صفة اخرى لاشياء اى لاتسألوا عن اشياء تركها الله ولم يبيّنها لكم اواستيناف لاظهار العفو عن المسئلة الّتى سبقت [وَاللّٰهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ] اى الاشياء الّتى فى ظهورها الاساءة لكم [مِنْ قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُوا بِهَا كَافِرِينَ] حيث كرهوها فكفروا بها ولم يقبلوها اوكفروا برسلهم (ع) بسببها [مَا جَعَلَ اللّٰهُ] استيناف لبيان حال الكفّار فى سننهم الرّديّة يعنى ما شرع الله وماسنّ [مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ] عن الصّادق (ع) انّ اهل الجاهليّة كانوا اذا ولدت النّاقة ولدين فى بطن واحد قالوا وصلت فلايستحلّون ذبحها ولاأكلها ، واذا ولدت عشراً جعلوها سائبة ولايستحلّون ظهرها ولاأكلها ، والحام فحل الابل لم يكونوا يستحلّونه وروى انّ البحيرة النّاقة اذانتجت خمسة ابطن فانكان الخامس ذكراً نحروها فأكله الرّجال والنّساء و ان كان الخامس انثى بحروا اذنها اى شقّوها وكانت حراماً على النّساء ، فأنزل الله عزّوجلّ انّه لم يحرّم شيئاً من ذلك وذكر غير ذلك فى تفسيرها [وَلٰكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللّٰهِ الْكَذِبَ] بنسبة التّحريم اليه [وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ] يعنى انّ الاتباع المقلّدين لايعقلون شيئاً من الصحّة والفساد ولا من الافتراء وغيره حتّى يتنبّهوا انّ هذا افتراء على الله فلايقلّدوهم [وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللّٰهُ وَإِلَى الرَّسُولِ] من حدود الشّرع [قَالُوا] اكتفاء بما اعتادوه و قلّدوه من غير تعقّل [حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا] يعنى لا حجّة لهم سوى فعل آبائهم وهوافضح من الاسناد الى علمائهم [أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئاً وَلَا يَهْتَدُونَ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ] عليكم اسم فعل بمعنى الزموا وقرئ برفع انفسكم فهوظرف خبره والمعنى الزموا انفسكم لاتتجاوزوها الى غيركم ما لم تصلحوها ، فانّ الاشتغال بالغير قبل اصلاح النّفس سفاهة ويصير سبباً لفساد اخر مقتبس من الغير وسبباً لاستحكام الفساد الحاصل فيصير ظلمات النّفس مستحكمة متراكمة، فمادام الانسان يكون مبتلى فى نفسه بالفساد والمرض ينبغى ان يطلب من يطّلع على امراضه ومفاسده فاذا وجده فليتعلّم منه مايصلح به فساده ويعالج به امراضه، فاذا تعلّم ذلك فينبغى ان يشتغل عن كلّ شيء بنفسه ولايفارق اصلاحها

ما بقى الفساد فيها ، وذلك الشّخص امّا نبيّ فيكون آمنوا بمعنى بايعوا على يد محمّد(ص) اوولىّ فيكون بمعنى بايعوا على يد علىّ(ع) ، ويحتمل ان يكون اعمّ من النّبىّ(ص) والولىّ(ع) فيكون آمنوا ايضاً عامّاً ، ولمّا علمت سابقاً انّ الولاية هى حقيقة كلّ ذى حقيقة ونفسيّة كلّ ذى نفس وهذا المعنى يظهر لمن آمن بعلىّ(ع) واتّصل بملكوت وليّه ، فانّه يرى انّ ملكوت وليّه مع انّها انزل مراتب الولاية كانت حقيقته ونفسه وانّه كان مظهراً لها تيسّر لك تفسيرها بان تقول: عليكم امامكم ويكون آمنوا بمعنى آمنوا بالبيعة الخاصّة الولويّة، فانّ البيعة العامّة لاتجعل البايع متوجّهاً الى قلبه ونفسه لعدم اتّصالها بالقلب وما لم يتوجّه الى قلبه لايتيسّر له الحضور عند امامه، و ما لم يمكن له الحضور لم يؤمر بالملازمة ، وبالملازمة يحصل له جميع الخيرات الدّنيويّة والاخرويّة ، ولذا أمروا بتلك الملازمة والاعراض عن الكلّ ، وماروى فى المجمع يشير الى هذا المعنى، فانّه روى فيه انّ اباثعلبة سأل رسول الله (ص) عن هذه الآية فقال : ائتمروا بالمعروف و تناهوا عن المنكر فاذا رأيت دنيا مؤثرة و شحّاً مطاعاً و هوى متّبعاً واعجاب كلّ ذى رأى برأيه فعليك بخويّصّة نفسك وذرعوامّهم، فانّه ليس المراد بهذه الخصوصيّة خصوصيّة النّسب الصّوريّة بل النّسب الرّوحانيّة ولا شكّ انّ امامه اخصّ هؤلاء الخواصّ [لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ] يعنى اذا لم تهتدوا يضرّكم ضلال من ضلّ لسخيّتكم لهم واقتباسكم الفساد منهم [إِلَى اللهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ] فمن يلازم امامه اونفسه فله جزاء ومن يراقب النّاس وينظر الى مساويهم فله جزاء [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا] اى اسلموا فانّ الحكم الآتى من احكام الاسلام [شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ] من حيث التحمّل [إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ] اى شهادة اثنين [ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ] ايّها المسلمون [أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ] من اهل الكتاب [إِنْ أَنْتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ] سافرتم [فَأَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةُ الْمَوْتِ] قاربكم الاجل ولم تجدوا منكم من يتحمّل الشّهادة [تَحْبِسُونَهُمَا] وقت الاداء اى تقفونهما [مِنْ بَعْدِ الصَّلَوةِ] لتغليظ اليمين بشرف الوقت ولخوفهما من الافتضاح بين النّاس ان حرّفوا لاجتماع النّاس حين الصّلوة [فَيُقْسِمَانِ بِاللهِ] اى الاخران من غيركم وذلك الحبس والحلف [إِنِ ارْتَبْتُمْ] والّا فلا ، وهوجملة معترضة بين القسم والمقسم عليه ويجوز ان تكون من قول الحالفين و من قبيل ترادف القسم و الشّرط و ان يكون الجواب للقسم لتقدّمه و لذلك لم يجزم [لَا نَشْتَرِي بِهِ ثَمَناً] عرضاً من الدّنيا [وَلَوْ كَانَ] المقسم له [ذَا قُرْبَى] لنا [وَلَا نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللهِ إِنَّا إِذاً لَمِنَ الْآثِمِينَ فَإِنْ عُثِرَ] اى اطّلع [عَلَى أَنَّهُمَا] اى الشّاهدين من غيركم [اسْتَحَقَّا] استوجبا [إِثْماً] بتحريف وخيانة [فَآخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا] بامر الورثة الّذين هم المشهود عليهم وقوله تعالى [مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْأَوْلَيَانِ] بيان لهذا المعنى اى من جانب الّذين جنى باستحقاق الاثم عليهم الاحقّان بالشّهادة لكونهما اوّل من شهدا [فَيُقْسِمَانِ بِاللهِ لَشَهَادَتُنَا أَحَقُّ مِنْ شَهَادَتِهِمَا وَمَا اعْتَدَيْنَا إِنَّا إِذاً لَمِنَ الظَّالِمِينَ ذَلِكَ] التّحليف الغليظ وقت احتمال الافتضاح باقامة آخرين مقامهما [أَدْنَى أَنْ يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ عَلَى وَجْهِهَا أَوْ يَخَافُوا أَنْ تُرَدَّ أَيْمَانٌ بَعْدَ أَيْمَانِهِمْ] اى ترجع ايمان على شهود الورثة وتقبل ايمان شهود الورثة و تكذّب

ايمانهم فيفتضحوا بتكذيب ايمانهم ، ونسبة الخيانة اليهم وجمع الضّمائر ليعمّ الشّهود وقد ذكر فى تفسير الآية ونزولها اخبار فى الصّافى وغيره [وَاتَّقُوا اللّٰهَ] ايّها الشّهود فى تحريف الشّهادة والمشهود عليهم فى ردّها بلاخيانة [وَاسْمَعُوا] ماتوعظون به سمع اجابة وقبول [وَاللّٰهُ لَا يَهْدِى الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ] الخارجين من امر الله [يَوْمَ يَجْمَعُ اللّٰهُ الرُّسُلَ] ظرف لقوله لا يهدى او لا ذكر او ذكّر مقدّر او المقصود التّعريض بمن لم يجب محمّداً (ص) فى ولاية امير المؤمنين (ع) [فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ] فى دعوتكم العامّة او فى دعوتكم الخاصّة الى خلفائكم وفسّرت فى الخبر به ، فعن الباقر (ع) انّ لهذا تأويلاً يقول: ماذا اجبتم فى اوصيائكم الّذين خلّفتموهم على امتكم فيقولون لاعلم لنا بما فعلوا من بعدنا وقوله تعالى [قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ] يشير الى هذا لانّ نفى العلم بعد رحلتهم صحيح وفى زمان حيوتهم علموا من اجاب ومن لم يجب وكيف اجابوا [إِذْ قَالَ اللّٰهُ] اذكر اوذكّر اوهو بدل من يوم يجمع الله [يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ وَعَلَى وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِى الْمَهْدِ وَكَهْلاً] يعنى فى جميع احوالك [وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ] اى النّبوّة [وَالْحِكْمَةَ] اى الولاية [وَالتَّوْرِيَةَ وَالْإِنْجِيلَ] صورتى النّبوّة [وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِى فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْراً بِإِذْنِى وَتُبْرِءُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِى وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَى بِإِذْنِى] تكرار باذنى لرفع توهّم الآلهة فانّ ذلك ليس الّا من جهة الآلهيّة [وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِى إِسْرَائِيلَ عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ وَإِذْ أَوْحَيْتُ] وحى الهام لاوحى ارسال [إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِى وَبِرَسُولِى قَالُوا آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ] لمّا كان المقصود تنبيه الامّة على ما لا ينبغى لهم من مطالبة الآيات من الرّسول (ص) او من امير المؤمنين (ع) وكان ما ذكر سابقاً من نعم عيسى (ع) توطئة لهذا المقصد واشارة الى انّهم محض هوى النّفس سألوا المائدة والّا كان فيما انعم الله به على عيسى (ع) غنية عن غيرها من الآيات غيّر الاسلوب و اتى به من غير عطف حتّى لا يتوهّم انّه كسابقه من النّعم و قد سألوا رسول الله (ص) الآيات وبعد ما أتاهم بها كفروا وسألوا عليّاً (ع) وكفروا بها بعد الاتيان بها كما فى التّواريخ والاخبار [يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ] كأنّ السّؤال كان قبل ان يعرفوا معرفة تامّة او المقصود الاستطاعة المطابقة للحكمة وقرئ هل تستطيع بالخطاب اى هل تستطيع سؤال ربّك [أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ] المائدة الخوان عليه الطّعام من ماد اذا تحرّك اومن مادة اذا اعطاه [قَالَ اتَّقُوا اللّٰهَ] من الاقتراح على الله [إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ] به وبقدرته [قَالُوا نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا] تمهيد عذر للسّؤال [وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا] لاكطلب ابراهيم (ع) اطمينان القلب بقرينة [وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَقْتَنَا] فى ادّعاء النّبوّة من قادر بليغ القدرة او كان مرادهم الاطمينان بالشّهود مثل ابراهيم (ع) بعد اليقين العلمىّ ويكون المقصود من قوله ونعلم ان قد صدقتنا العلم الشّهودىّ [وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ] للغياب منّا اومن الحاضرين للاكل [قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللّٰهُمَّ رَبَّنَا] تكرار النّداء حين الدّعاء وظيفة الدّعاة [أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيداً] اى يكون يوم نزولها يوم

عيد، اوتكون لناسروراً لانّ السّروريعود وقتاً بعد وقتٍ [لِأَوَّلِنَا وَاٰخِرِنَا] بدل تفصيليّ يعنى للحاضرين ولمن لم يأت الى يوم القيامة اولجميعنا [وَاٰيَةً مِنْكَ وَارْزُقْنَا وَاَنْتَ خَيْرُ الرّٰازِقِينَ] من وسائط الرّزق من افراد الانسان و من الاسباب العلويّة و الارضيّة و من القوى النّباتيّة الّتى هى اقرب الوسائط للرّزق الصوريّ و من افراد الانسان من الاعداء و الاحباب الّذين كانوا اسباب كمال للعباد بالقهر و اللّطف و من معلّمى الحرف والصّناعات ومن مكمّلى النّفوس بالتّعليم الحقيقى الرّوحانيّ ومن المدارك الظّاهرة والباطنة الحيوانيّة والانسانيّة للرّزق الحقيقيّ الرّوحانيّ [قَالَ اللّٰهُ] مجيباً لهم [إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَاباً لَا أُعَذِّبُهُ اَحَداً مِنَ الْعَالَمِينَ] نزول الآية وكيفيّة المائدة وكيفيّة اكلهم مذكورة فى المفصّلات باختلافٍ فى الرّوايات من اراد فليرجع اليها [وَإِذْ قَالَ اللّٰهُ] اتى بالماضى لتحقّق وقوعه او لانّه كان بالنّسبة الى الرّسول المخاطب ماضياً بحسب المقام [يٰا عِيسَى بْنَ مَرْيَمَ ءَاَنْتَ قُلْتَ لِلنّٰاسِ اتَّخِذُونِي وَاُمِّيَ إِلٰهَيْنِ] الخطاب لعيسى(ع)والمقصود تقريع امّته وتبكيتهم والمنظور التّعريض بامّة محمّد (ص) الّذين قالوا بآلهيّة الائمّة [مِنْ دُونِ اللّٰهِ] والسّرّ فى هذا التّقييد فى كثيرٍ من امثال هذه الآية انّ جعل الخلفاء مظاهر الهيّته واٰلهة بآلهيّته كماورد عنهم فى قوله : **هوالّذى فى السّماء آله وفى الارض آله** انّه كناية عن تسلّط خلفائه لا ضير فيه ولاعقاب على قائليه و جعلهم اوغيرهم آلهةً مقابلة لله و مغايرة له كفر باعث للعتاب على قائليه [قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي] ما ينبغى لى والتّعبير بالمضارع للاشارة الى انّه بعدكونه على اشرف الاحوال لايليق بحاله التّفوّه بمثل هذا المقال فكيف قال وهوفى اخسّ الاحوال، كأنّه قال لايليق بحالى واقرارى بعبوديّتك والخلوص فى طاعتك فى هذه الحالة [اَنْ اَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ] فكيف قلته فى اخسّ الاحوال [إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ] لانّك [تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا اَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ] هو من باب المشاكلة اوالمعنى مافى ذاتك اوهذه الكلمة كناية عمّايخفى الانسان عن الغير من غير ملاحظة نفس وروح [إِنَّكَ اَنْتَ عَلّٰامُ الْغُيُوبِ] تعليل للجملتين بمنطوقه ومفهومه [مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلّٰا مَا اَمَرْتَنِي بِهِ اَنِ اعْبُدُوا اللّٰهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ] ان تفسيريّة بمنزلة اى تفسير للقول بجعل القول بمعنى الامر اوتفسير لامرتنى بتقدير امر من القول بعد ان ، والتّقدير ماقلت لهم الّا ماامرتنى به ان قل اعبدوا الله وحينئذٍ لاحاجة الى تكلّف فى ذكر **ربّى وربّكم** بعد **اعبدوا الله** ، اومصدريّة بدلاً اوبياناً لما والقول بمعنى الامر اوللضّمير المجرور ولايلزم فى البدل جواز طرح المبدل منه حتّى يقال: يلزم منه بقاء الموصول بدون العائد ، او ان تفسيريّة تفسير لامرتنى من دون تقديرٍ ويكون ذكر **ربّى وربّكم** حكاية لما قال لهم من عند نفسه منضمّاً الى المحكىّ اشعاراً بانّه حين أمرهم بالعبادة اقرّ لنفسه بالعبوديّة وانّ اقرارهم بالرّبوبيّة له كان لاتّباع الهوى لابشبهةٍ نشأت من قوله ويجوز ان يكون خبر مبتدء محذوف اومفعول فعل محذوف [وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً] مراقباً لهم على اعمالهم [مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمّٰا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ اَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَاَنْتَ عَلٰى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ] تعميم بعد تخصيص دفعاً لتوهّم التّخصيص [إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبٰادُكَ] تفعل بهم ماتشاء شروع فى الشّفاعة باحسن وجه [وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ اَنْتَ الْعَزِيزُ] لامانع لك

من المغفرة [الْحَكِيمُ] تعلم بلطف علمك استحقاقهم لها وقدراستحقاقهم [قَالَ اللّٰهُ] انّى اغفر للصّادق منهم فى قوله غيرمتجاوز من حدّه وحدّ عيسى (ع) لانّ [هٰذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصّٰادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنّٰاتٌ تَجْرِى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهٰارُ خٰالِدِينَ فِيهٰا أَبَداً رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ] وفى تقدّم رضا العبد على رضاالله اورضاالله على رضاالعبدمامرّعند قوله فتاب عليه انّه هوالتّواب الرّحيم وعندقوله **فاذكرونى اذكركم** من سورة البقرة [ذٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ لِلّٰهِ مُلْكُ السَّمٰوٰاتِ وَالْأَرْضِ وَمٰا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ] .

عن امير المؤمنين عليه السّلام قال : كان القرآن ينسخ بعضها بعضاً وانّما يؤخذ من امر رسول الله (ص) بآخره وكان من آخرما نزل عليه سورة المائدة فنسخت ما قبلها ولم ينسخها شيء ، ولقد نزلت عليه وهو على بغلة شهباء وثقل عليه الوحى حتّى وقفت وتدلّى بطنها حتّى رأيت سرّتها تكادتمسّ الارض وأغمى على رسول الله (ص) حتّى وضع يده على ذؤابة شيبة بن وهب ، ثمّ رفع ذلك عن رسول الله (ص) فقرأ علينا سورة المائدة فعمل رسول الله (ص) وعملنا . وعن الصّادق (ع) : نزلت المائدة كملاً و نزلت معها سبعون الف الف ملك .

سورة الانعام

مكّيّة غير ستّ آياتٍ ؛ ثلاث منها من قوله : وَمَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ (الى آخر ثلاث آياتٍ) وثلاث من قوله : قُلْ تَعَالَوا (الى آخر ثلاث آيات) اوغير الثّلاث الاخيرة

بسم الله الرحمن الرحيم

[اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ] قد مضى [الَّذِي خَلَقَ السَّمٰوٰاتِ وَالْاَرْضَ] الخلق قد يطلق على مطلق الايجاد سواء كان مسبوقاً بمدّة ومادّةٍ و هو الخلق بالمعنى الاخصّ كالمواليد اومسبوقاً بمادّة دون المدّة وهو الاختراع كالافلاك و ما فى جوفها من العناصر ، او لم يكن مسبوقاً بشيءٍ منهما مع التعلّق بالمادّة وهو الانشاء كالنّفوس، اوبدونه وهو الابداع كالعقول، والجعل المتعدّى لواحد بمعنى الخلق لكنّ الاغلب استعماله فيما له تعلّق بمحلٍّ اوشيءٍ آخر عرضاً كان اوجوهراً كقوله هوالّذى انشأكم وجعل لكم السّمع والابصار والافئدة لما فيه من شوب معنى التّصيير، ولمّا كان النّور والظّلمة العرضيّان متعلّقين بالمحلّ ذكر الخلق بالمعنى الاعمّ فى ايجاد السّماوات والارض والجعل فى ايجاد النّور والظّلمة ، والسّماء اسم لما له ارتفاع و تأثير فيما دونه والافلاك الطّبيعيّة احد مصاديقها، فانّ العقول الطّوليّة يعنى الملائكة المقرّبين والّذين هم قيام لاينظرون والعقول العرضيّة يعنى الملائكة الصّافات صفّاً والنّفوس الكلّيّة المدبّرات امراً والنّفوس الجزئيّة الرّكّع والسّجّد والاشباح المثاليّة ذوات الاجنحة كلّها سماوات، والارض اسم لما فيه تسفّل وقبول عن الغير فالارض الغبراء وعالم الطّبع بسمائها وارضها والاشباح الظّلمانيّة يعنى عالم الجنّة والشّياطين بل الاشباح النّوريّة كلّها ارض بالنّسبة الى عالم الارواح لتسفّلها وتأثّرها عنه ، والمادّة الاولى المسمّاة بالهيولى والثّانية المسمّاة بالجسم والثّالثة المسمّاة بالعنصر والرّابعة المسمّاة بالجماد والخامسة المسمّاة بالنّبات والسّادسة المسمّاة بالحيوان والسّابعة المسمّاة بالبشر كلّها اراضٍ بالنّسبة الى الصّور والنّفوس وكلّها طبقات متراكمة ودركات متلاحمة فى وجود الانسان ، و الارض الغبراء ارض بالنّسبة الى الافلاك و دركات العالم الظّلمانىّ السّفلىّ الّذى فيه الجنّة و الشّياطين ودركات الجحيم ودار المعذّبين اراضٍ بالنّسبة الى عالم المثال، ومن الارض مثلهنّ اشارة الى ماذكر من مراتب العالم السّفلىّ او مراتب الموادّ و قد اطلق فى الاخبار السّماء والارض على غير ما ذكر من الصّفات و الاخلاق وطبقات السّماء باعتبار محيطيّتها ومحاطيّتها والكلّ راجع الى ما ذكر لهما من المفهوم وقد قيل بالفارسيّة :

آسمانهاست در ولايت جان　　كارفرماى آسمان جهان

و فی الاخبار ما یدلّ علی تعدّد السّماوات فی عالم الارواح ولتقدّم السّماوات شرفاً ووجوداً ورتبةً وعلیّةً من حیث النّزول قدّمها علی الارض ، وجمع السّماوات وافراد الارض ههنا وفی اکثر الآیات للاشارة الی کثرة السّماوات وقلّة الارض وانّ الارض مع تعدّدها وکثرتها من حیث محاطیّتها امر واحد وانّ طبقاتها متراکمة بحیث انّ الدّانیة فانیة فی العالیة ومتّحدة معها ، ولیست السّماوات کذلک فانّها کثیرة محیطة مستقلّة غیر متراکمة، بین کلّ سماء وسماء مسافة بعیدة ، والنّور اسم للظّاهر بذاته والمظهر لغیره وهذا المعنی حقیقةً حقّ حقیقة الوجود الّتی هی حقیقة الحقّ الاوّل تعالی شأنه، فانّه ظاهر بذاته من غیر علّة وفاعل یظهره ومظهر لغیره من الانوار الحقیقیّة و العرضیّة و ظلمات المهیّات و الحدود و نقائص الاعدام وظلسمات عالم الطّبع و عالم الجنّة و الشّیاطین فالحقّ الاوّل تعالی احد مصادیق النّور و المقصود ههنا غیره تعالی لتعلّق الجعل به ولیس الاوّل تعالی مجعولاً و الاولی بالنّوریّة بعد الحقّ الاوّل تعالی الحقّ المضاف الّذی هو فعل الاوّل تعالی وکلمته واضافته الاشراقیّة والحقیقة المحمّدیّة (ص) والمشیّة الّتی خلق الاشیاء بها وهو ایضاً حقیقة واحدة بوحدة الحقّ الاوّل وهوظهوره و تجلّیه الفعلیّ واسمه الاعظم وهوتجلّیه تعالی علی الاشیاء . ولمّا کان الحقّ المضاف لابشرطٍ والّا بشرط یجتمع مع الف شرطٍ کان متّحداً مع الاشیاء الّتی ظهرهو فیها ومقوّماً لها ومعها ولیست الاشیاء سواها و الحقّ الاوّل من حیث فاعلیّته هوالحقّ المضاف، فانّ الفاعلیّة هی نفس الفعل ولولا الفعل لماکان الفاعلیّة والفعل بوحدته عین المنفعلات من حیث انّها منفعلات فصحّ ما قیل انّ بسیط الحقیقة کلّ الاشیاء یعنی من حیث الفعل وصحّ ماتنسب الی الفتوحات وهوقوله: سبحان من اظهر الاشیاء وهوعینها، یعنی بحسب الفعل ومثال ذلک النّفس حیث انّها بوحدتها کلّ القوی فانّها فی البصر عین البصر ، وفی السّمع عین السّمع ، و هکذا فی غیرها و مع ذلک ما انثلم وحدتها و ما تنزّلت عن مرتبتها العالیة الغیبیّة ولولا هذا الاتّحاد والعینیّة لما صحّ نسبة فعل القوی الیها حقیقةً کما انّه لولا عینیّة الحقّ الاوّل مع الاشیاء لما صح نسبة افعالها الیه حقیقة وکان قول القدریّة صحیحاً وقول الثّنویّة حقّاً ، وهذا النّور حقیقة واحدة ظلّیّة مضیئةٌ لسطوح المهیّات و الحدود و الکثرة المتراتاة انّما هی بعرض المهیّات ولا ینثلم بها وحدتها الذّاتیّة کما انّ النّور العرضیّ الشّمسیّ حقیقة واحدة وتکثّره بتکثّر السّطوح لاینثلم به وحدته ، والظّلمة عبارة عن عدم النّور فهی خافیة فی نفسها مخفیة لغیرها وهذا شأن المهیّات والحدود والاعدام الّتی نشأت من تنزّل الوجود وضعفه، وکلّما زاد التنزّل والضّعف ازدادت الحدود والمهیّات والخفاء والاخفاء حتّی اذا وصل الی عالم الطّبع الّذی اختفی فیه صفات الوجود، وقد علمت انّ الکثرة بالذّات للحدود وبالحدود یتمیّز الوجود کما انّ بالسّطوح تمیّز النّور العرضیّ ولولاها لماظهر ، ولذلک قدّم الظّلمات مجموعاً واخّر النّور مفرداً عکس الاوّل فقال تعالی [وَجَعَلَ الظُّلُمٰاتِ وَالنُّورَ] و لمّا کان الدّهریّة و الطّبیعیّة و القائلون بالبخت و الاتّفاق و القائلون بالاجزاء الّتی لا تتجزّی وغیرهم من الفرق الملحدة قائلین بقدم العالم بصورته ومادّته اوبمادّته فقط کانت الفقرة الاولی منعاً لدعویهم ، ولمّا کان اکثر الثّنویّة قائلین بقدم النّور والظّلمة وانّها مبدءان للعالم وقد مضی وجه مغالطتهم فی اوّل سورة النّساء عند قوله انّما التّوبة علی الله للّذین یعملون السّوء بجهالة، کانت الفقرة الثّانیة منعاً لدعویهم [ثُمَّ الَّذِینَ کَفَرُوا بِرَبِّهِمْ یَعْدِلُونَ] فیه معنی التّعجّب، وتخلّل ثمّ للاشارة الی استبعاد التّسویة مع کونه خالقاً للسّماوات والارض والظّلمات والنّور، ولمّا کان الایمان به ینفتح باب القلب وبانفتاحه یوقن بالله وصفاته و ملائکته وکتبه ورسله ، و بدون ذلک الانفتاح لا یمکن الایمان بالله و لذا اختصّ الایمان بمن بایع علیّاً (ع)

و خلفائه و دخل البيعة في قلبه ما به ينفتح بابه الى الملكوت كان الكفر هو ستر باب القلب وعدم انفتاحه بتلك البيعة فالكافر من لم يبايع علياً (ع) بالبيعة الخاصّة الولويّة ، ولذلك فسّر الكفر في اكثر الآيات بالكفر بالولاية و الكفر بعليّ (ع) والرّبّ المضاف كما ورد عنهم في تفسير و كان الكافر على ربّه ظهيراً هو الرّبّ في الولاية والرّبّ المطلق هو ربّ الارباب ، والوجه في ذلك انّ الولاية هي اضافة الله الاشراقيّة الى الخلق فمعنى الآية بحسب المقصود ثمّ الّذين كفروا بعليّ (ع) بستر وجه القلب بترك بيعة عليّ (ع) وعدم دخول الايمان في قلوبهم بعليّ (ع) يسوّون سائر افراد البشر ويمكن تعلّق بربّهم بكفروا وكون يعدلون بمعنى يسوّون او بمعنى يخرجون من الحقّ وبحسب التّنزيل ثمّ الّذين كفروا بالله بترك بيعة محمّد (ص) وعدم قبول الاسلام اوثمّ الّذين كفروا بالله بترك الاقرار بالله او بوحدانيّته بربّهم الّذى هو ربّ الارباب يسوّون الاصنام ، وهذه الفقرة ردّ بحسب الظّاهر على مشركي العرب وغيرهم من عابدى الوثن والعجل وغيرهما ، وبحسب التّأويل ردّ على كلّ من انحرف عن الولاية [هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ] باعتبار مادّتكم الاولى منع لمن ادّعى الالهيّة لنفسه اولغيره من افراد البشر [ثُمَّ قَضَى أَجَلاً] اى حتم اجلاً لا تخلّف عنه [وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ] لايطلع عليه احداً من ملائكته و رسله فانّه علم استأثره لنفسه يقدّم منه مايشاء ويؤخّر مايشاء ، وامّا العلم الّذى يطلع عليه ملائكته ورسله فانّه محتوم لايكذب ملائكته ورسله والبداء والمحو والاثبات في ذلك الاجل المسمّى عنده ، وتحقيق مسئلة البداء والمحو والاثبات والحكمة المودعة فيه من التّرغيب في الصّلات والدّعوات والتضرّعات والصّدقات وسائر العبادات ، و سرّ استجابة الدّعوات مع عدم تأثّر العالى عن الدّانى موكول الى محلّ آخر من هذا الكتاب [ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ] فيه معنى التّعجّب واستبعاد الامتراء بالنّسبة الى الخالق [وَهُوَ اللهُ فِي السَّمٰوٰاتِ وَفِي الْأَرْضِ] اعلم ، انّ الله فيه معنى الآلهة والتّصرّف بل جميع الاضافات الممكنة من الخالق بالنّسبة الى المخلوق فانّه الاسم الجامع وامام ائمّة الاسماء فاعتبر فيه معنى الوصف ولذلك جاز تعلّق الظّرف به ، وبيان اعراب الآية انّ لفظ هو مبتدء والله بدله او خبره و في السّماوات ظرف لغو متعلّق بالله او بيعلم اوظرف مستقرّ خبر او خبر بعد خبر اوحال ، ويعلم الاتى خبر اوخبر بعد خبر اوحال اومستأنف ، وجملة هو الله عطف على جملة هو الّذى خلقكم اوحال وبعد ما علم معنى معيّته تعالى وقيّوميّته واحاطته بالاشياء يظهر معنى كونه آلهاً في السّماء وفي الارض ، وهذا ردّ على من اشرك معه غيره كبعض الثّنويّة القائل بانّ اهرمن او الظّلمة مخلوق الله لكنّه شريك له في الايجاد والشّرور كلّها منسوبة اليه ، وكجمهور الهنود القائلين بانّ الامور موكولة الى الملائكة ويسمّونهم باسماء ، وكبعض الصّابئين القائل بانّ الكواكب مخلوقة لله لكنّها مدبّرة للعالم دون الله ، وكبعض المشركين القائل بانّ العجل والوثن (وغيرهما) شفعاء عند الله ولها التّدبير والتّصرّف [يَعْلَمُ سِرَّكُمْ] من السّجايا والنّيّات والعقائد وجملة المكمونات الّتى لم تظهر بعد في وجودكم ولم تشعروا بها [وَجَهْرَكُمْ] من الاقوال والاحوال والالوان والاشكال والنّسب والاموال [وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ] لانفسكم من تبعة اعمالكم الّتى تعملونها بجوارحكم تقرير لآلهيّته و وعدو وعيد للمحسن و المسيء منهم [وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ] عطف على يعلم سرّكم على ان يكون مستأنفاً اوحالاً اوهو حال ابتداء كأنّه قيل : ماحاله مع الخلق ؟ـ وماحال الخلق معه ؟ـ اوعطف على انتم تمترون وعلى اىّ تقدير ففيه التفات من الخطاب الى الغيبة ، واعظم الآيات امير المؤمنين (ع) والمقصود من الآيات ههنا

اعمّ من الآيات التكوينيّة والتدوينيّة والآفاقيّة والانفسيّة [إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ] الّذى هو اعظم آياته و هو الولاية كما سبق و تكذيبهم للحقّ لتمرّنهم على تكذيب مطلق الآيات [لَمَّا جَاءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِؤُنَ] من الولاية [أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ] فاتّكلوا على حياتهم الدّاثرة الفانية واستبدّوا بآرائهم الكاسدة وأعرضوا عن آياتنا، والقرن برهة كثيرة من الزّمان اوهو مدّة عشرة اوعشرين اوثلاثين اواربعين اوخمسين اوستّين اوسبعين اوثمانين سنة، أومائة اومائة وعشرين سنة، اواهل زمان واحد اوامّة بعدامّة، اوكلّ امّة هلكت فلم يبق منهم احد [مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ] بالصّحّة والقوّة فى الاجسام والسّعة فى الاموال والاولاد [مَا لَمْ نُمَكِّنْ لَكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ] اى المطر والسّحاب [عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ] يعنى هيّئنالهم اسباب التّرفه والسّعة والتّنزّه علاوة على تمكينهم فى الارض [فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ] يعنى ما صار تمكّنهم حافظاً لهم عن بأسنا ولا امداد نالهم و استدراجنا ايّاهم [وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ] تهديد بليغ لهم [وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ] مكتفين بالرّؤية لئلّا يقولوا سكّرت ابصارنا [لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا] بالله اوبك [إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ] لنهاية عتوّهم وتمرّنهم على الجحود [وَقَالُوا] عناداً ولجاجاً [لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ] ان كان رسولاً [وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكًا لَقُضِيَ الْأَمْرُ] امر حيوتهم اوالامر بقبض ارواحهم يعنى انّهم ضعفاء الابصار ليس لهم قوّة الجمع بين الطّرفين ، والملك لا يدركه الّا بصيرة باطنة اخرويّة لا البصر الظّاهر الدّنيوىّ فلوانزلنا ملكاً حتّى يروه لا نسلخوا من ظواهرهم البشريّة ولا نقلب الدّنيا آخرة و الحيوة مماة فلقصورهم و ضعفهم لم نترّل ملكاً بحيث يرونه ، ولاينا فى هذا نزول الملك على الرّسل (ع) لجمعهم بين الدّنيا و الآخرة كما مضى تحقيقه وكيفيّة مشاهدة الملك فى المنام و اليقظة للرّسل وسماع قوله للانبياء و المحدّثين عند قوله و اثمهما اكبر من نفعهما من سورة البقرة [ثُمَّ لَا يُنْظَرُونَ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا] جوابٌ ثان اوجواب لاقتراح ثان فانّهم تارة قالوا: لولا انزل عليه ملك ، وتارة قالوا: لواراد الله ان يبعث الينا رسولاً لانزل ملكاً [وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبِسُونَ] يعنى لوانزلنا ملكاً امّا جعلناه بصورة ملك ولم يقووا على ادراكه ، اوجعلناه بصورة رجل ولو جعلناه بصورة رجل لا وقعنا عليهم الالتباس و الامتراء حتّى يقولوا فيه ما قالوا فى الرّسول البشرىّ، فالآية اشارة الى قياس استثنائىّ منفصل التّالى مرفوعة بكلاشقّيه ان كانت جواباً بكلاشقّيه لسؤال واحد، اواشارة الى قياسين استثنائيّين ان كانت جوابين لسؤالين منهم [وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ] تسلية له (ص) [فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِؤُنَ] يعنى احاط بهم العذاب الّذى كانوا به يستهزؤن ، اووبال القوى الّذى كانوا بسببه يستهزؤن [قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ] اى سيروا فى الارض الظّاهرة باقدامكم وفى ارض القرآن وتواريخ الامم الماضية بابصاركم، وفى ارض العالم الصّغير ببصائركم [ثُمَّ انْظُرُوا] اى تفكّروا، وتخليل ثمّ لانّ التّفكّر هوترتيب المقدّمات والانتقال منها الى النّتائج وبالسّير يحصل المقدّمات وبعد حصول المقدّمات يمكن التّفكّر [كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ] بالرّسل (ع) فى شأن أنفسهم او فى شأن اوصيائهم

اوعاقبة المكذّبين بأوصيائهم [قُلْ] للمكذّبين و المقترحين [لِمَنْ مَافِي السَّمٰوٰاتِ وَالْاَرْضِ] الزاماً لهم على الاقرار حتّى يتنبّهوا ان ليس لهم الاقتراح على المالك وانّه يفعل مايشاء ويرسل من يشاء [قُلْ] انت من قبلهم ولاتنتظر جوابهم فانّه لاجواب لهم سواه [لِلّٰهِ كَتَبَ عَلٰى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ] فبرحمته لا يهملكم و يرسل اليكم الرّسل ويرغّبكم فى طاعته ويحذّركم من مخالفته و يمهلكم فى معصيته [لَيَجْمَعَنَّكُمْ] قرناً بعد قرنٍ الجملة الاولى و هذه امّا جزء مقول القول او استيناف من الله ، ويحتمل ان يكون هذه مستأنفة و الاولى مقولة القول ، ويحتمل ان يكون هذه بدلاً من الرّحمة لجواز تعلّق الكتب بالجملة [إِلٰى يَوْمِ الْقِيٰمَةِ لَارَيْبَ فِيهِ] قد مضى نظيره [اَلَّذِينَ خَسِرُوا اَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَايُؤْمِنُونَ] مستأنف لاستدراك ما يتوهّم من انّه لاينبغى لاحدٍ ان يبقى على الكفر بعد وضوح الامر كأنّه قال لكنّ الّذين خسروا انفسهم لايؤمنون ، ودخول الفاء فى الخبر وتخلّل الضّمير للدّلالة على السّببيّة والحصر والتّأكيد ، وقيل موضع الّذين نصب على الذّمّ اورفع على الخبريّة اى انتم الّذين خسروا انفسهم [وَلَهُ مَاسَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهٰارِ] هذا ايضاً يحتمل كونه مقولاً للقول و مستأنفاً يعنى قل لهم بعد ماقلت انّ له ماسكن فى الامكنة له ماسكن فى الازمنة، وسكن من السّكنى اوالسّكون ، ولمّا كان التّجدّد والانطباق على الزّمان من خواصّ الطّبيعيّات الّتى هى المتحيّزات كان ماسكن فى اللّيل والنّهار يعنى ما دخل تحت الزّمان بعينه هوماسكن فى السّماوات والارض اى ماانطبق على المكان وان عمّم السّماوات والارض بين مطلق الارواح والاشباح فاللّيل والنّهار يعمّان، ولمّا كان مملوكيّة الاشياء له مهتمّاً بها اكّد الاوّل بالثّانى بتغيير العبارة ليتمكّن فى نفوسهم [وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ] لا سمع الّا بسمعه ولا علم الّا بعلمه/[قُلْ اَغَيْرَ اللّٰهِ اَتَّخِذُ وَلِيّاً] بعد انّه مالك الكلّ [فَاطِرِ السَّمٰوٰاتِ وَالْاَرْضِ] التّوصيف به للاشعار بالعلّة [وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَايُطْعَمُ] علّة اخرى للحكم [قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ اَنْ اَكُونَ اَوَّلَ مَنْ اَسْلَمَ] لايسبقنى احد فى ظاهر الاسلام ولا فى باطنه لانّى امرت تكويناً و تكليفاً ان اكون خاتم الرّسل و سابق الكلّ [وَ] قيل لى [لَاتَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ] اوهوعطف على قل [قُلْ إِنِّي اَخٰافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذٰابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ] تعريض بهم فانّه ابلغ فى الانصاف والمقصود قطع اطماعهم عن اضلاله ، عن الصّادق(ع) ما ترك رسول الله(ص) انّى اخاف ان عصيت ربّى عذاب يوم عظيم، حتّى نزلت سورة الفتح فلم يعد الى ذلك الكلام [مَنْ يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُ] عن النّبىّ(ص) والّذى نفسى بيده ما من النّاس احد يدخل الجنّة بعمله، قالوا ولاانت يارسول الله؟ـ قال(ص): ولا انا الّا ان تغمدّنى الله برحمة منه وفضل [وَذٰلِكَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ] مقول القول اومستأنف من الله /[وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللّٰهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ] عطف على قوله من يصرف (الى آخره) كأنّه قال ان يصرف الله العذاب عنك يؤمئذ فقد رحمك [وَإِنْ يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلٰى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ] من اقامة السّبب مقام الجزاء يعنى فلامانع له [وَهُوَ الْقٰاهِرُ فَوْقَ عِبٰادِهِ] كيفيّة قهره للعباد بفناء الكلّ تحت سطوته يستفاد ممّامضى [وَهُوَ الْحَكِيمُ] فى فعاله لايفعل مايفعل الّا بحكمة [الْخَبِيرُ] بما يقتضى اختلاف التّدبير وانواع التّصرّف فيهم [قُلْ اَيُّ شَيْءٍ اَكْبَرُ شَهٰادَةً] توطئة لاشهادالله يعنى انّهم يقرّون بأنّ الله أعظم وأصدق من كلّ شهيد فنبّههم

على ذلك ثمّ قال [قُلِ اللّٰهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ] ويحتمل ان يكون الله مبتدءً محذوف الخبر جواباً من قبلهم وشهيداً خبراً محذوف المبتدأ مستأنفاً لبيان المقصود [وَأُوحِيَ إِلَيَّ هٰذَا الْقُرْاٰنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ] في ايّ مكان كان وفي ايّ زمان الى يوم القيامة يعني لانذركم وانذرمن بلغه القرآن اومن صار بالغاً مبلغ الرّجال و روى انّ من بلغ معطوف على المستتر في انذركم وترك التأكيد بالضّمير المنفصل للفصل والمعنى لانذركم اناومن بلغ من آل محمّد(ص) ان يكون اماماً كقوله تعالى، وقل هذه سبيلي ادعوا الى الله على بصيرة انا ومن اتّبعني [أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللّٰهِ اٰلِهَةً أُخْرٰى قُلْ لَا أَشْهَدُ قُلْ] بعد ماوبّخهم على شهادتهم انّ مع الله آلهةً اخرى [إِنَّمَا هُوَ إِلٰهٌ وٰاحِدٌ وَ إِنَّنِي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ الَّذِينَ اٰتَيْنٰاهُمُ الْكِتٰابَ] من اليهود و النّصارى [يَعْرِفُونَهُ] اى رسول الله(ص) بماذكر لهم في كتبهم من اوصافه والّذين آتيناهم الكتاب من امّة محمّد(ص) يعرفون محمّداً(ص) بالصّدق في امر الولاية اويعرفون علياً(ع) بما شاهدوا منه من فضله وعلمه وصدقه وامانته [كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنٰاءَهُمْ] مبالغة في اثبات معرفتهم [اَلَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ] استيناف جواب لسؤال مقدّر اواستدراك توهّم متصوّر كأنّه قيل افامنوا به اوتوهّم انّه مابقي منهم كافر وتكرار الموصول لانّ كلّا جوابٌ او استدراك لما نشأ من امر غير منشأ الآخر ، و يحتمل كون الثّاني بدلاً او مفعولاً لمحذوف اوخبراً لمبتدء [وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرٰى عَلَى اللّٰهِ كَذِباً] بادّعاء خلافة الله لنفسه او بنسبة ماقاسه برأيه الى الله ، اوبتوهّم انّ الرّسوم والعادات من الله ، اوبادّعاء النّيابة من الامام من غير اذن واجازة غفلة عن انّ النّيابة من الامام شفاعة عندالله للخلق ولاتكون الّا باذن الله ، اوبكتابة كتاب النّبوّة بأيديهم ونسبته الى الله ، اوبكتب صورة القرآن بأيديهم ونسبته الى الله [أَوْ كَذَّبَ بِاٰيٰاتِهِ] التّدوينيّة والتّكوينيّة الآفاقيّة والانفسيّة واعظم الكلّ بل اصل الكلّ وحقيقته الانسان الكامل والاصل فيه علي(ع) امير المؤمنين ، ولفظ اوههنا لمنع الخلوّ فانّ اكثرهم جامعون بين الوصفين مع انّه لو لم يكن لهم الّا واحد منهما كفى [إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظّٰالِمُونَ] كأنّه قيل: فما حال الظّالم حتّى يكون من هواظلم اشدّ فيها؟ فقال جواباً : انّه لايفلح الظّالمون ولذا اكّده استحساناً [وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعاً] واذكر اوذكّرهم [ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا] بالله في الآلهة اواشركوا بولاية علي(ع) ولاية غيره كذا ورد عنهم (ع) ههنا وفي اكثر موارد ذكر الشّرك والكفر ، والسّرّ في ذلك كما سبق مراراً انّ معرفة الله وصفاته و الايمان به لمّا كان موقوفاً على فتح باب القلب وفتحه يتوقّف على الولاية و البيعة الولويّة الّتي هي الايمان وبها يدخل الايمان في القلب وينفتح بابه ، ولذاورد بناعرف الله، ومعرفة الله ان تعرف امام زمانك وغير ذلك بطريق الحصر كان الكفر والشّرك هوعدم فتح باب القلب اوعدم معرفة الامام اوالكفر والاشراك بالامام و الكفر بالرّسالة يكون كفراً على كفر [أَيْنَ شُرَكَاؤُكُمُ] من اصنامكم و غيرها الّتي جعلتموها بالمواضعة شركاء لله ويقال هذا تهكّماً بهم [اَلَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ] انّهم شركاء لله اوشركاء لعلي(ع) [ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ] اى عذرهم للخلاص كما في الخبر من : فتنت الذّهب اذا اخلصته [إِلَّا أَنْ قٰالُوا وَاللّٰهِ رَبِّنٰا مٰا كُنّٰا مُشْرِكِينَ] يحلفون على كذبهم لله كما كانوا يحلفون في الدّنيا للنّاس [اُنْظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلٰى أَنْفُسِهِمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مٰا كٰانُوا يَفْتَرُونَ] من آلهتهم اومن شركائهم في الولاية، مضيّ الفعلين لتحقّق وقوعهما كأنّهما

وقعا سواء كان الخطاب عامّاً اوخاصّاً اوبالنّظر الى المخاطب المخصوص اعنى محمّداً(ص) فانّه ينظرويرى ما لم يجيء فى سلسلة الزّمان [وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ] حين تتلو عليهم آيات الكتاب اومناقب وصيّك [وَجَعَلْنا عَلى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً] جمع الكنان وهو ما يستر الشّيء كراهة [أَنْ يَفْقَهُوهُ] اولئلا يفقهوه [وَفِي آذانِهِمْ] اى اذان قلوبهم [وَقْراً] كراهة ان يسمعوه فان تتل عليهم كلّ آية فى رسالتك اوخلافة وصيّك لايسمعوا [وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ] من آياتنا العظمى و معجزاتك [لا يُؤْمِنُوا بِها] بسبب ازدياد قسوتهم وعنادهم فكيف يؤمنون بك او بوصيّك و ازدادت قسوتهم [حَتّى إِذا جاؤُكَ يُجادِلُونَكَ] فى نبوّتك او خلافة وصيّك [يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا] بك اوبوصيّك [إِنْ هذا] القول الّذى تسميّه قول الله او ان هذا الّذى تقوله فى ابن عمّك [إِلّا أَساطِيرُ الْأَوَّلِينَ] جمع اسطار جمع سطر اوجمع اسطورة كناية عن اسمارهم وخرافاتهم [وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ] عن هذا اوعنك بطريق الالتفات اوعن علىّ (ع) بطريق التّورية [وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ] يعنى يمنعون النّاس عنه ويتباعدون عنه [وَإِنْ يُهْلِكُونَ إِلّا أَنْفُسَهُمْ] بالتّباعد عنه [وَما يَشْعُرُونَ وَلَوْ تَرى إِذْ وُقِفُوا عَلَى النّارِ] قرئ ببناء المفعول والفاعل من وقف اذا قام اواقام اواطّلع يعنى لوترى اذ اقيموا اواطّلعوا على النّار لرأيت عجيباً فظيعاً بحذف الجواب [فَقالُوا يا لَيْتَنا نُرَدُّ وَلا نُكَذِّبَ بِآياتِ رَبِّنا] لمارأوا من مقامك اومقام اوصيائك [وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ] بمحمّد (ص) او بأمير المؤمنين (ع) وهذا الكلام والتّمنّى منهم يكون لدهشة الخوف لالقائد التّشوق والّا لخلصوا وماأجيبوا بكلّا وانّها كلمة هو قائلها وامثال ذلك كما فى قوله تعالى كلمااراد وا ان يخرجوا منها من غمّ اعيدوا فيها يعنى ان كانوا يريدون الخروج منها من شوق لم يعيدوا فيها وقوله تعالى [بَلْ بَدا لَهُمْ ما كانُوا يُخْفُونَ مِنْ قَبْلُ] دليل عليه فانّ المعنى ما حصل لهم حبّ وشوق الى علىّ (ع) لانّ فطرتهم فطرة البغض له بل بدالهم وبال نفاقهم فخافوا غاية الخوف فتمنّوا الخلاص من الخوف لاالوصال من التّشوق [وَلَوْ رُدُّوا لَعادُوا لِما نُهُوا عَنْهُ] لانّه ذاتىّ والذّاتىّ لايتخلّف بل قديختفى بعارض فاذازال العارض ظهر [وَإِنَّهُمْ لَكاذِبُونَ] فى ما يقولون من انّهم ان ردّوا لايكذبوا ويؤمنوا لما عرفت انّه ليس هذا التّمنّى من شوق ذاتىّ بل من امر عرضىّ يزول بزواله [وَقالُوا] عطف على عادوا او عطف على يقول الّذين كفروا والاختلاف بالمضىّ للاشارة الى انّ ذلك قولهم قديماً وجديداً ، اواستيناف لذمّ اخروبيان عقوبة اخرى وهو انسب بمابعده من قوله ولوترى اذوقفوا على ربّهم يعنى تكذيبهم بالبعث يقتضى احضارهم عندالله بأفضح حال وتكذيبهم بالآيات يقتضى دخولهم فى النّار بأشدّ عذاب [إِنْ هِيَ إِلّا حَياتُنَا الدُّنْيا وَما نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ وَلَوْ تَرى إِذْ وُقِفُوا عَلى رَبِّهِمْ] كما يوقف العبد الجانى على مولاه للمؤاخذة و الرّبّ المضاف هو ربّهم فى الولاية وهو امير المؤمنين(ع) وقد قال فى بعض كلامه(ع) : و اياب الخلق الىّ و حسابهم علىّ ، و قد مضى فى مطاوى ما سبق بيان عدم تجاوز الخلق عن المشيّة الّتى هى الولاية وانّها مبدء الكلّ ومنتهاه [قالَ أَلَيْسَ هذا بِالْحَقِّ] تعييراً لهم على تكذيب البعث [قالُوا بَلى وَرَبِّنا] لظهوره ولذا اكّدوا الجواب بالقسم تأكيداً للازم الحكم الّذى هو علمهم بالحكم [قالَ فَذُوقُوا الْعَذابَ بِما كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ] بربّكم الّذى هو علىّ (ع)

[قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللهِ] فی مظاهره الولویّة فانّ لقاءه تعالی اضافة بینه وبین عبده وحقیقة اضافاته تعالی هی اضافته الاشراقیّة الّتی هی الولایة المطلقة وهی علیّ (ع) بعلویّته [حَتَّىٰ إِذَا جَاءَتْهُمُ السَّاعَةُ] ساعة الموت اوساعة القیامة او ظهور القائم(ع) یعنی ظهور الامام عند حضور السّاعة و قد فسّرت فی الاخبار بکلّ والکلّ راجع الی معنی واحد والتّفاوت اعتباریّ [بَغْتَةً] ولقوا الله بظهور علیّ (ع) او ظهور القائم (ع) [قَالُوا يَا حَسْرَتَنَا] جیئي فهذا او ان حضورك [عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا] وقصّرنا [فِيهَا] فی السّاعة ولقاء الرّبّ عندها [وَهُمْ] حینئذٍ [يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ] اثقالهم الّتی کسبوها فی الدّنیا [عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ] لانّه لایزرالیوم وازرٌ وزرآخر [أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ] لایلیق بالحکیم ان یجعل مثلهاغایةً لفعله، واللّعب ماکان لهغایة خیالیّة، واللّهو مالم یکن له غایة، وهوعطف علی قالوا ان هی الّا حیوتنا الدّنیا، اوعلی الیس هذا بالحقّ، اوعلی بلی وربّنا، اوعلی فذوقوا العذاب، اوعلی قدخسر الّذین کذّبوا، اوعلی یاحسرتنا، اوعلی هم یحملون اوزارهم، اوحال متعلّق بواحدة من الجمل السّابقة [وَلَلدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ] وامّا الّذین لایتّقون فهی اشدّ دارلهم عذاباً [أَفَلَا تَعْقِلُونَ] انّه لایلیق بالحکیم جعل الاولی غایة ویلیق به جعل الثّانیة غایة فاطلبوها [قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ] فی حقّك بانّه ساحر او مجنون او غیر ذلك اوفی حقّ خلیفتك بان لایردّوا هذاالامر الیه وهواستیناف وتسلیة للرّسول (ص) ولاینبغی لك ان تتحزّن [فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ] من حیث انّك بشر مثلهم فقد لبثت فیهم وماقالوا فیك الّا خیراً وکنت معروفاً فیهم بالصّدق والامانة حتّی لُقّبتَ بمحمّد الامین [وَلَٰكِنَّ الظَّالِمِينَ] لانفسهم بتکذیب الآخرة ولقاء ربّهم [بِآيَاتِ اللهِ يَجْحَدُونَ] یعنی انّك بعد ماصرت رسولاً وآیةً لناکذّبوك من هذه الحیثیّة ویرجع التّکذیب من هذه الحیثیّة الی الله لا الیك، اوانّهم لایکذّبونك من حیث انت رسول من الله ولکنّهم یکذّبون علیّاً (ع) وتکذیبك فیما قلت فی حقّه راجع الی تکذیب علیّ (ع)، وقریٔ لایکذبونك من: اکذبه اذوجده کاذباً، اونسبه الی الکذب اوصیّره کاذباً، ای لایجدونك کاذباً اولایأتون بامر یجعل صدقك کذباً، هکذاروی عنهم [وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّىٰ أَتَاهُمْ نَصْرُنَا] فتأسّ بهم واصبر ولاتحزن [وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللهِ] عطف باعتبار المعنی اوجملة حالیّة کأنّه قال: لامانع من نصر الله ولامبدّل لکلمات الله ای مواعیده وآیاته العظمی من الرّسل واوصیائهم (ع)، اوآیاته القهریّة من مظاهر الشّرور فانّه لایقدر احد علی تبدیلهم عمّاهم علیه [وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبَإِ الْمُرْسَلِينَ] و اقوامهم و انّ الغلبة بالاخرة لهم علی اقوامهم لا لاقوامهم علیهم [وَإِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ] عنك اوعن علیّ (ع) [فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِيَ نَفَقًا] جحراً او منفذاً [فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُمْ بِآيَةٍ] من تحت الارض او من السّماء وجوابه محذوف ای فافعل والمقصود التّعریض بمنافقی امّته والعتاب لهم واظهار انّه (ص) محزون علی تولّی القوم عنه وعن علیّ (ع)، اوالمقصود التّعریض بمن هوحریص علی اتیان الآیة للمقترحین من موافقی امّته [وَلَوْ شَاءَ اللهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى

الْهُدٰى] يعنى انّ هداهم وضلالهم بمشيّة الله وماكان بمشيّةالله فالرّضا به اولى من الحزن عليه [فَلَاتَكُونَنَّ مِنَ الْجٰاهِلِينَ] انّ الكلّ بمشيّة الله ولمّا توهّم من هذا انّهم مجبورون فىافعالهم ولادخل لهم فى ضلالهم و هديهم رفع ذلك بانّ استعدادهم و استحقاقهم يقتضى تلك المشيّة فقال تعالى [إِنَّمٰا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ] يعنى الّذين يستعدّون للقبول فبقدر سببيّة القابل فى الفعل لهم سببيّة فى ضلالهم و هديهم و لمّا توهّم من انّ المستعدّ يجيب و غير المستعدّ لا يجيب انّه لا ينبغى لغير المستعدّ دعوة ولا امر ولا نهى ولا يلزم عليه ذمّ ولوم فأجاب عنه وقال [وَالْمَوْتٰى] الّذين لا استعداد لهم و المتوقّفون فى مراقد طبعهم اذا جاهدوا [يَبْعَثُهُمُ اللّٰهُ] من مراقد طبعهم [ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ] فيسمعون بعد التّوجّه اليه ويجيبون بعد السّماع ليس الموت للموتى حتماً ولا الحيوة للاحياء حتماً [وَقٰالُوا لَوْلٰا نُزِّلَ عَلَيْهِ اٰيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّ اللّٰهَ قٰادِرٌ عَلٰى أَنْ يُنَزِّلَ اٰيَةً وَلٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لٰا يَعْلَمُونَ] ولايشعرون قدرةالله على ذلك ولايشعرون الآيات وانّ الله اجلّ من ان يقترح عليه شيءٌ و عدم علمهم لكونهم موتى [وَمٰا مِنْ دٰابَّةٍ فِي الْأَرْضِ] توصيفه بوصف الجنس وكذا ما بعده للاشارة الى ارادة الجنس [وَلٰا طٰائِرٍ يَطِيرُ بِجَنٰاحَيْهِ إِلّٰا أُمَمٌ أَمْثٰالُكُمْ] مخلوق مرزوق مدبّر والتّناسخيّة يتوسّلون بامثال هذا فى رواج مذهبهم و المقصود ذمّهم على عدم العلم و انّ الحيوانات العُجم مثلكم فى كلّ جهة وتميزكم عنهابالعلم والاشتداد فيه فاذا لم تكونواتعلمون فلاتميز بينكم [مٰافَرَّطْنٰا فِي الْكِتٰابِ مِنْ شَيْءٍ] اى فى اللّوح المحفوظ الّذى هذا القرآن صورته التّامّة فما فرّط فيه ايضاً من شيءٍ وسائرالكتب صورته النّاقصة ولذاكان مهيمناً علىالكلّ ناسخاً له ، وهومن فرّط الشّيء بمعنى ضيّعه واهمله لا من فرّط فى الشّيء بمعناه حتّى يكون فى الكتاب مفعوله ومن شيءٍ مفعولاً مطلقاً بل فى الكتاب ظرف و من شيءٍ مفعول به ، لانّ المقصود عدماهمال شيءٍ فىالكتاب بترك ثبته فيه وهويستفاد صريحاً اذاجعل من شيء مفعولاً به، واماّ اذا جعل مفعولاً مطلقاً فلايستفاد الّا التزاماً والمقصود انّاكمااحصيناكم فىالكتاب واحصينا ارزاقكم وآجالكم كذلك احصيناهم لافرق بينكم الّا بالعلم وعدمه [ثُمَّ إِلىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ] كما تحشرون [وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِاٰيٰاتِنٰا] عطف على محذوف اى فالّذين آمنوابآياتنا وصدّقوها خارجون من صمم الحيوانات وبكمها وظلماتها بامتيازهم بالعلم عنها، والّذين كذّبوا بآياتنا التّدوينيّة والتّكوينيّة الآفاقيّة وعليّ(ع) اعظمها والانفسيّة والعقل اعظمها و هو مظهر عليّ (ع) [صُمٌّ وَبُكْمٌ] مثل سائر الدّوابّ وليس الفرق بينهم الّا بالايمان والعلم [فِي الظُّلُمٰاتِ] زائداً على سائر الدّوابّ فانّها غير خارجة من انوار نفوسها الضّعيفة بخلاف الكافر بالولاية فانّه يخرج من نوره القويّ الّذى هو نورالنّفس الانسانيّة وهوجهة العلم و الايمان الى ظلمات الجهل السّاذج ثمّ ظلماتالجهل المركّب ثمّ ظلمات الاهوية الفاسدة ثمّ ظلمات الطّبع ثمّ استدراكتوهّم انّ فى ملكه ، ماليس بمشيّته بقوله تعالى [مَنْ يَشَإِ اللّٰهُ يُضْلِلْهُ] و يجعله اصمّ وابكم و فى الظّلمات [وَمَنْ يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلىٰ صِرٰاطٍ مُسْتَقِيمٍ] الصّراط المستقيم كما سبق هو طريق الولاية وطريق القلب الى الله و هوالولاية التّكوينيّة وصاحب الولاية طريق ايضاً بمراتبه المنتهية الى الله والاصل فى صاحبى الولاية عليّ(ع) وطريق القلب وطريق

الولاية وصاحب الولاية متّحدة والتغائر اعتباريّ فصحّ تفسير الطّريق المستقيم بالولاية وبعليّ(ع) كلّما وقع كما فسّروه لنا، فالمعنى من يشأ الله يضلله عن الولاية ومن يشأ يجعله على ولاية عليّ(ع) [قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ] هذه اللّفظة لكثرة استعمالها صارت كالمثل فلا يتغيّر الضّمير المرفوع بحسب حال المخاطب و قد يلحق صورة الضّمير المنصوب بها وقد لاتلحق واذا لحقت يلحظ فيها كثيراً حال المخاطب وهي حرف خطاب اوضمير نصب تأكيد للضّمير المرفوع اومفعول اوّل لرأيت و اذاكانت حرفاً للخطاب اوتأكيداً للضّمير المرفوع فمفعولا رأيت كانا محذوفين، اوجملة الشّرط والجزاء قائمة مقامهما معلّقاً عنها رأيت، اوجملة غير الله تدعون معلّقاً عنها واذاكانت مفعولاً اوّلاً فالمفعول الثّاني محذوف او هو جملة الشّرط و الجزاء اوجملة غير الله تدعون معلّقاً عنها العامل ولمّا كان الاستفهام استخباراً وكانت هذه الكلمة غير باقية على صورتها ومعناها الاصيلين صار المقصود الاستخبار من مضمون ما بعدها من غير نظر الى مضمون نفسها فكأنّه قال اخبروني [إِنْ أَتَيكُمْ عَذَابُ اللهِ] في الدّنيا اوالآخرة او المنظور منه عذاب الدّنيا فقط لاشعار السّاعة بعذاب الآخرة [أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ] فسّرت السّاعة بساعة الموت وساعة ظهور القائم عجّل الله فرجه وبساعة القيامة والكلّ صحيح اذا المقصود اتيان حالة لايثبت فيه الخيال ويفرّ الهوى والآمال وهذه الحالة تكون في كلّ من هذه [أَغَيْرَ اللهِ تَدْعُونَ] يعني لاتدعون في هذه الحال الّا الله المتعال لانّ كلّ ماسواه ممّا هو متشبّث الخيال ومعتمد الهوى والآمال ينسى ولايبقى في تلك الحالة الّا الفطرة الانسانيّة المفطورة على دعاء الله وجواب الشّرط محذوف او هو جملة اغير الله بحذف الفاء [إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ] في اشراك الاصنام اوالكواكب في الآلهة والجملة معترضة وجواب الشّرط محذوف والتّقدير ان كنتم صادقين فادعوا غير الله في تلك الحال [بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ] تصريح بمفهوم مخالفه قوله اغير الله تدعون [فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ] يعني ليس اجابتكم حتماً [وَتَنْسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ] يظنّ انّه كان المناسب ان يقدّم النّسيان لكنّه اخّر النّسيان وحذف مفعول تدعون للاشعار بانّ نسيان الشّركاء كان بمرتبة كأنّه نسي نسيانهم ايضاً ولم يكن نسيانهم في ذكر المتكلّم وكان اهتمامهم بكشف الضرّ بحيث لم يبق في نظرهم الله الّذي يدعونه اليه [وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ] تسلية للرّسول(ص) وتهديد للامّة [فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ] البأساء الدّاهية سواء كانت في الحرب او في غيرها [وَالضَّرَّاءِ] النّقص في الانفس والاموال، يعني في بدوارسالهم ليتكسّر سورة خيالهم وقوّة اهويتهم حتّى يقبلوهم بسهولة اوبعد تكذيبهم وشدّة تعاندهم حتّى يرجعوا ويتوبوا [لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ] ويلتجئون الى رسلهم، اعلم، انّ الانسان وقت الامن والصّحّة وسعة العيش خصوصاً حين تشبّب القوى الحيوانيّة يعدّ نفسه من اعزّ الخلق ولايعدّ غيره في شيء، ويظنّ انّه احسن الخلق رأياً ويفرّق نفسه على الاهوية والآمال، فاذا ابتلى ببلاء في نفسه اواهله اوماله انكسر سورة انانيّته وتضرّع الى ربّه والتجأ الى من يظنّ انّه من قبل ربّه، ولذلك كان تعالى اذا ارسل رسولاً الى قوم ابتلاهم ببليّة ليلتجؤا الى الرّسل ويقبلوا منهم [فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا] اى فلولا تضرّعوا اذجاءهم بأسنا [وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ] استدراك باعتبار المعنى يعني لاعذر لهم حينئذ في ترك التّضرّع ولكن قست قلوبهم [فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ] من البأساء والضّرّاء بترك الاتّعاظ بها [فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ]

من المأمولات والمهوبّات استدراجاً لهم وامهالاً [حَتّٰى إِذٰا فَرِحُوا بِمٰا أُوتُوا] ممّا يرونهم نعمة [أَخَذْنٰاهُمْ بَغْتَةً فَإِذٰا هُمْ مُبْلِسُونَ] الابلاس اليأس والتّحيّر وقيل منه ابليس وقيل انّه اعجميّ [فَقُطِعَ دٰابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا] وضع المظهر موضع المضمر للاشعار بالعلّة [وَالْحَمْدُ لِلّٰهِ] جملة لانشاء الحمد والشّكر، اوعطف على دابر القوم، اوعلى قطع بمعنى بقى الحمدلله [رَبِّ الْعٰالَمِينَ] وفسّرت الآية فى الخبر هكذا فلمّا نسوا ماذكّروا به من ولاية امير المؤمنين(ع) وورد ايضاً انّه فى ولد عبّاس [قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللّٰهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصٰارَكُمْ وَخَتَمَ عَلىٰ قُلُوبِكُمْ] فيسلب تميزكم كالمجانين [مَنْ إِلٰهٌ غَيْرُ اللّٰهِ يَأْتِيكُمْ بِهِ انْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيٰاتِ] آيات قدرتنا وشواهدها [ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ] يعرضون ولا يتأمّلون فيها [قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتٰيكُمْ عَذٰابُ اللّٰهِ بَغْتَةً] من غير تقدّم امارة [أَوْ جَهْرَةً] مع تقدّم امارته [هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الظّٰالِمُونَ وَمٰا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ] بشأنهم الولويّ [وَمُنْذِرِينَ] بشأنهم النّبويّ [فَمَنْ آمَنَ] بالايمان العامّ [وَأَصْلَحَ] بالايمان الخاصّ، اومن آمن بالبيعة على يد عليّ (ع) واصلح نفسه بالوفاء بالشّروط الّتى اخذت عليه كماعرفت انّ الاصلاح لايمكن الّا بدخول الايمان فى القلب وهومسبّب عن الايمان الخاصّ [فَلٰا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلٰا هُمْ يَحْزَنُونَ] لما سبق انّ الخوف والحزن من صفات النّفس والمؤمن المصلح قدسافر من حدود النّفس ودخل حدود القلب الّذى من دخل فيه كان آمناً، ويتبدّل خوفه بالخشية وحزنه بالاشتياق الّذى يعبّر عنه بالفارسيّة «بدرد» كماقيل:

قد سيانرا عشق هست و درد نيست درد را جز آدمى در خورد نيست

وغيّر الاسلوب لانّ الخوف منشأه امر خارج فكأنّه من طوارى النّفس والحزن منشأه القلب فهو من صفات النّفس ولملاحظة توافق رؤس الآى وقد مضى تحقيق و تفصيل لهذه الآية فى اوّل البقرة [وَالَّذِينَ كَذَّبُوا] بلسان الحال اولسان المقال [بِآيٰاتِنٰا] واعظمها الولاية ومن تكذيبها يسرى التّكذيب الى غيرها من الآيات [يَمَسُّهُمُ الْعَذٰابُ بِمٰا كٰانُوا يَفْسُقُونَ] بالخروج عن حكم العقل ومظهره الّذى هو النّبيّ (ص) اوالوصيّ [قُلْ لٰا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزٰائِنُ اللّٰهِ] يعنى تنزّل الى مقام البشريّة و دارهم بحسب بشريّتك و أظهر ما هو لازمها حتّى يروك مثلهم فلاينفروا عنك فقل: ليس عندى خزائن الله فتطالبونى بمال كثير [وَلٰا أَعْلَمُ الْغَيْبَ] فتطالبونى بالاخبار المغيبات [وَلٰا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ] فتطالبونى بمايقدر الملك عليه من الصّعود فى السّماء و اتيان كتاب منه و امثال ذلك [إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مٰا يُوحىٰ إِلَيَّ] فى كلّ باب من الاحكام والآيات الّتى يظهرها الله على يدى والاخبار بالمغيبات [قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمىٰ] عن النّبوّات وكيفيّتها [وَالْبَصِيرُ] بها و بانّ النّبيّ لايجوز ان يكون غير البشر و يجرى عليه كلّ ما يجرى على سائر افراده، الّا انّه يعلم بتعليم الله مالايعلمه غيره ويوحى اليه ولايوحى الى غيره [أَفَلٰا تَتَفَكَّرُونَ] فى عدم التّسوية حتّى تخرجوا من ظلمة العمى الى نور البصر [وَأَنْذِرْ بِهِ] اى بالله اوبالقرآن اوبعليّ(ع) اوبما يوحى اليك [الَّذِينَ يَخٰافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلىٰ رَبِّهِمْ]

المضاف الّذى هو ربّهم فى الولاية [لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ] الولىّ هو الشّيخ فى الولاية والشّفيع كالنّصير هو الشّيخ فى الدّلالة ، وبعبارة اخرى الولىّ هو معلّم احكام القلب والشّفيع هو معلّم احكام القالب والاوّل شأن الولاية و الثّانى شأن النّبوّة و لمّا كان النّبوّة صورة الولاية وكلّ نبىّ له ولاية لا محالة وكذا كلّ ولىّ له خلافة للنّبوّة، فكلّ من النّبىّ والولىّ يصحّ ان يكون شفيعاً وولياً مّاً والضّمير فى من دونه راجع الى ربّهم [لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ] عمّا يصرفهم عن ربّهم ،اعلم، انّ الانسان فطرىّ التّعلّق وكلّما انزجر ممّا تعلّق به من الدّنيا و اهلها طلب التّعلّق بمن يطمئنّ اليه ويسلم له من جهة الآخرة، وكلّما طلب ذلك التّعلّق والارادة والتّقليد هيّج شياطينه الجنيّة والانسيّة لتحذيره عن هذا الامر وتخويفه وصدّه فكلّما هيّج الشّوق عزمه للطّلب صدّه الشّياطين عنه وخوفّوه وقيل بالفارسيّة :

تو چو عزم دين كنى با اجتهاد ديو بانگت بر زند اندر نهاد
كه مرو زينسو بيانديش اى غوى كه اسير رنج و درويشى شوى
سالها او را بيانگى بندهٔ كار او اينست تا تو زندهٔ

فمعنى الآية على هذا انذر بالقرآن الّذى هو صورة الولاية الّتى اصلها والمتحقّق بها امير المؤمنين(ع) الّذين يريدون و يطلبون الحضور عند ربّهم الّذى هو علىّ (ع) اوخليفته ويريدون التّعلّق به و التّقليد له بان يحشرهم الشّيخ الدّليل الّذى هو كالنّبىّ بالآداب المسنونة اليه، ويخافون بتخويفات الشّياطين الانسيّة والجنيّة عن الحضور لديه والتّعلّق به، فانّهم بكيد الشّيطان قاعدون وبمحض انذارك يرتفع كيد الشّيطان فانّ كيده كان ضعيفاً ، وانذرهم بأنّه ليس لهم من دونه ولىّ يتولّى امورهم ولاشفيع يشفع جرائمهم عندالله يعنى انذرهم بانّ ربّهم فى الولاية له شأنّ النّبوّة والشّفاعة وشأن الولاية والتّربية، فهو حقيق بان يخاف من التولّى عنه ولايخاف من التّوجّه اليه لعلّهم يتّقون تخويفات الشّياطين ولايبالون بتهديداتهم ويقطعون سلاسل تهديداتهم ويحضرون عنده كالعاشق الّذى لا يبالى بما قيل فيه و ما عرض له [وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ] فى الولاية يعنى ادع الطّالب للدّين ولاتطرد الدّاخل فى الدّين بقبول ولاية علىّ (ع) والبيعة الولويّة معه فانّك بعثت لدعوة الخلق اليه لا لطردهم عنه او لاتطرد عن نفسك الّذين يدعون ربّهم فى الولاية [بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ] يعنى يدعون ذاته ويريدون الاتّصال بملكوته بعد الاتّصال بملكه ، فانّ الدّعاء قد يستعمل فى دعاء الشّيء لامر اخر من نصرته واعانته وغيرهما وقد يستعمل فى دعاء ذات الشّيء طلباً له من غير ارادة امر آخر منه وهذا هو معناه اذا استعمل مطلقاً و هو المراد ههنا لاطلاقه و لقوله بياناً لهذا المرام [يُرِيدُونَ وَجْهَهُ] يعنى لا يريدون من دعاء ربّهم غير وجه الرّبّ و وجه كلّ شيء هو ما به يتوجّه الى شيء آخر ، و لمّا كان الكلّ متوجّهاً بحسب التّكوين الى الله فما به توجّههم الى الله هو ملكوتهم المثاليّة او ما فوقها بحسب مرتبة الدّاعى و هذا فى المربوب و امّا الرّبّ فلمّا كان متوجّهاً الى الخلق للتّكميل كان وجهه الى الخلق ما به يتوجّه اليهم و ما به يتوجّه الى الخلق هو ملكوته ايضاً ، وفى هذا دليل على ماقالت العرفاء العظام من انّ السّالك ينبغى ان يكون دائم الذّكر، فانّ المراد بالغداة والعشىّ استغراق الازمنة ولذا لم يكتف الله تعالى فى الذّكر بالاطلاق بل قيّده بالكثرة فى اكثر ما وقع و ينبغى ان يكون دائم الفكر ودائم الحضور، فانّ الفكر والحضور فى لسانهم هو التّفكّر فى ملكوت الرّبّ والحضور عنده وغاية تلقين الشّيخ الذّكر للمريد ودعاء المريد بالذّكر المأخوذ هى حصول وجه الرّبّ له والى هذا المعنى

اشارت الآية فتذكّر ، وقد نقل عن الصّادق(ع)وقت تكبيرة الاحرام تذكّر رسول الله (ص) واجعل واحداً من الائمّة نصب عينيك ، ولهم على مرامهم شواهد كثيرة نقليّة وعقليّة وماكان قصدنا الى بيان مقصدهم [مٰا عَلَيْكَ مِنْ حِسٰابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ] من حيث شأن نبوّتك بل حسابهم على ربّهم [وَمٰا مِنْ حِسٰابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظّٰالِمِينَ] عطف على تطردهم اوجواب للنّهى كمااانّ تطردهم جواب للنّفى ،يعنى انّ حساب من دخل فى الولاية وطردهم وابقاءهم انّما هوعلى شأنك الولوىّ لاعلى شأنك النّبوىّ فلاتطردهم بشأنك النّبوىّ الّذى يراعى الكثرة و يربّى كلّاً فى مرتبته ويحفظ لكلّ ذى شأن شأنه عن ارادة شهود الرّبّ والاتّصال بوجهه، ولاتطردهم ايضاً بحسب الصّورة بشأنك الحافظ للصّورة عن مجلسك بطلب القوم طردهم فانّ شأنك النّبوىّ يستدعى ان لاتقرّب الفقراء الّذين لاشأن لهم فى انظار اهل الدّنيا اليك ، وان لاتحضرهم فى المجلس العامّ النّبوىّ، وقد ذكر فى شأن نزول الآية انّها نزلت فى قوم من المسلمين مثل صهيب وخبّاب وبلال وعمّار وغيرهم كانوا عند رسول الله(ص) فمربّهم ملأ من قريش فقالوا: يامحمّد(ص)ارضيت بهؤلاء من قومك ؟! افنحن نكون تبعاً لهم؟! اهؤلاء الّذين منّ الله عليهم؟! اطردهم عنك فلعلّك انطردتهم اتّبعناك، وقيل انّه(ص) قبل منهم ان يطردهم من عنده حين وفود القوم عليه وارادان يكتب لهم كتاب عهد بذلك، فنزلت الآية ونحّى الكتاب وذكر غيرذلك فى المفصّلات [وَكَذٰلِكَ] اى مثل ابتلاء اغنياء قومك بفقرائهم [فَتَنّٰا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا] حالاً وقالاً اى الّذين لااستحقاق لهم للدّين واردنا ان نصرفهم عنك اوعن الولاية [اَهٰؤُلاٰءِ مَنَّ اللّٰهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنٰا] استهزاء بهم وتنفّراً عنهم حتّى لايرغبوا فى الاسلام اوفى الولاية ولايؤذوا صاحب الدّين بتزاحمهم بالاغراض الدّنيويّة له ، فاللّام للغاية لا لمحض العاقبة كما قيل [اَلَيْسَ اللّٰهُ بِاَعْلَمَ بِالشّٰاكِرِينَ] فما بالك تطردهم وما بالهم يستهزؤن ويطلبون طردهم والله تعالى يذكرهم بالشّكر الّذى هو ابتغاء وجه ربّهم ثمّ بعد نهيه عن طردهم امره بتقريبهم والتّلطّف بهم بالتحيّة عليهم وبشارتهم بالغفران والرّحمة فقال [وَإِذٰا جٰاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاٰيٰاتِنٰا] يعنى يؤمنون بالايمان الخاصّ الولوىّ فانّ من بايع علياً (ع) بالبيعة الولويّة يؤمن بجملة الآيات وهم الّذين يدعون ربّهم فى جميع الاوقات والّذين هم على صلوتهم دائمون وهم الّذين لايبتغون فى دعائهم الّا الاتّصال بملكوت ربّهم والحضور عنده ولقاء وجهه [فَقُلْ سَلاٰمٌ عَلَيْكُمْ] تحيّة لهم وتلطّفاً بهم وقل لهم [كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ] بشارة لهم وتطييباً لنفوسهم وتأنيساً لهم الى ربّهم [اَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءً بِجَهٰالَةٍ] بيان لمنشأ السّوء لا تقييد له ، يعنى من عمل منكم سوء بالتّنزّل عن دارالعلم الى دارالجهل و قبول حكومة الجهل فانّ الواقع لايكون الّا هكذا [ثُمَّ تٰابَ مِنْ بَعْدِهِ] عن دار الجهل [وَاَصْلَحَ] نفسه بالدّخول فى دارالعلم [فَاَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ] اى يغفر له ويرحمه لانّه غفوررحيم فهو من اقامة السّبب مقام الجزاء [وَكَذٰلِكَ نُفَصِّلُ الْاٰيٰاتِ] آيات الكتاب التّدوينىّ فى بيان احوال الخلق و اصنافهم و آيات الكتاب التّكوينىّ من الاولياء و الاشقياء و اتباعهم بآيات الكتاب التّدوينىّ لتستبين سبيل المطيعين حذفه لادّعاء ظهوره كأنّه لاحاجة له الى البيان من حيث انّه المقصود من كلّ الاحكام [وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ قُلْ إِنِّي نُهِيتُ اَنْ اَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللّٰهِ قُلْ لاٰ اَتَّبِعُ اَهْوٰاءَكُمْ] تنبيه على

انّ منشأ عبادتهم اهويتهم و قطع لاطماعهم و تأكيد لضلالتهم [قَدْ ضَلَلْتُ إِذاً] اذ اتّبعت اهواءكم و عبدت مدعوّاتكم [وَمٰا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ قُلْ إِنِّي عَلىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي] تسفيهاً لرأيهم وتعريضاً بهم وانّهم على اهويتهم وتقليدهم ولا بيّنة لهم والعاقل ينبغي ان يكون في طريقه و دينه وجملة افعاله على بيّنة [وَكَذَّبْتُمْ بِهِ] بالقرآن اوبعليّ(ع) [مٰا عِنْدِي مٰا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ] قيل اشارة الى ما قيل فأمطر علينا حجارة من السّماء اوائتنا بعذاب اليم عند نصب عليّ(ع) بالخلافة [إِنِ الْحُكْمُ إِلاّٰ لِلّٰهِ] وليس لي حكم فيما تستعجلون به [يَقُصُّ الْحَقَّ] يفصّل الولاية كيف مايقتضيه الحكمة والحكم لما سبق انّ الولاية هي الحقّ وانّ كلّ ماسواها فحقّ بحقّيّتها [وَهُوَ خَيْرُ الْفٰاصِلِينَ] بين الحقّ ومن اتّصل به والباطل ومن اتّصل به [قُلْ لَوْ أَنَّ عِنْدِي مٰا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ] من العذاب [لَقُضِيَ الْأَمْرُ بَيْنِي وَ بَيْنَكُمْ] لرفع النّزاع بيني وبينكم باهلاكي اياكم [وَاللّٰهُ أَعْلَمُ بِالظّٰالِمِينَ] فيه معنى الاستدراك يعني لكن الامر الى الله وهو اعلم بالظّالمين ، روى عنهم(ع) انّ ورود الآيات في الولاية [وَعِنْدَهُ] ابتداء كلام من الله اوجزؤ مفعول القول حالاً كان اوعطفاً [مَفٰاتِحُ الْغَيْبِ] جمع مفتح بالفتح بمعنى المخزن او مفتح بالكسر بمعنى المفتاح و لمّا نفى عن نفسه علم الغيب والقدرة على ما يستعجلون به اثبت مخازن الغيب اواسباب العلم به والتّصرّف فيه لله تعالى بطريق الحصر وعلى الاوّل فقوله [لاٰ يَعْلَمُهٰا إِلاّٰ هُوَ] يكون تأسيساً وعلى الثّاني يكون تأكيداً، ولمّا حصر علم الغيب فيه تعالى عمّم علمه بجملة المحسوسات الخارجة عن حدّ الاحصاء فقال [وَيَعْلَمُ مٰا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمٰا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ] من اوراق شجرة الجسم او من اوراق شجرة العلم او من اوراق شجرة الولاية او من اوراق الشّجرة الانسانيّة من النّطف الّتي تقع في الرّحم ثمّ تسقط قبل ان تستهلّ [إِلاّٰ يَعْلَمُهٰا وَلاٰ حَبَّةٍ فِي ظُلُمٰاتِ الْأَرْضِ] وقد عمّمت الحبّة في الخبر ويسهل عليك تعميمها [وَلاٰ رَطْبٍ وَلاٰ يٰابِسٍ إِلاّٰ فِي كِتٰابٍ مُبِينٍ] اثبات المعلوميّة دون الثّبوت بالنّسبة الى الورقة السّاقطة ، ونسبة الثّبوت في الكتاب الى الاشياء الثّابتة للاشعار بانّ السّاقط ساقط عن الكتاب والثّابت ثابت في الكتاب ، والكتاب المبين هو اللّوح المحفوظ وصورته النّبوّة وصورتها القرآن الّذي اعطاه محمّداً(ص) والكلّ صورة الولاية الّتي اصلها وصاحبها أمير المؤمنين(ع) فعنده علم الكتاب الّذي لارطب ولا يابس الّا فيه [وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفّٰيكُمْ بِاللَّيْلِ] التّوفّي اخذ الشّيء بتمام اجزائه و المراد منه هنا مطلق الاخذ و بعد ذكر احاطة علمه ارادان يذكر احاطة آلهيّته وربوبيّته [وَيَعْلَمُ مٰا جَرَحْتُمْ] ماكسبتم [بِالنَّهٰارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ] من نومكم [فِيهِ] في النّهار [لِيُقْضىٰ أَجَلٌ مُسَمًّى] ليمضي مدّة عمركم او الى ان يقضى و يختم غاية عمركم [ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُمْ بِمٰا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ وَهُوَ الْقٰاهِرُ فَوْقَ عِبٰادِهِ] يحكم فيهم مايشاء بلامانع ولايكتفي بقهره وتسلّطه واحاطته [وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً] يحفظونكم من مردة الشّياطين وهوامّ الارض وسائر الآفات ويحفظون اعمالكم بالكتب والثّبت [حَتّىٰ إِذٰا جٰاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنٰا] وقد مضى بيان توفّي الله والرّسل والملائكة وملك الموت في سورة النّساء [وَهُمْ لاٰ يُفَرِّطُونَ] فلا يشذّ عنهم شيء من

قواه و جنوده و هو تأكيد لمفهوم توفّته بحسب المعنى [ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللهِ] كما جاؤا منه [مَوْلٰيهُمُ الْحَقِّ اَلٰا لَهُ الْحُكْمُ] يومئذٍ اومطلقاً [وَهُوَ اَسْرَعُ الْحٰاسِبِينَ قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِنْ ظُلُمٰاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ] يعنى الزمهم الاقرار [تَدْعُونَهُ تَضَرُّعاً] جهراً [وَخُفْيَةً] سرّاً قائلين [لَئِنْ اَنْجٰينٰا مِنْ هٰذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشّٰاكِرِينَ قُلِ اللهُ يُنَجِّيكُمْ مِنْهٰا وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ اَنْتُمْ تُشْرِكُونَ قُلْ] تهديداً لهم [هُوَ الْقٰادِرُ عَلٰى اَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذٰاباً مِنْ فَوْقِكُمْ] كما بعث على قوم لوط بامطار الاحجار [اَوْ مِنْ تَحْتِ اَرْجُلِكُمْ] كغرق فرعون وقومه وخسف قارون [اَوْ يَلْبِسَكُمْ] يخلطكم [شِيَعاً] فرقاً مختلفى المسلك متخالفى الاهواء كلّ فرقة مشايعة لامام [وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ] بالمقاتلة والمدافعة والسّرقة وقطع الطّريق [اُنْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْاٰيٰاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ] آيات قدرتنا على التّفضّل على المؤمنين و الانتقام من الكافرين عن الصّادق(ع) من فوقكم من السّلاطين الظّلمة و من تحت ارجلكم العبيد السّوء و من لاخيرفيه ، ويلبسكم شيعاً يضرب بعضكم ببعض بما يلقيه بينكم من العداوة والعصبيّة ويذيق بعضكم بأس بعض هو سوء الجوار ، وامثال هذا الخبر تريك طريق التّعميم فى الآيات وفى الالفاظ بما امكن ووسع اللّفظ [وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ] اى بكونه قادراً اوبعلىّ(ع) اوبالعذاب اوبالقرآن الّذى فيه ذكره [وَهُوَ الْحَقُّ] المتحقّق [قُلْ لَسْتُ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ] حتّى امنعكم من التّكذيب وانّما علىّ التّبليغ [لِكُلِّ نَبَإٍ مُسْتَقَرٌّ] يعنى لكلّ خبر وقتٌ وهو كالمثل فى العرب. [وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ] اوان وقوعه [وَإِذٰا رَاَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ] الخوض الامعان فى السّير فى البرّ كان او فى البحر و الاكثر استعماله فى الماء و المراد به ههنا الامعان فى سير النّظر [فِي اٰيٰاتِنٰا] التّدوينيّة والتّكوينيّة واعظمها الولاية، وعن الباقر(ع) فى هذه الآية قال: الكلام فى الله والجدال فى القرآن قال منه القصّاص [فَاَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتّٰى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمّٰا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطٰانُ] النّهى عن القعود معهم [فَلٰا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرٰى مَعَ الْقَوْمِ الظّٰالِمِينَ] اشارة الى انّ من يخوض فى الآيات يشتغل عن نفسه ومن اشتغل عن نفسه فهو ظالم على انّ خوضه دليل عدم انقياده و هو ظلم آخر [وَمٰا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ] الخوض فى الآيات و ان اتّفق جلوسهم نسياناً معهم [مِنْ حِسٰابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ] ممّا يحاسبون عليه من قبائح اعمالهم [وَلٰكِنْ ذِكْرٰى] ولكن عليهم ان يذكّروهم قبح الخوض و يمنعوهم منه بقدر ما يمكنهم [لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ] الخوض ، فلايذكروا الآيات بما فيه ازدراء ولايقعوا فى ضلالته وعقوبته ، عن الباقر(ع) فلمّا نزلت فلاتقعد بعد الذّكرى مع القوم الظّالمين قال المسلمون: كيف نصنع ان كان كلّما استهزء المشركون قمنا وتركناهم فلاندخل اذاً المسجد الحرام ولانطوف بالبيت الحرام..!؟ فأنزل الله تعالى : وما على الّذين يتّقون من حسابهم من شيء امر بتذكيرهم و تبصيرهم ما استطاعوا [وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِباً وَلَهْواً] اللّعب ما لم يكن له غاية عقليّة ولكن كان له غاية خياليّة كلعب الاطفال ، واللّهو مالم يكن له غاية عقليّة ولاخياليّة وان كان له غاية خفيّة كامضاء عادة مثلاً ، والمقصود عدم التّعرّض لمن اخذ دينه بخياله ولا يتصوّر له غاية سوى الغايات الخياليّة الدّنيويّة من الجاه والمناصب او الصحّة والسّعة او التّوافق مع الاقران او التّفوّق على الامثال او التّنعّم فى الآخرة

والنّجاة من العقوبة فيها، او القرب من الانبياء والائمّة في الجنّة، او القرب من الله والاختصاص من بين الامثال بذلك القرب لانّهم اخذوا صورة الدّين للدّنيا وجعلوا آلة الدّين شركاً للدّنيا ، وقوله تعالى [وَغَرَّتْهُمُ الْحَيٰوةُ الدُّنْيٰا] اشارة الى هذا [وَذَكِّرْ بِهِ اَنْ تُبْسَلَ نَفْسٌ بِمٰا كَسَبَتْ] وذكّرهم الولاية بالقرآن اوذكّرهم بولاء عليّ (ع) اوبعليّ (ع) كراهة ان تمنع نفس من مواثد الآخرة بما كسبت من اعمالها لانّ كلّ نفس بما كسبت رهينة الّا الّذين تولّوا امير المؤمنين (ع) [لَيْسَ لَهٰا مِنْ دُونِ اللّٰهِ وَلِيٌّ وَلٰا شَفِيعٌ] صفة بيانيّة لنفس ، او استيناف في موضع التّعليل ، والوليّ والشّفيع قد مضى بيانهما [وَاِنْ تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ] وان تفد كلّ فداء [لٰا يُؤْخَذْ مِنْهٰا اُولٰئِكَ] المتّخذون دينهم لعباً ولهواً [الَّذِينَ اُبْسِلُوا بِمٰا كَسَبُوا] استيناف في موضع التّعليل [لَهُمْ شَرٰابٌ مِنْ حَمِيمٍ وَعَذٰابٌ اَلِيمٌ بِمٰا كٰانُوا يَكْفُرُونَ قُلْ اَنَدْعُوا مِنْ دُونِ اللّٰهِ] تعريضاً بهم ومداراة معهم [مٰا لٰا يَنْفَعُنٰا وَلٰا يَضُرُّنٰا وَنُرَدُّ عَلىٰ اَعْقٰابِنٰا بَعْدَ اِذْ هَدٰينَا اللّٰهُ] الى طريقه المستقيم الّذى هو الولاية [كَالَّذِى اسْتَهْوَتْهُ الشَّيٰاطِينُ] اذهبته الجنّة على غير طريق [فِى الْاَرْضِ حَيْرٰانَ] لا يدرى اين يذهب و اين يذهب به [لَهُ اَصْحٰابٌ] لهذا المستهوى رفقة يرحمونه و [يَدْعُونَهُ اِلَى الْهُدَى] الى الطّريق قائلين [ائْتِنٰا] ترحّماً عليه و هو لا يجيب لما خولط من مسيس الجنّ [قُلْ] لهم انّ مثلكم مثل هذا المستهوى فانّ الشّياطين قد غلبت عليكم وسلبتكم عقولكم وانا واصحابى كرفقاء المستهوى ندعوكم الى الطّريق المستقيم الّذى هو ولاية عليّ (ع) ونقول لكم : انّ ولاية عليّ (ع) هو هدى الله و [اِنَّ هُدَى اللّٰهِ هُوَ الْهُدىٰ] لا هدى سواه [وَاُمِرْنٰا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعٰالَمِينَ] من جملة المقول يعنى قل امرنا لنسلم لربّ العالمين اعراضاً عنهم بعد اتمام الحجّة عليهم او انصافاً لهم في اظهار الدّعوى [وَاَنْ اَقِيمُوا الصَّلٰوةَ] عطف على لنسلم وان تفسيريّة ، وقيل: عطف على نسلم بتقدير دخول اللّام عليه و ان مصدريّة لكن دخول ان المصدريّة على الانشاء قليل و الخطاب فى قوله اقيموا يمنعه [وَاتَّقُوهُ وَهُوَ الَّذِى اِلَيْهِ تُحْشَرُونَ] جملة حاليّة او معطوفة على جملة انّ هدى الله هو الهدى [وَهُوَ الَّذِى خَلَقَ السَّمٰاوٰاتِ وَالْاَرْضَ بِالْحَقِّ] سماوات الارواح وارض الاشباح بسبب الحقّ الّذى هو المشيّة الّتى هى ولاية عليّ (ع) كما سبق تحقيقه اومتلبّساً بالحقّ ، فانّ الولاية مع الكلّ و متقوّم بها الكلّ ولا يخلو منها الكلّ [وَيَوْمَ يَقُولُ] عطف على منصوب اتّقوه اوعلى السّماوات اوعلى قل ان هدى الله بتقدير اذكر او ذكّر ، اوخبر لقوله الحقّ والجملة عطف على جملة هو الّذى اليه تحشرون ، اوظرف متعلّق بالحقّ او بعالم الغيب والمعنى قوله الحقّ اوعالم الغيب يوم يقول للشّيء الّذى يريد ايجاده و انّما حذفه لقصد التّعميم مع الايجاز [كُنْ] ذلك الشّيء [فَيَكُونُ] ويوجد ذلك الشّيء بلاتأبٍّ ولا تأنٍّ ، اعلم، انّ اليوم كما يطلق على يوم عالم الطّبع مقابل ليله كذلك يطلق على كلّ من مراتب العالم، فانّ كلّاً بالنّسبة الى المرتبة الّتى دونها يوم والمرتبة الدّانية ليل بالنّسبة اليها ، ولمّا كان عالم الطّبع عالم الاسباب بمعنى انّ سنّته تعالى جرت بان يوجد الاشياء فيه بالاسباب، كان موجوداته كأنّها تتأبّى عن الوجود بمحض قوله من دون تهيّة اسبابه والمكلّفون فيه ايضاً يتأبّون عن قوله، ولمّا كان مراتب الآخرة بتمام موجوداتها غير مسبوقة بمادّة ومدّة وسائر الاسباب كان موجوداتها قائمة

بمحض قوله موجودة بنفس امره فكان يوم يقول: كن؛ فيكون مختصّاً بايّام الآخرة [قَوْلُهُ الْحَقُّ] فاعل يكون والحقّ صفة القول اومبتدء و خبر اومبتدء و يوم يقول خبره و المعنى قوله الحقّ الّذى هو المشيّة فانّها جملة اضافاته الى الخلق اوقوله حقيقة ثابتة هى عين فعله وليس صوتاً يقرع ولالفظاً يسمع [وَلَهُ الْمُلْكُ] الملك يطلق تارة على عالم الطّبع مقابل الملكوت والجبروت ، وتارة على مايعمّ جملة الموجودات الّتى هى مملوكة له تعالى وهذا هو المراد ههنا، اوارید الاوّل على ان يكون المراد بقوله: له الملك؛ انّ الملك يوم ينفخ فى الصّور خالص له و فى غير ذلك يظنّ انّ غيره له تصرّف فيه ولذلك وهم الثّنويّة فقالوا: انّ الظّلمة مقابلة للنّور، اواهرمن ليزدان ، ولكلّ منهما تصرّف فى الملك [يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ] بدل من يوم يقول ، او ظرف مستقرّ خبر لقوله الحقّ ، اوخبر بعد خبر لقوله ، اولغو متعلّق بقوله ، اوبالحقّ اوبالظّرف فى قوله له الملك اوبعالم الغيب ، والصّور القرن الّذى ينفخ فيه من صار بمعنى صوّت [عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَ هُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ] كالنّتيجة للسّابق [وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ] قيل ليس بين النّسابين اختلاف فى انّ اسم ابى ابراهيم تارخ و هو موافق لما عليه الشّيعة من انّ آباء الانبياء (ع) مطهّرون من الشّرك و انّ ازر كان جدّه لامّه او عمّه [أَتَتَّخِذُ أَصْنَاماً آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ وَ كَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ] يعنى مثل اراءتنا ابراهيم بطلان الاصنام وضلالة قومه اريناه ملكوت السّماوات والتّعبير بالمستقبل لاحضاره لكونه من الامور الغريبة ، والملكوت مبالغة فى المالك كالجبروت فى الجابر، والطّاغوت فى الطّاغى، ولمّا كان عالم الطّبع لاجهة مالكيّة له بل ليس فيه الّا المملوكيّة الصّرفة لم يسمّ ملكوتاً بل ملكاً، وباطن عالم الطّبع من عالم المثال فما فوقه يسمّى ملكوتاً لمالكيّته و تصرّفه بالنّسبة الى مادونه ، و قد يطلق الملك على ما سوى الله وعلى المثال وعلى الرّسالة و غير ذلك باعتبار مملوكيّتها للحقّ الاوّل تعالى ، والمراد بالملكوت ههنا عالم المثال اوهو وما فوقه ان كان المراد بالاراءة اعمّ من الكشف الصورىّ ، والمراد بالسّماوات والارض هما الطّبيعيّان [وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ] اى ليأنس ويقرب منّا وليكون من الموقنين، والقمى عن الصّادق (ع) كشط عن الارض ومن عليها وعن السّماء ومن فيها ، والملك الّذى يحملها والعرش ومن عليه ، وهو يدلّ على انّه لم يكن كشفاً صوريّاً فقط [فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ] ستره بظلامه [رَأَى كَوْكَباً] هو الزّهرة كما فى الخبر [قَالَ هَذَا رَبِّي] هذا الكلام منه يحتمل ان يكون على سبيل المماشاة مع القوم باظهاره الدّخول فى دينهم ثمّ الاستدلال بالافول والزّوال على عدم تربيته بالاستقلال ليكون اقرب الى الدّعوة والانصاف و ابعد عن الشّغب والاعتساف، ولايلزم منه الكذب المحرّم لانّه كان فى مقام الاصلاح، اوقصد تربيته بنحو تربية الكواكب للمواليد باذن الله وورّى بحيث يظنّ انّه اراد المعبود، اوقصد الانكار وانّه لايصحّ ان يكون ربّاً لكنّه ورّى بصورة الاخبار وكان المقدّر فى نفسه الاستفهام الانكارىّ ، ويحتمل ان يكون على سبيل الاستفهام الانكارىّ للانكار على قومه لانّهم كانوا ثلاثة اصناف: صنف يعبد الزّهرة ، وصنف يعبد القمر، وصنف يعبد الشّمس ، فأنكر على الثّلاثة عبادتهم ، ويحتمل ان يكون على سبيل الاخبار الاحتمالىّ الّذى يصحّ لكلّ مستدلّ ان يخبر على سبيل الاحتمال عمّا أدّى اليه دليله فى بادى الامر لانّه كان فى اوّل خروجه من السّرب الّذى اخفته فيه امّه ولمّا ظهر له بعد امعان النّظر انّ ما ادّى اليه دليله فى بادى النّظر لم يكن نتيجة صحيحة انكره وقال: ليس هذا مؤدّى الدّليل الصّحيح، ومثل

هذا ممدوح لكلّ من اراد التّحقيق والخروج عن التّقليد ولايكون هذا شركاً،وكلّ هذه مرويّ عنهم(ع)لانّ القرآن ذو وجوه و الحمل على جملة الوجوه ما لم يؤدّ الى فساد ورد عنهم (ع) هذا ما يقتضيه التّنزيل ، واما بحسب التّأويل فنقول : انّ السّالك مادام يكون فى سرب نفسه المظلم ولم يخرج بالولادة الثّانية الى فسحة عالم الملكوت يكونمتحيّراً لايدرى من اين والى اين و فى اين، ثمّ اذا ادركتهالعناية الآلهيّة وخرج يسيراً من قعر سربه يطرؤ وعليه حالات واطوار وظلمات وانوار ومنيرات فربّما يرى انواراً عجيبة متلوّنة بالوان مختلفة، و ربّما يرى كواكب و اقماراً و شموساً و يذهل عن التّفكّر و استعمال المقدّمات فيظنّ فى بادى رؤيته كوكباً اوقمراً اوشمساً انّه هو، فيصيح به جبرئيل العقل ويفيق من محوه وينظرالىافول المرئىّ وتغيّره فيعلم انّهليس به ، ولاضيران يكون حال ابراهيم (ع) فى بادى خروجه من سربه حال سائر السّالك فيحسب فى بادى رؤيته الكوكب انّه هو، ثمّ ينظربعقله الى زواله و تغيّره فيرى انّه ليس به ولايلزم منه شرك ولاكفرلانّ تلك الانوار ظهورات نور الانوار، وقد يغلب حكم الظّاهرعلى المظهربحيث يظنّ انّ المظهر هوالظّاهر [فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ] لمّا لم يجد فى نفسه داعياً قوياً على التّبرّى ونفى الرّبوبيّة وكان غرضه المماشاة مع القوم باظهارالانصاف منفسه حتّى يدخل فىالمجادلة الحسنة، نفى حبّ الآفل عننفسه كناية خفيّة عن نفى الرّبوبيّة ولذلك لم يؤكّده بشيء من المؤكّدات [فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغاً قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ] لمّا قوى الدّاعى لنفى الرّبوبيّة فى نفسه ونبّه القوم بالكناية الخفيّة على نفى ربوبيّة مثل هذاكنّى كناية اظهر من الاولى بنسبة الضّلال الى نفسه اولاً ليكون اقرب الى الانصاف بالكناية بقوله لئن لم يهدنى ربّى ، و نسبة التّمكّن فى الضّلال صريحاً ثانياً بقوله لاكوننّ من القوم الضّالّين واكّد الحكم بمؤكّدات عديدة [فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَا أَكْبَرُ] تذكير الاشارة باعتبار الخبر ولتنزيه الرّبّ عن سمة التّأنيث [فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ] بعدماقوى الدّاعى وتمّ الحجّة نادى القوم صريحاً و اظهر التّبرّى و نفى الرّبوبيّة صريحاً واكّد الحكم بانّ واسميّة الجملة ثمّ لم يكتف به واظهر ربوبيّة الله الّذى هوخالق الكلّ باخلاص الوجه له وصرّح بنفى الاشراك به مؤكّداً فقال : [إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفاً] خالصاً [وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِّي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ] فلاينبغى لكم ان تحاجّونى لانّى على هداية وبيّنة وانتم على عمى وضلالة [وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ] كأنّهم كانوا يحاجّونه بالتّخويف من آلهتهم و بما اراهم الشّيطان منهم من بعض مالايعتاد [إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئاً] وحينئذ لايكون خوفى منهم بل من ربّى [وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْماً] فلاأخاف ان يصيبنى مكروه من غير علم ربّى به [أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ] بما اقول لكم من انّ ربّى خالق آلهتكم وانّ علمه محيط بالكلّ ولاقدرة ولاعلم لا لهتكم كما انّ ربّى له القدرة الكاملة والعلم الكامل [وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ] يعنى لا ينبغى لى ان اخاف ما اشركتم به بعد ما بان انّ الشّركاء عاجزون جاهلون وانّ ربّى قادر عالم [وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ] يعنى انّ هذا امرعجيب اى تخويفى من العاجز الجاهل مع عدم خوفكم من اشراككم الجاهل العاجز بالعالم القادر [مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَاناً]

بيان لحال الشّركاء لا انّه قيد للاشراك اوتقييد للاشراك باعتبار انّ الشّخص ما لم يخرج من بيت نفسه وسجن طبعه لايمكنه الخروج عن الشّرك بل ليس طاعته وتبعيّته للانبياء والاولياء الّا الاشراك بالله ورؤية الثّاني له لكن هذا الاشراك ممّا نزّل الله به سلطاناً وحجّةً وهو طريق الى التّوحيد ومجاز وقنطرة الى الحقيقة وقد سبق تحقيق ذلك [فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ] نبّه على غباوتهم بانّ من له علم يميّز بين الامن وغيره، وعدم تميزهم لعدم شعورهم [الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ] كرّر المسند اليه باسم الاشارة البعيدة احضاراً لهم فى الذّهن و اشعاراً بعظم شأنهم و تأكيداً للحكم و تمييزاً لهم بحصر الامن والاهتداء فيهم [لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ] عن امير المؤمنين (ع) انّه من تمام قول ابراهيم (ع) ويحتمل بحسب اللّفظ ان يكون مستأنفاً من الله ، ونقل عن رسول الله (ص) انّ المراد بالظّلم ماقاله العبد الصّالح يابنيّ لا تشرك بالله انّ الشّرك لظلمٌ عظيمٌ و يستفاد من هذا الخبر انّ المراد بالايمان الايمان الخاصّ الولويّ الحاصل بالبيعة الخاصّة وقبول الدّعوة الباطنة وانّ تنكير الظّلم للتّفخيم، والنّفى وارد على تفخيمه وليس من قبيل النّكرة فى سياق النّفى ليفيد العموم [وَتِلْكَ] التى ذكرناها من استدلال ابراهيم (ع) بالزّوال والدّثور وعدم القدرة والشّعور على بطلان معبوداتهم وبعكسها على حقّيّة معبوده [حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ] الهمناها باستعداده و قوّة نفسه و قدسه [نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ] و لمّا توهّم انّه يرفع درجات من يشاء سواء كان باستحقاق اوبعدم استحقاق رفع ذلك الوهم حتّى ينزّه عن ارادة جزافيّة غير مسبوقة بحكمة ومصلحة بقوله [إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ] لا يفعل الّا عن حكمة و اتقان للفعل [عَلِيمٌ] بقدر استحقاق كلّ وكيفيّته وما يقتضيه [وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ] تعظيم له ببيان ما منّ به عليه [كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ] عن الباقر (ع) فى بيان اتّصال الوصيّة من لدن آدم (ع) الى زمانه (ع) هدينا هم لنجعل الوصيّة فى اهل بيتهم ، وفيه اشعار بانّ هدايتهم امتنان من الله على محمّد (ص) واهل بيته لانّهم آباؤهم اواولاد آبائهم كما انّ هداية نوح (ع) امتنان من الله على ابراهيم (ع) لكونه جدّه [وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ] عطف على ابراهيم والتّقدير تلك حجّتنا آتيناها ابراهيم (ع) وآتيناها بعضاً من ذرّيّته اوعطف على اسحق اويعقوب ، اوعطف على نوحاً، اوعطف على وهبنا ، اوهدينا ، بتقدير أرسلنا و هذا على ان يكون من التّبعيضيّة واقعاً موقع الاسم الخالص لقوّة معنى البعضيّة فيها و يكون داود و سليمان (الى الآخر) بدلاً تفصيلياً والّا فهو حال من داود وسليمان ويجرى حينئذٍ فى داود وسليمان الوجوه المذكورة فى عطف من ذرّيّته والضّمير المضاف اليه لابراهيم اولاسحق اوليعقوب ، وعلى هذا كان المعدودون فى الآية الثّالثة عطفاً على نوحاً لانّ لوطاً ليس من ذرّيّة ابراهيم (ع) وكذلك من ذكر فى الآية الثّانية على ان يكون الياس هوادريس جدّ نوح (ع) وعلى هذا لو كان الضّمير لنوح (ع) لم يكن من فى الآية الثّانية عطفاً على داود ، و يحتمل ان يكون الضّمير لنوح (ع) لانّه اقرب والامتنان بهداية ذرّيّته على ابراهيم (ع) لانّ اكثرهم كانوا ذرّيّة ابراهيم (ع) ومن لم يكن ذرّيّة كان ذرّيّة آبائه [دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ] بن اموص من اسباط عيصابن اسحاق كذاقيل [وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ] لم يراع فى ذكر الانبياء التّرتيب الوجودىّ ولاالتّرتيب الشّرفىّ [وَكَذَلِكَ] الجزاء الّذى جزينا ابراهيم (ع) من ايتاء الحجّة ورفع الدّرجات و جعل الانبياء من ذرّيّته ومن

فروع آبائه وهداية كثير من آبائه وذرّيّاته [نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ] يعنى انّ جزاءنا ابراهيم (ع) بماجزينا انّما هو لكونه محسناً فكلّ من اتّصف بصفة الاحسان نجزيه مثله [وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ] قيل: هو ادريس، وقيل: «ومن اسباط هرون اخى موسى (ع) [كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ] استيناف واشارة الى استعدادهم واستحقاقهم وانّ هداية الله منوطة بالاستعداد من قبل القابل لانّ له ارادة جزافيّة [وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ] بن اخطوب علم اعجمىّ ادخل عليه اللّام كما يدخل فى بعض الاعلام [وَيُونُسَ وَلُوطاً وَكُلّاً فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ] فى زمانهم [وَمِنْ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ] عطف على كلّا اونوحاً وجعلت من التّبعيضيّة لقوّة معنى البعض فيهاموقع الاسم [وَاجْتَبَيْنَاهُمْ] عطف على فضّلنااوهدينا [وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ] تكرار هديناهم لتعيين المهدىّ اليه، اوالمراد بالاوّل الاراءة وبالثّانى الايصال اوالاوّل هداية طريق النّبوّة والثّانى هداية طريق الولاية والصّراط المستقيم قديراد به الولاية مطلقاً سواء كانت قبولاً ام تحقّقاً، وقديراد به الولاية الجامعة بين الكثرة والوحدة والجمع والفرق وهوالمراد هنا والاصل فى الكلّ ولاية علىّ (ع) وهى متّحدة مع علىّ (ع) ولذلك فسّر قوله تعالى وانّ من شيعته لابراهيم بشيعة علىّ (ع) مع رجوع الضّمير ظاهراً الى نوح (ع) [ذَلِكَ] المذكور من الهداية الى الصّراط المستقيم الجامع بين طرفى الكثرة والوحدة [هُدَى اللَّهِ] واسم الاشارة البعيدة واضافة الهدى الى الله اشعاراً بتعظيمه اوذلك الّذى هؤلاء الانبياء عليه هدى الله لاهدى غير الله [يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا] اى هؤلاء مع علوّ شأنهم [لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ] فيزول بسببه ماتفضّلنا به عليهم فكيف بكم ان تشركوا بولاية علىّ (ع) [أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ] قديراد به النّبوّة فانّها انتقاش القلب بالاحكام الآلهيّة وقد يراد به الرّسالة فانّها انتقاش الصّدر بالاحكام الآلهيّة والكتاب التّدوينىّ صورة ذلك والمراد به هنا المعنى الثّانى [وَالْحُكْمَ] بمعنى الحكمة الّتى هى الدّقّة فى العلم المستتبع للاتقان فى العمل وهى مسبّبة عن الولاية والمراد بها هنا الولاية [وَالنُّبُوَّةَ] يعنى انّا تفضّلنا عليهم بالمراتب الثّلاث الّتى لاكمال اتمّ منها [فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا] اى بالمراتب الثّلاث [هَؤُلَاءِ] يعنى انّهم مقرّون بالمذكورين فان كان اقرارهم لاجل اتّصافهم بتلك المراتب فينبغى ان يقرّوا بكّ ايضاً لاتّصافك بها، و ان كان اقرارهم لاشخاصهم البشريّة مع كفرهم بتلك المراتب ولذاكفروا بكّ فلايضرّونها شيئاً [فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْماً لَيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ] وهم اهل بيت محمّد (ص) واتباعهم وقد قيل: انّهم ابناء الفرس [أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ] الهاء للسّكت، امره تعالى مع كمال مرتبته وجلالة قدره بالاقتداء تعظيماً لشأن الاقتداء وترغيباً للامّة عليه فانّه لايمكن خروج نفس من ظلمات اهويتها ومضيق سجنها الّا بالاقتداء والارادة الّتى هى التّولّى وقبول الولاية والانقياد لولىّ الامر ولذلك ورد: لوانّ عبداً عبدالله تحت الميزاب سبعين خريفاً قائماً ليله صائماً نهاره ولم يكن له ولاية ولىّ امره (وفى خبر) ولاية علىّ بن ابى طالب لاكبّه الله على منخريه فى النّار، ونقل عن الصّادق (ع): لاطريق للاكياس من المؤمنين اسلم من الاقتداء لانّه المنهج الاوضح والمقصد الاصحّ، قال الله تعالى لاعزّ خلقه محمّد (ص): اولئك الّذين هديهم الله فبهديهم اقتده، فلو كان لدين الله مسلك اقوم من الاقتداء

لندب اولياءه وانبياءه اليه، ويجوز ان يكون الخطاب عامّاً لكلّ من يتأتّى منه الخطاب [قُلْ] لهؤلاء الكافرين برسالتك [لَا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ] اى على التّبليغ [أَجْراً] حتّى يثقل عليكم فتكفروا برسالتى [إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرىٰ] عظة [لِلْعالَمِينَ] فمن شاء اتّعظ ومن شاء كفر لكنّهم لايتّعظون وجهلوا الله وقيّوميّته [وَمَا قَدَرُوا اللّٰهَ حَقَّ قَدْرِهِ] حتّى يعلموا سعة رحمته وكمال حكمته و رأفته بخلقه و انّ الرّسالة غاية لطف منه بالخلق [إِذْ قالُوا مَا أَنْزَلَ اللّٰهُ عَلىٰ بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ] وانكروا لطفه وحكمته فى ارسال الرّسول [قُلْ لَهُمْ] نقضاً عليهم [مَنْ أَنْزَلَ الْكِتابَ الَّذِي جاءَ بِهِ مُوسىٰ نُوراً وَهُدىً لِلنّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَراطِيسَ] تجزّئونه [تُبْدُونَها وَتُخْفُونَ كَثِيراً] يعنى انّهم يبدون مالايظهر فيه رسالتك ويخفون مافيه رسالتك، وكذا يبدون مايوافق اهويتهم ويخفون مالايوافقها، وهو تعريض بأمّته (ص) حيث يبدون بعده من الكتاب مايوافق أهويتهم ويخفون مالايوافقها [وَعُلِّمْتُمْ] بذلك الكتاب [مالَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلا آباؤُكُمْ] من احكام الشّرع وآداب المعاش والمعاد [قُلِ اللّٰهُ] ان لم يجيبوا لك وبهتوا لانّهم لاجواب لهم سواه ، ويحتمل ان يكون هذا مستأنفاً غير مرتبط بالسّؤال ويكون المقصود امره (ص) بالمداومة على ذكر الله حالاً وقالاً والاعراض عنهم [ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ] فى ظلمات اهويتهم ولجج آمالهم بحيث لم يتمكّنوا من تصديقك وداموا على تكذيبك [يَلْعَبُونَ وَهٰذا كِتابٌ أَنْزَلْناهُ] مثل كتاب موسى (ع) [مُبارَكٌ] جعل فيه البركة لمن تعلّمه وعمل به ودام على قراءته [مُصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ] من الكتب الّتى قبله لتذكّر به [وَلِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرىٰ] مكّة و الصّدر وصاحب الصّدر [وَمَنْ حَوْلَها] من اهل الشّرق والغرب فى الصّغير والكبير ولمّا كان المراد بمن حولها من سكن الدّنيا بالنّسبة الى الملكوتين السّفلى والعليا صحّ تفسيره بمن فى الارض [وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ] اى مذعنون بها [يُؤْمِنُونَ بِهِ] يعنى يذعنون بالكتاب وانّه من الله وحقّ وصدق لانّه صورة الآخرة ومن اذعن بالآخرة اشتاق اليها ، ومن اشتاق اليها اذعن وصدّق بكلّ ما فيه ذكرها ، وليس فى الكتاب الّا ذكرها ، ومن اذعن بالآخرة والكتاب آمن بعلىّ (ع) لانّ الآخرة والكتاب صورتا علىّ (ع) كما انّ بشريّته صورته، ومن آمن به صار مصلّياً حقيقة ومن صار مصلّياً حقيقة شغله لذّة الصّلوة عن كلّ لذّة فهم لايفارقونها [وَهُمْ عَلىٰ صَلٰوتِهِمْ يُحافِظُونَ] اضافه الصّلوة اليهم للاشارة الى انّه كان لكلّ صلوة مخصوصة هى روح صلوتهم القالبيّة المشتركة بين الكلّ [وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرىٰ عَلَى اللّٰهِ كَذِباً أَوْ قالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللّٰهُ] نزول الآية مشهور وفى التّفاسير مسطور ، من انّها فى عبدالله بن ابى سرح وانّه قدم المدينة واسلم وكان له خطّ حسن وكان اذا نزل الوحى على رسول الله (ص) دعاه فيكتب ما يمليه رسول الله (ص) وكان يبدّل الكلمة مكان كلمة بمعناها وكان رسول الله (ص) يقول هو واحد فارتدّ كافراً ولحق بمكّة وهدر رسول الله (ص) يوم فتح مكّة دمه وعثمان التمس العفو منه (ص) فصار من الطّلقاء ، لكن المقصود والتّأويل فى اعداء علىّ (ع) حيث ادّعوا الخلافة لانفسهم و يجرى فى من نصب نفسه للمحاكمة بين الخلق او للفتيا وبيان احكامهم من غير نصّ واجازة من الرّسول (ص) بلاواسطة اوبواسطة ، فانّ حكم مثله وفتياه افتراء على الله ولواصاب الحقّ فقد أخطأ وليتبوأ

مقعده من النّار وليست الاجازة الا لهيّة باقلّ من الاجازة الشّيطانيّة الّتي عليها مدار تأثيرات مناطرهم ونفخاتهم ولذلك وردعنهم (ع): هذا مجلس لايجلس فيه الّا نبيّ اووصيّ اوشقيّ، اشارة الى مجلس القضاء وليس الوصيّ الّا من نصّ المنصوص عليه على وصايته، وكانت سلسلة الاجازة بين الفقهاء كثّر الله امثالهم والعرفاء رضوان الله عليهم مضبوطة محفوظة وكان لهم كثيرا هتمام بالاجازة وحفظها، حتّى انّهم كانوا لايتكلّمون بشيء من الاحكام ولايحكمون على احد بل لا يقرأون شيئاً من الادعية والاوراد من غير اجازة، وقد نقل العيّاشي عن الباقر (ع) في تفسير الآية انّه قال: من ادّعى الامامة دون الامام [وَلَوْ تَرٰى إِذِ الظّٰالِمُونَ] للامام اولانفسهم بالافتراء على الله بقرينة مايأتي من قوله بما كنتم تقولون على الله غير الحقّ، اشارة الى الافتراء وبقرينة كنتم عن آياته تستكبرون اشارة الى الانحراف عن الاوصياء والظّلم لهم، فالمعنى لوترى اذ الظّالمون للامام اولاتباعه اولانفسهم اوللخلق بادّعاء الامامة اوالحكومة بين النّاس والفتيا لهم من غير اجازة [فِي غَمَرٰاتِ الْمَوْتِ] وشدائدها الّتي تغمر عقولهم وتدهشهم بحيث يغشى عليهم [وَالْمَلٰائِكَةُ بٰاسِطُوا أَيْدِيهِمْ] لقبض ارواحهم قائلين [أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ] غيظاً عليهم [اَلْيَوْمَ] متعلّق باخرجوا او بتجزون والجملة جزؤ مقول الملائكة او استيناف من الله كأنّه صرف الخطاب عن الرّسول (ص) وخاطبهم بنفسه وقال اليوم [تُجْزَوْنَ عَذٰابَ الْهُونِ بِمٰا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللّٰهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيٰاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ] فالويل لمن اعرض عن المنصوصين وادّعى الرّأى والفتيا لنفسه من غير نصّ من المنصوصين [وَلَقَدْ جِئْتُمُونٰا فُرٰادىٰ] هوايضاً امّا جزء قول الملائكة اومن قول الله سواء جعل الجملة الاولى من الله اومن الملائكة، والمراد بالفرادى الفرادى عن كلّ مايظنّ انّه له من العيال والاموال ومن القوى والفعليّات وعن كلّ مايظنّ انّه شفيعه عندالله ممّا جعله شركاء الله او شركاء خلفائه [كَمٰا خَلَقْنٰاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ] فرادى عن كلّ ذلك وهذا يدلّ على ما قاله العرفاء من تجدّد الامثال فانّه يدلّ على تعدّد الخلق [وَتَرَكْتُمْ مٰا خَوَّلْنٰاكُمْ] في الدّنيا من الاموال والعيال والقوى والفعليّات. [وَرٰاءَ ظُهُورِكُمْ وَمٰا نَرىٰ مَعَكُمْ شُفَعٰاءَكُمُ] من الاصنام والكواكب وغيرها من المعبودات الباطلة وممّن ادّعى الخلافة من دون اذن واجازة وممّن ادّعى الرّياسة والحكومة والفتيا من غير اجازة [اَلَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكٰاءُ] لله اولعليّ (ع) [لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ] اى وصلكمُ على قراءة الرّفع والبين من الاضداد وعلى قراءة النّصب فالفاعل مضمر والبين ظرف [وَضَلَّ عَنْكُمْ مٰا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ] انّهم شركاء الولاية والخلافة اوشركاء الله عن الصّادق (ع): نزلت هذه الآية في بني اميّة وشركاؤهم ائمّتهم ثمّ لمّا ذكر حال المنحرفين وظلمهم وعقوبتهم ذكر كيفيّة تدبيره للعالم وآيات قدرته وعلمه ليكون كالعلّة للزوم كون الخلافة من الله المشار اليه بقوله وهو الّذي جعل لكم النّجوم (الآية) وحجّة على المنحرفين عنها فقال [إِنَّ اللّٰهَ فٰالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوىٰ] بالنّجم والشّجر اوالاسلام من طينة طيّبة والايمان من الاسلام والكفر من طينة خبيثة اوالصّدر المنشرح بالاسلام من طينة طيّبة والقلب من ذلك الصّدر والمنشرح بالكفر من طينة خبيثة، اوطينة المؤمن ممّا يطرؤ عليها من السّجّين وطينة الكافر ممّا يعرضها من العلّيّين، اوالعلم من العلماء والجهل من الجهلاء، اوالنّور من المستنير والظّلمة من المظلم فانّ الكلّ يسمّى حبّاً ونوىً باعتبار محبوبيّته وبعده من الخير كما اشير اليه في الاخبار [يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ]

خبر بعد خبر واسقط العاطف ههنا وفي قوله فالق الاصباح واتى به في قسيم كلّ وكذا في قوله والنّوى للاشارة الى انّ كلّاً مع قسيمه كاف في الدّلالة على كمال قدرته وعلمه وحكمته وتدبيره لعباده، لانّ كلّاً من قوله يخرج الحيّ وفالق الاصباح كأنّه كلام مستأنف غير مربوط بسابقه والمراد بالحيّ النّامي من النّبات والحيوان او ذوالحسّ والحركة من الحيوان وبالميّت غيره ، اوالمراد به المسلم و المؤمن والعالم و مقابلوهم ، و العدول عن الاسم الى الفعل المضارع للاشارة الى قلّة الحيّ كأنّه قلّما يحصل اخراجه من الميّت بخلاف الميّت فانّه بكثرته كأنّه مستمرّ اخراجه [وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ذٰلِكُمُ] اتى باسم الاشارة البعيدة للاشارة الى عظمة من كان هذه صفته [اللّٰهُ] اى المستحقّ للآلهيّة لاماتجعلونه آلهاً [فَأَنّٰى تُؤْفَكُونَ] تصرفون وجملة ذلكم اللّٰه معترضة ان كان قوله [فٰالِقُ الْإِصْبٰاحِ] خبراً بعد خبر لانّ ، اومستأنفة ان كان مستأنفاً، اوخبراً بعد خبر لذلكم [وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَناً] وقت راحة من سكن اليه اذا انس به واطمأنّ او وقت سكون عن الحركة و قرئ جاعل اللّيل وعلى قراءة جعل فالاختلاف بالاسم والفعل، كأنّه للاشارة الى انّ اقتضاء اللّيل السّكون امر ذاتيّ له لاعرضيّ محتاج الى تجديد الجعل بتجدّد اللّيل، بل جعله سكناً لازم لخلقته اوّلاً بخلاف فلق الاصباح ، واللّيل اعمّ من ليل اليوم و ليل عالم الطّبع و ليل عالم الجنّة وليل صروف الدّهر من القحط والزّلازل وكثرة القتل والنّهب وكثرة الامراض وغيرها، وكلّ مرتبة من مراتب العالم الكبير اوالصّغير جهتها الدّانية ليل بالنّسبة الى جهتها العالية، هذا في العالم الكبير وليل الطّبع والنّفس والجهل والشّهوات والامراض والبلايا والاحزان في الصّغير [وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبٰاناً] سببى حسبان للاوقات لتجاراتكم و زراعاتكم و ديونكم ومواعيدكم وقد يعبّر عن الولاية والنّبوّة وعن الوليّ والنّبيّ بالشّمس والقمر ، والحسبان حينئذ يكون بمعنى المحاسب اوميزان الحساب فانّهما شاهدان ومحاسبان على الجليل والقليل وهما اللّذان يعبّر عنهما الصّوفيّة بالشّيخ المرشد والشّيخ الدّليل فانّهما في اصطلاحهم اعمّ من الوليّ و النّبيّ و خلفائهما والنّبوّة كالقمر تكسب النّور من الولاية كالدّليل من المرشد وقد يعبّر بهما عن العقل الكلّيّ والنّفس الكلّيّة وقد يعبّر عن العقل الجزويّ والنّفس الجزويّة اوالعقل الجزويّ والقلب اوآدم وحوّاء، كلّ ذلك في العالم الصّغير وعلى كلّ التّقادير ،فالحسبان بمعنى المحاسب اوميزان الحساب [ذٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ] لمّا كان المراد من هذه المقدّمات تصوير تدبيره لمعاش الخلق بحيث لم يشذّ شيء ممّا يحتاجون اليه في المعاش حتّى يكون برهاناً قاطعاً على عدم اهمالهم فيما يحتاجون اليه في امر المعاد، المشار اليه بقوله [وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهٰا] واحضره باسم الاشارة وصرّح بأنّه تقديره ليكون كالمشاهد للسّامع فيصير قوله و هو الّذي جعل لكم النّجوم لتهتدوا بها [فِي ظُلُمٰاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ] غنياً عن الحجّة ، والنّجوم ان كانت اعمّ من الشّمس والقمر فذكرهما هناك لشأن الحسبان وههنا لشأن الاهتداء بهما ، والنّجوم في عالم الكون معلوم و في الصّغير القوى و المدارك الجزئيّة و الواردات الغيبيّة و الالهامات القلبيّة والاذكار السنيّة و في الكبير الائمّة(ع) وخلفاؤهم والمراد بالظّلمات الظّلمات الصّوريّة والمعنويّة من ظلمات النّفس وشبهاتها وزلّاتها وضلالاتها وقد فسّرت النّجوم بآل محمّد(ص) [قَدْ فَصَّلْنَا الْآيٰاتِ] آيات علمنا وقدرتنا وتدبيرنا للاشياء على طبق حكمتنا بنصب رئيس في كلّ من مراتب العالم الكبير و الصّغير في الكتاب التّدوينيّ والتّكوينيّ الآفاقيّ والانفسيّ ، ليدلّ على وجوب رئيس منّا في اشرف اجزاء العالم الكبير

و هو الانسان وليس تفصيلنا للآيات لكلّ ذى شعور بل للانسان ولا لكلّ فرقة منهم بل [لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ] فانّ غيرهم لاينجع فيه تفصيل الآيات و كأيّن من آية فى السّماوات والارض يمرّون عليها وهم عنها معرضون ، والعلم قد يطلق بمعنى مطلق الادراك تصوّراً كان اوتصديقاً ، وقد يطلق بمعنى العرفان وهو التّصوّر الجزئىّ وقد يطلق بمعنى ادراك النّسبة وهماً كان او شكّاً او ظنّاً او علماً عادياً او تقليدياً او يقيناً تحقيقياً ، و قد يطلق على الاعتقادالرّاجح ظنّاً كان اوعلماً عادياً ، اوتقليداً ، اويقيناً ، وقد يطلق على مايقابل الظّنّ من هذه الثّلاثة وهذه ليست بمرادة وهو واضح ، وقد يطلق على اليقين واليقين ان كان متعلّقاً بالامور المعاشيّة من غير توجّه وارتباط بالآخرة كما قال تعالى ، يعلمون ظاهراً من الحيوة الدّنيا وهم عن الاخرة هم غافلون، فليس تفصيل الآيات لهذا العالم لانّه لغفلته لا يدرك ذا الآية من الآيات بل ينفى عنه العلم و ان كان متعلّقاً بالامور الاخرويّة من العقائد العقليّة والاعمال القلبيّة و الاخلاق النّفسيّة والعبادات القالبيّة والاعمال المعاشيّة المؤدّية الى اصلاح المعاد فامّا ان لايقارن العمل ولايستخدم الخيال بل يستخدمه الخيال فى مآربه الكاسدة ومقاصده الفاسدة ويجعل آلة الدّين شركاً للدّنيا سواء قارن صورة العمل كما فى المتعبّدين المرائين او لا، كما فى المتهتّكين الّذين لايبالون بما عملوا ولا بما قيل فيهم اوقالوا ، فهذا لا يسمّى ايضاً علماً عند اهل الله لما فيه من عدم الاشتداد بل من عدم التّوجّه الى المعلوم، الا ترى الى قوله تعالى ولقدعلموالمن اشتريه ماله فى الاخرة من خلاق ولبئس ماشروا به انفسهم لو كانوا يعلمون كيف اثبت لهم هذاالعلم ثمّ نفاه عنهم لمّا لم يعملوا بمقتضاه، وامّا ان يقارن العمل فيما له تعلّق بالعمل ويقارن الاشتداد فيه وفيما لاتعلّق له بالعمل بان يستخدم الخيال و يستتبع المدارك والقوى ثمّ الاعضاء فى مآربه العقليّة ، ويترقّى القوى والاعضاء من حضيض التأبّى الى اوج الانقياد والتّسليم والعقل من مقام حصول صورة المعلوم عنده الى مقام حضوره، فانّ العلم يقتضى العمل فاذا قارن مقتضاه اشتدّ ولم يقف حتّى يتحقّق العالم بالمعلوم ويتّحد العلم والعالم والمعلوم، فهذا العالم هو الّذى يرى قدرة الله وعلمه وحكمته فى كلّ مقدور ولذا جعل تفصيل الآيات من فلق الحبّ الى جعل النّجوم سبباً للهداية لهذا العالم، وقدمضى تحقيق العلم ومراتبه فى سورة البقرة عند قوله تعالى لبئس ماشروا به انفسهم لو كانوا يعلمون [وَهُوَ الَّذِى أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وٰاحِدَةٍ] نفس آدم(ع) بحسب الجسم اونفس النّبىّ(ص) بحسب الاسلام اونفس الولىّ(ع) بحسب الايمان اونفس الكلّ اوربّ النّوع بحسب الحيوة الحيوانيّة وبحسب الحيوة الانسانيّة [فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ] هذه الكلمة مجملة متشابهة من حيث اللّفظ والمعنى والاعراب، قرئ مستقرّ بفتح القاف اسم مفعول من استقرّه اذا وجده قاراً ساكناً، اومن استقرّ اذا قرّ وسكن بمعنى مستقرّ فيه، اواسم مكان اومصدراً ميميّاً وهكذا الحال فى المستودع، وقرئ بكسر القاف اسم فاعل من استقرّ بمعنى قرّ والمعنى هو الّذى انشأكم فمنكم قارّ ومنكم غير قارّ، اومحلّ قرار ومحلّ عدم قرار، اولكم استقراروعدم استقرار، اومحلّ قرار وعدم قرار، اوفيكم استقرار وعدم استقرار اومحلّ قرار وعدم قرار اوقارّ وغير قارّ ، والاصلاب والارحام والابدان والدّنيا والبرازخ بوجه محلّ قرار وبوجه محلّ عدم قرار للنّطف والنّفوس والابدان، وبعد القيامة محلّ قرار على الاطلاق، والابدان والنّفوس والصّدور والقلوب محلّ قرار للحيوة الحيوانيّة والانسانيّة والاسلام والايمان والعلوم بوجه ، ومحلّ عدم قرار بوجه [قَدْ فَصَّلْنَا الْآيٰاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ] و لمّا كان الاستدلال بالانشاء من نفس والاستقرار و الاستيداع على تدبيره و حكمته محتاجاً الى استعمال نوع فطنة فوق العلم ذكر الفقه معه [وَهُوَ الَّذِى أَنْزَلَ

مِنَ السَّمٰاءِ] سماء الطّبع و سماء الارواح و النّبوّة والولاية [مٰاءً فَأَخْرَجْنٰا] التفات اشعاراً بانّ نزول الماء من السّماء كأنّه يكفيه الاسباب الطّبيعيّة ولا حاجة له الى مباشر قريب سواها بخلاف اخراج النّبات الاخضر الطّريّ من الحبّ الجماد اليابس فانّ له مباشراً قريباً مدبّراً حكيماً قديراً آلهيّاً سوى الاسباب الطّبيعيّة [بِهِ نَبٰاتَ كُلِّ شَيْءٍ] من انواع النّبات اونموّ كلّ شيءٍ من انواع الحيوان بمعنى سبب نموّه او نباتاً مناسباً لكلّ نوع من انواع الحيوان و لرفع كلّ حاجة من انواع الحاجات [فَأَخْرَجْنٰا مِنْهُ] اى من النّبات ورقاً و غصناً [خَضِراً] وصف مثل اخضر اومن اجل الماء زرعاً ونباتاً خضراً وعلى هذا يكون من عطف التّفصيل على الاجمال [نُخْرِجُ مِنْهُ] اى من النّبات اومن الخضر اومن اجل الماء [حَبّاً مُتَرٰاكِباً وَمِنَ النَّخْلِ] خبر مقدّم [مِنْ طَلْعِهٰا] بدل اومن النّخل عطف على نبات كلّ شيءٍ باقامة من التّبعيضيّة مقام الاسم اوعطف على منه و من طلعها خبر مقدّم والجملة حال اومستأنفة [قِنْوٰانٌ] اعذاق جمع قنو كصنوان جمع صنو [دٰانِيَةٌ] قريبة التّناول [وَ] أخرجنا به او منه اونخرج منه [جَنّٰاتٍ مِنْ أَعْنٰابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمّٰانَ مُشْتَبِهاً] فى الشّكل و الطّعم واللّون [وَغَيْرَ مُتَشٰابِهٍ انْظُرُوا إِلىٰ ثَمَرِهِ] اى ثمر كلّ واحد [إِذٰا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ] اى نضجه حتّى تعلموا انّ لها مدبّراً حكيماً قديراً و انّ حالكم حالها [إِنَّ فِي ذٰلِكُمْ لَآيٰاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ] بالايمان العامّ او الخاصّ فانّ الايمان بوحدته كافٍ فى الاستدلال بالمذكورات وان لم يكن علم وفقه [وَجَعَلُوا لِلّٰهِ شُرَكٰاءَ الْجِنَّ] بدل من شركاء اومفعول اوّل ولله حال من شركاء وذلك لانّ بعضهم يجعلون ابليس ذا الهة ، وبعضهم قائلون بالظّلمة كناية عن دار الجنّة و الشّياطين ، و بعضهم يعبدون الارواح الخبيثة الّتى هى الجنّة والشّياطين زعماً منهم انّ تلك الارواح هى الارواح الّتى كانت واسطة بين الله وبين الخلق وجميع المشركين سواء صرّحوا بانّ معبوديهم الشّياطين والجنّة او لم يصرّحوا بل عبدوا الشّجر والصّنم والكوكب وغيرها لايعبدون الّا الجنّ فى عبادتهم المعبودات الباطلة كما قال تعالى : و يوم يحشرهم جميعاً ثمّ يقول للملائكة اهؤلاء اياكم كانوا يعبدون قالوا سبحانك انت ولّينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجنّ اكثرهم بهم يؤمنون والسّر فى ذلك انّ الجنّ من اتباع ابليس تزيّن لهم المعبودات الباطلة فيطيعونهم فى ذلك فيعبدون الجنّ من حيث لايشعرون [وَخَلَقَهُمْ] جملة حاليّة بتقدير قد او لا حاجة لها الى قد لورود الماضى حالاً كثيراً و فصيحاً بدون قد يعنى خلق الله الجنّ و المخلوق لا يكون معبوداً كالخالق ، و يحتمل ارجاع الضّمير الى الجاعلين يعنى و الخالق لهم لا يكون كغير الخالق لهم [وَخَرَقُوا لَهُ] جعلوا لله من عند انفسهم من غير حقيقة و برهان [بَنِينَ وَبَنٰاتٍ] فقالوا نحن ابناء الله و المسيح ابن الله و عزيرٌ ابن الله و الملئكة بنات الله و جعلوا بينه و بين الجنّة نسباً [بِغَيْرِ عِلْمٍ] منهم بذلك [سُبْحٰانَهُ وَتَعٰالىٰ عَمّٰا يَصِفُونَ بَدِيعُ السَّمٰاوٰاتِ وَالْأَرْضِ] خالقهما من غير سبق مادّة ومدّة لا من اصل خلق ولا على مثال سبق بدعه انشأه كابتدعه و البديع الحادث لازم و متعدّ فسماوات الارواح و أراضى الاشباح كلّها مخلوقة [أَنّىٰ يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ] كيف يجوز ان يكون له ولد [وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صٰاحِبَةٌ] على مثاله شريكة له غير مخلوقة [وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ] فلم يكن شيءٌ صاحبته ولا ولده بل الكلّ مخلوق له [وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ]

فلا يحتاج الى ولد و وكيل فى استعلام حال بعض الاشياء [ذٰلِكُمُ] الموصوف بالاوصاف المذكورة من قوله انّ الله فالق الحبّ الى ههنا و الاتيان باسم الاشارة البعيدة المشيرة الى الموصوف بتلك الاوصاف للتّعظيم ولاحضارها فى الذّهن وليكون اشارة الى علّة انيّته تعالى بطريق برهان الانّ والتّكرار مع سابقه للتّمكّن فى الاذهان [اللّٰهُ] اى المسمّى بالله الدّائر على الستكم والموصوف بهذه الاوصاف حقيقة وجوديّة فالمسمّى بالله حقيقة متحقّقة [رَبُّكُمْ] اشارة الى قيّوميّته وربوبيّته لخصوص نوع الانسان [لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ] نفى للشّريك له فى الآلهة [خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ] نفى للثّانى عنه تعالى، فانّ كلّ ما يسمّى شيئاً فهو مخلوق له تعالى متعلّق الوجود به تعالى و ليس ثانياً له [فَاعْبُدُوهُ] يعنى بعد ما ثبت انيّته وربوبيّته، وان لا ثانى له فينبغى العبادة له فاعبدوه [وَهُوَ عَلٰى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ] حافظ لا حاجة له فى تدبير الاشياء الى وكيل و واسطة من ولد و غيره لاحاطته بالكلّ، ولمّا صار المقام مظنّة ان يقال هل يدرك مع احاطته ؟- فقال جواباً: [لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ] لا ابصار العيون ولا ابصار القلوب لاحاطته وقصور المحاط عن ادراك المحيط ، و لكن تدركه القلوب بحقيقة الايمان [وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ] لانّ شأن المحيط ادراك المحاط [وَهُوَ اللَّطِيفُ] لطفاً يقصر عن ادراكه الابصار لقصورها [الْخَبِيرُ] بالاشياء ومنها الابصار ومثل هذا يسمّى فى البديع بتشابه الاطراف [قَدْ جَاءَكُمْ] جواب لسؤال مقدّر كأنّه قيل: اذا لم يدركه الابصار فهل يمكن ادراكه ؟- فقال : قد جاءكم [بَصَائِرُ] جمع البصيرة كالابصار جمع البصر و البصيرة للقلب كالبصر للبدن تطلق على قوّة بها يدرك المعقولات و على ادراكها وعلى الحجج الّتى بها يكون ذلك الادراك وهذه هى المرادة بالبصائر ههنا، وهى اعمّ من الانبياء والاولياء ومعجزاتهم وكراماتهم وسيرهم واخلاقهم وكتبهم وشرائعهم، ومن البلايا والواردات والعبر والآيات الّتى تكون لخصوص الافراد اولعموم العباد ، هذا فى الآفاق ، واما فى الانفس فهى عبارة عن العقول والزّواجر والنّفوس والخواطر والالهامات والمنامات خصوصاً الصّادقات منها ، فانّها ادلّ دليل فى العالم الصّغير على وجود الآخرة وبقائها ووجود كلّ جزء من اجزاء عالم الطّبع فيها ماضياتها وآتياتها، وهذا هو الدّليل الوافى لكلّ ذى بصيرة على بقاء الانفس بعد فناء الابدان فكلّ هذه بصائر [مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ] بها من اسماء الله وصفاته ومن امور الآخرة [فَلِنَفْسِهِ] ابصر [وَمَنْ عَمِيَ] عنها [فَعَلَيْهَا] عمى [وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ] هذه حكاية قول النّبىّ (ص) بتقدير القول اوهى من الله لكنّها اشارة الى انّ حفظه تعالى وتدبيره للعباد موكول الى سبق الاستحقاق والاستعداد حتّى لايحتجّ عليه العباد [وَكَذٰلِكَ] التّصريف الّذى صرّفنا الآيات والحجج فى الالفاظ السّهلة التّناول بحسب المعنى [نُصَرِّفُ] متتاليات [الْآيَاتِ] الآفاقيّة والانفسيّة فى العالم و فى النّفوس و فى الالفاظ ليعمى فرقة وليبصر فرقة اخرى [وَلِيَقُولُوا] اى الفرقة العامّيّة و اللّام للعاقبة [دَرَسْتَ] قرئ درست ودارست معلوماً بتاء الخطاب بمعنى قرأت وذاكرت وتعلّمت ، وقرئ درست بتاء التّأنيث بفتح الرّاء وضمّها ودارست بتاء التّأنيث ودرست ببناء المجهول وتاء التّأنيث ودرسن بنون جمع المؤنّث ودارسات بجمع اسم الفاعل والكلّ من الدّروس بمعنى الاندراس ، ويجوز ان يكون درست مجهولاً بمعنى قرئت ، وقرئ درس معلوماً بالغيبة بمعنى تعلّم محمّد هذه الآيات ودرس بكلّ من معنييه لازم ومتعدّ [وَلِنُبَيِّنَهُ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ]

لا اهواء المشركين [لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ] بيان للموحى اواعتراض للتّعليل [وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ] ولاتبال بهم ولا تتّبع اهواءهم ولا تحزن عليهم لشركهم و المقصود العمدة المشركون بالولاية [وَلَوْ شَاءَ اللّٰهُ مَا أَشْرَكُوا وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظاً وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ] حتّى تحزن عليهم وانّما انت منذر [وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللّٰهِ] عائدالموصول محذوف وفاعل يدعون راجع الى المشركين، والمقصود منه لاتسبّوا الّذين يدعوهم المنحرفون عن عليّ (ع) ممّن نصبوه اماماً لهم حالكونهم بعضاً من غيرالله، وهذا النّهى جار للمؤمنين الى انقراض العالم، اوالعائد فاعل يدعون و مفعوله محذوف، اومن التّبعيضيّة قائمة مقام المفعول [فَيَسُبُّوا اللّٰهَ] اى يسبّوا علياً (ع) فانّه مظهرالله و سبّه سبّ الله و سبّ الله لايتصوّر الّا فى مظاهره [عَدْواً] ظلماً لعليّ (ع) اوتجاوزاً عن الحقّ فى سبّ عليّ (ع) [بِغَيْرِ عِلْمٍ] منهم انّه مظهرالله و نقل عن الصّادق (ع) انّه سئل عن هذه الآية فقال: ارأيت احدا يسبّ الله ؟- فقيل: لاوكيف ؟- قال: من سبّ وليّ الله فقد سبّ الله، و قد ورد عنهم بهذا المضمون اخبار كثيرة، و ما ذكرناكان خلاصة المقصود ولا يخفى التّعميم لكلّ مشرك ومدعوّ غيرالله ولكلّ نبيّ (ع) ووصيّ (ع) ولكلّ مؤمن [كَذٰلِكَ] مثل ارتضاء كلّ منكم مايدعونه وعدم ارتضاء ما يدعوه غيرهم [زَيَّنَّا] من لدن آدم (ع) [لِكُلِّ أُمَّةٍ] فرقة من الفرق المختلفة المحقّة و المبطلة [عَمَلَهُمْ] وقد سبق عند قوله تعالى، قل كلٌّ من عندالله، انّ الفاعل فى الوجود مطلقاً هو الحقّ تعالى وليس من الموجودات سوى الاستعداد والقبول وانّ فعله تعالى امّا بلاواسطة اوبوسائط وانّ مظاهر قهره تعالى من جملة وسائطه وانّ الشّيطان من مظاهر قهره فصحّ نسبة التّزيين اليه تعالى فى الاعمال السّيّئة والى الشّيطان لانّه المباشر القريب والى القوابل نحو نسبة الشّيء الى القابل [ثُمَّ إِلٰى رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ] قد سبق انّ الرّبّ المضاف هوالولاية المطلقة وانّ مظهره الاتمّ علىّ (ع) وانّ رجوع الكلّ الى الولاية الّتى هى فعله تعالى و ظهوره لا الى الغيب المطلق فانّه لاراجع هناك ولارجوع [فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ] من خيروشرّ [وَأَقْسَمُوا بِاللّٰهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَتْهُمْ آيَةٌ] ممّا اقترحوا [لَيُؤْمِنُنَّ بِهَا] اى ليذعننّ بالآية الجائية وانّها من الله او ليؤمننّ بمحمّد (ص) بسبب تلك الآية وهذا حكاية قولهم الكاسد النّاشى من تمحّلات النّفس فانّها كالمرأة الخبيثة تكون دائمة فى الاعذار الفاسدة والفرارمن قبول حكم الازواج واتّهام غيرها بما ثمها [قُلْ] يامحمّد (ص) لهم او للمؤمنين الطّامعين فى ايمانهم الطّالبين منك الاتيان بمقترحاتهم [إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللّٰهِ] وليست عندى وباختيارى [وَمَا يُشْعِرُكُمْ] مااستفهاميّة للاستفهام الانكارىّ والخطاب للمؤمنين الطّالبين للاتيان بمقترحاتهم حرصاً على ايمانهم، اوللكافرين المقسمين بطريق الالتفات من الغيبة الى الخطاب، اومانافية وفاعل يشعركم ضمير راجع الى الله وهوعطف على انّما الآيات، اوحال معمول لعندالله ومن جملة مقول القول، اوعطف على اقسموا، اوحال معمول لاقسموا و من قول الله [إِنَّهَا إِذَا جَاءَتْ] قرئ بفتح همزة انّ معمولة مع ما بعدها ليشعركم بلاواسطة حرف، اوبتقدير الباء اوهى بمعنى لعلّ وقرئ بكسرالهمزة فتكون مستأنفة [لَا يُؤْمِنُونَ] قرئ بالغيبة وبالخطاب و لفظة لازائدة اواصليّة [وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ] عطف على لا يؤمنون عطف السّبب

على المسبّب اوعطف المسبّب على السّبب ، والفؤاد يطلق على القلب اللّحمانيّ وعلى النّفس الانسانيّة وعلى اللّطيفة السيّاره الانسانيّة و على القلب الّذى هو مرتبة من مراتب الانسان و على الجهة الرّوحانيّة من الانسان اذا علمت ذلك ، فاعلم، انّ روحانيّة الانسان اى قلبه كبدنه خلق مستوى القامة رأسه من فوق و تقليبه عبارة عن تعلّقه بمشتهيات الحيوان واستقامته عبارة عن تعلّقه بما اقتضته انسانيّة الانسان ، واستقامة الابصار عبارة عن ادراك مايوافق الآخرة من كلّ ما يدركه البصر اوالبصيرة ، و تقليبها سبب لادراك مقتضيات الحيوان والاحتجاب عن الاعتبار بالمدركات [كَمٰا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ] اى بماانزل من الآيات اوبالقرآن اوبالنّبيّ(ص) [أَوَّلَ مَرَّةٍ] اى قبل اقتراحهم ، او اوّل مرّة نزول الآية اوفى عالم الذّرّ او اوّل الدّعوة [وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيٰانِهِمْ] متعلّق بنذرهم اوبقوله [يَعْمَهُونَ] اى يتردّدون فى الضّلال ويتحيّرون ، قرئ نقلّب ونذرهم بالتّكلّم وبالغيبة وقرئ تقلّب مبنيّاً للمفعول بتاء التّأنيث .

[الجزء الثّامن]

[وَلَوْ أَنَّنٰا نَزَّلْنٰا عَلَيْهِمُ الْمَلٰائِكَةَ] ردّ لاقتراحاتهم و ردع للرّسول (ص) و للمؤمنين عن ارادة الاتيان بشيء منها فانّهم كما نقل قالوا يامحمّد(ص) كان للانبياء الماضين آيات، فقال: اىّ شيء تحبّون منها ان آتيكم به ؟ ـ فقالوا : اجعل لنا الصّفا ذهباً ، و ابعث لنا بعض موتانا نسألهم عنك ، و أرنا الملائكة يشهدون لك ، اوائتنا بالله والملائكة قبيلاً ، وسأل المسلمون الرّسول(ص) ان يأتى لهم، فأراد الرّسول(ص) ان يجيبهم فنزل جبرئيل(ع) وقال: ان سألت اجبت ولكن ان لم يؤمنوا عذّبتهم وان شئت تركتهم حتّى يتوب تائبهم، فقال رسول الله(ص) بل يتوب تائبهم، فأنزل الله تعالى ولوانّنا نزّلنا عليهم الملائكة [وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتىٰ] فى رسالتك [وَحَشَرْنٰا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلاً] جمع القبيل بمعنى الكفيل اوجمع قبيل هو جمع القبيلة بمعنى الجماعة من النّاس اوهو مصدر بمعنى المعاينة والمقابلة والمعنى انّا لوجمعنا عليهم كلّ آية معاينة ومقابلة لهم ، اولوجمعنا كلّ شيء من الله والملائكة وغيرهم كفلاء بما بشّروا وانذروا اوجماعات وحمل الجمع على كلّ شيء باعتبار عمومه [مٰا كٰانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلّٰا أَنْ يَشٰاءَ اللّٰهُ] ردّ لسببيّة الاسباب الظّاهرة للايمان واثبات بسببيّة المشيّة له وردع للمشركين والمؤمنين من نظرهم الى الواسطة وغفلتهم عن سببيّة المشيّة واقتراحهم وتمنّيهم للآية، بانّ الوسائط ليست اسباباً ، بل هى مظاهر لمشيّته والسّبب لكلّ مسبّب هو المشيّة، فلوشاء الله لاتى كلّ نفس هديها من غير واسطة ولو لم يشأ لم تهتد و ان كان لها كلّ واسطة [وَلٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ] اكثر المؤمنين او المشركين اوالجميع [يَجْهَلُونَ] انّ المشيّة هى السّبب للايمان لا الآية المقترحة والمتمنّاة ، ولذا يقترحون ويتمنّون او الفعل منسىّ المفعول و المعنى اكثرهم جهلاء [وَكَذٰلِكَ] اى كما جعلنا لك عدوّاً من قومك [جَعَلْنٰا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّاً] يعنى لا تحزن على معاداة قومك فانّ سنّتنا على وفق حكمتنا جرت بجعل العدوّ لكلّ نبيّ ليكون تكميلاً لهم و اصلاحاً لامّتهم و سبباً لامتياز المنافق منهم عن الموافق واظهاراً لفضائلهم على السنة حسّادهم، فانّ فضل المحسود كثيراً يظهر على لسان الحاسد واحتجاجاً على طالبى الدّين بمعاداة المعاندين، فانّ معاند الانبياء لايظهر بمعاداته الّا اتّباعه الهوى وارادة الدّنيا وادباره عن الآخرة، لانّ الانبياء لايعارضون احداً

فی امور الدّنیا بل یدعون النّاس فی کمال الشّفقة الی الآخرة ، وهذا تسلیة للرّسول (ص) وسائر المؤمنین، والعدوّ ضدّ الصّدیق یستوی فیه الواحد والکثیر والمذکّر والمؤنّث ولذا ابدل عنه الجمع [شَيٰاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ] اعلم ، انّ الانسان وجملة عالم الطّبع واقع بین العالمین العلویّ والسّفلیّ کما سبق ولاهل کلّ من العالمین جهة تسلّط وتصرّف فی الانسان ، وعالم الطّبع والعالم السّفلیّ مهوی الشّیاطین والجنّ ودار الاشقیاء وجحیمهم ، والعالم العلویّ القریب من عالم الطّبع مقرّ الملائکة ذوی الاجنحة دون المقرّبین ، فانّ عالمهم اعلی من ذلک والانسان قابلٌ لتصرّف اهل العالمین وله امکان التّوجّه الی کلیهما، فمن توجّه بسوء اختیاره الی السّفلیّ وقبل تصرّف الشّیاطین والجنّة وتمکّن فی ذلک القبول ولم یبق له جهة استعداد قبول تصرّف الملائکة صار مظهراً للشّیاطین ومتحقّقاً بهم بحیث لم یکن فی وجوده الّا الشّیطان وکان فعله فعله و امره امره وخلقه خلقه و قوله قوله کما قیل بالفارسیّ :

چون پری غالب شود بر آدمی گم شود از مرد وصف مردمی
هرچه گوید او پری گفته بود زین سری نه زان سری گفته بود

وان کان مع ذلک باقیاً علیه بعض اوصاف الانسان کان شیطان الانس وان لم یکن کان شیطان الجنّ ، ویحتمل ان یکون المراد بشیاطین الجنّ ، الجنّة الّتی تؤذی من طریق الباطن وعلی ای تقدیر فالمقصود التّعریض بالحبتر والزّریق کما فی الخبر ، و من توجّه بتوفیق الله الی العالم العلویّ و قبل تصرّف اهله وتمکّن فی ذلک بحیث لم یبق له استعداد تصرّف الشّیطان صار مظهراً للملائکة بل لله وکان فعله وقوله وخلقه ظهور افعال الملائکة واقوالهم واخلاقهم کما قیل :

چون پری را این دم و قانون بود کرد کار آن پری خود چون بود
پس خداوند پری و آدمی از پری کی باشدش آخر کمی

وعن الصّادق (ع) : من لم یجعله الله من اهل صفة الحقّ فاولئک شیاطین الانس والجنّ [يُوحِي] ای یلقی اویوحی من طریق الباطن شیاطین الجنّ الی شیاطین الانس [بَعْضُهُمْ إِلىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ] حسن القول الکاذب بتمویهه [غُرُوراً] وحی غرور او للغرور او غاراً [وَلَوْ شٰاءَ رَبُّكَ مٰا فَعَلُوهُ] فلاتبتئس بما فعلوا فانّه بمشیّتنا و فیه مصالح و حکم لکم [فَذَرْهُمْ] من غیر تعرّض لهم بالردّ والقبول [وَمٰا يَفْتَرُونَ] لیقولوا مایریدون حتّی یجری حکمنا ومصالحنا [وَلِتَصْغىٰ إِلَيْهِ أَفْئِدَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ] عطف علی محذوف کما ذکرنا اوعطف علی غروراً [وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا] یکتسبوا [مٰا هُمْ مُقْتَرِفُونَ] حتّی یتمیّزوا من المؤمنین ویخلصوا ایمان المؤمنین بایذائهم ایّاهم [أَفَغَيْرَ اللّٰهِ أَبْتَغِي حَكَماً] بتقدیر قل او بتقدیر قال اویقول اویقال جواباً لسؤال مقدّر [وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتٰابَ] القرآن اوالنّبوّة [مُفَصَّلاً وَالَّذِينَ آتَيْنٰاهُمُ الْكِتٰابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِنْ رَبِّكَ] یعنی الّذین آتیناهم النّبوّة بتسلیم احکامها وقبولها وآتیناهم کتاب النّبوّة فی صورة کتاب سماویّ کأهل الکتابین یعلمون انّ القرآن اوکتاب نبوّتک او ولایتک فانّهما روح القرآن منزّل من ربّک [بِالْحَقِّ] متلبّساً بالحقّ الّذی هو الولایة اوبسببه اومعه [فَلاٰ تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ]

و هو من قبيل ايّاك أعني و اسمعي يا جارة [وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ] كلمة الرّبّ هي المشيّة التّي هي الولاية المطلقة، وتماميّتها بظهورها بنحو الاطلاق في هذا العالم، وظهورها كذلك ماكان الّا بمحمّد(ص) وعليّ(ع) فانّ سائر الانبياء والاولياء ولايتهم مقيّدة جزئيّة مقتبسة من ولاية عليّ(ع) التّي هي المطلقة الكلّيّة [صِدْقاً] من حيث الصّدق او صادقة فانّ الولاية ما لم تخرج من التّقيّد والتّحدّد لم يتمّ صدقها [وَعَدْلاً] العدل ضدّ الجور و هو اعطاء كلّ ذي حقّ حقّه كما انّ الجور منع المستحقّ من حقّه و بمعنى الاستقامة ضدّ الاعوجاج وبمعنى التّوسّط في الامور ويصحّ اعتباره بكلّ من معانيه [لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ] فلاتبال بمايقولون ولاتبتئس بما يكذبون [وَهُوَ السَّمِيعُ] لما يقولون في عليّ(ع) والقادر على منعهم من امضاء مايقولون واظهار مايريدون [الْعَلِيمُ] بحال كلّ و استحقاقه [وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ] لانّ الاكثر منكوسوا الرّؤس منحرفون عن الولاية التّي هي سبيل الله الى عالم السّفل الّذي هو عالم الشّياطين و الارواح الخبيثة واطاعتهم تؤدّي الى الانحراف الى ما توجّهوا اليه ، وهوتعريض بالامّة وانّما قال اكثر من في الارض لانّ الانسان ثلاثة اصناف: صنف عرجوا من ارض الطّبع الى سماء الارواح ، وشأنهم الطّاعة والانقياد لصاحب الرّسالة والولاية الكلّيّة لا الاستقلال والمطاعيّة ، وصنف وقفوا في ارض الطّبع لكن لهم التّهيّؤ والاستعداد للعروج الى عالم الارواح فهم و ان كانوا في ارض الطّبع لكن موافقتهم لا تصير سبباً للضّلال عن التّوجّه الى عالم الارواح ، وصنف واقفون في ارض الطّبع منكوسون الى السّفل متوجّهون الى عالم الشّياطين وهم اكثر من في الارض ، وطاعتهم وموافقتهم توجب الانحراف عن الولاية [إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ] الظّنّ من صفات النّفس فانّ علومها وان كانت يقينيّة وادراكاتها غير ظنّيّة فهي ظنون وليست بعلوم لما مضى مراراً انّ العلم هو الّذي يكون وجهه الى العلوّ ويكون في الاشتداد وعلم النّفس الغير المطيعة يكون وجهه الى السّفل ويكون في التّنزّل، فالمعنى مايتّبعون الّا الادراكات النّفسانيّة التّي هي مبادي الآراء الرّديّة والاهواء الخبيثة ، وايضاً لمّا كان علوم النّفوس مغايرة لمعلوماتها وجائزة الانفكاك عنها كان حكمها حكم الظّنون في مغايرتها لمظنوناتها وجواز انفكاكها عنها [وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ] الخرص التّقدير والكذب والظّنّ وهو المراد هنا يعني لايتّبعون الّا الظّنّ وليس لهم علم اصلاً حتّى يتصوّر منهم امكان متابعة العلم، لانّهم في مرتبة النّفس المنكوسة لايتجاوزون عنها فلايكون لهم علم [إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَنْ يَضِلُّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ] فالمتّبع هو ماقاله الرّبّ لاماقالوه من نسبة الضّلال والاهتداء الى النّاس بظنونهم فلاتبالوا بماقالوا ولا بماحرّموا واحلّوا وائتمروا بأمور ربّكم [فَكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ] ولاتبالوا بما قالوا من انّكم تأكلون ماقتلتم بأيديكم ولاتأكلون ما قتله الله من الانعام ، وبعد ما علمت انّ الاكل أعمّ من فعل القوى والاعضاء وصفات النّفس وادراك المدارك الظّاهرة والباطنة والعقائد العقلانيّة، وانّ الاصل في اسم الله هو الولاية وانّها الاسم الاعظم وان لااسم الّا وهو ظلّ لذلك الاسم الاعظم، وانّ عليّاً(ع) هو مظهره الاتمّ ولذا وردعنه: لااسم اعظم منّي، امكنك تعميم الاكل في كلّ فعل وقول واكل وشرب وادراك وخاطر وعلم ومعرفة واعتقاد وكشف وشهود وعيان ، فانّ الكلّ اكل بالنّسبة الى القوى التّي هي مبدأه ، وكذا امكنك تعميم اسم الله في الاسم القوليّ والقلبيّ المتّصلين بصورته الملكوتيّة التّي تسمّى فكراً وسكينة وحضوراً وذكراً حقيقيّاً في لسانهم ، فكلّ مافعل مع الحضور عند الاسم

الاعظم و تذكّره بصورته الملكوتيّة فهوحلال ولا وزرمعه ولا وبال ، ومع تذكّر الاسم الاعظم بما قلنا لا يقع منه ما هومكروه الاسم الاعظم ومكروهه مكروه الله فلا يقع منه حرام خارج عن السّنّة ولذا قيل :

« كفرگيرد ملّتى ملّت شود »

ومع عدم ذكرالله لا بالقول ولا بالقلب ولا بالفكر كلّما فعل وان كان مباحاً كان حراماً كما قيل :

« هر چه گيرد علّتى علّت شود »

وعن الصّادق (ع) فى حديث ذكرالانهار انّه قال : فما سقت واستقت فهولنا وماكان لنا فهولشيعتنا ، وليس لعدوّنا منه شيء الّا ماغصب عليه ، وانّ وليّنا لفى اوسع فيما بين ذه وذه مشيراً الى السّماء والارض ثمّ تلا : قل هى للّذين آمنوا فى الحيوة الدّنيا المغصوبين عليها خالصة لهم يوم القيامة بلاغصب، وقد ورد: ولىّ علىّ (ع) لايأكل الّا الحلال كما قيل :

گر بگيرد خون جهان را مال مال كى خورد مرد خدا الّا حلال

[إِنْ كُنْتُمْ بِاٰيٰاتِهِ مُؤْمِنِينَ] واعظم الآيات محمّد (ص) و علىّ (ع) وهوشرط تهييج على نفى التحرّج عن فعل ذكراسم الله عليه وعدم الاعتناء بقول اصحاب التّخمين والظّنّ ، اوتقييد لاباحة ماذكراسم الله عليه [وَمٰا لَكُمْ اَلّٰا تَأْكُلُوا مِمّٰا ذُكِرَ اسْمُ اللّٰهِ عَلَيْهِ] اىّ فائدة لكم فى ان لاتأكلوا ممّا ذكر اسم الله عليه [وَقَدْ] اباحه لكم [فَصَّلَ لَكُمْ مٰا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ] بالذّات ممّا سبق فى اوّل سورة المائدة فى آية تحريم الدّم و الميتة (الى آخرها) و ما حرّم عليكم بالعرض من الصّيد حين الاحرام و ما لم يذكر اسم الله عليه وما ذكراسم غيرالله عليه، وقرئ فصّل بالبناء للفاعل وحرّم بالبناء للمفعول ، وقرئ فيهما بالبناء للفاعل و بالبناء للمفعول [إِلّٰا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ] استثناء من المستترفى حرّم اومن المقدّربعده عائد للموصول [وَإِنَّ كَثِيراً لَيُضِلُّونَ بِاَهْوٰائِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ] عطف على ما حرّم باعتبار جواز تعليق الفعل الغيرالقلبىّ اوبتضمين فصّل معنى اعلم اوحال متعلّق باجزاء جملة مالكم ان لاتأكلوا (الى آخرها) اوباجزاء جملة قد فصّل (الى آخرها) [إِنَّ رَبَّكَ هُوَ اَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ] استيناف جواب للسّؤال عن علمه تعالى بهم و وضع الظّاهر موضع المضمر للاشعار بأنّهم فى اضلالهم معتدون وانّه تعالى كما يعلمهم يعلم اعتداءهم وتجاوزهم عن حدودالله وقد أخبركم بتجاوزهم فلا تبالوا بما قالوا فى حرمة الذّبيحة والميتة و حلّيّتهما وائتمروا بأمرالله [وَذَرُوا ظٰاهِرَ الْإِثْمِ وَبٰاطِنَهُ] من قبيل اضافة الصّنف الى النّوع اواضافة جهتى الشّيء الواحد اليه اوجزئى الشّيء المركّب اليه .

اعلم، انّ الانسان اعنى اللّطيفة السّيّارة الانسانيّة واقع بين عالمى النّور والظّلمة والاطلاق والتّقييد والوحدة والكثرة والملائكة والجنّة، ووجوده يكون دائماً فى الخروج من القوّة الى الفعل مثل سائر الكائنات، وهذا معنى قولهم : الكون فى التّرقّى فاذاكان افعاله واقواله و علومه وعقائده و خطراته و خيالاته ناشئة من توجّهه الى عالم النّور، اوقرينة لذلك التّوجّه كان خروجه من القوّة الى فعليّة النّور و من التّقييد الى الاطلاق و من الظّلمة الى النّور وكانت هذه منه طاعة ومرضيّة وعبادة ، واذاكانت تلك ناشئة من توجّهه الى عالم الظّلمة اوقرينة لغفلته عن الله تعالى وعن عالم النّور كان خروجه من القوّة الى فعليّة الظّلمة و من الاطلاق الى التّقييد ومن النّور الى الظّلمة ، وكانت هذه منه اثماً وذنباً ومعصية سواءكانت بصورة الطّاعات اولم تكن ، والى هذا

اشار الصّادق(ع) بقوله : من كان ذاكراً لله على الحقيقة فهو مطيع ومن كان غافلاً عنه فهو عاصٍ ، والطّاعة علامة الهداية والمعصية علامة الضّلالة واصلهما من الذّكر والغفلة وقوله تعالى : اللهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ (الى آخر الآية) اشارة الى انّ الايمان يقتضى التّوجّه الى عالم النّور، وذلك التّوجّه يقتضى الخروج من القوّة الى فعليّة النّور، والكفر بعكس ذلك ، وانّ الانسان اذا تمكّن فى التّوجّه الى عالم الظّلمة صار متجوهراً بالظّلمة واصلاً لكلّ الظّلمات ومتحقّقاً بالاثم واصلاً لكلّ الآثام، واذا تمكّن فى التّوجّه الى عالم النّور صار متجوهراً بالنّور واصلاً لكلّ الانوار بعد نور الانوار، ولذلك كان محمّد(ص) وعليّ(ع) اصلاً لكلّ حسن واليهما يرجع حسن كلّ حسن ، واذا لم يتمكّن فى شيءٍ منهما فامّا ان ينضمّ توجّهه الفطريّ الى التّوجّه الاختياريّ بالبيعة العامّة اوالخاصّة الصّحيحة اوالفاسدة اولا ينضمّ ، وكلٌّ من الثّلاثة ماصدر منه من حيث التّوجّه الفطريّ اوالاختياريّ الى عالم النّور كان حسناً وصواباً ، وما صدر منه من حيث التّوجّه الى عالم الظّلمة كان اثماً وذنباً، اذا عرفت هذا، فصحّ تفسير ظاهر الاثم بمخالفة عليّ(ع) وباطنه بالنّفاق معه وبالزّنا الظّاهر والزّنا الخفيّ وبنكاح زوجة الاب والزّنا وبأعمال الجوارح السّيّئة والعقائد و الرّذائل والخيالات و الخطرات والعزمات والنّيّات، وباتّباع مخالفى عليّ(ع) والمنافقين معه وبالسّيّئات الشّرعيّة وصور الحسنات الشّرعيّة الفاسدة، والمقصود منه النّهى عن متابعة المخالفين والمنافقين وعن ارتكاب ما ينشأ عن متابعتهما كائناً ما كان كما انّ المقصود ممّا يأتى الامر بمتابعة محمّد(ص) وعليّ(ع) المشار اليه بقوله تعالى فمن كان ميتاً فأحييناه (الآية) [إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْإِثْمَ] يحصّلون ما ينشأ من متابعتهما [سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا يَقْتَرِفُونَ] الاقتراف الاكتساب او فعل الاثم وهو فى موضع تعليل للاوّل [وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللهِ عَلَيْهِ] تصريح بالمفهوم تسجيلاً وتأكيداً [وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ] يعنى ما لم يذكر اسم الله عليه خارج عن الحقّ كائناً ما كان وهو عطف على محذوف ، والتّقدير انّه اثم اوحرام اومثل ذلك وانّه لفسق اوحال [وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ] من الكفّار [لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ] فى قولهم انكم تأكلون ماتقتلون بأنفسكم ولا تأكلون ماقتله الله وان اطعتموهم مطلقاً فى هذا اوغيره [إِنَّكُمْ] بتقدير الفاء وانّما حسن حذفه لكون الشّرط ماضياً مضعفاً لحكم الشّرط [لَمُشْرِكُونَ] فانّ الاشراك هو طاعة غير من نصبه الله للطّاعة ، والمقصود انّ شياطين الجنّ ليوحون الى اوليائهم ليجادلوكم فى عليّ(ع)، اوشياطين الانس ليوحون الى اتباعهم ليجادلوكم فى عليّ(ع) باظهار مايرى انّها مثالب لعليّ(ع) وان اطعتموهم صرتم مشركين بالله بواسطة الاشراك فى الولاية [أَوَمَنْ كَانَ مَيْتاً] عن الحيوة الانسانيّة وان كان حيّاً بالحيوة الحيوانيّة [فَأَحْيَيْنَاهُ] بالحيوة الانسانيّة بقبول الدّعوة النّبويّة والبيعة العامّة اوباستعداد قبول الولاية واستحقاق البيعة الخاصّة [وَجَعَلْنَا لَهُ نُوراً] اماماً اوايتماماً بامام منّا [يَمْشِي بِهِ] بسببه او معه [فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ] المثل بالتّحريك و المثل بالكسر والمثيل كامير الشّبيه، والمثل بالتّحريك الحجّة والحديث والصّفة والمعنى كمن هو شبيه من احيناه حالكونه [فِي الظُّلُمَاتِ] اوكمن شبيهه ثابت فى الظّلمات اوكمن حديثه او صفته ثابتة فى الظّلمات ، اوكمن صفته البقاء فى الظّلمات سواء كان حيّاً بالحيوة الانسانيّة وقبول الدّعوة النّبويّة ولم يكن له نورٌ اولم يكن حيّاً فضلاً عن النّور [لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا] عن الباقر(ع) الميت الّذى لا يعرف هذا الشّأن يعنى هذا الامر، واقول: المراد به الولاية اى الدّعوة

الباطنة وقبولها والبيعة لها وقال (ع) جعلنا له نوراً اماماً يأتمّ به يعنى علىّ بن ابى طالب (ع) كمن مثله فى الظّلمات قال (ع) بيده هذا الخلق الّذين لايعرفون شيئاً ، وبهذا المضمون اخبار كثيرة، ويستفاد من هذا الخبر انّ المراد بالميّت غير العارف بأمر الولاية سواء كان عارفاً بامر النّبوّة او لم يكن ، والحيوة معرفة امر الولاية بقبول الدّعوة الباطنة فانّه لايتصوّر معرفة هذا الامر الّا بالبيعة الخاصّة الولويّة وقبول الدّعوة الولويّة ، والمراد بالنّور امّا نفس قبول الدّعوة والبيعة اوالامام الظّاهر عليه بشريّته ، اوالمراد بالنّور الامر الدّاخل فى القلب بالبيعة الخاصّة او المراد به ملكوت الامام الظّاهر على السّالك فانّه به يحصل معرفة الامام بالنّورانيّة [كَذٰلِكَ] التّزيين الّذى زيّنّا لمن مثله فى الظّلمات [زُيِّنَ لِلْكٰافِرِينَ مٰا كٰانُوا يَعْمَلُونَ] فى ظلمات جهالاتهم محجوبين عن امر الولاية وضالّين عنه [وَكَذٰلِكَ] اى مثل ما جعلنا فى قريتك اكابر مجرميها [جَعَلْنٰا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكٰابِرَ مُجْرِمِيهٰا لِيَمْكُرُوا فِيهٰا] لتخليص المؤمنين وتميز المنافقين عنهم [وَمٰا يَمْكُرُونَ] فى مكر الانبياء والمؤمنين [إِلّٰا بِأَنْفُسِهِمْ] لانّهم فى مكرهم يخرجون اوّلاً انفسهم من حدّ الاعتدال والتّوجّه الى كمالها الى حدّ التّفريط والتّوجّه الى نقصانها [وَمٰا يَشْعُرُونَ] انّ المكر فى الحقيقة بأنفسهم [وَإِذٰا جٰاءَتْهُمْ آيَةٌ] بيان لمكرهم اوتعنّت آخر لهم [قٰالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتّٰى نُؤْتىٰ مِثْلَ مٰا أُوتِيَ رُسُلُ اللّٰهِ اَللّٰهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسٰالَتَهُ] وهذا ردّ عليهم بانّ الرّسالة ليست بالآية ولا بالنّسب والحسب والمال بل بعلم الله بمحلّه وصلاح محلّه وبمشيّته وحيث مفعول به ليعلم المقدّر، اوبتقدير افعل التّفضّل بمعنى اسم الفاعل لعدم جواز تعدية اسم التّفضيل الى المفعول به [سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغٰارٌ] فى الدّنيا اى ذلّة وهوان كما اصابهم يوم بدر ويوم فتح مكّة [عِنْدَ اللّٰهِ] اى عند مظاهره او فى الآخرة عنده [وَعَذٰابٌ شَدِيدٌ] فى الآخرة [بِمٰا كٰانُوا يَمْكُرُونَ فَمَنْ يُرِدِ اللّٰهُ أَنْ يَهْدِيَهُ] الى الرّسالة الّتى جعلها حيث يشاء [يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلاٰمِ] الصّدر محلّ الاسلام و محلّ قبول الرّسالة واحكامها باعتبار وجهه الى القلب كما انّه محلّ الكفر وقبول احكام الشّيطان باعتبار وجهه الى الحيوانيّة والطّبع ، وشرحه عبارة عن استعداده لقبول احكام كلّ من الطّرفين بجهتيه فشرحه للاسلام كمال استعداده لقبول مايرد عليه ممّا يوجّهه الى القلب ، و شرحه للكفر عبارة عن كمال استعداده لقبول مايرد عليه ممّا يوجّهه الى الشّيطان و الى اهويتها ، وارادة الله للهداية و الاضلال مسبوقة بحسن استعداد العبد و اختياره او سوء استعداده و اختياره فلا جبر كما انّه لاتفويض ، وقد سبق تحقيق هذا المطلب فى سورة البقرة عند قوله ولكنّ الله يفعل مايريد ولمّا كان شرح الصّدر للاسلام عبارة عن توجّه النّفس الى القلب و انصرافها عن جهة الدّنيا ورد عن النّبىّ (ص) حين سئل: هل لذلك من امارة يعرف بها ؟ـ انّه قال : نعم ، الانابة الى دار الخلود ، والتّجافى عن دار الغرور ، و الاستعداد للموت قبل نزول الموت [وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً] عن قبول ما يوجّهه الى جهة القلب ، و الضّيق الّذى بقى له منفذ و الحرج و قرء بكسر الحاء الّذى لامنفذ فيه كما فى الخبر [كَأَنَّمٰا يَصَّعَّدُ فِي السَّمٰاءِ] فى قبول الرّسالة والاسلام [كَذٰلِكَ] كما يجعل الشّكّ والضّيق على من يريد ان يضلّه [يَجْعَلُ اللّٰهُ الرِّجْسَ] بكسر الرّاء وفتحها وكسر الجيم وبالتّحريك القذر والمأثم وكلّ ما استقذر من العمل والشّكّ والعقاب [عَلَى الَّذِينَ لاٰ يُؤْمِنُونَ وَهٰذٰا] الّذى ذكر من جعل صدر بعض منشرحاً

للاسلام و بعض ضيّقاً [صِراطُ رَبِّكَ] سنّة ربّك [مُسْتَقِيماً] غير منحرف فى الارادتين عن ميزان الاستعدادين فانّ الارادتين بقدر استعدادهما واستحقاقهما ، اوهذا الّذى انت عليه من الولاية الّتى هى روح نبوّتك و رسالتك صراط ربّك مستقيماً فانّه لا افراط فيها ولا تفريط [قَدْفَصَّلْنَاالْآيَاتِ] التّدوينيّة فى بيان الآيات التّكوينيّة الواردة فى صدور النّاس بحسب استعداداتهم المختلفة اوالآيات التّكوينيّة مطلقة بالآيات التّدوينيّة [لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ] يتذكّرون اشارة الى انّ الّذاكر باللّسان فقط لايتنبّه لتلك الآيات بل الّذاكر باللّسان و الرّاجع الى الجنان يتنبّه لها فانّ الانسان ما لم يرجع الى باطنه ولم ينظر ببصيرته الى حالاته الواردة عليه لايميّز بين ضيق الصّدروشرحه اوبين مطلق الآيات العلويّة والسّفليّة، والرّاجع الى نفسه يميّز بين الواردات فيتوب عمّا يؤذيه وينيب الى ماينفعه فيكون [لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِنْدَرَبِّهِمْ] اى دارالسّلامة عن الآفات اودارالله الّتى اعطاها ايّاهم [وَهُوَوَلِيُّهُمْ] لما انقطعوا عن غيره وتوسّلوا به [بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ] من الفرار عمّا يبعدهم والعمل بما يقربهم [وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعاً] بتقدير اذكر اوذكّر اونقول والضّمير للثّقلين [يَامَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِاسْتَكْثَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ] استكثره الماء اراد منه ماءً كثيراً واستكثر من الشّيء رغب فى الكثير منه والمعنى طلبتم كثيراً منهم اورغبتم فى الكثير منهم فجعلتموهم من سنخكم اواتباعكم [وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِنَ الْإِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ] استمتاع الانس من الجنّ باتّباعهم فى الالتذاذ بالشّهوات واستمتاع الجنّ من الانس بحصول مرادهم منهم من اغوائهم وتمكّنهم منهم فى الامر و النّهى قالوها تحسّراً و اعترافاً [وَبَلَغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَّلْتَ لَنَا] من القيامة اومن امد الحياة [قَالَ] الله لهم [اَلنَّارُ مَثْوَيكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَاشَاءَاللَّهُ] قبل دخول النّارحتّى لاينافى مادّة العامل فى الاستثناء اوّلا ماشاء لمن يشاء بناء على خروج بعض من النّار، وبعض من قال بانقطاع العذاب لكلّ احد تمسّك بامثال هذه الآية من النّقليّات بعدالتّوسّل بالعقليّات [إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ] فى عقوبة المعاقب لايظلم احداً [عَلِيمٌ] بقدر استحقاقه [وَكَذَلِكَ] مثل مانولّى بعض الانس بعض الجنّ فى الدّنيا او فى القيامة [نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضاً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ] بالسّنخيّة الّتى يكسبونها باعمالهم السّيّئة اى نصرف وجوه بعض الى بعض ونتركهم ونصرف وجوههم عن اوليائى ، اوالمعنى نولّى بعض الظّالمين بعضاً للانتقام منهم كماشيراليه فى الخبر [يَامَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ] بتقدير القول حالاً او مستأنفاً [أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ] من وجودكم فى عالمكم الصّغير او من سنخكم فى العالم الكبيروهوتوبيخ لهم، وقدورد انّ الله قد بعث من الجنّ رسولاً اليهم، ورسالة رسولنا(ص) كان الى الانس والجنّ كما ورد فى الاخبار [يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا] اعترافاً بتقصيرهم [شَهِدْنَا عَلَى أَنْفُسِنَا] لمّا لم يجدوا مفرّاً اقرّوا [وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَوةُ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ] عطف على قالوا [ذَلِكَ] اى ارسال الرّسل و قصّ الآيات و الانذار من يوم القيامة [أَنْ لَمْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ] منه من دون اتمام الحجّة اوبظلمهم لانفسهم اولغيرهم [وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ] غير متذكّرين لثواب وعقاب [وَلِكُلٍّ] من افراد الجنّ والانس محسناً كان اومسيئاً اومن

اصناف المحسن والمسيء اومن جنس المحسن وجنس المسيء [دَرَجٰاتٌ] فى العلوّ والعالم العلوىّ وفى النّزول والعالم السّفلىّ ، والدّرجة بالضمّ والسّكون و بالتّحريك وكهمزة المرقاة و اذا اعتبر فيها الارتقاء كان تسمية دركات المسيء بالدّرجات من باب التّغليب او باعتبارها من الاسفل فانّ الاسفل بالنّسبة الى ما فوقه درجة [مِمّٰا عَمِلُوا] اى هى عبارة ممّا عملوا على تجسّم الاعمال اوناشئة ممّا عملوا ، و ما موصولة او موصوفة اومصدريّة [وَمٰا رَبُّكَ بِغٰافِلٍ عَمّٰا يَعْمَلُونَ] قرئ بالخطاب وبالغيبة والمقصود انّ درجات اعمال العباد ظاهرة عنده وهو غير غافل عنها فيرفع كلّاً و ينزل بقدر درجات اعماله ودركاتها [وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ] جمع بين المتقابلين من صفاته من القهر واللّطف والتّنزيه والتّشبيه وعداً ووعيداً [إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ] باقتضاء غناه و عدم حاجته لكن يبقيكم مدّة لتستكملوا فيها باقتضاء رحمته [وَيَسْتَخْلِفْ مِنْ بَعْدِكُمْ مٰا يَشٰاءُ] الاتيان بما للاشارة الى كمال قدرته بحيث لو اراد ان يستخلف منكم غير ذوى العقول كان قادراً فضلاً عمّن هو من سنخكم و باعدادكم نطفهم و مادّتهم لقبول صورة الانسان [كَمٰا أَنْشَأَكُمْ مِنْ ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ آخَرِينَ] فى زيادة الذّرية اشارة إلى انّ هذا كان مستمراً [إِنَّ مٰا تُوعَدُونَ لَآتٍ] لمّا لم يقتض الشّرط وضع المقدّم صار المقام مظنّة السّؤال عن وقوع المقدّم فاجاب بانّ ماتوعدون من مشيّة الاذهاب والاستخلاف واقع [وَمٰا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ] له عن الاذهاب [قُلْ] تهديداً لهم [يٰا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلىٰ مَكٰانَتِكُمْ] قرئ مكاناتكم حيثما وقع اى حالكونكم ثابتين على مقامكم ومكانكم فى الكفر او مشتملين على غايه تمكّنكم فانّ المكانة كالمكان بمعنى المقام او من التّمكّن بمعنى الاستطاعة [إِنِّي عٰامِلٌ] على مرتبتى فى التّوحيد والاسلام [فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ تَكُونُ لَهُ عٰاقِبَةُ الدّٰارِ] امّا استفهام علّق الفعل عنه ، اواستفهام منقطع عن سابقه ، اوموصول مفعول لتعلمون وعلى اىّ تقدير فالمقصود بقرينة المقام انّكم سوف تعلمون انّ لنا عاقبة الدّار ولذا علّله بقوله [إِنَّهُ لٰا يُفْلِحُ الظّٰالِمُونَ] كأنّه قال لانّكم ظالمون ولاعاقبة محمودة للظّالم اوهو من قول الله تعليلاً للامر اى قل لهم ذلك لانّهم ظالمون والظّالم لايفلح بحجّة [وَجَعَلُوا لِلّٰهِ] بيانٌ لظلمهم وعطف باعتبار المعنى اى انّهم ظلموا وجعلوا لله [مِمّٰا ذَرَأَ] اى خلق [مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعٰامِ نَصِيباً فَقٰالُوا هٰذٰا لِلّٰهِ بِزَعْمِهِمْ] من غير حجّة و سلطان [وَهٰذٰا لِشُرَكٰائِنٰا] يعنى اصنامهم [فَمٰا كٰانَ لِشُرَكٰائِهِمْ فَلٰا يَصِلُ إِلَى اللّٰهِ] لانّ الوصول الى الله لايكون الّا اذا كان الصّدور ايضاً من الله وليس لهم لطيفة آلهيّة تصير سبباً لان يكون الصّدور من الله [وَمٰا كٰانَ لِلّٰهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلىٰ شُرَكٰائِهِمْ] لما ذكر [سٰاءَ مٰا يَحْكُمُونَ] بتشريك المخلوق للخالق وجعل النّصيب من المخلوق للخالق من غير امر منه ، روى انّهم كانوا يعيّنون شيئاً من حرث ونتاج لله ويصرفونه الى الضّيفان والمساكين وشيئاً منهما لآلهتهم و ينفقونه على سدنتها ويذبحون عندها ، ثمّ ان رأوا ما عيّنوا لله ازكى بدّلوه بما لآلهتهم ، وان رأوا ما لآلهتهم ازكى تركوه لها حبّاً لآلهتهم واعتلّوا لذلك بانّ الله غنىٌّ. اعلم ، انّ فى الانسان لطيفة آلهيّة تسمّى عقلاً وعقل المعاش طليعة منه وهو المتصرّف والحاكم من الله فى وجوده ، ولطيفة شيطانيّة تتصرّف فيه وتحكم عليه و الاوّل هو الاله فى العالم الصّغير و الثّانى هو الشّيطان فى العالم الصّغير ، و الانسان واقع بين الحاكمين

والغرض من تكليف الانسان بالاعمال الشّرعيّة خلاصه من حكومة الشّيطان ودخوله تحت حكومة الله وخلوص حكومته، فمن أخلص نفسه لقبول حكومة الله فهو مؤمن موحّد ومن اخلص نفسه لحكومة الشّيطان فهو كافر بل هو شيطان مريد، ومن أشرك بين الحكومتين فهو مشرك موزّع لجملة اعماله ومكاسبه عليهما، ولمّا كان الله تعالى شأنه أغنى الشّركاء فما كان لشريكه فلا يصل الى الله، وما كان لله فهو يصل الى شريكه، لانّ الشّيطان مادام له حكومة ما في وجود الانسان فكلّما عمل لله يداخله الشّيطان قبل العمل اوحينه اوبعده من مداخل خفيّة، حتّى يجعل نفسه شريكاً للطّيفة الآلهيّة، ولمّا كان الله اغنى الشّركاء يترك ما جعل ما بشراكة غيره الى الشّريك فما كان خالصاً للشّريك كان له وما كان لله يدعه الله للشّريك، وفي لفظ ذرأ اشارة الى كمال سفاهتهم حيث جعلوا لله ممّا خلقه نصيباً له والخالق اقوى مالك لمخلوقه [وَكَذٰلِكَ] اى مثل تزيين جعل النّصيب لله من مخلوقاته [زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ اَوْلٰادِهِمْ شُرَكٰاؤُهُمْ] وهم الّذين كانوا يرتكبون قتل اولادهم او وأدهم للعار اولخوف العيلة اوللاصنام وقرئ زيّن مجهولاً وقتل بالرّفع واولادهم بالنّصب وشركاؤهم بالجرّ بناءً على توسّط المفعول بين المضاف والمضاف اليه، وقرئ زيّن مجهولاً وقتل بالرّفع واولادهم بالجرّ وشركاؤهم بالرّفع على ان يكون شركاؤهم فاعل القتل، وقرئ زيّن معلوماً وقتل بالنّصب واولادهم بالجرّ وشركاؤهم بالرّفع، وحينئذٍ يكون فاعل زيّن ضميراً راجعاً الى الله وشركاؤهم فاعلاً للمصدر اوشركاؤهم فاعل زيّن وفاعل المصدر محذوف يعني المشركين اوشركاؤهم متنازع فيه لزيّن وللمصدر، وتعميم القتل والاولاد والشّركاء لما في الكبير والصّغير يناسب كون شركاؤهم فاعلاً للمصدر او متنازعاً فيه [لِيُرْدُوهُمْ] ليهلكوهم بالاغواء عن الحيوة الانسانيّة [وَلِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ] ليخلطوا عليهم [دِينَهُمْ] الفطريّ الّذي كانوا عليه بحسب الفطرة من التّوجّه الى الآخرة والتّوحيد اوطريقتهم الّتي كانوا عليها، آلهيّة كانت اوشيطانيّة حتّى لايستقيموا على تلك الطّريقة الّتي يسمّونها ديناً [وَلَوْ شٰاءَ اللّٰهُ مٰا فَعَلُوهُ] تسلية للرّسول (ص) بصرف نظره عن صورة افعالهم الى السّبب الاصليّ لها، حتّى لايضيق صدره بما فعلوا ولايتحسّر عليهم [فَذَرْهُمْ وَمٰا يَفْتَرُونَ] تسكين له (ص) عن تعب الدّعوة والاهتمام بمنعهم من شنائع اعمالهم [وَقٰالُوا] بيان لظلم آخر منهم [هٰذِهِ] الانعام والحرث [اَنْعٰامٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ] الحجر بتثليث الحاء المنع والحرام [لٰا يَطْعَمُهٰا إِلّٰا مَنْ نَشٰاءُ] يعني من نشاء بالمواضعة الّتي بيننا وفيه تعيير لهم، بانّ حكمهم ليس الّا بمقتضى اهويتهم كانوا يمنعون غير خدّام الاصنام من اكلها [بِزَعْمِهِمْ] متعلّق بقالوا يعني قالوه بزعمهم من غير حجّة من الله [وَاَنْعٰامٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهٰا] يعني البحيرة والسّائبة والوصيلة والحام [وَاَنْعٰامٌ] عطف على انعام اى قالوا هذه انعام لا ينبغي ان يذكر اسم الله عليها، او ابتداء كلام من الله والجملة معطوفة على قالوا اى لهم انعام وانعام اخر [لٰا يَذْكُرُونَ اسْمَ اللّٰهِ عَلَيْهٰا] في الذّبح والنّحر اولا يحجّون عليها يحرّمون ذكر اسم الله بالتلبية عليها [افْتِرٰاءً عَلَيْهِ سَيَجْزِيهِمْ بِمٰا كٰانُوا يَفْتَرُونَ وَقٰالُوا] وجه آخر لظلمهم وانحرافهم عن الحقّ واستبدادهم برأيهم من غير حجّة [مٰا فِي بُطُونِ هٰذِهِ الْاَنْعٰامِ خٰالِصَةٌ] قرئ بالتّأنيث والتّذكير مرفوعاً ومنصوباً في كلا الحالين، والتّأنيث باعتبار معنى ما، وهي الاجنّة، اوالتّاء فيه للمبالغة اوهو مصدر كالعافية [لِذُكُورِنٰا وَمُحَرَّمٌ عَلىٰ اَزْوٰاجِنٰا وَإِنْ يَكُنْ مَيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكٰاءُ] كانوا يحرّمون

الجنين الّذى يخرجونه من بطون الانعام المفصّلة السّابقة حيّاً على النّساء فاذا كان ميتاً يأكله الرّجال والنّساء على السّواء، وقيل: المراد بما فى بطونها البانها، وقيل: المراد الالبان والاجنّة كلتاهما [سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ] اى جزاء وصفهم هذا او نفس وصفهم على تجسّم الاعمال [إِنَّهُ حَكِيمٌ] يعطى حقّ كلّ ذى حقّ من الخير والشّر [عَلِيمٌ] بمقادير استحقاقاتهم [قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ] تصريح بخسرانهم و ضلالهم بعد التّلويح تأكيداً وتفضيحاً، قيل: كانوا يقتلون الاولاد للاصنام ويقتلون بناتهم مخافة العار والسبى والعيلة [سَفَهاً بِغَيْرِ عِلْمٍ] بانّ الله رازق لاولادهم وانّه خالقهم لمصلحة النّظام [وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ] من الانعام السّالفة على انفسهم اوعلى غيرهم من النّساء اوحرّموا ما رزقهم الله من الاولاد فانّهم نعمة ايضاً رزقهم الله [افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ] صرّح هنا بالافتراء تأكيداً لما سلف [قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ] الى امر الحقّ تعالى وابتغاء رضاه [وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ] مشتملات على الاشجار المثمرة من الكروم وغيرها [مَعْرُوشَاتٍ] مرفوعات على اصولها كالاشجار الّتى لها اصول اوعلى مايحملها كالكروم الّتى تحمل على غيرها [وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ] كالّتى تلقى على وجه الارض من الكروم [وَالنَّخْلِ وَالزَّرْعِ مُخْتَلِفاً أُكُلُهُ] اكل ذلك المذكور من الاثمار و الحبوب و البقول فى الشّكل و اللّون والطّعم و الرّائحة والنّوع و الجنس مع اتّفاقها فى الارض و الماء [وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهاً] فى المذكورات [وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ] قائلاً [كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ] على ألسنة الانبياء (ع) و الاولياء (ع) ترخيصاً لكم فى التّصرّف قبل اخراج حقوقه اوقائلاً بلسان الحال حيث اباحه لكم [إِذَا أَثْمَرَ] والمراد بالثّمر مطلق مايحصل منها من المنافع حتّى يدخل فيه ثمر الزّرع [وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ] اى حقّه المفروض بناءً على وجوب الاداء اوّل وقت الامكان او حقّه المسنون من التّصدّقات على السّائلين و هكذا فسّرت فى الاخبار، فعن الصّادق: (ع) فى الزّرع حقّان حقّ تؤخذ به وحقّ تعطيه، امّا الّذى تؤخذ به فالعشر ونصف العشر، و امّا الّذى تعطيه فقول الله تعالى عزّ و جلّ: و آتوا حقّه يوم حصاده فالضّغث تعطيه ثمّ الضّغث حتّى تفرغ ويؤيّد كون المراد هو الحقّ المسنون قوله تعالى [وَلَا تُسْرِفُوا] فانّ المفروض لا يتصوّر السّرف فيه بخلاف المسنون [إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ] عن الرّضا (ع) انّه سئل عن هذه الآية فقال كان ابى يقول: من الاسراف فى الحصاد والجذاذ ان يتصدّق الرّجل بكفيّه جميعاً، وكان ابى اذا حضر شيئاً من هذا فرأى احداً من غلمانه يتصدّق بكفيّه صاح به: اعط بيد واحدة [وَ] انشأ [مِنَ الْأَنْعَامِ حَمُولَةً] مايحمل الاثقال [وَفَرْشاً] من شعرها و صوفها و وبرها قائلاً [كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ] من لحومها و البانها ولا تحرّموا شيئاً ممّا اباحه الله لكم منها [وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ] بالاسراف فيما اباحه الله لكم والتّجاوز الى تحريم ما احلّه الله وتحليل ماحرّمه منها وقد سبق فى سورة البقرة تحقيق وتفصيل لخطوات الشّيطان والآية تكون كسابقها اشارةً الى التّوسّط بين الافراط والتّفريط [إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ مِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ] الاهلىّ والوحشىّ [وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ] كذلك [قُلْ آلذَّكَرَيْنِ] من الجنسين [حَرَّمَ] الله [أَمِ الْأُنْثَيَيْنِ] من الجنسين [أَمَّا

اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ اَرْحامُ الْاُنْثَيَيْنِ] اى الجنين من الجنسين ذكراً كان اوانثى [نَبِّؤُنى بِعِلْمٍ] لابظنّ وهوى وخديعة من النّفس اوبما به يحصل العلم بانّ الله حرّم شيئاً من ذلك او بأمر معلوم مقطوع به لكم [اِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ] فى دعويكم حرمة شيءٍ من ذلك [وَمِنَ الْاِبِلِ اثْنَيْنِ] العراب والبخاتى [وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ] الاهلىّ والوحشىّ [قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ اَمِ الْاُنْثَيَيْنِ اَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ اَرْحامُ الْاُنْثَيَيْنِ] والمقصود انكار تحريم شيءٍ منها و الزامهم انّ قولهم بحرمة الذّكور منها تارة و الأناث اخرى والاجنّة اخرى كما سبق ليس عن علم وحجّة بل محض تخمين وظنّ من انفسهم [اَمْ كُنْتُمْ شُهَداءَ] حاضرين [اِذْ وَصّيكُمُ اللّهُ بِهذا] يعنى امثال ذلك امّا ان يعلم ببرهانٍ فيمكن اعلام الغير بذلك البرهان ، او يعلم بشهود و سماع حتّى يكون عن علمٍ وان لم يكن اعلام الغير به ، ولمّا لم يكن لكم برهان ولاشهود لم يكن حكمكم هذا الّا محض افتراءٍ على الله فلفظة ام وان كانت منقطعة لكنّها معادلة لقوله نبّئونى بعلمٍ باعتبار المعنى يعنى الكم برهان ام كنتم شهداء [فَمَنْ اَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرى عَلَى اللّهِ كَذِباً] تفريع على ما تقدّم باعتبار ثبوت الافتراء اوجزاء لشرطٍ مقدّرٍ بهذا الاعتبار، يعنى اذا لم يكن لكم برهان وعلم كما دلّ عليه نبّؤنى بعلم ولم تكونوا شهداء كما دلّ عليه قوله ام كنتم شهداء فانتم مفترون ولا اظلم ممّن افترى على الله فهواشارة الى نتيجة قياس مستفاد من سابقه والى قياس اخر منتج اى انتم لاعلم لكم ولا شهود ، وكلّ من لاعلم له ولا شهود فى قوله فهومفتر، وكلّ مفترلااظلم منه فانتم لااظلم منكم [لِيُضِلَّ النّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ اِنَّ اللّهَ لا يَهْدِى الْقَوْمَ الظّالِمِينَ] وهذا الّذى ذكر من تفسير الازواج بما ذكر هوالّذى ورد فى الاخبار ولمّا امر الله تعالى نبيّه (ص) بالسّؤال عن حرمة شيءٍ من الازواج وعن البرهان عليها اوالشّهود بها امره ان يجيب، بانّ طريق العلم امّا برهان اوشهود وهما منتفيان عنكم كماسبق وامّا وحى بتوسّط سفراء الله وملائكته اوتقليد لصاحب الوحى وانتم اهله وانااهل ذلك الوحى ومدّع له ، لاانتم لعدم ادّعائكم ذلك و اعترافكم بانّكم لستم اهلاً للوحى فقال [قُلْ] لهم [لا اَجِدُ فِيما اُوحِيَ اِلَىَّ مُحَرَّماً] من هذه الازواج كماتزعمون انّ بعضها محرّم على بعض كماسبق [عَلى طاعِمٍ يَطْعَمُهُ] وبهذا التّفسير يندفع عن هذه الآية الاشكال بانّ المحرّمات كثيرة وما ذكر هنا اقلّ قليل منها ، وامّا ما ذكر فى البقرة فقد سبق هناك ما يندفع به الاشكال عن الآيتين [اِلّا اَنْ يَكُونَ] اى الّا فى حال ان يكون الطّعام [مَيْتَةً] خرج عنها مقتول الكلاب المعلّمة والمقتول بآلة الصّيد على مافصّل فى الفقه لانّه فى حكم المذبوح [اَوْ دَماً مَسْفُوحاً] مصبوباً لا البقيّة الّتى تبقى فى لحوم الذّبائح وهومجمل تفصيله موكول الى بيانهم وقدفصّل فى الفقه [اَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَاِنَّهُ رِجْسٌ] بيّن وجه الحرمة فيه لانّ كونه رجساً مخفىّ على آكليه بخلاف سابقيه اوالضّمير راجع الى المجموع باعتبار المذكور [اَوْ فِسْقاً اُهِلَّ لِغَيْرِ اللّهِ بِهِ] سمّى المذبوح للاصنام فسقاً مبالغة وقوله اهلّ لغير الله به بيان لعلة كونه فسقاً [فَمَنِ اضْطُرَّ] الى اكل شيءٍ من ذلك [غَيْرَ باغٍ] على الامام [وَلا عادٍ] حدّ الرخصة وقد مضى فى سورة البقرة تفصيل لهذه الآية [فَاِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ] لايؤاخذه ويرحمه بترخصه فى الاكل حفظاً لنفسه [وَعَلَى الَّذِينَ هادُوا حَرَّمْنا كُلَّ ذِى ظُفُرٍ] من الدّوابّ و الطّيور ذكر التّحريم على اليهود بطريق

الحصر عقيب هذه الآية و تعقيبه بكونه جزاءً لبغيهم للمنّ على امّة محمّد (ص) ولتهديدهم يؤيّد الاشكال بلزوم حلّيّة ذبيحة كلّ نوع من الحيوان [وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُما إِلَّا ما حَمَلَتْ ظُهُورُهُما أَوِ الْحَوايا] اى ماتعلّق بالامعاء [أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذٰلِكَ] التّحريم [جَزَيْناهُمْ بِبَغْيِهِمْ وَ إِنَّا لَصادِقُونَ] فى الاخبار [فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ واسِعَةٍ وَلا يُرَدُّ بَأْسُهُ] لانّه لامانع له من انفاذه [عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ] جمع بين شأنى اللّطف والقهر و الارجاء والتّخويف والوعد والوعيد تعليماً لمحمّد(ص) واوصيائه(ع)طريق الدّعوة وتكميلاً له فيها وتثبيتاً له فى الدّعوة بين جهتى الرّضا والسّخط ، فانّه لايتمّ الدّعوة الّا بهما ، فالمعنى فان كذّبوك فلا تخرج عن التّوسّط وعدهم رحمة الرّبّ باضافة الرّبّ اليهم اظهاراً للّطف بهم وقل ربّكم ذورحمة واسعة فيرحمكم ولا يؤاخذكم بجهالاتكم، ولكن اذا اراد مؤاخذتكم فلا رادّ لمؤاخذته فاحذروها [سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا] لرفع القبح عن اشراكهم بل لتحسينه بعد ان عجزوا عن الحجّة [لَوْ شاءَ اللّٰهُ ما أَشْرَكْنا وَلا آباؤُنا وَلا حَرَّمْنا مِنْ شَيْءٍ] كما هو ديدن النّفس والمرأة الفاحشة فانّهما لاترضيان بنسبة السّوء الى انفسهما بل تحسّنان القبيح بما امكن، فاذا عجزتا عن ذلك تنسبانه بالتّسبيب الى غيرهما من الشّيطان والقرين ومشيّة الله وهو كذب محض ، فانّ الشّيطان والقرين ليس لهما الّا الاعداد، والمشيّة وان كانت فاعلة اوسبباً للفعل لكنّ الفاعل مادام يرى نفسه فى البين ليس له نسبة الفعل الى المشيّة اوتعليقه عليها ولو نسب لاينبغى الغفلة عن استناد القابل وبهذا يرتفع التناقض المتراثى بين تكذيبهم فى قولهم هذا وبين تعليق ذلك على المشيّة فى قوله ولو شاء الله لهديكم [كَذٰلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ] اى مثل تكذيبهم ايّاك بتعليق الاشراك والتّحريم على المشيّة دون نسبته الى انفسهم كذّب الّذين من قبلهم انبياءهم(ع) [حَتّٰى ذاقُوا بَأْسَنا قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنا] يعنى ليس عندكم برهان على دعويكم يمكنكم الاحتجاج به على الغير، واطلاق العلم على البرهان من قبيل اطلاق المسبّب على السّبب، اولانّ البرهان هو العلم الّذى يحصل به علم اخر و لمّا كان البرهان هو الّذى يمكن اعلام الغير به قال فتخرجوه لنا فنفى بهذا عنهم البرهان وبقوله ان تتّبعون(الى آخره)نفى علمهم مطلقاً، يعنى لابرهان لكم ولاشهود ولاسماع عن صادق اووحى و بقوله قل هلمّ شهداء كم نفى صحّة تقليدهم لانّ التحدّى بمثل هذا يدلّ على عدم شاهد لهم يصحّ الاعتماد عليه [إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ] يعنى لاعلم لكم فى انفسكم بمدّعاكم كما لابرهان لكم لاعلام غيركم، ذمّهم اوّلاً على اتّباع الظّنّ فى اعمالهم ، وثانياً على انّ شأنهم الخرص والتّخمين لا العلم واليقين، والعاقل لايقف على الظّنّ والتّخمين بل يتعمّل فى تحصيل العلم و اليقين وما لم يحصل اليقين يقف عن العمل الّا اذا اضطرّ فيحتاط لا انّه يتّبع الظّنّ فيعمل ويفتى بظنّه من غير اذن واجازة ولا يحصل اليقين الّا بالبيان والبرهان ، اوبادراك مدارك الحيوان ، اوبالوحى والعيان ، اوبتقليد صاحب الوحى وخليفة الرّحمن، فمن ظنّ انّ الظّنّ مطلقاً والاستحسان طريق حكم الله اوالمخطئ له اجرٌ والمصيب له اجران فقد أخطأ طريق الجنان وسلك طريق النّيران فمن فسّر القرآن برأيه واحكام الله نزول القرآن فليتبوّء مقعده من النّيران ، واماّ الخاصّة فظنونهم قائمة مقام العلم بل نقول ظنونهم اشرف و اعلى من العلم فقد حقّقنا سابقاً انّ اجازة المجيز اذاكانت الاجازة الصّحيحة بلغت الى المجاز تجعل ظنّ المجاز اشرف من علم غيره لانّ العلم بدون الاجازة

لا اثر فى قول قائله و الظنّ مع الاجازة يؤثّر وليس الاجازة الآلهيّة بأقلّ من الاجازة الشّيطانيّة ، والحال انّ المرتاضين بالاعمال الشّيطانيّة ان تعلّموا تعلّماً صحيحاً مع تصحيح الالفاظ جميع المناظر لم يؤثّر شيء منها ما لم يجزه صاحب الاجازة ، واذا اجازه صاحب الاجازة يؤثّر قوله ولو كان مغلوطاً، فالاجازة تجعل المغلوط اشرف من الصّحيح و هكذا الحال فى الاجازة الآلهيّة و لمّا نفى البرهان عنهم فى تعليق الاشراك و التّحريم على مشيّة الله المفهوم من مفهوم الشّرط ، فانّ المراد بقرينة المقام من هذا الشّرط الدّلالة على تعلّق الاشراك بمشيّة الله وان كان بحسب اللّغة أعمّ ، ونسب تكذيب النّبيّ (ص) اليهم بذلك التّعليق مشعراً بذمّهم فيه واوهم ذلك نفى تعليق الافعال على المشيّة امر نبيّه (ص) بان يقول لهم : انّ البرهان منحصر فى الله وفيمن اخذ عن الله تمهيداً لتعليق الافعال على مشيّة الله رفعاً لتوهّم عدم سببيّة المشيّة النّاشى عمّا سبق فقال تعالى [قُلْ فَلِلّٰهِ الْحُجَّةُ الْبٰالِغَةُ] فى كلّ ما قال وما فعل [فَلَوْ شٰاءَ لَهَدٰيٰكُمْ أَجْمَعِينَ] فله الحجّة فى صدق هذا القول وقد اظهرها لى يعنى لى الحجّة فى تعليق اشراككم وتحريمكم على مشيّة المفهوم من مفهوم قولكم لوشاءالله مااشركنا لالكم وله الحجّة فى ترك تلك المشيّة ومشيّة ضدّه، اعلم، انّ مشيّة الله وهى اضافته الاشراقيّة الّتى بها وجود كلّ ذى وجود كالرّحمة والارادة عامّة وهى الّتى بها وجود كلّ ذى وجود امكانىّ بكمالاته الاولويّة والثّانويّة فى سلسلة النّزول والصّعود مثل الرّحمة الرّحمنيّة وخاصّة، وهى الّتى بها وجود الكمالات الثّانويّة للمكلّفين فى سلسلة الصّعود مثل الرّحمة الرّحيميّة وتسمّى بالرّضا والمحبّة ولا يرضى لعباده الكفر، ويحبّهم ويحبّونه اشارة اليها فالمشيّة العامّة لها السّببيّة لكلّ ذات وفعل وصفة لكنّ الفاعل ما لم يخرج عن حدّ نفسه ولم ينظر الى مشيّة الله بنور بصيرته ويرى نفسه فاعل فعله كما يشعر به قولهم ما اشركنا بنسبة الاشراك الى انفسهم ماصحّ له نسبة الفعل اوتعليقه على المشيّة وكان مذموماً كاذباً فى نسبة فعله الى المشيّة، وبهذا ايضاً يصحّ ذمّهم فى قولهم لوشاءالله ما اشركنا بتعليق عدم الاشراك اى الاهتداء على المشيّة مع اثبات هذا التّعليق بقوله فلوشاء لهديكم اجمعين وكذلك المشيّة الخاصّة لها السّببيّة فى الافعال التّكليفيّة الصّالحة، فلوارادوا تلك المشيّة فالجمع بين ذمّهم على قولهم واثبات قولهم بمثل ما ذكر فى المشيّة العامّة ولمّا ابطل قولهم ذلك بعدم البرهان وعدم علمهم فى انفسهم اراد ان يبطل علمهم التّقليدىّ ايضاً باستحضار الرّؤساء الّذين قلّدوهم و الزامهم جهلهم و ضلالتهم حتّى يتبيّن لهم انّ تقليدهم فاسد ، وانّ التّقليد يصحّ اذا كان تقليداً لمن نصبه الله للتّقليد كالانبياء واوصيائهم وغيرهم كائناً من كان لاينفكّ عن الهوى وتقليده اتّباع للهوى فقال [قُلْ] لهم ايّها العاجزون عن البرهان و القاصرون عن العلم [هَلُمَّ شُهَدٰاءَكُمُ] اى رؤساءكم الّذين تقلّدونهم [الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللّٰهَ حَرَّمَ هٰذٰا] حتّى اظهر لكم جهلهم واتّباعهم للهوى [فَإِنْ شَهِدُوا] بذلك [فَلاٰ تَشْهَدْ مَعَهُمْ وَلاٰ تَتَّبِعْ أَهْوٰاءَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِـاٰيٰاتِنٰا] وضع الظّاهر موضع المضمر للدّلالة على انّ شهادتهم ناشئة عن اتّباع الهوى لانّهم موصوفون بتكذيب آيات الله والمكذّبون بآيات الله لايكونون الا صاحبى الاهوية النفسانيّة [وَالَّذِينَ لاٰ يُؤْمِنُونَ بِالْأٰخِرَةِ] وصف آخر باعث لاتّباع الهوى [وَهُمْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ] اى يسوّون غيره به وصفهم باوصاف ثلاثة كلّ واحد منها يكفى فى ردّ شهادتهم [قُلْ] بعد عجزهم عن العلم واقامة البرهان والزامهم فساد تقليدهم لرؤسائهم [تَعٰالَوْا] الىّ فانّى منصوب من الله [أَتْلُ مٰا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ] حتّى تقلّدونى تقليداً صحيحاً [أَلاّٰ تُشْرِكُوا

بِهِ شَيْئاً] اعراب اجزاء الآية انّ مافيما حرّم مصدريّة اوموصوفةاوموصولة اواستفهاميّة وعليكم ظرف متعلّق بحرّم اوبأتل اوبهما اوابتداء كلام، وان في ان لاتشركوا مصدريّةولانافية اوناهية والنّهي اوفق بمايأتي من عطف الامرعليه ، وهواماّ بتقدير اللّام اوخبرمبتدء محذوف اى المتلوّ اوالمحرّم ان لاتشركوا واذا قدّرالمحرّم مبتدءً كانلازائدةً اوهومفعول فعل محذوف، اى اعنى ان لاتشركوا اوعليكم خبرمقدّم وانلاتشركوا مبتدء، اوعليكم اسم فعل واّلا تشركوا منصوب به ، او ان لاتشركوا مفعول اتل على ان يكون ما في ما حرّم مصدريّة اوهوبدل ممّا وابد اله ممّاباعتبارحرمة الاشراك، اويكون لازائدة اولفظة انتفسيريّة والجملة تفسيرلاتل اولحرّم وتفسيره لحرّم باعتبارالاشراك ، او ان لاتشركوا مفعول لوصّيكم الله وهذا اوفق بقوله [وَبِالْوالِدَيْنِ إِحْساناً] وعلى الوجوه السّابقة فالتّقديراحسنوا بالوالدين وللاهتمام بالوالدين اسقط الفعل ايهاماً لعطفه على الجارّ والمجرور ليتوهّم انّ المعنى ان لاتشركوا بالوالدين احساناً ، واتى بالمصدر للاشعار بانّ المقدّر احسنوا واتى به موضع لاتسيئوا فانّه الموافق لسابقه ولاحقه للدّلالة على الاهتمام بالاحسان اليهما وعدم الاكتفاء بترك الاساءة، والوالدان اعمّ من الصوريّ والرّوحانيّ [وَلا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ مِنْ إِمْلاقٍ] بالوءد و غيره [نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيّاهُمْ] فلا تخشوا الفقر [وَلا تَقْرَبُوا الْفَواحِشَ] ما استقبحه العقل واستكرهه الشّرع [ما ظَهَرَ مِنْها] كالتّي شاعت وصارت سيرة بينكم ،كنكاح زوجة الاب وعبادة الاصنام وغيرها من السّنن الرّذيلة التّي لايرتضيها العقل ولم تثبت في شريعةٍ الٰهيّةٍ ، والنّهي عن القرب مبالغة في النّهي عن الفعل [وَما بَطَنَ] كالزّنا وكلّ ما لم يصرشائعاً وسيرة بينكم من المستقبحات العقليّة والشّرعيّة اوالمراد بما ظهر ماظهر قبحه كالزّنا واللّواط لا ما ظهر ذاته كنكاح زوجة الاب وبمابطن ما بطن قبحه كنكاح زوجة الاب ، اوالمراد بما ظهر ماظهر منها على الاعضاء وبما بطن مابطن في النّفوس كالرّذائل النّفسانيّة والخطرات السّيّئة والخيالات الفاسدة والعقائد الكاذبة ، اوالمراد بالفواحش الزّنا فقط اواعمّ منه وممّاكان مثله في القبح في الانظار كاللّواط و هذا اوفق بترتيب المعاصي كما لا يخفى على من تأمّل في الفقرات الثّلاث، ولذا ورد تفسيرها في الاخباربالزّنا ومثله ، اعلم ، انّ ظلم الانسان و عصيانه امّا ظلم لنفسه او ظلم لغيره ، و ظلم الغير امّا مسرٍ الى ذات الغير او الى ماله ، و اعظم مراتب ظلم النّفس الزّنا ، واعظم مراتب ظلم ذات الغير ازهاق روحه ، واعظم مراتب ظلم مال الغير أخذ مال اليتيم عدواناً ، وبالفقرات الثّلاث المصدّرة باداة النّهي اشارتعالى شأنه الى هذه الثّلاثة [وَلا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلّا بِالْحَقِّ] ذكر خاصٍّ بعد العامّ للاهتمام به كما انّ ما سبق على ذكر الفواحش كان ذكر خاصٍّ قبل العامّ لذلك بناءً على تعميم الفواحش ، و امّا اذاكان الفواحش خاصّة بالزّنا و اللّواط كان ذكر قتل الاولاد مقدّماً على الكلّ ، وعدم الاكتفاءبذكر قتل النّفس للاهتمام بوأدالاولاد وقتلهم وللتّشديد في حرمته [ذٰلِكُمْ وَصّيٰكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ] قبحه وسوءعاقبته فتتركونه [وَلا تَقْرَبُوا مالَ الْيَتِيمِ إِلّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ] اى بالنّيّة التّي هي احسن وهي نيّة حفظ ماله ونفسه وانماء ماله [حَتّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ] جمع الشّدّ بالفتح كفلس وافلس اوالشّدّة كالنّعمة والانعم اومفرد ، وعلى جمعيّته فالمقصود الاشارة الى قوّة جميع قواه البدنيّة والنّفسانيّة وهوالبلوغ الشّرعيّ الّذى فيه قوّة قواه البدنيّة و النّفسانيّة بكمال تميزه و درکه الخير و الشّرّ البدنيّين و النّفسانيّين

[وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ] المراد بهما المعروفان وقد مضى فى بيان الميزان ما يمكنك التّعميم به وكذا فى سائر فقرات الآية ، والتّقييد بالقسط امّا للتّأكيد اوللمنع من اعطاء الزّيادة على قدر الاستحباب فانّه كالتّبذير الممنوع او مورث لجهالة المكيل و الموزون المفسدة للمعاملة ولذا جاء بقوله [لَا نُكَلِّفُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَهَا] معترضاً فانّ القسط الحقيقىّ فى الايفاء هواداء تمام ما حقّه ان يؤدّى بحيث لايزيد ولاينقص حبّة وهو أمر ليس فى وسع البشر [وَإِذَا قُلْتُمْ] فى حكومة اذاحكمكم النّاس اوفى شهادة اواصلاح اونصح اوترحّم اوسخط اومعاش اومعاد اوواجب اومباح بألسنتكم اوبسائر اعضائكم اوبقواكم العلّامة اوالعمّالة [فَاعْدِلُوا] توسّطوا بين الافراط والتّفريط فى الاقوال والاحوال والافعال ، والتّأدية بصورة الشّرط و بلفظ اذا والمضىّ للاشارة الى انّ القول غير مأمور به لكنّ الانسان لا يخلوعن قول ما خصوصاً على التّعميم المذكور و يكون مأموراً بالتّوسّط فى القول [وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى] جسمانيّاً اوروحانيّاً فى العالم الكبير اوالصّغير [وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا] تقديم المعمول للاهتمام به ولشرافته ولابراز العلّة للامر قبل الاتيان به لا لقصد الحصر اوللحصر ايضاً بناءً على انّ الوفاء بسائر العهود من شرائط عهدالله ، اعلم ، انّ العهد والعقد والميثاق والبيعة مع الله فى عرف اهل الله اذا اطلقت يراد بها البيعة العامّة النّبويّة او البيعة الخاصّة الولويّة ، وبالاولى يحصل الاسلام وبالثّانية يحصل الايمان وتسمّى تلك البيعة بيعة ومبايعة ، لانّ البائع بتلك البيعة يبيع نفسه وماله بثمن هوالجنّة كماقال تعالى : انّ الله اشترى من المؤمنين انفسهم و أموالهم بانّ لهم الجنّة و تسمّى عهداً و معاهدةً لتعهّد البائع والمشترى القيام بماعليهما وعقداً لانعقاد يدالبائع على يدالمشترى وميثاقاً لاستحكام ذلك العهد بتقبّل الشّروط من الطّرفين ووثوق كلّ بالاخر بذلك العقد ، ولمّا كان المشترى منصوباً من الله ووكيلاً منه فى تلك المبايعة صحّ نسبتها الى الله انّ الّذين يبايعونك انّما يبايعون الله ، يدالله فوق ايديهم ، انّ الله اشترى من المؤمنين ، ومن اوفى بعهده من الله ، واذاخذنا ميثاق بنى اسرائيل ، اوفوا بعهدى اوف بعهدكم ، وغير ذلك من الآيات والاخبار الدّالّة على نسبة هذه الى الله [ذَلِكُمْ وَصَّيكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ] التّذكّر هوالالتفات الى المعلوم والاستشعار به بعد الغفلة عنه اومطلقاً وهومن صفات العقل كما انّ الغفلة من صفات النّفس ولذا اخّره عن قوله تعقلون وكرّر ذلك للاشارة الى مراتب المعاصى وانّ بعضها لايصدر عن العاقل ، وبعضها لايصدر عن المتذكّر وان كان قد يصدر عن العاقل الغافل ، وبعضها لايصدر عن المتّقى وان كان قد يصدر عن العاقل المتذكّر والمراد بالتّقوى فى قوله لعلّكم تتّقون ، هوالتّقوى الحقيقيّة الّتى هى الرّجوع عن طرق النّفس المعوّجة واتّباع ائمّة الجور الى طريق القلب و اتّباع الامام الحقّ ، والعاقل المتذكّر ما لم يصل الى الامام الحقّ لايمكنه الرّجوع الى طريق القلب ولذا اقتصر هناك على اتّباع الصّراط المستقيم [وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ] قرئ بفتح همزة انّ وتشديد النّون اوتخفيفه مخفّفة من المثقّلة وحينئذ تكون مع بعدها عطفاً على ان لاتشركوا واعتبار الحرمة فيه باعتبار ترك المتابعة ، اوتكون بتقدير اللّام متعلّقاً بقوله اتّبعوه وقرئ بكسر همزة انّ فتكون عطفاً على تعالوا ، وقرئ صراط ربّك وصراط ربّكم وهذا اشارة الى المستفاد ممّاذكر من قوله ان لاتشركوا

الى اخر الآيات وهوالتّوسّط بين الافراط و التّفريط فى الفعل والقول وهو صراط الولاية ، او هو اشارة اوّلاً الى طريق الولاية الّذى كان معهوداً عنده [وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ] اصله تتفرّق حذف تاء المضارعة والفعل منصوب بان بعد الفاء والباء للتّعدية و المعنى لاتتّبعوا السّبل فان تتفرّق بكم اى تفرّقكم وتزيل اجتماعكم واتّحادكم فى الصّراط ، ولمّا كان التّوسّط بين الافراط والتّفريط لايحصل الّا بالولاية بل كان هوالولاية والولاية من شؤن الولىّ بل هى الولىّ صحّ تفسيره بالولاية وبمحمّد(ص) و بعلىّ(ع) كما ورد فى الاخبار ، ولمّا كان الانحراف عن التّوسّط والميل الى الافراط والتّفريط لايحصل الّا باتّباع الهوى بل هو اتّباع الهوى والهوى ليس الّا من شؤن اعداء اهل البيت صحّ تفسير اتّباع السّبل بمحبّة اعدائهم [ذٰلِكُمْ] التّوسّط [وَصّٰيكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ] السّبل المتفرقة فانّ التّقوى الحقيقيّة هى الاحتراز عن الطّرق المنحرفة والثّبات على الصّراط المستقيم [ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ] كتاب النّبوّة اوالتّوراة الّتى هى صورة النّبوّة والعطف باعتبار المعنى كأنّه قال هذا ما آتينا محمّداً(ص) ثمّ آتينا موسى الكتاب والعطف بثمّ باعتبار الاخبارين والاعلامين اوباعتبار تفاوت الخبرين فى الشّرف باعتبار موضوعيهما ويحتمل العطف على جملة ذلكم وصّيكم به لكنّه بعيد عن الفصاحة لعدم المناسبة بينهما ، و امّا العطف على وصّيكم كما قيل فبعيد غاية البعد لعدم ظهور الرّابط لمبتدء المعطوف عليه [تَمٰاماً] من غير نقصٍ فيه او تماماً للنّعمة و هوحال او مفعول مطلق او تعليل [عَلَى الَّذِى أَحْسَنَ] صار ذاحسنٍ او جعل عمله حسناً و بأحد هذين المعنيين ورد تفسيره بان تعبد الله كأنّك تراه اواحسن الى الغير ومنع اساءته عنهم ، اعلم ، انّ الحسن المطلق منحصر فى الولاية المطلقة الّتى صاحبها علىّ(ع) بعد محمّد(ص) وحسن غيرها من الذّوات والصّفات والافعال باعتبار اتّصاله بها ، وتفاوت الحسن فى الاشياء باعتبار تفاوتها فى القرب والبعد عنها، فالطّالب للولاية يكون فى نفسه حسناً وافعاله الّتى تصدر عن طلبه تكون حسنة ، والقابل لهايكون احسن وأفعاله الّتى تصدر عن جهة ذلك القبول أحسن من افعال الطّالب، والقابل المشاهد لصورة الولىّ والنّاظر الى ملكوته احسن من القابل الغائب عن المشاهدة ، وتلك المشاهدة هى الّتى تسمّى عند الصّوفيّة بالفكر وتمثّل صورة الشّيخ و النّظر الى صورته أحسن من جميع افعاله و المتحقّق بحقيقة الولاية وافعاله احسن من القابل المشاهد وافعاله [وَتَفْصِيلاً لِكُلِّ شَىْءٍ] اعلم ، انّه تعالى وصف كتاب موسى(ع) بكونه تماماً وتفصيلاً لكلّ شيءٍ ههنا وقال فى سورة الاعراف: و كتبنا له فى الالواح من كلّ شيءٍ موعظة و تفصيلاً لكلّ شيءٍ و هذا يدلّ على انّه تعالى جعل فى كتاب رسالته كلّ شيء مشتملاً على كلّ شيءٍ وكلّ شيءٍ مظهراً تامّاً ومرآة كاملة لكلّ شيءٍ ، وقد قال بعض الصّوفيّة: كلّ شيءٍ فى كلّ شيءٍ لكن ليس لكلّ احدٍ ان ينظر كلّ شيءٍ فى كلّ شيءٍ ، ولهذا قال : و كتبنا لموسى وماكان لغيره ذلك ، ولمّا كان موسى (ع) بعد نبيّنا(ص) وبعد ابراهيم(ع) اوسع نظراً من حيث النّظر الى الكثرات ومراتب كلّ ومباديه وغاياته ، وصف كتابه المنزل عليه بأنّه كتب له فيه من كلّ شيءٍ تفصيلاً لكلّ شيءٍ ، بمعنى انّه تعالى جعل لوح صدر موسى(ع) بحيث اذا انتقش فيه شيءٌ من الاشياء انتقش فيه جميع مباديه الى مبدء المبادى وجميع غاياته الى غاية الغايات، وانتقش جميع لوازم المبادى والغايات ، واذا انتقش جميع المبادى و الغايات ولوازمها فى شيءٍ لم يبق شيءٌ الّا انتقش، فيه لانّ الموجودات كلّها متلازماتٌ اذ الكلّ معاليل علّة واحدة [وَهُدىً وَرَحْمَةً لَعَلَّهُمْ] اى

بنى اسرائيل [بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ] ان كان المراد بربّهم الرّبّ المطلق فالمراد باللّقاء لقاء جزائه و حسابه وحُسّابه، وان كان المراد به الرّبّ المضاف وهو ربّهم في الولاية فالمراد باللّقاء لقاء ملكوت ذلك الرّبّ وهو ادنى مراتب اللّقاء والمعرفة بالنّورانيّة وفوقه لقاء جبروته بمراتبها ، يعنى آتينا موسى الكتاب للدّعوة الظّاهره حتّى يستعدّوا بقبول تلك الدّعوة لقبول الدّعوة الباطنة، ويستعدّوا بقبول تلك الدّعوة لفتح باب القلب ويشاهدوا بفتح باب القلب صورة وليّ الامر بملكوته ، وهو لقاء ربّهم الّذى هو وليّ امرهم وبهذا اللّقاء يحصل الفوز بالرّوح والرّاحة والامن والامان والسّلامة من حوادث الزّمان والنّجاة من مضيق المكان ؛ والى هذا اللّقاء اشار من قال :

کرد شهنشاه عشق درحرم دل ظهور قد ز میان بر فراشت رایت الله نور

وقد فسّر السّكينة في الاخبار بما يدلّ على ظهور ملكوت وليّ الامر في القلب حيث ورد ، انّها ريح تفوح من الجنّة لها وجه كوجه الانسان ، فانّ الملكوت من الجنّة ، وكونها ذات وجه كوجه الانسان يدلّ على انّها من الذّوات الجوهريّة الملكوتيّة لكونها من الجنّة لامايفهم من لفظ الرّيح ، ويسمّى في عرف الصّوفيّة ظهور ملكوت وليّ الامر على قلب الانسان بالسّكينة كما يسمّى بالفكر والحضور، وهذا اللّقاء هو المراد بما يقولون: لابدّ للسّالك ان يجعل صورة المرشد نصب عينيه ، يعنى ينبغى ان يصفو نفسه بالعبادات حتّى يظهر في قلبه وليّ امره فيكون مع الصّادق معيّة حقيقيّة لامايتوهّم من ظاهر اللّفظ من انّه لابدّ ان يتعمّل ويتصوّر صورة مخلوقة له مردودة اليه، وقد ورد منهم، وقت تكبيرة الاحرام تذكّر رسول الله (ص) واجعل واحداً من الائمّة نصب عينيك؛ وعلى هذا كان المراد بالايمان ههنا الايمان الشّهودىّ لا الايمان بالغيب [وَهَٰذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ] كثير الخير والنّفع لانّ البركة الزّيادة والنّماء في الخير وهو كلمة جامعة لكلّ ما ذكر في وصف كتاب موسى (ع) مع شيء زائد وهو تعميم البركة لكلّ مايتصوّر فيه البركة ، وفي لفظ انزلنا دون آتينا دلالة على شرافة هذا الكتاب كأنّ كتاب موسى (ع) كان من سنخ هذا العالم فآتاه الله ، والقرآن كان في مقام اعلى من هذا العالم فأنزل الله الى هذا العالم السّفلىّ وآتاه محمّداً (ص) [فَاتَّبِعُوهُ] حتّى تفوزوا من اتّباعه بوليّ امركم واتّباعه فانّ فيه حجّته وباتّباعه تفوزون بفتح باب القلب وبفتحه نزول الرّحمة من الله وادنى مراتب حقيقة الرّحمة هو ملكوت وليّ الامر [وَاتَّقُوا] مخالفة ما فيه [لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ] بلقاء ملكوت وليّ امركم فانّ دار الشّياطين هى حقيقة سخط الله والدّنيا هى مظهر رحمته وسخطه معاً والملكوت العليا هى حقيقة رحمته المتجوهرة وكذا الجبروت والمشيّة، وفي الاقتصار على لفظ ترحمون هنا والاتيان بقوله بلقاء ربّكم توقنون هناك دلالة على شرافة هذا الكتاب كما لايخفى [أَنْ تَقُولُوا] يعنى انزلنا الكتاب كراهة ان تقولوا بعد ذلك او في القيامة او لئلّا تقولوا كذلك او كراهة هذا القول الواقع منكم على سبيل الاستمرار. اعلم، انّ مثل هذه العبارة كثيرة في الكتاب والسنّة وجارية على السنة العرف والمقصود من مثلها انّ هذا القول كان واقعاً منكم وصار وقوع هذا القول سبباً لانزال الكتاب لكراهتنا وقوع هذا القول منكم ولئلّا يصدر مثله بعد منكم، ولمّا كان صدور هذا القول سبباً لكراهته، وكراهته لهذا القول الصّادر سبباً لانزال الكتاب، وانزال الكتاب سبباً لمنع هذا القول صحّ تفسيره بكراهة ان تقولوا، وبقولهم لئلّا تقولوا ، ولكن لاحاجة الى تقدير الكراهة او تقدير لا وعلى هذا كان المعنى انزلنا الكتاب لكثرة ماكنتم تقولون اظهاراً للعذر في تقصيركم في العبادات و تحسّراً على كونكم امّيّين [إِنَّمَا أُنْزِلَ الْكِتَابُ عَلَىٰ طَائِفَتَيْنِ

مِنْ قَبْلِنا] والاتيان باداة القصر لشهرة الكتابين واهلهما عندهم كأنّهم كانوا لايعرفون اهل ملّة وكتاب غيرهما [وَإِنْ كُنّا] انمخفّفة من المثقّلة [عَنْ دِراسَتِهِمْ] قراءتهم وبيانهم للكتابين [لَغافِلِينَ أَوْ تَقُولُوا] اوللتّوزيع يعنى كان بعضهم يقولون ذلك وبعضهم هذا [لَوْ أَنّا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْكِتابُ لَكُنّا أَهْدى مِنْهُمْ] لانّا احدّ ذهناً وادقّ فهماً ، وهذا هو ديدن النّسوان لانّهنّ لا يرضين بنسبة النّقص الى انفسهنّ و يعتذرون بالاعذار الكاذبة ويفتخرن باستعداد الكمالات وقواها حين فقدانها على المتّصف بها ويتحسّرن على الفانية بالتّمنّيات والتّعليق على الفائتات [فَقَدْ جاءَكُمْ] جواب لشرط مقدّر ، اى ان كنتم صادقين فقد جاءكم [بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ] كتاب هو حجّة واضحة على كلّ شيء من صدق النّبىّ (ص) ونبوّته والاحكام الّتى هى معالم الهداية [وَهُدىً وَرَحْمَةٌ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَّبَ بِآياتِ اللهِ] التّدوينيّة و التّكوينيّة واعظمها علىّ (ع) فانّ الآيات التّدوينيّة تدلّ على التّكوينيّة و تكذيبها مؤدّ الى تكذيبها ، وهوتعريض بانّهم كذّبوا بآيات الله بعد وضوحها ولا اظلم منهم [وَصَدَفَ عَنْها] اعرض اومنع لكنّ الثّانى اولى للتّأسيس يعنى ضلّ واضلّ [سَنَجْزِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آياتِنا سُوءَ الْعَذابِ بِما كانُوا يَصْدِفُونَ هَلْ يَنْظُرُونَ] ماينتظرون [إِلّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلائِكَةُ] لقبض ارواحهم اولعذابهم حين الموت [أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ] فى الولاية و هو علويّة محمّد (ص) و وجهة ولايته كما قال (ع) : يا حار همدان من يمت يرنى [أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آياتِ رَبِّكَ] كأشياع علىّ (ع) الّذين هم آياته تعالى ، وتفسير الآيات فى الاخبار بالعذاب فى دار الدّنيا لاينافى كونها عندالموت قبل الارتحال من الدّنيا ولاينافى التّفسير باشياع علىّ (ع) لانّ العذاب آية علىّ (ع) النّازلة و اشياعه آياته العالية [يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آياتِ رَبِّكَ] يعنى حين معاينة الموت [لا يَنْفَعُ نَفْساً إِيمانُها لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمانِها خَيْراً] هواشدّ آية على اهل الايمان خصوصاً على من لايراقب جهة ايمانه الّذى هوذكره وفكره، وقدفسّرت الآيات فى هذه الآية بالائمّة (ع) وبطلوع الشّمس من مغربها وبخروج الدّجّال و بظهور القائم (ع) و بخروج دابّة الارض ، ولاينا فى ما ذكرنا [قُلِ انْتَظِرُوا] احدى الثّلاث [إِنّا مُنْتَظِرُونَ] لها فانّ لنا بذلك الفوز ولكم الويل [إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ] الدّين يقال لكلّ سيرة وسنّة، النّاس على دين ملوكهم، وعلى السّيرة الشّرعيّة الآلهيّة ،اليوم اكملت لكم دينكم ، و للجزاء مالك يوم الدّين ، ويطلق على الاسلام والعادة والعبادة والطّاعة والذّلّ والحساب والقهر والاستعلاء والملك والحكم والتّدبير والتّوحيد وجميع مايتعبّدالله به، والملّة والخدمة والاحسان وعلى غير ذلك من المعانى ، والتّحقيق انّ حقيقة الدّين هى الطّريق من القلب الى الله والسّير الى ذلك الطّريق اوعليه ويسمّى بالطّريقة وهما الولاية التّكوينيّة المعبّر عنها بالحبل من الله، والولاية التّكليفيّة المعبّر عنهابالحبل من النّاس وبالولاية التّكليفيّة ينفتح باب ذلك الطّريق وصاحب الولاية المطلقة هوعلىّ (ع) وهو متّحد مع الولاية المطلقة ، والولايات المقيّدة اظلال من هذه الولاية ولذلك صار علىّ (ع) خاتم الولاية وكلّ الانبياء (ع) والاولياء (ع) يكونون تحت لوائه ، وكلّما يسمّى ديناً من الشّرائع الآلهيّة فانّما يسمّى ديناً لاتّصاله بالولاية وارتباطه بحقيقة الدّين، وتسمية السّيرة الغير الآلهيّة بالدّين من باب المشاكلة مع السّيرة الآلهيّة

فعلى قراءة فرّقوا ، فالمعنى انّ الّذين فرّقوا دينهم الّذى هوماوصل اليهم من طريق القلب بالولاية التّكوينيّة من فيض العقل على الاهوية الفاسدة اوما وصل اليهم من هذا الطّريق بالولاية التّكليفيّة من الايمان الّذى دخل فى قلوبهم على الاغراض الكاسدة والمهامّ المتبدّدة ، فانّ الانسان اذا صار مقبلاً على النّفس والدّنيا كان يفرّق كلّما يصل اليه من جهة الآخرة على جهات النّفس ونعم ما قيل :

انصتوا يعنى كه آبت را بلاغ هين تلف كم كن كه لب خشك است باغ

اوالمعنى فرّقوا دينهم وبعّضوه بان آمنوا ببعض وكفروا ببعض ، اوالمعنى افترقوا فى دينهم بان اختار كلّ منهم ديناً غير دين الآخر ، كما ورد من افتراق الامّة على ثلاث وسبعين فرقة ، وقرئ فارقوا دينهم اى فارقوا ولايتهم التّكوينيّة من الغفلة التامّة عن طريق القلب اوفارقوا ولايتهم التّكليفيّة بالهجرة والغفلة عن ذكرهم الّذى دخل فى قلوبهم او فارقوا علياً (ع) كماعلمت ، وكما ورد فى الخبر انّ الآية فارقوا دينهم وانّ المراد المفارقة عن علىّ (ع) [وَكانُوا شِيَعاً] متفرّقة يشيع كلّ منهم هوى اوغرضاً اواماماً باطلاً اويصير كلّ منهم مشايعاً لاهوية عديدة اواغراض عديدة اوائمّة عديدة بجعل كلّ واحد كأنّه فرق مختلفة كماقال تعالى: ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون وكما قيل بالفارسية : « ترا يكدل دادم كه دران يك دلبر گيرى نه آنكه آن يكدل را صد پاره كنى وهرپاره را دنبال مهمّى آواره » [لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ] اى لست متمكّناً منهم فى شيء من التّمكّن فانّ تمكّنك امّا بتمكّن صورتك الملكوتيّة فى قلوبهم ، اوبتمكّن الذّكر الّذى اخذوا منك بالولاية التّكليفيّة فى قلوبهم ، اوبتمكّن الانقياد الّذى اخذوه منك بالبيعة العامّة فى صدورهم فانّ الكلّ من شؤنك ونازلتك ، اولست من شفاعتهم فى شيء ، اولست من مسائلتهم ومحاسبتهم اوعذابهم فى شيء ، اولست من مجانستهم فى شيء ومرجع الكلّ الى تمكّنه (ص) فى قلوبهم باحد الوجوه المذكورة ، ولفظة منهم خبر لست اوحال مقدّم من شيء ، وكلمة من بيانيّة اوابتدائية اوتبعيضيّة [إِنَّما أَمْرُهُمْ إِلَى اللهِ] لانّك لست ولىّ امرهم بانحرافهم عنك فامرهم وحكمهم مفوّض اوراجع الى الله [ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِما كانُوا يَفْعَلُونَ] فى تفرّقهم فيجازيهم على حسبه [مَنْ جاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثالِها] الحسنة وصف من الحسن والتّاء فيه للنّقل من الوصفيّة الى الاسميّة ، فانّها صارت اسماً لاشياء مخصوصة ورد عن الشّريعة حسنها اوللتّأنيث فى الأصل بتقدير الخصلة الحسنة ، وحقيقة الحسن هى الولاية المطلقة وهى علىّ (ع) بعلويّته والنّبوّات واحكامها القالبيّة والولايات الجزئيّة واحكامها القلبيّة اظلال الولاية المطلقة وقبول النّبوّات والولايات ايضاً ظلّها ، وكلّ فعل وقول وخلق كان من جهة الولاية كان حسناً بحسنها لكونه ظلّها ايضاً ، وبعلم السّيّئة بالمقايسة الى الحسنة فاصل السّيّئة اتّباع النّفس المعبّر عنه بولاية اعداء آل محمّد ومخالفيهم . واعلم ، انّ الانسان مفطور على السّير الى الآخرة ودار النّعيم وحيازة درجاتها ، فاذا فرض عمل يعينه على سيره وعمل آخر مثل هذا العمل يقسره على الحركة الى الجحيم والى خلاف فطرته ، فاذا كان تحريك العمل الى جهة خلاف الفطرة درجة مثلاً كان تحريك العمل الموافق للفطرة ازيد من تحريك العمل المخالف للفطرة بمراتب عديدة ، واقلّها عشر درجات واكثرها لاحدّ لها بتفاوت استعداد الاشخاص وهذا نظير تحريك الحجر هابطاً وصاعداً بقوّة واحدة ، فانّ الهابط يكون اسرع حركة من الصّاعد [وَمَنْ جاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلا يُجْزى إِلَّا مِثْلَها وَهُمْ] اى المحسنون والمسيئون [لا يُظْلَمُونَ] بنقص

الجزاء وتضعيف العقاب [قُلْ] لهم موادعة وتعريضاً بنصحهم بابلغ وجه [إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي] فلاحاجة لى اليكم ولا تعرّض لى بكم فانتم وشأنكم [إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ] هو صراط القلب وهو الولاية التّكوينيّة وبالولاية التّكليفيّة الحاصلة بالبيعة الخاصّة الولويّة ينفتح صراط القلب ، وهما ظهور الولاية المطلقة ونازلتها والولاية المطلقة متّحدة مع علىّ (ع) وعلويّته، فصحّ تفسير الصّراط بالولاية تارة وبعلىّ (ع) اخرى [دِينًا قِيَمًا] الدّين قد مضى قبيل هذا تحقيقه، والقيّم الدّين الّذى لااعوجاج له [مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ] اظهارٌ لنصحهم بانّ دينه دين ابراهيم الّذى لااختلاف لهم فى حقّيّته [حَنِيفًا] الحنيف المستقيم والصّحيح الميل الى الاسلام الثّابت عليه وكلّ من حجّ اوكان على دين ابراهيم (ع) وهو حال من مفعول هدانى اوصفة ديناً اوحال منه اومن المستترفى قيماً اومن ملّة ابراهيم (ع)، والتّذكير باعتبار معنى الملّة وهو الدّين اومن ابراهيم على ضعف جعل الحال من المضاف اليه من دون كون المضاف عاملاً، اوفى حكم السّقوط [وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ] عطف على حنيفاً اوحالٌ من المستترفيه اوحالٌ بعد حالٍ بناءً على انّ حنيفاً حال من ابراهيم (ع) وهو تعريض بانّهم مخالفون لابراهيم (ع) فى شركهم فهم مبطلون لانّ ابراهيم (ع) كان محقّاً بالاتّفاق [قُلْ] بعد نفى الشّرك الصّورىّ عن نفسك نفياً للشّرك المعنوىّ تأكيداً لنفى الشّرك الصّورىّ [إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي] تعميمٌ بعد تخصيص اهتماماً بالخاصّ فانّه عمود الدّين واصل كلّ نسك [وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي] يعنى انّ افعالى التّكليفيّة الاختياريّة و اوصافى التّكوينيّة الا لهيّة خالصة من شوب مداخلة النّفس والشّيطان [لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لَا شَرِيكَ لَهُ] تعميم بعد تخصيص وتأكيدٌ لما يفهم التزاماً فانّه اذا لم يكن فى افعاله واوصافه شريكٌ لله لم يكن فى وجوده شريكٌ لله، واذا لم يكن فى وجوده شريكٌ لله لم ير فى العالم شريكاً لله ، لانّ رؤية الشّريك فى العالم يقتضى السّنخيّة بين الرّائى والمرئىّ الّذى هو العالم الّذى فيه شريك، والسّنخيّة تقتضى الشّريك لله فى وجوده وكون الشّريك فى وجوده يقتضى الشّريك فى صفاته [وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ] تعريض بهم بانّ شركهم غير مبتنٍ على امرٍ [وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ] لانّ كلّ من أخلص ذاته وصفاته وافعاله وجميع ماله لله تعالى ، فهو مقدّم على الكلّ وخاتم سلسلة الصّعود و اقرب الصّاعدين اليه ، وهواوّل من اقرّ فى النّذر بالوحدانيّة كما ورد فى الخبر ولانّه اوّل من اتّصف بدين الاسلام [قُلْ] لهم انكاراً لابتغاء غيرالله ربّاً مع اقامة الدّليل على ذلك الانكار بانّ غيره مربوب تعريضاً بمن اخذ غيره ربّاً [أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ] وغيره مربوب فماحالكم اذا انحرفتم عن الرّبّ وجعلتم المربوب ربّاً [وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا] هذا ممّا استعمل فيه سلب الايجاب الكلّىّ فى السّلب الكلّىّ ومثله كثير فى الآيات والاخبار واستعمال العرب، والمقصود انّ ابتغاء غيرالله ربّاً مع كونه مربوباً وبال لامحالة ولايمكننى طرح هذا الوبال على غيرى، لأنّه لاتكسب كلّ نفس ماتكسب ممّا هو وبال الّا عليها يعنى كسبكم الوبال باتّخاذ غير الرّبّ ربّاً وبال عليكم [وَ] لا يمكن غيرى ان يحمل وبالى عنّى لانّه [لَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ] هذه مجادلة بالّتى هى أحسن بحيث لايورث شغباً[1] ولجاجاً للخصم حيث نسب ابتغاء غيرالله

١- الشّغب بالسّكون وقد يحرّك وقيل لايحرّك - اصل تهييج الشرّ .

ربّاً الى نفسه وذكر مفاسده وعرّض بهم [ثُمَّ إِلٰى رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ] يوم القيامة نسب الرّجوع اليهم دون نفسه تنبيهاً على التّعريض بحيث لايمكنهم ردّه [فَيُنَبِّئُكُمْ بِمٰا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ] وهوالدّين الّذى فرّقتموه على اهويتكم اواختلفتم فى بطلانه وحقّيّته، وفيه تعريض بالامّة كأنّه قال فتنبّهوا ياامّة محمّد (ص) فلاتختلفوا بعده فى الدّين الّذى أتمّه بولاية علىّ (ع) [وَهُوَ الَّذِى جَعَلَكُمْ خَلٰائِفَ الْأَرْضِ] عطف على قوله هو ربّ كلّ شيء اوحال معمول لواحدة من الجمل السّابقة وتعليل آخر لانكار ابتغاء غيره ربّاً و بيان لكيفيّة ربوبيّته بما فيه غاية الانعام على طريق الحصر، يعنى هوالّذى جعلكم خلائف الارض لاغيره الّذى هو مربوب و المقصود انّه جعلكم خلائفه فى ارض العالم الكبير بان اعطاكم قوّة التّميز و التّصرّف فيها باىّ نحو شئتم واباح لكم التّصرّف فيها ، وفى ارض العالم الصّغير بان مكّنكم فيها وجعل لكم فيها كلّ ماجعل لنفسه من الجنود والحشم وسخّرها لكم مثل تسخّرها لنفسه، وهذه هى غاية الانعام حيث خلقكم على مثاله [وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجٰاتٍ لِيَبْلُوَكُمْ] ايّها المرفوعون [فِيمٰا ءٰاتٰيكُمْ] من جاهكم ومالكم وقواكم وبسطكم واحتياج غير المرفوعين اليكم كيف تعاملون مع انفسكم ومع الله باداء الشّكر وصرف النّعمة فى وجهها ومع المحتاجين بايصال حقوقهم اليهم ، فعلى هذا كان الخطاب للمرفوعين ، اويكون الخطاب للمرفوعين وغيرهم جميعاً، فانّ المحتاج مبتلىّ بحاجته كما انّ المرفوع مبتلىّ بالمحتاج [إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقٰابِ] استيناف من الله وخطاب لمحمّد (ص) او خطاب عامّ و جواب لسؤال مقدّر كأنّه قيل : مايريد بالابتلاء ؟ ـ فقال : يريد عقوبة المسيء ورحمة المحسن منهم لانّ ربّك سريع العقاب، وتقديم العقاب لقصد ختم السّورة بالرّحمة رحمةً بهم [وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ] عن الصّادق (ع) انّ سورة الانعام نزلت جملةً واحدةً شيّعها سبعون الف ملك حتّى نزلت على محمّد (ص) فعظّموها وبجّلوها فانّ اسم الله فيها فى سبعين موضعاً، ولو يعلم النّاس مافى قراءتها ماتركوها وكفى به فضلاً .

سورة الاعراف

مكّيّة وروى انّها مكّيّة غير قوله: وَاسْئَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ (الى قوله) بِمٰا كٰانُوا يَفْسُقُونَ

بسم الله الرحمن الرحيم

[الٓمٓصٓ] قد مضى فى اوّل البقرة، انّه فى حال المحو والغشى وانقلاب الدّنيا الى الآخرة يرى الانسان ويشاهد من الحقائق فيعبّر له عمّا يشاهده بالحروف المقطّعة ويفهم من تلك مايشاهد من الحقائق، ثمّ بعد الافاقة لايمكنه القاء تلك الحقائق على الغير وافهامها ايّاه فضلاً عن التعبير عنها بتلك الحروف وافهامها بها، واذا القى تلك الحروف على غيره مشيراً الى تلك الحقائق لايمكن له تفسيرها الّا بما يناسبها كالمنامات وتعبيراتها، فانّ المناسبات الّتى تذكر للغير كالمناسبات الّتى يراها النّائم من الحقائق فى المنام، فانّ حال الخلق بالنّسبة الى الحقائق كحال النّائم بالنّسبة اليها من غير فرق، لانّ الخلق نائمون عن الحقائق ولذلك اختلف الاخبار فى تفاسيرها وتحيّر الخلق فى فهمها والتّعبير عنها وقد ذكر فى تفسيرها وجوه عديدة متخالفة متناسبة فى الاخبار والتّفاسير، والكلّ راجع الى ما ذكرنا من التّعبير عن تلك الحقائق بما يناسبها و تفسيرها بحسب صورة تلك الحروف من حيث الخواصّ والاعداد والفوائد المترتّبة عليها والاشارات المستنبطة منها، كقيام قائم من ولد هاشم عند انقضاء مدّة مقطّعات اوّل كلّ سورة منها، وانقضاء ملك بنى اميّة عند انقضاء المص كما ورد فى الاخبار لاينافى ماذكرنا، فانّها ممّا يستنبط من اعتبار حروفها ولاينافى ذلك اعتبار حقائقها [كِتٰابٌ] قد عرفت الفرق بين الكتاب والكلام وانّ العالم بوجه كتابه وبوجه كلامه تعالى، وانّ الانسان مختصر من هذا الكتاب، والقرآن ظهوره بصورة الحروف و الاصوات و نزوله فى لباس النّقوش والكتاب ترحّماً على العباد، فانّ الانسان لمّا تنزّل الى مقام التّجسّم و احتاج فى ادراكه الى مدارك الحيوان انعم الله عليه بتنزيل تلك الحقائق فى صورة الحروف والعبارة، اوالنّقوش والكتابة لتناسب مداركه النّازلة ونعم ما قيل:

چون نهاد آن آب وگل برسر كلاه — گشت آن اسماء جانى رو سياه

كه نقاب حرف دم درخود كشيد — تا شود بر آب وگل معنى پديد

وانّ الرّسالة والنّبوّة ليست الّا التّحقّق بحقائق العالم فهما ايضاً مراتب العالم وقد عرفت ايضاً انّ الكلّ ظهور الولاية الّتى هى فعل الحقّ وتجلّيه الفعلىّ وانّها مبدء الكلّ و صورته وغايته، فان كانت فواتح

السّور عبارة عن مراتب العالم الصّغير اوالكبير اومراتب النّبوّة اوالرّسالة او الولاية او مراتب وجوده (ص) كما ورد ، انّها اسماء للنّبيّ(ص)اوكان المراد بها القرآن اوالسّور المفتتحة بها ،كمافصّل ذلك فى اوّل البقرة فلفظ كتاب خبرعن المص او خبر مبتدء محذوف ، او مبتدء خبر محذوف ، او مبتدء موصوف متضمّن لمعنى الشّرط وخبره قوله فلا يكن او لتنذر ويجرى فيه وجوه اخر كما سبق [أُنْزِلَ إِلَيْكَ] صفة لكتاب ، او خبر بعد خبر ، او استيناف لبيان الغرض منه و لمّاكان المقصود ترتّب النّهى عن وجود الحرج على نزول الكتاب المعلوم الّذى هو اصل كلّ النّعم وحقيقتها قال تعالى [فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ] قبل تمام الكلام بذكر الغاية ولواخّره لاوهم ترتّبه على غايته وهى الانذار [لِتُنْذِرَ بِهِ] المنحرفين والكفّار بالله او بالولاية او بما فى الكتاب [وَذِكْرَىٰ] لتذكّر تذكيراً فانّه اسم للتّذكير وقائم مقام الفعل وعطف على لتنذر اوعلى تنذر اوهو بنفسه عطف على تنذر لانّه بتأويل الانذار او على كتاب اوعلى انزل بتأويل معنى الوصف ، اوخبر مبتدء محذوف [لِلْمُؤْمِنِينَ] بالله بالايمان العامّ الّذى هوالبيعة على يدك وهو الايمان بك ، اوبالايمان الخاصّ الّذى هوالبيعة الولويّة وهوالايمان بالولاية ، ثمّ صرف الخطاب عنه (ص) الى قومه (ص) فقال [اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ] من الكتاب الّذى هوصورة الولاية الّتى كانت متّحدة مع علىّ(ع) بقرينة قوله [وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ] اى من دون ما انزل فانّه ظاهر اللّفظ [أَوْلِيَاءَ] من شياطين الانس الّذين ما نزل اليكم من ربّكم فيهم شيء [قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ] تحسّر عليهم لقلّة تذكّرهم [وَكَمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا] من قبيل عطف التّفصيل على الاجمال اوبتقدير اردنا اهلاكها [بَيَاتًا] وقت غفلة وراحة [أَوْهُمْ قَائِلُونَ] فى النّهار وهو ايضاً وقت دعة وراحة [فَمَا كَانَ دَعْوَاهُمْ] اى استغاثتهم اوادّعاؤهم حين نزول العذاب على سبيل التّهكّم يعنى انّ دعويهم قبل ذلك انّ آلهتهم شفعاءهم وانّ الآلهة تدفع عنهم الضّرّ وتجلب اليهم النّفع فيتبدّل تلك الدّعوى وماكان دعويهم [إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا إِلَّا أَنْ قَالُوا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ] الّا الاعتراف بالظّلم [فَلَنَسْئَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ] من امم الانبياء عن كيفيّة تبليغ الرّسل واجابتهم لهم واطاعتهم اياهم [وَلَنَسْئَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ] عن تبليغهم وكيفيّة اجابة امهم [فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِمْ] على الرّسل والمرسل اليهم [بِعِلْمٍ] يعنى انّ المقصود من سؤالهم تذكيرهم بما وقع منهم وتبكيت المخالف منهم ، والّا فنحن نعلم جميع ذلك ونقصّ عليهم تمام ما وقع منهم [وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ] عنهم حين فعلوا ما فعلوا ، اتى بما يوافق مقام التّهديد متدرّجاً من الادنى الى الاعلى [وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ] الوزن تعيين قدر الشّيء و وزن كلّ شيء بحسبه وكذا ميزانه ، وتبادر تحديد الاجسام الثّقيلة من لفظ الوزن وما به يوزن الاجسام الثّقيلة من الميزان بسبب شيوعه بين العامّة والّا فلا اختصاص له بها فميزان الاجسام الثّقيلة هوذوالكفّتين والقبّان والكيل وميزان المتكمّمات القارّة الشّبر والذّرع والفرسخ، و ميزان الغير القارّة السّاعات و الايّام و الشّهور والاعوام ، و ميزان المغشوش من الفلزّات وغيره المحكّ والنّار ، وميزان الاعمال صحيحها وسقيمها العقل ، ولا سيّما العقل الكامل اعنى النبيّ(ص) والولىّ(ع) ، وما أسّسنا لتحديد الافعال و الاقوال و الاحوال و العقائد و سائر العلوم فميزان الاعمال القالبيّة المعاشيّة هوالعقل الجزئىّ المدبّر لدفع الضّرّ وجلب النّفع ، وميزان المعاديّة منها هوالاتّصال بالنّبيّ(ع) بالكيفيّة المخصوصة

المقرّرة عندهم بالبيعة العامّة النّبويّة وصدورها من جهة ذلك الاتّصال لامن تصرّفات الخيال والشّيطان، وثقل هذا الميزان باتّصال الاعمال بالنّبيّ(ع) اوخليفته وجذبها اياه الى جهة عاملها اوجذبها عاملها الى النّبيّ (ع) اوخليفته وخفّتها بانقطاعها عن هذا الميزان وعدم جذبها اياه الى عاملها ، ولمّا كان لكلّ من صفحتى النّفس العمّالة والعلّامة جهتان سفليّة وعلويّة، شيطانيّة وملكيّة فلاغرو فى ظهورهما يوم العرض بصورة ذى الكفّتين ويظهر مثل تلك فى الآخرة ، لانّه كما سبق كلّ ماوجد فى النّفس والعالم الصّغير يظهر مثله فى العالم الكبير فى الآخرة فلا وجه لانكار بعض ظهور ذى الكفّتين ووزن الاعمال به ، وكذلك ميزان الاعمال القلبيّة هو الاتّصال بالامام بالكيفيّة المقرّرة والبيعة الخاصّة الولويّة وصدورها من جهة ذلك الاتّصال وثقلها باتّصالها وخفّتها بانقطاعها مطلقاً اوحين العمل بالغفلة عن الاتّصال ، وبتفاوت الاتّصال بالشّدّة والضّعف يتفاوت الاعمال فى الثّقل فالمتّصل بالصّورة البشريّة اقلّ ثقلاً ، والمتّصل بملكوت الامام تعمّلاً اكثر ثقلاً ، و المتّصل بملكوته من غير تعمّل اكثر ثقلاً ، والمتّصل بجبروته بمراتبها اكثر ثقلاً ، والمتحقّق به هو الثّقيل المطلق، فلكلّ عمل موازين عديدة من بشريّة النّبيّ(ص) اوالامام(ع)، وقوله وفعله وملكوته وجبروته ، ولكلّ مراتب عديدة ، وكلّ مرتبة ميزان الاعمال المتّصل بتلك المرتبة ، هذا اذا اريد بالحقّ معناه الوصفيّ اللّغوىّ اى الثّابت المحقّق، وامّا اذا اريد معناه العرفيّ اى الحقّ المضاف والولاية المطلقة ولذا جيء به معرّفاً باللّام مشيراً الى الحقّ المعهود، فالمعنى انّ الوزن يعنى الميزان يومئذ الولاية ولمّا كان للولاية مراتب كما انّ لعلىّ(ع) مراتب بحسب بشريّته وملكوته وجبروته وحقيّته، وكما انّ للعالم مراتب بحسب ملكوته السّفلىّ وملكه وملكوته العليا وجبروته بمراتب كلّ منها ، وكلّ مرتبة منها ميزان لما يناسبها ويوافقها قال تعالى [فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ] بصيغة الجمع و وجه الثّقل والخفّة قد عرفت [فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ] فانّ الفلاح بالانجذاب الى العلو والمتّصل منجذب الى العلو بخلاف المنقطع فانّه قد ينجذب الى السّفل وهو الجحيم [وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ] باهمال قوّة الاتّصال والاستعداد له الّتى اعطاها الله تعالى بضاعة لهم [بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ] بعدم الاتّصال بالآيات القرآنيّة والنّبويّة والولويّة بمراتبها والانفسيّة وظلمها عبارة عن جحودها كما فى الخبر يعنى عدم الاتّصال بها بالكيفيّة المخصوصة وعدم التّوجّه اليها وعدم السّير اليها ، فانّ الظّلم منع الحقّ عن المستحقّ وقوّة قبول الولاية والتّوجّه اليها والسّير اليها والحضور عند صاحبها و الفناء فيه حقّ الامام ، وبما ذكرنا فى كيفيّة الوزن والميزان يرتفع الاختلاف عن الاخبار مع غاية اختلافها [وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ] الطّبيعيّة اوارض البدن او ارض القرآن والسّير والاخبار لان تؤدّوا الحقوق الى مستحقّيها [وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ] لايدانكم وارواحكم [قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ] باداء الحقّ الّذى هو استعداد الاتّصال والقبول من عقل او نبيّ اووصيّ اليه [وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ] تعداد للنّعم و قبح الكفران بها [ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ] يعنى خلقنا اباكم آدم(ع) بجمع ترابه الّذى هو بمنزلة النّطفة ، ثمّ صوّرناه بعد اربعين صباحاً كذا قيل ، اوخلقناكم بالقاء نطفكم فى الارحام ، ثمّ بعد مضىّ زمان صوّرناكم بالصّورة الجسمانيّة من امتياز العين والانف واليد والرّجل والحسن والقبيح والقصير والطّويل وغير ذلك ، وبالصّورة الرّوحانيّة من الاخلاق الحسنة والسّيّئة والسّعادة والشّقاوة، والى هذا أشير فى الخبر ولاينافى ذلك قوله تعالى [ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ] فانّ ذرارى

آدم(ع) بعد نزول اللّطيفة الآدميّة الى ارض البدن وهبوطها على صفا نفسها وهبوط حوّاء على مروتها اللّتين هما جهتا النّفس العليا والسّفلى ، يصيرون مثل آدم ابى البشر ويؤمر الملائكة الّذين هم موكّلون عليهم بالسّجود لتلك اللّطيفة ، فيسجدون وينقادون لها غير ابليس الواهمة فانّه ما لم يكسر سورة كبريائه واستعلائه بالرّياضات الشّرعيّة والعبادات القالبيّة والقلبيّة لايسلّم لآدم(ع) ولاينقاد له ، وشيطانى اسلم على يدى ، اشارة الى ماذكرنا [فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ] لم يقل لم يسجد اشارة الى انّ فطرته كانت فطرة العتوّ والاستكبار وانّه لم يكن من سنخ السّاجدين ولايمكنه السّجود الّا بتبديلها ، ولذا ورد ، انّه لم يكن من المأمورين بالسّجود و أدخل نفسه فى المأمورين [قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ] اى ما منعك مضطرّاً الى ان لا تسجد او لازائدة و تزاد لا للتّاكيد خصوصاً بعد المنع [إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ] يعنى حملنى على ترك السّجدة كونى خيراً منه وخيّرتنى منه بخيريّة مادّتى لانّك [خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ] والنّار علويّة شفيفة سريعة الاثر منيرة مبدلة كلّ ماتتّصل اليها بسرعة ، والطّين خلافها ، وفى خبر: انّ اوّل من قاس ابليس ، وفى خبر: انّ اوّل معصية ظهرت الانانيّة من ابليس اللّعين ، وأقسم بعزّته لايقيس أحد فى دينه الّا قرنه مع عدوّه ابليس فى اسفل درك من النّار ، وفى خبر آخر: كذب ابليس ماخلقه الله الّا من طين قال الله الّذى جعل لكم من الشّجر الاخضر ناراً ، قد خلقه الله من تلك النّار ومن تلك الشّجرة والشّجرة اصلها من طين [قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا] من السّماء [فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا] فانّ المحلّ الرّفيع لمن تواضع لله [فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ] الاذلّاء [قَالَ] بعد ما علم انّه لايعود الى السّماء ومحلّه اسفل السّافلين [أَنْظِرْنِي] أمهلنى [إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ] فلا تعجل فى عقوبتى و اماتتى [قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ] انظره ابتلاءً لعباده و تمييزاً للطّيّب منهم عن الخبيث [قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي] نسب الاغواء الى الله كما هو عادة المتأنّقين من نسبة القبيح الى أنفسهم والغالب فى ذلك هى النّسوان [لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ] مترصّداً لاغوائهم كما يترصّد قطّاع الطّريق للفرصة من المارّة ، و الصّراط المستقيم هو صراط القلب و هو الولاية التّكوينيّة والتّكليفيّة [ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ] من جهة تزيين المشتهيات الاخرويّة و اتعابهم فى العمل لاجلها [وَمِنْ خَلْفِهِمْ] من جهة المشتهيات الدّنيويّة [وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ] بتزيين الاعمال الدّينيّة بحيث يستلذّها ويعجب بها فيفسدها [وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ] بتزيين الاعمال القبيحة بحيث يعدّون قبائحهم حسنات ويباهون بمعاصيهم وملاهيهم ومقصوده منه ، تصوير المخاصمة معهم بكلّ مايتصوّر المخاصمة به من الخصمين من المباغتة من كلّ جهة ولذلك لم يذكر من فوقهم ومن تحتهم ، فانّه لايتصوّر للعدوّ العسكرىّ الاتيان منهما ولانّ جهة الفوق جهة الرّحمة الالهيّة ولايتصوّر نزول الشّيطان منها ، وجهة التحت هى جهة المواد من العنصريّة والجماديّة والنّباتيّة والحيوانيّة يعنى مقام الحيوان الخارج عن حدّ الانسان ، لا المشتهيات الحيوانيّة الّتى هى تحت الانسانيّة ومتّحدة معها والانسان بالطّبع نافر منها كلّ النّفرة متوحّش كلّ التوحّش لايمكن اغواؤه من تلك الجهة ، والاتيان فى الاوّلين بحرف الابتداء وفى الاخيرين بحرف المجاوزة لتصوير تلك المخاصمة بصورة المخاصمة الصّوريّة ، فانّ الخصم الآتى من القدّام متوجّه الى خصمه غير متجاوز عن جهة قدّامه ، وكذا الآتى من الخلف يباغت الخصم من خلفه لكنّ

الآتی من احد الجانبین یتجاوز عنه و یباغته ، اوینصرف المأتیّ الیه بوجهه الی الآتی من احد جانبیه فی الاغلب [وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ] لغفلتهم عن الانعام وایتهاجهم بنفس النّعمة اوبصرف النّعمة الّتی انعمت علیهم فی غیروجهها بتلبیسی علیهم وجهها [قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا] من السّماء [مَذْءُومًا] مذموماً [مَدْحُورًا] مطروداً [لَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ] أقسم مقابلة لقسمه وتأکیداً [لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ وَيَا آدَمُ] قال یاآدم [اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ] قد سبق فی سورة البقرة [فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ] فعل الوسوسة وهی الصّوت الخفیّ فی الاصل ثمّ غلب علی ما یلقی الشّیطان فی النّفوس من الخواطر الخفیّة السّیّئة اوالمؤدّیة الی السّوء ، وان کان المراد ظاهر ماورد فی الاخبار من انّه اختفی بین لحیتی الحیّة وأظهر النّصح لهما بلسان ظاهریّ وسمعاه بالسّمع الظّاهر ، فالمقصود انّه اظهر النّصح لهما بصوت خفیّ اظهاراً لهما انّه محض الترحّم والشّفقة لهما مبالغةً فی الغرور ، فانّ الرّحمة والشّفقة تقتضیان اخفاء الصّوت لاالاجهار به ، والاتیان باللّام للاشارة الی انّه نصح نافع لهما [لِيُبْدِيَ لَهُمَا] اللّام للعاقبة اوللغایة علی انّه کان عالماً بانّ قرب الشّجر مورث لان یبدی لهما [مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْآتِهِمَا] و قد ورد انّ المراد کان بالسوأة هو العورة وکانت قبل ذلک مختفیةً غیر ظاهرة علی انفسهما ولا علی غیرهما ولکن اذا اریدبالشّجرة شجرة النّفس فانّها مجمع تمام الرّذائل والخصائل ، وبه یجمع بین ماورد فی تفسیرها مع اختلافها وتضادّها کما سبق ، وبآدم الرّوح المنفوخة فی جسده الّتی هی طلیعة العقل ، وبحوّاء جهتها السّفلیّ الّتی خلقت من جانبها الایسر ، کان المراد بوسوسة الشّیطان الخطرات الّتی تقرّب الانسان الی المشتهیات النّفسانیّة و بسؤاتهما الرّذائل المکمونة و الاهواء الفاسدة والآراء الکاسدة الّتی تظهر بعد الاختلاط بالنّفس ومشتهیاتها ، والمراد من ورق الجنّة مااقتضاه العقل من الحیاء والتّقوی فانّهما من اوراق الجنّة ، وبهما وبسائر صفات العقل یستر المساوی ولایتجاهر الانسان بها الّا ان یهلک العقل ویخرج من الجنّة وحکومة العقل ، ونداء الرّبّ عبارة عن نداء العقل فی وجود الانسان بالتّوبیخ علی مایصدر عنه ممّا فیه نقصه [وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا] عطف علی وسوس وتفصیل لها [عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ] کأنّهما استشعرا ان لیس فی جبلّتهما ما فی الملک ولا ما یقتضی الخلود واستشعرا ما فی الملکیّة والخلود من الکمال بالنّسبة الی المخلوق المرکّب من طباع العناصر ، فاشتاقا الی الوصفین فقال لهما : انّ الاکل من الشّجرة مورث للوصفین و انّ الله کرّه لکما الوصفین و لذلک نهاکما عن الاکل [وَقَاسَمَهُمَا] کأنّهما لم یعتمدا علی قوله و طلبا منه البیّنة والقسم و عهدا قبول قوله ولذا أتی بلفظ قاسم [إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ فَدَلَّاهُمَا] ای اهبطهما مع تعلّق منهما بمقامهما العلویّ [بِغُرُورٍ] بمعنی المصدر اوبمعنی ما یغرّ به من القسم الکذب وغیره [فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ] قد مضی البیان [وَنَادَيْهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُلْ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ] تقریع وتوبیخ لهما علی ارتکاب النّهی و الاغترار بقول العدوّ حتّی یتنبّها علی نقصهما و یستدرکاه بالتّوبة و لذلک ابتدرا بالاعتراف و الاستغفار [قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ

الْخاسِرِينَ قالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتاعٌ إِلى حِينٍ] قد سبق الآية في سورة البقرة [قالَ فِيها] في ارض العالم الكبير اوالصّغير [تَحْيَوْنَ] بالحيوة الحيوانيّة اوبالحيوة الانسانيّة [وَفِيها تَمُوتُونَ] بالموتين [وَمِنْها تُخْرَجُونَ] فانّ السّعادة والشّقاوة تحصلان في الدّنيا وفي غلاف الطّبع وليس خروج الانسان وانتقاله الى الجنان اوالنّيران ، الّا من جهة المادّة والقوّة الّتي هي ارضيّة الدّنيا والطّبع لا من جهة الصّورة وفعليّتها الّتيّ هي سماويّتهما بوجه [يا بَنِي آدَمَ] خطاب منه تعالى لبني آدم (ع) اعتناءً بهم وتعداداً لنعمهم [قَدْ أَنْزَلْنا عَلَيْكُمْ لِباساً يُوارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشاً] يعني خلقنا لكم ما يستر بشرتكم ويقيكم من الحرّ والبرد ومايسترعوراتكم البشريّة عن الانظار ، وما تتجمّلون به من الملبوس الفاخرفانّ الرّيش هومايتجمّل به ، وريش الطّائر جماله والوصفان قد يجتمعان في واحد ، ويطلق الرّيش على متاع البيت وعلى ما يعيش الانسان به وعلى سعته و مكنته ونزولهما بحسب نزول اسباب مادّتهما من الامطار و الآثار من تأثيرات الكواكب وحركات الافلاك ، ونزول اسباب تحصيل صورتهما من التّميز وقوّة التّدبير ، واذا اريد باللّباس مايستر العورات المعنويّة من الافعال الحميدة والصّفات الجميلة ويؤيّده قوله [وَلِباسُ التَّقْوى ذٰلِكَ خَيْرٌ] فنزوله واضح ، واضافة اللّباس الى التّقوى من قبيل اضافة العامّ الى الخاصّ ، اواضافة المسبّب الى السّبب ، اواضافة المشبّه به الى المشبّه ، فانّ التّقوى وان كان مفهومها راجعاً الى العدم لكن لها حقيقة وجوديّة بها يحصل التّنزّه عن الرّذائل من الافعال والاوصاف وبالتّنزّه تحصل الخصائل الّتي بها تستر العورات المعنويّة والنّقائص النّفسانيّة و يحصل التّجمّلات الانسانيّة ، وفي الخبر : و امّا لباس التّقوى فالعفاف انّ العفيف لا يبدوله عورة وان كان عارياً من الثّوب ، والفاجر بادي العورة و ان كان كاسياً من الثّياب ، و تخلّل اسم الاشارة بين المبتدء و الخبر للاهتمام بذلك اللّباس و تصوير الامر المعنويّ متمثّلاً حاضراً وقرئ لباس التّقوى بالنّصب عطفاً على لباساً [ذٰلِكَ مِنْ آياتِ اللّٰهِ] اى انزال اللّباس مع شدّة حاجتكم اليه ، اوكون لباس التّقوى خيراً بحيث لا يخفى عليكم اولباس التّقوى ، فانّ ذلك كلّه من آيات علمه وحكمته وقدرته [لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ] صرف الخطاب عنهم بطريق الالتفات وهوغاية لانزال اللّباس اولجعل ذلك من آياته [يا بَنِي آدَمَ] نداء آخر لهم بعد ذكر نعمة ستر عوراتهم لنهيهم عمّا يزيل تلك النّعمة [لا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطانُ] بتزيين شجرة النّفس و ثمرة مشتهياتها وايلاعكم بها فيزيل عنكم تلك النّعمة من ، فُتِنَ الى النّساء ، على صيغة المفعول اذا اولع بهنّ واراد الفجور [كَما أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ] بالافتتان بشجرة النّفس [مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُما لِباسَهُما لِيُرِيَهُما سَوْآتِهِما إِنَّهُ يَرِيكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لا تَرَوْنَهُمْ] لانّهم من اهل الملكوت السّفلى ولا يراهم البشر ببصره الملكيّ بل ببصيرته الملكوتيّة والجملة تعليل للتّحذير والتّذكير المستفاد من النّهي تأكيداً له ، ولمّا كان هناك مظنّة سؤال ان لايمكن الخلاص لاحد من فتنته لعداوته وخفائه وخفاء مخايل عداوته فلم يكن فائدة للنّهي والتّحذير عنه ، قال تعالى جواباً انّ وجه الخلاص منه الايمان بالآخرة والخروج من الرّسوم والعادة ، لانّا لم نجعل للشّياطين تصرّفاً وتسلّطاً على من هذه صفته [إِنَّا جَعَلْنَا الشَّياطِينَ أَوْلِياءَ لِلَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ] لتخلينا بينهم وبينهم بعدم محافظة الملائكة [وَإِذا فَعَلُوا فاحِشَةً قالُوا] لساناً او حالاً [وَجَدْنا عَلَيْها آباءَنا] يعني اعتمدوا

واطمأنّوا على ما اعتادوه ، ونسبوا عاداتهم الى الله كما هو شأن عامّة النّاس [وَ] قالوا [اللّٰهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ] ردّاً لهم فى نسبة العادات الى الله [إِنَّ اللّٰهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ] ليس المراد بالفحشاء ما يستقبحه العقل والشّرع بحسب الصّورة ، بلَ المراد ما صدر عن النّفس لغايات نفسانيّة سواء كان صورته صورة ما قرّره الشّرع اونهى عنه ، فالصّلوة رياءً اولقصد الجاه اوالمال اوحفظ مالٍ اوعرضٍ اودمٍ فاحشة [أَتَقُولُونَ عَلَى اللّٰهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ] فى الخبر انّه لايزعم احد انّ الله يأمر بالزّنا وشرب الخمر وشيءٍ من هذه المحارم ، بل هذا فى ائمّة الجور ادّعوا انّ الله أمرهم بالايتمام بقوم لم يأمرهم الله بالايتمام بهم ، وهو يؤيّد ما ذكرنا من تفسير الفحشاء وكذا يؤيّده قوله [قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ] فانّ القسط هو توسّط النّفس فى الافعال والاقوال والاحوال والاخلاق والعقائد بين تفريط النّفس عن الاغراض العقليّة وافراطها فيها بحيث يؤدّى الى ما نهى عنه كالاغراض الدّنيويّة [وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ] وهذا يؤيّد ماذكر فى الخبر من تفسير الفحشاء ، واقامة الوجه صرفه عن الانحراف الى ماينبغى ان يتوجّه اليه من قبلته ، و قبلة وجه البدن اشرف بقاع الارض ، وقبلة وجه النّفس القلب ، و قبلة وجه القلب الرّوح ، وقبلة الرّوح هى الولاية المطلقة ، وقبلة الكلّ هى خليفة الله ، والمسجد ايضاً يعمّ المساجد الطّينيّة والمساجد الرّوحانيّة من القلب والرّوح والولاية المطلقة والايّام المتبرّكة والسّاعات الشّريفة من كلّ يومٍ ، والمساجد الحقيقيّة البشريّة الّذين هم خلفاء الله فى ارضه وبيوته لخلقه واصل الكلّ هو خليفة الله الاعظم اعنى علياً(ع) ، وجمع الوجوه بجمع الكثرة مضافاً مفيداً للاستغراق والاتيان بكلمة كلّ فى جانب المسجد للاشارة الى تعميم الوجه والمسجد وقد فسّر المسجد ههنا فى الخبر بالائمّة(ع) [وَادْعُوهُ] اى ادعوا ربّى او ادعوا المسجد وهو عطف على اقيموا كما انّ اقيموا عطف على امر ربّى ليكون مقولاً لقل ، او عطف على امر بتقدير قال ليكون مقولاً لقول الله تعالى والمعنى ، ادعوا ربّى او المسجد بتصفية بيوت قلوبكم عمّا يمنعه من دخولها واستيلائه عليها ثمّ باستدعاء دخوله بالسنة قالكم وحالكم واستعدادكم ، فانّ قلب المؤمن عرش الرّحمن وبيت الله الّذى اذن ان يرفع كما قيل :

هر كه خواهد هم نشينى با خدا گو نشيند در حضور اوليا

وكما قيل :

مسجدى كو اندرون اولياست سجده گاه جمله است آنجا خداست

لكن لايدخله الّا بعد تصفيته عمّا لايليق به تعالى وقد سبق فى سورة البقرة عند قوله تعالى: ومن أظلم ممّن منع مساجد الله (الى آخرها) تحقيق للمسجد [مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ] اى طريق الدّعوة من الاغراض والاهواء خارجين من ارادتكم واختياراتكم كالميّت بين يدى الغسّال مؤتمرين بأمره ؛ موتوا قبل ان تموتوا: فانّه [كَمَا بَدَأَكُمْ] من غير ارادةٍ منكم واختيارٍ وغرضٍ وهوىً [تَعُودُونَ] فمن أراد العود اليه فليخرج من جميع ماينسب الى نفسه والّا فسيعيده الملائكة الغلاظ كاعادة العبد الجانى الآبق الى مولاه للمؤاخذة ، اوالمعنى ادعوه متضرّعين منتظرين للورود عليه مخلصين له الطّاعة والعبادة لانّه كما بدأكم تعودون اليه فيجازيكم على طاعاتكم و على اىّ تقدير يكون قوله كما بدأكم تعودون فى مقام التّعليل [فَرِيقاً هَدَى] جملة حاليّة او مستأنفة لبيان

حال العباد حين العود كما فى الخبر اومطلقاً ترغيباً وتحذيراً [وَفَرِيقاً حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلٰالَةُ إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّيٰاطِينَ أَوْلِيٰاءَ مِنْ دُونِ اللّٰهِ] تعليل لحقّيّة الضّلالة و المراد بالشّياطين شياطين الجنّ فى تزيين الاهواء والمشتهيات و شياطين الانس فى تزيين باطلهم بصورة الحقّ من ائمّة الجور و اظلالهم [وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ] فى اتّباع العادات و الاهواء واستنباط احكام الله بالآراء و الاستبداد بالظّنون المستنبطة من الاقيسة والاستحسانات ، واخذ احكام الله ممّن لم يؤمروا بالاخذ منهم والايتمام بهم، والتّحاكم الى من أمر الله ان يكفروا به والعمل بما لم يأخذوا ممّن امروا ان يأخذوا منه ممّن نصّ الله ورسوله (ع) عليه ، وبالجملة كلّ من لم يكن منصوصاً من الله ولا من رسوله (ص) ولا اوصيائه (ع) خصوصاً ولاعموماً ولا آخذاً من المنصوص عليه كذلك فقوله وفعله وحاله كلّها ضلالة ، سواء استبدّ برأيه اواخذ من غير المنصوص عليه سواء كان ذلك الغير من ائمّة الجور والمستبدّين بالآراء او من المتقلّدين للعلماء والآباء ، وسواء كان المأخوذ موافقاً لصور احكام الله اولا ، وسواء كان من العادات والرّسوم اولا، ثمّ بعد التّنبيه على وجوب اقامة الوجوه عند كلّ مسجد واخلاص الدّين لله صرف الخطاب عنه (ص) الى الخلق فقال : [يٰابَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ] ما به جمالكم من طهارة الابدان من الاخباث والاحداث والثّياب الجميلة الطيّبة وتحسين شعور رؤسكم ولحاكم بالمشط ، وغيره ممّا يتزيّن به من الادهان والخضاب ، ومن الافعال الحميدة والاقوال الفصيحة المفصحة عن أمور الآخرة ومن محبّة ذوى القربى و العقائد الصّحيحة ، و من الاحوال والاخلاق الجميلة و المكاشفات الصّحيحة والمشاهدات القلبيّة والمعاينات الرّوحيّة [عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ] وقد سبق بيان المسجد ووجه دخول لفظ العموم عليه وانّ اصل الكلّ هو خليفة الله فى الارض ، وقد فسّر الزّينة والمسجد فى هذه الآية وفى غيرها بماذكرنا من اراد الاطّلاع على ماورد عن المعصومين (ع) فليرجع الى الكافى والصّافى وغيرهما [وَكُلُوا وَاشْرَبُوا] فانّ التّزيّن و الاكل والشّرب مباحة لكم ولاتنافى اقامة الوجوه عند المساجد بل تقويكم على ذلك ، ولايخفى تعميم الاكل والشّرب كالزّينة [وَ] لكن [لٰا تُسْرِفُوا] بالافراط فى التّزيّن بحيث يمنعكم من اقامة الوجوه لاشتغال نفوسكم بتحصيلها وتحصيل ثمنها وحفظها عن التدنّس وبالافراط فى الاكل والشّرب وفى طيبوبة المأكول والمشروب لتضرّركم بالزّيادة على قدر اشتهائكم فى ابدانكم ونفوسكم وكسالتكم واشتغالكم [إِنَّهُ لٰا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ] فى اىّ شيء كان لانّ الاسراف يجرى فى جملة الافعال والاقوال والاحوال، كما ورد فى جواب من قال : افى الوضوء اسراف؟ـ من قوله (ع) : نعم فى الوضوء اسراف ولوكنت على نهر، فانّ استعمال القوى والاعضاء فى كلّ فعل زائداً على تحصيل حقيقة ذلك الفعل واجباً كان ام مندوباً ام مباحاً وزائداً على تحصيل كمالاته اسراف ، هذا بحسب التّنزيل، واممّا بحسب التّأويل والباطن فالاسراف فى الاكل والشّرب واللّبس بانّه يكون كلّ منها بغلبة النّفس على العقل والغفلة عن الامر والنّهى ، فانّه اسراف استحصال النّفس فى مشتهياتها حتّى تصير غالبة على العقل والامر الآلهىّ [قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللّٰهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبٰادِهِ] كأنّهم كانوا يعدّون ترك التّزيّن وترك الطّيّب من المأكول والمشروب من لوازم العبادة وطلب الآخرة، فأمرهم اوّلاً بالتّزيّن والاكل والشّرب ، وثانياً بانكار تحريمه تأكيداً، والتّوصيف بالاخراج لعباده اشارة الى انّ الزّينة اوّلاً وبالذّات لمن صار عبداً له ، ولغيره بتبعيّته لا انّه حرام

عليه لعبادته [وَالطَّيِّبٰاتِ مِنَ الرِّزْقِ] البدنيّ النّباتيّ والحيوانيّ والانسانيّ ومن الرّزق الرّوحانيّ من ارزاق النّفوس والقلوب والارواح [قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ اٰمَنُوا فِي الْحَيٰوةِ الدُّنْيٰا] اعلم ، انّ الدّنيا والآخرة خلقتا الخليفة الله بالذّات وهذا احد وجوه قوله: لولاك لماخلقت الافلاك ، فمن اتّصل به بالاتّصال التّقليديّ الّذى هو قبول الدّعوة الظّاهرة وقبول ما اخذ عليه بالبيعة العامّة وعقديده على يد الخليفة بالمعاهدة الاسلاميّة ، او اتّصل به بالاتّصال الايتمامىّ الّذى هو قبول الدّعوة الباطنة وقبول ما اخذ عليه بالبيعة الخاصّة وعقديده على يد الخليفة بالمعاهدة الايمانيّة ، فدخل الايمان الّذى هوصورة نازلة من الخليفة فى نازل مراتب قلبه الّذى هو الصّدر، ثمّ دخل صورة اخرى له ملكوتيّة فى مرتبة اخرى من قلبه هى اعلى من تلك المرتبة ، وهكذا الى ان يتحقّق بحقيقة الخليفة فهما كانتا له بقدر اتّصاله ويرث من الخليفة بحسبه، ومن لم يتّصل به بشيء من الاتّصال فهما عليه حرامان واذا ملك شيئاً من الدّنيا ممّا غلب عليه كان مغصوباً فى يده ، ولذلك قال : هى للّذين آمنوا فى الحيوة الدّنيا ، من غير تقييد بالخلوص من يد الغير يعنى سواء غلب عليها غيرهم او لم يغلب عليها ، ولمّا لم يمكن غلبة الغير عليها فى الآخرة قال [خٰالِصَةً يَوْمَ الْقِيٰمَةِ] قرئ خالصةً بالرّفع و بالنّصب واعراب الآية ان هى مبتدء وللّذين آمنوا خبره ، اوحال و فى الحيوة الدّنيا خبر ، اوخبر بعد خبر ، اوحال عن فاعل آمنوا ، اوعن المستتر فى الظّرف ، اوظرف لغو متعلّق بآمنوا ، او بقوله للّذين آمنوا ، او بعامل من افعال الخصوص حال ، او خبر بعد خبر ، او خبر ابتداء اى مغصوب عليها فى الحيوة الدّنيا ، و خالصة على قراءة الرّفع خبر هى ، او خبر بعد خبر ، او خبر مبتدء محذوف ، وعلى قراءة النّصب حال من واحد من العوامل السّابقة ، وعن الصّادق (ع) بعد ان ذكر انهار الارض فما سقت واستقت فهو لنا وماكان لنا فهو لشيعتنا وليس لعدوّنا منه شيء الّا ما غصب ، وانّ وليّنا لفى اوسع ممّا بين ذه وذه ، يعنى ممّا بين السّماء والارض ثمّ تلاهذه الآية : قل هى للّذين آمنوا فى الحيوة الدّنيا المغصوبين عليها خالصة لهم يوم القيامة بلاغصب ،وفى قوله تعالى اليوم احلّ لكم الطّيّبات بعد قوله: اليوم يئس الّذين كفروا من دينكم وبعد قوله : اليوم اكملت لكم دينكم اشارة الى ذلك [كَذٰلِكَ نُفَصِّلُ الْاٰيٰاتِ] اى الآيات التّكوينيّة من استحقاق كلّ لما يحقّ له و اعطاء كلّ ذى حقّ حقّه بالآيات التّدوينيّة [لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ] يشتدّون فى السّلوك الى الآخرة ويزدادون فى علمهم ، فانّ العلم هوماكان متعلّقاً بالآخرة مع ازدياد واشتداد وكلّ ادراك لم يتعلّق بالآخرة اوكان متعلّقاً بها لكن لم يكن له اشتداد بل كان واقفاً اومنكوساً بواسطة الاغراض الدّنيويّة لايسمّى علماً عند اهل الله بل جهلاً ، واذا اطلق عليه اسم العلم من باب المشاكلة والموافقة لمخاطباتهم ، فقلّما ينفكّ عمّا يشعر بذمّه اوينفى اسم العلم عنه ولقد علموا لمن اشتريه ماله فى الآخرة من خلاق ، ولبئس ماشروا به انفسهم لو كانوا يعلمون ، يعلمون ظاهراً من الحيوة الدّنيا وهم عن الآخرة هم غافلون ، ذلك مبلغهم من العلم ، و قد سمّاه اشباه النّاس عالماً ان يتّبعون الّا الظّنّ وان هم الّا يخرصون ، ولذلك سمّوا شيعتهم الّذين بايعوهم بالبيعة الخاصّة الولويّة الّذين دخل الايمان فى قلوبهم علماء وعرفاء: شيعتنا العلماء، شيعتنا العرفاء ، بطريق الحصر ، فمن لم يكن سالكاً الى الآخرة وسائراً الى الله بقدم الايتمام بامام حقّ منصوص من الله و ان بلغ ما بلغ فى علومه الحكميّة و ظنونه الفرعيّة لا يسمّى عالماً

وهو لاينتفع بتفصيل الآيات ، لانّ نظره الى الآيات من حيث انفسها ، اومن حيث جهاتها الدّنيويّه لا من حيث انّها آيات دالّات على‌الله وعلى امور الآخرة ، كما نقل عن الصّادق (ع) انّه قال لابى حنيفة فى جملة كلامه : وما اراك تعرف من كتابه حرفاً ، ومن توسّل بهم بالايتمام بالبيعة الولويّة وان لم يكن قرأ حروف التّهجّى فهو عالم عارف وهو المنتفع بالآيات وتفصيلها ، لانّ نظره الى الاشياء الآفاقيّة والانفسيّة من حيث صدورها عن‌الله ودلالتها عليه ، ولمّا اباح لهم الاكل والشّرب واكّد ذلك باختصاص الزّينة وطيّبات الرّزق بهم اراد ان يأمر نبيّه (ص) ببيان المحرّمات بالذّات والموجبات لحرمة المباحات بالعرض، ليتبيّن الطّيّب من غير الطّيّب فقال تعالى [قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ] فذكر تعالى بطريق الحصر خمسة اشياء راجعة الى ثلاثة هى اصول المحرّمات ، اعلم ، انّ الله خلق الانسان من نطفة ضعيفة غير حافظة لصورتها واودع فيها لطيفة سيّارة سالكة الى الله بقدم الصّدق على الطّريق المستوى والخطّ المستقيم عن الجماديّة الّتى هى انزل مراتب المواليد الى النّباتيّة ثمّ منها الى الحيوانيّة ، ثمّ الى البشريّة الّتى هى ملكوت بين الملكوتين السّفليّة الّتى هى دار الشّياطين والجنّة وسجن المتكبّرين والمعذّبين من الآدميّين، والعلويّة الّتى هى دار الملائكة ذوى الاجنحة ودار السّعداء واصحاب اليمين ، فاذا استحكم علمه بعلمه وشعوره بشعوره وتقوّى ارادته واختياره وتميّزه بين الخير والشّرّ الحقيقيّين، استعدّ لقبول التّكليف والدّعوة النّبويّة، فان ساعده التّوفيق وتداركه الدّعوة النّبويّة وقبل تلك الدّعوة وانقاد تحت حكم الدّاعى صار مسلماً ومشرفاً على التّوحيد الحقيقىّ والايمان وقبول الدّعوة الباطنة الولويّة ، ويسمّى حينئذ مؤمناً وموحّداً باعتبار اشرافه على الايمان والتّوحيد ، وان لم يتداركه الدّعوة العامّة او لم يقبلها او لم يعمل على مقتضاها حتّى ابطل استعداده القريب للدّعوة الخاصّة واختفى طريق القلب وامارته وطريق التّوحيد وعلاماته ، اولم يبطل استعداده القريب لقبول الدّعوة الخاصّة و بقى له استعداد قريب لذلك لكن لم يخرج تلك القوّة والاستعداد الى الفعل بعدُ وتوجّه تارةً الى ماقتضاه استعداده و طلب مايدلّه على طريق القلب و يخرجه من القوّة الى الفعل ، و تارة الى ما اقتضته نفسه و اهويتها من مشتهيات الحيوانيّة لم يكن حينئذ مؤمناً موحّداً لاحقيقةً ولامجازاً، بل كان كافراً اذا لم يبق له استعداد قريب، سواء اقرّ بدين و كتاب ونبىّ وسمّى مسلماً ومؤمناً ام لم يقرّ وسمّى كافراً، اوكان مشركاً اذابقى له استعداد سواء أشرك بالله فى الظّاهر صنماً وكوكباً وغيرهما ام لا ، وسواء اقرّ بدين و نبىّ ام لا ، وسواء بايع نبيّاً اووليّاً بالبيعة العامّة او الخاصّة ام لا ، وسواء اتّصل اواعتقد بائمّة الجور ومظاهر الشّياطين ام لا ، وبهذا المعنى فسّر الكفر والشّرك فى الآيات بالكفر بالولاية والشّرك بالولاية و هذان غير الكفر والشّرك الظّاهرين لجواز اتّصاف المسلم والمؤمن بهما ، والكافر بهذا المعنى مطيع للنّفس والشّيطان ، وافعاله ليست الّا من طاعتهما وهكذا اخلاقه ، وهى امّا متناهية فى القبح بحيث يعدّها الشّرع والعقل والعرف قبيحة ،كالزّنا واللّواط والسّبعيّة المفرطة والشّرّة المفرط ممّا يستقبحه كلّ احد ويستخفى فاعله حين الفعل من النّاس حتّى من امثاله وتسمّى بالفواحش ، وافعال الجوارح الّتى كانت كذلك هى الفواحش الظّاهرة ورذائل النّفس هى الفواحش الباطنة ، وقديسمّى بعض افعال الجوارح بالباطنة اذا صارت عادة بحيث لايستخفى فاعلها عن الخلق، كنكاح زوجة الاب الّذى كان فى الجاهليّة وكنكاح المحارم الّذى كان بين الهنود ، وكالتّجسّس والغيبة والتّهمة والتّنابز بالالقاب مع انّها اشدّ من نكاح المحارم الّتى شاعت بين المسلمين ، لانّ كونها فاحشة مختفٍ عن انظار امثال فاعلها ، وقد يفسّر الفاحشة الباطنة بالّتى

يستخفى فاعلها كالزّنا واللّواط والظّاهرة بالّتى لايستخفى كنكاح زوجة الاب عكس ما ذكر وله وجه ، اوغير متناهية فى القبح بحيث لايعدّها العقول الجزئيّة من امثاله قبيحةً ولايستخفى فاعلها من امثاله وهوالاثم كشرب الخمر والنّبيذ، اوبحيث يعدّها العقول الجزئيّة من امثاله خيراً ومدحاً لفاعله ويباهى فاعلها باعلانها كالحكومات والقضاوات الغير الشّرعيّة الّتى هى مثال القضاوات الشّرعيّة وسائر المناصب الشّيطانيّة الّتى يتمنّاها امثاله من الجهلة ، وبعبارة اخرى امّاتظهر افعاله واخلاقه بصورة افعال النّساء اوبصورة افعال الخنائى اوبصورة افعال الرّجال ، وبعبارة اخرى فاعلها فى الانظار الجزئيّة المخطئة امّا ذوانوثة اوذوخنوثة اوذو ذكورة ، والى هذه الثّلاثة اشير بالفواحش والاثم والبغى وحاصل الحصر، انّ الانسان امّاكافر اومشرك بالكفر والشّرك الحقيقيّين اومؤمن ، والكافر جميع مايصدر عنه محرّم عليه قولاً اوفعلاً اوخلقاً لانّها تابعة للكفر المحرّم وهى تنقسم الى ثلاثة اقسام و اكتفى عن ذكر الكفر بما ذكر لاستلزامها اياّه و شمولها المحرّمات المشرك و المؤمن من حيث الكفر، والمشرك له جهة كفر وجهة ايمان ، وآثاره من حيث الكفر ملحقة بآثار الكفر ومن حيث الايمان بالايمان، و المؤمن آثاره من حيث الايمان حلال له الّا نسبة القول الى الله من غير علم على التّفصيل الاتى ، و لمّاكان المراد بالبغى مطلق التّبسّط والحكومة والرّياسة ، قيّده تعالى بقوله بغير الحقّ من : بغى بغياً ، استطال ولاحاجة الى جعل القيد بيانيّاً خلافاً للظّاهر وقيد الاشراك بما لم ينزّل به سلطاناً ، اشارة الى انّ المراد بالشّرك بالله الشّرك بالولاية والشّرك بالولاية التّكوينيّة امّا بمرّمة المعاش اوتلذذ النّفس وهما انكانا من جهة امر الهىّ لم يكونا اشراكاً بالله ما لم ينزّل به سلطاناً ، والشّرك بالولاية التّكليفيّة انكان باشراك من امر الامام(ع) باتّباعه لم يكن اشراكاً بالله ما لم ينزّل به سلطاناً، وليس الشّرك بالله حالاً وشهوداً الّا الاشراك بالولايتين، فالتّقييد هناك ايضاً فى محلّه ولاحاجة الى التّكلّفات الّتى ارتكبوها، والموحّد الحقيقىّ اوالمشرف على التّوحيد امّا يكون قوله وفعله وخلقه و اعتقاده من حيث توحيده او لم تكن من حيث توحيده و ايمانه فماكان من حيث الايمان فهو حلال :

كفر گيرد ملّتى ملّت شود

و ما لم يكن من حيث الايمان فهو ملحق بافعال الكافر و اخلاقه لكنّ المؤمن قد يجرى على لسانه بقوّة محبّته ، اولوجدانه وشهوده ، اولاعتياده السّابق من سهولة الخطب فى القول ما لم يأخذه من عالم وقته ولم يتيقّنه من شهوده ووجدانه ، او تيقّنه لكن لم يكن موافقاً لحاله ، او لم يكن موافقاً لحال السّامع بحسب الوقت والمكان فنهى الله تعالى عن ذلك ، وان كان من حيث ايمانه فعلى هذا كان تقدير قوله تعالى: مالاتعلمون مالاتعلمون عينه اووقته اومستمعه اوموافقته لحاكم، ولمّاكانت ائمّة الجور متحقّقة بتلك المحرّمات وصارت تلك المحرّمات ذاتيّة لهم صحّ تفسيرها بائمّة الجور وفسّر فى بعض الاخبار بالسّلاطين من بنى اميّة و سائر ولاة الجور، ونقل عن الصّادق(ع)، انّ القرآن له ظهر وبطن فجميع ما حرّم الله فى القرآن هو الظّاهر والباطن من ذلك ائمّة الجور، وجميع ما احلّ الله فى الكتاب هو الظّاهر والباطن من ذلك ائمّة الحقّ . والسّرّ فى ذلك ما قلنا من انّ ائمّة الجور هم المتحقّقون المتجوهرون بجميع المحرّمات ، وائمّة الحقّ(ع) هم المتحقّقون المتجوهرون بجميع المحلّلات ، و عنه (ع) فى بيان ان تقولوا على الله مالاتعلمون : ايّاك وخصلتين فيهما هلك من هلك ؛ ايّاك ان تفتى النّاس برأيك وتدين بما لاتعلم ، وفى رواية ان تدين الله بالباطل وتفتى النّاس بما لاتعلم . و الغرض انّ الاعتقاد والفتيا اذا لم يكونا بوحى او تحديث ولابتقليد صاحب وحى و تحديث فهما قول على الله بمالايعلم ، فالويل ثمّ الويل لمن استبدّ برأيه فى دينه من غير اخذ من اهله ولمن افتى النّاس من غير

علم واخذ من صاحب وحي وتحديث حيث قرنه الله بالكافر والمشرك [وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ] كأنّه قال فكلّ من المؤمنين ومرتكبي الفواحش والاثم والبغي والمشرك والقائل على الله مالايعلم امّة قاصدة جهة من جهات الآخرة وليس لواحدة منهم البقاء فلا يتّكلوا على قلائل ايّامهم لانّ لكلّ امّة اجلاً [فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ] اى اذا قدّر و عيّن مجيء اخر وقتهم للموت او مدّة عمرهم لا يتأخّرون اقصر وقت ولا يتقدّمون لخروج ذلك عن اختيارهم ، اولايطلبون التّأخّر والتّقدّم لعدم علمهم بذلك الوقت ، اولعلمهم بانّه خارج عن اختيارهم او اذا قارن مجيء اجلهم لا يطلبون ذلك لدهشتهم و هو وعيد و تمهيد لقوله تعالى [يَا بَنِي آدَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي] التكوينيّة بالآيات التّدوينيّة [فَمَنِ اتَّقَى] مخالفة الآيات التّدوينيّة بترك العمل بها و مخالفة الآيات التّكوينيّة الآفاقيّة والانفسيّة بترك الاتّعاظ بها والاعراض عنها والآيات العظيمة الّذين هم الانبياء(ع) والاولياء(ع) بترك اتّباعهم وتكذيبهم والاستهزاء بهم [وَأَصْلَحَ] بالاتّصال بالآيات العظمى بالبيعة العامّة والخاصّة بالاتّعاظ بالآيات الصّغرى [فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ] قد مضى هذه الآية فى اوّل البقرة و فى سورة الانعام مفصّلاً [وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا] بترك امتثالها والاتّعاظ بها والاتّصال بها باحدى البيعتين [أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ] وقد اختلف القرينتان فى لفظ الموصول و دخول الفاء وعدمه والنّفى وعدمه و تكرار المبتدأ باسم الاشارة وعدمه ، والوجه فى ذلك الاشارة الى اتّحاد نفوس المتّقين والاختلاف و الفرقة فى المكذّبين والاشارة الى لزوم الخبر للصّلة فى الاولى دون الثّانية لعدم تخلّف وعده تعالى دون وعيده ، ولوجعل من شرطيّة كان ابلغ فى ذلك المعنى ولذلك أتى فى الاولى بمن المشتركة بين الشّرط والموصول واحضار المبتدأ بوصفه المذكور له تفظيعاً لحال المكذّبين وتحذيراً عن مثل حالهم مع قصد حصر صحابة النّار فيهم بخلاف الاولى ، فانّه لم يقصد فيها حصر لما سبق من جواز تخلّف الوعيد ودخول المكذّبين الجنان و رفع الخوف و الحزن عنهم ، ووجه الاختلاف بنفى ضدّ المستحقّ فى الاولى و اثبات المستحقّ فى الثّانية كون المقام مقام الوعيد والانذار ، فانّ ذكر المحرّمات توعيد لمرتكبيها لاوعد لتاركيها لانّ الفضل لمن امتثل الامر لا لمن ترك المنهيّ ولذا لم يكتف بقوله فمن اتّقى واضاف اليه اصلح فى جانب الوعد ، وكذا الاخبار بانقضاء الامد وفناء البسطة واتيان الرّسل بعد تلك الانذارات توعيد للمكذّبين ، ولكون المقام للانذار بسط فى جانب الوعيد دون الوعد والمناسب لمقام الوعيد نفى الخوف والحزن عن غير المستحقّ واثبات العقوبات للمستحقّ [فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِباً] اتى بفاء التّفريع والاستفهام الانكارىّ اشارة الى استنباطه ممّا سبق وتأكيداً لاظلميّة المفترى، فانّ مفهومه وان كان لنفى اظلميّة الغير من المفترى لكنّ المقصود اثبات اظلميّة المفضّل عليه والمراد بالمفترى ائمّة الجور و رؤساء الضّلالة الّذين لم يكونوا اهلاً للرّياسة و يدّعون الخلافة وهم اشدّ ظلماً ممّن كذّب بآياته فقط ، والقائل على الله مالايعلم أخفّ ظلماً منهما فانّه لاينافى تصديق الآيات كماسبق [أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ] لانّه قد سبق انّه المستحقّ لصحابة النّار و المراد بالمكذّب بالآيات تابع ائمّة الجور و المقصود من الآيات اعظمها وغايتها الّتى هى الولاية ومن المفترين والمكذّبين منافقوا الامّة الّذين قبلوا الدّعوة الظّاهرة

وبايعوا محمّداً (ص) بيعة اسلاميّة بقرينة قوله: [أُولٰئِكَ يَنالُهُمْ نَصيبُهُمْ مِنَ الْكِتٰابِ] لانّ المراد بالكتاب الكتاب المعهود المفسّر بكتاب النّبوّة ، ولمّا كان لقبول الدّعوة الظّاهرة والاحكام القالبيّة الاسلاميّة شرافة واثر فمن قبل وعمل ولم يكن له نصيبٌ من الآخرة يناله اثر ذلك العمل والحظّ الموعود فى الدّنيا حتّى يخرج من الدّنيا و ليس له حقّ على الله ، من كان يريد ثواب الدّنيا باسلامه و قبول احكامه يؤته منها و ماله فى الآخرة نصيب [حَتّىٰ إِذا جاءَتْهُمْ رُسُلُنا يَتَوَفَّوْنَهُمْ] بقبض ارواحهم حال من الفاعل او المفعول او كليهما او مستأنف جواب لسؤال مقدّر ، او هى جواب اذا وقوله و [قالُوا] حال او مستأنف ، او عطف على جاءتهم او يتوفّونهم يعنى قال الرّسل تقريعاً لهم [أَيْنَما كُنْتُمْ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللّٰهِ] بالاعراض عن خلفائه وبمظاهره الولويّة ودعوة غيرهم من مظاهر قهره واعوان اعدائه ممّن ادّعى الخلافة فى مقابل اوصياء انبيائه (ع) [قالُوا ضَلُّوا عَنّا] قالوا ذلك لانّهم كانوا اصحاب الخيال والكثرات و دعوتهم لائمّة الجور كانت من جهة الحدود والتّعيّنات و حين المحاسبة و ظهور الوحدة لايبقى حدّ و تعيّن و يرون انّهم كانوا ساترين فى تلك الدّعوة جهة الوحدة والولاية [وَشَهِدُوا عَلىٰ أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كانُوا كافِرِينَ] لوجهة القلب والولاية [قالَ] الله [ادْخُلُوا] بعد عودهم عن الوحدة الى مقرّ الكثرة حالكونكم [فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ] الّذين كانوا من سنخكم داعين لمن لم يؤذنوا فى دعوتهم [فِي النّارِ] ظرف الدّخول ، و يحتمل ان يكون فى امم ظرف الدّخول و فى النّار بدلاً منه بدل الاشتمال ، اوحالاً من سابقه [كُلَّما دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَها] امّا المتألّفون والمتحابّون منهم فلظهور انّ مجالسة بعضهم بعضاً ومؤانسته ومحادثته منعتهم من الايمان بخلفاء الله واتّباع اوليائه، وامّا الاجانب وغير المعروفين فلاستحقاقهم اللّعن مثلهم وهذا بعينه ديدن اهل الدّنيا فانّهم وقت الدعة والرّاحة احبّاء، ووقت الشّدّة والبلاء اعداء ، ويلعن بعضهم بعضاً خصوصاً النّسوان ومن كان على طباعهنّ من الرّجال، والجملة امّا حال من فاعل ادخلوا او من امم اومن فاعل خلت اوالجنّ والانس او من النّار والكلّ بتقدير العائد او معترضة ذمّاً للامم [حَتّىٰ إِذَا ادّٰارَكُوا فِيها جَمِيعاً] يعنى لحق التّابعون للمتبوعين فى الدّرك الاسفل [قالَتْ أُخْرىٰهُمْ] التّابعون اللاحقون [لِأُولىٰهُمْ] المتبوعين يعنى فى حقّهم [رَبَّنا هٰؤُلاءِ أَضَلُّونا فَآتِهِمْ عَذاباً ضِعْفاً مِنَ النّارِ] لضلالهم واضلالهم [قالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ] باعتبار قوّتى العلّامة والعمّالة او باعتبار تجسّم العمل فى النّفس و استتباعه لمثله فى الجحيم اوباعتبار الضّلالة و اهمال التميّز ، او باعتبار صفحتى كلّ من العلّامة و العمّالة [وَلٰكِنْ لا تَعْلَمُونَ] انّ لكلّ ضعفاً لخفائه وخفاء سببه عليكم [وَقالَتْ أُولىٰهُمْ لِأُخْرىٰهُمْ] مخاطبين لهم [فَما كانَ لَكُمْ عَلَيْنا مِنْ فَضْلٍ] لاستحقاقكم الضّعف جاؤا بالفاء تفريعاً لقولهم على قول الله لاثبات قولهم [فَذُوقُوا الْعَذابَ بِما كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ] امّا من قول الله تقريعاً و تهكّماً ، اومن قول الرّؤساء [إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآياتِنا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْها] قد مضى تفصيل فى مثلها [لا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوابُ السَّماءِ] سماء الارواح لانّ بابها القلب و فتحه بالولاية التّكليفيّة و قد كذّبوا بها [وَلا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِياطِ] تعليق على مالايكون، اوالمراد انّ انانيّاتهم مانعة من دخول الجنّة

فلا یدخلونها مادام جمل انانیّاتهم باقیة فاذا ذاب انانیّاتهم دخلوها [وَكَذٰلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ] امّا من قبیل وضع الظّاهر موضع المضمر ابداءً لوصفٍ آخر لهم مشعر بالذّم واظهاراً لاستحقاق العقاب من جهة اخری، او المراد بالمجرمین غیر المکذّبین وهکذا الحال فی قوله نجزی الظّالمین [لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ] حال او استیناف لبیان حالهم ، و الغواشی جمع الغاشی بمعنی المغمی ، او جمع الغاشیة بمعنی الغطاء اوالاغماء ، و فی لفظ مهادٍ وغواش بمعنی الاستارتهکّم بهم [وَكَذٰلِكَ نَجْزِي الظّٰالِمِينَ وَالَّذِينَ اٰمَنُوا وَعَمِلُوا الصّٰالِحٰاتِ] قد مضی مثله ، وانّ المراد بالایمان ان کان الاسلام الحاصل بالبیعة النّبویّة وقبول الدّعوة الظّاهرة فالمراد بعمل الصّالحات الایمان الخاصّ الحاصل بالبیعة الولویّة وقبول الدّعوة الباطنة ودخول الایمان فی القلب و توابعه من الاعمال القلبیّة المستتبعة للاعمال القالبیّة ، و ان کان المراد به الایمان الخاصّ فالمراد بعمل الصّالحات مستتبعات هذا الایمان ، و لمّا جاء بالصّالحات معرّفة بلام الاستغراق و اوهم الاتیان بجمیع الصّالحات و لیس فی وسع افراد البشر الاتیان بجمیع الصّالحات استدرکه بقوله [لٰا نُكَلِّفُ نَفْساً اِلّٰا وُسْعَهٰا] معترضاً بین المبتدء وخبره [أُولٰئِكَ أَصْحٰابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهٰا خٰالِدُونَ] تکرار المبتدء باسم الاشارة اوّلاً وبالضّمیر ثانیاً لتأکید الحکم و احضار المبتدء بوصفه المذکور و تفخیماً لشأنهم بالاشارة البعیدة وتثبیتاً لهم فی الاذهان بالتّکرار [وَنَزَعْنٰا] فی الدّنیا او فی الجنّة [مٰا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ] الغلّ بالکسر الحقد وتشبیه الغلّ بالثّوب واستعمال النّزع فیه استعارة تخییلیّة وترشیح للاستعارة، والمقصود انّه تعالی یطهّر صدور المؤمنین من موجبات الغلّ من الکدورات الدّنیویّة والصّفات الرّذیلة النّفسانیّة حتّی تصفو صدورهم من الحقد والحسد ، خصوصاً بالنّسبة الی اخوانهم المؤمنین وکذا من العجب والرّیاء والشّکّ والشّرک الخفیّ فلا یبقی فی صدورهم الّا الودّ الخالص والصّدق التّامّ [تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهٰارُ] الجملة حالیّة اومستأنفة جواب لسؤال مقدّر اوخبرٌ بعد خبر [وَ] بعد ماصارت صدورهم مصفّاة ممّا یوذیهم ومقامهم مأمناً عمّا لایلائمهم ومجالسوهم فارغین ممّا یسوؤهم [قٰالُوا] تبجّحاً وشکراً [اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِي هَدٰينٰا لِهٰذٰا] المقام اوهذا الفضل و المراد بالهدایة الایصال الی المطلوب او الی طریق المطلوب مع تهیّة اسباب سلوکه [وَمٰا كُنّٰا لِنَهْتَدِيَ لَوْلٰا أَنْ هَدٰينَا اللّٰهُ لَقَدْ جٰاءَتْ رُسُلُ رَبِّنٰا بِالْحَقِّ] قالوا ذلک لانّهم کانوا مؤمنین بالغیب غیر مشاهدین فلمّا شاهدوا ما آمنوا به فرحوا بما شاهدوا واظهروه لغایة السّرور [وَنُودُوا أَنْ تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهٰا بِمٰا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ] یعنی ماکنتم تعملون سبب من طرف القابل لا انّه سبب فاعلیّ . **اعلم** ، انّ الانسان بانسانیّته له قوّة الوصول الی الجنان وبفطرته له النّسبة الی العقل الکلّیّ ومظهره الّذی هو النّبیّ(ص) والولیّ(ع) وبتلک النّسبة یصحّ نسبة الابوّة والبنوّة بینهما تکویناً ویصحّ نسبة الاخوّة بین کلّ الاناسیّ تکویناً ، فاذا اتّصل هذه النّسبة بالنّسبة التّکلیفیّة بالبیعة العامّة النّبویّة اوالخاصّة الولویّة تقوی تلک النّسبة وظهرت بحیث یصیر الولد والداً والوالد ولداً ، وبتلک النّسبة وقدر ظهورها یرث الولد من والده بعضاً من ملکه اوجمیع ممالکه واذا لم یتّصل النّسبة التّکوینیّة بالنّسبة التّکلیفیّة لابالبیعة ولاحال الاحتضار انقطعت لامحالة ، واذا انقطعت نسبته عن الوالد الّذی هو العقل الکلّیّ ومظهره لم یرث منه شیئاً وورثه ماکان ینبغی ان یرثه هو اخوه المناسب له فی بعض الجهات

فصحّ ان يقال اورثتموها من الله اومن العقل اومن مظهر العقل، وصحّ ان يقال اورثتموها من اهل الجحيم كما يصحّ ان يقال: اهل الجحيم اورثوا منازل اهل الجنّة من الجحيم وقدمضى تحقيق الايراث وكيفيّته [وَنَادىٰ أَصْحٰابُ الْجَنَّةِ أَصْحٰابَ النّٰارِ] اظهاراً للنّعمة تبجّحاً وتقريعاً لاصحاب النّار [أَنْ قَدْ وَجَدْنٰا مٰا وَعَدَنٰا رَبُّنٰا حَقّاً فَهَلْ وَجَدْتُمْ مٰا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقّاً قٰالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ] من الله [بَيْنَهُمْ] والمؤذّن هو صاحب مرتبة الجمع و هو الّذى على الاعراف ولذا فسّر بأمير المؤمنين (ع) و قال : انا ذلك المؤذّن [أَنْ لَعْنَةُ اللّٰهِ عَلَى الظّٰالِمِينَ] ولمّا كان الظّلم الحقيقىّ هو سترو وجهة القلب الّتى هى الولاية التّكوينيّة، ثمّ الاباء عن الولاية التّكليفيّة الّتى بها يفتح باب القلب ويوضح طريقه الى الله، وبهذين الظّلمين ينسدّ طريق القوى المستعدّة للاتّصال الى صاحب الولاية وهى باتّصالها بصاحب الولاية تصير من عترة الرّسول تكويناً ، فسدّ طريقها ظلم عليها وظلم على العترة بوجهٍ و ظلم على صاحب الولاية بوجهٍ ، ثمّ جحود الولاية ثمّ الاستهزاء بصاحب الولاية ثمّ سدّ طريق العباد عن الولاية وذلك ايضاً ظلم على عترة محمّد(ص) بالوجوه السّابقة ، فسّر الظّلم فى الكتاب بالظّلم على آل محمّد(ص) ووصف الظّالمين بقوله [الَّذِينَ يَصُدُّونَ] اى يعرضون اويمنعون [عَنْ سَبِيلِ اللّٰهِ] تفسيراً للظّلم [وَيَبْغُونَهٰا عِوَجاً وَهُمْ بِالْآخِرَةِ كٰافِرُونَ] فانّ سبيل الله هو وجهة القلب تكويناً و ولاية الامام الّذى هو المتحقّق بتلك الوجهة تكليفاً ، والكفر بالآخرة هو الكفر بالولاية التّكوينيّة و التّكليفيّة او مسبّب عنه [وَبَيْنَهُمٰا] اى الفريقين اوالجنّة والنّار [حِجٰابٌ] والمراد بالحجاب البرزخ الاخروىّ الّذى هو واسطة بين الملكوتين ولابدّ لاهل كلٍّ من العبور عليه ، كما انّ المراد بالسّور فى قوله فضرب بينهم بسورٍ له باب باطنه فيه الرّحمة وظاهره من قبله العذاب هو هذا البرزخ ، وتحقيق كون الدّنيا برزخاً والبرزخ الاخروىّ واسطةً بين الملكوتين وكون الملكوت السّفلى ظلّاً ظلمانيّاً للدّنيا والملكوت العليا عكساً نورانيّاً لها ، وبعد الخلاص من عالم الطّبع لابدّ من عبور كلّ على البرزخ الاخروىّ الّذى هو بوجهٍ جهنّم ، كما انّ عالم الطّبع ايضاً بوجهٍ جهنّم ، والبرزخ الاخروىّ هو الحجاب الّذى ظاهره يلى الملكوت السّفلىّ من قبله عذاب الملكوت السّفلى وباطنه الّذى يلى الملكوت العليا فيه الرّحمة الّتى هى نعم الجنان الصّوريّة ثمّ نعم الجنان المجرّدة عن الصّورة و التّقدّر قد مضى اجمالاً وسيجيء فى سورة الحديد [وَعَلَى الْأَعْرٰافِ] اى اعراف الحجاب جمع العرف وهو ما ارتفع من الارض ومنه عرف الدّيك وعرف الفرس والمعنى على اعالى الحجاب [رِجٰالٌ] مخصوصون وهم الّذين ادركوا البقاء بعد الفناء ووصلوا الى مقام الجمع وردّوا من الحضور الى الخلق لتكميلهم وهم الانبياء(ع) والاولياء(ع)، فانّهم بعد ردّهم يقفون بملكوتهم على البرزخ لكن على جهاته الّتى فيها الرّحمة وهى اعاليه حتّى يمكنهم الاحاطة والاتّصال بالملك والملكوتين، لانّهم بشأنهم الجبروتىّ اجلّ شأناً من ان يراقبوا الكثرة لانّ العالى لاالتفات له الى الدّانى بالذّات وبشأنهم الملكىّ لاسعة لهم ولا احاطة حتّى يتيسّر لهم المراقبة و اعطاء كلّ ذى حقٍّ حقّه ، بل بشأنهم الملكوتى الّذى يتنزّلون به عن الملكوت العليا الى اعالى البرزخ فيراقبون اهل الملك والملكوت العليا والسّفلى ويعطون كلّاً حقّه ، ولمّا كان النّبوّات والولايات الجزئيّة اظلالاً من الولاية الكلّيّة وكان المتحقّق بالولاية الكلّيّة علياً واولاده الطّاهرين، صحّ تفسير الرّجال بهم وحصرهم فيهم ولمّا كان البرزخ مرتبةً من مراتبهم وشأناً من شؤنهم قال علىّ (ع) : نحن الاعراف و لمّا كان جهة البرزخ العليا

جهةٌ يعرف بها كلّ من عليها غيره من اهل الملك و الملكوتين وكانت سبيل معرفة الله لغير من عليها صحّ قولهم (ع): نحن على الاعراف ، نعرف انصارنا بسيماهم، ونحن الاعراف الّذين لايعرف الله عزّوجلّ الّا بسبيل معرفتنا ، ونحن الاعراف يوقفنا الله عزّوجلّ يوم القيامة على الصّراط فلا يدخل الجنّة الّا من عرفنا وعرفناه ، ولايدخل النّار الّا من انكرنا وانكرناه ، ولمّا كان المراد بالاعراف اعالي البرزخ صحّ تفسير اصحاب الاعراف بالّذين هم اصحاب البرزخ من الّذين استوت حسناتهم وسيّئاتهم ، فانّهم اصحاب البرزخ وكون صحابتهم للاعراف غير كون صحابة الّذين على الاعراف فانّهم مالكون للاعراف بوجهٍ ومتحقّقون بها بوجه ، بخلاف الّذين استوت حسناتهم وسيّئاتهم فانّهم (ع) واقفون في البرزخ وتحت الاعراف للحساب [يَعْرِفُونَ كُلًّا] من اهل الجنّة والنّار [بِسِيمٰاهُمْ] بالعلامة الّتي هي على ظواهرهم من سرائرهم ، فالضّمير راجع الى كلّا لا الى الرّجال [وَنٰادَوْا] الضّمير راجع الى اصحاب الاعراف من شيعة عليّ (ع) الّذين استوت حسناتهم وسيّئاتهم كأنّهم ذكروا بالالتزام ذكر الاعراف [أَصْحٰابَ الْجَنَّةِ] الّذين تجاوزوا البرزخ و صحبوا الجنّة [أَنْ سَلٰامٌ عَلَيْكُمْ] تحيّة لهم ورجاء للوصول اليهم [لَمْ يَدْخُلُوهٰا وَهُمْ يَطْمَعُونَ] الدّخول [وَإِذٰا صُرِفَتْ أَبْصٰارُهُمْ تِلْقٰاءَ أَصْحٰابِ النّٰارِ] كان ابصارهم وانظارهم بالاصالة الى اصحاب الجنّة [قٰالُوا] تعوّذاً والتجاءً الى عليّ (ع) [رَبَّنٰا لاٰ تَجْعَلْنٰا مَعَ الْقَوْمِ الظّٰالِمِينَ وَنٰادىٰ أَصْحٰابُ الْأَعْرٰافِ] الّذين هم على الاعراف [رِجٰالًا] من اهل النّار [يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمٰاهُمْ قٰالُوا مٰا أَغْنىٰ عَنْكُمْ] يعني ما اغنى الله عن عذابكم هذا بحسب مفهومه اللّغويّ والمقصود ما دفع عنكم العذاب [جَمْعُكُمْ وَمٰا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ] ما موصولة او مصدريّة [أَهٰؤُلاٰءِ] اشارة الى اصحابهم الّذين معهم في الاعراف الّذين يطمعون دخول الجنّة ولم يدخلوها بعد لاختلاطهم السّيّئات بالحسنات [أَلَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ] في الدّنيا [لاٰ يَنٰالُهُمُ اللّٰهُ بِرَحْمَةٍ] قالوها تقريعاً وشماتةً ثمّ صرفوا الخطاب عن اصحاب النّار الى اصحابهم الّذين معهم في الاعراف وقالوا لهم في حال شهود اصحاب النّار لازدياد تحسّرهم [اُدْخُلُوا الْجَنَّةَ لاٰ خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلاٰ أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ] و بما ذكرنا يمكن الجمع بين جميع ماورد في الاخبار في بيان الاعراف واصحاب الاعراف وكيفيّة وقوفهم على الاعراف مع كثرتها واختلافها [وَنٰادىٰ أَصْحٰابُ النّٰارِ أَصْحٰابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنٰا مِنَ الْمٰاءِ] لانّ الحجاب الّذي بينهما مانع من الوصول لا من الرّؤية اذا شاء الله [أَوْ مِمّٰا رَزَقَكُمُ اللّٰهُ قٰالُوا إِنَّ اللّٰهَ حَرَّمَهُمٰا عَلَى الْكٰافِرِينَ] السّاترين وجهة القلب الّتي هي الطّريق الى الله [أَلَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ] الّذي أخذوها من صاحب الدّين اى الاسلام الّذي اخذوها من النّبيّ (ص) بالبيعة و الميثاق او صورة الاسلام الّتي انتحلوها من دون اخذها من صاحبها والوقوف على شرائعها [لَهْواً وَلَعِباً] غير مغيٍّ بغاية او مغيّ بغاية خياليّة نفسانيّة راجعة الى دنياهم لانّهم سدّوا الطّريق الى الله وابطلوا استعداد سيرهم بواسطة الاسلام الى الطّريق فلا غاية لاسلامهم اولنحلتهم الاسلام سوى ماتصوّروه من الغاياب الرّاجعة الى الدّنيا ولذا قال تعالى [وَغَرَّتْهُمُ الْحَيٰوةُ الدُّنْيٰا] تعليلاً لاخذ دينهم لهواً ولعباً [فَالْيَوْمَ نَنْسىٰهُمْ] يعني لانلتفت اليهم وهذا على طريقة مخاطباتهم حيث يقولون نسينا فلان يعني لايلتفت

الينا ولايذكرنا بعطيّة [كَمٰا نَسُوا لِقٰاءَ يَوْمِهِمْ هٰذٰا وَمٰا كٰانُوا بِاٰيٰاتِنٰا يَجْحَدُونَ] وكما كانوا [وَلَقَدْ جِئْنٰاهُمْ بِكِتٰابٍ] اى كتاب النّبوّة [فَصَّلْنٰاهُ عَلىٰ عِلْمٍ] متعلّق بجئنا او بفصّلناه او متنازع فيه لهما على اخذ مثل معنى الايراد فى المجيء والتّفضيل اى اوردناه على علمهم بحقّيّة الكتاب او الرّسول (ص)، او هو حال عن فاعل جئنا او فصّلنا او عن مفعول جئناهم او عن كتاب [هُدىً وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ] بالايمان العامّ لتوجّهم الى وجهة القلب و تهيّؤهم لقبول الولاية التّكليفيّة او بالايمان الخاصّ لكونهم على الطّريق وانارة كتاب النّبوّة الّذى كان الكتاب التّدوينىّ صورته طريقهم فيسرعون فى السّير او المراد بكتاب فصّلناه مكتوب مفروض عظيم و هو الولاية الّتى هى غاية النّبوّة، لانّ جميع النّبوّات والكتب التّدوينيّة لتنبيه الخلق عليها واعدادهم لقبولها ولذلك جاء به مفرداً منكّراً مشيراً الى عظمته [هَلْ يَنْظُرُونَ] ماينتظرون [إِلّٰا تَأْوِيلَهُ] مايؤل الكتاب اليه اوتأويلنا وارجاعنا ذلك الكتاب الى حقيقته الّتى هى مقام الولاية الّتى هى روحه واصله ومرجعه [يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ] ضمير المفعول راجع الى دينهم او الى لقاء يومهم هذا او الى كتاب فصّلناه او الى تأويله ومآل الكلّ واحد والمعنى يقول الّذين نسوا حقيقة الدّين او الكتاب يعنى تركوها مع الاستشعار بها، فانّ النّسيان قد يستعمل فى التّرك، اوغفلوا عنها بعدالاستشعار والتّذكّر بها اولم يستشعروا بها ولم يتذكّروا بهافانّها كانت معلومة مشهودة وبعد تنزّل الانسان الى هذا البنيان صارت منسيّة وجميع الشّرائع والعبادات والرّياضات لان يتذكّروا مانسوه من حقيقة الدّين واتّخذوا صورته للاغراض الدّنيويّة [مِنْ قَبْلُ] من قبل اتيان التّأويل تحسّراً واقراراً بحقّيّته [قَدْ جٰاءَتْ رُسُلُ رَبِّنٰا بِالْحَقِّ] و بالولاية الّتى كانت حقّاً او بالرّسالة الحقّة و قد اعرضنا عنه ظلماً على انفسنا [فَهَلْ لَنٰا مِنْ شُفَعٰاءَ] اليوم [فَيَشْفَعُوا لَنٰا] عند ربّنا فى الولاية الّذى هو ولىّ امرنا اوعند ربّ الارباب [أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنّٰا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ] بصرف دينهم الّذى هو اعظم بضاعة لهم فى الاغراض الفانية [وَضَلَّ عَنْهُمْ مٰا كٰانُوا يَفْتَرُونَ] اشراكه بالله وشفاعته عندالله من الاصنام والكواكب ورؤساء الضّلالة، والمنظور هو العجل وسامريّه ووجه ضلال مفترياتهم انّهم كانوا ينظرون اليها من حيث حدودها وتعيّناتها، لانّهم كانوا جعلوها مسمّيات ويفنى كلّ شيء حينئذٍ من حيث الحدود من حيث كونه مسمّى لفناء التعيّنات والحدود حين ظهور الولاية الّتى هى الوحدة الحقّة الظّليّة كما سبق [إِنَّ رَبَّكُمُ اللّٰهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمٰاوٰاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيّٰامٍ] اعلم، انّ فعل الله تعالى لايتقيّد بالزّمان وقد قالوا: انّ الافعال المنسوبة الى الله منسلخة عن الزّمان فانّ المحيط كما لايحاط ذاته بالزّمان لايحاط فعله بالزّمان، و انّ ايّام الله محيطة بالايّام الزّمانيّة و مقادير ايّام الله متفاوتة بحسب تفاوت مراتب فعله فقد تتقدّر بالف سنة وقد تتقدّر بخمسين الف سنة، وانّ السّماوات فى عرف اهل الله عبارة عن عوالم الارواح المجرّدة عن المادّة و عن التّقدّر، و الارض عبارة عن عوالم الاشباح مادّيّة كانت او مجرّدة عن المادّة كعالمى المثال ومنها سماوات عالم الطّبع لتقدّرها وتعلّقها بالمادّة، وانّ مراتب الممكنات الّتى هى مخلوقات الله وفيها تتحقّق السّماوات والارض بوجه ستّ وبوجه ثلاث صائرة بحسب النّزول والصّعود ستّاً وهى مرتبة المقرّبين المهيمين الّذين هم قيام لاينظرون، ومرتبة الصّافّات صفّاً ويعبّر عن الصّنفين بالعقول الطّوليّة والعقول العرضيّة المسمّاة

بارباب الانواع فى لسان حكماء الفرس، ومرتبة المدبّرات امراً ومرتبة الرّكّع والسّجّد ، ومرتبة المتقدّرات المجرّدة عن المادّة، ومرتبة المادّيّات وخلقة السّماوات والارض وتماميّتها فى تلك المراتب السّتّ، واذا اريد بالسّماوات والارض سماوات عالم الطّبع وارضه فخلقتها بوجودها الطّبيعيّ وان كانت فى عالم الطّبع لكنّها بوجودها العلميّ موجودة فى المراتب العالية عليه وهذه هى الايّام السّتّة الرّبوبيّة الّتى خلقت السّماوات والارض فيها ، وتلك المراتب مع المشيّة الّتى هى عرش الرّحمن بوجه وكرسيّه بوجه تصير سبعاً نزولاً ، وباعتبار صعودها تصير مثانى وهذه هى السّبع المثانى الّتى اعطاها الله محمّداً (ص) ، ولمّا كان المتحقّق بتلك المراتب نزولاً وصعوداً منحصراً فى الائمّة (ع)، لانّهم المتحقّقون بها على الاطلاق وغيرهم متحقّقون بها بتحقّقهم قالوا : نحن السّبع المثانى الّتى اعطاها محمّداً (ص) بطريق الحصر، ثمّ لمّا كان عرش الرّحمن الّذى هو المشيّة الّتى هى الحقّ المخلوق به اضافته الاشراقيّة المأخوذة لابشرط وكان بهذا الاعتبار متّحداً مع جميع الاشياء ، بل كان حقيقة كلّ ذى حقيقة وكان باعتبار كونه اضافة ومأخوذاً لا بشرط لا تحقّق له الّا بتحقّق جميع ما ينضاف اليه ولايتمّ الّا بما ينضاف اليه ، قال بعد ذكر خلق السّماوات والارض الّتى هى جملة الاشياء [ثُمَّ اسْتَوٰى عَلَى الْعَرْشِ] معطوفاً بكلمة التّراخى ، لانّ الاستواء فى العرف هو الجلوس على العرش ولايتمّ هذا المعنى الّا بتماميّة العرش وليس تماميّة العرش الّا بتماميّة السّماوات والارض ، ولذا فسّروا الاستواء لنا باستواء نسبته الى الجليل والدّقيق، ولمّا كانت المشيّة اضافته الحقيقيّة الى الاشياء كانت ذات جهتين جهة الى المضاف وجهة الى المضاف اليه ، وباعتبار جهتها الى المضاف تسمّى عرشاً ولذا يطلق عليها هذا الاسم حين تنسب الى الله ، وباعتبار جهتها الى المضاف اليه تسمّى كرسيّاً ولذا يطلق عليها هذا الاسم حين تنسب الى الاشياء وسع كرسيّه السّماوات والارض، و ورد ان جميع الاشياء فى الكرسيّ و الكرسيّ فى العرش ، ووجه كون الكرسيّ فى العرش انّ الجهة المنسوبة الى المضاف محيطة بالجهة المنسوبة الى المضاف اليه ، وقد يسمّى عقل الكلّ بالعرش ونفس الكلّ بالكرسيّ لكونهما مظهرى الجهتين ، و قد يسمّى الفلك المحيط عرشاً و الفلك المكوكب كرسيّاً لكونهما مظهرى هذين المظهرين [يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهٰارَ] يغطّى بليل الزّمان نهار الزّمان ، وبليل عالم الطّبع نهار عالم الارواح، وبليل الملكوت السّفلىّ نهار الملكوت العليا ، وبليل طبع الانسان نهار روحه ، و بليل جهله نهار علمه ، و بليل شهواته وسخطاته نهار رغباته ومرضاته ، وبليل رذائله نهار خصائله ، وبليل اسقامه نهار صحّته، وبليل ضعفه نهار قوّته و هكذا [يَطْلُبُهُ] يتعقّبه كالطّالب له [حَثِيثاً] و فى استعمال الطّلب والحثّ هناك دليل على التّعميم وكان المناسب ان يقول : ويكشف النّهار اللّيل اويغشى النّهار اللّيل، ولكنّه تعالى تركه اشارة الى اصالة النّهار وعرضيّة اللّيل ولو قال ذلك لأوهم اصالتها وانّ تقابلهما تقابل الوجوديّين [وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرٰاتٍ بِأَمْرِهِ] قرئ بنصب الشّمس و القمر و النّجوم و مسخّرات ، وقرئ برفعها فهى معطوفة على السّماوات على قراءة النّصب فيها ، اوعلى خلق بتقدير جعل ، اوعلى يغشى بتقدير يجعل وعلى قراءة الرّفع فيها فهى مبتدء وخبر [أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ] فذلكة لماسبق ولذا أتى باداة التّنبيه فانّه لمّا ذكر انّه خالق سماوات الارواح واراضى الاشباح وانّه المستوى القاهر على العرش الّذى هو جملة عالمى الامر والخلق ، ثمّ ذكر تدبيره للعوالم باغشاء اللّيل النّهار على وفق حكمته البالغة ، فانّه بهذا الاغشاء يتمّ تربية المواليد ولاسيّما غايتها الّتى هى الانسان ، فانّ الانسان بقالبه وقلبه تستكمل بتضادّ اللّيل والنّهار وتعاقبهما بجميع معانيهما وتسخير الشّمس

والقمر والنّجوم الّذى به يتمّ نظام العالم وينتظم معاش بنى آدم، استفيد منه مبدئيّته لعالمى الخلق والامر ومالكيّته لهما فنبّه على المستفاد واتى باللّام الدّالّة على المبدئيّة والمالكيّة والمنتهائيّة ، مشيراً الى الاختصاص المؤكّد بتقديم الظّرف ثمّ مدح نفسه بكثرة الخيرات مؤكّداً بربوبيّة العالم بقوله [تَبٰارَكَ اللّٰهُ رَبُّ الْعٰالَمِينَ] ثمّ فرّع عليه الامر بالدّعاء والتّضرّع ، فانّ من لاشأن له سوى المخلوقيّة والمربوبيّة لاينبغى له الخروج عن التّعلّق والدّعاء والتّضرّع عند ربّه الّذى هو مالك الكلّ وصاحب الخيرات الكثيرة بقوله [اُدْعُوا رَبَّكُمْ] كأنّه قال اذا كنتم كذلك فادعوا ربّكم ، والدّعاء يستعمل فى طلب ذات المدعوّ وفى طلب امرٍ آخر منه كأنّ المدعوّ فى الحقيقة هو ذلك الامر، والمدعوّ مطلوب من باب المقدّمة وكلّما اطلق الدّعاء كان المطلوب ذات المدعوّ لا امراً غيره الّا اذا قامت قرينة على انّ المطلوب غيره ، والمطلوب هناك ذات المدعوّ كأنّه قال انّه حاضر عليكم فى تدبير امركم وانتم غائبون عنه فادعوه الى بيوت قلوبكم حتّى تحضروا عنده بخروجكم عن غيبتكم ؛ وهو مشعر بما قالت الصّوفيّة من الفكر والحضور [تَضَرُّعاً وَخُفْيَةً] مصدران لادعوا من غير مادّته فانّ التّضرّع و الخفية عبارة عن نوعى الدّعاء ما يظهر على اللّسان و ما لا يظهر، فانّ التّضرّع ملازم للظّهور على اللّسان اومايجهر به ومالايجهر به فانّ التّضرّع قلّما يخلو عن جهرٍ اوبتقدير المصدر اى دعاء تضرّع وخفية ، اوحالان بكون المصدر بمعنى المشتقّ اوبتقدير مضافٍ اى ذوى تضرّع ، ولااستبعاد فى ان يقال : المراد بالتّضرّع هو الدّعاء مع الشّعور به سواء كان بلسان القالب اوبلسان القلب ، وبالخفية هو الدّعاء بلسان الحال والاستعداد من غير استشعارٍ به فانّ الخفية الحقيقيّة هى الّتى لايستشعر الدّاعى بها ، وتعلّق الامر والتّكليف بها باعتبار مقدّماتها الّتى هى بشعوره واختياره ، اويقال : المراد بالتّضرّع هو الدّعاء بلسان القالب وبالخفية هو الدّعاء بلسان القلب شاعراً بهما؛ وهما اللّذان يسمّيان فى عرف الصّوفيّة بالذّكر الجلىّ والذّكر الخفىّ [إِنَّهُ لٰا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ] المتكبّرين المستنكفين عن الدّعاء المتجاوزين مرتبتهم وشأنهم ، لانّه من لا يدعو الله من العباد فقد تجاوز عن شأن عبوديّته ، او المراد بالمعتدين المتجاوزون فى الدّعاء حدّ الدعاء و شأن الدّاعى من التّضرّع و الانكسار اوحدّ الوسط بالاجهار بالصّوت فى الدّعاء ، اوحدّ الوسط بين التّرك والاصرار فانّه ورد : انّه مازال المظلوم يدعو على الظّالم حتّى يصير ظالماً [وَلٰا تُفْسِدُوا فِى الْأَرْضِ] اعلم، انّ الانسان مالم يبلغ حدّ الرّشد والتّكليف شأنه شأن البهائم فى طلب المشتهيات بأىّ نحوٍ اتّفق و دفع المولمات كذلك وليس له شأن الايتمار و الانقياد الّا لمن يخاف منه على بدنه ، وليس له شأن الاصلاح فى ارض العالم الصّغير ولافى ارض العالم الكبير، فاذا بلغ وحصل له العقل حصل له شأنيّة الايتمار والاصلاح فى ارضى العالمين فى الجملة ، فان ساعده التّوفيق ودعاه الدعاة الالهيّون دعوة عامّة ظاهرة و قبل منهم وانقاد لهم بالبيعة العامّة النّبويّة وصار مسلماً كمل له شأنيّة الاصلاح وحصل له الانقياد فى الجملة ، فان زاد توفيقه ودعاه الدّعاة الالهيّون دعوة خاصّة باطنة وقبل منهم وبايع معهم البيعة الخاصّة الولويّة وتمّ له الانقياد ، فامّا ان يلتحق بملكوت الدّاعى ويحصل له حالة الحضور معه وهو المصلح الحقيقىّ فى العالمين ، وامّا ان يطلب الالتحاق وشأنه دعاء ربّه والتّضرّع والالتجاء اليه فى غيبته حتّى يلتحق به وهو المصلح فى الجملة ، وان خذله الله بعد حصول العقل وشأنيّة الاصلاح ولم يطلب الاسلام، اوطلب ودخل فيه ولم يطلب الايمان ، اوطلب ودخل فيه ولم يكن يدعو ربّه ولم يطلب الالتحاق بملكوته صار مفسداً فى العالمين فكأنّه قال : ادعوا ربّكم ولاتتركوا الدّعاء فتفسدوا فى الارض [بَعْدَ إِصْلٰاحِهٰا] بالقوّة

لحصول العقل اوبالفعل بالاسلام والايمان وهكذا في بواقي الاقسام فقوله: ولاتفسدوا في الارض ، من قبيل اقامة المسبّب مقام السّبب كأنّه قال : لاتتركوا الدّعاء و الالتجاء و التّضرّع عليه فتفسدوا في الارضين بعد شأنيّة اصلاحهما اوبعدفعليّة اصلاحهما ولكون هذا الدّعاء هوغاية كلّ عبادة وطاعة كرّره بذكرجهة اخرى من جهات الدّعاء فقال [وَادْعُوهُ خَوْفاً وَطَمَعاً] مصدر ان اوحالان كما سبق والمعنى خوفاً من فراقه وعدم اجابته و طمعاً في لقائه واجابته ، وسائر الوجوه المحتملة راجعة الى هذا ، اوضعيفة بحسب مقام دعوة الرّبّ؛ كخوف سخطه وخوف عقابه وخوف ردّه وخوف عدله وخوف ميزانه وخوف خذلانه والخوف من جلاله فانّ من استشعر في حضور الملوك جلالهم استشعر خوفاً وهيبة في نفسه من غير استشعار بسبب لتلك الهيبة ، واستعمال الطّمع للاشارة الى انّ الانسان لابدّ وان يكون مترقّباً للقاء الرّبّ ورحمته من غير نظر الى حصول اسبابه من قبله اومن قبل الله فانّ فعل الله لايناط بالاسباب ، لانّ الطّمع هوترقّب حصول الشّيء من غير تهيّة سبب لحصوله بخلاف الرّجاء و لمّا اوهم ذكر الطّمع قرينة للخوف ترجيح جانب الرّجاء وعدم الاناطة بسبب و شرط و استواء نسبة الرّحمة الى الكلّ بحسب القابل كماهو كذلك بحسب الفاعل، رفع ذلك بقوله [إِنَّ رَحْمَةَ اللهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ] تعليلاً للخوف والطّمع ، يعنى انّ رحمته من جهة الفاعل وان كانت مستوية النّسبة الى الكلّ غيرموقوفة على سبب و شرط لكنّها من جهة القابل متفاوتة النّسبة فليخف غير المحسن ولا يتّكل على عموم رحمته و استواء نسبتها وليطمع المحسن وليجدّ في طلب لقائه ، وتذكيرقريب بتأويل الرّحمة بالرّحم اوبتشبيهه بالفعيل بمعنى المفعول [وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْراً] قرء بالنّون و بالباء جمعاً للنّشور والبشير وبالضمّتين على الاصل وباسكان العين تخفيفاً وبالفتح كالنّصر مصدراً وهوعطف على قوله، انّ ربّكم الله الّذى خلق السّماوات، وهولبيان الاعادة بطريق التّمثيل كما انّ الاوّل لبيان الابداء والتّدبير [بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ] يعنى المطر، فانّه يسمّى بالرّحمة في العرف ولايخفى تعميم الرّياح والرّحمة وان كان التّمثيل بحسب ظاهر التّنزيل [حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَاباً ثِقَالاً] بالاجزاء الرّشيّة المائيّة ، جمع الوصف وافراد الضّمير في [سُقْنَاهُ] باعتبار معنى الجنس ولفظه [لِبَلَدٍ] اليه اولسقيه اولاحيائه [مَيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا] في ذلك البلد الميّت [بِهِ الْمَاءَ] اى بالسّحاب اوالضّمير راجع الى البلد و الباء بمعنى في [فَأَخْرَجْنَا بِهِ] بالماء اوبالسّحاب اوبالبلد [مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ] اى كما ترون من نشر الرّياح وحمل السّحاب وسوقه الى البلد الميّت واحيائه باخراج الثّمرات [نُخْرِجُ الْمَوْتَى] عن الحيوة الحيوانيّة اوعن الحيوة الحقيقيّة الانسانيّة بنشر الرّياح المختلفة وسوق سحاب الرّحمة باعداد الرّياح المختلفه من الاستحالات والانقلابات والانتقالات والبلايا والامتحانات ، وتهييج الشّهوات وايذاء السّخطات ووسوسة الشّياطين الجنّيّة والانسيّة ، واذاهم الّذى عاهدناهم عليه بقولنا ولتسمعنّ من الّذين اوتوا الكتاب من قبلكم ومن الّذين اشركوا اذًى كثيراً حتّى ينزعجوا عن قبر الطّبع الجمادىّ اوالنّفس النّباتيّة اوالنّفس الحيوانيّة ويحيوا بالحيوة الانسانيّة و يخرج في ارض وجودهم كلّ الثّمرات الآلهيّة [لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ] غاية للممثّل به اوللمثل او للتّمثيل [وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ] كأنّه استدراك لما توهّم من تساوى البلاد في خروج النّبات منها وتساوى الاموات في كيفيّة الاحياء وحالة الحيوة ، كأنّه قال ولكنّ البلد الطّيّب يخرج نباته باذن ربّه يعنى يخرج جميع مايمكن ان ينبت فيه ، فانّه المستفاد منه بحسب مخاطبات العرف خصوصاً مع

اضافة النّبات المشعرة بالعموم و مع المقابلة مع قرينه وهوقوله [وَالَّذِي خَبُثَ] بالنّسبة الى الاراضى الصّالحة بسبب كونه سبخة [لَا يَخْرُجُ] نباته [إِلَّا نَكِداً] قليل المقدار عديم النّفع [كَذٰلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ] نعمنا الظّاهرة والباطنة وان كان بصورة الرّياح المختلفة والابتلاءات والنّقمات، فانّ تصريف امثال هذه الآيات لمن عرف انّها نعم لا لمن رآها نقماً ولايشكر بل يكفر بسببها، فانّ كفره وكفرانه ليس غاية لفعلنا بل هومترتّب عليه بالعرض ، ونقل انّه قال عمروبن العاص للحسين بن علىّ عليهما السّلام: مابال لحاكم اوفر من لحانا؟ فقرأ هذه الآية ، وامثال هذا التّفسير للآيات تدلّ على جواز تعميمها فى كلّ مايمكن ان تصدق عليه حقيقةً اومجازاً [لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَىٰ قَوْمِهِ] بعد ذكر الابداء والتّربية والتّدبير والاعادة بالتّمثيل ذكر تعالى ارسال الرّسل ليكونوا على ذكر منه فلايستغربوا رسالة البشر، وذكر قصصهم مع اقوامهم وما قالوا لهم وما فعل بالمقرّ والمنكر منهم تسلية للمؤمنين وتهديداً للمنكرين المكذّبين [فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلٰهٍ غَيْرُهُ] امرهم بالتّوحيد وعبادة ذلك الواحد كما هو دبدن جميع الانبياء [إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ] ان تتركوا عبادته و توحيده [قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ] اى المترفون والرّؤساء، فانّ الاتباع لاشأن لهم الّا القبول والتّقليد وعدم اتّباعهم للانبياء لانّ نظرهم الى الدّنيا وكان المترفون فى نظرهم اجلّ شأناً من الانبياء [إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ] لما رأوه مخالفاً لسيرتهم المحبوبة الدّنيويّة الّتى يحسبونها احسن ما يكون فانّ كلّ حزب بمالديهم فرحون، ولذا اكّدوه بتأكيدات [قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ] داراهم بنفى معتقدهم ولذا لم يؤكّده مثل تأكيداتهم [وَلٰكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ] اتى باللّام اشارة الى خلوص النّصح عن شوب الخديعة [وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ] يعنى من صفاته وتدبيره اوبافاضة الله [مَا لَا تَعْلَمُونَ] بلّغ اوّلاً رسالته مع تعقيبه بالانذار و لمّا كذّبوه بابداء اعتقاد ضدّ الرّسالة و هو الضّلالة نفى معتقدهم واثبت دعواه مع لازمها الّذى هوالتّبليغ، ثمّ عقّبها بما لاينبغى ردّه من النّصح والعلم بما ليس لهم علم به مداراةً معهم و اظهاراً للرّأفة بهم [أَوَعَجِبْتُمْ] اى اكذبتم وعجبتم يعنى لاينبغى التّعجّب منكم [أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ] اى ما به تذكّركم للآخرة [عَلَىٰ رَجُلٍ مِنْكُمْ] ابدل الرّسالة الّتى فيها الشّقاق والعناد بلازمها الّذى فيه صلاحهم وهوتذكّرهم بعواقب امورهم واضافه الى الرّبّ المضاف اليهم حتّى يكون اقرب الى النّصح والقبول ، ثمّ عقّبه بغايات ثلاث مترتّبة منسوبة الى الرّسول والمرسل اليهم والمرسل و فى الكلّ صلاحهم و نفعهم لابداء انّ دعواه الرّسالة ليست الّا محض نفعهم حتّى يكون ابعد من الشّغب ، فقال [لِيُنْذِرَكُمْ] عمّا انتم عليه ممّا ليس فيه الّا الشّرّ والسّوء [وَلِتَتَّقُوا] عمّا فيه فسادكم بالتّوجّه والرّغبة فيما فيه صلاحكم [وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ] من ربّكم وهوحسن العاقبة [فَكَذَّبُوهُ] مع انّه لم يبق لهم عذر فى تكذيبهم [فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ] من المؤمنين [فِي الْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْماً عَمِينَ] ولم يبق لهم بصيرة حتّى نترقّب استبصارهم ولانؤاخذهم [وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُوداً] المراد اخوة العشيرة والقبيلة لا اخوة الدّين [قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلٰهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ قَالَ

الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرِيكَ فِي سَفَاهَةٍ] تسفيه العقل فى الانظار اقبح من نسبة الضّلالة [وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ] كأنّه كان معروفاً بينهم بالامانة و لذا توسّل به [أَوَعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنْذِرَكُمْ وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً] ذكّرهم بنعم الله عليهم بعد تذكيرهم ضمناً بنقم الله على قوم نوح تخويفاً لهم من زوالها بأحسن وجه [فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ] تعميم بعد تخصيص تأكيداً [لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ] عن الصّادق(ع) انّه قال : اتدرى ما آلاء الله ؟ـ قيل : لا ، قال : هى اعظم نعم الله على خلقه وهى ولايتنا [قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ] جعلوا لغاية سفههم مقلّدات آبائهم علوماً قطعيّة ولذلك تحدّوا بما ذكر [قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ رِجْسٌ] اى عذاب اتى يقد والماضى تحقيقاً لتحقّقه ، او للاشارة الى انّ ماهم عليه من السّفاهة و الضّلالة والمجادلة مع رسول الله (ص) عذابٌ اليمٌ ، لكنّهم لايدركون ألمه لكون مداركهم خدرةً [وَغَضَبٌ] اخّر الغضب مع انّه بالتّقديم اولى لتقدّمه ذاتاً وشرفاً ، لانّه لايظهر الّا بالرّجس المسبّب عنه فالرّجس اسبق ظهوراً منه [أَتُجَادِلُونَنِي فِي أَسْمَاءٍ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ] اعلم، انّ الاسم ما يدلّ على شيء آخر بحيث لايكون حين الدّلالة على المسمّى منظوراً اليه ومقصوداً ومحكوماً عليه بشيء ، سواء كان ذلك الدّال لفظاً اونقشاً اومفهوماً ذهنيّاً اوذاتاً خارجيّاً مثل لفظ زيد ، فانّه اسم للذّات المعيّنة المخصوصة واذا اريد دلالته على تلك الذّات فى قولنا: جاء زيدٌ ، لم يكن ذلك اللّفظ منظوراً اليه ولامحكوماً عليه بهذا الاعتبار، بل النّظر والقصد الى تلك الذّات بحيث يكون اللّفظ مغفولاً عنه ، وبهذا الاعتبار هو اسم للذّات ولا يحكم عليه بشيء من الاحكام ، واذا اعتبر هذا اللّفظ من حيث اعتباره فى نفسه مع قطع النّظر عن اعتبار دلالته على المسمّى بل من حيث انّه مركّب عن حروف ثلاثة متحرّك الاوّل ساكن الاوسط يصير حينئذ محكوماً عليه ومنظوراً اليه ومسمّىً باسم اللّفظ والموضوع والاسم المقابل للفعل ، وهذان الاعتباران كما هما ثابتان للالفاظ الدّالّة والاسماء اللّفظيّة كذلك ثابتان لكلّ مايدلّ على غيره من الذّوات ، ثمّ اعلم ، انّ جميع الاشياء من الذّوات النّوريّة الملكيّة والظّلمانيّة الطّبيعيّة والشّيطانيّة آثار صنعه تعالى ودوالّ وحدته وعلمه وقدرته ومظاهر جوده ولطفه وقهره ، وهى بهذا الاعتبار اسماؤه ولاحكم لها ولا اسم ولا رسم و ليست مسمّيات وهى بهذا الاعتبار قضاؤه ، والرّضا بها واجب وعبادتها عبادة الله ومحبّتها محبّة الله لأنّها غير منظورات ولامقصودات بهذا الاعتبار، واذا جعلت منظوراً اليها ومحكوماً عليها ومسمّيات باسمائها الخاصّة كانت بهذا الاعتبار مقابلات له تعالى وثوانى ولم تكن دوالّ ذاته وعلمه وقدرته بل كانت حينئذ مدلولات ومسمّيات ومقضيّات ، والنّظر اليها وعبادتها والرّضا بها كفر وشرك والنّاظر ملوم ومذموم ، وبهذا الاعتبار ورد: الرّضا بالكفر كفر. ثمّ اعلم ، انّ الانسان ما لم يخرج من بيت نفسه ولم يهاجر الى رسول صدره ولم يتوجّه الى نبيّ قلبه باعانة وليّ امره لايمكن له النّظر الى الاشياء من حيث انّها دوالّ ذاته تعالى بل لايرى فى الوجود الّا الاشياء المتكثّرة المقابلة للوحدة مستقلّات مدلولات مسمّيات وان كانت بحسب الواقع ونفس

الامر متعلّقات صرفة غير مستقلّات لاحكم لها اصلاً، لكنّها فى نظر هذا المتوطّن فى بيت نفسه وبلد طبعه لاشأن لها الّا المباينة والاستقلال وعدم التّعلّق والدّلالة على شيء، لكنّه لمّا كان مأموراً بالخروج من هذا البيت وحجّ بيت الله القلب والطّواف به بل الاقامة عنده ثمّ الوصول الى ربّه والحضور لديه، ولا يمكنه الخروج الّا باعانة معاون خارجىّ و رفاقة رفيق بشرىّ وكلّما فرض معاوناً له ليس فى نظره الّا محكوماً عليه ومستقلاً و مسمّى غير دالّ على الله وغير اسم له، جعل الله تعالى له معاوناً يعينه على خروجه و امره باتّباعه ونصب له حجّة على جواز النّظر اليه و الاخذ منه والتّضرّع لديه وان كان فى نظره مسمّى ومحكوماً عليه ومستقلاً، فكونه مطاعاً ومتبوعاً ومعبوداً عبادة الطّاعة مع كونه ثانياً لله ومقابلاً ومسمّى ومحكوماً عليه فى نظره ممّا انزل الله به حجّة وسلطاناً وليس النّاظر اليه مذموماً وملوماً ولا كافراً ومشركاً، اذا علمت ذلك فمعنى الآية لاينبغى لكم المجادلة مع الرّسول فى تصحيح اسماء لا حكم لها و ليست مسمّيات و مستقلّات بل متعلّقات صرفة و روابط محضة جعلتموها انتم وآباؤكم مسمّيات بمقتضى وقوفكم فى رساتيق انفسكم، والحال انّها [مٰا نَزَّلَ اللّٰهُ بِهٰا] اى معها اوفيها او بسببها [مِنْ سُلْطٰانٍ] اى سلطنة او حجّة و برهان من هذه الحيثيّة اى كونها مسمّيات و منظوراً حتّى يرفع اللّوم عنكم ويتبدّل شرككم بالنّظر الى الحجّة بالتّوحيد بوجه ما [فَانْتَظِرُوا] امر الله فى حقّكم وحقّى [إِنِّى مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ فَأَنْجَيْنٰاهُ وَالَّذِينَ] آمنوا [مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنّٰا] التّقييد به تنبيه على انّه لايجوز لاحد النّظر الى عمله والاتّكال عليه، فانّ العمل ليس له الّا اعداد القابل للقبول واماّ فعل الفاعل فغير مسبّب عنه كما مرّ مراراً [وَ قَطَعْنٰا دٰابِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِـاٰيٰاتِنٰا] تكليفاً [وَمٰا كٰانُوا مُؤْمِنِينَ] تكويناً او كلاهما عامّان اوخاصّان بمعنىً واحد، والثّانى تأكيد للاوّل ومعنى قطع الدّابر الاستيصال وعدم بقاء عقب لهم، وورد انّ هوداً (ع) و صالحاً (ع) و شعيباً (ع) واسمعيل (ع) ونبيّنا (ص) كانوا يتكلّمون بالعربيّة [وَإِلىٰ ثَمُودَ أَخٰاهُمْ صٰالِحاً] ثمود اسم قبيلة مسمّاة باسم ابيهم ثمود من اولاد سام بن نوح (ع) وصالح (ع) كان من اولاده، اوثمود اسم قرية صغيرة على ساحل البحر لاتكمل اربعين بيتاً كما فى الخبر [قٰالَ يٰا قَوْمِ اعْبُدُوا اللّٰهَ مٰا لَكُمْ مِنْ إِلٰهٍ غَيْرُهُ قَدْ جٰاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ هٰذِهِ نٰاقَةُ اللّٰهِ لَكُمْ آيَةً] هذه ناقة الله مبتدء وخبر مستأنف لبيان البيّنة ولكم حال عن ناقة الله، اوعن آية، اوخبر بعد خبر، وآية حال مترادفة، اومتداخلة، اومنفردة، اوناقة الله بدل من هذه، اوعطف بيان و لكم خبر وآية حال من المستتر فيه [فَذَرُوهٰا تَأْكُلْ فِى أَرْضِ اللّٰهِ وَلٰا تَمَسُّوهٰا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذٰابٌ أَلِيمٌ وَاذْكُرُوا] تذكير للنّعم بعد التّهديد من النّقم [إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفٰاءَ مِنْ بَعْدِ عٰادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِى الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهٰا قُصُوراً وَتَنْحِتُونَ الْجِبٰالَ] التى هى خزنتها [بُيُوتاً فَاذْكُرُوا ءٰالاٰءَ اللّٰهِ] تعميم بعد تخصيص [وَلٰا تَعْثَوْا فِى الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ قٰالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا] ديناً او مالاً او حالاً اوجسماً [لِمَنْ ءٰامَنَ مِنْهُمْ] بدل من قوله تعالى للّذين بدل الكلّ ان كان المراد الاستضعاف فى الدّين والطّريقة، اوبدل البعض ان كان المراد مطلق الاستضعاف [أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صٰالِحاً مُرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ] استهزؤا بهم [قٰالُوا] فى جوابهم من غير مبالاة باستهزائهم زائداً على الجواب الّذى هو الاقرار برسالته بالانقياد لما ارسل به والطّاعة له [إِنّٰا بِمٰا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ قٰالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنّٰا

بِالَّذِي ءَامَنتُمْ بِهِ كَافِرُونَ فَعَقَرُوا النَّاقَةَ] بتحريك بعضهم ورضا بعض وعقر بعض [وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ] على لسان صالح وهو قوله فذروها تأكل في ارض الله اوعن مطلق امره على لسان نبيّه ولم يطيعوه في شيء منه ، اوعن امر ربّهم الّذي هو العقل وحكمه فانّه امر تكوينيّ [وَقَالُوا] تجرّياً على الرّبّ ورسوله [يَا صَالِحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ] الزّلزلة ولا ينافيها قوله تعالى فاخذتهم الصّيحة كما في سورتي هود والحجر لانّ الزّلزلة كانت مسبّبة عن الصّيحة [فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ] ملزقين بالارض و الجثوم اللّزوم بالمكان [فَتَوَلَّى عَنْهُمْ] بعد ما ابصرهم صرعى ، والاتيان بالمضارع في قوله ولكن لا تحبّون النّاصحين لتصوير المضيّ حالاً احضاراً له واشارة الى انّ هذا كان ديدنهم كأنّه لا ينفكّ عنهم حتّى بعد الموت ، اوالمعنى فتولّى عنهم بعد اتمام الحجّة عليهم والاتيان به مصدّراً بالفاء بعد ذكر اهلاكهم لانّه تفصيل لسبب الاهلاك ومن قبيل عطف التّفصيل على الاجمال [وَقَالَ] تحسّراً اوتبرّياً [يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِن لَّا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ] قصّة صالح وناقته وكيفيّة خروجها باقتراحهم عن الجبل ومتاركته مع قومه وكيفيّة عقر النّاقة واهلاكهم مذكورة في المفصّلات [وَلُوطاً] عطف على نوحاً ولوط (ع) كان ابن خالة ابراهيم (ع) وكانت سارة زوجة ابراهيم (ع) اخت لوط وخرج ابراهيم (ع) من بلاد نمرود الى الشّام ومعه لوط وسارة وخلّف لوطاً بادني الشّامات للدّعوة وذهب هو الى اعلى الشّامات [إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ] في الدّعوة والمعاشرة لافي النّسب والملّة [أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ] المعهودة وهي اتيان الرّجال والاعراض عن النّساء [مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَالَمِينَ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً] صرّح بما كنّى عنه اولاً تفضيحاً وتوبيخاً ولذلك اتى به مؤكّداً بتوكيدات توكيداً للتّوبيخ [مِن دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ] يعني لستم عادلين بل انتم قوم مسرفون ، فهو من قبيل العطف باعتبار المعنى [وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَن قَالُوا أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْ] يعني ما كان لهم جواب يصلح لمقابلة محاجّته ونصحه ولذا عدلوا عن المحاجّة اللّسانيّة الى المغالبة القالبيّة وعلّلوه بما هو دليل صحّة نصحه ، فقالوا [إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ] من الفواحش وامثال افعالنا [فَأَنجَيْنَاهُ] بعد اتمام الحجّة عليهم [وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ] فانّها كانت تسرّ الكفر و توالي اهل القرية [كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَراً] عجيباً و هو امطار الحجر [فَانظُرْ] يا محمّد (ص) اويامن يمكن منه النّظر [كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ] في الخبر انّ لوطاً (ع) لبث في قومه ثلاثين سنة وكان نازلاً فيهم ولم يكن منهم يدعوهم الى الله وينهاهم عن الفواحش ويحثّهم على الطّاعة ، فلم يجيبوه ولم يطيعوه وكانوا لا يتطهّرون من الجنابة بخلاء اشحّاء على الطّعام فاعقبهم البخل الدّاء الّذي لا دواء له في فروجهم ، وذلك انّهم كانوا على طريق السّيّارة الى الشّام ومصر وكان ينزل بهم الضّيفان فدعاهم البخل الى ان كانوا اذا نزل بهم الضّيف فضحوه ، وانّما فعلوا ذلك لينكل النّازلة عليهم من غير شهوة لهم الى ذلك فأوردهم البخل هذا الدّاء حتّى صاروا يطلبونه من الرّجال ويعطون عليه الجعل ، وكان لوط (ع) سخيّاً كريماً يقرى الضّيف اذا نزل بهم فنهوه عن ذلك ، فقالوا لا تقر ضيفاناً تنزل بك فانّك ان فعلت فضحنا ضيفك فكان لوط (ع) اذا نزل

به الضّيف كتم امره مخافة ان يفضحه قومه وذلك انّه لم يكن للوط (ع) عشيرة فيهم [وَإِلىٰ مَدْيَنَ أَخاٰهُمْ شُعَيْباً] نقل انّهم كانوا اولاد مدين بن ابراهيم (ع) وشعيبٌ كان منهم وسمّوا باسم جدّهم وسمّيت قريتهم به ايضاً وهى لا تكمل اربعين بيتاً [قٰالَ يٰاقَوْمِ اعْبُدُوا اللّٰهَ مٰا لَكُمْ مِنْ إِلٰهٍ غَيْرُهُ قَدْ جٰاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ] والبيّنة هى محاجّته الواضحة الّتى لا يمكنهم ردّها لانّها كانت ممّا يرتضيها كلّ ذى شعور خال عن اللّجاج ، فانّ معرفة الرّسول برسالته اولى من معرفته بالمعجزة او معجزة كانت له مثل معجزة صالح و لكن لم تذكر لنا [فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزٰانَ] يعنى بعد اتيان البيّنة لاعذر لكم فى عدم قبول قولى فتقبّلوه واوفوا الكيل والميزان والايفاء اداء تمام ما حقّه ان يؤدّى و المراد ايفاء ما يتقدّر بالكيل و الوزن نسب اليهما لاستلزام نقصان المكيل نقصان الكيل وكذا الموزون ومايوزن به كما نسب النّقص اليهما فى محلّ اخر ، ولا يخفى عليك تعميم الكيل والميزان للمحسوس منها و غيره من الانبياء و الاولياء و اخلاقهما و سننهما وآدابهما و من الكتب السّماويّة و الشّرائع الآلهيّة ، وهكذا التّعميم فى العالم الكبير والصّغير [وَلاٰ تَبْخَسُوا النّٰاسَ أَشْيٰاءَهُمْ] امّا تأكيد لايفاء الكيل والميزان على ان يكون المراد بالاشياء هى المكيلات والموزونات اويكون المراد بالمكيل والموزون هو مطلق الاشياء بناء على تعميم الكيل والميزان ، فانّه ما من شيء جسمانىّ اوغير جسمانىّ الّا يمكن فيه تحديد اوتعميم بعد تخصيص على ان يكون المراد بالمكيل و الموزون المتقدّرين بالآلة المخصوصة ، او تأسيس و تفصيل مع سابقه لكيفيّة المعاشرة على ان يكون المراد ببخس النّاس اشياءهم اخذ الزّيادة عن الحقّ منهم ، اوتخصيص بعد تعميم بناءً على تعميم الكيل والوزن حتّى يكون اعمّ من المعاملة مع النّاس و من المعاملة مع الله و يكون شاملاً لجميع الاشياء و تخصيص البخس بالنّاس اوبينهما عموم من وجه بناءً على تخصيص الكيل و الميزان بما يتقدّر بهما سواء كان المعاملة مع الله اومع النّاس وتعميم الاشياء وتخصيص البخس بالنّاس [وَلاٰ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ] تعميمٌ بعد تخصيص كسابقه اوتأسيس على ان يكون المراد بالافساد اهراق الدّماء والقاء العداوة بين العباد والاسر والنّهب والتّعدّى عليهم ومنع جميع الحقوق من اهلها واعطائها لغير اهلها ، اوعلى ان يكون المراد بالافساد هو منع العباد من طريق الآخرة وهو طريق الولاية فيكون قوله: ولا تقعدوا بكلّ صراط توعدون تفسيراً له ، والمراد بالارض اعمّ من ارض العالم الصّغير والعالم الكبير [بَعْدَ إِصْلاٰحِهٰا] بالعقل فى الصّغير وبالانبياء واوصيائهم فى الكبير ، والمراد بهذا القيد بيان انّ الواقع هكذا والاشعار بغاية قبح الافساد لا التّقييد به [ذٰلِكُمْ] المذكور من الايفاء وترك البخس والافساد [خَيْرٌ لَكُمْ] ممّا تزعمونه خيراً من جلب النّفع بالتّطفيف والافساد ، اوالمراد مطلق الفضل لا التّفضيل فانّه كثيراً ما يستعمل من غير ارادة التّفضيل [إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ] معتقدين بالله والآخرة شرط تهييج بناءً على كون ايمانهم بالله مقطوعاً به للمتكلّم والمخاطب بحسب اقرارهم ، اوشرط تقييد بناءً على كونه مشكوكاً فيه اومنزّلاً منزلة المشكوك سواء قدّر الجزاء موافقاً لاوفوا (الى آخره) اوموافقاً لقوله : ذلكم خيرٌ لكم و على التّقييد يكون بمفهومه تهديداً لهم يعنى ان لم تكونوا مؤمنين فافعلوا ما شئتم او فليس ذلكم خيراً لكم بل لم يكن حينئذٍ فرق بينه و بين ضدّه لكم [وَلاٰ تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرٰاطٍ تُوعِدُونَ] اخّره عن قوله : ذلكم خير لكم اشارةً الى عدم تسويته مع ما سبق فى القبح و انّه لا يتصوّر فيه خير

نفسانيّ ايضاً و انّه اقبح الاشياء للمؤمنين و غيره ، و قيل فى نزوله : انّهم كانوا يقعدون فى الطّريق يتوعّدون من اراد شعيباً ومن آمن به ويلقون الشّبهات على الخلق باظهار اعوجاج دينه واختلال طريقه كما كان ديدن الخلق كذلك قديماً وجديداً خصوصاً فى زماننا هذا ، اوالمقصود نهيهم من القعود فى طرق النّفوس كالشّيطان وصدّ سبيلهم الى الله والى خلفائه [وَتَصُدُّونَ] عطف على توعدون [عَنْ سَبِيلِ اللّٰهِ مَنْ آمَنَ بِهِ] اى بالله يعنى تصدّون من أيقن بالله عن سبيل الله الّتى هى قبول النّبوّة بالبيعة العامّة اوتصدّون من آمن بالله بقبول الدّعوة العامّة وبالبيعة النّبويّة عن سبيل الله الّتى هى قبول الولاية بالبيعة الخاصّة [وَتَبْغُونَهَا عِوَجاً] تطلبون لسبيل الله اعوجاجاً حتّى تظهروه على الخلق وتصدّونهم عنها اوتبغونها من حيث عوجها اوتبغونها حالكونها معوجّة يعنى ان كانت معوّجة تطلبونها بخلاف ما اذا كانت مستقيمةً لاعوجاجكم [وَاذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلاً فَكَثَّرَكُمْ] بعد ما امرهم و نهاهم بضدّ فعلهم ذكّرهم نعمة الله الّتى هم فيها من البركة فى النّسل او فى المال ليكسر به سورة غضبهم حتّى يستعدّوا لقبول نصحه بتذكّر النّعمة وشكرها [وَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ] ذكّرهم النّعمة الّتى هى اثر رحمته تعالى والنّقمة اللّاحقة لامثالهم بسبب الافساد الّتى هى اثر غضبه جمعاً بين اللّطف والقهر والتّبشير والانذار كماهو وظيفة الدّعوة والنّصح [وَإِنْ كَانَ طَائِفَةٌ مِنْكُمْ آمَنُوا بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ وَطَائِفَةٌ لَمْ يُؤْمِنُوا] الاتيان باداة الشّكّ امّا للتّجاهل اولشكّ المخاطب [فَاصْبِرُوا] فانتظروا ؛ الخطاب لمجموع الطّائفتين وعداً للمؤمنين ووعيداً للكافرين [حَتَّى يَحْكُمَ اللّٰهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ] امّا فى الدّنيا بنصرة المحقّ على المبطل او فى الآخرة بانعام المحقّ والانتقام من المبطل .

[الجزء التّاسع]

[قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا] بعد العجز عن المحاجّة و الحجّة اجابوه بالتّخويف كما هو شأن اهل الزّمان من المبادرة الى التّهديد بالقتل و نحوه عند العجز عن الحجّة [أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا] لمّا كان اعتقادهم انّ شعيباً كان على ملّتهم ثمّ خرج منها و ادّعى النّبوّة اعزازاً لنفسه قالوا : لتعودنّ ، اوكان (ع) قبل التّكليف مستنّاً بظاهر سننهم ثمّ خرج منها حين الرّشد اوحين اظهار النّبوّة اوغلّب جانب اتباعه فى اطلاق العود ، عليه اوالعود بمعنى الصيرورة من الافعال النّاقصة ، وعلى اىّ تقدير لا يلزم منه ان يكون (ع) على ملّة باطلة حتّى يرد انّ الانبياء (ع) معصومون عن الخطاء و الشّرك [قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ] تعيدوننا فى ملّتكم يعنى انّ الدّخول فى الملّة حقيقةً لايكون الّا عن اعتقاد بصحّتها ، ولايقع الاعتقاد بصحّة ملّة الّا من حجّة ، ولاحجّة لكم على صحّتها بل لى الحجّة على بطلانها فكيف يتصوّر لى الدّخول فى ملّتكم مع كراهتى للدّخول فيها [قَدِ افْتَرَيْنَا عَلَى اللّٰهِ كَذِباً] مصدرٌ تأكيدىٌ او الكلام مبتنٍ على تجريد الافتراء من مفهوم الكذب [إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ] يعنى ان عدنا فى ملّتكم يلزمنا الإفتراء على الله وهو الّذى افرّ منه واذمّكم عليه ، ولزوم الافتراء امّا باعتبار ادّعاء النّبوّة من الله ، اوباعتبار تصحيح ملّتهم مع انّها عندالله باطلة ، او باعتبار ابطال ملّتهم قبل العود فانّه يلزم عند العود

فيها افتراء ابطالها ، او باعتبار ابطال ملّته بعد الدّخول او باعتبار الكلّ [بَعْدَ إِذْ نَجّٰينَا اللّٰهُ مِنْهٰا] و في اتيان نجّينادون اخرجنا دلالة على انّه (ع) لم يكن على ملّتهم، ولمّا كان المفهوم من قولهم اولتعودن في ملّتنا بحسب المقام تهديدهم باجبار العود لم يكتف في الجواب بقوله اولو كنّا كارهين واتى بما يدلّ على انّهم لايقدرون على الاجبار الّا اذا شاءالله ليكون ردّاً عليهم واظهاراً لدعوى التّوحيد بوجه آخر فقال [وَمٰا يَكُونُ لَنٰا] يعنى ما يمكن لنا فلا يمكن لكم اجبارنا ايضاً [أَنْ نَعُودَ فِيهٰا إِلّٰا أَنْ يَشٰاءَ اللّٰهُ رَبُّنٰا] التّوصيف للاشارة الى انّ له التّصرّف والتّعريض بعدم جواز تصرّف الكفّار في وجودهم ليصير كالعلّة لتعلّق العود على المشيّة [وَسِعَ رَبُّنٰا كُلَّ شَيْءٍ عِلْماً] كرّر ربّنا لازدياد تمكّن ربوبيّته والجملة امّا حال من الله اومستأنفة جواباً لسؤال محتمل اوللمدح [عَلَى اللّٰهِ تَوَكَّلْنٰا] وضع الظّاهر موضع المضمر تمكيناً له بالآلهيّة في النّفوس واشعاراً بعلّة الحكم [رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنٰا وَبَيْنَ قَوْمِنٰا بِالْحَقِّ] التجأ الى الله واستغاث منه بعد ماحاجّ قومه و أجابهم بما أجابهم ولم ينجع فيهم ، والفتح بمعنى القضاء اوبمعنى الفصل اومن الفتح الّذى يستعمل فى الامور الصّعبة [وَأَنْتَ خَيْرُ الْفٰاتِحِينَ وَقٰالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَئِنِ اتَّبَعْتُمْ شُعَيباً إِنَّكُمْ إِذاً لَخٰاسِرُونَ] فى الدّنيا بعدم عزّتكم فى الخلق وعدم حسن معاشرتهم معكم ، وفى الآخرة باستحقاقكم العذاب لضلالتكم وعدم شفيع لكم لانحرافكم عن الاصنام وامثالها ، وعن السّيرة الّتى شاهدناها من آبائنا وكنّا عليها واعتدناها وما تضرّرنا بها [فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةَ] الزّلزلة ولاينافى هذا ما فى سورة هود من قوله تعالى و اخذت الّذين ظلموا الصّيحة فى حقّ قوم شعيب لانّ الزّلزلة قلّما تنفكّ عن الصّيحة [فَأَصْبَحُوا فِي دٰارِهِمْ جٰاثِمِينَ] جثم الانسان من باب ضرب ونصر لزم مكانه فلم يبرح اووقع على صدره اوتلبّد بالارض [الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْباً كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهٰا] اى فى الدّار سواء اريد منها القرية اوالدّور، والمعنى المنزل و وضع الموصول موضع المضمر اشعاراً بعلّة الحكم وذمّاً لهم بهذا الوصف وتمكيناً له فى الاذهان ليكون عبرة ولذلك كرّره وقال [الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْباً كٰانُوا هُمُ الْخٰاسِرِينَ] وهوردّ لقولهم لئن اتّبعتم شعيباً انّكم اذاً لخاسرون ولكونه ردّاً عليهم جاء بضمير الفصل للاشارة الى الحصر الاضافىّ [فَتَوَلّٰى عَنْهُمْ] بعداهلاكهم اوقبل اهلاكهم ، واتيان الفاء للتّرتيب فى الاخبار لا فى التّحقّق [وَقٰالَ يٰا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسٰالٰاتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ ءٰاسىٰ عَلىٰ قَوْمٍ كٰافِرِينَ] اى كيف احزن عليهم لهلاكهم مع كفرهم اوكيف ادعولهم ولاادعوعليهم [وَمٰا أَرْسَلْنٰا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَبِيٍّ إِلّٰا أَخَذْنٰا أَهْلَهٰا بِالْبَأْسٰاءِ] البأساء الشّدّة والفقر والشدّة فى الحرب [وَالضَّرّٰاءِ] فى الاموال والانفس [لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ] اعلم ، انّ المانع من قبول النّبوّة والانقياد تحت احكام القالب وكذا من قبول الولاية والانقياد تحت احكام القلب هواستبداد الانسان بالرّأى واستقلاله فى الأمر وظنّ عدم احتياجه الى غيره ، وكلّ ذلك من صفات النّفس والخيال ، وهذه هى المانعة من ظهور حقّيّة الحقّ وبطلان المبطل، ولمّا كان تماميّة الدّعوة بوجود الدّاعى ودعوته واستعداد القابل واستحقاقه وانتفاء المانع ومنعه فاذا اراد الله تعالى

هداية قومٍ ودعوتهم الى الحقّ ، سواء كان ذلك فى العالم الكبير اوالصّغير بعث اليهم من يدعوهم اليه ليتحقّق الدّعوة و اخذ المدعوّين بالبأساء والضّرّاء ، ليستعدّوا بذلك و يرتفع المانع من قبول دعوة الدّاعى والحاجب من ظهور حقيّته وليتضرّعوا ويلتجؤا بترك الاستبداد والانانيّة حتّى يستحقّوا بذلك رحمة الله وقبول دعوة الدّاعى [ثُمَّ بَدَّلْنا مَكانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ] يعنى عادتنا الابتلاء تارة بالسّيّئات وتارة بالحسنات ليتمّ حجّتنا ودعوتنا ولم نجعلهم مسلوبى الاختيار فى قبول الدّعوة فانّه فى اجبارهم لايحصل المطلوب من امتياز السّعيد عن الشّقىّ وعمارة الدّارين [حَتَّى عَفَوْا] محوا عن قلوبهم آثار البأساء والضّرّاء و المهما اومحوا تضرّعهم والتجاءهم اوزادوا فى المال والاولاد اوزادوا فى العلم فبطروا [وَقالُوا] حالاً اوقالاً [قَدْ مَسَّ آباءَنَا الضَّرّاءُ وَالسَّرّاءُ] يعنى انّ الضّرّاء و السرّاء من عادة الدّهر قالوا ذلك للتّلويح بانّه لاينبغى ترك التّمتّع ولا الالتجاء والتّضرّع [فَأَخَذْناهُمْ بَغْتَةً] من غير تقديم امارات [وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ] لعدم تقدّم الامارات [وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرى] قرى العالم الكبير اوقرى العالم الصّغير [آمَنُوا] بالبيعة العامّة [وَاتَّقَوْا] بالبيعة الخاصّة فانّ التّقوى الحقيقيّة لايمكن حصولها الّا بالولاية الحاصلة بالبيعة الخاصّة ، لانّ حقيقة التّقوى كماسبق هى التّحرّز عن الطّريق المعوجّة النّفس الّتى توصّل السّالك الى الملكوت السّفلىّ ، وبعبارة أخرى هى التّحرّز عن السّلوك الى الملكوت السّفلى و دار الجنّة ولا يمكن ذلك التّحرّز الّا بامتياز الطّريق المستقيم الّذى يوصل سالكه الى الملكوت العليا وسلوك ذلك الطّريق ، ولايحصل الامتياز الّا بالولاية الحاصلة بالبيعة الخاصّة وقبول الدّعوة الباطنة لانّ بها انفتاح باب القلب الى الملكوت العليا وظهور طريقه اليها الّذى هو الطّريق المستقيم ، وللاشارة الى هذا المعنى اخّر التّقوى ههنا عن الايمان وان كانت بمعنى آخر مقدّمة على الايمان ، اوالمعنى ، لوانّ اهل القرى آمنوا بالايمان الخاصّ الحاصل بالبيعة الخاصّة الولويّة واتّقوا ماينافى ايمانه الدّاخل فى قلبه من الفعليّة الحاصلة فى قلب المؤمن من قبول الولاية ومن الذّكر المأخوذ من صاحبه ومن الفكر الحاصل من مداومة الذّكر الّذى هو ملكوت الامام وصورته المثاليّة الّتى تظهر على قلب المؤمن السّالك ويشاهدها فى مرآة صدره ؛ هذا فى الكبير ، واماّ فى الصّغير فالمعنى لوانّ اهل القرى آمنوا واذعنوا بحكومة العقل ولاسيّما العقل المنقاد لوليّ الامر واطاعوه فى حكومته واتّقوا من مخالفة احكامه [لَفَتَحْنا عَلَيْهِمْ بَرَكاتٍ مِنَ السَّماءِ وَالْأَرْضِ] اعلم ، انّ الانسان بحسب التّحليل الاوّل ينحلّ الى جزءٍ روحانىّ سماوىّ وجزءٍ جسمانىّ ارضىّ ، وله بحسب كلّ جزءٍ حاجات وطلبات وملائمات و منافرات وهما اللّتان يعبّر عنهما بالخيرات والشّرور ، والبركة هى الزّيادة و الكثرة فى الخيرات فاذا آمن الانسان واتقاد لكثر خيراته الجسمانيّة الحاصلة من الارض وخيراته الرّوحانيّة الحاصلة من السّماء ؛ و ايضاً كثر خيراته الرّوحانيّة والجسمانيّة من اعتناق سماوات الطّبع مع ارض الطّبع ، ومن اعتناق سماوات الارواح مع اراضى الاشباح النّوريّة و الظّلمانيّة ذلك تقدير العزيز العليم [وَلكِنْ كَذَّبُوا] الرّسل (ع) واوصياءهم (ع) والعقل وحكمه [فَأَخَذْناهُمْ] اى عاقبناهم [بِما كانُوا يَكْسِبُونَ] من نتائج اعمالهم وتكذيبهم [أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرى] امّا بتقدير معطوف بين الهمزة والفاء اى الم يؤمنوا بعد ذلك فأمنوا ، اوهو على التّقديم والتّاخير معطوف على اخذناهم بتقدير القول والتّقدير فيقال بعد ذلك : آأمن اهل القرى [أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنا بَياتاً وَهُمْ نائِمُونَ] والمقصود من اهل القرى المكذّبون لمحمّد (ص) والواقفون من الايمان به [أَوَأَمِنَ

اَهْلُ الْقُرٰى اَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنٰا ضُحىً] وقت ارتفاع الشّمس [وَهُمْ يَلْعَبُونَ] لمّا كان المقام مقام التّهديد كرّر اهل القرى ولفظ بأسنا جرياً على ما عليه العرف فى المخاطبات فانّهم كثيراً ما يكرّرون الالفاظ من شدّة الغيظ اولتمكين التّهديد [أَفَاَمِنُوا مَكْرَ اللّٰهِ] اتى بالفاء لتفاوت مابين البأس حين الغفلة و المكر بخلاف بأس اللّيل وبأس الضّحى ، فانّ اتيان عذاب الله امّا مع تقدّم امارات له اومن غير تقدّم امارات وهو البأس بغتةً حين النّوم اوحين اللّعب اومع تقدّم امارات ضدّه وهو المسمّى بالاستدراج والمكر لشباهته بمكر المخلوق [فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللّٰهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخٰاسِرُونَ] بنقص عقولهم الّتى هى بضاعتهم فانّ العاقل حين تجدّد النّعمة يحتمل النّقمة بالنّعمة فيخاف عاقبتها بخلاف الجاهل فانّ نظره الى صورة النّعمة لايتجاوزها الى احتمال اندراج النّقمة فيها [أَوَلَمْ يَهْدِ] قرئ بالنّون وبالغيبة وعلى هذا القراءة فالفاعل ضمير المصدر اى الم يقع الهدى او ضمير أخذ المكذّبين بما كانوا يكسبون ، اوالفاعل قوله ان لونشاء اصبناهم يعنى الم يهد قدرتنا على الاصابة ان شئنا ، بمعنى علمهم بقدرتنا من ملاحظة حال الماضين [لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الْاَرْضَ] اللّام للتّقوية او لتضمين يهد معنى يبيّن اى الم يبيّن للّذين يرثون الارض [مِنْ بَعْدِ اَهْلِهٰا] او من بعد اهلاكنا اهل الارض [اَنْ لَوْ نَشٰاءُ] اى انّه لونشاء وهو مفعول ثانٍ ليهد اوفاعل كما ذكر [اَصَبْنٰاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ] كما سمعوا و شاهدوا من الماضين [وَنَطْبَعُ عَلٰى قُلُوبِهِمْ] عطف على اصبناهم اوعلى الم يهد فانّ الاستفهام التّوبيخىّ يقرّر ما بعده نفياً كان اواثباتاً كأنّه قيل : ما يهتدون الى طريق الآخرة والتّوحيد و نطبع اوهو مستأنف بمعنى ولكن نطبع على قلوبهم [فَهُمْ لٰا يَسْمَعُونَ] الخبر [تِلْكَ الْقُرٰى نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ اَنْبٰائِهٰا] بعض انبائها [وَلَقَدْ جٰاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ] استخدام فى الضّمير او المراد بالقرى اهلها مجازاً [بِالْبَيِّنٰاتِ] باحكام الرّسالات او الحجج والمعجزات الواضحات [فَمٰا كٰانُوا لِيُؤْمِنُوا] دخول كان فى مثله لتأكيد النّفى [بِمٰا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ] من احكام العقل والنّبوّة التّكوينيّة ، فانّ من انقاد للعقل قبل ظهور دعوة النّبىّ يقبل دعوة النّبىّ ومن كذّب العقل يكذّب النّبىّ لامحالة لانّ النّبىّ عقل بوجهٍ والعقل نبىّ بوجهٍ ، او بما كذّبوا فى الذّر كما فى الاخبار ، وبعد التّحقيق يرجع التّكذيب فى الذّر والتّكذيب بالعقل الى امر واحد [كَذٰلِكَ يَطْبَعُ اللّٰهُ عَلٰى قُلُوبِ الْكٰافِرِينَ] يعنى كما طبع الله على قلوب اهل هذه القرى حتّى لايؤمنوا مع ظهور الحقّ يطبع الله على قلوب جملة الكافرين [وَمٰا وَجَدْنٰا لِاَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ] بمنزلة التّعليل للطّبع و المراد بالعهد هو العهد مع النّبىّ (ص) اوالولىّ وبعبارة اخرى هو عقد الاسلام او الايمان ، او المراد بالعهد هو الفعليّة الحاصلة من عقد البيعة يعنى ما عاهدوا اوعاهدوا وأبطلوا ؛ ولاينافى ذلك ما ورد فى الاخبار من تفسير العهد بوفاء العهد الحاصل فى الذّر فانّ المراد بالوفاء بالعهد فى الذّر هو قبول النّبوّة او الولاية [وَإِنْ وَجَدْنٰا] انّه وجدنا [اَكْثَرَهُمْ لَفٰاسِقِينَ] خارجين من حكومة العقل ، فانّ الفسق هو الخروج من تحت حكم الله سواء كان على لسان النّبىّ الخارجىّ او الباطنىّ وبعد تفسير العهد بما ذكر فالاولى تفسيره بالخروج من حكومة النّبىّ الباطنىّ موافقاً لما سبق فى تفسير قوله : فما كانوا ليؤمنوا بما كذّبوا من قبل [ثُمَّ بَعَثْنٰا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسىٰ بِاٰيٰاتِنٰا] التّسع [إِلىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَائِهِ

فَظَلَمُوابِها] يعنى ظلموها لانّهم وضعوا موضع الاقرار بما ينبغى الاقرار به لوضوحه وظهوره الكفربه ، ولذا بدلّ الكفربالظّلم وعدّاه بالباء على تضمين معنى الكفر، اومثل معنى الالصاق ، اوظلموا موسى بسبب الآيات الّتى هى اسباب الطّاعة فيكون اشارة الى نهاية وقاحتهم وظلمهم [فَانْظُرْ كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ] من اغراق فرعون و ملائه و اهلاك الامم السّابقة بما اهلكوا به [وَقالَ مُوسى يا فِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعالَمِينَ] اليكم [حَقِيقٌ عَلى أَنْ لا أَقُولَ عَلَى اللهِ إِلَّا الْحَقَّ] كان القياس ان يجعل ان لا اقول على الله الّا الحقّ مرفوعاً بحقيق و يجعل مدخول على هوالمتكلّم كما قرئ به ، لكنّه قلب مجازاً للمبالغة فى الصّدق كأنّه امر متجوهروالمتكلّم من اوصافه ، اوللاشارة الى ماهوحقيقة الامرمن اصالة الوجود واعتباريّة المهيّات فانّ الانسان على المذهب الحقّ نحومن الوجود متحدّد بالحدودالمتعيّنة وصفات الوجود متّحدة معه والتّغاير فى مفهومها فقط ، والحدود اموراعتباريّة عدميّة لا حقيقة لها والوجودات الامكانيّة لا استقلال لها ولا انانيّة بل هى متعلّقات محضة وفقراء الى الله والله هوالغنىّ ، والانانيّة الّتى هى عبارة عن الاستقلال انّماهى باعتبار الحدود العدميّة فهى من اعتبارات الانسان وتابعة لحقيقته لانّهاحقيقته فهى تابعة لصدقه الّذى هوحقيقته ، فصحّ ان يقال انا حقيق على الصّدق بهذاالاعتبار كمايصحّ ان يقال حقيق ان لااقول على الله الّاالحقّ علىّ بتشديد الياء باعتبار ملاحظة مفهومى الانانيّة والصّدق وبهذا الاعتبارقيل: حقّ القضايا الّتى تنعقد بين الممكنات ان يجعل الموضوع نحواً من الوجود والمحمول مهيّة من المهيّات فيقال: الوجود انسان مثلاً ، لانّ الانسانيّة الّتى هى عبارة عن حدّ الوجود عرض تابع للوجود والوجود متبوع ، وقيل فيه بتضمين حقيق معنى حريص وكون على بمعنى الباء وغير ذلك من الوجوه ، وقرئ بوجوه اُخرغيرماذكرايضاً ، ولمّاكانت الدّعاوى العظيمة من شأنها ان لايسامح فيهاولاتسمع الّابيّنة وشاهد بادر اليهاقبل مطالبتهافقال [قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ] فاقبلوا قولى ولاتخالفوا [فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرائِيلَ] ولمّاكان صحّة الدّعوى وسقمها منوطة بالبيّنة طالبها منه ولم يتعرّض لغيرها و [قالَ إِنْ كُنْتَ جِئْتَ بِآيَةٍ فَأْتِ بِها إِنْ كُنْتَ مِنَ الصّادِقِينَ فَأَلْقى عَصاهُ فَإِذا هِيَ ثُعْبانٌ مُبِينٌ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذا هِيَ بَيْضاءُ لِلنّاظِرِينَ قالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ] اى من خواصّهم خطاباً للملأ الاخرى حوله من غير الخواصّ ولعلّ فرعون شاركهم فى هذا القول بقرينة قوله فما ذا تأمرون فلا ينافيه ما فى الشّعراء من قوله تعالى: قال للملأ حوله ويحتمل ان يكون قوله تعالى : يريد ان يخرجكم مستأنفاً من فرعون وان يكون هذا مع ما فى الشّعراء فى مجلسين [إِنَّ هذا لَساحِرٌ عَلِيمٌ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ فَماذا تَأْمُرُونَ] وتشيرولم [قالُوا] قالت الخواصّ او الملأ حوله غير الخواصّ [أَرْجِهْ وَأَخاهُ] من الارجاء بمعنى التّأخير يعنى اخّر امرهماحتّى يمكن لك التّدبير، قرئ ارجئه على الاصل بسكون الهمزة وضمّ الهاء ، وارجئه بسكون الهمزة وكسر الهاء على خلاف القياس ، وارجهى من ارجيت بكسر الهاء مع الاشباع ، وارجه بكسر الهاء بدون الاشباع وارجه بسكون الهاء مع الاشباع وارجه بكسرالهاء بدون الاشباع وارجه بسكون الهاء تشبيهاً له بالواو والياء الضّمير من كما قيل ، اوتشبيهاً لهاء الضّمير بهاء السّكت اواجراءً للوصل مجرى الوقف [وَأَرْسِلْ فِي الْمَدائِنِ حاشِرِينَ يَأْتُوكَ بِكُلِّ ساحِرٍ عَلِيمٍ وَجاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ] يعنى فأرسل وحشروا

و جاؤا فرعون [قَالُوا ءَإِنَّ لَنَا لَأَجْراً إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ] وقرئ بهمز واحد على المعاهدة والميثاق [قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ] يعني ابتداءً [وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ] خيّروه اظهاراً للادب اوالجلادة وعدم المبالاة بما يقابل سحرهم ، لكن لرغبتهم فى الالقاء ابتداءً غيّروا النّظم واكّدوا الجملة وان ذكروا القاءهم مؤخّراً جلادة اومراعاة للادب [قَالَ أَلْقُوا] قدّمهم على نفسه كرماً ومقابلة لادبهم بترجيحهم على نفسه وقلّة مبالاة بسحرهم [فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ] السّحر يقال لكلّ علم وعمل خفيّ مدركه ومأخذه سواء كان بتمزيج القوى الرّوحانيّة والطّبيعيّة اوبالتّصرّف فى القوى الطّبيعيّة فقط ، ويقال لتمزيج القوى الرّوحانيّة والطّبيعيّة واحداث آثار خارجة عن مجرى العادة ومنه التّصرّف فى المدارك البشريّة بحيث يرى ويسمع ما لاحقيقة له ، وكأنّهم سحروا بتسخير الرّوحانيات الخبيثة وتمزيجها مع القوى الطّبيعيّة واحداث آثار خارجة عن العادة ولذا قال سحروا اعين النّاس ، فما نقل : انّهم القوا حبالاً و عصيّاً مجوّفة مملوّة من الزيبق ؛ ان كان صحيحاً كان احد جزئى سحرهم من القوى الطّبيعيّة و الّا لم يكن لنسبة السّحر الى اعين النّاس حينئذٍ وجه [وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاؤُا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ] نقل انّ السّاحة الّتى القوا سحرهم فيها كانت ميلا فى ميل وملاؤا الوادى من الحبال والخشب الطّوال المتحرّكة كأنّها افاعٍ عظيمة ولذلك اوجس فى نفسه خيفة موسى (ع) [وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ] من الافك بمعنى الصّرف وقلب الشّيء عن وجهه نقل ، انّها لمّا تلقفت حبالهم وعصيّهم وابتلعتها باسرها اقبلت على الحاضرين فهربوا وازدحموا حتّى هلك بجمع كثير منهم ، ثمّ اخذها موسى (ع) فصارت عصاً فأيقن السّحرة انّها لولم تكن آلهيّة لبقى حبالهم وعصيّهم واعترفوا برسالة موسى (ع) ونقل ، انّهم قبل الموعد آمنوا بموسى (ع) خفية و اظهروا ايمانهم يوم الموعد [فَوَقَعَ الْحَقُّ] اى ثبت [وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ فَغُلِبُوا] اى قوم فرعون والسّحرة جميعاً اوقوم فرعون [هُنَالِكَ وَانْقَلَبُوا صَاغِرِينَ وَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ] كأنّهم القاهم ملق من شدّة اضطرابهم كأنّه لم يبق لهم تماسك [قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ] بيّنوا المجمل بالابدال منه [قَالَ فِرْعَوْنُ آمَنْتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَكَرْتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ] اى مدينة مصر [لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا] المالكين لها المتصرّفين فيها وهم القبطيّة [فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ] تهديد لهم [لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ] اليد من جانب والرّجل من جانب آخر [ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ] تعذيباً و تفضيحاً لكم و عبرة لغيركم توعيد و تغليظ [قَالُوا] اظهاراً لعدم مبالاتهم بتوعيده [إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ] فالموت والقتل كان خيراً لنا فتهديدك بالقتل بشارة لنا لاتهديد كما زعمت ، وفى قولهم : لا ضير انّا الى ربّنا منقلبون ؛ اشارة الى هذا ، او المقصود انّا نحن و انتم الى ربّنا منقلبون آخر الامر فيجازى كلاً بحسب عمله و فى قولهم [وَمَا تَنْقِمُ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا] اشعار بهذا المعنى يعنى نحن وانتم راجعون الى الله والحال انّ انتقامكم منّا ليس الّا بسبب ايماننا بربّنا فانتم اولى بالخوف منّا فيكون تهديداً لهم ، ولمّا اظهروا عدم مبالاتهم بتهديده خافوا من عدم ثباتهم وصبرهم على القطع والصّلب فتضرّعوا الى الله تعالى

و استغاثوا و قالوا [رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْراً] عظيماً و لذلك قالوا افرغ اشارةً الى كثرته تشبيهاً له بالماء الكثير ونكرّوا صبراً [وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ] لنبيّك مسلمين لقضائك ، نقل انّه فعل بهم ما أوعدهم ونقل ، انّه لم يتيسّر له [وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ] بعد ظهور امر موسى(ع) وقوّته لفرعون [أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ] ارض مصر بتغيير الخلق و دعائهم الى مخالفتك و ترك دينك و ترك العبادة لك [وَيَذَرَكَ] اي عبادتك او سلطنتك [وَآلِهَتَكَ] اصنامك الّتي تعبدها او الاصنام الّتي صنعتها لان يعبدوها ليتقرّبوا بها اليك كما قيل: انّه صنع لهم اصناماً ليعبدوها للتقرّب اليه ، وقرئ و إلٰهتك مصدراً بمعنى عبادتك [قَالَ] جواباً لهم [سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ] قاله اظهاراً لتسلّطه وتسكيناً لقومه مع خوفه من موسى(ع) ولمّا وصل ذلك الخبر الى موسى(ع) وقومه ورأى فزعهم من تهديده [قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ] تسليةً لهم ووعداً [اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ] بالتضرّع عليه والالتجاء اليه [وَاصْبِرُوا] على يسير اذاه [إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ] في موضع التعليل [يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ] لالفرعون وقومه حتّى يفعلوا فيها مايشاؤن فالتجؤا اليه واستلوا منه وخافوا منه لامن غيره [وَالْعَاقِبَةُ] الحسنى الّتي هي الآخرة ودار الكرامة [لِلْمُتَّقِينَ] الجزع عند الشّدائد ، وعد وتذكير لما وعدهم من اهلاك القبط وتسليطهم على مصر في الدّنيا ومن الجنان في الآخرة [قَالُوا] تضجّراً بوعده وعدم انجازه [أُوذِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا] متسلّين بوعد مجيئك [وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا] فبم نتسلّى بعد مجيئك [قَالَ] بعد تضجّرهم بوعده [عَسَىٰ رَبُّكُمْ] اتى بكلمة التّرجّي و صرّح بهم بعد ماوعدهم بالقطع وعرّض بهم خوفاً من انكارهم و ردّهم و تسلية لهم تصريحاً [أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ] ارض مصر [فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ] السّنة غلبت على عام القحط ولذا اطلق السّنين [وَنَقْصٍ مِنَ الثَّمَرَاتِ] بعاهات اخرى غير الجدب [لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ] انّ الخصب والسّعة بقدرة الله لاباختيارهم فيؤمنوا برسله ولا يجحدوه ، فانّ المانع من قبول الحقّ هو قوّة الخيال و جولانه في الخواطر و عند الشّدائد يضعف الخيال ولا يمنع من تذكّر الحقّ و قبوله [فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَٰذِهِ] بيان لغاية سفاهتهم ووخامة رأيهم حيث عقّبوا ماغايته التّذكّر وقبول الحقّ بالتأنّف وجحوده ، وفي الاتيان باذا ومضيّ الفعل وتعريف الحسنة اشارة لطيفة الى كثرة الحسنة بحيث لاينكر تحقّقها و معهوديّتها لكثرة دورانها بخلاف قرينتها فانّها لندورها كأنّها مشكوك فيها ولم تتحقّق و ان تحقّق فردمنها فكأنّها امر منكور غير معهود ولذلك اتى بان واستقبال الفعل وتنكير السّيّئة فقال [وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ] والمراد بالحسنة ههنامايعدّونه اهل الحسّ حسنة من الصّحة والخصب وسعة المال وبالسّيّئة مايقابلها [يَطَّيَّرُوا بِمُوسَىٰ وَمَنْ مَعَهُ] كانوا اذا استقبلهم طائرٌ وقتما ارادوا مهمّاً فان طار الى اليمين اوالى اليسار تفآلوا وتشآموا كما قيل (وقيل : كانوا يتشآمون بالبارح و هو الّذى يأتى من قبل الشّمال و يتبرّكون بالسّانح و هو الّذى يأتى

من قبل اليمن) والاسم منه الطّيرة و الطّائر ثمّ غلب التّطيّر ، ومشتقّاته فى التّشأّم كالتّفأّل فى التيمّن ، ثمّ استعمل التّطيّر فى كلّما يتشأّم به وكان رؤساؤهم جعلوا ما به التّفأّل والتّشأّم من امارات الخير و الشّر ثمّ عدّه جهلاؤهم من اسبابهما ولذلك قال فى الرّدّ عليهم [أَلا إِنَّما طائِرُهُمْ عِنْدَ اللهِ] يعنى سبب خيرهم وشرّهم عندالله [وَلكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ] انّ سبب الخير و الشّر عندالله و انّ الفاعل هوالله و ان ليس للخلق الّا القبول و ليس ما يعدّونه سبب الخير اوالشّر الّا امارة ان كان من الامارات [وَقالُوا] زيادة فى الوقاحة [مَهْما تَأْتِنا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِتَسْحَرَنا بِها] لتتصرّف فيناوتغيّرنا عمّا نحن عليه بتصرّفات خفيّة عنّا [فَما نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ فَأَرْسَلْنا عَلَيْهِمُ الطُّوفانَ] مايطوف بهم من الماء و فسّر بالطّاعون [وَالْجَرادَ وَالْقُمَّلَ] هو صغار الجراد الّتى لاجناح لها اوصغار الذّرّ اودويبة صغيرة لها جناح احمر او دوابّ كالقردان ، وتفسيره بقمّل النّاس بعيد لانّ قمّل النّاس مفتوح الفاء مخفّف العين كما قرئ به ، وحينئذ يكون المراد به القمّل المعروف [وَالضَّفادِعَ وَالدَّمَ آياتٍ مُفَصَّلاتٍ] واضحات اومنفصلات اذكان بين كلّ آية وآية سنة ، وامتداد كلّ منها كان اسبوعاً [فَاسْتَكْبَرُوا وَكانُوا قَوْماً مُجْرِمِينَ وَلَمّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ] العذاب فيكون عبارة عن الآيات المذكورة ويكون الكلام بياناً لوقاحة اخرى لهم وعدم ثباتهم على عهدهم ، اوالمراد به الثّلج كما نسب الى الرّضا(ع) وكانوا لم يعهدوا مثله قبله [قالُوا يا مُوسَى ادْعُ لَنا رَبَّكَ بِما عَهِدَ عِنْدَكَ لَئِنْ كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرائِيلَ فَلَمّا كَشَفْنا عَنْهُمُ الرِّجْزَ إِلى أَجَلٍ هُمْ بالِغُوهُ إِذا هُمْ يَنْكُثُونَ] كما هو ديدن ارباب النّفوس الّتى هى كالخبيثات من النّساء [فَانْتَقَمْنا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْناهُمْ فِي الْيَمِّ] من عطف التّفصيل على الاجمال اوبتضمين انتقمنا معنى اردنا [بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآياتِنا وَكانُوا عَنْها غافِلِينَ] من حيث انّها آيات و لذلك كذّبوا بها فيكون من العطف للتّعليل ، ورد فى الخبر : انّ السّحرة لمّا سجدوا لموسى(ع) وآمن به النّاس قال هامان لفرعون: انّ النّاس قد آمنوا بموسى(ع) فانظر من دخل فى دينه فاحبسه فحبس كلّ من آمن به من بنى اسرائيل فجاءاليه موسى(ع) فقال له : خلّ عن بنى اسرائيل؛ فلم يفعل ، فأنزل الله عليهم فى تلك السّنة الطّوفان فخرّب دورهم ومساكنهم حتّى خرجوا الى البرّيّة وضربوا الخيام ، فقال فرعون لموسى(ع): ادع حتّى يكفّ عنّا الطّوفان حتّى اخلّى عن بنى اسرائيل واصحابك ، فدعا موسى(ع) ربّه فكفّ عنهم الطّوفان وهمّ فرعون ان يخلّى عن بنى اسرائيل فقال هامان: ان خلّيت عن بنى اسرائيل غلبك موسى(ع) وازال ملكك فقبل منه ولم يخلّ عن بنى اسرائيل ، فانزل الله عليهم فى السّنة الثّانية الجراد فجرّدت كلّ شيء كان لهم من النّبت والشّجر حتّى كانت تجرّد شعرهم ولحيتهم، فجزع فرعون لذلك جزعاً شديداً و قال : ياموسى ادع ربّك ان يكفّ عنّا الجراد حتّى اخلّى عن بنى اسرائيل واصحابك ، فدعا موسى ربّه فكفّ عنهم الجراد فلم يدعه هامان ان يخلّى عن بنى اسرائيل ، فأنزل الله عليهم فى السّنة الثّالثة القمّل فذهبت زروعهم واصابتهم مجاعة شديدة ؛ فقال مقالته السّالفة فكشف عنهم القمّل وقال: اوّل ماخلق الله القمّل فى ذلك الزّمان فأرسل عليهم بعد ذلك الضّفادع فكانت تكون فى طعامهم وشرابهم ويقال: انّها تخرج من ادبارهم وآذانهم وآنافهم فجزعوا وقالوا مثل مقالتهم الاولى ولم يفوا ؛ فحوّل الله عليهم النّيل دماً فكان القبطىّ رآه دماً

والاسرائيلى ماءٌ ، والقبطىّ يشربه دماً و الاسرائيلىّ ماءً ، فيقول القبطىّ للاسرائيلىّ : خذالماء فى فمك و صبّه فى فىّ فكان اذا صبّه فى فمه يحول دماً ، فجزعوا وقالوا كما قالوا ؛ ولم يفوا فأرسل الله تعالى عليهم الرّجزوهو الثّلج فماتوا و جزعوا و اصابهم ما لم يعهدوه فكشف عنهم الثّلج فخلّى عن بنى اسرائيل فاجتمعوا و خرج موسى(ع)من مصر واجتمع اليه من كان هرب من فرعون وبلغ فرعون ذلك فقال هامان : قد نهيتك ان تخلّى عن بنى اسرائيل فقد استجمعوا اليه فجزع فرعون وبعث فى المدائن حاشرين وخرج فى طلب موسى (ع) فغرق فى اليمّ [وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا] يعنى مشارق ملك مصر ومغاربها اوملك مصروالشّام [الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا] بكثرة النّعم من الحبوب والثّمار وغيرها [وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ] عدته الحسنى بايراث الارض بقوله تعالى: ونجعلهم الوارثين ، اعلم، انّ الكلمة غيرمختصّة بالحروف المركّبة الحاصلة من تقاطع الهواء التّنفّسىّ مع مخارج الحروف الموضوعة لمعنى من المعانى بل كلّ ماذلّ على غيره من الكلمات العينيّة فهو كلمة ، بل التّحقيق انّ الحقّ المضاف الّذى هو المشيّة الّتى هى نفس الرّحمن واضافته الاشراقيّة والرّبّ المضاف باعتبار تعلّقه بالمخارج الحقيقيّة الّتى هى الاعيان الثّابتة والمهيّات الاعتباريّة كلمته تعالى باعتباروحدته وكلماته باعتبارتعدّده فانّ له فى نفسه وحدةً حقيقيّةً ظلّيّةً وباعتبار المهيّات كثرةً اعتباريّة ؛ ونحن الكلمات التّامّات ،كماورد عنهم عليهم السّلام بهذا الاعتبار ، وتسمية المشيّة بنفس الرّحمن باعتبار تطابق العالم الصّغير والكبير وتلك الكلمة باعتبارها فى نفسها تامّة ، و باعتبار ظهورها على غيرها توصف بالتّمام وعدمه ، وظهورها تامّة بان تظهربصورة الولاية والنّبوّة والرّسالة ، وتماميّتها حينئذ كانت اضافيّة ، وتماميّتها الحقيقيّةاذاكانت بصورة الولاية المطلقة فيصيرصاحبها خاتم الولاية ، وبصورة النّبوّة المطلقة والرّسالةالمطلقة فيصيرصاحبهماخاتم النّبوّة والرّسالة كمافى محمّد(ص) و علىّ (ع)، و تماميّة النّبوّة والرّسالة النّاقصة تماميّة اضافيّة ان تظهر بجميع ما من شأنه ان تظهر به من قبول احكامها و انجاز مواعيدها وترتّب فوائدها ، ومن جملة تماميّة نبوّة موسى (ع)ظهورها باتمام مواعيدها ورفع موانع رواجها من منع فرعون وقومه ، والتّوصيف بالحسنى للاشارة الى انّ كلماته باعتبارها فى انفسها تتفاوت وتتّصف بالحسن والاحسنيّة وان كان كلّها باعتبار اضافتها اليه تعالى حسنة غيرمتّصفة بعدم الحسن ، وبعدماعرفت انّ الرّبّ المضاف هو الولاية المتحقّق بمطلقها علىّ(ع) و انّ الرّسالات و النّبوّات و الولايات الجزئيّة هى مراتب الولاية المطلقة وتنزّلاتها وانّ النّبوّة المطلقة والرّسالةالمطلقة ايضاً ظهور الولاية المطلقة وتحت تربيتها، علمت جواز تفسير الرّبّ بعلىّ(ع) والكلمة بموسى(ع) اوبرسالته ونبوّته [بِمَا صَبَرُوا وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ] من الاصنام وعبادتها والصّنائع الدّقيقة وآلاتها والابنية الرّفيعة وزخارفها [وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ] من كروم الجنان والقصور الرّفيعة ، وقوله دمّرنا عطف على تمّت اوعلى صبروا، وكون التّدمير سبباً لتماميّة الكلمة لما فيه من الدّلالة على القدرة و الرّسالة و العبرة لسالكى الآخرة [وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ] بعد مهلك فرعون وايراث الارض لدعوة العمالقة وقتالهم [فَأَتَوْا عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰ أَصْنَامٍ لَهُمْ] اى على عبادتها [قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَل لَّنَا إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ] بيان لسفاهة رأيهم وانّهم لمّا استراحوا من فرعون وقومه تركوا الانقياد واظهروا الاستبداد لغاية حمقهم وجهلهم [قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ] ذمّهم اولاً

على استبدادهم لجهلهم ثمّ بيّن لهم فساد عمل القوم وبطلانه فقال [إِنَّ هٰؤُلاءِ مُتَبَّرٌ مٰا هُمْ فِيهِ] من الاحوال والاخلاق والعقائد يعنى منكسرٌ منقطعٌ عمّا ينبغى الاتّصال به من النّبوّة والولاية المتّصلة بالآخرة الباقية [وَبٰاطِلٌ مٰا كٰانُوا يَعْمَلُونَ] فاسد لا اثر له ولافائدة مترتّبة عليه [قٰالَ أَغَيْرَ اللّٰهِ أَبْغِيكُمْ إِلٰهاً] كرّر قال اهتماماً بمابعده فانّه المقصود وغيره كان توطئةً له فانّ انكار ابتغاء غير الله آلهاً كناية عن ابتغاء الله آلهاً لكون المقام مقام ابتغاء الآله [وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعٰالَمِينَ] فى زمانكم ببعثة الرّسل منكم وخلاصكم من اعدائكم وانقيادكم للرّسل /[وَإِذْ أَنْجَيْنٰاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ] عطف على قوله اغير الله ابغيكم آلهاً بتقدير اذكروا اى قال موسى (ع) اذكروا اذ انجيناكم، ونسبة الانجاء الى نفسه مع الله لكونه سبباً اوعطف على اورثنا بتقدير قلنا اذكروا اذانجيناكم فيكون خطاباً من الله معهم وتذكيراً لهم بالنّعمة العظيمة الّتى هى الخلاص من شدّة عذاب آل فرعون [يَسُومُونَكُمْ] يكلّفونكم [سُوءَ الْعَذٰابِ] والجملة مستأنفة جواب لسؤال مقدّر اوحال [يُقَتِّلُونَ أَبْنٰاءَكُمْ] بدل من الاولى بدل التّفصيل من الاجمال اومستأنفة اوحال مترادفة ، او متداخلة [وَيَسْتَحْيُونَ نِسٰاءَكُمْ] يستبقون بناتكم للاسترقاق اويفتّشون حياء نساءكم اى فروجهنّ لتجسّس العيب كالاماء ، اوتجسّس الحمل وقد سبق فى اوّل سورة البقرة تفصيله [وَفِي ذٰلِكُمْ بَلاءٌ] ابتلاء و محنة [مِنْ رَبِّكُمْ] على ايدى اعدائه [عَظِيمٌ] و تفسير البلاء بالنّعمة و جعل الانجاء مشاراً اليه بعيد [وَوٰاعَدْنٰا مُوسىٰ ثَلٰاثِينَ لَيْلَةً] وهى شهر ذى القعدة كما نقل لاعطاء كتاب فيه بيان كلّ شيء [وَأَتْمَمْنٰاهٰا بِعَشْرٍ] من ذى الحجّة لسواك استاك آخر الثّلاثين قبل الافطار [فَتَمَّ مِيقٰاتُ رَبِّهِ] لاعطاء الكتاب [أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقٰالَ مُوسىٰ] حين خرج من بين قومه للميقات [لِأَخِيهِ هٰرُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلاٰ تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ وَلَمّٰا جٰاءَ مُوسىٰ لِمِيقٰاتِنٰا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ] التفات من التّكلّم الى الغيبة اشارة الى انّ التّكلّم صدر من مقام ظهوره الّذى هو الولاية المطلقة المتحقّق بها علىّ (ع) كما انّ المتكلّم مع محمّد (ص) ليلة المعراج كان علياً (ع)، ولمّا سمع موسى (ع) كلامه تعالى اشتدّ شوقه والتهب حرارة طلبه ولم يتمالك : فطلب وسأل ما ليس له من التّشهود والرّؤية مع انّه كان بعد فى الحدّ والغيبة وباقياً عليه الانانيّة وليس شأن المحدود ادراك المطلق ورؤيته ، فانّ من شرائط الرّؤية والادراك صيرورة الرّائى سنخاً للمرئىّ اوالمرئىّ سنخاً للرّائى والّا فلايقع الرّؤية ولايحصل المشاهدة؛ الاترى انّ النّفس فى مشاهدة الاجسام محتاجة الى آلة جسمانيّة وقوّة جرمانيّة وتلك القوّة الجسمانيّة محتاجة الى تجريد الصّورة من المادّة لتجرّدها نحواً من التّجرّد، فلمّا لم يتمالك [قٰالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قٰالَ لَنْ تَرٰانِي] فانّك غير خارج من حدودك ولوشاهدتنى بحدودك لفنيت فليس لك شأن رؤية المطلق [وَلٰكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ] جبل الحجر او جبل انانيّتك [فَإِنِ اسْتَقَرَّ] الجبل لتجلّى نور من انوار المطلق [مَكٰانَهُ فَسَوْفَ تَرٰانِي] مع جبل حدّك وانيّتك [فَلَمّٰا تَجَلّىٰ رَبُّهُ] الّذى هو المطلق المضاف لا المطلق المطلق [لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ] الله او الرّبّ اوالتّجلّى [دَكّاً] متفتّتاً متلاشياً [وَخَرَّ مُوسىٰ] لاندكاك انيّته [صَعِقاً فَلَمّٰا أَفٰاقَ قٰالَ سُبْحٰانَكَ] عن سؤالى عن مثلك ما ليس لى [تُبْتُ إِلَيْكَ] من سؤالى [وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ] بأنّك لاترى لمثلى .

اعلم ، انّ الادراك حقيقةٌ مشكّكة ذات مراتب متفاوته في الشّدّة والضّعف، ولكلّ مرتبة من مراتبه اسم خاصّ و شرائط خاصّة لحصولها مثلاً ادراك زيد تصوّراً جزئيّاً مرتبة منه ادراكه بالبصر و يسمّى رؤية ، ومرتبة منه ادراكه بالخيال ويسمّى تخيّلاً ، ومرتبة منه ادراكه بالعين المثاليّة في المنام ويسمّى رؤيا ، ومرتبة ادراكه بالعين المثاليّة بالكشف الصّوريّ في عالم المثال ويسمّى كشفاً صوريّاً وشهوداً ، والكلّ ادراك النّفس الانسانيّة لشخص زيد بحيث لا يمكن لاحد ان يقول : انّ زيداً بشخصه غير مدرك في مرتبة من تلك المراتب و التّفاضل بين تلك الادراكات بديهيّ وجدانيّ ، فانّ ادراك الخيال اضعف انواع الادراك واقواها الادراك بالرّؤية والادراك شهوداً بالعين المثاليّ ، وكما يسمّى الادراك البصريّ رؤية يسمّى الادراك الكشفيّ رؤية كما لايخفى ، هذا في التّصوّرات و الادراكات الجزئيّة وهكذا الحال في التّصديقات والادراكات الكلّيّة ، فانّ الحكم بكون الامير في البلد قد يدرك توهّماً ، وقد يدرك شكّاً وظنّاً ، وقد يدرك علماً عاديّاً وتقليديّاً و يقينيّاً برهانيّاً ويقينيّاً شهوديّاً والتّفاضل بينها غير مخفيّ واقواها واتمّها واشدّها هو العلم الشّهوديّ ويسمّى هذا العلم الشّهوديّ في ذلك التّصديق الشّخصيّ رؤية باعتبار، كما يسمّى علماً وشهوداً وعياناً وتصديقاً باعتبارات اُخر، وعلم من ذلك انّ الرّؤية غير مختصّة بالرّؤية البصريّة المشروطة بمقابلة المرئيّ للرّائي اوبحكم المقابلة كالرّؤية في المرآة والماء وبتوسّط جسم مشفّ وعدم القرب المفرط والبعد المفرط وعدم آفة في العين وعمدتها التفات النّفس الى الالة وفعلها ، فانّ الادراك البصريّ صفة النّفس لكن في مقامها النّازل ومرتبة الباصرة بل مقولة على ادراك عين الخيال في عالم المثال كرؤية المكاشفين والنّائمين الرّائين الرّؤيا الصّادقة ، وعلى ادراك عين الخيال في عالم الخيال كرؤية المسرسمين والمبرسمين والنّائمين الرّائين الرّؤيا الكاذبة ، فانّه لايشكّ احد من هؤلاء ولا ممّن اطّلع على عالمهم وكيفيّة ادراكهم انّ مدركاتهم مرئيّات حقيقة وانّه لايصحّ سلب الرّؤية عنها . فالرّؤية في المدركات المتقدّرة الجزئيّة عبارة عن قوّة الادراك وشدّته بحيث لايتصوّر ادراك اتمّ واقوى منه سواء كانت بالآلة المخصوصة ام بغيرها، وسواء كان المدرك مصاحباً للمادّة ام غير مصاحب، فصحّ اطلاق الرّؤية على المتقدّر المجرّد عن المادّة كما يصحّ اطلاقها على المتقدّر المادّيّ ولا اختصاص له بالمادّيّ ، وهذا التّفاضل يجرى في المدركات العقليّة المجرّدة عن المادّة والتّقدّر، فانّ العقول الكلّيّة والملائكة المقرّبين قد يتوهّم وجودها ثمّ يشتدّ هذا التّوهّم فيصير شكّاً ثمّ ظنّاً ثمّ علماً عاديّاً وتقليديّاً ثمّ علماً يقينيّاً برهانيّاً ، فاذا اشتدّ هذا العلم بحيث يخلّص العالم من المادّة وغواشيها ويرفعه عن العالمين ويوصله الى المجرّدات حتّى يشاهدها ويلحق بها صار ادراكه اشدّ مايتصوّر وعلمه عياناً ، فان شئت فسمّ هذا العلم العيانيّ رؤيةً فانّه لامانع من اطلاق الرّؤية بهذا المعنى عليه بل حقيقة الرّؤية وهي الانكشاف التّامّ الّذى لايتصوّر فوقه انكشاف ، وادراك هنا اتمّ واقوى من الانكشاف بآلة البصر وقد عرفت ان لامدخليّة لخصوص آلة البصر في الرّؤية ؛ وهكذا الحال في الحقّ الاوّل تعالى شأنه وصفاته . ثمّ اعلم انّ المعلوم المدرك في اىّ عالم كان لابدّ وان يكون المدرك لذلك المعلوم بذاته اوبآلاته ، ووسائط دركه من سنخ ذلك العالم للزوم نحو من الاتّصال اونحو من الاتّحاد بين المدرك والمدرك كما قرّر في الحكميّات و الفلسفة الاولى ؛ الاترى انّ المدركات المادّيّة الّتى هى من عالم المادّة لا تدرك الّا بآلات مادّيّة كالحواسّ الخمس الظّاهرة ، والمدركات الخياليّة والمثاليّة الّتى هى من سنخ عالم المثال لاتدرك الّا بالحواسّ الباطنة الّتي هى ارفع من عالم المادّة ، والمعقولات الّتى هى ارفع من العالمين لاتدرك الّا بقوّة ليست من سنخ عالم المادّة ولا من سنخ عالم المثال فاذا اريد ادراك العقول لابدّ وان يرتفع المدرك عن العالمين ويصير عقلاً مجرّداً عن المادّة والتقدّر اوينزّل العقول عن عالمها العقليّ و تتمثّل بصور متقدّرة

حتّى تدرك بالمدارك المثاليّة كما فى نزول الملائكة على الانبياء ، فما لم يرتفع الدّانى اولم يتنزّل العالى لايمكن ادراك الدّانى للعالى ، فاذا سأل الدّانى فى دنوّه بلسان حاله اوقاله رؤية العالى فى علوّه فجوابه العتاب على هذا السّؤال والمنع من مسؤله والزّجر على مأموله لسؤاله ماليس له ان يسأل. ثمّ اعلم انّ الانسان من اوّل استقراره فى الرّحم جماد بالفعل وله قوّة الانسانيّة و لمّا كان ضعيفاً غير قابل لقبول اثر العقل جعل البارى تعالى نفس الامّ واسطة فى فيضان نور العقل عليه حتّى اذا استكمل بحيث يستعدّ لقبول فيض العقل بلاواسطة يتولّد وليس له حينئذ من اثر العقل الّا فعليّة المدارك الحيوانيّة الظّاهرة فيتدرّج فى الاستكمال بفيض العقل حتّى يتحقّق فيه طليعة ضعيفة من اشراق العقل، فيدرك البديهيّات الاوّليّة الكلّيّة الّتى من شأنها ان يكون مدركها العقل فيتدرّج فى الاستكمال و يتقوّى تلك الطّليعة حتّى يمكنه اكتساب الكلّيّات فيتدرّج فى ذلك حتّى يعاين مكتسباته فيتدرّج حتّى يتحقّق بها وصار عالماً علميّاً مضاهياً للعالم العينىّ بل عالماً غيبيّاً محيطاً بالعالم العينىّ ، وحينئذ يصير مطلقاً عن قيوده خارجاً من حجبه و حدوده وله استعداد شهود الحقّ الاوّل تعالى لكن اشتداده و ترقيّه الى زمان البلوغ وهو زمان الاستبداد بالرّأى والاستقلال فى الاختيار، وبعبارة اخرى الى زمان يمكنه ادراك خيره وشرّه الاخرويّين كان على الصّراط المستقيم بأسباب آلهيّة لامدخل للعبد فيها ولااختيار له ولذا: قيل كن مع الله كما كنت حتّى كان معك كما كان ، واذا وصل الى مقام البلوغ وكله الله الى اختياره و نبّهه على خيره و شرّه على ألسنة خلفائه الظّاهرة والباطنة واعانه على اختياره الخير وخذله فى اختياره الشّر ، فان ساعده التّوفيق وتداركه جذبة من جذبات الرّحمن وهى خير من عبادة الثّقلين استراح من تعب السّلوك ورفع القلم عنه وصار من الشّيعة الّذين رفع القلم عنهم ، وان وكله الله الى نفسه وخذله باختياره الشّقاء التحق بالشّياطين ، وان وفّقه الله للسّلوك اليه باختياره الخير والتّقوى من الشّرّ، فامّا ان يسلك بقدم نفسه ويتعب نفسه فى السّلوك اليه ، وبعبارة اخرى امّا ان يعبدالله مع بقاء حكم النّفس عليه و فى قيود انانيّته ويسمّى تقرّبه حينئذ بقرب النّوافل وهذا وان اتعب نفسه فى السّلوك و العبادة و جاهد غاية المجاهدة لم يكن له شأنيّة المشاهدة و المواصلة و ليس له الّا الفرقة والمباعدة ، او يسلك الى الله و يعبدالله من غير بقاء حكم النّفس و اثرها عليه و يسمّى تقرّبه بقرب الفرائض وهذا لخروجه من حدود نفسه وقيودها و ارتفاعه عن حجاب انيّته له شأنيّة المواصلة والمشاهدة بل يصير هو الشّاهد والمشهود فى كلّ شاهد ومشهود، والبصير والمبصر والسّميع والمسموع، والاوّل وان كان مستريحاً من تعب السّلوك ملتذّاً بلذّة الشّهود والهاً فى المحبوب ليس له كمال مقام الجمع والتجمّل بالاعوان والجنود ، والثّانى وان كان له جمعيّة وسعة وتجمّل ليست له لذّة المشاهدة والسّرور الاتمّ فهما ناقصان كلّ بوجه ، والثّالث له الكمال الاتمّ والسّرور الابهى والجمال الاجمل لجمعه بين كمال الشّهود والتجمّل بالاعوان والجنود، وله الخلافة الكبرى والرّياسة العظمى ؛ اذا عرفت ذلك فقس قوله تعالى: ولمّا جاء موسى لميقاتنا و كلّمه ربّه قال ربّ ارنى انظر اليك قال لن ترانى ؛ الى قوله تعالى: سبحان الّذى اسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الّذى باركنا حوله لنريه من آياتنا انّه هو السّميع البصير حتّى تعرف مقام محمّد (ص) فى العبادة والسّلوك ومقام موسى (ع) وتعرف انّ موسى (ع) سلك بقدم نفسه لا بربّه و لذلك كان مستحقّاً لجواب لن ترانى ، وانّ محمّداً (ص) سار باسراء ربّه لابسير نفسه ، وانّ محمّداً (ص) هو السّميع لكلّ مسموع فى مرتبته و البصير لكلّ مبصر فضلاً عن نعمة مشاهدة ربّه ورؤية آياته الكبرى كما هو الظّاهر من آخر الآية فانّ الظّاهر عدم الالتفات فى آخر الآية وتطابق ضمير انّه هو السّميع مع ضمير لنريه . ولمّا كان المتبادر الى

فهم العامة من الرّؤية رؤية البصر وهى ممتنعة فى حقّه تعالى وكان حقيقة الرّؤية فى حقّه تعالى غير ممنوعة اختلفت الاخبار فى نفى الرّؤية عنه تعالى و اثباتها له و بما ذكرنا من التّحقيق يجمع بين متخالفات الاخبار فى باب رؤية الحقّ تعالى و عدمها و فى تفسير هذه الآية و من اراد الاطّلاع عليها فليرجع الى الكافى و الصّافى [قَالَ] الله تعالى بعد ما اندكّ جبل انيّته و مات عن انانيّته ثمّ احياه الله بحيوة اخرى غير الحيوة الاولى و استحقّ اعطاء كتاب النّبوّة [يَا مُوسَىٰ إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي] يعنى بما به الرّسالة و لذا جمعه وهو اسفار التّوراة اواحكام التّوراة [وَبِكَلَامِي] اى بشرافة كونك كليماً لى [فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ] من التّوراة او احكام الرّسالة اطلق الاخذ هنا و قيّده فيما بعد و فى قصّة يحيى و فى قصّة رفع الجبل فوق بنى اسرائيل بقوله بقوّة للاشارة الى عدم الحاجة اليها هنا لقوّة الآخذ و عدم حاجة المأخوذ الى قوّة و للاشارة الى قوّة المأخوذ و ضعف الآخذ فى قصّة يحيى و قصّة بنى اسرائيل [وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ] بصرفه لاهله ومنعه من غيراهله ، وروى انّ سؤال الرّؤية كان يوم عرفة واعطاء التّوراة يوم النّحر [وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ] ما يسمّى شيئاً [مَوْعِظَةً] فانّ فى كلّ شيء جهة وعظ ونصح للخير كما انّ فيه جهة كثرة وحجاب عن الخير فكتبنا من كلّ شيء جهة وعظ فى الواح التّوراة اوفى الواح نفسه النّبويّة [وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ] عطف على مجموع من كلّ شيء موعظة لا على موعظة فقط او هو عطف على موعظة ، والمعنى وكتبناله فى الالواح من كلّ شيء تفصيلاً لكلّ شيء ، فانّ البصير المرتفع عن عالم الطّبع بل عن عالم المثال يرى كلّ شيء فى كلّ شيء لكون الكلّ فى ذلك العالم مرائى متعاكسات يترائى كلّ شيء فى ذلك العالم فى كلّ شيء بل نقول : ظاهر الآية كون تفصيلاً معطوفاً على موعظة والقيود المتقدّمة على المعطوف عليه معتبرة فى المعطوف بحكم العطف و قد اشتهر عن الصّوفيّة انّهم يقولون : كلّ شيء فى كلّ شيء [فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ] اى قائلين فخذ الالواح الّتى فيها الموعظة وتفصيل كلّ شيء ، اوخذ الموعظة وتفصيل كلّ شيء ، اومجموع الالواح والموعظة والتّفصيل ولاخذ تفصيل كلّ شيء من كلّ شيء ههنا فى المأخوذ اضاف قوله بقوّة [وَأْمُرْ قَوْمَكَ] بأخذ الالواح والموعظة اوبأخذ احسنها اوبأىّ امر كان [يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا] فى حذف متعلّق الامر وجزم الجواب ايهام سببيّة امره (ع) بأىّ امر كان لاخذ قومه بأحسنها، كأنّه بامره وتوجّهه اليهم يؤثّر فيهم اثراً يفتح بصيرتهم بحيث يميّزون بين الاحسن وغير الاحسن ، وكلّ انسان مفطور على اخذ الاحسن اذا عرفه و فى امثال قوله تعالى لنبيّنا (ص) : قل للّذين آمنوا يغفروا للّذين لا يرجون ايّام الله وقوله تعالى : قل للمؤمنين يغضّوا من ابصارهم دلالة على قوّة نفس نبيّنا (ص) بالنّسبة الى موسى (ع) لايهامه انّ محض تخاطبه (ص) مع المؤمنين امراً كان اونهياً اوحكاية وقصّة يؤثّر فيهم بحيث يصير سبباً لما ذكر بعده من افعالهم الحسنة بخلاف موسى (ع)، فانّه ان امر اثّر والّا فلا . و لمّا كان القوم غير جامعة لجملة المراتب لضيقهم و عدم سعتهم بل كلّ من كان منهم فى مرتبة لم يكن يجرى عليه حكم المرتبة العالية اوالدّانية لضيقه وكان الحسن والاحسن فى حقّه حكم تلك المرتبة وكان حكم المرتبة العالية اوالدّانية فى حقّه قبيحاً امره (ع) ان يأمر قومه ان يأخذوا احسن العظة او احسن الالواح باعتبار ما فيها من الاحكام الّتى هى موعظته تعالى ، فانّ الاحكام فيها كالقرآن متكثّرة مترتّبة بحسب تكثّر المراتب كالانتقام وكظم الغيظ والعفو عن المسيء والاحسان اليه ، فانّ الاحكام الاربعة مذكورة فى القرآن لكن هى مترتّبة حسب مراتب الانسان ويختلف احسنها بحسب اختلاف الاشخاص فى مراتب العبوديّة، فانّ الواقع فى جهنّام

النّفس لايرتضى من المسيء بالانتقام بمثل اساءته بل لايرتضى باضعافها فالاحسن فى حقّه الانتقام بمثل اعتدائه كماقال فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل مااعتدى عليكم ، ومن خرج من تلك الجهنّام فالاحسن فى حقّه كظم الغيظ وترك الانتقام ولكن لا يتصوّر فى حقّه الصّفح و اخراج رين الاساءة من صدره ؛ والاحسن فى حقّ من خرج من حدود النّفس وتوجّه الى حدود القلب الصّفح وتطهير القلب من رين الاساءة ولا يتصوّر فى حقّه الاحسان، وفى حقّ الدّاخل فى بيت الله الّذى من دخله كان آمنا وهو القلب كان الاحسن الاحسان فالمراد باحسنها احسن مايتصوّر ويمكن فى حقّهم ، هذا اذا كان المراد بالاحسن الاحسن الاضافىّ و ان اريد بالاحسن الاحسن المطلق فليخصّص قومه بخواصّه ؛ هذا على ظاهر مفهوم اللّفظ واّلا فالمراد به الولاية فانّها العظة الحسنى والحكم الاحسن حقيقةً والمعنى اتّكل لسعة وجودك واستقلالك فى جميع المراتب مأمور باخذ جميع الاحكام فى جميع المراتب ، ولكنّ قومك لضيقهم وعدم استقلال رأيهم مأمورون بأخذ الاحسن منها وهى الولاية حتّى يحصل لهم بتبعيّة وليّهم سعةٌ واستقلال فى رأيهم فيستحقّوا بذلك الامر بأخذ الجميع وبأحد المعنيين ورد قوله تعالى واتّبعوا احسن ما انزل اليكم من ربّكم ولمّا صار المقام مظنّة ان يقال: ما لمن خرج من الانقياد ولم يأخذ حكم الالواح وعظةً ؟ ـ قال جواباً [سَأُوْرِيكُمْ دٰارَ الْفٰاسِقِينَ] و جزائهم و الخطاب لموسى (ع) و قومه اولمحمّد (ص) وقومه ، ثمّ صار المقام مظنّة ان يقال: ما سبب خروج الفاسق ومَنِ المخرج له؟ ايخرج بنفسه ام يخرجه غيره ؟ ـ فقال [سَأَصْرِفُ] البتّة على ان يكون السّين للتّأكيد او سأظهر يوم القيامة انّ انصراف المنصرف كان بسبب تكبّره بغير الحقّ ، ولمّا كان الاهتمام ببيان سبب الانصراف لا الصّارف لم يقل: انا اصرف بتقديم المسند اليه تقوية للحكم اوحصراً [عَنْ اٰيٰاتِيَ] التّدوينيّة الّتى هى احكام نظام المعاش و حسن المعاد وظهور الآيات التّكوينيّة او عن الآيات التّكوينيّة الآفاقيّة والانفسيّة و اعظمها الآيات العظمى او عن الجميع [الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ] يظهرون الكبر اويتحلون الكبر [بِغَيْرِ الْحَقِّ] فانّ التكبّر بأمره مع المتكبّر صدقة، والتكبّر بكبريائه تعالى كبرياء الحقّ وهما لايمنعان من انقياد الآيات [وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ اٰيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهٰا] من عطف المسبّب على السّبب لتكبّرهم المانع من الاذعان بآياتى [وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً] لادبارهم بتكبّرهم عن سبيل الرّشد [وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً] لاقبالهم على الغىّ، والمراد بسبيل الرّشد والغىّ الاعمال والاخلاق الموصلة اليهما بل نقول: للنّفس طريق الى العقل وهو الرّشد وطرقٌ عديدةٌ الى الجهل وهى الغىّ ، والنّفس برزخ واقع بينهما والاعمال والاخلاق الحسنة من لوازم طريقها الى العقل، وضدّها من لوازم طرقها الى الجهل [ذٰلِكَ] التكبّر الّذى هو سبب الكلّ اوذلك المذكور من الصّرف و التّكبّر وعدم الايمان بالآيات وعدم اتّخاذ سبيل الرّشد واتّخاذ سبيل الغىّ [بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِاٰيٰاتِنٰا] فانّ سبب الكلّ التّكذيب بآياتنا العظمى اومطلق الآيات [وَكٰانُوا عَنْهٰا] من حيث انّها آيات [غٰافِلِينَ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِاٰيٰاتِنٰا وَلِقٰاءِ الْاٰخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمٰالُهُمْ] عطف على مدخول انّ وهو على صورة قياس اقترانىّ من الشّكل الاوّل وصورته هكذا : ذلك بانّهم كذّبوا بآياتنا وكلّ من كذّب بآياتنا حبطت اعمالهم فلا ينتفعون بها حتّى يقرّبهم الى سبيل الرّشد والانقياد للآيات [هَلْ يُجْزَوْنَ إِلّٰا مٰا كٰانُوا يَعْمَلُونَ] كأنّه قيل : حبط الاعمال لايشبه

العدل،فقال: ليس حبط الاعمال الاّ لاجزاء اعمالهم [وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسٰى مِنْ بَعْدِهِ] من بعد ذهابه الى الميقات تعريض بامّة محمّد(ص) يعنى لاتتّخذوا انتم من بعد محمّد(ص) عجلاً معبوداً [مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلاً جَسَداً] و فى ابدال جسداً رفع ايهام انّه كان عجلاً حقيقة [لَهُ خُوارٌ] روى عن الباقر(ع) انّ فيما ناجى موسى(ع) ربّه ان قال: يارب هذا السّامرىّ صنع العجل فالخوار من صنعه ؟ـ قال: فاوحى الله اليه ياموسى (ع) انّ تلك فتنتى فلاتفحص عنها، وعن الصّادق(ع) قال: يارب ومن اخبار الصّنم؟ فقال الله تعالى: ياموسى انا آخرته، فقال موسى(ع): ان هى الاّ فتنتك تضلّ بها من تشاء وتهدى من تشاء ، وعن النّبىّ(ص): رحم الله اخى موسى ليس المخبر كالمعاين ولقد اخبره الله تعالى بفتنة قومه ولقد عرف انّ ما اخبره ربّه حقّ وانّه على ذلك لمتمسّك بما فى يديه فرجع الى قومه ورءآهم فغضب والقى الالواح [أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلاً] تفريع باعتبار ترك التّفكّر [اِتَّخَذُوهُ] صفة سبيلاً اى لا يهديهم سبيلاً جعلوه سبيلاً الى الله او مستأنف اى اتّخذوا العجل الهاً [وَكَانُوا ظَالِمِينَ] فى ذلك الاتّخاذ او من قبيل عطف السّبب [وَلَمَّا سُقِطَ فِى أَيْدِيهِمْ] هذا مثلٌ فى العرب والعجم جميعاً كناية عن غاية النّدم والتّحسّر والعجز عن دفع مايتحسّر على وروده يعنى تدموا وعجزوا عن رفع بليّة عبادة العجل [وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا] اعترافاً بالذّنب وتضرّعاً [لَئِنْ لَمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ وَلَمَّا رَجَعَ مُوسٰى إِلٰى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفاً قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِى] خلفه قام مقامه وعمل فى خلفه ، ومانكرة موصوفة ، اومعرفة موصولة، اومعرفة تامّة، واذا كانت معرفة تامّة كان خلفتمونى حالاً ، وعلى اىّ تقدير فالعائد محذوف والمعنى بئس الّذى خلفتمونى فيه عبادة العجل فعبادة العجل مخصوصة بالذّم ومحذوفة، ويجوز ان يكون مامصدريّة ويكون المعنى: بئس الخلافة خلافتكم لى حيث عبدتم العجل وتركتم امر ربّكم ، ويجوز ان يكون الخطاب لهارون ولمن بقى معه ولم يعبد العجل ويكون المعنى: بئس الّذى خلفتمونى فيه من السّكوت عن نهى العابدين والمعاشرة معهم [مِنْ بَعْدِى أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ] اسبقتم امر ربّكم باتّباعى وانتظار الكتاب السّماوىّ وتركتموه ورائكم، وتعدية عجلتم بنفسه لتضمين مثل معنى السّبق اوالمعنى اسبقتم فى عبادة العجل امر ربّكم فعبدتم العجل من دون امرٍ منه او المعنى اسبقتم امر الرّب بانتظار اربعين ليلة فما لبثتم انقضاء الوعد [وَأَلْقَى الْأَلْوَاحَ] من شدّة الغيظ لله فتكسّر بعضه ورفع بعضه وبقى بعضه كما روى [وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ] لانّه لم يفارقهم ولم يلحق بموسى (ع) بعد ما نهاهم فلم ينتهوا [قَالَ ابْنَ أُمَّ] نسبه الى الامّ استعطافاً لانّ بنى امّ واحدة اقرب مودّة من بنى اب واحد وكان اخاه من اب وامّ وكان اكبر من موسى (ع) بثلاث سنين [إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِى] اعتذر عن تقصيره المتراءى فى منع القوم من عبادة العجل [وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِى فَلَا تُشْمِتْ بِىَ الْأَعْدَاءَ] من غير تقصير لى [وَلَا تَجْعَلْنِى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ] فى نسبة التّقصير الىّ وجعلى مثلهم [قَالَ] بعد الافاقة من غضبه [رَبِّ اغْفِرْ لِى وَلِأَخِى] فيما فرّط منّى فى حقّه ومنه فى حقّ القوم [وَأَدْخِلْنَا فِى رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ] ولمّا فرغ من الاستغفار وطلب الرّحمة صار المقام مقام ان يسأل الله: مالمن عبد العجل؟ـ فقال تعالى جواباً لسؤاله المقدّر: [إِنَّ الَّذِينَ

اتَّخَذُوا الْعِجْلَ] معبوداً [سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّهِمْ] فى الآخرة [وَذِلَّةٌ فِي الْحَيٰوةِ الدُّنْيٰا] بقتلهم انفسهم [وَكَذٰلِكَ] الجزاء من الغضب والذّلة [نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ] فتنبّهوا يا امّة محمد(ص) ولاتفتروا ولاتأخذوا العجل والسّامرىّ خليفة بعد محمّد(ص) والافتراء اعمّ ممّا وقع قولاً اوفعلاً اوحالاً اواعتقاداً ، ولمّا توهّم انّ المفترى جزاؤه ماذكر مطلقاً وصار سبباً لياس اهل المعاصى سيّما على تعميم الافتراء استدركه بقوله [وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئٰاتِ ثُمَّ تٰابُوا مِنْ بَعْدِهٰا] بالتّوبة العامّة النّبويّة و البيعة الظّاهرة ان لم يكونوا من اهل البيعة الظّاهرة اوبالتّوبة الخاصّة الولويّة و البيعة الباطنة ان كانوا من اهل البيعة الظّاهرة او استغفروا بينهم و بين الله وندموا على معاصيهم [وَآمَنُوا] بقبول الميثاق العامّ واحكامه ، اوالميثاق الخاصّ واحكامه ، اوبالبيعة الخاصّة الولويّة ان كان المراد بالتّوبة التّوبة العامّة او اذعنوا بالله ان كان المراد من التّوبة الاستغفار بينهم و بين الله [إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهٰا] من بعد السّيّئات اوالتّوبة [لَغَفُورٌ رَحِيمٌ وَلَمّٰا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ] استعار السّكوت للسّكون اوشبّه الغضب بالامر استعارة تخييليّة [أَخَذَ الْأَلْوٰاحَ] الباقية بعد القائها و انكسار بعضٍ و ارتفاع بعضٍ وبقاء بعضٍ [وَفِي نُسْخَتِهٰا] ما نسخ منها بالكسر و الرّفع اومانسخ وكتب فى الالواح الباقية [هُدىً وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ] فانّهم المنتفعون بالمواعظ دون من استمعها سماع الاسمار [وَاخْتٰارَ مُوسىٰ قَوْمَهُ] من قومه [سَبْعِينَ رَجُلاً لِمِيقٰاتِنٰا] روى عن الرّضا (ع) انّه سئل: كيف يجوز ان يكون كليم الله موسى(ع) بن عمران لايعلم انّ الله لايجوز عليه الرّؤية حتّى يسئله هذا السّؤال؟ فقال: انّ كليم الله علم انّ الله منزّه عن ان يرى بالابصار و لكنّه لمّا كلّمه الله و قرّبه نجيّاً رجع الى قومه فأخبرهم انّ الله كلّمه وقرّبه وناجاه ، فقالوا : لن نؤمن لك حتّى نسمع كلامه كما سمعته وكان القوم سبعمائة الف فاختار منهم سبعين الفاً ثمّ اختار منهم سبعة الآف ثمّ اختار منهم سبعمائة ثمّ اختار منهم سبعين رجلاً لميقات ربّه ، فخرج الى طور سيناء فاقامهم فى صفح الجبل وصعد موسى(ع) الى الطّور وسأل الله ان يكلّمه ويسمعهم كلامه وكلّمه الله وسمعوا كلامه من فوق واسفل ويمين وشمال ووراء وامام ، لانّ الله احدثه فى الشّجرة ثمّ جعله منبعثاً منها حتّى سمعوه من جميع الوجوه، فقالوا: لن نؤمن بانّ هذا الّذى سمعناه كلام الله حتّى نرى الله جهرةً ، فلمّا قالوا هذا القول العظيم واستكبروا وعتوا بعث الله عليهم صاعقة فاخذتهم الصّاعقة بظلمهم فماتوا ، فقال موسى(ع) : يا ربّ ماأقول لبنى اسرائيل اذا رجعت اليهم وقالوا انّك ذهبت بهم فقتلهم لانّك لم تكن صادقاً فيما ادّعيت من مناجاة الله ايّاك؟! فأحياهم وبعثهم معه، فقالوا: انّك لوسألت الله ان يريك تنظر اليه لاجابك فتخبر كيف هو ونعرفه حقّ معرفته فقال موسى(ع): ياقوم انّ الله لايرى بالابصار ولا كيفيّة له وانّما يعرف بآياته ويعلم باعلامه، فقالوا: لن نؤمن لك حتّى تسأله فقال موسى (ع) يا ربّ انّك قد سمعت مقالة بنى اسرائيل وانت اعلم بصلاحهم فاوحى الله اليه : ياموسى(ع) سلنى ماسألوك فلم اؤاخذك بجهلهم، فعند ذلك قال موسى(ع): ربّ ارنى انظر اليك قال لن ترانى ولكن انظر الى الجبل فان استقرّ مكانه وهو يهوى فسوف ترانى فلمّا تجلّى ربّه للجبل بآية من آياته جعله دكّاً و خرّ موسى صعقاً فلمّا أفاق قال سبحانك تبت اليك و انا اوّل المؤمنين [فَلَمّٰا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قٰالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ] اهلاكنا [أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِيّٰايَ] يعنى من قبل وعدى بنى اسرائيل باسماع

كلامك واتياني بهم الى ميقاتك حتّى لايتّهمونى بالكذب واهلاك من جئت بهم الى ميقاتك [أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا] من الجرأة على طلب الرّؤية [إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ] ان العجل و خواره الّا فتنتك على ان يكون مقطوعاً من سابقه على ماروى انّ الله اخبره بضلال قومه بالعجل ، فقال : يا ربّ ان كان السّامرىّ صنعه فمن أخاره؟ فقال: انا، فقال: ان هى الّا فتنتك، اوعلى ان يكون السّبعون المختارون من عبدة العجل اختارهم لميقات التّوبة فاخذتهم الرّجفة لهيبة الله، اوالمعنى ان اسماعهم لكلامك حتّى طمعوا فى سؤال الرّؤية الّا فتنتك اوان الرّجفة منك الّا فتنتك، وتأنيث الضّمير على الوجوه السّابقه لمراعاة الخبر [تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ أَنْتَ وَلِيُّنَا] المتصرّف فى امورنا [فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً] لمّا كان الحسن الحقيقىّ هو الولاية فكلّ ماكان مرتبطاً بالولاية من علم وخلق وفعل فهو حسن بحسنها ، والسّير على طريق الولاية ايضاً حسن بحسنها ، وتسهيل السّير بقوّة الولاية ورفع موانع السّير وقلّة الامتحانات فى الطّريق والذّكر المأخوذ من الامام والاتّصال بملكوت الامام كلّها حسن بحسنها، والتّاء فى الحسنة للنّقل فتفسيرها بالولاية وبالطّاعة وبتوفيقها وبتسهيل السّير ورفع موانع السّير وتقليل الامتحانات ودوام الذّكر و تمثّل صورة الشّيخ كلّها صحيح [وَفِي الْآخِرَةِ] ايضاً حسنة و الحسنة فى الآخرة هو شهود الحقّ تعالى فى مظاهره بمراتبها : ونعم ماقال المولوىّ قدّس سرّه بالفارسىّ فى تفسير الحسنة فى الدّنيا والآخرة :

راه را برما چو بستان كن لطيف مقصد ما باش هم تو اى شريف

[إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ] من هاد يهود اذا رجع [قَالَ] جواباً له: انّ لى سخطاً ورضى وعذاباً ورحمة ولكلّ اهل، فلى ان اعذّب من كان اهلاً للعذاب، وارحم من كان اهلاً للرّحمة [عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ] و لمّا لم يكن المعصية سبباً للعذاب على الاطلاق لم يقل من عصانى [وَرَحْمَتِي] الرّحمانيّة [وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ] لانّها صفة الوجود و الوجود قد احاط بكلّ موجود فى الدّنيا و الآخرة [فَسَأَكْتُبُهَا] اى الرّحمة الرّحيميّة بطريق الاستخدام [لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ] المحرّمات الّتى اصلها اتّباع ائمّة الجور الّذى اصله اتّباع اهواء النّفس [وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ] حقوق المال الحلال وفضول التّمتّعات المحلّلة والالتذاذات المباحة المأموربها بان يتمتّع ويلتذّ ويقلّل منها تدريجاً وقوّة القوى العلّامة والعمّالة بصرفها فى قضاء حقوق الاخوان وعبادة الرّحمن [وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ] وهذه صفات مترتّبة فانّ التّقوى بهذا المعنى مقدّمة على الزّكوة ، والزّكوة الّتى هى تضعيف قوى النّفس مقدّمة على ادراك كون الآية التّدوينيّة اوالتّكوينيّة آية ، والايمان بها بعد درك كونها آية وللاشارة الى انّ الايمان هو المقصد الاسنى كرّر الموصول [الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ] ابدل عن الموصول الاوّل اوالثّانى للاشارة الى انّ الوصف الجامع للاوصاف الثّلاثة هو اتّباع الرّسول [الْأُمِّيَّ] المنسوب الى امّ القرى كما فى الرّوايات اوالمنسوب الى الامّ لكونه لم يكتب ولم يقرأ ولم يحصّل شيئاً من الكمالات الانسانيّة مثل زمان ولادته من امّه [الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرِيَةِ وَالْإِنْجِيلِ] باسمه ونعته وانصاره ومبعثه ومهاجره كما فى الرّوايات، فانّ الانبياء(ع) ولاسيّما موسى (ع) وعيسى (ع) بشّروا به اممهم واثبتوا خبره فى

كتبهم [يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهٰاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ] حال من فاعل يجدونه او مفعوله اوكليهما او المستتر في مكتوباً بتضمين مثل معنى الاتّصاف اى حالكونه يتّصف بالامر لهم بالمعروف اومستأنفة جواب لسؤال مقدّر اونائب فاعل لمكتوباً ، واصل المعروف علىّ (ع) ثمّ ولايته ثمّ التّخلّق باخلاقه ثمّ العلم المأخوذ منه ثمّ العمل بالمأخوذ ، ثمّ النّبىّ (ص) ثمّ اتّباعه ثمّ العلم المأخوذ منه ثمّ العمل بالمأخوذ وهكذا المنكر مقابلوا علىّ (ع) وهذا هو الدّليل التامّ على صدق الرّسول (ص) فى رسالته ، فانّ المعروف والمنكر معلوم اجمالاً لكلّ احد اذا خلّى وطبعه وترك الهوى واتّباعه كما فى حديث؛ اعرفوا الله بالله ، والرّسول بالرّسالة ، واولى الامر بالامر بالمعروف و النّهى عن المنكر [وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبٰاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبٰائِثَ] اصل الطّيّبات علىّ (ع) الى ماتستطيبه الطّباع وتستلذه ، واصل الخبائث من كان مقابلاً لعلىّ (ع) الى ماتستكرهه الطّباع وتستقذره ، ومعنى احلال الطّيّبات و تحريم الخبائث اذا حملت على معانيها الظّاهرة ظاهر ، واذا حملت على معانيها التّأويليّة فمعناهما تسهيل طريق اخذ الطّيّبات وسدّ طريق الوصول الى الخبائث [وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ] الاصر الثّقل والمراد منه ثقل التّكاليف ، فانّ للتّكاليف فى بدو الامر ثقلاً عظيماً بحيث لايكاد يتحمّله المكلّف فاذا اخذها من الرّسول (ص) اوخلفائه يتبدّل ثقلها بالنّشاط والسّرور ، وكمايتبدّل ثقلها بالنّشاط يتبدّل ثقيلها ايضاً بالخفيف الّذى دون طاقة المكلّف فى امّة محمّد (ص) كما فى الاخبار الّتى ورد فى تنزيل الآية [وَالْأَغْلٰالَ الَّتِى كٰانَتْ عَلَيْهِمْ] النّاشئة من الاهوية المختلفة المتكثّرة المانعة لحركة المكلّف نحو ولىّ امره فانّ لكلّ سلسلة تمنعه من الحركة لكنّ الانسان مادام فى الدّنيا لايشاهدها الّا من فتح الله عينيه وصار من اهل الآخرة وهو بعد فى الدّنيا [فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ] بالبيعة العامّة وقبول الدّعوة الظّاهرة [وَعَزَّرُوهُ] عظّموه بمنع الاغيار من ايذائه وبمنع الاهوية الفاسدة والخيالات الكاسدة من الغلبة على اتّباعه وامتثال اوامره ونواهيه ، وبعبارة اخرى بالتّبرى عمّا يخالف امره ونهيه ، فانّ امر محمّد (ص) هو نازلة محمّد (ص) وظهوره فى المرتبة النّازلة وتعظيم امره (ص) ومنع الاهوية المانعة من امتثاله تعظيم له ومنع عنه [وَنَصَرُوهُ] بنصرة امره ودوام الاتّصال به حتّى يلحق امره القالبىّ بامر الولى الّذى هو وارد على القلب ، وبعبارة اخرى بالتّولّى له فانّ التّعزير كناية عن التبرّى والنّصرة عن التولّى الّذين يعبّر عنهما تارةً بالزّكوة والصّلوة ، وتارةً بالتّقوى والايمان ، وتارة بالتبرّى والتّولّى والمفاهيم الظّاهرة من تلك الالفاظ بحسب التّنزيل لاحاجة لها الى البيان [وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِى أُنْزِلَ مَعَهُ] النّور هو الولاية و لذلك فسّر بعلىّ (ع) فانّه الاصل فيها و يعبّر عنها بالنّور لانّ النّور هو الظّاهر بالذّات والمظهر للغير ، والولاية هى الّتى يفتح بها عين القلب فيظهر به الصّحيح من الاعمال والاحوال والاخلاق والعقائد من سقيمها ، وبه ايضاً يظهر دناءة الدّنيا و شرافة الآخرة ، واتّباع الولاية هو آخر مراتب التّكاليف القالبيّة وهو المقصود من البيعة العامّة النّبويّة الّتى يعبّر عنها بالاسلام وهو ما به ارتضاء الاسلام وما به تماميّة نعمة الاسلام وهو اسنى اركان الاسلام واشرفها وهو الّذى ليس وراءه مطلب سواه ، فانّ جميع المراتب الّتى تتصوّر للانسان فى سلوكه مراتب الولاية والمراد بمعيّة النّور لمحمّد (ص) معيّته القيّوميّة ، فانّ الولاية روح النّبوّة وقوامها و لذلك قال (ص) : يا علىّ كنت مع كلّ نبىّ سرّاً و معى جهراً [أُولٰئِكَ] تكرير المبتدء باسم الاشارة البعيدة تعظيم لهم وتصوير لهم باوصافهم الشّريفة الجليلة و حصر للفلاح الحقيقىّ فيهم [هُمُ الْمُفْلِحُونَ قُلْ] يعنى

بعد ما اظهرنا اوصافك و ما به صدق رسالتك فأظهر رسالتك عليهم وقل [يٰاَيُّهَا النّٰاسُ إِنّي رَسُولُ اللّٰهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً] لا اختصاص لرسالتي بقوم دون قوم [اَلَّذي لَهُ مُلْكُ السَّمٰوٰاتِ وَالْاَرْضِ لٰا إِلٰهَ إِلّٰا هُوَ يُحْيي وَيُمِيتُ] ذكر اوصافاً ثلاثة لله مشيراً الى مبدئيته و مرجعيته و مدبّريته والى توحيد آلهيته والى انه الفاعل للحيوة والممات ، ردّاً بها على الدّهرية القائلة بانّ العالم لامبدأ له ، والثّنويّة القائلة بانّ مدبّر العالم مبدء ان قديمان مستقلّان ، النّور والظّلمة اويزدان واهريمن ، والثّنويّة القائلة بانّ مبدء العالم هو الله واهريمن خلق من فكر سيّيء ليزدان ولكن خالق الخير ومنه الحيوة يزدان وخالق الشّر ومنه الموت اهريمن [فَـاٰمِنُوا بِاللّٰهِ وَرَسُولِهِ] مقول قول النّبيّ (ص) اوقول الله تعالى بصرف الخطاب الى النّاس و التّفريع على قول النّبيّ (ص) والمراد بالايمان هنا الايمان العامّ بقرينة قوله لعلّكم تهتدون [اَلنَّبِيِّ الْاُمِّيِّ اَلَّذي يُؤْمِنُ بِاللّٰهِ وَكَلِمٰاتِهِ] التّكوينيّة والتّدوينيّة المعبّر عنه بالايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله الّتي هي اشارة الى مراتب العالم من الملائكة المقرّبين و الصّافات صفّاً و المدبّرات امراً و الملائكة الرّكّع والسّجّد و ذوى الاجنحة مثنى و ثلث و رباع الّتي مقامها الملكوت العليا وعالم الخلق والملكوت السّفلى الّتي هي دار الجنّة والشّياطين وسجن الاشقياء والمذنبين؛ هذا بحسب النّزول، وقد يعبّر عنها بمراتب الولاية والنّبوّة الّتي يعبّر عنها بمائة واربعة وعشرين الف نبيّ وبمائة واربعة وعشرين الف وصيّ كما في الاخبار وهذا بحسب الصّعود ، والمراد بايمانه (ص) بكلمات الله ليس الايمان بالغيب ولا الايمان الشّهوديّ بل الايمان التّحقّقيّ المعبّر عنه بحقّ اليقين فانّه (ص) المتحقّق بجميع المراتب والكلمات [وَاتَّبِعُوهُ] بامتثال اوامره [لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ] الى الولاية جعل الايمان بالنّبيّ (ص) واتّباعه هداية الى الايمان بعليّ (ع) وقبول ولايته (ع) كما في قوله تعالى : قل لا تمنّوا عليّ اسلامكم بل الله يمنّ عليكم ان هديكم للايمان اى لولاية عليّ (ع)، فانّ الايمان المقابل للاسلام هو ولاية عليّ (ع) بالبيعة الخاصّة والميثاق المخصوص كما في اخبارنا ؛ انّ الايمان هو معرفة هذا الامر اوولاية عليّ (ع) اوالدّخول في امرهم [وَمِنْ قَوْمِ مُوسىٰ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ] قد عرفت انّ الحقّ الاضافيّ هو الولاية المطلقة و المتحقّق بها هو عليّ (ع) [وَبِهِ يَعْدِلُونَ] من العدل مقابل الجور وقد ورد في الاخبار، انّ هذه الامّة قوم من وراء الصّين بينهم وبين الصّين وادحار من الرّمل لم يغيّروا ولم يبدّلوا ليس لاحدهم مال دون صاحبه، يمطرون بالليل ويضحون بالنّهار ويزرعون، لايصل اليهم منّا احد ولا يصل منهم الينا وهم على الحقّ [وَقَطَّعْنٰاهُمْ] اى قوم موسى (ع) اى فرّقناهم فرقة فرقة [اِثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبٰاطاً] السّبط القبيلة من اليهود وولد الولد قيل لايثنّى ولا يجمع وجمع بعد اثنتى عشرة لانّه جعله بدلاً لاتميزاً ، اوهو تميز بجعل كلّ واحدة من الفرق اسباطاً، اوبتقدير موصوف مفرد مثل الفرقة والقبيلة ويؤيّد جعله تميزاً باحد هذين الوجهين تأنيث اثنتى عشرة [أُمَماً] بدل اوصفة وسمّى اولاد يعقوب (ع) بالاسباط لانّهم كانوا اثنى عشرة قبيلة كلّهم من اولاد ابنائه الّذين كانوا اثنى عشر، كما سمّى اولاد اسمعيل قبائل (ع) [وَأَوْحَيْنٰا إِلىٰ مُوسىٰ إِذِ اسْتَسْقٰيهُ قَوْمُهُ] في التّيه [أَنِ اضْرِبْ بِعَصٰاكَ الْحَجَرَ] فضرب [فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتٰا عَشْرَةَ عَيْناً] بعدد القبائل حتّى لا يقع بينهم نزاع في الورد [قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنٰاسٍ] اى فرقة من الاسباط

[مَشْرَبَهُمْ وَظَلَّلْنا عَلَيْهِمُ الْغَمامَ وَأَنْزَلْنا عَلَيْهِمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوى] المنّ الترنجبين اوالعسل،والسّلوى طائريسمّى بالسّمانى قائلين [كُلُوا مِنْ طَيِّباتِ ما رَزَقْناكُمْ وَما ظَلَمُونا] فى مظاهرنا و خلفائنا بترك القناعة والاستبدال بالّذى هوادنى [وَلكِنْ كانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ وَإِذْ قِيلَ] عطف على اذاستسقيه اوعطف على اضرب بعصاك اوعلى آمنوا اوعلى اتّبعوابتقديراذكراوذكّراواذكروا،اذقيل [لَهُمُ اسْكُنُوا هٰذِهِ الْقَرْيَةَ] بيت المقدّس [وَكُلُوا مِنْها حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبابَ سُجَّداً نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئاتِكُمْ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ] على مغفرة الخطيئات [فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلاً غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنا عَلَيْهِمْ رِجْزاً مِنَ السَّماءِ بِما كانُوا يَظْلِمُونَ] مضى الآيات وتفسيرها مفصّلاً فى اوّل البقرة [وَاسْئَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كانَتْ حاضِرَةَ الْبَحْرِ] حتّى تذكّرهم سوء عاقبة اهلها لسوء صنيعتهم حتّى يكون نصب اعينهم وتذكرة لقومك [إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ] هو بدل من القرية نحو بدل الاشتمال و المعنى اسئلهم عن حال اهل القرية عن وقت عدوهم والاتيان بالمضارع مع ارادة المضىّ للاشارة الى استمرارهم عليه كانوا يتجاوزون حدودالله فى السّبت ، فانّ السّبت كان عيدهم وكان له حرمة عندهم وكان الاحد عيداً للنّصارى كما كان الجمعة عيداً لمحمّد(ص)، ومن هذا ادّعى الصّابئون انّ انبياء العرب كانوا يعبدون الكواكب، فقالوا انّ محمّداً(ص) كان يعبد الزّهرة ولذا اختارمن الدّنيا النّساء والطّيب لانّهما كانتا منسوبتين الى الزّهرة واختار من الايّام الجمعة لانّها منسوبة اليها ، وكان موسى(ع) يعبدالرّحل ولذا اختارالسّبت، وعيسى(ع) يعبدالشّمس ولذا اختار الاحد [إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ] وكانوا منهيّين عن الصّيد يوم السّبت [شُرَّعاً] ظاهرة قريبة التّناول ابتلاءً لهم [وَيَوْمَ لا يَسْبِتُونَ لا تَأْتِيهِمْ] كانوا مشتاقين الى الصّيد منتظرين تمام الاسبوع ولم يتيسّر لهم فاذاكان يوم سبتهم وكانوا ممنوعين من الصّيد لحرمته و للعبادة فيه تأتيهم الحيتان ظاهرة قريبة بحيث لايمكنهم الصّبر عن الصّيد ؛ أعاذنا الله من امتحانه و ابتلائه [كَذٰلِكَ نَبْلُوهُمْ بِما كانُوا يَفْسُقُونَ] يعنى انّ هذا الابتلاء كان بسبب فسقهم وعصيانهم، والاتيان بالمستقبل لاحضارالماضى اوالمراد انّاكما بلوناهم سابقاً نبلوهم فيمايأتى ، اوالمراد كذلك نبلو امّتك [وَإِذْ قالَتْ] عطف على اذيعدون اوعلى اذتأتيهم والمعنى اذيعدون اذقالت [أُمَّةٌ مِنْهُمْ] من النّاهين الواعظين اومن السّاكتين الغيرالواعظين اومن العاصين قالوا استهزاءً اواعتقاداً [لِمَ تَعِظُونَ قَوْماً اللهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذاباً شَدِيداً قالُوا مَعْذِرَةً إِلىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ] يعنى انّهم و ان كانوا منهمكين فى الفسوق و العصيان لكنّا نؤدّى فى موعظتنا ما علينا من النّهى عن المنكر والتّرحّم على العباد باحتمال القبول وباحتمال نجاتهم من العذاب [فَلَمّا نَسُوا ما ذُكِّرُوا بِهِ] تركوا ما ذكّرهم الواعظون من التّحذير من العذاب او ماذكّرهم الله من حرمة السّبت وحرمة الصّيد فيه [أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ] يعنى الواعظين لانّهم ماكانوا راضين بفعلهم ولا ساكتين عن نهيهم [وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا] انفسهم بترك ما عليهم وارتكاب مالس لهم فى السّبت [بِعَذابٍ بَئِيسٍ] شديد [بِما كانُوا

يَفْسُقُونَ] بسبب فسقهم الّذى هوسبب من جهة القابل لا الفاعل [فَلَمَّا عَتَوْا عَمَّا نُهُوا عَنْهُ] من عطف التّفصيل على الاجمال [قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ] مطرودين عن كلّ خير، عن علىّ بن الحسين (ع) انّه قال: كان هؤلآء قوم يسكنون على شاطئ بحر نهاهم الله تعالى وانبياؤه (ع) عن اصطياد السّمك فى يوم السّبت فتوصّلوا الى حيلة ليحلّوا بها لانفسهم ماحرّم الله ، فحفروا اخاديد وعملوا طرقاً تؤدّى الى حياض يتهيّئ للحيتان الدّخول فيها من تلك الطّرق ولايتهيّئ لها الخروج اذا همّت بالخروج ، فجائت الحيتان يوم السّبت جارية على امان لها فدخلت الاخاديد وحصلت فى الحياض والغُدران ، فلمّا كانت عشيّة اليوم همّت بالرّجوع منها الى اللّجج لتأمن من صائدها ، فرامت الرّجوع فلم تقدر وبقيت ليلها فى مكان يتهيّئ اخذها بلا اصطياد لاسترسالها فيه و عجزها عن الامتناع لمنع المكان لها ، وكانوا يأخذون يوم الاحد و يقولون : ما اصطدنا فى السّبت انّما اصطدنا فى الاحد ، وكذب اعداء الله بل كانوا آخذين لها باخاديدهم الّتى عملوها يوم السّبت، حتّى كثر من ذلك مالهم وثراهم وتلقّموا بالنّساء وغيرهنّ لاتّساع ايديهم به ، وكانوا فى المدينة نيّفاً وثمانين الفاً فعل هذا منهم سبعون الفاً وانكر عليهم الباقون كما قصّ الله ، واسئلهم عن القرية الّتى كانت حاضرة البحر الآية وذلك انّ طائفة منهم وعظوهم وزجروهم ومن عذاب الله خوّفوهم ومن انتقامه وشدائد بأسه حذّروهم فأجابوهم من وعظهم: لم تعظون قوماً الله مهلكهم بذنوبهم هلاك الاصطلام اومعذّبهم عذاباً شديداً، اجاب القائلون هذا معذرة الى ربّكم هذا القول منّا لهم معذرة الى ربّكم اذ كلّفنا الامر بالمعروف والنّهى عن المنكر فنحن ننهى عن المنكر ليعلم ربّنا مخالفتنا لهم وكراهتنا لفعلهم قالوا ولعلّهم يتّقون ، ونعظهم ايضاً لعلّهم ينجع فيهم المواعظ فيتّقوا هذه الموبقة ويحذروا عقوبتها ، قال الله تعالى فلمّا عتوا حادوا واعرضوا وتكبّروا عن قبول الزّجر عمّا نهوا عنه قلنا لهم كونوا قردة خاسئين ، مبعدين من الخير مبغضين ، فلمّا نظر العشرة الالاف و النّيف انّ السّبعين الفاً لا يقبلون لو اعظهم ولايخافون بتخويفهم ايّاهم وتحذيرهم لهم اعتزلوهم الى قرية اخرى وانتقلوا الى قرية من قراهم ، وقالوا نكره ان ينزل بهم عذاب الله ونحن فى خلالهم ، فأمسوا ليلة فمسخهم الله كلّهم قردة وبقى باب المدينة مغلقاً لايخرج منه احد ولا يدخله احد ، وتسامع بذلك اهل القرى فقصد وهم وسموا حيطان البلد فاطّلعوا عليهم فاذا هم كلّهم رجالهم و نساؤهم قردة يموج بعضهم فى بعض ، يعرف هؤلاء النّاظرون معارفهم و قراباتهم وخلطائهم يقول المطّلع لبعضهم: انت فلان وانت فلانة فتدمع عينه ويومى برأسه اوبفمه بلااونعم ؛ فمازالوا كذلك ثلاثة ايّام ثمّ بعث الله تعالى مطراً وريحاً فحرفهم الى البحر ومابقى مسخ بعد ثلاثة ايّام ؛ وانّما الّذين ترون من هذه المصوّرات بصورها فانّما هى اشباهها لاهى بأعيانها ولا من نسلها [وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ] عطف على اذيعدون او على اذ تأتيهم او على اذ قالت امّة اوعطف على اسئلهم بتقدير اذكر اوذكّر و تأذن واذّن من باب التّفعيل واذنه من الثّلاثىّ المجرّد واذن به بمعنى اعلم وكثر استعمال اذن مخفّف العين بمعنى علم واباح ورخّص وجاء تأذّن بمعنى اقسم [لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ] على العادين يوم السّبت او على اليهود مطلقاً بفعل العادين [إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ] يكلّفهم [سُوءَ الْعَذَابِ] بالقتل والاذلال بالجزية والاجلاء كما فعل بخت نصّر ومن بعده ومحمّد (ص) [إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ] فلا ينبغى الاغترار بحلمه [وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ] لمن ارعوى عن غيّه وتاب اليه [وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَماً] متفرّقين بحيث لا يخلو مملكة منهم و الاغلب انّهم اذكلاء عند غير مذهبهم

[مِنْهُمُ الصّٰالِحُونَ] جملة مستأنفة اووصفيّة اوحاليّة ومنهم مبتدء سواء كان من اسماً اوقائماً مقام الموصوف المبتدء او خبر مقدّم [وَمِنْهُمْ دُونَ ذٰلِكَ] منهم مبتدء كماسبق اومنهم خبر مقدّم والمبتدء محذوف اى منهم ناس دون ذلك اى منحطّون عن الصّلاح سواء لم يكونوا كافرين اوكانوا كافرين، ويكون المراد بقوله فخلف من بعدهم خلف انّهم صاروا بعد جميعاً كافرين اوالمراد بمن دون ذلك من لم يبلغ درجة الكفر [وَبَلَوْنٰاهُمْ بِالْحَسَنٰاتِ] السّعة والدّعة والامن والصّحة [وَالسَّيِّئٰاتِ] ضدّ ذلك المذكور [لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ] من غيّهم كماهو ديدننا فى هداية من اردنا هدايته [فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ] ذووشرّ على ما قيل انّه بالتّسكين لذوى الشّرور وبالتّحريك لذوى الخيرات ، وهوتعريض بامّة محمّد(ص) حيث كانوا فى عهده امّاصالحين واماّ دون ذلك وبعده صاروا آخذين بعرض الدّنيا مغترّين بغرور النّفس مع انّه(ص) اخذ عليهم الميثاق بان لايستبدّوا بآرائهم ولا يقولوا على الله الّا الحقّ ولا يفارقوا الكتاب وعترته (ص) [وَرِثُوا الْكِتٰابَ] اى كتاب النّبوّة و احكامها اوالتّورية على تنزيله وظاهره [يَأْخُذُونَ عَرَضَ هٰذَا الْأَدْنىٰ] من الدنوّ اوالدّناءة يعنى العرض الّذى هوعبارة عن متاع الدّنيا فانّه عارض وزائل لامحالة والجملة امّاصفة بعدصفة والاختلاف مع الاولى للاشارة الى استمرارهم فيه ، اوحال من خلف لاختصاصه بالصّفة، اومن فاعل ورثوا، اوجواب لسؤال مقدّر كأنّه قيل: مافعلوا بوراثة الكتاب؟ـ فقال: يأخذون وعلى اىّ تقدير فالمقصود ذمّهم على انّهم جعلوا الكتاب الّذى هو سبب لاخذ النّعيم الابدىّ والفوز بخير دار البقاء وسيلة لعرض الدّنيا الزّائل لحمقهم، فانّ اسناد الاخذ الى الخلف المقيّد بوراثة الكتاب يشعر باعتبار الحيثيّة؛ فالويل ثمّ الويل لمن انتحل الاحكام النّبويّة وجعلها وسيلة الى الاعراض الدّنيويّة كاكثر العامّة الّذين ادّعوا العلم و الفقاهة وانتحلوا الشّرع والوراثة [وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنٰا] فانّ النّفس فى توسّلها الى مشتهياتها تستدعى وجهاً لاطمينانها فيهافتارةً تقول: لاثواب ولاعقاب ولا آخرة ان هى الّا حيوتنا الدّنيا ، وتارةً تقول: انّ الله كريم، وتارةً تقول: ليس العذاب الّا ايّاماً معدودة، وتارةً تقول: من انتسب الى نبىّ(ع) لايعذّب ولوجاء بذنوب اهل الدّنيا ، وتارةً تقول : محبّ علىّ(ع) لايدخل النّار وحبّ علىّ(ع) حسنة لاتضرمعها سيّئة ولاتدرى انّها كلّها غرور وماتوهمته انتساباً الى نبىّ اومحبّة لعلىّ(ع) انتساب الى الشّيطان ومحبّة له ؛ اعاذنا الله من شبهات انفسنا [وَإِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِثْلُهُ يَأْخُذُوهُ] يعنى ليس قولهم سيغفر لنا الّا عن غرور النّفس فانّ راجى المغفرة يرعوى عمّا ينافيها [أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثٰاقُ الْكِتٰابِ أَنْ لَا يَقُولُوا عَلَى اللّٰهِ إِلَّا الْحَقَّ] يعنى انّ وراثة الكتاب تستدعى الخوف من الله لا الاغترار به فانّ ميثاق الكتاب اى العهود الّتى تؤخذ عليهم بالبيعة العامّة النّبويّة ان لايغترّوا بالدّنيا ولا يقولوا على الله الّا الحقّ [وَدَرَسُوا] تعلّموا وتعاهدوا [مٰا فِيهِ] من الوعد والوعيد [وَالدّٰارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ] يعنى انّ الافتتان باعراض الدّنيا يتصوّر لغفلتهم عن مفاسدها وسكوتنا عن بيانها وقد بيّناها ونبّهناهم عليها، اولرجحانها على متاع الآخرة وليس كذلك، اوللحمق وعدم العقل و اليه اشار بقوله [أَفَلَا تَعْقِلُونَ] او لانّ التّمسّك باحكام الكتاب و الاتّعاظ بمواعظها يصير ضائعاً عندنا [وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتٰابِ] اى كتاب النّبوّة بالبيعة الاسلاميّة [وَأَقٰامُوا الصَّلٰوةَ] بالبيعة الولويّة [إِنّٰا لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ] وضع الظّاهر موضع المضمر اشارة الى انّ التّمسّك بالكتاب والولاية مصلح

لا محالة فعلى هذا قوله تعالى و الدّارالآخرة (الى آخرها) جملة حاليّة والّذين يمسّكون بالكتاب عطف عليه و الاحتمالات الاخر فى تركيبها بعيدة عن سوق الكلام [وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ] رفعناه بالقلع [فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ] سقف يظلّلهم [وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ] استعمال الظّنّ مع انّهم كانوا متيقّنين لوقوعه لكونه معلّقاً وليس من عادة الاثقال ان تقف معلّقة لانّهم كانوا اصحاب النّفس وليس من صفة النّفس الّا الظّنّ وان كان متيقنة اولانّهم لمّا علموا انّه كان باعجاز احتملوا ان يقف باعجاز ايضاً ولايقع عليهم [خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ] على تقديرالقول يعنى قائلين خذوا التّوراة واحكامها بقوّة وعزم من قلوبكم وامتثلوا احكامها بقوّة من ابدانكم [وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ] من العبر والاحكام [لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ] موبقات النّفس، عن الصّادق(ع) لمّا انزل الله التّوراة على بنى اسرائيل لم يقبلوه فرفع الله عليهم جبل طور سيناء فقال لهم موسى(ع) ان لم تقبلوا وقع عليكم الجبل فقبلوه وطأطأوا رؤسهم وقد مضى فى سورة البقرة [وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ] وقرئ ذرّيّاتهم، **اعلم**، انّ آدم قد يقال على آدم ابى البشروقد يقال على معنى موجود فى كلّ بشروقديقال على معنىً اعمّ منهما و بهذا المعنى يقال: آدم الملكىّ، وآدم الملكوتىّ وآدم الجبروتىّ، وآدم اللّاهوتىّ، وبهذا المعنى ورد فى بعض خطب مولانا أميرالمؤمنين(ع): انا آدم الاوّل، وذلك لانّ كلّ ما فى عالم الطّبع وعالم الكثرة فله صورة ومثال بنحو الكثرة والتّفصيل فى عالم المثال بحيث لورآه راءٍ لقال: هو هوبعينه من غيرفرق و تميز وله حقيقة فى عالم العقول العرضيّة و ارباب الانواع وله حقائق فى عوالم العقول الطّوليّة بنحو اتمّ وابسط ممّا فى هذا العالم ويعبّرعمّا فى تلك العوالم بالدّرّ، وكلّ ما وجد فى ما فوق عالم الطّبع فكلّه علم وشعوروسمع وبصرونطق، بخلاف ما فى هذا العالم فانّ شعوره وسمعه وبصره ونطقه بآلات متمايزة ليس فى موضع السّمع بصر ولا فى موضع البصرسمع و نطق. **ثمّ اعلم**، انّ المراتب النّازلة كلّ بالنّسبة الى مافوقه رقائق وذرار وظهور له بنحوالكثرة والتّفصيل لكنّه فى عين التّفصيل اخفى منه واضعف والعالى فى عين اجماله اتمّ واشدّ واظهر و احقّ بالاسم المطلق عليه، فآدم اللّاهوتىّ الّذى يعبّر بالحقيقة المحمّديّة (ص) والحقّ المخلوق به والاضافة الاشراقيّة اشدّ ظهوراً واحقّ باسم آدم من آدم الجبروتىّ وهكذا الى آدم النّاسوتىّ وبنوآدم فى كلّ مقام هم المنتسبون اليه بلاواسطة مثلاً بنوآدم اللّاهوتىّ مافى عالم العقول الطّوليّة من التعيّنات الآدميّة، وبنوآدم الجبروتىّ ما فى العقول العرضيّة وبنوآدم فى تلك المرتبة الصّورالمثاليّة، وبنوآدم المثالىّ الملكوتىّ الصّورالملكيّة البشريّة، وبنوآدم البشرىّ المنسوبون اليه بلاواسطة اوبواسطة، وبنوآدم فى العالم الصّغير المدارك والقوى البشريّة و ذرّيّة بنى آدم فى كلّ مرتبة ما يليق بتلك المرتبة كما لا يخفى على البصير، و التّعبير بظهر بنى آدم دون ظهر آدم كما فى الاخبار، لانّ آدم اللّاهوتىّ لبساطته و وحدته له وحدة حقّة ظلّيّة لايتصوّرفيه كثرة حتّى يتصوّرله ذرارولاجهة وجهة حتّى يتصوّرله ظهروبطن **وايضاً** الاقتصارعلى ظهر آدم يوهم الاختصاص بآدم ابى البشر ولمّا كان سلسلة النّزول بمنطوق صحيحة ماورد: انّ الله خلق العقل ثمّ قال له: أقبل اى الى الدّنيا والدّارالسّفلى؛ فأقبل، متوجّهاً عن الحقّ الاوّل تعالى الى العالم الاسفل كان المنظورالية والمترائى فيه فى كلّ مرتبة هو ظهرها، **وايضاً** لمّا كان كلّ مرتبة بالنّسبة الى دانيها ظهوره بنحواتمّ واشدّ قال: من ظهور بنى آدم بخلاف سلسلة الصّعود فانّها بحكم قوله ثمّ قال له: أدبراى عن الدّنيا فأدبر كان المنظورفيه منها هوالبطن منها، **وايضاً** كلّ دان بالنّسبة الى العالى بطن ومحلّ اختفاء ولذا اطلق البطن فى سلسلة الصّعود اخرجناكم من بطون

امّهاتكم؛والتّسعيد سعيد فى بطن امّه،والتّعبير بأخذنا فى النّزول واخرجنا فى الصّعود لايخفى وجهه [وَأَشْهَدَهُمْ عَلٰى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قٰالُوا بَلٰى شَهِدْنٰا] وبعد ما علمت انّ الاشياء كلّها خصوصاً مافوق عالم الطّبع بالنّسبة الى الله تعالى كلّها علم وشعور وسمع وبصر ونطق لايبقى لك التّأمّل فى انّ الاشهاد والاسماع والاقرار كلّها على حقائقها اللّغويّة بل الاحقّ بحقائقها هومافيما فوق عالم الطّبع ولاحاجة لك الى تأويلات المفسّرين وتكلّفاتهم ومجازاتهم [أَنْ تَقُولُوا] كراهة ان تقولوا [يَوْمَ الْقِيٰمَةِ إِنّٰا كُنّٰا عَنْ هٰذٰا غٰافِلِينَ أَوْ تَقُولُوا إِنَّمٰا أَشْرَكَ آبٰاؤُنٰا مِنْ قَبْلُ وَكُنّٰا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنٰا بِمٰا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ] يعنى اشهدناكم و حملناكم على الاقرار هناك لكى تستقلّوا بالتّكليف وتتنبّهوا بالرّبوبيّة فلا تكونوا غافلين ههنا ولا تابعين ولا معلّقين سوء فعالكم على غيركم [وَكَذٰلِكَ] التّفصيل بالقول وبالفعل [نُفَصِّلُ الْآيٰاتِ] التّكوينيّة فى مراتب التّكوين وفى كتاب التّدوين [وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ] عطف على كذلك نفصّل الآيات و سوّغ عطف الانشاء على الخبر تضمّنها للتّعليل كأنّه قال: لذلك تفصّل الآيات لرجوعهم [وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنٰاهُ آيٰاتِنٰا] التّبويّة على لسان نبيّنا (ص)، اوآياتنا الولويّة على لسان خليفته، اوآياتنا الآفاقيّة الغير التّبويّة والغير الولويّة، اوآياتنا الانفسيّة الّتى شاهدها و ادراك حيثيّة كونها آيات من الآيات المنذرة والمبشّرة الجارية على السنة خلفائنا والواردة عليه ممّا ليس بقدرته واختياره والواقعة فى المنامات والواقعات و المنبّهة من اختلاف الحالات، والغرض من التّلاوة عليهم تذكيرهم بسوء عاقبة المنسلخ حتّى يتذكّروا ويكونوا على حذر فلاينسلخوا عن الآيات التّبويّة والاحكام الشّرعيّة ولايعرضوا عن خليفته محمّد (ص) والمنصوب بعده لهدايتهم، ونزول الآية فى بلعم بن باعوراكما فى اخبارنا اواحد علماء بنى اسرائيل اواميّة بن ابى الصّلت رجا لكثرة علمه واطّلاعه على الكتب السّماويّة ان يكون هوالنّبىّ الموعود فلمّا بعث محمّد (ص) حسده وكفر به كما قيل [فَانْسَلَخَ مِنْهٰا] بترك العمل بمقتضاها و الغفلة عنها [فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطٰانُ] جعله تابعاً لنفسه بعد انسلاخه من الآيات الّتى هى الشّهب المتبعة للشّيطان والتّفسير بلحقه وادركه ايضاً مناسب لهذا المقام ؛ مثله فى قوله تعالى فاتبعه شهاب ثاقب بمعنى لحقه و ادركه و قد جاء فى اللّغة بمعنى جعله تابعاً [فَكٰانَ] اى صار و التّعبير بكان للاشارة الى تمكّنه فى الغواية كما انّ لفظة [مِنَ الْغٰاوِينَ] ايضاً كذلك [وَلَوْ شِئْنٰا لَرَفَعْنٰاهُ بِهٰا] بالآيات ولمّا توهّم من لفظة انسلخ منها ولفظة فأتبعه الشّيطان انّه لادخل لله ومشيّته فى الانسلاخ واتّباع الشّيطان استدرك ذلك الوهم وقال : ان مشيّتنا هى السّبب الفاعلىّ وما من قبله هوالسّبب القابلىّ والسّبب الفاعلىّ وان كان تامّاً لكنّه لم يقع جزافاً بل بحسب استعداد القابل وما استعدّ المنسلخ للارتفاع [وَلٰكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ] ارض الطّبع وبعدها الى ارض الطّين لقضاء مشتهيات عنها [وَاتَّبَعَ هَوٰاهُ] من قبيل عطف السّبب على المسبّب فشئنا غوايته و ضلاله فأضللناه [فَمَثَلُهُ] بعد ما اخلد الى الارض فى شدّة تعبه وكثرة حركته لتحصيل مأموله من الارض لتسكين حرارة حرصه وعدم الانتفاع فى تسكين الحرص [كَمَثَلِ الْكَلْبِ] الّذى وقع فى الحرّ الشّديد فلهث وأخرج لسانه وفتح فاه لكثرة التنفّس لتسكين حرارة القلب ولم ينفعه ذلك بل يضاعف حرارته لكثرة وصول

الهواء الحارّ الى قلبه فقوله [إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ] فى موضع حال مقيّدة للكلب باخسّ احواله، روى عن الرّضا(ع) انّه اعطى بلعم بن باعوراء الاسم الاعظم وكان يدعوبه فيستجيب له ، فمال الى فرعون فلمّا مرّ فرعون فى طلب موسى(ع) واصحابه قال لبلعم: ادع الله على موسى(ع) واصحابه ليحبسه علينا ، فركب حمارته ليمرّ فى طلب موسى(ع) فامتنعت عليه حمارته فأقبل يضربها فأنطقها الله عزّوجلّ فقالت: ويلك على ماذا تضربنى ؟ ! اتريدان اجيء معك لتدعو على نبيّ الله وقوم مؤمنين !- فلم يزل يضربها حتّى قتلها وانسلخ الاسم الاعظم من لسانه ، ونسب الى الرّواية انّ قومه سألوه ان يدعو على موسى(ع) ومن معه ، فقال: كيف ادعو على من معه الملائكة فألحوّا عليه حتّى دعا عليهم فبقوا فى التّيه ، ونقل انّه لمّا دعا على موسى(ع) خرج لسانه فوقع على صدره وجعل يلهث كالكلب [ذٰلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِاٰيٰاتِنٰا] اشارة الى التّعميم فكلّ مكذّب بآيات الله هذا مثله [فَاقْصُصِ الْقَصَصَ] على اليهود وغيرهم كما عرفت انّ المقصود تنبيه امّة محمّد(ص) [لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ] فى مآل افعالهم واحوالهم [سٰاءَ مَثَلاً الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِاٰيٰاتِنٰا] التّكرار للمبالغة فى ذمّهم وللتّطويل المناسب لمقام التّهديد [وَأَنْفُسَهُمْ كٰانُوا يَظْلِمُونَ] كأنّه توهّم متوهّم ممّا رأى من تشديد الله عليهم أنّهم ظلموا الآيات بالتّكذيب فقال: ماظلموا (الآيات) ولكن انفسهم كانوا يظلمون وأسقط المعطوف عليه لاستفادته من الحصر المستفاد من تقديم المفعول [مَنْ يَهْدِ اللّٰهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضْلِلْ فَأُولٰئِكَ هُمُ الْخٰاسِرُونَ] استدراك لما توهّم من نسبة الاخلاد الى الارض واتّباع الهوى والتّكذيب اليهم من انّ الافعال منسوبة اليهم ، نسبة الفعل الى الفاعل واختلاف القرينتين بالافراد والجمع وتكرار المبتدأ وعدمه لكون المقام مقام التّهديد ومناسب مقام التّهديد الاكتفاء فى جانب الوعد والرّحمة بأقلّ مايكتفى به ، وتعجيل الانتقال الى المهدّدين والتّغليظ والتّطويل فيهم وللاشارة الى اتّحاد المهتدين واختلاف الضّالّين [وَلَقَدْ ذَرَأْنٰا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ] ولرفع توهّم الجبر وتوهّم ان لامدخل للعبد فى ذلك كما يدلّ عليه ذرأنا قال: فعلنا ليس اجباراً منّا بل [لَهُمْ قُلُوبٌ لاٰ يَفْقَهُونَ بِهٰا] فبعدم استعدادهم وعدم استحقاقهم ادخلناهم جهنّم ، ولمّا كان التّفقّه عبارة عن علم دينى يتوسّل به الى علم آخر كما مضى ولم يكن علومهم وان كانت كثيرة دقيقة باعثة لترقّيهم فى طريق القلب والآخرة نفى الفقه عن قلوبهم [وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاٰ يُبْصِرُونَ بِهٰا] من الاشياء مايدلّ على الله ومبدئيّته ومعاديّته فى عين حدّتها [وَلَهُمْ اٰذٰانٌ لاٰ يَسْمَعُونَ بِهٰا] من الاشياء و الاصوات ما ينفعهم فى آخرتهم فى عين حدّتها فى سماع الاصوات ولايسمعون اصوات الاشياء التى تنادى كلّا ليلاً ونهاراً ان : لا تقم فى دار طبعك ، ولاتنم فى مسبعك ، واستعدّ من يومك لغدك [أُولٰئِكَ كَالْأَنْعٰامِ] فى عدم التّفقّه واشتداد العلم و فى عدم ابصار ما ينبغى ان يبصر من المبصرات ، و عدم سماع ما ينبغى ان يسمع من المسموعات ، بل مداركهم موقوفة على درك اسباب التّعيّش فى الآجل وان كانت فى اعلى مرتبة الدّرك كاكثر الفلاسفة المنكرين للرّسالة المعتقدين انّ الرّسول هو العقل واحكامه هى الشّريعة ، كما انّ مدارك الانعام موقوفة على درك النّافع و الضّارّ فى الآجل [بَلْ هُمْ أَضَلُّ] لانّ ضلال الانعام بالنّسبة الى الانسان ضلال و الّا فهو بالنّسبة الى مقامها هداية فهى باقية على هدايتها التّكوينيّة، وايضاً ضلالها لايتخطّى بها عن مقامها الى ما يوذيها ويؤلمها [أُولٰئِكَ

هُمُ الْغَافِلُونَ] تكرار اسم الاشارة البعيدة لتحقيرهم ولتطويل التغليظ عليهم كما هو المناسب لمقام الذم والجملة تأكيد للاولى باعتبار لازم معناها ولذا لم يأت بالعاطف وأتى بها مؤكدة محصورة، والمقصود ان الغفلة محصورة على الغافل عن دلالة الاشياء على ما هي موضوعة بالوضع الآلهي له لا الغافل عن الجهات الدنيوية، ولا الغافل عن الشعور بالشعور حين مشاهدة شخص او سماع لفظ مع عدم الالتفات الى الرؤية و الى مدلول المسموع فان هذا الغافل لا يستضر بغفلته وان استضر في جهة دنيويته فليس ضرراً يعتنى به بخلاف الغافل عن جهة دلالة الاشياء و جذبها الى الآخرة فانه يتضرر بها البتة ضرراً خارجاً عن التهديد [وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ] الجملة حال من فاعل الافعال الثلاثة على سبيل التنازع و قوله اولئك كالانعام معترضة جواباً لسؤال مقدر او انشاء لذمهم بها، والتقييد بهذه الجملة للدلالة على غاية مذمتهم لان المعقول والمبصر والمسموع اذا لم يكن له جهة سوى المظهرية والاسمية لله ومع ذلك لم ير الرائي منه ما هو مرئي فيه ومدلول له، كان ذلك منه غاية العمى والغفلة بخلاف ما اذا كان ذا جهتين، والمعنى لهم قلوب لا يفقهون من معقولاتهم ومدركاتهم المعقولات الأُخر الاخروية الآلهية ولا ينتقلون منها الى ما يتراءى فيها من الصفات الالهية والحال ان اكثرها وهي الاسماء الحسنى لا جهة لها سوى اراءة الله، لانها مختصة بالله ليس فيها دلالة على غيره وهم يدركون بها غيره لغاية عماهم، ثم اعلم، انه لا اختصاص لاسم الاسم بالاسماء اللفظية ولا بالمفاهيم الذهنية ولا بما دل بالمواضعة، بل يطلق حقيقة على الموجودات العينية لان حقيقة الاسم ما يحكي عن الغير لفظياً كان او ذهنياً او عينياً، كما ورد عنهم: نحن الاسماء الحسنى، وانا الاسم الاعظم ولا اسم لله اكبر مني، وحسن الاسم اما بحسن دلالته او بحسن مدلوله او بحسنه في نفسه مع قطع النظر عن حيثية اسميته ودلالته، كالمرآة فان حسنها قد يكون بحسن اراءتها او بحسن المرئي منها او بحسنها في نفسها فالموجودات العينية والمعقولات الذهنية والاسماء اللفظية كلها اسماء لله كما قرر في محله:

وفي كل شيء له آيةٌ تدلُّ على انه واحدُ

وكلها حسنة باعتبار دلالتها على الله لكنها متفاوتة في الدلالة و في انفسها و بهذا الاعتبار توصف بالاحسنية فالعقول التي هي بشراشرها تحكي عن الله وصفاته واسمائه وهم الملائكة المقربون احسن من النفوس باعتبار دلالتها وباعتبارها في انفسها، والنفوس التي يعبر عنها بالمدبرات امراً لتجردها عن المادة والتقدر احسن من الاشباح النورية، وهي لتجردها عن المادة احسن المادیات وهي احسن من اهل الملكوت السفلي التي هي دار الشياطين والجنة وفيها جحيم الاشقياء، لكن المادیات و السفليات لاحتجابها بحجب المادة ولوازمها وانظلامها بظلمة المادة كأنها لا دلالة لها على الله ولا حسن لها في انفسها فلو سميتها بالاسماء الغير الحسنة او الغير الحسنى، لكان حقاً هذا بحسب سلسلة النزول واما بحسب سلسلة الصعود فخاتم الانبياء (ص) اسم احسن بالجهات الثلاثة لا احسن منه ثم خاتم الاولياء (ع) ثم سائر الانبياء (ع) والاولياء (ع) على تفاوت مراتبهم، فالمعنى ولله خاصة الاسماء التي لا دلالة لها على غيره وهي احسن من غيرها في انفسها [فَادْعُوهُ بِهَا] ولما كان الامر بدعائه تعالى مفروغاً عنه مسلماً عندهم بحيث ما بقي لاحد شك في انه مأمور بدعائه تعالى كان الغرض من تفريعه على تخصيص الاسماء الحسنى به تخصيصه بها اعتباراً لمفهوم القيد في مثل هذا المقام فكأنه قال فادعوا الله بالاسماء الحسنى لا بغيرها من الاسماء التي لا حسن فيها اوليست بأحسن، ولما كان الاسماء اللفظية الآلهية كلها متساوية في انفسها وفي دلالتها، لان الدلالة وضعية في كلها والمدلول في الكل هو الله واسماؤه وصفاته فلا يتصور فيها التفاوت بالحسن و عدمه و الاحسنية و عدمها فليست هي مقصودة منها، و الاسماء النزولية

الّتی مقامها فوق مقام البشر، لمّا لم یمکن التّوسّل بها للبشر لارتفاعها عن مقام البشر وعدم سنخیّة البشر لها فهی ایضاً لیست مقصودة لعدم جواز الامر من الله بالتّوسّل بغیر الممکن ، فبقی ان یکون المقصود الامر بدعائه بتوسّط الاسماء البشریّة الصّعودیّة فکأنّه قال تعالی بعد اعتبار مفهوم القید: فادعوه باسمائه الحسنی من افراد البشر الّتی هی ببشریّتها سنخکم ویمکن لکم التّوسّل بها من الانبیاء (ع) والاولیاء (ع) و خاتم الکلّ و الحاضر فی زمانکم محمّد (ص) وعلیّ (ع) ، فادعوه بهما کما فسّر قوله تعالی : ادعوا الله اوادعوا الرّحمن بهما ؛ ولاتدعوه باسمائه الغیر الحسنی من الاشقیاء وائمّة الجور وخاتم الکلّ والحاضر فی زمانکم مقابلوا محمّد (ص) وعلیّ (ع) وعلی هذا فقوله تعالی [وَذَرُوا الَّذِینَ یُلْحِدُونَ فِی أَسْمَائِهِ] کان بیاناً لمفهوم القید و تأکیداً له ان کان معناه واترکوا دعاء الله بالّذین یلحدون فی اسمائه الحسنی ان جعل الاضافة للعهد اوفی مطلق اسمائه ان جعلت للاستغراق، وان کان معناه اعرضوا عن الّذین یلحدون فی اسمائه ولا تنظروا الیهم والی الحادهم کان تأسیساً یعنی لاتوسّلوا بهم حسب مفهوم القید ولاتنظروا الیهم والی الحادهم بل اجعلوهم کالمعدومات ، والمراد بالالحاد فی الاسماء العدول عنها من حیث انّها اسماء و العدول بها عن اسمیّتها لله و قوله [سَیُجْزَوْنَ مَا کَانُوا یَعْمَلُونَ] یناسب المعنی الثّانی لقوله وذروا الّذین یلحدون [وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ یَهْدُونَ بِالْحَقِّ] قد عرفت ممّا مضی انّ الحقّ المضاف هو الولایة والنّبوّة والرّسالة صورتها [وَبِهِ یَعْدِلُونَ] من العدالة اویسوّون الاشیاء الغیر المتعادلة من قوی انفسهم فی مملکة وجودهم او من غیرها فی خارج وجودهم و قد فسّر هذه الآیة فی اخبار عدیدة بآل محمّد (ص) وأتباعهم وهو قرینة قوله تعالی: ولقد ذرأنا لجهنّم وکان المناسب للمعادلة ان یقول وخلقنا للجنّة امّة یهدون ، ولکن لمّا کان المقام مقام الوعید دون الوعد ناسب تطویل الوعید والاجمال فی الوعد ولذا بسط فی الوعید بذکر الاوصاف العدیدة لاصحاب جهنّم ، واکتفی بهذا القدر لاصحاب الجنّة وانتقل الی التّهدید والوعید وهو معطوف علی جملة ذرأنا باعتبار مناسبة المعنی کأنّه قال : و ممّن خلقنا امّة یستحقّون الجحیم ، و هذه المقابلة تدلّ علی انّ قوله : و لله الاسماء الحسنی من متعلّقات الجمل السّابقة [وَالَّذِینَ کَذَّبُوا بِآیَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَیْثُ لَا یَعْلَمُونَ] الاستدراج الاستصعاد اوالاستنزال درجةً بعد درجة والمراد به هنا الاستنزال ، عن الصّادق (ع) اذا أراد الله بعبد خیراً فأذنب ذنباً اتبعه بنقمة ویذکّره الاستغفار، واذا اراد بعبد شرّاً فأذنب ذنباً فاتبعه بنعمة لینسیه الاستغفار ویتمادی بها وهو قول الله عزّوجلّ : سنستدرجهم من حیث لایعلمون بالنّعم عند المعاصی [وَأُمْلِی لَهُمْ] من املی له امهله ، اومن املاء الله متّعه فیکون دخول اللّام للتّقویة وللاشعار باختصاص الاملاء بهم [إِنَّ کَیْدِی مَتِینٌ] یعنی ماظاهره الاحسان وباطنه الاستدراج والاساءة من الاناسیّ ضعیف ومنّی متین بحیث لایعلم به اصلاً [أَوَلَمْ یَتَفَکَّرُوا] ءانکروا محمّداً (ص) ولم یتفکّروا [مَا بِصَاحِبِهِمْ مِنْ جِنَّةٍ] کما یقولون انّه لمجنون] إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِیرٌ مُبِینٌ] ظاهر اومظهر ان انذاره من الله [أَوَلَمْ یَنْظُرُوا] عطف علی قوله اولم یتفکّروا او علی مقدّر ای اوقفوا عن النّظر ولم ینظروا [فِی مَلَکُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ] ملکوت کلّ شیء باطنه لانّ الملکوت مبالغة فی المالکیّة وباطن کلّ شیء مالک لظاهره کباطن الانسان المسخّر لظاهره بحیث لا یتمکّن من عدم طاعته ، وباطن السّماوات المسخّر لاجرامها فی حرکاتها

المتناسقة وملكوت الارض مثالها فى عالم المثال وهوعالم الملكوت الاعلى ، والمقصود من النّظر فى ملكوتهما النّظر فى دقائق الحكم المودعة فى حركاتها المتناسقة المنتظمة المترتّب عليها كلّيّات نظام العالم و جزئيّاته الّتى لايشكّ العاقل فى انّها ليست من اجرامها من غير علم وشعور، بل لها مسخّر عالم شاعر حكيم واذا عرف الانسان ذلك من السّماوات والارض لم يتوقّف فى معرفة الآخرة ومعرفة الله وصفاته ومعرفة المعاد، وورد الامر بالنّظر فى السّماوات و الارض و آياتهما و آيات الآفاق و الانفس ليؤدّى بالنّاظر الى مدبّرهما و مسخّرهما وملكوتهما [وَمَاخَلَقَ اللّٰهُ مِنْ شَيْءٍ] ممّا يطلق عليه اسم الشّيء كائناً ماكان فانّ فى كلّ شيء آية قدرته وحكمته [وَأَنْ عَسىٰ أَنْ يَكُونَ قَدِاقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ] او لم ينظروا فى انّه عسى ان يكون قد اقترب اجلهم فيستعدّوا له فيميزوا بين ما ينفعهم حين الاجل وبين مايضرّهم ، فانّ تذكّر الموت يعين على التّميز بين الحقّ والباطل وعلى رفع الغشاوة والعمه عن البصيرة [فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ] بعد الاجل [يُؤْمِنُونَ] ولا حديث بعده ولا ينفع نفساً ايمانها لم تكن آمنت من قبل [مَنْ يُضْلِلِ اللّٰهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ] جواب لسؤال ناش ممّاسبق كأنّه قيل: فما بالهم لايؤمنون بعدوضوح الحقّ ويتقنّن الموت؟! [وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ] يتحيّرون [يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ] قد فسّر السّاعة فى رواياتنا بالقيامة وبظهور القائم عجّل الله فرجه وبوقت الموت والكلّ فى العالم الصّغير راجع الى معنىً واحد وهواوّل وقت الموت ، فانّه من مات قامت قيامته ويظهر القائم من آل محمّد(ص) حين الموت على المؤمن والكافر وكذا فى العالم الكبير ، فانّ الانسان بعد طىّ البرازخ سعيداً كان اوشقيّاً تقوم قيامته الكبرى وله اماتة اخرى ويظهر القائم حينئذٍ ظهوراً اتمّ من الظّهور الاوّل ويحاسب النّاس ويدخل اهل الجنّة فى الجنّة واهل النّار فى النّار ، وقوله تعالى : أمتّنا اثنتين و أحييتنا اثنتين ؛ اشارة الى هاتين الاماتتين وهذين الاحيائين ولذا قدّم امتنا والسّاعة بكلا معنييه من الامور الّتى لم يطلع الله عليها احداً من ملائكته المقرّبين وانبيائه المرسلين(ع) واوليائه الكمّلين ، فلايعلمها الّا الله ويقدّم منها مايشاء ويؤخّر فمن ادّعى علمها فهو كذّاب و قد ورد لعن الله الموقّتين ، بل التّحقيق انّ السّاعة خارجة من الوقت واقعة فوق الوقت ليس لها وقت زمانىّ بل هى من الملكوت والزّمان من الملك وتحديد الملكوت بالملك من غاية الجهل و لهذا نسب الله تعالى الى عدم العلم والجهل من سأل عنها [أَيَّانَ مُرْسٰيهٰا] وقوعها سؤال عن توقيت السّاعة [قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي] لانّه استأثره لنفسه [لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا] لا يظهرها فى وقتها [إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمٰوٰاتِ وَالْأَرْضِ] لانّ صغريها وكبريها ترفع الحدود والتّعيّنات وتميت الانيّات وتظهر الحقّ وتبيد الباطل وليست السّماوات والارض وأهلهما الّا التّعيّنات والانيّات الباطلة ولاثقل اثقل ممّا يرفع الشّيء ولا يبقى له اثراً [لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً] من غير تقدّم اثر وعلامة [يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا] يعنى يلحّون فى السّؤال عنك كأنّك ملحّ علينا فى السّؤال عنها [قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللّٰهِ] تأكيد فى الردّ عليهم [وَلٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ] انّها ممّا ليس يبذلها الله لغيره وانّها فوق الوقت لا يمكن توقيتها بوقت [قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعاً وَلَا ضَرّاً] فلا يكون لى الاطّلاع على الغيوب و هو تبرّء من الانانيّة و اقرار بالعجز والعبوديّة ،كما هو شأن العارف بالرّبوبيّة وكناية عن نفى علم الغيب عن نفسه مطلقاً اشارة الى العجز فى قوّته العمّالة و الجهل فى قوّته العلّامة بحسب التّنزّل

الى مقام البشريّة وماكان يظهرمنه من القدرة والعلم بالغيوب ، فانّما هو بحسب جنبته الملكوتيّة الّتى هى من عالم الرّبوبيّة [إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ] ان يملكنى على ظاهره ويعلمنى على معناه المكنّى [وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ] تصريح بالنّفى المكنّى تأكيداً وتحقيق له بالبرهان الحسّىّ على زعمهم فانّهم لايرون خيراً الّا مازعموه خيراً من الاعراض الدّنيويّة [لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ] السّعة فى المال و الصّحّة والسّلامة [وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ] الآفة فى المال وفى الانفس [إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ] للكافرين بقرينة المقابلة مع بشير ، وتقييده بالمؤمنين او مطلقاً كما هو ظاهره لكن للمؤمنين من الجهات النّفسانيّة الّتى تؤدّى الى الكفر و للكفّار من كفرهم [وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ] نفى لجملة الشّؤن عن نفسه واثبات للانذار والتّبشير الّذين هما بأمر الله كأنّه قال: ليس لى شأن الّا امر الله وهو غاية التّوحيد فعلاً وصفةً ، ولمّا كان هذا منه (ص) توحيداً عقبّه تعالى شأنه باشراك آدم وحوّاء فى مخلوقه الّذى لاينبغى الاشراك فيه اشراكاً فى الآلهة ، وهو ينافى توحيد اله العالم الّذى هو دون توحيد الافعال والصّفات ابداءً لفضله (ص) وتقديماً لذمّ اولادهما فى الشّرك فى العبوديّة الّذى هو اقبح من الشّرك فى الآلهة ومستلزم له فقال [هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ] منّاً منه سبحانه بنعمة الوجود واثباتاً لتوحيده فى العبادة ولذا وبّخهم على الاشراك معلّلاً بانّ ماجعلوه شريكاً لايخلق شيئاً [وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا] اذا رءاها من سنخها ، وتذكير ضمير يسكن بلحاظ المعنى ويجوز ان يراد بنفسٍ واحدة ، حوّاء ويكون معنى جعل منها زوجها جعل من سنخها زوجها وهما آدم (ع) و حوّاء (ع) فى العالم الكبير و الجهتان العقلانيّة و النّفسانيّة للانسان اللّتان هما نازلتا العقل فى العالم الصّغير [فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلاً خَفِيفاً] لايظهر اثر ثقله [فَمَرَّتْ بِهِ] استمرّت مع الحمل [فَلَمَّا أَثْقَلَتْ] صارت ذات ثقل [دَعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحاً] فى النّفس والبدن [لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ فَلَمَّا آتَيَاهُمَا صَالِحاً] منّة اخرى عليهما [جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَيَاهُمَا] يدلّ النّعمة بالكفران والوعد بالخلف : **اعلم ، انّ للاشراك بالله مراتب عديدة:** الاوّل ، الاشراك به فى وجوب وجوده كاشراك اكثر الثّنويّة القائلين بانّ للعالم مبدئين قديمين مسمّيين بالنّور والظّلمة اويزدان واهريمن، والثّانى، الاشراك فى الالهة كاشراك بعض الثّنويّة القائل بانّ القديم والواجب الوجود واحد والظّلمة اواهريمن مخلوق منه لكن له الآلهة فى العالم وانّ الشّرور كلّها منه لامن الله ، والثّالث، الاشراك فى العبادة كاشراك اكثر الصّابئين واشراك الوثنيّين والعجليّين وغيرهم ممّن يعبد غير الله من مخلوقاته تقرّباً بها الى الله ، والرّابع، الاشراك فى الوجود كاشراك معظم النّاس الّا من شذّ الّذين لايرون فى الوجود الّا الموجودات المتكثّرة المتقابلة كلّ من الآخر والكلّ مع الله ، والخامس ، الاشراك فى الطّاعة كاشراك من اشرك فى طاعة الانبياء (ع) والاولياء (ع) وخلفائهما طاعة غيرهم من ائمّة الجور وعلماء السّوء والسّلاطين والامراء والحكّام، والسّادس، الاشراك فى المحبّة كاشراك من اشرك فى محبّة الله ومحبّة خلفائه محبّة غيره وكاشراك من اشرك فى المحبّة بان كان مصدرها آلهيّاً ونفسانيّاً اوغايتها آلهيّاً ونفسانيّةً ، والسّابع ، الاشراك فى الولاية وهى اشدّها واعظمها بان اشرك مع وليّ الامر اونبيّ الوقت غيره فى البيعة الخاصّة الولويّة اوالعامّة النّبويّة اواذعن بنبوّة من ليس بنبيّ اوبولاية من ليس له الولاية، فقوله تعالى : ومايؤمن اكثرهم بالله الّا وهم مشركون، المقصود منه احد المعانى السّابقة غير الثّلاثة الاول وكلّ هذه المعانى غير الكفر بالله فى كلّ مرتبة فانّه يقتضى قطع النّظر عن الله واستبداد النّظر الى غيره، ومايجرى فى اهل العالم

الكبير يجرى فى اهل العالم الصّغير من غير فرق ، ومعانى الاشراك غير الثّلاثة الاول وغير المعنى الاخير يجوز اعتبارها ههنا ان كان المراد انّ آدم و حوّاء حقيقةً جعلا له شركاء كما فى الخبر وانّما شركهما شرك طاعة وليس شرك عبادة ، وفى حديث : جعلا للحارث نصيباً فى خلق الله ويناسب الشّرك فى المحبّة بأحد معانيه وقوله تعالى: شاركهم فى الاموال والاولاد يناسب هذا الشّرك والشّرك فى الطّاعة، وان كان المراد انّ اولاد آدم (ع) جعلوا له شركاء فيما آتاهم والنّسبة الى آدم (ع) وحوّاء كانت مجازاً كما فى الخبر ، ويؤيّده قوله تعالى فتعالى الله عمّا يشركون بصيغة الجمع امكن اعتبار جميع اقسام الشّرك ونسبة الشّرك الى اولادهما امّا بطريق المجاز فى الحذف بان يكون فاعل جعلا اولادهما ، لكنّه حذف و اقيم المضاف اليه مقامه اوبطريق المجاز فى الحكم بان يكون المحكوم عليه الاولاد لكنّه نسب اليهما باعتبار انّ الاتباع والاولاد كالاجزاء اوالنّسبة الى الاولاد باعتبار ان يراد الجنس من لفظ صالحاً وحينئذٍ يشمل الذّكور و الاناث ، وضمير جعلا يرجع الى صالحاً باعتبار الصّنفين كما فى الخبر ، ولمّا علم من السّابق انّ الله خالق والخالق لايساوى المخلوق اتى بالفاء الدّالّ على التّسبيب والتّفريع فقال [فَتَعالَى اللّٰهُ عَمّا يُشْرِكُونَ] عن الّذى يشركونه او عن اشراكهم [أَيُشْرِكُونَ مالا يَخْلُقُ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ] توبيخ بوجهٍ آخر فانّ الاوّل باعتبار انّ الخالق المنعم شأنه ان يوحّد ولاينظر معه الى غيره من غير اعتبار وصف للشّريك وهذا باعتبار انّ مالايخلق بل هو مخلوق لاينبغى ان يجعل شريكاً للخالق [وَلا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْراً وَلا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدىٰ لا يَتَّبِعُوكُمْ] ذكر اوصافه مترتّبة فى الذّمّ من الاخسّ فالاخسّ كما هو طريقة المبالغة فى الذّمّ وعلى هذا فمعنى ان تدعوهم الى الهدى الى ان تهدوهم انتم فضلاً عن انّهم يهدونكم [سَواءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنْتُمْ صامِتُونَ] يعنى ما يجعل شريكاً للخالق ينبغى ان يكون خالقاً فان لم يكن خالقاً فلااقلّ من ان يكون مخلوقاً فان كان مخلوقاً فلااقلّ من ان يكون ناصراً لعابديهم، فان لم ينصروا عابديهم فلينصروا انفسهم فان لم ينصروا انفسهم فليتّبعوكم فى الدّعوة الى الهدى فان لم يتّبعوكم فليميّزوا بين الدّاعى وغيره ، فان انتفى ذلك كلّه فليس اشراكه الّا محض حمق المشرك وسفاهته [إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللّٰهِ عِبادٌ أَمْثالُكُمْ] و المعبود لا اقلّ من ان لا يكون عبداً [فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ] ولا اقلّ من السّماع والاستجابة [إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِها] ولا اقلّ من ان يمشى مثلكم [أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِها أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِها أَمْ لَهُمْ آذانٌ يَسْمَعُونَ بِها قُلِ] بعد اتمام التّوبيخ والتّفضيح تحدّياً [ادْعُوا شُرَكاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلا تُنْظِرُونِ] فانّى لاابالى بكم وبشركائكم بعد غاية ضعفكم وضعف شركائكم وقوّة ربّى وحفظه ونصرته [إِنَّ وَلِيِّيَ اللّٰهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتابَ] فى موضع التّعليل والمراد بالكتاب كما عرفت الكتاب المعهود المعروف وهو كتاب النّبوّة والقرآن صورته [وَهُوَ يَتَوَلَّى الصّالِحِينَ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ] لمّا كان التّحدّى باعتبار قوّة الله و ضعف الشّركاء علّله بهما فقوله الّذين تدعون من دونه عطف على مدخول ان [لا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ] والتّكرار باعتبار التّعليل ومطلوبيّة التّكرار فى مقام المبالغة فى الذّمّ [وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدىٰ لا يَسْمَعُوا وَتَراهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ] صرف الخطاب منهم الى محمّد (ص) اشعاراً بانّهم بعد ما ظهر وقاحتهم

وسفاهتهم لاينبغى التّخاطب معهم [وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ خُذِ الْعَفْوَ] شبّه العفو بالوحشىّ الشّارد لتعسّر الاتّصاف به ثمّ استعمل الاخذ فيها استعارة تخييلية وترشيحاً لها والمراد منه اعمّ من الصّفح فانّهما كالفقراء والمساكين اذااجتمعا افترقا، واذا افترقا اجتمعا [وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ] ولمّا لم يكن النّظر الى خصوص المعفوّ عنه والمأمور بالمعروف اسقط المفعول بخلاف الاعراض فانّه مختصّ بالجاهل ولذاقيّده فقال [وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ] وقد فسّر العفو فى الخبر بالميسور من الافعال والاخلاق وبالوسط من الاموال وهو من سعة وجوه القرآن ، اعلم انّ هذه الثّلاث امّهات اخلاق المعاشرة ونتائج امّهات الاخلاق الجميلة النّفسيّة فانّ المعاشر امّا معاند مسيء، وامّا محبّ مقبل، وامّا جاهل غير معاند وغير مقبل؛ وجميع آداب حسن المعاشرة مع المعاند مطويّة فى ترك مقابلة اساءته بالانتقام وهو العفو وتخلية القلب من تذكّر سوء صنيعته وهو الصّفح وهما من نتائج الشّجاعة والعفّة والحكمة الّتى هى من امّهات الخصائل، فانّ الجبان لايمكنه ترك الانتقام وان منع جبنه عن الانتقام فلايمكنه الصّفح، والمتهوّر لايترك الانتقام البتّة والعفيف يمنعه عفّته عن مطاوعة النّفس بخلاف الشّره، والحكيم يرى انّ فى ترك الانتقام راحةً فى العاجل ودرجة فى الآجل وكسراً لسورة عناد المعاند وجذباً للمحبّة والعدالة الّتى هى احدى امّهات الخصائل ايضاً تقتضى ذلك، فانّ اجمال العدالة اعطاء كلّ ذى حقّ حقّه وحقّ النّفس مطاوعتها للعقل وحقّ المسيء اصلاحه حتّى يترك الاساءة لاانتقامه حتّى يزيد فى الاساءة ، وآداب المعاشرة مع المقبل المحبّ مطويّة فى ارادة خيره فى كلّ حال وارادة خيره بان لايتركه ونفسه بل يعرّفه معروفه ويأمره به وهو من نتائج الحكمة والعدالة ، وآداب المعاشرة مع الجاهل الغير القابل للخير عدم معارضته وترك محادثته بخيره وهو من نتائج الحكمة والعدالة ايضاً وفى الخبر: امر الله نبيّه بمكارم الاخلاق وليس فى القرآن آية اجمع لمكارم الاخلاق منها [وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ] ان يغريك او يوسوسك من الشّيطان مغرٍ او موسوس او اغراء او وسوسة حتّى تحرّكك على انتقام المسيء وترك نصح المحبّ ومعارضة الجاهل [فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ] لاستعاذتك اولنزغ الشّيطان وان كان خفيّاً فى القلب [عَلِيمٌ] بعاقبة مايأمرك به اوبكيفيّة دفع نزغ الشّيطان [إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا] ارادوا التّقوى من نزغ الشّيطان اواتّقوا موالاة الشّيطان اواتّقوا تقوى حقيقيّة حاصلة بولاية علىّ(ع) والبيعة الخاصّة الولويّة وعلى اىّ معنى فهو فى موضع تعليل للامر بالاستعاذة [إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ] خطرة و وسوسة لانّ الانسان قلّما ينفكّ منها فكأنّها طائفة بهم ودائرة معهم اوطائفٌ وشيطان من قبل ابليس الابالسة اوخيال من الطّيف بمعنى الخيال [مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا] اوامره تعالى ونواهيه ، اوتذكّروا سوء عاقبة الطّائف ، اوتذكّروا بالتّذكر المأخوذ من ولىّ امرهم ، اوتذكّروا بالفكر الحاصل من التّذكر المأخوذ الّذى هو مثال شيخه [فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ] سوء عاقبة الطّائف او انّ الطّائف من الشّيطان اوجذب الطّائف الى السّفل السّجّين او انّه شيطان يوسوسه من قبل ابليس [وَإِخْوَانُهُمْ] اى والحال انّ اخوان الّذين اتّقوا اواخوان الشّياطين من الانس [يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغَيِّ] من المدّ بمعنى الجذب اومن المدد وقرئ يمدّونهم من الامداد يعنى يغرونهم على مخالفة الامر والمقصود الاشارة الى قوّة التّذكّر بحيث يمنع صاحبه من الغىّ وان كان شيطان الجنّ يغويه وشياطين الانس تجذبه اوتعينه فى غيّه [ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ] لايمسكون من الجذب اوالامداد [وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِمْ بِآيَةٍ] من مقترحاتهم اوبآية من

القرآن فی احکامهم عند مسألتهم [قَالُوا] ای المقترحون اوالمتّقون حرصاً علی اجابة الکفّار الی مقترحاتهم طمعاً فی ایمانهم [لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا] لولا اخترت الآیة المقترحة [قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ مِنْ رَبِّي] ولست اختار من قبل نفسی آیة ومعجزة من مقترحاتکم اوآیة فی احکامکم [هَٰذَا] القرآن اوهذا المذکور من قوله واتل علیهم وهومن جملة المقول له(ص) اومستأنف من الله [بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ] صفة للمجموع [وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا] یعنی اذاقرأ الامام الموثوق به فی الصّلوة القرآن ای الحمد والسّورة وانتم مؤتمّون به کما فی بعض الاخبار، اواذاقرأ الامام موثوقاً به اوغیر موثوق به فی الصّلوة وانتم مؤتمّون به ، اواذاقرئ القرآن مطلقاً سواء کان القاری اماماً اوغیر امام وسواء کنتم مؤتمیّن اوغیر مؤتمیّن، وسواء کان القاری مصلّیاً اوغیر مصلٍّ ، وسواء کنتم مصلّین اوغیر مصلّین کما فی بعض الاخبار، و وجه الجمع بین الاخبار المبالغة فی وجوب انصات المستمع فی الصّلوة مؤتّماً حالکون القاری اماماً موثوقاً به وعدم المبالغة فی الوجوب فی غیر الصّورة المذکورة ، او الوجوب فی الصّورة المذکورة والاستحباب فی غیر الصّورة المذکورة کما علیه اصحاب الفتیا ، ووجه اختلاف الاخبار فی باب من اتمّ بالمخالف بالنّهی عن القراءة والامر به اختلاف احوال الاشخاص فی امکان اخفاء القراءة عن المخالفین وعدمه [لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ وَاذْكُرْ رَبَّكَ] المضاف او المطلق عطف علی قوله تعالی : قل انّما اتّبع مایوحی الیّ ، او مستأنفٌ و الامر له (ص) بحیث یشمل امّته او الخطاب عامّ و یصحّ عطفه علی استمعوا اوعلی استمعذ بالله ، اوعلی خذ العفو [فِي نَفْسِكَ] یعنی دون لسانک فانّه المتبادر ، ومقتضی المقابلة مع قوله ودون الجهر من القول، و هواشارة الی الذّکر الخفیّ الذی هومصطلح الصّوفیّة ولذاقدّمه والمراد بالذّکر اعمّ من الذّکر النّقشیّ المثالیّ المأخوذ عن ولیّ الامر ومن الذّکر التّمثالیّ المثالیّ الذی یعبّر عنه بالفکر والحضور، وهوتصوّر مثال الشّیخ عند الذّاکر وهو أبلغ فی الذّکر من النّقشیّ المثالیّ وهو ابلغ من اللّسانیّ الغیر المجهور و هو أبلغ من المجهور ، و یجوز ان یراد بالذّکر فی النّفس مطلق تذکّر الربّ اوتذکّر امره ونهیه عند کلّ فعال ، وقد سبق تفصیل الذّکر واقسامه وفضیلة کلّ قسم منه فی اوّل البقرة عند قوله فاذکرونی أذکرکم [تَضَرُّعًا وَخِيفَةً] ذکر تضرّع اومصدران من غیر لفظ الفعل علی ان یکون المراد من کلّ من التّضرّع والخیفة احد انواع الذّکر او متضرّعاً و خائفاً ، ویحتمل ان یکون قوله تضرّعاً وخیفة مفعولاً له حصولیّاً اوتحصیلیّاً یعنی انّ الرّجاء والخوف من لوازم وجود الانسان ، اومن لوازم وجودك وهما یستلزمان الذّکر اوالرّجاء والخوف بمنزلة جناحی المؤمن لایمکنه السّیر بدونهماوهمالایحصلان الّا بذکر الربّ فاذکره لتحصیلهماوالمقصود من التّضرّع الرّجاء بقرینة مقابلة الخوف فانّ التّضرّع و الابتهال و الالتجاء من متفرّعات الرّجاء والمقصود نفی الغرور بالله و نفی الیأس من رحمة الله والوقوع بین الخوف والرّجاء اللّذین هما من صفات المؤمنین [وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ] یعنی باللّسان من غیر جهر وهو اشارة الی الذّکر الجلیّ الذی هو من مصطلحات الصّوفیّة وامّا الذّکر اللّسانیّ المجهور کما هوشأن القرّاء والقصّاص والعوامّ فقدورد مذمّته ولم یکن من سنّة الصّوفیّة الصّافیّة، فقدوردعن مولینا ومقتدانا ومن به رجاءنا فی عاجلنا وآجلنا امیرالمؤمنین(ع)ورغم انف المعاندین، من ذکرالله فی السّرّ فقد ذکرالله کثیراً

انّ المنافقين كانوا يذكرون الله علانيةً ولايذكرونه في السّرّ فقال الله تعالى: يراؤن النّاس ولا يذكرون الله الّا قليلاً [بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ] فى جملة اوقاتك فانّه قديستعمل الغداة والعشيّ ومرادفاتهمافى لسان العرب والعجم فى استغراق الاوقات ، اوالمراد هذان الوقتان لشرافتهما على سائرالاوقات وفراغة الانسان من مشاغله الدّنيويّة والضّروريّات البدنيّة و الالتذاذات النّفسيّة غالباً فى هذين الوقتين [وَلَاتَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ] المنهمكين فى الغفلة ولم يقل : ولا تغفل ، كما هو طريقة المشاكلة فى المقابلة لانّ الانسان قلّما ينفكّ عن حدوث الغفلة [إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ] فى موضع التّعليل للامر والنّهى والمراد من حصل له الحضور عنده من الانبياء(ع) والرّسل(ع)وخلفائهم فى سلسلة الصّعود والملائكة المقرّبين فى سلسلة النّزول [لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ] على سبيل الاستمرار [وَلَهُ يَسْجُدُونَ] استمراراً فان اردت اللّحوق بهم والاتّصاف بصفاتهم فلا تغفل عن ذكره .

سورة الانفال

مدنيّة بأسرها وقيل مدنيّة غير سبع آياتٍ فانّها نزلت بمكّة وهى قوله :
واذيمكربك الّذين كفروا، الى آخرهنّ وهى سبع اوستّ اوخمس وسبعون آيةً

بسم الله الرحمن الرحيم

[يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ] جمع النّفل وهوالزّيادة و قد فسّرت فى بعض الاخبار بما هو مختصّ بالرّسول (ص) والامام (ع) ممّا لايوجف عليه بخيلٍ ولاركابٍ و بطون الاودية والآجام و الاراضى الموات والمعادن وميراث من لاوارث له وغير ذلك ممّا لاشركة لغيره فيه ، وفسّرت فى بعض آخربالغنائم الّتى فيها الخمس للرّسول والبقيّة للمقاتلين ، وورد انّها نزلت فى غنائم بدرٍ حين اختلفوا فيها وتنازعوا وتشاجروا [قُلِ الْأَنْفَالُ لِلّٰهِ وَالرَّسُولِ] لاشراكة لغيرالرّسول فيها فان فسّرت بالغنائم فهى منسوخة بآية التّخميس وان فسّرت بغير الغنائم فهى ثابتة [فَاتَّقُوا اللّٰهَ] ولا تطمعوا فيها ولا تختلفوا ولا تشاجروا ولا تريدوا اصلاح امرالله ورسوله فانّهم كانوا يوم بدرثلاثة اصناف : صنف اغاروا على الغنائم، وصنف تخلّفوا عندرسول الله (ص)،وصنف ذهبوا فى طلب العدوّ، وكان المال قليلاً والنّاس كثيراً وبعضهم ضعفاء وبعضهم اقوياء وكانت اوّل غنيمةٍ أخذوها فتكلّموا فيها و فى كيفيّة قسمتها وتنازعوا فى ذلك [وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ] ما بينكم لا ما بين الله والرّسول (ص) وبينكم فانّه ليس اصلاحه اليكم وذات هى الّتى بمعنى الصّاحبة ثمّ استعملت فى مثل ذات الصّدور وذات بينكم بمعنى ما فى الصّدور ومابينكم لمصاحبة مافى الصّدور وكذا مافى البين لهما [وَأَطِيعُوا اللّٰهَ وَرَسُولَهُ] ولاتكلّموا فيما امره اليهما [إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ] فانّ الايمان يقتضى تسليم أمرالله وتكلّمكم فى امرالله و رسوله (ص) يورث الشّكّ فى ايمانكم [إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ] تعليل لما يفهم من الشّرط من الشّكّ فى ايمانهم او جواب لسؤال ناشٍ من الشّرط كأنّه قال قائل: انكان هؤلآء مشكوكاً فى ايمانهم فمن المؤمن الّذى لايشكّ فى ايمانه؟ فقال : انّما المؤمنون [الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللّٰهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ] لذكره [وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَاناً] لكون قلوبهم خالية عن رين الاهوية فيؤثّر ذكرالله وآياته فيها وقد مضى انّ الايمان له مراتب ودرجات

و انّه يزداد و ينقص [وَعَلٰى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ] عطف على جملة الشّرط والجزاء الواقعة صلة لعدم تقيّده بحين دون حين و للاشارة الى انّ التّوكّل لابدّ و ان يحصل آناً فآناً اتى بالمضارع دون الماضى [اَلَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلٰوةَ وَمِمَّا رَزَقْنٰاهُمْ يُنْفِقُونَ] اشارة الى وصفى الايمان من التّولّى المعبّر عنه بالصّلوة والتّبرّى المعبّر عنه بالزّكوة ، والانفاق وهما اساسا جملة الاعمال الصّالحة البدنيّة وهو بدل من الموصول او مبتدء مستأنف وخبره الجملة الآتية او هو خبر مبتدء محذوف جواباً لسؤال مقدّر [أُولٰئِكَ] الموصوفون بما ذكر ، و الاتيان باسم الاشارة البعيدة لاحضارهم بالاوصاف المذكورة ليكون كالتّعليل للحكم و تعظيماً لهم [هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقّاً] ضمير الفصل وتعريف المسند للحصر والتّأكيد ، يعنى انّ هؤلآء الّذين قرنوا بين صورة الايمان العامّ الّتى هى البيعة مع النّبىّ (ص) بالبيعة العامّة وحقيقته الّتى تظهر بآثاره المذكورة الّتى هى تأثّر القلوب من آثار من آمنوا به وهو من لوازم المحبّة الّتى هى من لوازم صفاته الجماليّة و الاقرار به وتفويض الامور اليه الّذى هو من آثار صفاته الجلاليّة ، هم المؤمنون الّذين لا يشكّ فى ايمانهم لا البايعون بالبيعة العامّة فقط من غير التّحقّق بحقيقته فانّ ايمانهم مشكوك فيه [لَهُمْ دَرَجٰاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ] خبر بعد خبر او حال او استيناف جواباً لسؤال مقدّر [وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ] ذكر اوصافاً ثلاثة لهم هى امّهات مايطلبه الانسان ، الاوّل سعة المقام ولوازمها وللاشارة الى انّ الدّرجات ليست مغايرة لذواتهم بل هى شؤنهم وسعة ذواتهم قال تعالى فى آية اخرى؛ هم درجات ، والثّانى ستر المساوى وما يلحقه منها ، والثّالث وجدان مايحتاج اليه [كَمٰا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ] بالغاية الحقّة الثّابتة و هو اعلاء الدّين و اعزاز المؤمنين و انهزام المشركين او متلبّساً بالحقّ الّذى هو الولاية او متسبّباً عن الحقّ الّذى هو الولاية وهو كلام مستأنف لبيان ضعف يقينهم كما انّ ماسبق ايضاً كان لبيان ضعف يقينهم ، والمراد بالاخراج الاخراج من مكّة او من المدينة لعير قريش وغزو بدر فانّهم كرهوا خروجه لعدم عدّتهم و هو متعلّق بقوله : يجادلونك يعنى كما كرهوا ان اخرجك ربّك من بيتك بالحقّ يكرهون القتال مجادلين فيه كأنّما يساقون حين الذّهاب الى القتال الى الموت ، والاحتمالات الاُخر فى تركيبه بعيدة من سوق الكلام فانّه مسوق لتمثيل حالهم فى كراهة القتال جهلاً بعاقبته بحالهم فى كراهة الخروج جهلاً بعاقبته و فى الاخبار اشارة الى انّه منقطع عمّا قبله منزل وحده [وَإِنَّ فَرِيقاً مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكٰارِهُونَ] الجملة حاليّة [يُجٰادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ] الّذى يستتبع غاية حقّة متحقّقة وهو القتال الّذى به ارتفع امر المؤمنين وتقوّوا بالغلبة واخذ الغنيمة وهو قتال البدر [بَعْدَمٰا تَبَيَّنَ] الحقّ باعلام الرّسول انّ الغلبة لهم ومشاهدة صدق اخباره فى موارد عديدة [كَأَنَّمٰا يُسٰاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ] اى الى الموت وذلك انّه اخبرهم الرّسول (ص) بعير قريش وانّ الله وعدهم عير قريش فخرجوا من المدينة ، ثمّ اخبرهم انّ قريشاً خرجوا لحماية العير وانّ الله وعده النّصرة على قريش فكرهوا معارضة قريش لقلّة عددهم وعددهم فجادلوه فى ذلك لضعف يقينهم [وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللّٰهُ] عطف على بعد ماتبيّن او بتقدير اذكروا عطف على جملة كما اخرجك (الى آخر الآية) فانّه فى معنى اذكروا وقت خروجكم ومجادلتكم كأنّه قال: اذكروا اذ أخرج الله نبيّه (ص) من بيته وكراهتكم له والحال انّ فيما كرهتموه اعلاء كلمتكم واذكروا اذ يعدكم الله [إِحْدَى الطّٰائِفَتَيْنِ أَنَّهٰا لَكُمْ] و تكرهون قريشاً [وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ

ذٰاتِ الشَّوْكَةِ] السّلاح [تَكُونُ لَكُمْ] و هو العير فانّه لم يكن فيها كثرة عدد ولا كثرة سلاح بخلاف قريش فانّ عددهم كان قريباً من الالف وكلّهم كانوا شاكى السّلاح [وَيُرِيدُ اللّٰهُ اَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ] يثبّته و يظهره [بِكَلِمٰاتِهِ] بخلفائه و اتباعهم [وَيَقْطَعَ دٰابِرَ الْكٰافِرِينَ] بالاستيصال بحيث لا يبقى منهم اثر ولا عقب [لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبٰاطِلَ] يعنى انّ نفس احقاق الحقّ هو المطلوب منه لا امر آخر فهو من قبيل ماكان الفعل مطلوباً لنفسه لا مقدّمة لامر آخر فكأنّه قال : يريد الله ان يحقّ الحقّ لنفس احقاق الحقّ [وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ اِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ] ظرف لقوله يريد الله او لقوله كره المجرمون اوبدل من قوله اذيعدكم احدى الطّائفتين بدل الاشتمال فانّ الوعد كان فى المدينة والاستغاثة حين القتال ومشاهدة قلّتهم وعدم عدّتهم وكثرة العدوّ عدّةً وعُدّةً [فَاسْتَجٰابَ لَكُمْ اَنِّى مُمِدُّكُمْ بِاَلْفٍ مِنَ الْمَلٰائِكَةِ مُرْدِفِينَ] بعضهم بعضاً او مردفين لكم من اردفه اذاتبعه [وَمٰا جَعَلَهُ اللّٰهُ] اى الامداد [اِلّٰا بُشْرٰى] اى لكم بانجاز الوعد بالنّصر [وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ اِلّٰا مِنْ عِنْدِ اللّٰهِ] ولكنّكم لضعف يقينكم وتوكّلكم لاتنظرون الّا الى الاسباب ولذا اجرى النّصر بتوسّط الاسباب [اِنَّ اللّٰهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ اِذْ يُغَشّٖيكُمُ النُّعٰاسَ اَمَنَةً مِنْهُ] ظرف لقوله استجاب او لمدّكم او لمردفين او لجعله الله او لتطمئنّ او لقوله من عند الله على الانفراد او على سبيل التّنازع ،ويحتمل ابداله من قوله اذيعدكم وقوله اذتستغيثون بدل اشتمال [وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمٰاءِ مٰاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ] من الحدث والخبث [وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطٰانِ] الجنابة او وسوسته و تخويفه عن العطش، روى انّهم نزلوا فى كثيب اعفر تسوخ فيه الاقدام على غير ماء فناموا فاحتلم اكثرهم وقد غلب المشركون على الماء فوسوس اليهم الشّيطان وقال : كيف تنصرون وقد غلبتم على الماء وانتم تصلّون محدثين وتزعمون انّكم اولياء الله وفيكم رسوله فأشفقوا، فأنزل المطر فمطروا ليلاً حتّى جرى الوادى واتّخذوا الحياض على غدوته وسقوا الرّكاب واغتسلوا وتوضّأوا وتلبّد الرّمل الّذى بينهم وبين العدوّ حتّى ثبتت عليه الاقدام وزالت الوسوسة [وَلِيَرْبِطَ عَلٰى قُلُوبِكُمْ] لمّا كان ربط القلوب تنزيلاً من اشرف خصائل الانسان والمرابطة تأويلاً من آخر مقامات السّلاك كرّر اللّام اشارة الى انّه مغاير مع سابقيه شرفاً و رتبةً و المعنى وليربط المحبّة على قلوبكم اوليربط الولاية الحقيقيّة الّتى هى مثال النّبىّ اوالولىّ على قلوبكم [وَيُثَبِّتَ بِهِ] اى بالمطر تنزيلاً و بالرّبط تأويلاً [الْاَقْدٰامَ] البدنيّة على التّراب لتلبّده و على الدّين لوصولكم الى مطلوبكم [اِذْ يُوحِى رَبُّكَ اِلَى الْمَلٰائِكَةِ] يجوز ان يكون ظرفاً لكلّ من الافعال المذكورة من قوله يغشّيكم الى قوله يثبّت به الاقدام منفرداً اوعلى سبيل التّنازع ، ويجوز ان يكون بدلاً من اذا الاولى ومن اذ الثّانية والثّالثة [اَنِّى مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ اٰمَنُوا] يعنى لست مخالفكم فى التّثبيت حتّى لايتيسّر لكم التّثبيت [سَاُلْقِى فِى قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ] اعانة لكم فى التّثبيت حتّى يتمّ لكم امره [فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْاَعْنٰاقِ] حتّى اطرقوا رؤسهم اوفاقطعوا رؤسهم [وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ] رؤس الاصابع، وتكرار اضربوا واضافة لفظة فوق من التّطويل المطلوب

فی مقام اشتداد الغضب وتنزيل ضرب البنان واضح وتأويله عبارة عن ضرب بنان نفوسهم الخبيثة الّتی بها يتلمون دين الاسلام و عقائد ضعفاء المسلمين [ذٰلِكَ] التّشديد التّشديد عليهم [بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللّٰهَ وَ رَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللّٰهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللّٰهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ذٰلِكُمْ] ايّها الكافرون فهو التفات وهو من باب الاشتغال وتخلّل الفاء بتقدير امّا اوتوهّمها وهو مبتدء محذوف الخبر اى ذلكم لكم اومفعول فعل محذوف اى خذوا ذلكم اوهو اسم فعل بمعنى خذوا لغلبة استعماله بعد حذف الفعل فی هذا المعنی [فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابَ النَّارِ] شأن نزول الآية وقصّة بدر مذكور فی الاخبار ويكفی منها للاطّلاع عليها ما فی الصّافی [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفاً] كثيراً، والزّحف العسكر لانّهم يزحفون اى يدبّون [فَلَا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ] يوم اذ لقيتم الّذين كفروا زحفاً [دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفاً لِقِتَالٍ] طالباً حرفاً من محلّ القتال للتّمكّن من المقاتلة اوللاحتيال مع العدوّ ليتخيّل انّه انهزم ليكيد بالعدوّ [أَوْ مُتَحَيِّزاً إِلَى فِئَةٍ] للاستغاثة بهم [فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللّٰهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ] هذه احدى الكبائر الّتی توعد عليها النّار وهو المسمّی بالفرار من الزّحف، ولمّا ذكر المؤمنين نصرة الملائكة ومعيّته تعالى للملائكة وامره لهم بالضّرب فوق الاعناق وضرب كلّ بنان وتوهّم انّ المؤمنين لادخل لهم فی القتال وفرارهم و ثباتهم ومجاهدتهم و قعودهم متساوية استدرك ذلك التّوهّم ، بانّ فعل الملائكة لا يظهر الّا بالمظاهر البشريّة فانتم وان لم تكونوا فاعلين حقيقة لكنّكم مظاهر فعل الملائكة فاذا لقيتم الّذين كفروا فلا تولّوهم الادبار حتّی يجری قدر الله وفعل الملائكة بتوسّطكم ثمّ اثبت مقتضی نصره بالملائكة وامره ايّاهم بالقتل والضّرب فقال: اذا كان القتل بالملائكة والنّصرة بهم [فَ] انتم [لَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلٰكِنَّ اللّٰهَ قَتَلَهُمْ] ثمّ صرف الخطاب الی نبيّه (ص) وقال [وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلٰكِنَّ اللّٰهَ رَمَى] اعلم، انّ حقّ هذه العبارة الّتی هی فی مقام قصر القلب اوالافراد ان يقال: فانتم لم تقتلوهم ولكنّ الله قتلهم وماانت رميت ولكنّ الله رمی ، ثمّ حقّ القرينتين ان تكونا متوافقتين وقد اختلفتا فی اداة النّفی وذكر المفعول وحذفه ومضیّ الفعل ومضارعته واثباته لمن نفی عنه وعدمه؛ والوجه فی ذلك انّ الانسان له وجهة آلهيّة بها فاعليّته ووجهة نفسيّة بها ينسب الافعال الی نفسه وقد يرتفع عنه بالرّياضات والمجاهدات اذا كان سالكاً الی الله وجهته النّفسيّة بحيث لا يری من نفسه اثراً فی البين ولا يری فی الوجود الّا الله ووجهته ، فحينئذٍ يصحّ سلب الافعال عنه حقيقة وفی نظره ايضاً لانّه لا يری لنفسه وجوداً ولا اثراً ، ويسمّی هذا المقام فی اصطلاحهم مقام الفناء ، فاذا صحا من فنائه وغشوته صار باقياً بالله لا بنفسه يعنی يری للوجود مراتب ولكن لا يری للحدود وجوداً فيری وجوده مرتبةً من وجود الله لا مباينا لوجود الله، فحينئذٍ يری لمرتبة نفسه وجوداً هو وجود الله فی تلك المرتبة وهو المسمّی بالبقاء بالله، فيصحّ منه نسبة الوجود الی نفسه ونسبة اثر الوجود اليها حسب استشعاره لمراتب الوجود لكن نسبة اثر الوجود حينئذٍ غير النّسبة الّتی كانت قبل الفناء ، وان لم يتّضح من فنائه فلم يكن نسبة للفعل اليه فی نظره لانّه لا يری فی الوجود الّا الله ولا يری الفعل الّا من الله ، وقد يذهل عن وجهته النّفسيّة باسباب خارجة وعوارض طارية كغلبة الخوف والغضب والفرح وغير ذلك ، وحينئذٍ لا يستشعر بنفسه ولا بفعل نفسه ولا يصحّ نسبة الفعل اليه فی نظره كمن يری فی حال اشتغاله من كان فی مقابله ولا يستشعر برؤيته بل ينفی الرّؤية عن نفسه؛ اذا تقرّر هذا فنقول : انّ المؤمنين فی حال القتال ذهلوا عن انفسهم لغلبة الدّهشة عليهم بحيث لم يستشعروا

بأنفسهم ولا بفعل أنفسهم بل كانت الملائكة تقلّبهم و توقع الحركة فيهم و تظهر صورة القتال على ايديهم فلو قال تعالى: انتم لم تقتلوهم كان اثباتاً لنفسيّة لهم ونفياً للفعل عنهم، وكذا لوقال : اذقتلتموهم كان اثباتاً للفعل والنّفسيّة جميعاً لهم ، والحال انّه لم يكن فى نظرهم نفسيّة لأنفسهم ولافعل وايضاً لوقال : ماقتلتموهم ،كان اشعاراً بنفسيّة ما لهم حيث صرّح بالفاعل بخلاف لم تقتلوهم،فانّ الواووان كان ضميراً لكنّه مشترك بين الغائب و الحاضر و حرف الاعراب فكأنّه غير مصرّح بالفاعل ، و الرّسول (ص) لمّاكان له نفسيّة بنفسيّة الله و بقاء ببقاء الله اتى بالماضى المصرّح بالفاعل ثمّ اثبت له الفعل المنفىّ ولم يقدّم المسنداليه ههنا لانّه يقتضى المقابلة لله اوالمشاركة معه وكلاهما منتف فى الواقع وفى نظره (ص) ،لانّ نفسيّته لم تكن الّا بنفسيّة الله ومنه يظهر وجه اختلاف ادائى النّفى ايضاً . وامّا وجه الاختلاف بذكر المفعول وحذفه فهو انّ القتل ظهر على ايديهم وبحسب اقتضاء ظهوره فى المظاهر البشريّة وصل الى المقتولين بخلاف الرّمى ، فانّه وان ظهر على يده (ص) اذروى انّه (ص) اخذ كفّاً من الحصا بوحي من الله وقرأ: شاهت الوجوه للحيّ القيّوم،ورماه فلم يبق احدٌ الّا اشتغل بعينه لكنّ القوّة القسريّة المودعة فى الحصا من المظهر البشرىّ لم تقتض سعة كفّ من الحصا نحواً من الف رجل ولاانحرافها الى كلّ فى كلّ ناحية، فالرّمى كان منه بحسب مظهريّته والايصال الى المشركين لم يكن منه لاحقيقةً ولا بحسب مظهريّته فأسقط المفعول هنا اشعاراً بانّ اصل الرّمى ظهر على يده ولكنّ الايصال الى المشركين لم يجر على يده [وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَناً] اتى بالعاطف مع انّ المقصود انّ الله قتل ورمى ليبلى المؤمنين لانّ المقصود من الاوّل نفى القتل والرّمى عنهم واثباته لنفسه تعالى مع قطع النّظر عن السّبب والغاية ولواتى بالقيدلاوهم انّ المراد نفى الفعل عنهم مقيّداً بالغاية المخصوصة واثباته كذلك، مع انّه لم يكن المقصود الّا نفى اصل الفعل و اثباته فهومعطوف على قوله لكنّ الله قتلهم ورماهم بتقدير قتلهم اوهو خبر مقدّم لقوله ذلكم والمعنى انّه قتلهم ورماهم لينعم على المؤمنين نعمة حسنة من الغنيمة واعلاء الكلمة ، اوالمعنى ليختبر المؤمنين من قبله اختباراً حسناً لا تعب فيه ولا انحراف عن الحقّ يعتريه ابتلاهم بمجاهدة الاعداء مع قلّة عددهم وكثرة العدوّ ، وكونه اختباراً و امتحاناً واضح ، وكونه حسناً لحسن عاقبته بحصول قوّة القلب لهم و قوّة الايمان مع الغلبة واعلاء الكلمة والغنيمة الوافرة وفداء الاسرى، ولعلّ هذا كان اوفق بسياق العبارة ومعانى اللّغة فانّ الابلاء والبلاء بمعنى الاختبار كثير الاستعمال وبمعنى الانعام لم يذكره بعض اللّغويّين [إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ] لدعاء النّبيّ (ص) واستغاثة المؤمنين [عَلِيمٌ] بمايصلحهم من الانعام وعدمه اوانّ الله سميع لمقالتهم للنّبيّ (ص) وكراهة المقاتلة عليم بماهو صلاحهم من الجهاد مع العدوّ ومعارضة العير والغارة عليهم [ذٰلِكُمْ] البلاء اوالقتل والرّمى وهو مبتدأ مؤخّر او خبر مبتدء محذوف [وَأَنَّ اللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ الْكَافِرِينَ] عطف على يبلى اوعلى ذلكم [إِنْ تَسْتَفْتِحُوا] ايّها الكافرون على ان يكون الخطاب لمشركى مكّة كما قيل : انّهم وقت الخروج من مكّة لغزو بدر تعلّقوا بأستار الكعبة وطلبوا الفتح والنّصرة على محمّد (ص) ونقل ايضاً انّ اباجهل استفتح يوم بدر و طلب النّصرة من الله و قيل الخطاب للمؤمنين [فَقَدْ جَاءَكُمُ الْفَتْحُ] تهكّماً [وَإِنْ تَنْتَهُوا] عن معاداة الرّسول (ص) وجحوده [فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ] يعنى هوالمختار وليس المقصود اعتبار التّفضيل ، اوالتّفضيل مقصود بالنّسبة الى اعتقادهم [وَإِنْ تَعُودُوا نَعُدْ وَلَنْ تُغْنِيَ عَنْكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْئاً] اى اغناءً اوضرّاً كما لم تغن هذه الكثرة [وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ] الجملة حاليّة على قراءة انّ بالكسر، وعلى قراءة انّ بالفتح فهى معطوفة

على شيئاً يعنى لن تغنى عنكم فئتكم ضرّاً ولا كون الله مع المؤمنين الّذى هو سبب هزيمتكم وضرّكم [يٰاَيُّهَا الَّذِينَ اٰمَنُوا] بعد ما ذكر معيّته للمؤمنين ونصرتهم بالملائكة ناداهم تلطّفاً بهم وترغيباً لهم فى طاعة الرّسول (ص) الّتي هى ملاك الايمان وتحذيراً عن مخالفته الّتى هى تنافى الايمان [اَطِيعُوا اللّٰهَ وَرَسُولَهُ وَلٰا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَاَنْتُمْ تَسْمَعُونَ] تلك المواعظ ومعيّة الله ونصرته ، ولمّا كان طاعة الله بطاعة الرّسول (ص) لم يكرّر الفعل و افرد الضّمير المجرور [وَلٰا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قٰالُوا سَمِعْنٰا] سماع لفظ كالحيوان [وَهُمْ لٰا يَسْمَعُونَ] سماع المعنى كالانسان [اِنَّ شَرَّ الدَّوٰابِّ عِنْدَ اللّٰهِ الصُّمُّ] عن المقصود [الْبُكْمُ] عن النّطق بالحقّ المقصود من السّماع [اَلَّذِينَ لٰا يَعْقِلُونَ] المقصود من اشارات المسموع [وَلَوْ عَلِمَ اللّٰهُ فِيهِمْ خَيْراً لَاَسْمَعَهُمْ] هذه الشّرطيّة لانتفاء الثّانى لانتفاء الاوّل كما هو اكثر موارد استعمال لولغة وليست لمحض بيان الملازمة بين التّالى والمقدّم كما هو طريقة استعمال المنطقيّين [وَلَوْ اَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ] هذه الشّرطيّة لبيان الملازمة بين التّالى و المقدّم الّذى هو ضدّ ملزوم التّالى مع الاشعار بتحقّق ملزومه الواقعىّ مبالغة فى تحقّق التّالى مثل: لولم يخف الله لم يعصه ، فليست القضيّتان على طريقة استعمال الشّرطيّات فى المنطق واقيستها حيث يظنّ انهما صورة قياس اقترانىّ من الشّكل الاوّل، ولوسلّم فالكبرى مهملة غير منتجة فالبحث بانّه قياس من الشّكل الاوّل وينتج: لوعلم الله فيهم خيراً لتولّوا، ساقط من اصله ، ولوسلّم صحّة القياس فالنتيجة صحيحة من قبيل : لو لم يخف الله لم يعصه [يٰاَيُّهَا الَّذِينَ اٰمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلّٰهِ وَلِلرَّسُولِ اِذٰا دَعٰاكُمْ لِمٰا يُحْيِيكُمْ] بالحيوة الانسانيّة وهو الايمان الخاصّ الحاصل بالولاية الّتى هى سبب دخول الايمان فى القلب الّذى هو سبب حيوة القلب، فالمعنى اذا دعاكم الرّسول (ص) لولاية علىّ (ع) ودعاؤه دعاء الله فاستجيبوه ، وقد فسّر فى الاخبار بولاية علىّ (ع) والسّرّ فى ذلك انّ حيوة الانسان بانفتاح باب قلبه الى دار الحيوان ووصول اثر الحيوة من تلك الدّار اليه و هو الايمان الدّاخل فى القلب ، و انفتاح باب القلب ووصول اثر الحيوة اليه لا يتصوّر الّا بالولاية الّتى هى الاتّصال بولىّ الامر الّذى هو الحىّ بالحيوة الاخرويّة وباعطاء اثر الحيوة بنفخته فى القلب بتلقين الذّكر الّذى هو سبب انفتاح بابه [وَاعْلَمُوا اَنَّ اللّٰهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ] اى يصير حائلاً بين المرء و نفسه فان اراد سعادة المرء يمنع من وصول اثر عصيانها اليه لئلّا يقوده الى النّار ، وان اراد شقاوته يمنع من وصول اثر طاعتها اليه لئلّا يقوده الى الجنّة ، اويصير حائلاً بين المرء وقلبه الّذى به خيراته وحيوته الحقيقيّة فيمنع ان شاء من وصول اثر الحيوة الانسانيّة اليه ، اويصير حائلاً بينه وبين النّفس لئلّا يعلم انّ الحقّ باطل والباطل حقّ ، اويصير حائلاً بين المرء حين اشتهى شيئاً من مشتهياته وبين قلبه الّذى فطر على الحقّ حتّى لا يخرج المشتهيات المرء عن الحقّ الى الباطل اويصير حائلاً بين المرء ونفسه اى مشتهياتها ، فلا يدع المرء ان يتّبع مشتهيات النّفس او يوقع الحالات بين المرء و قلبه يعنى بيده تسخير الاحوال او يتردّد بين المرء و قلبه فيعلم خفيّات احوالهما اويتردّد بين المرء وقلبه فيوصل الحيوة الابديّة الى المستجيب ويمنعها من غير المستجيب، والمقصود على كلّ المعانى التّحذير عن ترك الاستجابة والتّرغيب فى الاستجابة ، وفى الاخبار تصريح بالبعض وتلويح الى البعض الآخر [وَاَنَّهُ اِلَيْهِ تُحْشَرُونَ وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَتُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خٰاصَّةً] لا تصيبنّ صفة لفتنة فانّ المقصود التّحذير عن فتنة مخصوصة مقيّدة لا فتنة ما ، ولا الفتنة المطلقة فانّ الاولى لا يتعلّق بها غرض والثّانية

يناسبها التّعريف بالّلام ، ولاتصبين منفيّ مؤكّد بالنّون يجبر شذوذ تأكيده بالنّون بمطلوبيّة المبالغة فيه اومنهيّ مقدّر بالقول، وفيه وجوه اُخر بعيدة عن اللّفظ غير متعلّق بها غرض معنويّ. اعلم، انّ الظّلم عبارة عن منع الحقّ عن المستحقّ وايصاله الى غير المستحقّ وهذا المعنى لااختصاص له بشيء دون شيء وشخص دون شخص وحقّ دون حقّ، فمنع الاطفال والنّسوان و الاراذل عن مشتهياتهم ظلم بوجه وان كان عدلاً بوجه ولذا ورد ثلاثة ان لم تظلموهن ظلموك: النّساء والصّبيان والسّفلة ، ومنع النّفس وقواها عن مشتهياتها ظلم بوجه وبالنّسبة اليها وان كان بالنّسبة الى اللّطيفة الانسانيّة عدلاً ، ظلم بين كزعدلها گومبرد ، ومنع النّفس من حكومة العقل والانقياد تحت امره ظلم، ومنعها من الانقياد تحت حكومة نبيّ الوقت بالبيعة العامّة ظلم، وحقيقة الظّلم واصله وملاكه هو منع اللّطيفة الانسانيّة من قبول الولاية وبواسطته يتحقّق حقيقة الظّلم في كلّ ظلم ، ولولاه لم يكن الظّلم ظلماً، وان كان بصورة الظّلم كقتل محمّد(ص) ونهبه واجلائه كثيراً من مخالفيه وكقتل عليّ(ع) النّاكثين والمارقين والقاسطين ولكونه بصورة الظّلم حملوه على الظّلم وقالوا فيه ما قالوا وفعلوا ما فعلوا حتّى قتلوه ، ولولا الولاية لم يكن عدل وان كان الخالي عن الولاية بصورة العدل كفعل معاوية وعدله في الامّة، والمقصود من الّذين ظلموهم الّذين كانوا من امّة محمّد(ص) وبايعوا بالبيعة العامّة بقرينة قوله منكم خطاباً للامّة وظلموا بمنع الاسلام عن حقّه الّذى هو الهداية الى الايمان وترك مودّة ذوى القربى الّتى هي غاية التّبليغ ، والبيعة كأنّ غيره من الخطايا لا تعدّ ظلماً منهم و ايضاً التّقييد بقوله منكم واعتبار حيثيّة القيد يشعر به ، فالظّلم الّذى هو بعد الدّخول تحت حكومة النّبيّ(ص) من حيث هو بعد الدّخول المذكور ليس الّا منع اللّطيفة السّيّارة الانسانيّة عن الدّخول تحت حكم وليّ الامر بالبيعة الخاصّة الّتى بها يدخل الايمان فى القلب وبها يتحقّق حقيقة العدل في كلّ عدل وبها ينفتح باب القلب الى الملكوت ، وبها يمكن السّير على الطّريق المستقيم الى الله ، والمراد بالفتنة المقيّدة هو الانحراف عن وليّ الوقت فانّ من كان واقفاً على البيعة العامّة كان ظالماً على اللّطيفة الانسانيّة والفتنة المصيبة لهم هو الوقوف و الانحراف عن البيعة الخاصّة مع وليّ الوقت الّذى هو عليّ (ع) وهى الفتنة المجاوزة عنهم الى المبتاعين بالبيعة الخاصّة مع محمّد(ص) بعد رحلته والمبتاعين بالبيعة الخاصّة مع عليّ(ع) بعد رحلته و الى المبتاعين بالبيعة الخاصّة مع الحسن (ع) بعد رحلته وهكذا الى انقراض العالم . و تفسير الفتنة بما يصل اثره الى غير الفاعل كالغيبة والبدعة وغيرهما يناسب ظاهر التّنزيل واللّفظ لكن ليست هى المقصوده ؛ وقد ورد فى الاخبار الاشعار بما ذكرنا غاية الامر انّها داخلة تحت الآية من باب سعة وجوه القرآن [وَاعْلَمُوا اَنَّ اللّٰهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ] فاتّقوا مطلق الفتنة خصوصاً الفتنة المذكورة الّتى هى اصل كلّ الفتن [وَاذْكُرُوا إِذْ اَنْتُمْ قَلِيلٌ] من حيث العدد اومن حيث المال ولفظ قليل قد يفرد وقد يجمع [مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْاَرْضِ] تذكيرٌ لهم بنعمه و المراد ضعفهم قبل المهاجرة [تَخَافُونَ اَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ] من قريش [فَاٰوىٰكُمْ] الى المدينة [وَاَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ] من الغنائم وغيرها [لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ] و جعل الخطاب للعرب تماماً وجعل ضعفهم ذلّتهم عند الرّوم والعجم بعيدٌ جدّاً [يٰاَيُّهَا الَّذِينَ اٰمَنُوا لَاتَخُونُوا اللّٰهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا اَمَانَاتِكُمْ] ان كان نزوله فى ابى لبابة بن عبد المنذر الانصارىّ فى غزوة بنى قريظة و مشورتهم له فى نزولهم على حكم سعد بن معاذ كما قرّره الرّسول (ص) و قوله لهم : ان تنزّلوا على حكمه

تقتلوا ، كما في الاخبار فالمقصود عامّ و المراد بخيانة الله والرّسول (ص) هوخلاف ما أظهر للرّسول (ص) في البيعة و الميثاق من عدم مخالفته ظاهراً و باطناً و ارادة خيرالمؤمنين كذلك ، و المراد بالامانات امّا الامانات التّكوينيّة الّتي اصلها واسّها وملاكها الامانة المعروضة على السّماوات والارض ، الّتي هي اللّطيفة السّيّارة الانسانيّةالمستتبعة لتمام القوى الانسانيّة المستلزمة لتمام التّكاليف الشّرعيّة النّبويّة والاصليّةالولويّة الحاصلة منها تمام المراتب الانسانيّة ، اوالامانات التّكليفيّةالولويّة القلبيّة من الّذكر المأخوذ من ولىّ الامروسائر مايؤخذ، اوالامانات التّكليفيّة النّبويّة المأخوذة من نبىّ الوقت من الاعمال القالبيّة الشّرعيّة ، و تخونوا امّا معطوف على المنهىّ فيكون كلّ نهياً مستقلاً او بتقدير ان بعد الواو بمعنى مع فيكون مشعراً بمعيّة الثّاني للاوّل معيّة المسبّب للسّبب [وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ] اى تشعرون غيرغافلين ووجه التّقييد بالحال الاشارة الى انّ الانسان قلّما ينفكّ عن غفلة عمّا امر به وانّه خيانة بوجه ما ، لكنّه غيرمضيّق عليه وغيرمشدّد عليه مثل عدم الغفلة ، ولمّا كان الخيانة كثيراً ما تقع بسبب الاموال والاولاد فانّ الانسان يدع دينه لاولاده عقّبه بذمّ الاموال والاولاد فقال [وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ] امتحان لكم من الله هل تشغلون بها عن اماناتكم ام تثبتون معها على اماناتكم فمن شغل بها خلص شقاوته ومن ثبت على اماناته استحقّ اجراً عظيماً لخلوص سعادته [وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ] لمن ثبت وخلص عن الفتنة سالماً ، اوالمعنى واعلموا انّما اموالكم واولادكم فتنة و فساد لكم فلا تغترّوا بها وانّ الله عنده اجرٌعظيمٌ فاطلبوه منه بترك الاشتغال بالاموال والاولاد [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا] بالايمان العامّ [إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ] في مخالفة الرّسول (ص) [يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَاناً] نوراً فارقاً بين الحقّ و الباطل وهونورالولاية ، فالمراد بالتّقوى هي التّقوى المتقدّمة على الايمان الخاصّ ، او ان تتّقوا الله في الانحراف عن الطّريق المستقيم الى الطّرق النّفسانيّة المعوجّة بالولاية و الايمان الخاصّ الدّاخل في القلب بالبيعة الخاصّة الولويّة فانّ حقيقة التّقوى وهي التّحفّظ عن الانحراف الى الطّرق النّفسانيّة لا تحصل الّا بالوصول الى الطّريق الى الله بالولاية ، يجعل لكم فرقاناً وتميزاً بين الحقائق وحدودها واصيلها واعتباريّها فالمراد بالتّقوى التّقوى الحقيقيّة الحاصلة بالايمان الخاصّ . **اعلم** ، انّ حقيقة التّقوى وهي التّحفّظ عن اتّباع النّفس في الصّغير وعن اتّباع اصل الشّرور و اظلاله في الكبير لاتحصل الّا باتّباع العقل في الصّغير وباتّباع علىّ (ع) في الكبير واتّباع العقل ايضاً لايحصل الّا باتّباع علىّ (ع) وقبول ولايته بالايمان الخاصّ ، لانّ الانسان مالم يدخل في الولاية ولم يدخل الايمان في قلبه لا ينفتح باب قلبه وكلّ ما فعل باعتقاده من آثار التّقوى كان صدوره من نفسه وغايته راجعةً الى نفسه، فمتصوّره انّه كان تقوى لم يكن تقوى، واذا قبل الولاية بشرائطها المقرّرة عندهم انفتح باب قلبه واقبل الى الوحدة وادبر عن الكثرة وحصل له امتثال امرالله بالاقبال عن الكثرة ، فكلّما فعل من هذه الجهة كان تقوى من طرق النّفس والكثرة مغيّبٌ بالوحدة ، فكلّما قرأ آية من آيات الايمان وهوالقرآن رقى درجة من درجات الايمان وهي درجات الجنان ، وكلّما رقى درجةً من درجات الايمان حصل له نور به يبصر الكثرات واعتباريّتها والوحدة واصالتها حتّى اذا وصل الى آخر مراتب التّقوى و هوالفناء الذّاتيّ و التّقوىّ الحقيقيّة حصل له آخر مراتب الفرقان وهوالحشر الى اسم الرّحمن والمالكيّة لماسوى الرّحمن وكأنّه للاشارة الى حصول الفرقان بتدريج الارتقاء اتى بالمضارع الدّالّ على الحصول بالتّدريج ، اوالمراد ان تنتهوا في تقوى الله بالفناء من انفسكم يجعل لكم فرقاناً حاصلاً بالحشر الى الرّحمن وهذا الفرقان هوالنّبوّة او الرّسالة او الخلافة

[وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئاٰتِكُمْ] التّى تحتاج الى التّعمّل فى الزّوال التّى هى الحدود الظّلمانيّة و التّعيّنات التّى هى مساوى الانسان اذ بعد حصول الفرقان لايرى الّا مراتب الوجود التّى هى مراتب النّور لاحدوده التّى هى مراتب الظّلمات التّى بعضها فوق بعض [وَيَغْفِرْ لَكُمْ] مساويكم التّى لا تنفكّ عن الانسان وهى تبعة المراتب ونقائصها [وَاللّٰهُ ذُوالْفَضْلِ الْعَظِيمِ] من قبيل اقامة السّبب مقام المسبّب اى ويتفضّل عليكم لانّ الله ذوالفضل العظيم ذكر اوصافاً اربعةً: النّور الفارق ، وتكفير المساوى ، وازالتها بواسطة النّور وغفران الصّغائر، والفضل العظيم الّذى لايحدّ ولايوصف [وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ] واذكروا ذكّر اذيمكربك [الَّذِينَ كَفَرُوا] تذكيرٌ لما انعم عليه من النّجاة مع غاية مكر قريش حين اجتمعوا و تشاوروا فى دار النّدوة و اجتمع رأيهم على قتله بالاتّفاق حتّى يكون من كلّ قبيلةٍ رجل فيتفرّق دمه على القبائل ولايتيسّر لبنى هاشمٍ القصاص، وقصّتهم مذكورة فى الصّافى وغيره [لِيُثْبِتُوكَ] بالحبس [أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ] واذيمكرون بأىّ نحو يتصوّر فهو معطوف على يمكرا وهو عطف باعتبار المعنى كأنّه قيل: مكروا ومكرالله ويمكرون فى الحال [وَيَمْكُرُ اللّٰهُ] بأخذهم من حيث لايعلمون اوهو استيناف [وَاللّٰهُ خَيْرُ الْمٰاكِرِينَ] من حيث لايمكن الاطّلاع على سبب اخذه لغاية خفائه ومن حيث لايتخلّف المقصود من مكره [وَإِذٰا تُتْلىٰ عَلَيْهِمْ اٰيٰاتُنٰا] عطف على يمكرون [قٰالُوا قَدْ سَمِعْنٰا] استهزاءً [لَوْ نَشٰاءُ لَقُلْنٰا مِثْلَ هٰذٰا] قيل قائله النّضر بن الحارث بن كلدة الّذى قتل يوم بدرٍ بعد اسره على يد علىّ(ع) [إِنْ هٰذٰا إِلّٰا أَسٰاطِيرُ الْأَوَّلِينَ] اسمار الاوّلين فانّه يكنّى بالاساطير عنها [وَإِذْ قٰالُوا اللّٰهُمَّ إِنْ كٰانَ هٰذٰا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنٰا حِجٰارَةً مِنَ السَّمٰاءِ أَوِ ائْتِنٰا بِعَذٰابٍ أَلِيمٍ] قيل: قائله كان بمكّة قبل الهجرة حين ادّعى النّبىّ(ص) النّبوّة ووعد قريشاً انّهم يملكون بتصديقه(ص) ملوك الارض وقائله كان النّضر اواباجهلٍ ، وقيل : قائله ابوجهل يوم بدرٍ ، وقيل : قائله كان بغدير خمّ ، و قيل : بمدينة بعد غدير خمّ [وَمٰا كٰانَ اللّٰهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمٰا كٰانَ اللّٰهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ] يعنى انّ لهم امانين من عذاب الله انت والاستغفار، فما دمت فيهم لم يعذّبهم ، وماداموا استغفروا ايضاً لم يعذّبهم ، وتكرار الفعل و اختلافهما فى الخبر للاشارة الى انّ كلاّ منهما امان بالاستقلال و الاوّل اتمّ و اقوى فانّ الاتيان بلام الجحود فى خبر كان للمبالغة [وَمٰا لَهُمْ أَلّٰا يُعَذِّبَهُمُ اللّٰهُ] يعنى انّ امهال الله اياّهم ليس بسببٍ من انفسهم بل ليس من قبل انفسهم الّا استحقاق العذاب [وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرٰامِ] يعنى يمنعون النّاس عن البقعة المخصوصة اوعن نبوّة النّبىّ(ص) و يمنعون النّاس فى العالم الصّغير عن الدّخول فى المسجد الحرام الّذى هو الصّدر المتّصل بالقلب اويعرضون، وعلى هذا ان كان النّزول خاصّاً فالمقصود عامّ يشمل الامّة المنافقة المنحرفة الى انقراض العالم [وَمٰا كٰانُوا أَوْلِيٰاءَهُ] كمايفتخرون بأنّهم اولياء البيت وكما افتخروا بأنّهم اولياء محمّد(ص) وغصبوا حقّ علىّ(ع) [إِنْ أَوْلِيٰاؤُهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ] بالتّقوى العامّة اوالخاصّة [وَلٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لٰا يَعْلَمُونَ] معنى ولاية البيت و انّ ولاية البيت مخصوصة بمن اتّقى عن الشّرك و اتّباع النّفس و هواها [وَمٰا كٰانَ صَلٰوتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلّٰا مُكٰاءً وَتَصْدِيَةً] المكاء الصّفير، والتّصدية التّصفيق كانوا يطوفون

بالبيت عراةً يشبّكون بين اصابعهم و يصفرون و يصفّقون و كانوا يفعلون اذا قرأ رسول‌الله (ص) فى صلوته يخلّطون عليه [فَذُوقُوا الْعَذَابَ] بالقتل والاسريوم بدرٍ اوبالنّار فى الآخرة [بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ] يستمرّون على الانفاق . اعلم ، انّه لا اختصاص للمال بالاعراض الدّنيويّة بل يعمّها والقوى البدنيّة والقوى النّفسانيّة بل هى اولى بكونها مالاً من الاعراض لانّ نسبة المملوكيّة هناحقيقيّة وهناك اعتباريّة صرفة لاحقيقة لها ، والانسان مالم يخرج من هذا البنيان شغله اكتساب المال الصّورىّ والمعنوىّ وانفاقه ، فان كان متوجّهاً الى الله يصدق عليه انّه ينفق فى سبيل الله اى حالكونه فى سبيله اوفى حفظ سبيله وتقويته وان كان متوجّهاً الى الملكوت السّفلى يصدق عليه انّه ينفق فى سبيل الطّاغوت بمعنييه ويصدق عليه انّه ينفق لصدّ النّاس عن المسجد الحرام وعن سبيل الله صورةً ومعنىً ، ولصدّ القوى والمدارك عن التّوجّه الى القلب فالكافرون شغلهم الانفاق مستمرّاً [لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ] اى سبيل الحجّ اوالنّبىّ (ص) اوالولىّ (ع) اوالصّدر المنشرح بالاسلام اوالقلب [فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً] لعدم عوض للمنفق بل لنقصان ذواتهم بالانفاق [ثُمَّ يُغْلَبُونَ] ظاهراً و باطناً ان كان نزول الآية فى قريش حين خروجهم لغزو بدرٍ و انفاقهم فى ذلك كما ورد فى الخبر فلا ينافى عمومها [وَالَّذِينَ كَفَرُوا] تكرار الموصول للتّفضيح و الاشارة الى علّة الحكم [إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ] يعنى كما انّ شغلهم الانفاق للصدّ كذلك سلوكهم ليس الّا الى جهنّم، لانّ شغلهم الانفاق فى سبيل الطّاغوت فسلوكهم على سبيل الطّاغوت وهو سبيل جهنّم ، وفعلنا ان نحشرهم آناً فآناً حشراً بعد حشرٍ الى جهنّم وغاية هذا الفعل كراهة اختلاط المؤمن والكافر وتميز الكافر من المؤمن ، هذا فى الكبير ، وامّا فى الصّغير فالقوى الحيوانيّة البهيميّة والسّبعيّة والقوى الشّيطانيّة الّلاتى شأنها الكفر بالعقل تنفق قوّتها لصدّ سائر القوى عن سبيل العقل و هو سبيل الله وهى متوجّهة الى السّفل الّذى هودار الشّياطين والجنّة ، وفيه جهنّم فتحشر الى جهنّم آناً فآناً وفى الخبر اشارة الى التّعميم وذلك الحشر [لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلَى بَعْضٍ] لضيق السّفل وعدم سعته [فَيَرْكُمَهُ جَمِيعاً] فيجعله متراكماً متداقّاً [فَيَجْعَلَهُ فِي جَهَنَّمَ] بعد انتهاء حشره و تراكمه [أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ] فى موضع التّعليل و الاتيان بالمسند اليه باسم الاشارة موضع الضّمير لاحضار حالهم الفظيعة اشعاراً بعلّة الحكم ، وتعريف المسند وضمير الفصل للتّأكيد والحصر [قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا] مخاطباً لهم قولى [إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ] او مضمون ان ينتهوا يغفر لهم اوقل فى حقّهم فالعبارة على ماهو حقّها، والمراد بالكفر الكفر بالله اوبالنّبىّ (ص) اوبالولىّ (ع) اوبالولاية التّكوينيّة الّتى هى وجهة القلب وطريق الآخرة ، ولذا ورد عن الباقر (ع) انّه قال له رجل: انّى كنت عاملاً لبنى امّية فاصبت مالاً كثيراً فظننت انّ ذلك لايحلّ لى فسألت عن ذلك فقيل لى: انّ اهلك ومالك وكلّ شيءٍ لك فهو حرام فقال (ع): ليس كما قالوا لك ، قال فلى توبة ؟ قال (ع) : نعم ، توبتك فى كتاب الله قل للّذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ماقد سلف ، فعدّه (ع) من الكافرين حيث كفر بالولاية التّكليفيّة اوالتّكوينيّة [وَإِنْ يَعُودُوا] الى ماكانوا فيه من الكفر باحد معانيه و لوازمه من معاداة الرّسول (ص) و مقاتلته مضت معاداتهم على نبيّنا (ص) ولم يبق عليه شينها و بقى عليهم عقوبتها [فَقَدْ مَضَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ] الّذين

كفروا وعادوا انبياءهم(ع) اوالمعنى ان يعودوا الى ماهم فيه فليتوقّعوا عذابنا وانتقامنا كما انتقمنا عمّن سلف ولا اختفاء فى انتقامنا عن السّالفين فقد مضت سنّة الاوّلين وصارت اسماراً بحيث لم يبق احد الّا و قد سمعها [وَقَاتِلُوهُمْ حَتّٰى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ] فساد من الشّرك ولوازمه [وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلّٰهِ] ولا يكون لكلّ دين اواديانٌ وكان بعضه للشّيطان كالاديان الباطلة وبعضه لله كدينكم، هذا فى الصّغير ظاهر، واما فى الكبير فقدورد انّه لم يجئ تأويل هذه الآية بعد انّ رسول الله(ص) رخّص لهم لحاجته وحاجة اصحابه فلو قدجاء تأويلها لم يقبل منهم ولكنّهم يقتلون حتّى يوحّدوا الله وحتّى لايكون شرك [فَإِنِ انْتَهَوْا] عن الكفر [فَإِنَّ اللّٰهَ بِمَا يَعْمَلُونَ] من الانتهاء والاسلام [بَصِيرٌ] فيجازيهم على حسبه [وَإِنْ تَوَلَّوْا] عن الاسلام [فَاعْلَمُوا أَنَّ اللّٰهَ مَوْلٰيكُمْ] فلا تحزنوا ولا تضيّقوا صدراً من توليهم [نِعْمَ الْمَوْلٰى] المتولّى امورکم و تربيتكم [وَنِعْمَ النَّصِيرُ] .

[الجزء العاشر]

[وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ] اسم الغنيمة قد غلبت على ماكان يؤخذ من الكفّار بالقهر والغلبة حين القتال والّا فهى اسم لكلّ ما استفاد الانسان من ايّ وجه كان وايّ شيء كان ، فعن الصّادق(ع): هى والله الافادة يوماً بيوم [فَأَنَّ لِلّٰهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبٰى وَالْيَتَامٰى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ] وقد فسّر ذوى القربى بالامام من آل محمّد(ص) فانّه ذوالقربى حقيقةً وفسّر الثّلاثة الاخيرة بمن كان من قرابات الرّسول(ص) جعل ذلك لهم بدلاً عن الزّكوة الّتى هى اوساخ النّاس تشريفاً لهم [إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللّٰهِ] جزاؤه محذوف اى فأعطوا خمسه فانّه عبادة ماليّة هى احد ركنى العبادة الّذين هما الصّلوة والزّكوة [وَمَا أَنْزَلْنَا] اى بما انزلنا [عَلٰى عَبْدِنَا] من احكام العبادات الماليّة و البدنيّة و من جملتها حكم الخمس او من الملائكة المنزلين [يَوْمَ الْفُرْقَانِ] يوم بدر لظهور الحقّ عن الباطل والفرق بينهما فيه وهومتعلّق بآمنتم اوبانزلنا [يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ] لظهور دلائل صدق النّبوّة بظهور نصرة الحقّ بالملائكة اوبظهور نزول الملائكة وجنود الله للنّصرة ولذا فسّر ما انزلنا بانزال الملائكة والنّصرة فى ذلك اليوم تذكيراً لهم بدلائل صدق النّبوّة وقدرة الله على نصرهم حتّى لايشمئزّوا عن امره باعطاء مالهم ثقةً بامداده واعطائه ولذا قال [وَاللّٰهُ عَلٰى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ] تعميماً بعد تخصيص وهو عطف على ما هو المقصود كأنّه قال فالله قادر على الامداد ونصرة القليل على الكثير فلا تخافوا من كثرة العدوّ وقلّتكم والله على كلّ شيء قديرٌ فلاتخافوا من قلّة ما فى اليد والانفاق فانّه قادر على اعطائكم [إِذْ أَنْتُمْ بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا] بدل من يوم الفرقان اوظرف لالتقى اولقدير والعدوة مثلّثة شطّ الوادى [وَهُمْ بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوٰى] و المراد الدّنيا من المدينة و القصوى منها [وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنْكُمْ] يعنى عير قريش والمراد تذكيرهم بقوّة المشركين وشدّة اهتمامهم بالقتال لحفظ العير واستظهارهم بمن كان فى العير وهم ابوسفيان واصحابه وكون مكانهم اثبت للاقدام و مكان المؤمنين يسوخ فيه الاقدام حتّى لايبقى لهم شكّ فى انّ غلبتهم لم تكن الّا بنصرة الله ولذا قيل : كان غزوة بدر من ادلّ الدّلائل على نبوّة نبيّنا (ص) [وَ] الحال

انّكم لغاية ضعفكم وقوّة اعداءكم [لَوْتَوٰاعَدْتُمْ] للقتال معهم [لَاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعٰادِ وَلٰكِنْ] ثبّتكم على القتال على هذه الحال ولم يدعكم حتّى تفرّوا [لِيَقْضِيَ اللّٰهُ أَمْراً كٰانَ مَفْعُولاً] اى حقيقاً بان يفعل اومفعولاً في النّذر من اعلاء كلمته واعزاز دينه واذلال اعدائه ، اوهلاك الهالك عن بيّنة اوانزال الملائكة واظهار دلائل النّبوّة [لِيَهْلِكَ] بدل عن قوله ليقضى الله على ان يكون المراد بالامر المفعول اتمام الحجّة واهلاك الهالك وحيوة الحيّ بعدها اومتعلّق بيقضي والمراد الهلاك الصّورىّ اوالمعنوىّ [مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ] بعد بيّنة اومتجاوزاً عن بيّنة هى اعزاز المؤمنين وغلبتهم في مقام لايظنّ الّا ذلّتهم ومغلوبيّتهم ولم يكن ذلك الّا بنزول الملائكة وامدادهم بحيث لم يخف على احد من الطّرفين [وَيَحْيىٰ مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللّٰهَ لَسَمِيعٌ] لاستغاثتكم فيجيبكم [عَلِيمٌ] بصدوركم وخفيّاتها من الخوف والاضطراب و ما يصلحها من التّثبيت و الامداد او لسميع بمقال الهالك والحيّ عليم بحاله ، عطف باعتبار المعنى كأنّه قال: انّ الله يقضى اوانّ الله يهلك وانّ الله لسميع اوهو استيناف [إِذْ يُرِيكَهُمُ اللّٰهُ فِي مَنٰامِكَ قَلِيلاً] لتخبر اصحابك بقلّتهم ليجترؤا على القتال وهو متعلّق بمتعلّق ليقضى اوبدل من ، اذانتم بالعدوة الدّنيا او بدل ثان من يوم الفرقان او متعلّق بعليم [وَلَوْ أَرٰيكَهُمْ كَثِيراً] فاخبرت اصحابك [لَفَشِلْتُمْ] جبنتم [وَلَتَنٰازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ] امر القتال لانحراف آراء اكثركم عن القتال [وَلٰكِنَّ اللّٰهَ سَلَّمَ] نفوسكم عن الفشل والتّنازع [إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذٰاتِ الصُّدُورِ] بالخفيّات الّتى تصاحب الصّدور فيدبّر امركم عن علم بما لا تعلمون ، نقل انّ المخاطبة للرّسول (ص) والمعنى لاصحابه يعنى أرى اصحابه المشركين قليلاً في منامهم ، وعن الباقر (ع): كان ابليس يوم بدر يقلّل المسلمين في اعين الكفّار و يكثّر الكفّار في اعين النّاس فشدّ عليه جبرئيل (ع) بالسّيف فهرب منه [وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلاً] تصديقاً لرؤيا الرّسول (ص) وتشجيعاً لكم [وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ] لئلا يفرّوا من القتال فيقع ما اراده الله من القتال ونصرة المؤمنين واعلاء كلمتهم ، نقل عن ابن مسعود انّه قال : لقد قلّلوا في اعيننا حتّى قلت لرجل الى جنبى ، اتراهم سبعين ؟- قال: اراهم مائة ، فأسرنا رجلاً منهم فقلنا : كم كنتم ؟- قال: الفاً، و قلّل المؤمنون في اعين الكفّار حتّى قال قائل منهم : انّماهم اكلة جزور ، هذاكان قبل المقاتلة و امّا حين المقاتلة فقد رأوا المؤمنين مثليهم رأى العين [لِيَقْضِيَ اللّٰهُ أَمْراً كٰانَ مَفْعُولاً] كرّره تأكيداً و اشعاراً بان لاغرض من الامر بالقتال وتدبير امر المقاتلين من رؤيا القلّة ورؤية القليل وتشجيع المؤمنين وتثبيتهم الّا قضاء ما في اللّوح و امضاءه من اظهار دينه على الاديان [وَإِلَى اللّٰهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ] كما انّ منه تدبيرها و صدورها ثمّ بعد ما اظهر انّ النّصر من عنده وانّ اسبابه الظّاهرة ايضاً منه وشجّع المؤمنين وثبّتهم قال [يٰاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذٰا لَقِيتُمْ فِئَةً] من المشركين والكفّار للقتال فانّ اللّقاء غلّب في القتال [فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللّٰهَ كَثِيراً] ثقة بنصره واستظهاراً بذكره فانّ القلب يطمئنّ عن الاضطراب والخوف بذكره [لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ] بالظّفر على الاعداء [وَأَطِيعُوا اللّٰهَ وَرَسُولَهُ] فيما يأمركم به في امر القتال وغيره [وَلٰاتَنٰازَعُوا] باختلاف الآراء [فَتَفْشَلُوا] تضعفوا عن القتال [وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ] عظمكم في نظر الاعداء شبّهت العظمة المعنويّة بالرّيح

الدّاخلة تحت الثّياب الّتي بها تعظم جثّة الانسان، اوبالانتفاخ والانتفاش الّذي يكون للسّباع حين ثوران الغضب وهو مثل دائر في العرب والعجم [وَاصْبِرُوا] على الجهاد [إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ] يعني قريشاً حين خرجوا مع آلات اللّهو [بَطَراً وَرِئَاءَ النَّاسِ] ليثنوا عليهم بالشّجاعة والشّوكة فانّهم أخرجوا معهم القيان والخمور وآلات اللّهو [وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ] فلا يخفى عليه اعمالكم ولانّياتكم [وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ] عطف على اذانتم بالعدوة او اذيريكهم الله، او اذيريكموهم على جواز عطف عدّة معطوفات كلّاً على سابقه [وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ] وكان تزيينه باذن الله لقضى الله امراً كان مفعولاً [وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ] مجير لكم اومجاور تمثّل لهم بصورة شخص بشريّ يقال له سراقة كما في الخبر، او اوقع في روعهم ذلك و وسوس اليهم انّ الثّبات على الاصنام وحفظ دينهم امرٌ الهيّ وهو مجيرهم و يحفظهم [فَلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَى عَقِبَيْهِ] رجع القهقرى وهو مثل يضرب لمن خاب من مأموله ورجع عن طلبه [وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ] يعني الملائكة [إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ] من كلامه اومن كلام الله عطفاً على قال، في الخبر: انّ ابليس كان في صفّ المشركين آخذاً بيد الحارث بن هشام فنكص على عقبيه فقال له الحارث: يا سراقة اتخذ لنا على هذه الحال ؟ ـ فقال: انّي ارى مالاترون، فقال: والله ماترى الّا جواسيس يثرب، فدفع في صدر الحارث وانطلق وانهزم النّاس، فلمّا قدموا مكّة قال النّاس: هزم سراقة فقال: والله ماشعرت بمسيركم حتّى بلغني هزيمتكم فقالوا: انّك اتيتنا يوم كذا فحلف لهم فلمّا أسلموا علموا انّ ذلك كان الشّيطان [إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ] ممّن اسلم ظاهراً متعلّق بواحد من الافعال السّابقة او بدل من اذزيّن لهم الشّيطان [غَرَّ هَؤُلَاءِ دِينُهُمْ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ] عزّ وغلب [فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ] لايغلب من يتوكّل عليه [حَكِيمٌ] يفعل بحكمته ما هو صلاح عباده من تجرئة القليل على الكثير وغلبتهم ليظهر حقّيّة دينهم [وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا] لو للتمنّي لأنّه كثيراً مايستعمل ليت في امثال تلك القضايا ولامانع من جعل لو بمعناها مع انّه غنيّ عن تقدير الجواب ولوجعل لو للشّرط فالجواب محذوف اى لرأيت امراً فظيعاً والخطاب لمحمّد(ص) اوعامّ والمراد توفّيهم يوم بدر اوعامّ [الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ] يعمّ الضّرب جميع اطرافهم اوالمراد الوجوه والاستاه كما في الخبر لانّ الله حيي ويكنّي [وَ] يقولون [ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ] اويقول الله: ذوقوا عذاب الحريق في الدّنيا او في الآخرة [ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ] من قول الله اوالملائكة [وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ] عطف على ماقدّمت والمقصود نفي سببيّة ظلمه تعالى وحقّ العبارة حينئذٍ ان يقول لا بانّ الله ظلّام للعبيد لكنّها لمّا كانت موهمة لنسبة الظّلم اليه تعالى ونفي سببيّته للعقوبة ادّاه بصورة نفي الظّلم وسببيّة النّفي للعقوبة فانّه كثيراً ما يؤتى باداة التّسبيب و يراد نفي السببيّة كما يقال: فلان بنفسه يفعل كذا ويراد لابسبب فهو نفي لنسبة الظّلم اليه تعالى صريحاً وبسببيّة الظّلم فحوىً لا انّه

بيان لسببيّة عدم الظّلم خصوصاً على قاعدة انّ الاعدام لاسببيّة لها لشيء اصلاً ومايقال : عدم الشّرط سبب لعدم المشروط فهو بالمقايسة الى الملكات ، والظّلام من صيغ النسب كتمّار لامن صيغ المبالغة [كَدَأْبِ اٰلِ فِرْعَوْنَ] اى ماهم عليه من الكفر والمعاصى المستتبعة للعقوبة كدأب آل فرعون اوهو متعلّق بقوله يتوفّى والتّشبيه تمثيليّ والدّأب الخصلة والسنّة الّتى اعتادها وداوم عليها صاحبها [وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ] كاقوام الانبياء(ع) السّلف [كَفَرُوا بِاٰيٰاتِ اللّٰهِ] استيناف جواباً للسّؤال المقدّر عن دأبهم كأنّه قيل : ماكان دأبهم ؟ و ما فعل بهم؟ [فَأَخَذَهُمُ اللّٰهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ اللّٰهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقٰابِ ذٰلِكَ] العقاب عقيب الكفر و العصيان بانّ عادةالله جرت بان يغيّر النّعمة عقيب تغيير صاحب النّعمة حاله فحقّ العبارة ان يقال بانّ الله يغيّر مابقوم من نعمة بتغييرهم احوالهم لكنّه قال [بِأَنَّ اللّٰهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّراً نِعْمَةً أَنْعَمَهٰا عَلىٰ قَوْمٍ حَتّىٰ يُغَيِّرُوا مٰا بِأَنْفُسِهِمْ] افادة للحصر مع هذا المعنى و نفى التّغيير عنه لا التّصريح بنسبة التّغيير اليه ابتداء [وَأَنَّ اللّٰهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ] فيسمع مقالتهم السّوءى ويعلم تغييرهم حسن أحوالهم فيجرى عادته بتغيير نعمته [كَدَأْبِ اٰلِ فِرْعَوْنَ] يعنى ذلك التّغيير المستتبع لتغييرنا النّعمة المنعمة كدأب آل فرعون والتّكرار للتّأكيد ومطلوبيّة التّكرار حين الغضب [وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِاٰيٰاتِ رَبِّهِمْ] ولكون التّكرار للمبالغة ولابداء اشتداد الغضب بالغ وبدّل كفروا بكذّبوا [فَأَهْلَكْنٰاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنٰا اٰلَ فِرْعَوْنَ وَكُلٌّ كٰانُوا ظٰالِمِينَ] و هذا من مطلوبيّة التّطويل والتّفضيح فى مقام الغضب [إِنَّ شَرَّ الدَّوٰابِّ عِنْدَ اللّٰهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لٰا يُؤْمِنُونَ] هذا ايضاً من التّفضيح والتّغليظ والتّطويل فى مقام الغضب مثل مابعده [الَّذِينَ عٰاهَدْتَ مِنْهُمْ] قدفسّروا ببنى قريظة فالمراد بالمعاهدة عهد المتاركة و فسّروا ايضاً بمنافقى اصحابه فالمراد بالمعاهدة عهد البيعة و الاولى التّعميم [ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لٰا يَتَّقُونَ] سخط الله او لايتّقون بأسك و بأس المؤمنين/[فَإِمّٰا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ] ان كان المراد منافقى الامّة فجريان الامر على يد علىّ(ع) [فَشَرِّدْ بِهِمْ] بقتلهم والنّكاية فيهم [مَنْ خَلْفَهُمْ] من سائر الكفّار بان يتسامعوا بشدّة بأسك بقتل المقاتلين فلا يطمعوا فى مقاتلتك و هو امر بشدّة نكايتهم على ابلغ وجه [لَعَلَّهُمْ] اى من خلف المقاتلين [يَذَّكَّرُونَ] صدق نبوّتك و شدّة بأسك/[وَإِمّٰا تَخٰافَنَّ] زيادة ما على اداة الشّرط هنا و فى سابقه ولحوق نون التّأكيد للمبالغة فى لزوم الجزاء [مِنْ قَوْمٍ] معاهدين بقرينة قوله ثمّ ينقضون عهدهم فى كلّ مرّة [خِيٰانَةً] فى العهد بنقضه بان يلوح لك اثر المخالفة ونقض العهد، نقل انّها نزلت فى معاوية لمّاخان امير المؤمنين(ع) وهوممّا قلنا انّه ممّا جرى على يد علىّ(ع) [فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ] عهدهم ولاتراعه مشتملاً [عَلىٰ سَوٰاءٍ] اى استواء معهم اوحالة مساوية لحالهم فى نقض العهد فانّه منك غير مذموم بعد ابتدائهم بنقض العهد [إِنَّ اللّٰهَ لٰا يُحِبُّ الْخٰائِنِينَ] تعليل للامر بنبذ العهد يعنى انّ الخائنين لاجهة محبّة لهم حتّى تراعيها ولا تنقض عهدك معهم [وَلٰا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا] وضع المظهر موضع المضمر تصريحاً بكفرهم وتفظيعاً لهم [سَبَقُوا] فاتوا عنّا اوغلبوا ولعلّه كان انسب لانّه لرفع الخوف

عنهم لمناقضة عهدهم [إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ] لايفوتون اولايغلبون من اعجزه اذافاته اوجعله عاجزاً، وقرء لا يحسبنّ بالغيبة وانّ بالفتح ووجوه الاعراب لايخفى على البصير بالعربيّة [وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ] ممّا به قوّتكم وشوكتهم من الخيلاء بين الصّفّين فانّ التّكبّر ممدوح فى القتال ومن سلاح وغيره، وورد فى الخبر انّ منها الخضاب بالسّواد [وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ] من عطف الخاصّ على العامّ اذالرّباط مصدر بمعنى المربوط اوجمع ربيط غلب على الخيل الّتى تربط للجهاد [تُرْهِبُونَ بِهِ] بما استطعتم من القوّة [عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ] اى الّذين تخافون خيانتهم والاتيان بالمظهر للاشعار بالعلّة وذكر وصف آخر للتّفظيع [وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ] من دون من تخافون خيانتهم من الكفرة الّذين لاعهد بينهم وبينكم اولاتخافون منهم نقض عهدكم [لَا تَعْلَمُونَهُمْ] خائنين كمنافقى الامّة الّذين اظهروا الاسلام واخفوا النّفاق او لا تعلمونهم بأعيانهم حيث غابوا عنكم كالعجم و الرّوم والشّام [اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ] فلاتخافوا من الفقر وتهيّؤا بما استطعتم من القوّة فى سبيل الله [وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ] بنقص شيء ممّا انفقتم [وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ] اى الصّلح والدّخول فى الاسلام اوالدّخول فى الايمان كما عن الصّادق (ع) انّه الدّخول فى امرنا [فَاجْنَحْ لَهَا] فانّ قتالك ليس الّا مقدّمة الصّلح و السّلم بمعنى الصّلح يؤنّث سماعاً [وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ] ولا تخف من خديعتهم بالصّلح فانّ الله عاصمك [إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ] لكلّ ما قالوا فيك فيدبّر ما فيه صلاحك [الْعَلِيمُ] بعلم نيّاتهم وعاقبة امرك وامرهم فلايفوته شيء ولايسبقه شيء [وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ] بالصّلح بان ارادوا اطفاء نائرة القتال بالصّلح حتّى يتهيّؤا للقتال ويضع اصحابك اسلحة القتال فيباغتوكم فلاتخف [فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ] فى موضع التّعليل على الاستيناف البيانىّ والمراد نصره بالملائكة [وَبِالْمُؤْمِنِينَ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ] قلوب المؤمنين فيقدر ان يؤلّف بينكم وبين الخائنين ان ارادوا بالصّلح الخيانة [لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ] فانّ تصريف القلوب بيده لابيدك البشريّة ولابيدك النّبويّة [وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ] قيل: نزلت فى الانصار فانّ الاوس والخزرج كان بينهم مقاتلة ودماء وتوالفوا وتحابّوا بالاسلام [إِنَّهُ عَزِيزٌ] لا يمنعه من مراده شيء [حَكِيمٌ] يفعل بحكمته ما فيه صلاح عباده [يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ] كرّره مقدّمة للامر بالتّحريض ولانّ التّكرار مرغوب فيه فى مقام الامتنان واظهار المحبّة والاحسان [يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ] لنصرة الله [وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفاً مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ] فلايثبتون ثبات من آمن بالله وعلم انّ النّصر بيدالله والظّفر من الله [الْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفاً] هذه الآية نزلت بعد ماكثر المؤمنون ولذا ورد انّها ناسخة لما قبلها [فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ] والمراد

بالضّعف الضّعف فى القلوب لافى الابدان حتّى ينافى كثرتهم [مٰا كٰانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرٰى حَتّٰى يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ] جواب لاصحابه (ص) حين سألوه ان لايقتل الاسرى ويأخذ منهم الفداء والمقصود من الاثخان كثرة القتل من اثخن فى العدوّ اذا غلب واكثر الجرح فيهم [تُرِيدُونَ] بأخذ الفداء [عَرَضَ الدُّنْيٰا وَاللّٰهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ] لكم بان يكون جهادكم غير مشوب بالاغراض الدّنيويّة بل خالصاً للآخرة [وَاللّٰهُ عَزِيزٌ] غالب لايخاف من ذلّة نبيّه على فرض اخذ الفداء من الاسرى فهو لاستدراك توهّم خوف الضّعف و المغلوبيّة [حَكِيمٌ] يأمر بالقتل لمصالح يعلمها [لَوْلا كِتٰابٌ مِنَ اللّٰهِ سَبَقَ] اى حكم سبق فى اللّوح من اباحة الفداء واعزاز المؤمنين او ابقاءهم الى اجلٍ موعودٍ حتّى يعزّ دين الله بهم و هو تهديد وردع عن مثل ما فعلوا ببدرٍ فى باب اخذ الفداء من الاسرى واصرّوا على ذلك مع انكار الرّسول (ص) حتّى رضوا بقتل عدد الاسرى ومن يأخذون منه الفداء من المؤمنين فى عام قابل [لَمَسَّكُمْ فِيمٰا أَخَذْتُمْ] من الفدية اوفيما فعلتم من الاصرار على اخذ الفدية [عَذٰابٌ عَظِيمٌ فَكُلُوا] اى اذا كان سبق كتاب فى اباحة الفداء و اعزازكم فكلوا [مِمّٰا غَنِمْتُمْ] من الفداء فانّه غنيمة او هو اباحة للغنيمة كأنّهم أمسكوا عنها و تردّدوا فى اباحتها اى اذا كان سبق كتابٍ فى اباحة الفداء و اعزازكم واعلاء كلمتكم فلا تتحرّجوا من الغنيمة وكلوا منها [حَلٰالاً طَيِّباً وَاتَّقُوا اللّٰهَ] فى السّرف فيها ، او فى الخيانة فيها ، او فى مخالفته (ص) فيها و ارضوا فيها بما اعطاكم الرّسول (ص) [إِنَّ اللّٰهَ غَفُورٌ] اذ غفر تجرّيكم على الاصرار فى الفدية [رَحِيمٌ] اذ رحمكم باباحة الغنيمة و الفدية [يٰا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرٰى] اسرى بدر اوالعبّاس وعقيل بن ابى طالب ونوفل بن الحارث خاصّة كما ورد فى الخبر انّ الآية نزلت فى العبّاس وعقيل و نوفل وقصّتهم وقصّة غزو بدر مسطورة فى الصّافى مبسوطة [إِنْ يَعْلَمِ اللّٰهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْراً] رغبةً وميلاً فى الايمان [يُؤْتِكُمْ خَيْراً مِمّٰا أُخِذَ مِنْكُمْ] من الغنيمة فى الغزو ومن الفداء بعد الاسر [وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللّٰهُ غَفُورٌ] فيغفر لكم ما صدر منكم من معاداة الرّسول (ص) [رَحِيمٌ] فيؤتيكم خيراً ممّا اخذ منكم فحقّ العبارة ان يقول يغفر لكم و يؤتكم خيراً فانّ المغفرة وهى ستر المساوى مقدّمة على الرّحمة والانعام لكن لمّا كان المقام مقام الاهتمام باتيان العوض لما فاتهم قدّمه [وَإِنْ يُرِيدُوا خِيٰانَتَكَ] عطف من الله على مقول الرّسول باعتبار المعنى وملاحظة نفس المحكىّ مع قطع النّظر عن كونه حكاية ومثله كثير كأنّه قال: ان يعلم الله فى قلوبهم خيراً يؤتهم خيراً ممّا اخذ منهم وان يريدوا خيانتك فلاغرو فيه [فَقَدْ خٰانُوا اللّٰهَ مِنْ قَبْلُ] اى من قبل ارادة خيانتك بمخالفة حكم العقل الّذى هو رسولهم الباطنىّ فأمكن المؤمنين منهم فليحذروا من امكان المؤمنين ثانياً منهم وقد فسّر هكذا وان يريدوا خيانتك فى علىّ (ع) فلاغرو فيه فقد خانوا الله فيك من قبل [فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ] فلاتحزن لذلك فانّه يمكّن علياً (ع) واصحابه منهم [وَاللّٰهُ عَلِيمٌ] بارادة كلّ مريد [حَكِيمٌ] يدبّر امرك وامر الخائنين على وفق حكمته [إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا] بالايمان العامّ بقبول الدّعوة الظّاهرة و البيعة العامّة [وَهٰاجَرُوا] من دار الشّرك الى مدينة الرّسول (ص) [وَجٰاهَدُوا] مع اعداء الرّسول (ص) [بِأَمْوٰالِهِمْ]

ببذلها على أنفسهم وعلى المجاهدين فى الجهاد [وَأَنْفُسِهِمْ] ببذلها بالقتل فى سبيل الله حالكونهم [فِي سَبِيلِ اللَّهِ] او فى حفظ سبيل الله وهو النبوّة اوفى تحصيل سبيل الله وهو الولاية ، اوالمعنى انّ الّذين آمنوا بالايمان العامّ من افراد الانسان فى العالم الكبير ومن اولاد آدم الّذين هم القوى الانسانيّة فى العالم الصّغير وهاجروا من اوطان شركهم النّفسانيّة الى مدينة صدورهم الّتى هى مدينة رسولهم الباطنىّ ، وجاهدوا فى سبيل الله الّذى هو سبيل القلب بأموالهم الحقيقيّة الّتى هى قواهم ومداركهم بتضعيفها بالرّياضات والمجاهدات ، اوالمعنى انّ الّذين آمنوا بالايمان الخاصّ بالبيعة الخاصّة وهاجروا من اوطان شركهم الى مدن صدورهم وجاهدوا بأموالهم الحقيقيّة وأنفسهم حالكونهم فى سبيل الله وهو طريق الولاية الموصلة لسالكها الى الفناء فى الله اوفى حفظ سبيل الله وكلّ المعانى لكونها مترتّبة متصاعدة طوليّة لاعرضيّة مرادة من غير لزوم استعمال اللّفظ فى اكثر من معنىً كمامرّ مراراً [وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا] هم الانصار الصّوريّة بحسب المعنى الاوّل وبحسب المعانى الاخر من يليق بها [أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ] اولياء المحبّة ادّاه بصورة الخبر اشارة الى انّ ولاية المحبّة لازمة لهم او اولياء الميراث كما ورد فى الاخبار و ورد انّها منسوخة بآية اولوا الارحام بعضهم اولى ببعض [وَالَّذِينَ آمَنُوا] بالبيعة العامّة او بالبيعة الخاصّة [وَلَمْ يُهَاجِرُوا] من دار الشّرك الصّوريّة او من دار الشّرك النّفسانيّة [مَا لَكُمْ مِنْ وَلَايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ] لانّهم لم يقرنوا وصلهم الصّورىّ الحاصل بالبيعة الصّوريّة بالوصل المعنوىّ بالخروج فى طريق الخليفة الصّوريّة اوالباطنيّة فلم يتّصلوا معنىً بكم ولا بمن اتّصلتم به فلا ولاية ولا اتّصال بينكم وبينهم فلا توارث ولا موادّة بينكم وبينهم [حَتَّى يُهَاجِرُوا وَإِنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ] لافى الامور الدّنيويّة اعتباراً لمفهوم القيد [فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ] لانّ وصلتهم الصّوريّة لها حرمة وعليكم بها حقّ لهم [إِلَّا عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ] فانّ الميثاق و ان كان حقّه وحرمته ادون من البيعة و الاسلام لكن هو ايضاً وصلة بنحو ولها حرمة ولا قوّة للوصلة الاسلاميّة من دون اقترانها بالوصلة المعنويّة بحيث تفوق تلك الوصلة [وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ] من موالاة من امرتم بموالاته وترك موالاة من امرتم بترك موالاته [بَصِيرٌ وَالَّذِينَ كَفَرُوا] بترك البيعة النّبويّة او الولويّة [بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ] بحكم السّنخيّة والمجانسة وإلّا فهم كالكلاب الضّارية يعضّ بعضها بعضاً، نعم اذا رأت غير جنسها اتّفقت وحملت مجتمعةً عليه:

متّحد جانهای شیران خداست جان گرگان و سگان ازهم جداست

[إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ] يعنى ما ذكرنا من الموالاة و تركها انّما هو لصلاح نظام المعاش مؤدّيا الى نظام المعاد لانّه يورث الاتّحاد فى الآراء ، وفى ترك موالاة المؤمنين المهاجرين وموالاة الكفّار وان كانوا ارحاماً يحصل اختلاف الآراء و به يحصل فساد نظام المعاش و فى فساده للنّاقصين فساد نظام المعاد فالمراد بالفتنة اختلاف الآراء المستتبع للفساد [فِي الْأَرْضِ] ارض العالم الكبير وارض العالم الصّغير [وَفَسَادٌ كَبِيرٌ] لتجرّى الكفّار باختلاف آرائكم عليكم واطّلاعهم بموالاتكم على ما يمكنهم الغلبة به عليكم [وَالَّذِينَ آمَنُوا

وَ هٰاجَرُوا وَجٰاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللّٰهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَ نَصَرُوا أُولٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا] كرّره بلفظه احضاراً لهم بمديحتهم و اشعاراً بعلّة الحكم [لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ] علوىٌ لاكالارزاق الارضيّة الّتى فى تحصيلها كلفة و مشقّة وحال الارتزاق فيها زحمة و بعد الارتزاق حاجة الى المدافعة [وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدُ] يعنى من بعد ايمانكم وهجرتكم [وَ هٰاجَرُوا وَ جٰاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولٰئِكَ مِنْكُمْ] و يجب موالاتهم كموالاتكم [وَأُولُوا الْأَرْحٰامِ بَعْضُهُمْ أَوْلٰى بِبَعْضٍ فِي كِتٰابِ اللّٰهِ] فى مكتوبةٍ فى اللّوح و هو نسخ للتّوارث بالهجرة والنّصرة [إِنَّ اللّٰهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ] فيحكم تارةً بالتّوارث بالهجرة وتارةً بالرّحم لمصلحةٍ يعلمها ويأمركم بموالاة انفسكم و ترك موالاة الكفّار ايضاً لمصلحة .

سورة التوبة

مائة وتسع وعشرون آية وهي مدنيّة كلّها وقيل : غير آيتين وهما قوله تعالى : لقد جاءكم رسولٌ (الى آخر السّورة) واسماؤها عشرة سورة براءة ، والتّوبة ، والفاضحة ، والمبعثرة لبحثها عن اسرار المنافقين، و المقشقشة لتبرئتها من النّفاق ، و البحوث لبحثها عن اسرار المنافقين ، و المدمدمة اى المهلكة ، و الحافرة من الحفر بمعنى التّنقية ، والمثيرة ، وسورة العذاب . عن امير المؤمنين (ع) لم ينزل بسم الله الرّحمن الرّحيم على رأس سورة براءة لانّ بسم الله للامان والرّحمة ونزلت براءة لدفع الامان والسّيف، وعن الصّادق (ع) الانفال وبراءة سورةٌ واحدةٌ ولذلك لم ينزل بينهما بسم الله الرّحمن الرّحيم، وقيل : كان النّبيّ (ص) ينزل عليه الآيات فيدعو بعض الكتّاب فيقول : ضع هذه الآيات فى سورة كذا وكذا ، وكان الانفال فى اوّل ما نزلت فى المدينة وبراءة فى آخر ما نزلت وقبض رسول الله (ص) ولم يبيّن انّها منها فوضعناها عقيبها من دون بسم الله الرّحمن الرّحيم؛

٨ [بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ] هذه من المصادر النّائبة عن افعالها و اصلها برء الله و رسوله براءة من الّذين عاهدتم ثمّ حذف الفعل و اقيم المصدر مقامه و وصل الفاعل بحرف الجرّ صفة له ، نظيره مايقولون زعماً منهم وخلافاً لهم فانّهما اصلهما زعموا وخالفوا وابدل لفظة من بلفظة الى اشعاراً بتضمين معنى الوصول اوتقديره ، ثمّ عدل من نصب براءة الى الرّفع مبالغةً وتأكيداً وقد قرئ بالنّصب على اصله وعلى هذا فهى مبتدء مخصّص بالصّفة وخبره الى الّذين عاهدتم ويحتمل ان يكون خبراً لمبتدءٍ محذوفٍ ومن الله والى الّذين عاهدتم صفتين له اى براءة ناشئة من الله واصلة الى الّذين عاهدتم ، اوهذه براءةٍ واصله من الله الى الّذين عاهدتم ونسب المعاهدة الى المسلمين لانّها مع كونها من رسول الله (ص) كانت لمصلحة المسلمين فكأنّها كانت منهم، ونسب البراءة الى الله والرّسول مخاطباً للمسلمين اشارة الى وجوبها عليهم والّذين عاهدتم وان كان عامّاً لكنّه مخصّص بالنّاقضين بقرينة الاستثناء الآتى، فالنّظر فى انّه كيف يجوز نقض العهد من الرّسول (ص)؟ ساقط من اصله [فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ] اعلام وامهال نصفاً ورجاءً ان يتوبوا والمراد باربعة اشهر عشرون من ذى الحجّة الى عاشر ربيع الثّانى ؛ ونقل انّ فتح مكّة كان فى الثّامن من الهجرة ونزول سورة براءة فى العام التّاسع و حجّة الوداع فى العاشر واتّفق مفسّروا العامّة و الخاصّة انّه بعث رسول الله (ص) ابابكر اميراً على الموسم فقالت الخاصّة : بعثه بسورة براءة ثمّ نزل عليه الوحى ان لايؤدّى عنك الّا رجل منك فبعث علياً (ع) فلحق بأبى بكر واخذ سورة براءة منه وقالت العامّة: نزل براءة بعد بعثه (ص) ابابكر فبعث بعده علياً (ع) فقيل له (ص) فى ذلك فقال: لايؤدّى الّا رجل منّى وتفصيل قصّته مذكورة فى كتب الفريقين [وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ] تهديد لهم بانّ الامهال لاينفعهم [وَأَنَّ اللَّهَ مُخْزِي الْكَافِرِينَ وَأَذَانٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ]

هذا نظير براءة من الله فى نيابة المصدر عن الفعل والعدول الى الرّفع [إِلَى النَّاسِ] وهذا من التكرار المطلوب فى مقام التّهديد والغضب [يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ] سمّى يوم النّحر بالحجّ الاكبر فى مقابل العمرة ، او لانّ فى يوم النّحر معظم افعال الحجّ ، اولانّه كان سنة حجّ فيها المسلمون والمشركون [أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ] اى بانّ الله و رسوله عطف على المستتر فى بريء وقرء بالنّصب عطفاً على اسم انّ [فَإِنْ تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ] هذا ايضاً من التكرير المطلوب فى مقام التّهديد [وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ] من قبيل استعمال الضّدّ فى الضّدّ تهكّماً [إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ] استثناء من المشركين لبيان بقاء عهد غير النّاكثين [ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئاً] من شروط العهد [وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَداً] فانّ نقض الشّروط و مظاهرة العدوّ نقض فعلىّ [فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَى مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ] من نقض العهد بلا سببٍ [فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ] هى اشهر السّياحة الّتى جعلها الله حرماً لامان المشركين [فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ] من حلّ وحرمٍ [وَخُذُوهُمْ] بالاسر [وَاحْصُرُوهُمْ] عن المسجد الحرام [وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ] لئلا يبسطوا فى البلاد [فَإِنْ تَابُوا] بالتّوبة النّبويّة [وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ] بانقياد احكام الاسلام [فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ] لانّهم حينئذٍ يكونون امثالكم و لهم مالكم و عليهم ما عليكم [إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ] يغفر ما صدر عنهم بالتّوبة [رَحِيمٌ] برحمهم بالاسلام واقامة احكامه [وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ] من شرّ المؤمنين او من غيرهم طلباً للامان فى الدّنيا [فَأَجِرْهُ] فانّ التّوجّه اليك و ان كان للدّنيا له حرمة فلا تهتكها كما انّ لنحلة الاسلام بواسطة التّشابه بالاسلام و انقياد احكامه لها حرمة و غاية الاجارة سماع كلام الله و فيه حصول المقصود من ارسالك [حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ] فانّ فى سماع كلام الله كسراً لسورة عنادهم واستمالةً لهم الى الحقّ ومقاتلتك ليست الّا لذلك [ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ] بعد ارادة العود الى وطنه بان لا يتعرّض احد من المسلمين له حتّى يبلغ بامانٍ منك وحافظٍ من المسلمين ان احتاج اليه الى وطنه او المكان الّذى هو مأمنه [ذَلِكَ] الالجاء حين الالتجاء و ابلاغ المأمن حفظاً لحرمة التّوجّه اليك و ان كان لاغراضٍ دنيويّة و انتظار سماع كلام الله [بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ] لاشتداد جهلهم بحيث ستر جهة علمهم الّذى هم مفطورون عليها و بسماع كلام الله يضعف جهة جهلهم و يظهر جهة علمهم فيرجى منهم قبول قولك بعد ظهور جهة علمهم [كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ] استفهام انكارىّ فى معنى النّفى و فيه معنى التّعجّب اى لا يكون للمشركين عهد عند الله وهو جواب لسؤال مقدّر كأنّه قيل: كيف يصحّ الغدر ونقض العهد ؟ـ فقال ليس لهم عهدٌ [إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ] عن نقض العهد [كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ] تكرار كيف لمناسبة مقام الذّمّ و السّخط

[لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلًّا] قرابة اوحلفاً وعهداً [وَلَا ذِمَّةً] عهداً على التّفسير الاوّل لأنّ اوحقّاً فى ذمّتهم على التّفسير الثّانى [يُرْضُونَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَى قُلُوبُهُمْ] عمّا يقولون بافواههم [وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ] خارجون عن حكومة العقل وحكومة خليفة الله و ذكر الاكثر لانّ بعض الكفّار لهم حالة انقياد لطاعة العقل ان نبّههم منبّه [اشْتَرَوْا بِآيَاتِ اللَّهِ] استيناف فى موضع التّعليل لفسقهم و الآيات اعمّ من الآيات التّكوينيّة النّفسانيّة والآفاقيّة والتّدوينيّة [ثَمَناً قَلِيلاً] من الاعراض الدّنيويّة و الاغراض الفاسدة و التّمتّعات الفانية [فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِهِ] اعرضوا او منعوا عن سبيله التّكوينىّ و هو سبيل العقل فى العالم الصّغير او عن سبيله التّكليفىّ وهو النّبوّة اوالولاية [إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ] من اشتراء الآيات والصّدّ عن السّبيل فانّ وباله لايرجى غفرانه [لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ] التّكرار باعتبار مطلوبيّة التّكرار فى مقام الذّمّ والسّخط [إِلًّا وَلَا ذِمَّةً وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ] الكاملون فى الاعتداء [فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَوٰةَ وَآتَوُا الزَّكَوٰةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ] التّكرار هنا ايضاً من التّكرار المطلوب [وَنُفَصِّلُ الْآيَاتِ] التّكوينيّة بالآيات التّدوينيّة [لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ] جمع اليمين بمعنى العهد لانّ العهد ينعقد باليمين اولانّ العهد شبيه باليمين بمعنى الحلف [مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ] وضع المظهر موضع المضمر اشعاراً بوصف ذمّ لهم [إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ] فانّ الايمان اذا لم تقترن بالوفاء كان وجودها كالعدم [لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ] عن الكفر والغدر فى الايمان ، اعلم، انّ تنزيل الآيات فى المشركين بالله وتأويلها فى المشركين بالولاية فانّ كلّ من بايع محمّداً (ص) اخذ عليه ان لا يخالف قوله فكلّ من خالف قوله فى علىّ (ع) نكث عهده و يمينه كاصحاب السّامرىّ و عجله وكاصحاب الصّفّين وكلّ من بايع علياً (ع) ثمّ خالفه كاصحاب الجمل و النّهروان فقد نكث عهده و يمينه لكنّ القتال ما وقع الّا مع اصحاب الجمل و الصّفّين و النّهروان و فى الاخبار ورد تفسيرها بحسب التّأويل بالمشركين بالولاية [أَلَا تُقَاتِلُونَ قَوْماً نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ] تحريص على القتال وتكرير للحكم بلفظ آخر لاقتضاء مقام الغضب له [وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ] قبل الايمان فانّ مشركى مكّة قبل المعاهدة والحلف مع الرّسول (ص) همّوا باخراجه عام الهجرة فانّ المشاورة والهمّة باخراجه كانت عام الهجرة قبل الهجرة كما مضى حكاية مشاورتهم فى دار النّدوة والمعاهدة والايمان كانت عام الحديبية و عام فتح مكّة [وَهُمْ بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ] بالمعاداة و مقابلة البادى بالمقاتلة كان جزاء عمله لا تعدّى فيها [أَتَخْشَوْنَهُمْ] لاينبغى لكم ان تخشوهم مع كونكم مؤمنين بالله مستظهرين به نجرئة لهم [فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ] شرط تهييج فانّ ايمانهم العامّ محقّق و هو يقتضى الاستظهار به و عدم الخوف من غيره والخوف من سخطه [قَاتِلُوهُمْ] تكرار باعتبار اقتضاء السّخط ولبيان العلل المختلفة و الغايات المترتّبة فانّ قوله: فقاتلوا ائمّة الكفر ؛ معلّل بأنّهم لا ايمان لهم و قوله : الا تقاتلون قوماً نكثوا ؛ الّذى هو فى معنى قاتلوا معلّل بنكث الايمان وهمّة اخراج الرّسول والبداءة فى القتال ،وقوله قاتلوهم مغيّى بتعذيبهم على ايدى المؤمنين

والعمدة مطلوبيّة التّكرار لاقتضاء مقام السّخط له [يُعَذِّبْهُمُ اللهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ] ذكر غايات خمس : الاوّل ـ تعذيبهم بالنّسبة الى من يقتل و يجرح ، و نسب التّعذيب الى ايدى المؤمنين للاشارة الى انّ ايديهم كما انّها اجزاء لهم و منسوبة اليهم كذلك هى آلات لفعله تعالى و واسطة اثره ، والثّانى ـ اخزاؤهم بالاذلال و اتلاف المال بالنّسبة الى من سلم من القتل و الجرح و هما راجعان الى الكفّار ، و الثّالث ـ ظهور نصرته و غلبة المؤمنين عليهم فانّه لولا المقاتلة لم يظهر النّصرة ، والرّابع ـ شفاء صدور المؤمنين واستعمال الشّفاء والتّشفّى منتسبين الى الصّدر وباعتبار الالم الّذى يصل اليها من اعتداء المعتدى ، والخامس ـ اذهاب غيظ قلوبهم وغيظ القلوب عبارة عمّا يحمل الانسان على ارادة الانتقام وهو ناش من الم القلوب ، وهذه الثّلاثة بالنّسبة الى المؤمنين ونسبة الشّفاء واذهاب غيظ القلوب الى قوم من المؤمنين للاشارة الى انّ بعض المؤمنين لا يتألّمون من اعتداء المشركين بل يرون اعتداءهم سائقاً لهم الى ربّهم، كما انّ مرافقه مولاهم قائدة لهم وقوله بالفارسيّة « دربلاهم ميچشم لّذات او » اشارة الى هذا [وَيَتُوبُ اللهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ] ادّاه مرفوعاً بصورة الاستيناف للاشارة الى عدم لزومه للمقاتلة كسوابقه لكن اتى باداة العطف مشعراً بانّه ايضاً قد يترتّب على المقاتلة [وَاللهُ عَلِيمٌ] بالغايات المترتّبة على المقاتلة ولذا يأمركم بها [حَكِيمٌ] لايأمركم الّا بمافيه صلاحكم وصلاح اعداءكم [أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا] على فراغكم ولاتؤمروا بالمقاتلة [وَلَمَّا يَعْلَمِ اللهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ] اى جهاد المجاهدين فانّ فى الاتيان بالموصول ايماءً الى اعتبار حيثيّة الصّفة و لمّا كان لعلمه تعالى مراتب وبعض مراتبه مع الحادث و فى مرتبة الحادث وان كانت بالنّسبة اليه تعالى قديمة واجبة بقدمه ووجوبه تعالى صحّ نفى العلم عنه باعتبار نفى حدوث الحادث ، اوالفعل مضمّن معنى الظّهور اى ولمّا يظهر علمه بالّذين جاهدوا منكم، اونسبة نفى العلم اليه تعالى باعتبار مظاهره اى لمّا يعلم النّبىّ الّذى هو مظهر الله [وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً] عطف على جاهدوا والوليجة الجماعة الّتى يكون الشّخص مراوداً لهم و مستظهراً بهم وخاصّتك من الرّجال ومن تتّخذه معتمداً عليه من غير اهلك والدّصيق بالشّخص الّذى لاينفكّ عنه ، والمراد بالمؤمنين الائمّة كما فى الاخبار لانّهم الكاملون فى الايمان و لانّهم الاصل فيه و ايمان غيرهم فرع ايمانهم ، و لانّهم يجعلون النّاس فى امان الله بالبيعة معهم ويجيز الله امانهم ، ويجوز تعميم المؤمنين ، وفسّر الوليجة فى الاخبار بالبطانة وبمن يقام دون ولىّ الامر [وَاللهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ] فيعلم المجاهد ، وآخذ الرّسول (ص) والمؤمنين وليجة ، ويعلم القاعد ، والآخذ غير الله ورسوله والمؤمنين وليجةً ، وهو ترغيب فى المجاهدة والاعتماد على الله وتهديد عن القعود والاعتماد على غير الله [مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللهِ] استيناف لردّ مفاخرة المشركين بعمارة المسجد الحرام وسقاية الحاجّ وحجابة البيت وفكّ العناة كما فسّر فى الاخبار ، و فيه ايضاً ردع للمؤمنين عمّا يتخاطروا به من عدم جواز مقاتلة المشركين مع كونهم مباشرين لتلك الاعمال السّنيّة والمناصب الشّريفة ، والمقصود انّه ليس الاعتبار بمشاكلة صورة اعمال الابرار و ان صدرت من الاشرار بل الاعتبار بمصدر الاعمال فتعميرهم فى الحقيقة تخريب لمسجد القلب حيث يراؤن و يفتخرون به ، و سقايتهم صدّ متعطّشى مملكتهم عن ماء الحيوة حيث يعجبون به ، وحجابتهم حجابة الشّيطان لبيته الّذى هو بيت النّفس ،

وفكّ العناة اسرلاحرار قواهم وصدّ لهم عن الرّجوع الى مولاهم، انّما يعمر مساجدالله من آمن بالله يعنى بالايمان بالله و مساجدالله هى الصّدور المنشرحة بالاسلام والقلوب المستنيرة بنور الايمان و عمارتها بالاسلام والايمان ؛ ولذا قال اشارةً الى هذا البيان [شٰهِدِينَ عَلىٰ أَنْفُسِهِمْ بِالْكُفْرِ] حالاً حيث يعملون اعمال الكفر وقالاً حيث يقولون مايلزم الكفر من عدم الاعتقاد بالبعث والحساب وبارسال الرّسول وانزال الكتاب وغير ذلك ممّا يستلزم الكفر وعدم المعرفة بالله [أُولٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمٰالُهُمْ] فلا يباهوا بصور اعمالهم ولاتنظروا ايّها المؤمنون الى صورها لانّها ساقطة بل هى كالاجساد الميتة الّتى توذى حاملها [وَفِي النّٰارِ هُمْ خٰالِدُونَ إِنَّمٰا يَعْمُرُ مَسٰاجِدَ اللّٰهِ مَنْ آمَنَ بِاللّٰهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقٰامَ الصَّلٰوةَ وَآتَى الزَّكٰوةَ] لاغيرهم فهو تأكيد للنّفى السّابق بمفهومه ولمّا كان عمارة المساجد الصّوريّة مع الاتّصاف بالشّرك تخريباً للمساجد الحقيقيّة الّتى هى القلوب واربابها وكان حكم التّخريب غالباً وحكم العمارة مغلوباً كأنّها لم تكن ، وكان الايمان بالله واليوم الآخر الّذى هو كمال القوّة النّظريّة فى اعتقاد المبدء والمعاد وقد اندرج فيه جميع المعارف الرّاجعة الى المبدء والمعاد واقام الصّلوة وايتاء الزّكوة اللّذان هما كمال القوّة العمليّة ، وهما اصلان لجميع النّسك والعبادات عمارةً للمسجد الحقيقىّ الّذى هو القلب وصاحبه و صار حكمها غالباً بحيث تنسب الى المساجد الصّوريّة و ان لم تكن فيها عمارة قال بطريق الحصر : انّما يعمر مساجدالله آتياً بالجمع المضاف المفيد للعموم و بمن الموصولة المفيدة للعموم ، مع انّ اكثر المؤمنين لم يعمروا مسجداً قطّ ولوصحّ بتضمين يعمر معنىً يصحّ فالتّأدية بهذه الصّورة للاشارة الى هذا المعنى [وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللّٰهَ] تعريض بالضّعفاء من المؤمنين [فَعَسىٰ أُولٰئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ أَجَعَلْتُمْ سِقٰايَةَ الْحٰاجِّ وَعِمٰارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرٰامِ كَمَنْ آمَنَ] اى كعمل من آمن او هو بتقدير مضاف فى جانب المسند اليه وهو خطاب للمشركين اوللمؤمنين اوللجميع [بِاللّٰهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ] وهو كمال العلم [وَجٰاهَدَ فِي سَبِيلِ اللّٰهِ] وهو اجمال الصّلوة والزّكوة اللّتين هما كمال العمل ، والتّكرار باعتبار مطلوبيّته فى مقام الذّمّ والمدح [لٰا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللّٰهِ] بحسب العلم والعمل اى الحال الّتى هم عليه [وَاللّٰهُ لٰا يَهْدِي الْقَوْمَ الظّٰالِمِينَ] فلا يستوون بحسب الغاية ايضاً لانّ الله يهدى المؤمنين ، ووضع الظّاهر موضع المضمر اشعاراً بذمّ لهم وبعلّة عدم هدايتهم [اَلَّذِينَ آمَنُوا وَ هٰاجَرُوا وَ جٰاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللّٰهِ بِأَمْوٰالِهِمْ وَ أَنْفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللّٰهِ] تكرار الاوصاف باعتبار اقتضاء مقام المدح [وَ أُولٰئِكَ] الموصوفون بتلك الاوصاف العظيمة [هُمُ الْفٰائِزُونَ] لاغيرهم [يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَ رِضْوٰانٍ] تفصيل لفوزهم ، والرّحمة هنا محمّد (ص) و نبوّته لانّها صورة الولاية الّتى هى الرّحمة ، و الرّضوان علىّ (ع) وولايته ، والتّنكير للتّفخيم [وَجَنّٰاتٍ لَهُمْ فِيهٰا نَعِيمٌ مُقِيمٌ خٰالِدِينَ فِيهٰا أَبَداً إِنَّ اللّٰهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ] كأنّه استكثر ماذكر فقال تعالى : هذا فى جنب ماعندالله لهم قليل فهو استيناف جواب لسؤال مقدّر [يٰا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا] بالايمان العامّ [لٰا تَتَّخِذُوا آبٰاءَكُمْ وَإِخْوٰانَكُمْ أَوْلِيٰاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمٰانِ] فانّ نسبة الايمان قطعت النّسبة الجسمانيّة فهى مقدّمة على نسبة القرابة الجسمانيّة، ونقل عن الباقر (ع) انّ الكفر فى الباطن فى هذه الآية ولاية

مخالفى علىّ(ع) والايمان ولاية علىّبن ابى‌طالب(ع)؛ وعلى هذا فليعمّ الايمان الايمان الخاصّ ، ومعلوم انّ احكام الايمان العامّ جارية فى‌الايمان الخاصّ بل‌هواولى بهامن‌الايمان‌العامّ [وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَاُولٰئِكَ هُمُ الظّٰالِمُونَ] حيث وضع ولايته فى غير موضعها و ظلم نفسه بالصّرف عن جهة الايمان الى جهة الكفر [قُلْ إِنْ كَانَ اٰبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا] ذكر اصول مشتهيات النّفس [أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللّٰهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ] اعلم ، انّ الانسان واقع بين النّفس و العقل و مقتضيات النّفس هى الاعراض الدّنيويّة المعدودة واصولها فى الآية ومقتضيات العقل الامور الاخرويّة الباقية والانزجار عن الاعراض الفانية ورفضها الّا من باب‌المقدّمة ، والمبتلى بالنّفس ومقتضياتها واقع فى‌جهنّامها ولا محالة يكون سبيله الى السّجّين ودار الشّياطين، والمتنعّم بالعقل ومقتضياته واقع فى‌طرف الآخرة ولامحالة يكون سبيله‌الى‌الجنان ونعيمها،فمن‌غلب عليه حبّ الاعراض فليعالج نفسه وليتضرّع الى ربّه حتّى لا يكون ممّن او عده الله بقوله [فَتَرَبَّصُوا حَتّٰى يَأْتِيَ اللّٰهُ بِأَمْرِهِ] من ازهاق الرّوح وحضور الموت فانّه حينئذ ينكشف له انّه كان فى جهنّام النّفس وسبيله الى السّجّين [وَاللّٰهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ] يعنى انّ اختيار الاعراض الفانية على الامور الباقية فسق و الفاسق لا يهديه الله الى سبيل الجنان فوضع الظّاهر موضع المضمر للدّلالة على‌فسقهم وعلّة تهديدهم، **روى** انّه لمّا آذن امير المؤمنين (ع) بمكّة ان لايدخل المسجد الحرام مشرك بعد ذلك العام جزعت قريش جزعاً شديداً و قالوا : ذهبت تجارتنا و ضاع عيالنا وخربت دورنا فأنزل‌الله تعالى قل ان‌كان اباؤكم (الآية) [لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللّٰهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ] فليرجّح طالب الاعراض الفانية محبّة‌الله و رسوله حتّى يحصل مأموله **روى** انّ المواطن كانت ثمانين وهى مواقع الحرب [وَيَوْمَ حُنَيْنٍ] من قبيل ذكر الخاصّ بعد العامّ و سبب غزوة حُنين وهووادٍ بين مكّة والطّائف انّ رسول‌الله(ص)حين خرج لفتح مكّة اظهرانّه يريد هوازن ، وبلغ الخبر اليهم فتهيّؤا وجمعوا اموالهم ونساءهم وذراريهم وحملوها معهم وقصدوا رسول‌الله (ص) ، فبلغ الخبر اليه (ص) فجمع القبائل ووعدهم النّصر والغنيمة فجمع اثنى عشر الفاً وخرج من مكّة يستقبلهم ، فقال ابوبكر معجباً لن نغلب اليوم فلمّا التقى‌الفريقان فى وادى حنين وهووادٍ له انحدار بعيد انهزم المسلمون هزيمة فاحشة ثمّ نصرهم‌الله‌بالملائكة‌فأخذوا‌غنائم‌وافرة واسارى كثيرة بلغ عددالاسارى ستّة آلاف، ولمّا لم‌يخف نصرة‌الله فى ذلك اليوم على احدٍ حتّى على المشركين حيث قال بعض اساراهم : اين الخيل البلق ؟! و الرّجال عليهم ثياب بيض؟- وكان الغنائم والاسارى اكثرمايكون؛ خصّه‌الله بالذّكر [إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ] قد مضى انّ المعجب كان‌ابوبكر وقدساء مقالته رسول‌الله(ص) [فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئاً] من‌الاغناء اوشيئاً من بأس الاعداء فانّ الكثرة اذا لم‌تكن قرينة للنّصرة لاتنفع ، والنّصرة هى‌المغنية سواء‌كانت قرينة للكثرة اوللقلّة [وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ] حين غلبتم وانهزمتم [بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ] عن رسول الله (ص) وعن‌الجهاد [ثُمَّ أَنْزَلَ اللّٰهُ سَكِينَتَهُ عَلٰى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ] يعنى بعد ماصرتم‌مغلوبين وعلمتم انّ الكثرة وتهيّة الاسباب لاتغنى‌ولاتصير سبباً للغلبة انزل‌الله سكينته‌الّتى هى‌سبب‌اطمينانكم‌وقوّة قلوبكم،والسّكينة‌على‌مافسّرت

فى الاخبار من، انّها ريح تفوح من الجنّة لها وجه كوجه الانسان، تناسب ما فسّرها به الصّوفيّة الصّافية من انّها صورة ملكوتيّة تظهر على صدر الانسان متصوّرة للاتباع بصورة الشّيخ المرشد وللمتبوعين بصورة مناسبة لهم تسمّى بالملك اوبجبرئيل بحسب تفاوت مراتبهم، وحين تمثّل صورة الشّيخ اوالملك يصير ملكوت المتمثّل له غالبة وملكه مغلوباً وحينئذٍ يكون له الغلبة على النّفس واهويتها وعلى الملك ومن وقع فيه، لانّه مؤيّد بالسّكينة الّتى هى من سنخ الملك وجاذبة للملائكة ولذا قال بعد انزال السّكينة [وَأَنْزَلَ جُنُوداً لَمْ تَرَوْهَا] وقد مضى تحقيق السّكينة فى سورة البقرة عند قوله تعالى : انّ آية ملكه ان يأتيكم التّابوت فيه سكينة من ربّكم [وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا] بالقتل والاسر ونهب الاموال [وَذٰلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ] تعريض بالامّة حيث كانوا يكفرون بعد محمّد (ص) بالولاية ، و قصّة حنين مذكورة فى المفصّلات مفصّلة من أراد فليرجع اليها [ثُمَّ يَتُوبُ اللّٰهُ مِنْ بَعْدِ ذٰلِكَ] التّعذيب [عَلٰى مَنْ يَشَاءُ] يعنى لاتنظروا اليهم بعد التّعذيب بنظر التّحقير لامكان تداركه رحمته تعالى لهم لانّهم عباد الله و صنائعه [وَاللّٰهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ] قد يؤاخذ عباده اصلاحاً لهم كما قد يؤاخذ نقمةً لهم وألا فمغفرته ورحمته سابقة [يٰا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ] ابداء حكم آخر [فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هٰذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً] بسبب قلّة تجارتكم لمنع المشركين عن التردّد الى بلدتكم فثقوا بالله وارجوا فضله [فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللّٰهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ] التّعليق على المشيّة لقطع الاغترار بالوعد ولانّه لم يكن لكلّهم وقد انجز وعده بعد اجلاء المشركين بتبسّط اهل المدينة و مكّة على سائر البلاد وبعد ذلك بتوجّه اهل الشّرق والغرب اليها [إِنَّ اللّٰهَ عَلِيمٌ] بعواقب اوامره ونواهيه [حَكِيمٌ] لايأمر ولا ينهى الّا لمصلحة و حكمة [قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللّٰهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ] بعد ما اظهر حكم المشركين واجلاءهم ومقاتلتهم بتأكيد وتغليظ بيّن حكم اهل الكتاب ولم يصدّره بالنّداء اشارةً الى التّفاوت بينهم و بين المشركين فى التّغليظ [وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللّٰهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتٰابَ] لفظ من للتّبعيض [حَتّٰى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ] مايقرّر ويقضى من جزى دينه اذا قضاه [عَنْ يَدٍ] عن قوّة وبطش منكم وهذا مثل سائر فى العرب والعجم يقول العاجز الذّليل تحت يد غيره : افرّ عن يده، كما يقول العجم « فرار كردم از دست فلانكس » و هذا المعنى هو المناسب للمقام ولتنكير لفظ اليد ، و قد ذكر له معانٍ اُخر مثل : منقادين ، وعن غنىً ، وعن انعامٍ ، وعن يدهم لايد غيرهم [وَهُمْ صَاغِرُونَ] اذلّاء و حكم الجزية واهلها مذكور فى المفصّلات من التّفاسير والكتب الفقهيّة [وَقَالَتِ الْيَهُودُ] امّا استيناف على القول بمجيء الواو للاستيناف ، اوعطف باعتبار المعنى فانّ تعليق الامر بالمقاتلة على الموصول للاشعار بعلّة الحكم فكأنّه قال: قاتلوا الّذين لايؤمنون بالله من جهة انّهم لم يؤمنوا وقالوا [عُزَيْرٌ ابْنُ اللّٰهِ] ووضع الظّاهر موضع المضمر لارادة التّفصيل وتعيين قائل كلّ قول، اعلم، انّ القائلين عزيرٌ ابن الله ، والمسيح ابن الله، ونحن ابناء الله، لم يريدوا بتلك الكلمة ما يفهم منها بحسب الظّاهر من التّوليد والتّجسيم واثبات الزّوج لله ، بل ارادوا بيان النّسبة الرّوحانيّة بهذه الكلمة وقالوا من حصل له القرب من الله بحيث يأخذ الاحكام والآداب منه تعالى بلاواسطة بشر فهو ابن الله ، وكذا من انتسب الى الله بواسطة الاتّصال بنبيّ اوولىّ فهو ابن الله بياناً لشدّة القرب اولصحّة

الانتساب ولا شكّ في صحّة هذا المعنى ، ولكنّها ممنوعة في حقّه تعالى لايهامها معناها الظّاهر والتّجسيم و التّوليد كما حمل الاتباع هذه الكلمة على ظاهرها و قالوها بمعناها الظّاهر ، ولاشكّ انّ معناها الظّاهر كفر و فرية ، و لهذا حكاها تعالى شأنه عنهم ذمّاً لهم [وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ] نقل انّه كان يقول : انّ ابى يقول كذا ، و ثبت هذا المعنى في الانجيل [ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ] لا اعتقاد لهم به بأىّ معنىً كان فانّ الاعتقاد بهذا المعنى يقتضى العمل بمقتضاه وهو عدم التّخلّف عن قول من نسبوه بالنّبوّه الى الله و ليس كذلك مثل قوله تعالى يقولون بافواههم ماليس في قلوبهم [يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا] اى يضاهئ قولهم قول الّذين كفروا : بحذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه ، والمضاهاة في عدم كون قول كلّ عن اصل و عدم موافقته للاعتقاد وكون كلّ ناشئاً من محض التخيّل من غير حجّة عليه كقول المجنون ، والمراد بالّذين كفروا [مِن قَبْلُ] امّا اليهود على ان يكون المراد بهم النّصارى ، اومطلق الكفّار [قَاتَلَهُمُ اللَّهُ] باعدهم الله ولعنهم وكثيراً ما يستعمل في هذا المعنى في العرف ، ونقل عن علىّ(ع) انّه بمعنى لعنهم الله [أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ] عن الحقّ [اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ] قد مضى انّ الاحبار علماء الملّة والرّهبان علماء الدّين والطّريقة [أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ] يطلق الرّبّ على المطاع وهو الرّبّ في الطّاعة ، وعلى المعبود وهو الرّبّ في العبادة ، وعلى المدبّر في الوجود وهو الرّبّ في الوجود وبقائه ، وعلى الخالق وهو الرّبّ في الايجاد والمقصود من الرّبّ ههنا هو الرّبّ في الطّاعة حيث قالوا لهم : هذا حلالٌ وهذا حرامٌ ، وهذا من التّوراة والانجيل ، فسمعوا منهم من غير حجّة ، والنّاس غير العلماء الآلهيّين منهم لابدّ لهم من ربٍّ بشرىّ يطيعونه لعدم بصيرتهم بأمر دينهم وبأمر دنياهم على وجهٍ لايضرّهم في عقباهم وذلك الرّبّ المطاع امّا منصوبٌ من الله فقوله قولٌ من الله وقول الله ، وطاعته طاعة الله ، وربوبيّته ربوبيّة الله ، وامّا غير منصوب من الله فهو غير الله و هو ناش من غير الله و طاعته غير طاعة الله فقوله من دون الله تقييد للارباب يعنى ارباباً ناشين من دون الله من حيث ربوبيّتهم ، اوارباباً هم بعض من غير الله على ان يكون من للابتداء اوللتّبعيض [وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ] عطف على احبارهم يعنى اتّخذوا المسيح بن مريم ربّاً في العبادة ولذا جاء به بعد تمام حكم المعطوف عليه واخّره عن الاحبار ليكون ترقّياً الى الابلغ في الذّمّ ، ان قلت : انّ المسيح منصوب من الله فهو ربّ من الله ولاذمّ في اتّخاذه ربّاً ؟ ! فالجواب انّ ربوبيّته في الطّاعة من حيث انّه من الله ممدوحة و امّا ربوبيّته في العبادة كما تفهم من قولهم انّه آلهٌ او انّه ابن الله ، اوانّه ثالث ثلاثة وكذا ربوبيّته في الطّاعة من حيث انّه مستقلّ في الرّبوبيّة فهى مذمومة واشراك بالله [وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَٰهًا وَاحِدًا] غير مركّب في ذاته وغير متعدّد في الوجود فطاعة الرّسل ان كانت من حيث انّهم رسل الله طاعة الله وطاعتهم لامن تلك الحيثيّة ليست طاعة الله [لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ] صفة بعد صفة اوحال او مستأنف و المقصود منه حصر الآلهة فيه كأنّه قال : ما أمروا الا ليعبدوا آلهاً واحداً محصوراً فيه الآلهة [سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ] في الطّاعة والولاية كاشراك الاحبار والرّهبان او في الطّاعة والعبادة والآلهة جميعاً كاشراك المسيح وهو تعريض بالامّة حيث اشركوا في الولاية والطّاعة من لم ينصبه الله وللاشارة الى التّعريض قال تعالى/[يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ] بالمضارع و الّا فالمناسب لحال اليهود و النّصارى

ان يقول : ارادوا مثل اتّخذوا بالماضى والمراد بنوراللّه ولاية علىّ (ع) فانّها نور يظهر به الحق ويتميّز به السّعيد عن الشقىّ، والمراد بالاطفاء بالافواه القاء الشّبهات والاحاديث الموضوعات والتّحريف فى الكتاب للتّدليس على الجهّال شبّه ذلك بالنّفخ فى السّراج و فى الاخبار مايدلّ على التّعريض المذكور [وَيَأْبَى اللّٰهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ] باللّه اوبالرّسالة بحسب التّنزيل اوبالولاية بحسب المراد [هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ] امّا استيناف منقطع عمّا سبق لابداء حكم آخر قطعاً لاطماع المشركين فى ابطال رسالة محمّد(ص) وعلى هذا فاضافة الرّسول للعهد ، وامّا استيناف فى موضع التّعليل لقوله و يأبى اللّه الّا ان يتمّ نوره اى رسالة رسوله وعلى هذا فاضافة الرّسول (ص)، امّا لتعريف الجنس وتعميمه اولتعريف العهد و فيه ايضاً قطع لاطماع المشركين، والمراد بالرّسول امّا معنىً عامّ للرّسل (ع) واوصيائهم (ع) فانّهم رسل من اللّه بواسطة الرّسل، اومعنى خاصّ بالرّسل الاصطلاحيّة الّذين اوحى اليهم بشرع وتبليغه ، اوالمراد محمّد(ص) وعلى التّقديرين الاخيرين فالمقصود سراية الحكم الى اتباعهم اواتباعه ، امّا من باب الفرعيّة والتّبعيّة وامّا لانّهم اجزاء الرّسل بحسب سعتهم الولويّة وامّا لانّهم مظاهر الرّسل بحسب صدورهم وقلوبهم وعقولهم، فيصحّ تفسير الآية بخروج القائم عجّل اللّه فرجه و انّها ممّا لم يأت تأويلها و انّه (ع) اذا ظهر ظهر على الاديان كلّها [بِالْهُدَىٰ] بما به الهدى وهو الاحكام القالبيّة الشّرعيّة كما اشير الى تسمية الاسلام واحكامها بالهدى فى قوله تعالى : وَلٰكِنَّ اللّٰهَ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ ان هداكم للايمان [وَدِينِ الْحَقِّ] دين الحقّ هو طريق الحقّ وهو الولاية والايمان الخاصّ الحاصل بالبيعة الباطنة الولويّة وبعبارة اخرى الهدى هو الاسلام ودين الحقّ هو الايمان وقد فسّر دين الحقّ بولاية علىّ (ع) فى اخبارنا، فعن الكاظم (ع) فى هذه الآية والآية السّابقة: هو الّذى امر رسوله بالولاية لوصيّه والولاية هى دين الحقّ ليظهره على جميع الاديان عند قيام القائم (ع) واللّه متمّ ولاية القائم ولو كره الكافرون بولاية علىّ (ع) قيل : هذا تنزيل؟ـ قال: نعم هذا الحرف تنزيل وامّا غيره فتأويل [لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ] اتى بالمفرد المستغرق بقرينة التّأكيد بالكلّ دون الجمع روماً للاختصار واشعاراً بانّ الاديان الباطلة مع كثرتها و نهاية فرقتها متّحدة فى الغاية وهى الانتهاء الى السّجّين و الملكوت السّفلى [وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ] باللّه او بالرّسالة او بالولاية [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيراً مِنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ] اتى بالنّداء ومؤكّدات الجملة من انّ و اللّام و اسميّة الجملة امّا للاشعار بأنّ شأنهم التّحفّظ عن اموال النّاس بحيث ينبغى ان ينكر هذا منهم اويردّد فى وقوعه منهم حتّى يكون ابلغ فى الذّمّ والتّفضيح ، او لتأكيد لازم الحكم الّذى هو المقصود منه من ذمّهم وتفضيحهم وتنفير النّاس منهم ومن اقوالهم [وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللّٰهِ] عن النّبىّ (ص) اوعن الولىّ (ع) والمقصود التّعريض بأمّة محمّد(ص) ومن يأتى بعده بصورة الاحبار والرّهبان من المتسمّين بالعلماء والفقهاء و بالصّوفيّة والعرفاء الّذين لافقه لهم سوى مايحصل به الاعراض و الاغراض ولامعرفة لهم ولاتصوّف سوى الدّلق والحلق [وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ] امّا عطف على ليأكلون ووجه حسنه مع الاختلاف بالاسميّة و الفعليّة الاشعار بانّ الّذين يكنزون الذّهب مشهور ذمّهم بحيث لاينكر وانّ الاحبار والرّهبان هم الّذين يكنزون وقد اشتهر ذمّهم فلاتبالوا بقولهم ، وامّا عطف على اسم انّ عطف المفرد اوعطف على جملة انّ مع اسمها وخبرها بتقدير مبتدء اوبتقدير خبر اومستأنف بجعل الّذين مبتدء وقوله

فبشّرهم خبراً له وقد مرّ انّ مايسمّونه واوالاستيناف هوواوالعطف بلحاظ المعنى [وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ] دخول الفاء فى الخبر على كونه خبراً لكون المبتدء فى معنى الشّرط [يَوْمَ يُحْمَى] يوقد النّار [عَلَيْهَا] على الذّهب والفضّة وضمير المؤنّث باعتبار معنى الجمعيّة والكثرة فيهما [فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ] ذكر تعالى اشرف الاجزاء و اقواها اشارةً الى شمول الكيّ اولانّهم ارادوا بالكنز الوجاهة ونعامة فراش الجنبين والظّهر مقولاً لهم [هَذَا] الّذى تكوون به [مَا كَنَزْتُمْ] اوهذا الكيّ غاية ماكنزتم وهو ضدّ ما اردتم [لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ] اى وباله قد اختلف الاخبار فى حقيقة الكنز و فى قدر يصدق عليه الكنز و فى مال يصدق عليه و قد ذكرت الاخبار فى المفصّلات، و تحقيق الحقّ فيه موافقاً لاشارات الاخبار انّ الانسان له مراتب كثيرة و حكمه و حاله فى كلّ مرتبة مخالف لحاله فى غيرها، مثلاً الواقع فى جهنّام النّفس الّذى لايرى الخير الّا ماافتضته نفسه ولايرى الّا الاسباب وكان محجوباً عن الله وتسبيبه، فكلّما جمع مالاً لايكون ذلك منه الّا لمحض حبّ المال اومحض الاتّكال فى المعاش عليه مع عدم الوثوق بالله والتّوكّل عليه، وهذا المال منه كنز قليلاً كان اوكثيراً تحت الارض كان اوفوقها مؤدّىً زكوته اوغير مؤدّى، بل هوشرك بالله وكفروصاحبه وثنىّ وذلك المال صنمه، وان توجّه من جهنّام النّفس الى الملكوت العليا ولامحالة يكون متزجراً عن النّفس وجهنّامها لكنّه مالم يخرج منها يكون مقيّداً مبتلى بمقتضياتها وسلاسل شهواتها ، فان جمع فى حال التّوجّه والانزجار متوكّلاً به على الله مصداقاً لماقيل فى مضمون الصّحيحة النّبويّة: (مثنوى) « باتوكّل زانوى اشتربند» معيناً به على خروجه وعلى معيشته لم يكن كنزاً ، لانّه حينئذٍ يؤدّى حقوقه الواجبة والمندوبة حيث يريد الخروج من تحت امر نفسه و الدّخول تحت امر ربّه ، وان جمع فى حال التّقييد بالنّفس ومشتهياتها ولامحالة يكون محجوباً من الله والتّوكّل عليه كان كنزاً ادّى حقوقه اولم يؤدّ ، وان خرج من تلك الجهنّام الى الجانب الايمن من طور الصّدر كان له الحالتان ايضاً لكن تقيّده بسلاسل شهواتها يكون اضعف ، و ان خرج من بيت نفسه الخراب الى بيت قلبه المعمور فهوايضاً ذووجهين وله الحالان ، وان دخل بيت قلبه فقد دخل دارالامان و فى حقّه قيل :

كفر گيرد سلّتى ملّت شود

فميزان الكنز وعدمه حال الانسان لاحال المال وقدره ، فالفقير المحبّ للدّنيا مكتنز، والغنىّ المنزجر غير مكتنز ، والكنز عبارة عن محبّة الدّنيا المدّخرة فى بيت القلب اعتماداً عليها ووثوقاً بها لا المال المكتنز تحت التّراب [إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْراً] استيناف لابداء ذمّ اخر للمشركين وعلّة اخرى لمقاتلتهم اعلم، انّ الايّام والشّهور الزّمانيّة الّتى هنا صور للدّهر والدّهر صورة للسرمد، والكلّ ظهور سير شمس الحقيقة فى بروجها السّتّة النّزوليّة والسّتّة الصّعوديّة وغروبها فى افق كرة ارض الطّبع وطلوعها منه و ظهور الكلّ علينا بهذا الزّمان الّذى يعبّر عنه باليوم والليل والشّهر والعام، فهذه الايّام والاشهر لها حقائق متمايزة فى مراتب الملكوت والجبروت وتلك الحقائق لها آثار وخواصّ ورقائق فى هذه ، وما قاله الانبياء(ع) واصحاب الوحى والتّحديث من خواصّها وما جرّبه المجرّبون منها عشر من اعشار خواصّها ، وما يترتّب عليها مثل ما قالوا من خواصّ ايّام الاسبوع اوايّام الشّهور ، ومثل ما قالوا من خواصّ الشّهور ولمّا جعل المشركون كالطّبيعيّين واكثر العوامّ ماسمعوه منها كالاسمار ولم يستمعوه بسمع الحقيقة والاعتبار بل قالوا: انّ الايّام متشابهة والاشهر

متوافقة لاتمايز بينها فى الحقيقة وانّ ما قيل فيها من التّمايز والخواصّ محض اعتبار لاحقيقة له قال تعالى ردّاً عليهم، انّ عدّة الشّهور عندالله كما انّها عندكم اثنى عشر شهراً يعنى ماعندكم من اثنى عشراً قمريّةً فى كلّ عام تقريباً وشمسيّةً فى كلّ عام حقيقةً انّما هى رقائق للحقائق الّتى عندنا ، وكلّ منها مظهر لحقيقة من تلك الحقائق ولكلّ خواصّ وآثار ليست لغيره و لذا أتى بالتّميز التّأكيدىّ لاسم العدد تمكيناً فى القلوب ولم يكتف بقوله عندالله وقال [فِي كِتٰبِ اللّٰهِ] اى مكتوب الله اوالكتاب المبين الّذى هوالعقل اواللّوح المحفوظ [يَوْمَ خَلَقَ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضَ] يعنى قبل استقرارها عندكم وبعد ما بيّن انّ حقائقها عندالله مؤكّداً هذا المعنى بالقيود الثّلاثة بيّن بعض خواصّها بقوله [مِنْهٰا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ] ذوالقعدة وذوالحجّة والمحرّم ورجبٌ ثمّ أكّد حرمتها بقوله [ذٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ] الّذى لاعوج فيه يعنى اعتقاد حرمتها والتّصديق بهاهو الطّريق القويم الّذى كانت الانبياء عليه فمن عدل عنه كان خارجاً عن طريق الانبياء [فَلٰا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ] بان يقتل بعضكم بعضاً وينهب ويأسر، اوفلاتظلموافيهنّ انفسكم بالاعتداء فيهنّ بهتك حرمتها بالمقاتلة فيها وارتكاب سائرما لاينبغى [وَقٰاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً] فى غير تلك الاشهر لانّهم هتكوا حرمتها بالنسيء بقرينة انّما النّسيء زيادة فى الكفر و فى تلك الاشهر حيث بدؤكم بالقتال فيها بقرينة [كَمٰا يُقٰاتِلُونَكُمْ كَافَّةً] و اتّقوا هتك حرمة تلك الاشهر [وَاعْلَمُوا أَنَّ اللّٰهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيٰادَةٌ فِي الْكُفْرِ] استيناف فى موضع التّعليل للامر بالمقاتلة والمراد بالنّسيء تأخير حرمة الشّهر الحرام الى شهر آخر وتحليل المقاتلة فى ذلك الشّهر الحرام كانوا اذاجاء الشّهر الحرام ولم يريدوا ترك المقاتلة فيه يقولون: هذا الشّهر كسائر الاشهر فنقاتل فيه ونترك القتال فى شهر آخر ، وكونه زيادة فى الكفر لانّه بعد الكفر بالله بواسطة الكفر بالرّسول تبديل لاحكام الله المقرّرة عنده المكتوبة فى كتبه العالية قبل خلق هذا العالم [يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا] حيث يخرجون من الطّريق القويم المستقيم بالخروج منه [يُحِلُّونَهُ] اى النّسيء او الشّهر الحرام المنسيّ [عٰاماً] بيان لضلالتهم [وَيُحَرِّمُونَهُ عٰاماً لِيُوَاطِؤُا] يوافقوا [عِدَّةَ مٰا حَرَّمَ اللّٰهُ] عدد الاشهر الّتى حرّمها الله [فَيُحِلُّوا] بالنّسيء [مٰا حَرَّمَ اللّٰهُ زُيِّنَ لَهُمْ سُوءُ أَعْمٰالِهِمْ] جوابٌ لسؤال مقدّر [وَاللّٰهُ لٰا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكٰافِرِينَ] الى الطّريق القويم ولذا احلّوا ما حرّم وحرّموا ما احلّ وزيّن لهم القبائح [يٰا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا] بالايمان العامّ اوبالايمان الخاصّ [مٰا لَكُمْ إِذٰا قِيلَ لَكُمُ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللّٰهِ] اى الجهاد الصّورىّ او فى طلب الولاية اوفى طريق القلب بالجهاد الباطنىّ والذّكر والفكر ورفض الهوى وترك مأمول النّفس [أَثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ] ارض التّراب اوارض الطّبع اوارض النّفس ، ونزول الآية فى غزوة تبوك ، وسبب غزوة تبوك على ما نقل انّ رسول الله (ص) كتب كتاباً الى بعض حكّام ممالك الشّام وأرسل حارث بن عمر والازدىّ ، ولمّا وصل الحارث الى موتة من قرى بلقاء من اعمال الشّام ومنها الى بيت المقدس مرحلتان ، قتله شرحبيل بن عمرو الغسّانىّ احد امراء القيصر فوصل الخبر الى رسول الله (ص) فهيّأ سريّة موتة و جعل زيدبن حارثة اميراً عليهم و قال حين الوداع : ان قتل زيدٌ فالامير جعفربن أبى طالب ، وان قتل جعفر فالامير عبدالله بن رواحة ، وان قتل عبدالله فالامير من ارتضاه المسلمون ، وكان يهودىّ حاضراً فسمع مقالته فقال : يا ابا القاسم ان كنت صادقاً فى نبوّتك فكلّ من عيّنته للامارة فلابدّ

من ان يقتل ، لانّ انبياء بنى اسرائيل اذا وجّهوا عسكراً الى قتال الاعداء وعيّنوا جمعاً للامارة هكذا قتلوا جميعاً، فتوجّه زيدٌ مع العسكر الى المقصد وبعد المقابلة مع الاعداء والمقاتلة قتل الّذين سمّاهم الرّسول (ص) للامارة ، و روى انّه ما افلت من اهل الاسلام الّا قليلٌ ، وروى انّ كثيراً منهم بقوا وغيّروا بعد يوم المقاتلة اوضاعهم فتوهّم شرحبيل وظنّ وصول المدد الى اهل الاسلام و ارتحل وصار متحصّناً ، ورجع اهل الاسلام سالمين الى المدينة ، وكان ذلك فى العام الثّامن من الهجرة وفى هذا العام كان فتح مكّة وغزوة حنين مع بنى هوازن ، ثمّ لمّا دخل العام التّاسع من الهجرة ورد عير الشّام المدينة واشاعوا فيها انّ سلطان الرّوم جمع الجنود يريد غزو المدينة، وانّ هرقل قد سار بجنودٍ عظيمةٍ وجلب معهم غسّان وجذام وبهراء وقد قدّم عساكره البلقاء ونزل هو حمص، فأمر رسول الله (ص) اصحابه بالتهيّؤ الى تبوك وهى من بلاد البلقاء ، وبعث الى القبائل حوله والى مكّة والى كلّ من اسلم وحثّهم على الجهاد وامر اهل الجدة ان يعينوا من لا قوّة له على الخروج، روى انّ ابابكر عرض جميع أمواله ، وانّ عمر بذل نصف امواله ، وانّ عثمان جهّز مائتى ابلٍ ، وقيل : ثلاثمائة ابل، وبذل ألف دينارٍ وعبد الرّحمن بن عوف بذل اربعين وُقيّة من الذّهب وأربعة آلاف درهمٍ ، وهكذا بذل كلّ بقدر همّته وسعته وبلغ عسكره (ص) الى ثلاثين الفاً، وقيل: الى اربعين الفاً، ولمّا كانت تلك الغزوة صعبةً لبعد السّفر وشدّة القيظ وكثرة جنود الاعداء تقاعد بعض عن الحركة والغزو فنزل : يا أيّها الّذين آمنوا مالكم اذا قيل لكم انفروا (الآيات) ، وسار الرّسول (ص) بالعسكر فى غاية المحنة والمشقّة فى شدّة حرارة الهواء وقلّة الماء حتّى نزل بعين تبوك وكانت عينه قليلة الماء فغسل (ص) يده ووجهه بمائها فنبع الماء منها بحيث أخذ جميع العسكر منه باعجازه (ص) ومكث (ص) فى ذلك الموضع عدّة ايّام، فصحّ عنده (ص) انّ خبر خروج عسكر الرّوم كان كذباً فشاور الاصحاب فى الرّجوع ورجع من هناك، وبعث (ص) خالد بن الوليد مع اربعمائة وعشرين فارساً ليغير على دومة الجندل، وبعد وصولهم الى نواحى دومة الجندل فى اللّيل وجدوا اكيدر حاكمها مع اخيه حسّان ومعدودٍ من خدمه فى طلب الصّيد فقاتلوهم وقتلوا حسّاناً واسروا اكيدر وانهزم قليلٌ منهم، ودخلوا الحصار وتحصّنوا مع اخيه الاخر مصاد فقال الخالد لأكيدر: لا اقتلك وأذهب بك الى رسول الله (ص) ان امرت أخاك واهل القلعة ان يفتحوا باب الحصار ويسلّموا الينا الف ابلٍ وسبعمائة بردٍ واربعمائة سنانٍ واشترط لك ان آخذ حكومة دومة الجندل لك من رسول الله (ص)، فقبل اكيدر وصالح وأرسل الى اخيه مصاد ان : افتح باب الحصار وهيّئ مال الصّلح، وبعد اخذ مال الصّلح رجع خالد و معه أكيدر وأخوه مصاد و دخلوا المدينة سالمين غانمين [أَرَضِيتُمْ بِالْحَيٰوةِ الدُّنْيٰا] استفهام توبيخ [مِنَ الْاٰخِرَةِ] بدل الآخرة [فَمٰا مَتٰاعُ الْحَيٰوةِ الدُّنْيٰا فِى الْاٰخِرَةِ إِلّٰا قَلِيلٌ] الفاء للسّببيّة باعتبار انكار الرّضا بالحيوة الدّنيا [إِلّٰا تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذٰاباً أَلِيماً وَيَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ] بعد اهلاككم تهديد ووعيد بعد توبيخٍ وتقريعٍ [وَلٰا تَضُرُّوهُ شَيْئاً] بهلاككم اوبتقاعدكم اوبمكركم وهو اظهار للغنى عنهم وعدم الحاجة اليهم ، والضّمير المفعول امّا لله اوللرّسول (ص) بقرينة المقام ولتوافق ضمير ان لا تنصروه [وَاللّٰهُ عَلىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ] يقدر على نصرة رسوله بدون امدادكم وعلى اهلاككم واستبدالكم قوماً غيركم [إِلّٰا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللّٰهُ] تذكيرٌ لهم بنصرته له (ص) حين لم يكن له معاون حتّى يتحقّق عندهم نصرته بدونهم استمالةً لقلوبهم [إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا] حين شاوروا فى امره بالاجلاء و الحبس

والقتل فی دار النّدوة کماسبق [ثٰانِیَ اثْنَیْنِ] یعنی لم یکن معه الّا رجلٌ واحدٌ وهو ابوبکرٍ [إِذْهُمٰا فِی الْغٰارِ] غارثورٍ وهو جبل فی یمنی مکّة علی مسیرة ساعةٍ [إِذْیَقُولُ لِصٰاحِبِهِ لٰاتَحْزَنْ] والاتیان بالمضارع للاشارة الی انّه کرّر هذا القول لعدم سکونه عن اضطرابه [إِنَّ اللّٰهَ مَعَنٰا] و من کان الله معه لایغلب فلاتحزن من اطّلاع الاعداء وغلبتهم ، **روی** عن الباقر (ع) انّ رسول الله (ص) اقبل یقول لابی بکر فی الغار : اسکن فانّ الله معنا وقد أخذته الرّعدة وهولایسکن فلمّا رأی رسول الله (ص) حاله قال له : اتریدان اریک اصحابی من الانصار فی مجالسهم یتحدّثون؟ واریک جعفراً واصحابه فی البحر یغوصون ؟ـ قال : نعم فمسح رسول الله (ص) بیده علی وجهه فنظر الی الانصار یتحدّثون ، والی جعفرٍ واصحابه فی البحر یغوصون ، فأضمر تلک السّاعة انّه ساحر [فَأَنْزَلَ اللّٰهُ سَکِینَتَهُ عَلَیْهِ] السّکینة کما فی الخبر ریح تفوح من الجنّة لها وجه کوجه الانسان ، وهی کمامضی قبیل هذا و فی سورة البقرة علی ما حقّقها الصّوفیّة صورة ملکوتیّة ملکیّة آلهیّة تظهر بصورة احبّ الاشیاء علی صدر السّالک الی الله وأحبّ الاشیاء الی السّالک هوشیخه المرشد ووليّه القائد، وتسمّی عندهم بالسّکینة و الفکر والحضور وهی السّلطان النّصیر و الطمأنینة و الیها أشیر بقوله تعالی : **أَلا بِذِکْرِ اللّٰهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ**، ولذکر الله اکبر ، وهی النّور فی قوله الله نور السّموات والارض ، وبهایحصل معرفة علیٍّ (ع) بالنّورانیّة، وهی ظهور القائم عجّل الله فرجه فی العالم الصّغیر وبها استنارة سماوات روحه واراضی نفسه وطبعه کماقال تعالی: **واشرقت الارض بنور ربّها** ، وهی الاسم الاعظم والکلمة الّتی هی اتمّ ، وهی حقیقة الرّحمة والهدی والفتح و النّصرة و الصّراط المستقیم و الطّریق القویم و السّبیل الی الله والفوز و النّجاح ، وغیر ذلک من الاسماء الحسنی الّتی لاحدّ لها و اشیر الیها فی الآیات و الاخبار ، و لذلک کان تمام اهتمام المشایخ فی تلقین الذّکر الخفیّ القلبیّ اوالجلیّ اللّسانیّ بتحصیل هذا المقام للسّلاک وکانوا یأمرونهم بالفکر الّذی هوهذا تعمّلاً حتّی تظهر وتنزل تلک السّکینة من غیر تعمّلٍ ورویّةٍ ، ولامقام لبشریّة الانسان نبیّاً کان اووليّاً اوتابعاً لهما اشرف من هذا المقام کما قال فی مقام الامتنان فی هذه السّورة : **ثمّ انزل الله سکینته علی رسوله وعلی المؤمنین** فی غزوة حنین الّتی کانت فی الثّامن من الهجرة وحین کمال النّبوّة وتبلیغ الرّسالة، **اذا عرفت هذا فاعلم**، انّ العامّة جعلوا هذه الآیة دالّة علی فضیلة أبی بکرٍ حیث کان اولّ من هاجر و ذکر بمصاحبته للرّسول (ص) ولا دلالة فی الآیة علی فضیلةٍ له ان لم یکن دلالة علی ذمّه ، فانّ الصّحابة البشریّة قدکانت للمشرکین والکفّار والمنافقین المرتدّین بل الفضیلة فی الصّحابة الملکوتیّة الّتی هی ظهور ملکوت الصّاحب علی ملکوت الصّاحب ، وفی الآیة دلالة علی عدمها حیث خاطبه (ص)، بلا تحزن ، فانّ الصّحابة الملکوتیّة مانعة من الحزن باعثة علی السّکون والوقار، وایضاً هی دالّة علی عدم حصولها له بعد هذا الخطاب حیث افرد الضّمیر المجرور فهوامّا راجع الی النّبیّ (ص) او الی ابی بکرٍ ، ورجوعه الی ابی بکرٍ وان کان یتراءی انّه مناسب لاضطرابه ورعدته لکنّه یستلزم تفکیک الضّمیر فی قوله وأیّده بجنودٍ ویستلزم امّا عدم نزول السّکینة علی النّبیّ (ص) وهومستلزم لافضلیّة ابی بکر اوعدم الاعتناء بذکر النّبیّ (ص) وهوایضاً کذلک اوعدم الحاجة الی ذکره ولیس به، لانّ الحاجة فی مقام اظهار النّعمة علی الاحباب ماسّة الی ذکر مثل هذه النّعمة العظیمة الّتی لانعمة اعظم منها فی مقام البشریّة کما سبق من ذکره (ص) بهذه النّعمة بعد الثّامن من الهجرة وکمال النّبوّة ، ولوسلّم صحّة رجوعه الی ابی بکر

كانت الآية من المتشابهات الّتى لايستدلّ بها على منقبة تثبت بها الامامة ؛ هذا اذا كان عطفاً على اخرجه ، واما اذا كان عطفاً على قد نصره الله من قبيل عطف التّفصيل على الاجمال فلايحتمل عود الضّمير الى ابى بكر [وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا] اى لم تقووا على رؤيتها ان كان المراد بالجنود السّكينة ومحافظة الملائكة فى الغار واغماء الكفّار عنه بنسج العنكبوت وبيض الحمامة وانبات الشّجر على فم الغار او لم تقع رؤية منكم لها ان كان المراد مطلق جنود الملائكة فى غزواته [وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللهِ هِيَ الْعُلْيَا] الكلمة كمامرّ مراراً تشمل الكلمات اللّفظيّة والكلمات التّكوينيّة من العقول والارواح وعالم المثال والقوى البشريّة والحيوانيّة والنّباتيّة والاخلاق والاحوال والافعال فى العالم الصّغير ، وهى ان كانت منتسبة الى الولاية الّتى هى كلمة الله الحقيقيّة بلا واسطة او الى من انتسب الى الولاية فهى كلمات الله ، لانّ كلمة الله الحقيقيّة هى المشيّة الّتى يعبّر عنها بالحقّ المخلوق به ، والاضافة الاشراقيّة والحقيقة المحمّديّة وعلويّة علىّ (ع) وهى الولاية المطلقة ، وكلّما كان منتسباً اليها كان كلمة الله ، وكلّما كان كلمة الله كانت عليا بعلوّ الله وكان العلوّ ذاتيّاً لها لا عرضيّاً محتاجاً الى الجعل والتّسبيب ، ولذا أتى بالجملة الثّانية مرفوعة المبتدأ مستأنفة او معطوفة على الجملة الفعليّة اوحالاً عن فاعل جعل اومفعوله ، اوالمستتر فى السّفلى مؤكّدة باسميّة الجملة وضمير الفصل وتعريف المسند الدّالّ على الحصر الّذى هو تأكيد على تأكيد لامنصوبة عطفاً على مدخول جعل ، وان لم تكن منتسبة الى الولاية فان كانت منتسبة الى الشّيطان بان كان صاحبها متمكّناً فى تبعيّة الشّيطان بحيث لا يكون مدخل و مخرج فى وجوده الّا للشّيطان ، فهى كلمات الشّيطان والسّفليّة ذاتيّة لها ، وان لم تكن كذلك بان لم يكن صاحبها متمكّناً فى تبعيّة الشّيطان ولامنتسباً الى الله والولاية ، فهى ليست كلمات الله ولا كلمات الشّيطان بل هى منتسبة الى ماهو الغالب الظّاهر من احوال صاحبه كالاسلام والايمان والمحبّة والرّضا والسّخط والشّرك والكفر ، وهى بذاتها لاسفلى ولا عليا بل محتاجة الى جعل فى ذلك ، ولذلك اتى بالجعل فى الجملة الاولى من غير التّأكيد بضمير الفصل [وَاللهُ عَزِيزٌ] لن يغلب حتّى يتصوّر السّفليّة لكلمته [حَكِيمٌ] لايتطرّق الخلل الى ماكان منتسباً اليه حتّى يتصوّر طرّ والسّفليّة لكلمته فالعطف من قبيل عطف السّبب [انْفِرُوا خِفَافاً وَثِقَالاً] شبّاناً و شيوخاً اومجرّدين عن الخدم والحشم والسّلاح ومثقّلين بها اوناشطين وغير ناشطين فى العالم الكبير اوفى العالم الصّغير امرهم بالجهاد بعد التّوبيخ بقوله : مالكم اذا قيل لكم انفروا ، وبقوله ارضيتم بالحيوة الدّنيا ، والتّهديد بقوله الّا تنفروا يعذّبكم الله ، والتّرغيب بتذكير نصرته لنبيّه (ص) وتأييده له (ص) حتّى يكون اوقع فى القلوب وابعد من الانكار [وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ] الامور و عواقبها [لَوْ كَانَ عَرَضاً قَرِيباً] غنيمة قريبة الوصول [وَسَفَراً قَاصِداً] متوسّطاً غير بعيد [لَاتَّبَعُوكَ] بيان لسبب تخلّفهم وتثبّطهم وانّ المانع لهم والباعث على العذر الكاذب هو بعد السّفر وكثرة المشقّة [وَلَكِنْ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ] الشّقّة بالضّمّ وبالكسر النّاحية يقصدها المسافر و السّفر البعيدة و المشقّة و تعدية بعدت بعلى لتضمينه معنى ثقلت [وَسَيَحْلِفُونَ بِاللهِ] بعد رجوعكم اليهم [لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ] يعنى ماكان لنا استطاعة للخروج فلم نخرج ، اخبر نبيّه (ص) انّهم سيعتذرون بعدم الاستطاعة

كذباً و هو اخبار عن المستقبل [يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ] استيناف جواباً لسؤال مقدّر اى مالهم فى هذا العذر والمقصود ؛ انّهم بعد التخلّف ان اعترفوا بتقصيرهم وتابوا أحيوا أنفسهم لبقاء استعداد الحيوة لكنّهم بالعذر الكاذب أبطلوا استعدادهم للحيوة وأهلكوا انفسهم من صورة الحيوة بالتّخلّف ، و من استعدادها بعدم التّوبة و العذر الكاذب [وَاللّٰهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكٰاذِبُونَ] بالغ فى تأكيد تكذيبهم بانّ واسميّة الجملة واللّام مبدّواً بعلم الله الّذى هو بمنزلة القسم [عَفَا اللّٰهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ] اى لمطلق المستأذنين فى القعود [حَتّٰى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكٰاذِبِينَ] فى الاعتذار و هذا فى الحقيقة عتاب و توبيخ للمستأذنين بغير عذر على طريقة : ايّاك اعنى و اسمعى يا جارة ، و هذا من ألطف طرق مخاطبة ذوى الحظر يعاتبون مقرّبيهم و يريدون غيرهم تعريضاً واسقاطاً لذلك الغير عن شأنيّة المخاطبة والمشافهة وبدء قبل التّوبيخ والمعاتبة بالعفو تلطّفاً به [لٰا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللّٰهِ وَالْيَوْمِ الْاٰخِرِ أَنْ يُجٰاهِدُوا] عن ان يجاهدوا، اوكراهة ان يجاهدوا، او فى ان يجاهدوا فضلاً عن ان يستأذنوك فى التّخلّف عن ان يجاهدوا [بِأَمْوٰالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَاللّٰهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ] وضع الظّاهر موضع المضمر اشعاراً بانّ المؤمنين هم المتّقون وهو وعد لهم بانّ عملهم لايعزب عنه [إِنَّمٰا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لٰا يُؤْمِنُونَ بِاللّٰهِ وَالْيَوْمِ الْاٰخِرِ وَارْتٰابَتْ قُلُوبُهُمْ] فى تصديقهم بنبوّتك [فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ] يتحيّرون ويقفون عن السّير الى الله ، ولذا قال مولانا ومن به رجاؤنا فى عاجلنا و آجلنا امير المؤمنين (ع) : من تردّد فى الرّيب سبقه الاوّلون و ادركه الآخرون ووطئته سنابك الشّياطين [وَلَوْ أَرٰادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً] لامكن لهم تهيّة عدّته ومايحتاج اليه ، اوهيّؤا له اسبابه تهيّة ، فعدّة امّا مفعول به او مفعول مطلق من غير لفظ الفعل و على التّقديرين يكون تكذيباً لنفيهم الاستطاعة عن انفسهم [وَلٰكِنْ كَرِهَ اللّٰهُ انْبِعٰاثَهُمْ] لمّا توهّم من اسناد الافعال السّابقة اليهم انّهم مستقلّون فى افعالهم استدرك ذلك الوهم بسببيّة كراهته تعالى للخروج وانّ عدم خروجهم وعدم ارادتهم له مسبّب عن كراهته تعالى له لاانّهم مستقلّون [فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقٰاعِدِينَ] لمّا كان هذا القول من الله حقيقة وكان قائله ومن ظهر على لسانه ظاهراً و باطناً متعدّداً مختلفاً ولم يكن لخصوصيّة الفاعل مدخليّة فى المقصود من ذمّهم اسقط الفاعل فانّ هذا القول قد قاله باطناً ملائكة الله والشّياطين ، وظاهراً رسول الله (ص) حين اذن لهم فى القعود، واخوانهم من الانس حين خوّفوهم عن قتال الرّوم وبعد السّفر وشدّة القيظ [لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مٰا زٰادُوكُمْ إِلّٰا خَبٰالاً] مستأنف جواباً لسؤال مقدّر كأنّه قيل : ولم كره الله انبعاثهم؟ فقال : لانّهم لوخرجوا ما زادوا على ما انتم عليه الّا افساداً بالتّجبين والنّميمة والهرب من الزّحف حتّى يتقوّى قلوب اعداءكم بهربهم [وَلَأَوْضَعُوا خِلٰالَكُمْ] وضع البعير و اوضع اسرع فى السّير ، و اوضعه حمله على السّرعة فعلى الاوّل فالمعنى انّهم لوخرجوا فيكم أسرعوا خلالكم بالافساد والنّميمة والتّخويف اوأسرعوا بالهرب، وعلى الثّانى لوخرجوا فيكم حملوا ركائبهم على السّرعة بالافساد و النّميمة و التّخويف خلالكم او حملوا امثالهم على السّرعة فى الفرار [يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ] حال من فاعل اوضعوا اومستأنف لتكرار الذّمّ الّذى هو مطلوب فى المقام [وَفِيكُمْ سَمّٰاعُونَ لَهُمْ]

عطف على يبغونكم اوحال من فاعله اومفعوله والمعنى انّ فيكم سمّاعين لاقوالهم الفاسدة المفسدة اوسمّاعين لاقوالكم لان ينقلوها اليهم [وَاللّٰهُ عَلِيمٌ بِالظّٰالِمِينَ] وضع الظّاهر موضع ضمير السمّاعين اشارة الى صفة ذمّ لهم ووعيداً لهم، اوموضع ضمير المتقاعدين اشعاراً بذمّ آخر لهم ووعيداً لهم، واشارة الى انّ كراهته تعالى لانبعاثهم ليس جزافاً وبلاسبب انّما هو بسبب ظلمهم، فيكون استدراكاً لوهم متوهّم يتوهّم انّ كراهته تعالى انبعاثهم يكون نحو اجبار لهم على القعود، كما انّ قوله لكن كره الله انبعاثهم كان استدراكاً لمايتوهّم من استقلالهم فى افعالهم فليسوا مستقلّين فى الفعال ولا مجبورين فيها [لَقَدِ ابْتَغَوُا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ] قبل تلك الغزوة فى غزوة احد وغيرها من الغزوات من تجبين اصحابك وتدبير الفرار وتسليمك الى اعدائك [وَقَلَّبُوا لَكَ الْأُمُورَ] امور الغزو بان دبّروا خلاف ما امرت و دبّرت [حَتّٰى جٰاءَ الْحَقُّ] فى كلّ ما دبّروا و هو تأييدك و نصرتك على وفق ما أمرت و دبّرت [وَظَهَرَ أَمْرُ اللّٰهِ] اعلم ، انّ الحقّ المضاف هو المشيّة الّتى هى الحقّ المخلوق به وكلّ حقّ حقّ بالاتّصال به وكلّ باطل باطل بالانصراف عنه ، وانّ امرالله هوعالم المجرّدات الّذى ليس فيه الا امرالله لضعف الاثنينيّة بحيث لا يتصوّر هناك امرٌ و آمرٌ و مأمورٌ وايتمارٌ ، وكلّ من كان من افراد البشر متّصلاً بهذا العالم متّحداً به فهو ايضاً امرالله وكلّ ما صدر منه من هذه الحيثيّة فهو ايضاً امرالله ، و لمّا كان خليفة الله نبيّاً كان ام وليّاً ذاوجهين ، وجه الى الله وبه يأخذ من الله ، ووجه الى الخلق وبه يوصل ما يأخذ من الله الى الخلق ؛ و يعبّر عن وجهه الى الله بالحقّ و الوحدة والولاية ، وعن وجهه الى الخلق بالامر والكثرة و الخلق والنّبوّة والرّسالة ، والولاية بمعنى تدبير الخلق من جهة الباطن والخلافة بمعنى تدبيرهم من جهة الظّاهر فالولاية بالمعنى الاوّل روح الولاية بالمعنى الثّانى ، وكذا روح النّبوّة و الرّسالة و الخلافة فالفرق بين الحقّ و الامر كالفرق بين المطلق والمقيّد والرّوح والجسد والولاية والنّبوّة ، فالحقّ هوالولاية فى العالم الكبير ومظهرها الاتمّ علىّ (ع) والامر النّبوّة ومظهرها الاتمّ محمّد (ص) والنّبوّة عالم يغلب عليها الولاية والاتّصال بالوحدة لم يظهر غلبتها فى العالم الكبير ، فمجيء الحقّ يعنى غلبة الولاية على النّبوّة سبب لغلبة النّبوّة على الكثرات ولذا قدّم مجيء الحقّ ، كما انّ اعانة علىّ (ع) ومجيئه فى الغزوات كان سبباً لغلبة محمّد (ص) ، فالمعنى حتّى جاء الولاية و غلب الوحدة و ظهر النّبوّة وغلبت [وَهُمْ] اى المقلّبون [كٰارِهُونَ] توهين لهم وتسلية للرّسول (ص) والمؤمنين على تخلّفهم [وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ ائْذَنْ لِي] حكاية لقول بعضهم توهيناً وذمّاً له [وَلٰا تَفْتِنِّي] لا توقعنى فى الفساد و الافتتان بنساء الرّوم كما روى انّه (ص) رغّب بعضاً فى الجهاد فى غزوة تبوك فقال : يا رسول الله والله انّ قومى يعلمون انّه ليس فيهم اشدّ عجباً بالنّساء منّى واخاف ان خرجت معك ان لا اصبر اذا رأيت بنات الرّوم فلاتفتنّى ، او فلا تفتنّى بضياع المال والعيال ، اوفلاتفتنّى بالامر بالخروج وتخلّفى عنك ومخالفتى لامرك ، اوفلا تفتنّى بضياع البدن بالحركة فى الحرّ [أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا] يعنى انّ رغبتهم عن الخروج وعن امتثال أمرك ومصاحبتك هى فتنة عظيمة لنفوسهم تهلكهم عن الحيوة الانسانيّة الابديّة وقد وقعوا فيها ولايمكنهم الخروج عنها ، ولذلك اتى باداة الاستفتاح وقدّم المجرور و استعمل السّقوط [وَ إِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكٰافِرِينَ] حال عن فاعل سقطوا او عطف على جملة فى الفتنة سقطوا ، و لمّا كان هذا الحكم من شأنه ان ينكر فى بادى النّظر اتى بالمؤكّدات الثّلاثة ووضع المظهر موضع المضمر اشارة الى علّة الحكمين

و ابداءً لذمّ آخرلهم، اعلم ، انّ عالم الطّبع واقع بين العالمين الملكوت العليا والملكوت السّفلى ، والانسان الّذى هوخلاصة عالم الطّبع ايضاً واقع بين هاتين الملكوتين ولهما التّصرّف فى هذا العالم وفى بنى آدم ، لكن تصرّف الملكوت العليا فى الخيرات والوجودات والجذب الى عالم الخيرات ومعدن النّور، وتصرّف الملكوت السّفلى فى الشّرور والاعدام والجذب الى عالم الظّلمة ومعدن الشّرور، والملكوت العليا عالم نورانىّ لاظلمة فيها والملكوت السّفلى عالم ظلمانىّ لانور فيها ؛ والحاكم فى الاولى هوالله وفى الثّانية هوالشّيطان ومن هنا وهم الثّنويّة حيث انسلخ مرتاضوهم عن الطّبع واغشيته واتّصلوا بالمجرّدات فشاهدوا العالمين ، فقال من لم يشاهد حكومة الملكوت العليا على السّفلى: انّهما قديمان حاكمان على العالم ، وقال من شاهد ايجاد العليا للسّفلى: انّ السّفلى حادثة لكن لها التّصرّف والحكومة بالاستقلال على العالم، وقال من شاهد انّ فى كلّ من العالمين حاكماً وله الحكومة على عالمه وعلى عالم الطّبع، انّ للعالم آلهين: يزدان واهريمن، وقال بعض: انّ كلاًّ قديمٌ، وقال بعض : انّ اهريمن مخلوق حادث والملكوت السّفلى دارالشّياطين وسجن اهل الشّقاء وفيها النّار والجحيم وكلّ ما ورد فى الشّريعة من عذاب الاشقياء والكافرين ومن الحيّات والعقارب والزّقّوم والحميم ، والانسان الواقع بين العالمين اذا توجّه الى تلك الملكوت باتّباع الشّياطين واختيار النّفس وشهواتها ، ما لم يتمكّن فى هذا الاتّباع كان على شفير جهنّم وشفاجرف هذا الوادى ، واذا تمكّن فى هذا الاتّباع بحيث لم يبق له حالة رادعة صار داخلاً فى هذا العالم وواقعاً فى مقام يحيط به لهب جهنّم وكان جهنّم محيطة به باعتبار جمراتها ولهباتها كما قال تعالى : وانّ جهنّم لمحيطة بالكافرين [إِنْ تُصِبْكَ حَسَنَةٌ] غنيمة وغلبة فى تلك الغزوة [تَسُؤْهُمْ] استيناف فى موضع التّعليل يعنى انّهم احاط بهم الحسد الّذى هو من آثار السّجّين واشتعال نار الجحيم واحاطته دليل احاطة جهنّم بهم [وَإِنْ تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ] قتل اوجرح اوانهزام [يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِنْ قَبْلُ] اى الامر الّذى هو لائق بنا و بجودة رأينا من التّخلّف عمّا فيه الهلاك والاغترار بما لا حقيقة له من نصرة الله وملائكته [وَيَتَوَلَّوْا] عنك وعن المؤمنين [وَهُمْ فَرِحُونَ] بما أصابك لاقتضاء الحسد ذلك [قُلْ] لقومك تسلية لهم حين المصيبة عن المصيبة وعن شماتة القاعدين او قل للمتخلّفين زدّاً لهم فى فرحهم باصابة المصيبة و فى قولهم قداخذنا أمرنا [لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا] وماكتب الّا ما فيه صلاحنا [هُوَ مَوْلَانَا] استيناف فى موضع التّعليل [وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ] عطف على قل فهو من كلام الحقّ اوعلى مابعده فهو مقول القول ، والفاء امّا على تقدير امّا اوتوهّمه ، اوزائدة ، اوعاطفة على محذوف حذف و اقيم معمول مابعده مقامه اصلاحاً للّفظ ومثله فى تقديم معمول مابعد الفاء عليها لاصلاح اللّفظ قولك وامّا على الله فليتوكّلوا والاصل ليتذكّر المؤمنون فليتوكّلوا على الله وبعد حذف المعطوف عليه واقامة معمول ما بعد الفاء مقامه اظهر فاعل المعطوف لعدم تقدّم ذكر المرجع [قُلْ] تسليةً لقومك وردعاً للمتخلّفين الفرحين [هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ] الظّفر و الغنيمة او القتل و الجنّة [وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ] احدى السّوئتين [أَنْ يُصِيبَكُمُ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِنْ عِنْدِهِ] بالقتل والبلايا الشّديدة من دون واسطة بشر [أَوْ بِأَيْدِينَا] بالقتل والاسر و التّعذيب بأيدينا [فَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُمْ مُتَرَبِّصُونَ] فى الخبر فى تفسير الّا احدى الحسنين امّا موت فى طاعة الله او ادراك ظهور امام [قُلْ أَنْفِقُوا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً] تزييف لاعمالهم القالبيّة كما انّ سابقه تزييف

لخواطرهم القلبيّة النّاشئة عن رذائلهم النّفسيّة والمقصود التّهكّم بهم والتّسوية من الانفاق بالطّوع والانفاق بالاكراه و ليس الامر على حقيقته [لَنْ يُتَقَبَّلَ مِنْكُمْ] استيناف فى موضع التّعليل [إِنَّكُمْ كُنْتُمْ قَوْماً فٰاسِقِينَ] تعليل لعدم القبول [وَمٰامَنَعَهُمْ اَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقٰاتُهُمْ إِلّٰا اَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللّٰهِ وَبِرَسُولِهِ] عطف باعتبار المقصود ، فانّ المقصود من امره (ص) اظهار عدم قبول نفقاتهم فكأنّه تعالى قال لا يقبل منهم نفقاتهم الّتى انفقوها طوعاً اوكرهاً و ما منعهم ان تقبل نفقاتهم (الى الآخر) يعنى انّ كفرهم بالله منعهم من قبول نفقاتهم فانّ الاعمال كلّها قبولها بالايمان بالله [وَلٰا يَأْتُونَ الصَّلٰوةَ] القالبيّة اظهاراً لاحكام الاسلام [إِلّٰا وَهُمْ كُسٰالىٰ] لعدم نشاطهم بالاعمال الاخرويّة لكفرهم [وَلٰا يُنْفِقُونَ فِي سَبِيلِ اللّٰهِ إِلّٰا وَهُمْ كٰارِهُونَ فَلٰا تُعْجِبْكَ اَمْوٰالُهُمْ وَلٰا اَوْلٰادُهُمْ] الخطاب للنّبىّ (ص) و المعنى على ، ايّاك اعنى واسمعى يا جارة ، اوالخطاب عامّ لكلّ من يتأتّى منه الخطاب [إِنَّمٰا يُرِيدُ اللّٰهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهٰا فِي الْحَيٰوةِ الدُّنْيٰا] فى موضع تعليل للنّهى [وَ تَزْهَقَ اَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كٰافِرُونَ] الزّهوق الخروج بصعوبة ، اعلم ، انّ النّفوس البشريّة لمّا كانت سفليّة ترى الخير فى الجهات الدّنيويّة وان لاخير سواها وهى محصورة فيما اقتضته قوّتاها الشّهويّة والغضبيّة ، ومااقتضته الشّهويّة امّامحبوب لهامن غيرشعورمنها بغاية له اومحبوب لها لغيره ؛ والاوّل كالاولاد فانّ النّفوس مفطورة على محبّتهم غيرشاعرة بغاية لتلك المحبّة ، والثّانى كالاموال فانّها محبوبة لغايات عديدة هى محبوبة لها بذاتها ، كالمأكول والمشروب والملبوس و المسكون والمنكوحة و المركوب والحشمة والخدم والجاه والعرض وجذب القلوب والصّيت والثّناء وغيرذلك ، وقد يصير كثرة المال محبوبة لذاتها اذاغلب الحرص وأعمى صاحبه حتّى انّه يقتر فى مااقتضته الشّهويّة حفظاً للمال وحبّاً له ، كما انّه قد يصير الاولاد محبوبة لغيرها ، وما اقتضته الغضبيّة هو التّبسّط فى البلاد والتّسلّط على العباد وارادة الانتقام وسهولته وانقياد الخلق وطاعتهم وسياسة من خرج منهم من الطّاعة ويتولّد من هذه المذكورات جملة الرّذائل ويختفى بسببها جملة الخصائل ويتوسّل اليها كلّها بكثرة المال والاعوان واقوى الاعوان الاولاد ، وامّا الشّيطنة فانّها فى مقتضياتها خادمة للشّهويّة والغضبيّة بوجه فمن رأته صاحب كثرة الاموال والاولاد حسبته صاحب خيرات كثيرة واعجبتها كثرة امواله واولاده وتمنّت ان تكون لها هذه ، ولم تدرأنّها شاغلة له عن العلوّ والتّوجّه الى الله متعبةٌ له فى جمعها وحفظها مولمة له بخوف تلفها وحين تلفها ؛ ولذلك اقتصر على ذكر الاولاد والاموال ونهى نبيّه (ص) تعريضاً بامّته عن الاعجاب بها كصاحب النّفوس السّفليّة معلّلاً بعذاب الدّنيا والخروج الى الآخرة مع الكفر الموجب لعذاب الآخرة [وَيَحْلِفُونَ بِاللّٰهِ] عطف بلحاظ المعنى فانّ المقصود من السّابق انّهم خارجون عن المسلمين غيرمتّصفين بصفاتهم وكأنّه قال حين قال : ومامنعهم ان تقبل منهم نفقاتهم لم يكونوا على صفة المسلمين مقبولى النّفقات و يحلفون بالله [إِنَّهُمْ لَمِنْكُمْ وَمٰاهُمْ مِنْكُمْ] تكذيب لهم فى حلفهم [وَلٰكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ] يخافونكم على اموالهم وانفسهم [لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأً] حصناً يتحصّنون فيه اوسلطاناً يتقوّون به وهو جواب سؤال اقتضاه تكذيبهم [أَوْ مَغٰارٰاتٍ] فى الجبال [أَوْ مُدَّخَلاً] اسراباً فى الارض [لَوَلَّوْا إِلَيْهِ] وأعرضوا عنكم وما انتحلوا صورة الاسلام [وَهُمْ يَجْمَحُونَ] يسرعون اليه [وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ] يعيبك

[فِي الصَّدَقَاتِ] فی قسمتها وجمعها وحفظها للایصال الی مستحقّها [فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطَوْا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ] لاتّباعهم لکثّ فی الاغراض الفاسدة والاعراض الکاسدة لا لامر الدّین والآخرة، وقدذکر شأن نزولها فی الاخبار وانّها نزلت حین لمز الاغنیاء رسول الله (ص) فی تقسیم الصّدقات علی الفقراء، وورد انّ اهل هذه الآیة اکثر من ثلثی النّاس، والتّحقیق انّ کلّ من غلب حبّه للدّنیا علی حبّه للآخرة فهو من اهل هذه الآیة و اغلب النّاس لیس لهم حبّ للآخرة و أغلب من کان له حبّ الآخرة حبّه للدّنیا غالب علی حبّه للآخرة [وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ] من الغنی والفقر والاولاد والعقم والعزّة والذّلة والصّحّة والسّقم والامن والخوف وغیرذلک ممّا لیس بید العبد، اوالمراد ما آتاهم الله من الصّدقات والغنائم علی ید رسوله (ص) فانّ الکلام فیهافیکون ذکرالله اشارة الی انّ اعطاء محمّد (ص) اعطاءالله وانّه لایفعل من عند نفسه وهوتعظیم لشأنه (ص) [وَرَسُولُهُ] من الغنائم و الصّدقات فانّ الرّضا بقضاء الله اذا قضی مالایلائم یهوّن امره و اذا قضی مایلائم یورث الشّکر و یجلب المزید، والرّضا بما أعطاه الرّسول (ص) قلیلاً کان اوکثیراً یورث المحبّة له والتّوجّه الیه والاتّباع له و فی الکلّ خیرالدّنیا و الآخرة وعدم الرّضا یورث اضدادها [وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ] منقطعین من الکلّ الیه متوکّلین علیه راجین من فضله [سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ] فی موضع التّعلیل [إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ] المسکین کما مضی اسوء حالاً من الفقیر وهما اذا اجتمعا افترقا واذا افترقا اجتمعا، والفقیر من لایقدربالفعل اوبالقوّة علی قوت سنته [وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا] اجرة لعملهم [وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ] فانّهم معدّون لحفظ ثغور المسلمین او مستمالون لاستماع آیات القرآن واحکام المسلمین حتّی یعرفوا انّ محمّداً (ص) رسول الله [وَفِي الرِّقَابِ] العبید تحت الشّدّة او المکاتب العاجز عن اداء مال الکتابة اوما یلزم المسلمین من الکفّارات ولم یقدروا علی ادائها [وَالْغَارِمِينَ] الّذین لم یستدینوا فی ما لم یأذن به الله [وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ] الجهاد او هو والحجّ اوکلّ سبیل خیر [وَابْنِ السَّبِيلِ] المسافر فی سفرمباح لایقدربالفعل ولابالقوّة ولو بالاستدانة علی مؤنة سفره الی وطنه [فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ] فرض الله فریضة [وَاللَّهُ عَلِيمٌ] بموارد الصّدقات [حَكِيمٌ] فی تسنینها و تخصیص مواردها [وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ] یقبل کلّ ما یسمع من ایّ قائل اتّفق [قُلْ] هو [أُذُنُ خَيْرٍ لَكُمْ] یسمع کلّ ما فیه صلاحکم وان لم تعلموا انّ فیه صلاحکم [يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ] امّا مقول قوله (ص) اومستأنف من الله والمقصود بیان حاله اوتعلیل کونه اذن خیر، اعلم، انّ للسّالک الی الله ایماناً بالله فی مقام الوحدة والتّوجّه الیه عن الکثرة و فی هذا الایمان لاتوجّه له الی الکثرة لابخیر ولابشرّ، وایماناً فی مقام الکثرة والتّوجّه الیها بالله وفی هذا المقام له نحوتصرّف فی الکثرة امّا بخیر اذاکان المتوجّه الیه ممّن یقبل التّصرّف بالخیر کجملة اجزاء العالم سوی الاشقیاء من بنی آدم، وامّا بشرّ اذاکان المتوجّه الیه ممّن یصیر الخیر فی وجوده شرّاً، لانّ الشّرّ لیس من المتصرّف فی الکثرة بالذّات بل تصرّفه یصیر بواسطة القابل شرّاً، فقوله یؤمن بالله اشارة الی الایمان الاوّل وقوله یؤمن للمؤمنین اشارة الی الایمان الثّانی، والمعنی یؤمن بالله فی مقام الکثرة یعنی یصدق الکلّ فانّ کلّاً فی مقامه مسخّر لله و مظهر له و ما یظهر منه فی الحقیقة ظهور فعل الله لکنّه بحسب المظاهر یصیر

فى بعض شرّاً وفى بعض خيراً ولاينتفع بهذا الايمان من محمّد(ص) الّا المؤمنون، لانّه كان بحسب هذا الايمان نافعاً للكلّ لكن يصير ذلك النّفع فى بعض القوابل ضرّاً وشرّاً، وبما ذكر يظهر صحّة الاخبار ووجه الجمع بينها والى ما ذكر اشار بقوله [وَرَحْمَةٌ] عطفاً على اذن خير وما بينهما اعتراض [لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ] بالايمان العامّ اوالخاصّ وكان ارادة الايمان الخاصّ انسب بالمقام، لانّه اشير الى مطلق الانتفاع الّذى هو عامّ لجملة المسلمين الّذين بايعوه بالبيعة العامّة بقوله اذن خير لكم وبقوله يؤمن للمؤمنين، ولانّ الخطاب كان لعامّة المسلمين والمؤمن منهم لايكون الّا مؤمناً خاصّاً، ولانّ خصوص الرّحمة الرّحيميّة بقرينة ذكرها بعدالانتفاع المطلق الّذى هو مطلق الرّحمة الرّحيميّة مختصّ بالمبتاعين بالبيعة الخاصّة الولويّة الّتى هى الايمان حقيقة وكان الانسب بالمقابلة ان يقول تعالى وسخط للّذين لم يؤمنوا واوذوا رسول الله (ص) لكنّه عدل الى قوله [وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ] جملة معطوفة على الجملة السّابقة تبرئة له (ص) من نسبة السّوء والعذاب اليه لما عرفت ان ليس منه الّا الرّحمة والنّفع لكنّها بحسب القابل تصير ضرّاً وشرّاً [يَحْلِفُونَ بِاللهِ لَكُمْ] اى المؤذون يعنى اذا قال المؤمنون للمنافقين المؤذين لم تؤذون رسول الله(ص) وتلمزونه وتنّمون عليه يحلفون بالله لهم وهواستيناف لبيان حالهم، وانّهم بعد ايذائهم يعتذرون بالمعاذير الكاذبة و يحلفون على كذبهم ومقصودهم ارضاؤكم لا ارضاءالله ورسوله، فهم ينافقون بعدالايذاء حيث يظهرون مافى قلوبهم مطويّة على خلافه ويكذبون ويحلفون على الكذب وينصرفون عن الله ورسوله (ص) فهم فى هذا الاعتذار واقعون فى رذائل اربع كلّ منها بوحدتها مهلكة [لِيُرْضُوكُمْ] لعدم ايمانهم بالله ورسوله (ص) بل لمحض المماشاة معكم [وَاللهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ] توحيد الضّمير باعتبار بانّ رضى الله لا يظهر ولا يتيسّر الوصول اليه الّا برضى الرّسول [إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ] يعنى انّ الايمان يقتضى ارضاءالله ورسوله (ص) وان كان بسخط جميع الخلق [أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَنْ يُحَادِدِ اللهَ وَرَسُولَهُ] من يخاصم الله ورسوله (ص) [فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَهْزِؤُا إِنَّ اللهَ مُخْرِجٌ مَا تَحْذَرُونَ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِؤُنَ] نزلت فى المنافقين المتخلّفين عن غزوة تبوك حين تحدّثوا انّ محمّداً(ص) يزعم انّ حرب الرّوم كحرب غيرهم لايرجع منهم احدوقال بعضهم استهزاءً: نحذر ان يخبر الله بذلك، وورد انّها نزلت فى اصحاب العقبة كمنوا له فى العقبة ليقتلوه وقالوا: انفطن بناقلنا انّما كنّا نخوض ونلعب وان لم يتفطّن قتلناه وقصّته مذكورة فى المفصّلات [لَا تَعْتَذِرُوا] بالاعذار الكاذبة استيناف من الله ردعاً لهم [قَدْ كَفَرْتُمْ] صرتم كافرين [بَعْدَ إِيمَانِكُمْ] بالتّوبة على يد محمّد(ص) والبيعة معه بالبيعة العامّة [إِنْ نَعْفُ عَنْ طَائِفَةٍ] بعد توبتها [نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ] لعدم توبتهم اولانجرار كفرهم الملّىّ الى الكفر الفطرىّ الّذى لايقبل التّوبة معه وعلى قراءة يعف ويعذب بالغيبة يحتمل ان يكون من جملة قول الرّسول (ص) [الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ] ليسوا منكم كما ادّعوا والجملة خبر عن المنافقون او حال عن المنافقون

و المنافقات او معترضة [يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرْ] قالاً و حالاً و وجوداً فی عالمهم الصّغیر و العالم الکبیر لانّهم متصوّرون بصور المنکرات و کلّ یعمل علی شاکلته فکلّ امرء متصوّر بصورة المنکر یأمر علی وفق صورته بالمنکر ولم یکن له شأن سوی الامربالمنکر لکون شاکلته المنکر وان کان صورة امره امراً بالمعروف ولذلک أتی بالمضارع الدّالّ علی الاستمرار التّجدّدیّ [وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ] لانّهم ینأون عنه والنّائی عن الشّیء الغیر المتصوّر به ینهی عنه لامحالة [وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ] الظّاهرة عن الانفاق ابتغاء رضی الله حرصاً بالمال غیر معتقد بالاجر والعوض من الله وعن البیعة مع النّبیّ (ص) والولیّ (ع) وایدیهم الباطنة عن التّوسّل بذیل النّبوّة والولایة، وعن التبتّل الی الله والتّضرّع عنده، وعن الامتداد الی الخیرات الکثیرة الرّوحانیّة، وعن انفاق اموالهم الباطنة الّتی هی القوی البدنیّة والاخلاق النّفسیّة الرّذیلة الّتی فی انفاقها الوعد بالمائة الی سبعمائة والله یضاعف لمن یشاء [نَسُوا اللَّهَ] جواب لسؤال ناشٍ عن ذکر اوصافهم الذّمیمة الّتی تقتضی السّؤال عن علّتها اوعن وصف آخر ذمیم لهم فهو فی موضع التّعلیل او بیان حال آخر ذمیم لهم و النّسیان هو الغفلة عن المعلوم بحیث یزول عن خزانته و یحتاج الی مشاهدة جدیدة ان کان من المشاهدات، اوکسب جدید ان کان من الکسبیّات بخلاف السّهو، فانّه الغفلة عنه بحیث لا یزول عن الخزانة ولا یحتاج الی سبب جدید بل یستحضر بأدنی تأمّل فالفرق بینهما بالشّدّة والضّعف، ولمّا کان معرفة الله فطریّة لکلّ احد بل لکلّ موجود والانسان بمجاهداته وریاضاته اوبافکاره وانظاره یستکشف ذلک المعلوم الفطریّ و بتدنّساته و معاصیه یستر ذلک المعلوم الفطریّ استعمل النّسیان و من باب المشاکلة قال تعالی [فَنَسِيَهُمْ] مجازاً ای ترکهم و أسقطهم عن نظره وافاضة رحمته [إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ] تعلیل اوبیان ذمّ آخر ووضع المظهر موضع المضمر للتّکرار المطلوب فی مقام السّخط ولذا غلظ علیهم بالتّأکیدات الاربعة؛ انّ واسمیّة الجملة وضمیر الفصل وتعریف المسند، وللتّفظیع وللاشارة الی علّة الحکم و اسقط المنافقات تغلیباً و لعدم المبالاة بهنّ [وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ] وضع الظّاهر موضع المضمر لما مرّ و التّصریح بالمنافقات لدفع توهّم عدم کونهنّ محکوماً علیهنّ بما ذکر ولمطلوبیّة التّطویل فی مقام التّغلیظ ولذلک بسط فی الاخبار عن حالهم [وَالْكُفَّارَ] عطف للعامّ علی الخاصّ ان جعل الکفر اعمّ من النّفاق والا عطف للمغایر علی المغایر [نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ] عذاباً وایلاماً [وَلَعَنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ] تالله لقد شدّد علیهم بذکر اوصاف سبعة؛ وعذاب النّار واضافتها الی جهنّم والخلود فیها وکفایتها لهم یعنی لایتصوّر فوقها عقوبة ولعنهم واختصاصهم بالعذاب واتّصاف العذاب بالدّوام [كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ] حال من واحدة من الجمل السّابقة اومتعلّق بواحد من الافعال السّابقة اومستأنف خبر مبتدء محذوف ای انتم مثل الّذین من قبلکم فی نفاقهم واستمتاعهم وحبط اعمالهم وخسرانهم فهوالتفات من الغیبة الی الخطاب وتفظیع آخر لهم بتشبیههم بمن هومثل عندهم فی الفظاعة، والتّعنّت تنشیطاً للسّامعین الی الاستماع [كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا] استیناف او حال من الموصول او من المستتر فی الظّرف والمقصود بیان قوّة اسباب الخوض فی الشّهوات فیهم لیکون غایة تفظیع لهم فانّ الخوض فی الشّهوات من الفقیر اقبح فاذا کانوا مع ضعفهم فی اسباب الخوض فی الشّهوات مثل السّابقین الّذین کانوا اقوی منهم

فى اسباب الخوض فى الشّهوات كانوا اقبح منهم [فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلَاقِهِمْ] نصيبهم من الشّهوات [فَاسْتَمْتَعْتُمْ بِخَلَاقِكُمْ] مثلهم مع انّكم كنتم أضعف منهم و أقلّ مالاً و اولاداً ، و لمّا لم يعلم من السّابق انّ اللّاحقين استمتعوا مثل السّابقين صريحاً و كان التّطويل مناسباً قال [كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِخَلَاقِهِمْ وَخُضْتُمْ] فى الشّهوات و الملاهى [كَالَّذِي خَاضُوا] كالخوض الّذى خاضوا او كالّذين خاضوا بجعل الّذى بمعنى الّذين لارادة الجنس منه [أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ] اشارة الى السّابقين وتعريض بالّلاحقين بانّهم اولى منهم بحبط الاعمال لضعفهم فى اسباب الشّهوات و خوضهم مع ذلك فيها مثلهم ، او اشارة الى السّابقين و اللّاحقين بصرف الخطاب الى محمّد (ص) ، او اشارة الى اللّاحقين لانّ الكلام فيهم و الاتيان باسم الاشارة البعيدة لتأكيد الحكم و تصويرهم باوصافهم الفظيعة و تبعيدهم عن مرتبة التّخاطب كما انّ تكراره فى قوله [وَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ] و الاتيان بضمير الفصل و تعريف المسند كان لذلك وللحصر [أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ] استفهام انكارىّ لتقريعهم على اشتغالهم بالملاهى مع وصول خبر السّابقين اليهم [قَوْمِ نُوحٍ] أغرقوا بالطّوفان [وَعَادٍ] قوم هود (ع) اقتصر على اسمهم اختصاراً اهلكوا بالرّيح [وَثَمُودَ] قوم صالح (ع) [وَقَوْمِ إِبْرَاهِيمَ] ولمّا لم يكن لهم اسم خاصّ قال قوم ابراهيم (ع) اهلكوا بالبعوضة [وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ] قوم شعيب (ع) اهلكوا بالنّار [وَالْمُؤْتَفِكَاتِ] اهل المؤتفكات وهم قوم لوط سمّيت قراهم بالمؤتفكات اى المنقلبات لانقلابها بهم بجعل عاليها سافلها كذا فى الخبر عن الصّادق (ع) [أَتَتْهُمْ] اى المذكورين كلّهم [رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ] بالاحكام الواضحات من احكام الرّسالة او بالمعجزات [فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ] بالاهلاك بما ذكر لاتمامه الحجّة عليهم بالرّسل و البيّنات و تخلّل كان مع لام الجحود للمبالغة فى نفى الظّلم عنه تعالى وقد مضى انّه لنفى المبالغة فى الظّلم وهو اعمّ من المبالغة فى نفى الظّلم لكنه فى العرف يستعمل فى المبالغة فى نفى الظّلم [وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ] لانّهم بانصرافهم بعد وضوح الحجّة و تكذيبهم عرضوها للعقاب الدّائم وتقديم المفعول للحصر لتوهّم انّهم بتكذيبهم ظلموا الانبياء (ع) و تخلّل كان للاشارة الى استمرار الظّلم بحيث كانّه صار طبيعة لهم [وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ] هذا فى مقابله قوله : المنافقون والمنافقات (الآية) وغيّر الاسلوب تنشيطاً للسّامع واشارة الى ان لا ولاية حقيقة بين الكفّار والمنافقين ومايتراءى بحسب الصّورة انّه ولاية فهو عداوة حقيقة الاخلّاء يومئذ بعضهم لبعض عدوّ ، والى انّ المنافقين من حيث نفاقهم ينشأ بعضهم من بعض ، بخلاف المؤمنين فانّهم من حيث ايمانهم ينشأون كلّهم من صاحب الايمان وهو النّبىّ (ص) او الولىّ (ع) وان كان ازدياد ايمانهم ناشئاً لبعضهم من بعض [يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ] فى مقابل يأمرون بالمنكر و ينهون عن المعروف [وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ] فى مقابل يقبضون ايديهم ، ولمّا كان اليد اعمّ من اليد الصّوريّة والمعنويّة وقبضها اعمّ من القبض عن الاعطاء والقبض عن الابتهال وجذب الخيرات الاخرويّة والتّفضّلات الآلهيّة ويعبّر عن ضدّ الاوّل بالاعطاء ، وايتاء الزّكوة اعمّ من الاعطاء من الاموال والابدان والقوى الشّهويّة

والغضبيّة والمحرّكة وعن ضدّ الاخير بالصّلوة بمراتبها، اتى فى مقابلة قبض اليد بالصّلوة والزّكوة جميعاً افادة لبسط اليد مع تفصيله لاظهار مدائح المؤمنين [وَيُطِيعُونَ اللّٰهَ وَ رَسُولَهُ] فى مقابل نسوا الله و ضدّ نسيان الله تذكّر الله ولازمة المقصود منه اطاعته فى اوامره ونواهيه واطاعته فى اوامره ونواهيه لا تتصوّر الا باطاعة رسوله (ص) فظهر وجه العدول عن يذكرون الله والاختلاف بالمضىّ و المضارعة للاشارة الى انّ النّسيان منهم قد وقع من غير تجدّد، فانّ تجدّده يستلزم التّذكّر بخلاف الطّاعة من المؤمنين فانّها مستمرّة التّجدّد منهم [أُولٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللّٰهُ] فى مقابل : انّ المنافقين هم الفاسقون ، و ظاهر المقابلة يقتضى ان يقول : انّ المؤمنين هم العادلون ، اوهم المرحومون ، اويقول هناك : اولئك سيعذّبهم لكن لمّا كان السّورة والآية لتوعيد اهل الوعيد و وعد المؤمنين وكلّ ما ذكر فيها كان لتقريع اهل الوعيد ولزيادة حسرتهم و المناسب لمقام الغضب والوعيد التّسجيل بالوعيد والتّغليظ بالتّأكيد والتّطويل ، وكان النّفاق اصل جملة الشّرور والفسوق وموروث جملة العقوبات وكان نسبة الغضب الى الله بالعرض و نسبة الرّحمة اليه بالذّات، وكان المناسب لمقام الوعد التّسامح فيه والاتيان بعسى ولعلّ واداة التّسويف، والايمان وان كان اساس جملة الخيرات لكن قد ينفكّ الخيرات عنه كما قال او كسبت فى ايمانها خيراً اتى فى الاوّل بجملة اسميّة مؤكّدة بالمؤكّدات الاربعة مفيدة للتّسجيل غير مصرّحة بنسبة الغضب اليه، وفى الثّانى بجملة مصدّرة باسم الاشارة البعيدة تفخيماً واحضاراً للاوصاف المذكورة للمؤمنين مختتمة بالجملة الفعليّة المصدّرة باداة التّسويف المصرّحة بنسبة الرّحمة اليه تعالى [إِنَّ اللّٰهَ عَزِيزٌ] لا يعجز عن انجاز وعده ووعيده ولا يمنعه منه مانع [حَكِيمٌ] لا يعد الّا على وفق حكمته الّتى تقتضى الاعطاء والمنع بحسب القابليّات [وَعَدَ اللّٰهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنٰاتِ] فى مقابل وعد الله المنافقين (الى آخرها) [جَنّٰاتٍ تَجْرِى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهٰارُ خٰالِدِينَ فِيهٰا وَمَسٰاكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنّٰاتِ عَدْنٍ] اى جنّات الاقامة وهى منتهى مراتب الجنان الّتى لا يتجاوز عنها بخلاف سائر مراتبها ، فانّها يتجاوز عنها وهى مقام آل محمّد (ص) واتباعهم [وَرِضْوٰانٌ مِنَ اللّٰهِ أَكْبَرُ] لمّا كان وعد الخير منبئاً عن الرّضا فكأنّه قال: فلهم رضوان من الله ورضوان من الله اكبر من كلّ ذلك، اوالمقصود انّ هذا النّوع من الموعود اكبر من غير التفات الى التّفضيل [ذٰلِكَ] الرّضوان [هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ] اعلم ، انّ اعلى مقامات السّالكين الى الله هو مقام الرّضا كما سبق ولذا لم يذكره تعالى فى الاغلب الّا وعقّبه بما يدلّ على تفخيمه [يٰا أَيُّهَا النَّبِىُّ جٰاهِدِ الْكُفّٰارَ] بالجهاد الصّورىّ والقتال بنفسك [وَالْمُنٰافِقِينَ] بمظاهرك واوصيائك فانّه لم يقاتل المنافقين ومن هنا علم وجه تأخير المنافقين هنا مع انّ المقام للتّغليظ على المنافقين وذكر الكفّار لمحض بيان مساواة المنافقين لهم لذمّ آخر للمنافقين ، ولذا اخّر الكفّار فى الآية السّابقة اوجاهد الكفّار والمنافقين فى العالم الكبير والصّغير بنفسك اوباوصيائك اوباتباعك المؤمنين، فانّ المؤمنين ايضاً مأمورون بالجهاد مع كفّار وجودهم ومنافقيه بالقتال الصّورىّ والمعنوىّ وبالمحاجّة والمجادلة الحسنة وبالمداراة وحسن العشرة وبادخالهم تحت سلطنتك واخذ الجزية والزام الفرائض والحدود على منافقى امّتك، فما ورد فى الاخبار فى تفسير الآية مع اختلافها غير مختلف معنى [وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوٰيهُمْ جَهَنَّمُ] امّا جملة دعائيّة اوذمّيّة فلا اشكال فى عطفها على الانشاء ولا فى عطف ما بعدها عليها ايضاً، اوجملة

خبريّة وحينئذٍ فالعطف امّا بتوهّم جملة معطوف عليها او بتقديرها باعتبار المعنى ، فانّ الامر بالقتال والغلظة مشعر بانّهم لاخير فيهم فكأنّه قال انّهم لاخير فيهم ومأويهم جهنّم و التّعاطف بين غير المتناسبين بحسب اللّفظ والمفهوم المطابقيّ بلحاظ المقصود، والمعنى الالتزاميّ كثير شائع فى كلامهم، ومن جوّز عطف الانشاء على الخبر وبالعكس نظر الى ظاهر ماورد فى الكتاب و ظاهر ما رأى فى كلامهم مع الغفلة عن اللّطائف المندرجة فى العطف والقطع الملحوظة للفصحاء فى كلامهم [وَبِئْسَ الْمَصِيرُ] ان كان الاولى ذميّة اودعائيّة فلااشكال فى العطف و ان كانت خبريّة فالعطف بلحاظ ذمّ مستفاد منها [يَحْلِفُونَ بِاللّٰهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ] قابل حلفهم بالحلف المستفاد من اللّام [وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا] نزلت فى الّذين تحالفوا وتعاهدوا فى مكّة بعد ان علموا انّ محمّداً (ص) يريد ان يجعل الخلافة لعليّ (ع) على ان لايردّوا هذا الامر فى بنى هاشم اوفى الّذين قالوا بغدير خمّ: الاترون عينيه كأنّهما عينا مجنون ، اوفى الّذين تحالفوا على قتله فى العقبة بعد رجوعهم من تبوك والكلّ مروىّ [وَمَا نَقَمُوا] اى ماكافئوا بالعقوبة اوماكرهوا اوماانكروا [إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللّٰهُ] مستثنى مفرّغ عن مفعول به عامّ اوعلّة عامّة اى مانقموا منهم لشيء الّا لاغناءالله لانّ الانسان ليطغى ان رآه استغنى اوما نقموا منهم شيئاً الّا اغناءهم الله [وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ] من قبيل قول الشّاعر :

ولاعيب فيهم غير انّ سيوفهم بهنّ فلول من قراع الكتائب

[فَإِنْ يَتُوبُوا] عن النّفاق ولوازمه [يَكُ خَيْراً لَهُمْ وَإِنْ يَتَوَلَّوْا] عن التّوبة او عن الرّسول (ص) [يُعَذِّبْهُمُ اللّٰهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ] قد مضى مراراً انّ الولىّ هو النّبىّ (ص) اوخليفته اوالمجاز منه بلاواسطة اوبواسطة من جهة تربية القلب وتعليم احكامه والنّصير كلّ واحد منهم من جهة الرّسالة وتربية القالب [وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللّٰهَ لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ] نزولها فى ثعلبة بن حاطب من اصحاب رسول الله (ص) كان محتاجاً وسأل رسول الله (ص) ان يغنيه الله فقال له: يا ثعلبة قليل تؤدّى شكره خير من كثير لاتطيقه فقال: والّذى بعثك بالحقّ لئن رزقنى لاعطين كلّ ذى حقّ حقّه، فدعا له فاتّخذ غنماً وكثر غنمه حتّى ضاقت بها المدينة فنزل وادياً وانقطع عن الجمعة والجماعة وخدمة الرّسول (ص)، فبعث رسول الله (ص) المصدّق فأبى عن الصدقة وبخل، لكنّها جارية فى كلّ من كان مثله وهم اكثر اهل الارض [فَلَمَّا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا] عن عهدهم [وَهُمْ مُعْرِضُونَ] عن الله ورسوله (ص) [فَأَعْقَبَهُمْ] البخل و التّولّى [نِفَاقاً فِي قُلُوبِهِمْ] لا فى السنتهم وصدورهم فقط ، اوالمراد بالقلوب نفوسهم [إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللّٰهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ] اعلم ، انّ الصّدق و الكذب كالحقّ و الباطل كما يجريان فى الاقوال اللّسانيّة و العلوم النّفسانيّة يجريان فى الافعال و الاخلاق والاحوال ، فكما انّ القول اخبار عن الواقع وصدقه باعتبار مطابقة نسبته للواقع وكذبه بعدم مطابقتها له كذلك فعل الانسان الجارى على جوارحه باعتبار نسبته الى صورته ينبئ عن انّه صادر عن انسانيّته و غايته استكمال انسانيّته ، فكلّما كان هذا الاخبار مطابقاً للواقع بمعنى كون الفعل صادراً عن الانسانيّة وراجعاً الى استكمال الانسانيّة فالفعل صدق و الفاعل صادق ، وكلّما لم يكن هذا الاخبار مطابقاً للواقع بمعنى انّ الفعل الجارى

على صورة الانسان لم يكن صادراً عن الانسانيّة ، بل عن البهيميّة اوالسبعيّة اوالشّيطانيّة كان الفعل كذباً وفاعله كاذباً وهكذا الحال فى الاخلاق والاحوال، ويجرى ايضاً هذا الاعتبار فى الاقوال والعلوم فانّها ان كانت صادرة عن الانسانيّة وراجعة الى استكمالها فهى صادقة بهذا الاعتبار، وان لم يكن كذلك فهى كاذبة وان كانت صادقة باعتبارها فى انفسها ، والمعتبر عند اهل الله فى الصّدق والكذب فى الاقوال والعلوم هو اعتبار المبدء والمرجع دون الواقع فقط ، ولذا ورد عنهم (ع): من فسّر القرآن برأيه يعنى بحيثيّة شيطانيّته لا بحيثيّة انسانيّته واصاب الحقّ فقد أخطأ ، وورد نفى العلم عمّن لم يكن عمله متوجّهاً الى حيثيّة انسانيّته وآخرته من غير اعتبار مطابقته وعدم مطابقته كما قال تعالى : ولقد علموا لمن اشتراه ماله فى الاخرة من خلاق ، و لبئس ماشروا به انفسهم لو كانوا يعلمون ، فقد نفى العلم عنهم مع اثباته لهم مطابقاً لما فى نفس الامر حيث كان الواقع كما علموا، لكن لمّا لم يكن علمهم متوجّهاً الى جهة استكمال الانسانيّة نفاه عنهم واثبت الجهل لهم بنفى العلم عنهم ، اذا تقرّر هذا فاعلم ، انّ الانسان له مراتب ولكلّ مرتبة منها درجات فهو مادام فى مرتبة نفسه فاذا كان فى درجة النّفس الامّارة فكلّ ما يصدر عنه فهو كذب ، و اذا ترقّى من هذه الدّرجة ووقع فى درجة النّفس اللّوامة فقد يكون ما يصدر عنه صادقاً وقد يكون كاذباً ، واذا ترقّى الى درجة النّفس المطمئنّة ولايكون هذا التّرقّى الّا اذا تمكّن فى مرتبة القلب فكلّ مايصدر عنه يكون صادقاً ، فالمنافق الواقع فى درجة النّفس الامّارة لايكون منه الّا الكذب ويصير الكذب سجيّة له ولذلك اتى بالماضى فى قوله بما اخلفوا الله وبالمضارع الدّالّ على الاستمرار التّجدّدىّ فى الكذب مع تخلّل كان الدّالّ على انّ مدخوله صار سجيّة [أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ] خفايا امورهم من خطراتهم و خيالاتهم و اخلاقهم و احوالهم [وَنَجْوٰيهُمْ] ما يظهر على السنتهم بحيث يخفى على غيرهم ، اوالمراد بالسّرّ الاخلاق والاحوال الموجودة ومكمونات النّفس الّتى لم توجد بالفعل بعد وبالنّجوى ماظهر على اللّسان بطريق الخفية وماظهر على النّفوس من الخطرات والخيالات شيطانيّة كانت اورحمانيّة، والاستفهام للتّوبيخ و التّقريع [وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ] من ذكر العامّ بعد الخاصّ تحقيقاً للخاصّ وتأكيداً له [الَّذِينَ يَلْمِزُونَ] يعيبون [الْمُطَّوِّعِينَ] المعطين للصّدقات المستحبّة اوالمعطين للصّدقات مطلقاً المبالغين المعتنين بها [مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقٰاتِ] متعلّق بيلمزون اوبالمطّوّعين او بهما على سبيل التّنازع وهو امّا خبر مبتدء محذوف ، اومبتدء خبره محذوف ، اومبتدء خبره فيسخرون او سخر الله منهم اوقوله استغفر لهم اوقوله ان تستغفر لهم (الآية) اوبدل من قوله من عاهد الله وقوله تعالى الم يعلموا (الى آخر الآية) معترضة [وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ] الّا قدر تعبهم فى التّحصيل والطّلب فيتصدّقون بما يتعبون انفسهم فى تحصيله ، وقد ذكر فى نزوله انّ سالم بن عمير الانصارى جاء بصاعٍ من تمر فقال : يا رسول الله (ص) كنت اجرت نفسى ليلتى بصاعين من تمرٍ فجئت بصاعٍ اليك وتركت صاعاً لعيالى، وذكر فى نزوله ايضاً انّ علياً آجر نفسه فأتى باجرته الى النّبىّ (ص) فلمزه المنافقون [فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ] استعمال السّخريّة فى الحقّ تعالى من باب المشاكلة اللّفظيّة و المشابهة المعنويّة وهى امّا دعائيّة فيكون عطف قوله [وَلَهُمْ عَذٰابٌ أَلِيمٌ] لكونه ايضاً دعائيّاً او باعتبار الاخبار اللّازم لذلك الدّعاء كأنّه قال لهم سخط الله ولهم عذابٌ اليمٌ ، اوخبريّة فلااشكال فى العطف

[اِسْتَغْفِرْ لَهُمْ اَوْلا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ] الامر والنّهي ههنا للتّسوية غير منظور منهما حقيقة الامر والنّهي ، ولفظة او للتّخيير على ما روى انّه (ص) قال في جواب من قال : امانهاك ربّك عن الاستغفار للمنافقين ؟ ـ حين صلّى على ميّت عبدالله بن ابيّ : انّ الله خيّرني [اِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللّٰهُ لَهُمْ] وهذا عتاب له بايّاك اعني و اسمعي يا جارة ، و عتاب المقرّبين تعريضاً بمن استحقّ العتاب في الحقيقة تقريب لهم واهانة بالمستحقّين حيث اسقطهم عن درجة الخطاب والعتاب ولذا لم يقل: لم يجب الله لكَ بل قال لن يغفر الله لهم حيث لم يتوجّه العتاب اليه (ص) والاشكال بانّ استغفاره (ص) مجابٌ لامحالة لانّ غيره اذا توسّل به الى الله اجابه فكيف اذا استغفر هو لم يجبه ولن يغفر للمستغفر له؛ مدفوع بانّ المراد المبالغة في عدم استحقاقهم للمغفرة بحيث لو فرض استغفار الرّسول (ص) الّذي لاينفكّ الاجابة عنه لهم لما غفر لهم ، ومثل هذا كثيرٌ في كلامهم حيث يعلّقون نفي الجزاء على امرٍ مستلزمٍ لتحقّق الجزاء مبالغةً في عدم تحقّقه ، واستعمال السّبعين لاستعماله كثيراً في معنى الكثرة لكونه من مراتب الاعداد التّامّة كالسّبعة والسّبعمائة ولذا يأتون بالواو بعد السّبعة ويسمّونه و اوالثّمانية ، او للاشارة الى مراتبه السّبعين مبالغةً في عدم استحقاقهم للمغفرة [ذٰلِكَ بِاَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللّٰهِ وَرَسُولِهِ] تدارك لما يتوهّم من عدم قبول مسئلته واستغفاره بانّ عدم المغفرة لهم ليس لعدم استحقاقك للاجابة بل لعدم استحقاقهم للمغفرة [وَاللّٰهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفاسِقِينَ] وضع الظّاهر موضع المضمر للاشارة الى ذمٍّ آخر و علّة الحكم [فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلافَ رَسُولِ اللّٰهِ] جواب سؤالٍ عن حالهم او عن علّة التّغليظ عليهم وعدم مغفرتهم ، و تدارك آخر لتوهّم عدم قبول استغفار الرّسول (ص) وخلاف رسول الله (ص) امّا ظرف لمقعدهم ان كان بمعنى العقب، اومفعول له لفرح او المخلّفون، اومقعدهم، على التّنازع اوعلى الانفراد [وَكَرِهُوا اَنْ يُجاهِدُوا بِاَمْوالِهِمْ وَاَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللّٰهِ وَقالُوا لا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ] يعني انّهم لغاية شقاوتهم جمعوا بين التّخلّف والفرح به وكراهة الجهاد ومنع غيرهم منه [قُلْ نارُ جَهَنَّمَ اَشَدُّ حَرّاً] فان كان الحرّ يتّقى فنار جهنّم احقّ ان تتّقى [لَوْ كانُوا يَفْقَهُونَ] لما اختاروا حرّ الآخرة على حرّ الدّنيا ، والفقه كما مرّ هو ادراك الاغراض والغايات خصوصاً الغايات الالٰهيّة من الاشياء والاقوال لاادراك المفاهيم من الالفاظ فقط كما ظنّ ، ولذا فسّر بأنّه طلب علمٍ دينيٍّ يتوسّل به الى علمٍ آخر، وبعبارةٍ اخرى الفقه هو الادراك الّذي يحرّك الانسان من حضيض نفسه الى اوج عقله ومن دنياه الى آخرته وتفسيره بالعلم بالمسائل الدّينيّة الفرعيّة عن ادلّتها التّفصيليّة محض مواضعة اصطلاحيّة ، وامّا في الشّريعة فهو باقٍ على معناه وعدم تسمية علم الله والملائكة بالفقه لعدم تصوّر استعدادٍ له تعالى ولا للملائكة حتّى يتصوّر التّرقّي ، بل كلّ ما كان هناك بالامكان العامّ فهو بالفعل، وعدم تسمية علوم الانبياء بالفقه لتبدّل استعدادهم بالفعليّة لالما قالوا من انّ علومهم ليست من ادلّتها التّفصيليّة والحاصل انّ الاشتداد و التدرّج في طريق الانسانيّة مأخوذ في مفهوم الفقه فكلّما كان الادراك كذلك كان فقهاً و ما لم يكن كذلك لم يكن فقهاً ، فلو فرض نبيّ يكون له حالة اشتداد في علمه كان علمه من هذه الجهة فقهاً [فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلاً وَلْيَبْكُوا كَثِيراً] جواب شرط متوهّم اومقدّر والامر امّا على حقيقته والمراد منه الامر بالتّوبة سواء كان الضّحك والبكاء على حقيقتهما اومجازين عن السّرور والغمّ ، وحينئذٍ فذكر الضّحك للاشارة الى انّ الانسان لاينفكّ عن ضحكٍ ما فليقلّ التّائب منه ، اومجاز عن تحتّم مايؤل اليه امرهم فهو أمر في معنى

الاخبار، وذكر الضّحك للاشارة الى ماهم عليه فى بقيّة عمرهم و لذا قدّمه وقيّده بالقلّة [جَزٰاءً بِمٰا كٰانُوا يَكْسِبُونَ] تداركاً لاعمالهم السّيئة على المعنى الاوّل وعقوبةً عليها على المعنى الثّانى ، وقوله بما كانوا امّا متعلّق بجزاء او بالامر استقلالاً اوعلى سبيل التّنازع [فَإِنْ رَجَعَكَ اللّٰهُ] من غزوالرّوم [إِلىٰ طٰائِفَةٍ مِنْهُمْ] من المتخلّفين بلا عذر بان ابقاهم الله الى زمان رجوعك [فَاسْتَأْذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ] الى غزو آخر [فَقُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَداً] اخبار فى معنى النّهى للاشعار بانّ سجيّتهم مقتضية لعدم الخروج [وَلَنْ تُقٰاتِلُوا مَعِيَ عَدُوّاً إِنَّكُمْ رَضِيتُمْ بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ] يعنى قبل ذلك والمراد القعود عن غزوة تبوك [فَاقْعُدُوا] امر للتهكّم [مَعَ الْخٰالِفِينَ] يعنى النّساء والصّبيان فانّكم صرتم مثلهم بتخلّفكم اوّلاً فليس لكم شأنيّة الجهاد و قابليّة المعيّة مع المجاهدين [وَلٰا تُصَلِّ عَلىٰ أَحَدٍ مِنْهُمْ مٰاتَ أَبَداً] فانّ صلوتك سكن لهم و ليس لهم استعداد صلوتك و المراد صلوة الاموات اوالاعمّ [وَلٰا تَقُمْ عَلىٰ قَبْرِهِ] للدّعاء عليه [إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللّٰهِ وَرَسُولِهِ وَمٰاتُوا وَهُمْ فٰاسِقُونَ] نقل انّه (ص) عاد عبدالله بن ابىّ واستغفر له وشيّع جنازته وصلّى عليه وقام على قبره ؛ كلّ ذلك باستدعاء ابنه الّذى كان مؤمناً خالصاً فأنكر عمر عليه (ص) وقال : او لم ينهك ربّك عن ذلك؟ـ وكره ذلك رسول الله (ص) وأجابه بماظهر منه الكراهة [وَلٰا تُعْجِبْكَ أَمْوٰالُهُمْ وَ] لا [أَوْلٰادُهُمْ إِنَّمٰا يُرِيدُ اللّٰهُ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ بِهٰا فِي الدُّنْيٰا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كٰافِرُونَ] قدمرّ تفسيره، وتكريره للتّأكيد، لانّ كثرة الاموال و الاولاد فى انظار اهل الحسّ معجب لا محالة فالنّهى عنه مطلوب فيه التّأكيد ولانّ التّكرار مطلوب فى مقام التّشديد [وَإِذٰا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ آمِنُوا بِاللّٰهِ وَجٰاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ اسْتَأْذَنَكَ أُولُوا الطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقٰالُوا ذَرْنٰا نَكُنْ مَعَ الْقٰاعِدِينَ] لعذر و هو ذمّ آخر لهم حيث انّهم لدناءتهم و تعلّق قلوبهم بدنياهم وزخارفها كالنّساء يستأذنونك للقعود ولذاقال [رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوٰالِفِ] جمع الخالفة يعنى انّهم لدناءتهم رضوا بان يعدّوا فى النّساء، واستعمال الخوالف فى النّساء والمخلّفون فى الرّجال لاستعدادهم للخروج وعدم استعدادهنّ له [وَطُبِعَ عَلىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لٰا يَفْقَهُونَ] حيث لايدركون ادراكاً يؤدّى بهم الى الاغراض والغايات وان كانوا فى غاية الفطانة والمداقّة فى امور الدّنيا والادراكات الخياليّة بحيث يعدّون فى انظار اهل الحسّ علماء حكماء ، والّا فليعلموا الغرض من الجهاد وانّ فيه خير الدّنيا والآخرة ، باستكمال النّفس فى الدّنيا بالصّفات الحسنة من الشّجاعة والسّخاوة وعدم الاعتناء بالدّنيا وحيوتها ، وباستجماع الغنائم مع ما وعدوا من اجور الآخرة ، وليس فى التّخلّف الّا الاتّصاف بصفات النّساء والرّكون الى الدّنيا وقطع الطّمع عن العقبى ولمّا ذمّ الاموال والاولاد توهّم انّها مذمومة على كلّ حال، والحال انّ كثرة الاموال والاولاد تكون فى المؤمنين ولمّا ذمّ القاعدين عن الجهاد توهّم انّه فى المؤمنين يكون من يكره الخروج و يحبّ القعود فاستدرك ذلك بقوله [لٰكِنِ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ] الّذين هم اولوا الطّول الحقيقىّ [جٰاهَدُوا بِأَمْوٰالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَأُولٰئِكَ] العظماء [لَهُمُ] خاصّة [الْخَيْرٰاتُ] النّفسانيّة والبدنيّة من استكمال النّفوس بالخصائل واخراجها من الرّذائل واستجماع الغنيمة مع النّصرة و الطّول مع الاولاد والصّيت والثّناء [وَأُولٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ]

تكرار اسم الاشارة للتمكين وتصويرهم باوصافهم المذكورة ليكون كالعلّة ولاختصاص كلّ من المسندين على حياله [أَعَدَّ اللّٰهُ لَهُمْ جَنّٰاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهٰارُ خٰالِدِينَ فِيهٰا] جواب لسؤال عن حالهم و [ذٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ وَ جٰاءَ الْمُعَذِّرُونَ] من عذّر فى الامر اذا قصّر فيه وكأنّه كان فى الاصل بمعنى بالغ فى ابداء العذر لامر قصّر فيه ، او من اعتذر اذا بالغ فى ابداء العذر ولم يكن المبالغة فى ابداء العذر الّا لامر يتراءى التّقصير فيه وقرء المُعْذِرون من باب الافعال بمعنى المعذّرون من باب التّفعيل [مِنَ الْأَعْرٰابِ] الاعراب الّذين لا يسكنون العمران ويعيشون فى البادية جمع لا واحد له كما قيل ، اوجمع للعرب خصّص ببعض افراده والعرب بالضّم وبالتّحريك الّذين يسكنون العمران اوهواعمّ [لِيُؤْذَنَ لَهُمْ] فى القعود حيث لا يتفقّهون معنى الايمان وانّه يقتضى التّسليم [وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللّٰهَ وَرَسُولَهُ] فى البيعة الاسلاميّة حيث شرط عليهم ان لا يتخلّفوا قول الرّسول وان يكون لهم ما للمسلمين وعليهم ما عليهم، فقبلوه ولم يطيعوا الرّسول (ص) بعد فى امره ولم يوافقوا المسلمين فيما عليهم [سَيُصِيبُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ] لا الّذين بقوا على اسلامهم وتصديق الرّسول (ص) كبعض الاعراب حيث لم يكن استيذانهم وتخلّفهم لانكار الرّسالة بل لعدم تفقّه الغرض من الاسلام وكبعض القاعدين لطلب الرّاحة وعدم تحمّل التّعب لا لانكار الرّسالة [عَذٰابٌ أَلِيمٌ لَيْسَ عَلَى الضُّعَفٰاءِ] جواب لسؤال اقتضاه السّابق كأنّه قيل: هل على المعذورين حرج فى التّخلّف؟ فانّ التّشديد والتّغليظ على المتخلّفين وكثرة ذمّهم يقتضى التّرديد فى حال المعذورين والسّؤال عنها [وَلَا عَلَى الْمَرْضىٰ وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مٰا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ] فى تخلّفهم عن الغزو [إِذٰا نَصَحُوا لِلّٰهِ وَرَسُولِهِ] خلصوا اواظهروا خير غيرهم ورغّبوه فيه خالصاً مترحّماً [مٰا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ] فى موضع التّعليل يعنى انّ المتخلّف لعذر بشرط النّصح مجاهد ومحسن ، وما على المحسنين من سبيل للّوم والذّمّ والعتاب فى الدّنيا [وَاللّٰهُ غَفُورٌ] لمن اساء فكيف بمن أحسن [رَحِيمٌ] فلا سبيل عليهم بالعقوبة فى الآخرة [وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذٰا مٰا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ] حيث يجدون ما ينفقون و يقوون فى ابدانهم لكن لا طاقة لهم بالذّهاب معك راجلين ولا قدرة لهم على الحمولة ويسئلونك الحمولة [قُلْتَ لَا أَجِدُ مٰا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَناً أَلّٰا يَجِدُوا مٰا يُنْفِقُونَ] الدّمع واقع موقع التّميز و التّميز قد يجرّ بمن و قد ينصب ، اوفى الكلام قلب و الاصل والدّمع يفيض من اعينهم قلب للمبالغة فى كثرة الدّمع ، اومن للتّعليل والمعنى على المبالغة كأنّ اعينهم من كثرة الدّمع تذاب وتفيض [إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيٰاءُ] بدناً ومالاً [رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوٰالِفِ] التّكرار لمطلوبيّة التّطويل والتّأكيد والتّكرير فى مقام التّغليظ [وَطَبَعَ اللّٰهُ عَلىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لٰا يَعْلَمُونَ] قد اخذ فى مصداق العلم الاشتداد والتّأدية الى علم آخر اخروىّ كما أخذ ذلك فى مفهوم الفقه ولذا يثبت وينفى عن موضوع واحد باعتبار مفهومه العرفىّ ومصداقه الحقيقىّ، فالعلم والفقه مختلفان مفهوماً متّحدان مصداقاً فهذا ايضاً تكرار لما ذكر .

[الجزء الحادى عشر]

[يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ] يبالغون فى ايتاء العذر اليكم وابدائه لكم من غير حصول عذر لهم بقرينة الرّدّ عليهم وان كان الاعتذار اعمّ من ابداء العذر من غير عذر او مع عذر وهو اخبارٌ بما سيقع [إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ] من غزوتكم هذه وهى غزوة تبوك [قُلْ] فى جوابهم بعد رجوعك و اعتذارهم [لَا تَعْتَذِرُوا] لاتبدوا العذر من غير حقيقة [لَنْ نُؤْمِنَ لَكُمْ] اى لن نصدّقكم [قَدْ نَبَّأَنَا اللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ] ومنه اعتذاركم هذا بالكواذب ولمّا كان اعتذارهم للتّدليس على النّبىّ (ص) واصحابه جميعاً ضمّ اصحابه الى نفسه واتى بلفظ المتكلّم مع الغير [وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ] وضع الظّاهر موضع المضمر للتّهديد و انّه لا يخفى عليه شيء من اعمالكم تأكيداً لما قبله [فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ] اخبار عنهم قبل وقوعه ايضاً [لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ] ولا تخاطبوهم بما وقع منهم ولاتعاتبوهم بل تكونوا توافقونهم وترافقوهم كسائر المؤمنين [فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ] لاعن خطابهم وعتابهم فقط بل عن معاشرتهم وموافقتهم [إِنَّهُمْ رِجْسٌ] بحسب اصل ذواتهم فلايقبلون الطّهارة حتّى يؤذن لكم فى عتابهم او فى مرافقتهم باحتمال اصلاحهم [وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ] بدل من الاوّل نحو بدل الاشتمال، اوتأكيد نحو التّأكيد المعنوىّ حيث انّ الغرض من الاعراض الاعراض عن المعاتبة و الملامة المقارن للرّضا غالباً ، و لذا عقّب الامر بالاعراض بقوله انّهم رجسٌ للاشارة الى انّ الامر ليس لما قصدوه من الرّضا و ترك السّخط ، بل لعدم شأنيّتهم للمعاتبة و الملامة [فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ] نهى عن الرّضا بألطف وجه و ابلغه كأنّه قال : فان ترضوا كان رضاكم مخالفاً لرضا الله والايمان يقتضى ان يكون رضاكم تبعاً لرضاالله فلا ترضوا عنهم لانّ الله لايرضى عن القوم الفاسقين ، ووضع الظّاهر موضع المضمر اشارةً الى ذمّ آخر واشعاراً بعلّة الحكم [الْأَعْرَابُ] الاعراب فى اهل البد وكالعرب بالضّمّ والتّحريك فى اهل البلاد كما سبق لكنّهما قد يعتبران فى العالم الصّغير فيطلق الاعراب على الواقف فى تيه النّفس الامّارة والعرب على السّاكن فى عمران النّفس المطمئنّة ومدينة القلب، ولذا سمّوا فى الاخبار اعداء اهل البيت اعرابيّين وان كانوا قرشيّين اومكّيّين اومدنيّين ؛ وسمّوا شيعتهم عربيّين وان كانوا من اهل البد وواقصى بلادالهند [أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا] لقسوة قلوبهم و غلظة نفوسهم وعدم سماعهم لما يقرّبهم الى الحقّ ويرغّبهم فى الآخرة وعدم تفطّنهم بماخلقوا له [وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ] لعدم سماعهم لها وعدم تفطّنهم لمقصود المسموع وعدم اقتضاء حالهم لحفظ مايتفطّنون به ، والمراد بالحدود امّا الاحكام من العبادات والمعاملات اوالغايات المقصودة من احكامه وآدابه وقصصه ومواعظه [وَاللَّهُ عَلِيمٌ

حَكِيمٌ] عطف على جملة الاعراب اشدّ كفراً ونفاقاً و الجامع بين المتعاطفين هو تقابل مسنديهما فانّ المراد بالحكمة هنا هو الحكمة العمليّة الّتي هي الاتقان في العمل والمداقّة فيه المستلزمة للمداقّة في العلم ويعبّر عنها بالفارسيّة: به «خورده كارى ، وخورده بينى» والكفر والنّفاق ناشٍ عن عدم المداقّة في العلم والعمل فبين ملزوم الكفر والحكمة تقابل السّلب والايجاب وهو الجامع ، وبين العلم وعدمه ايضاً كذلك ، والمعنى انّ الاعراب في طرف والله ومظاهره في طرف آخر ، فبينهما مباينة تامّة فلا يتفضّل الله عليهم ولا يتوجّهون اليه والمراد بالاعراب ظاهراً ماعرفت وتأويلاً منافقوا الامّة فقوله والله عليمٌ حكيمٌ ذمّ آخرلهم حيث يشير الى بعدهم عن الله وكان الموافق تأخير الكفر والنّفاق او تقديم الحكمة ليكون المتعاطفان على ترتيب واحد ، لكن لمّا كان الكفر والنّفاق سبباً للجهل الخاصّ المأخوذ في المعطوف عليه وان كانا مسبّبين عن الجهل المطلق ، والحكمة بهذا المعنى مسبّبة عن العلم المطلق المأخوذ في المعطوف ، عكس الترتيب مراعاة للترتيب بين مسندى كلّ [وَمِنَ الْأَعْرابِ مَنْ يَتَّخِذُ ما يُنْفِقُ] في الجهاد و على فقراء المسلمين من الحقوق المفروضة او الغير المفروضة [مَغْرَماً] خسراناً بلا عوض لعدم اعتقاده بالله وبالآخرة وبالاجر والعوض من الله [وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ الدَّوائِرَ] الحوادث المقلّبة عليكم الامور ، سمّيت دوائر لدورانها على البشر لكن استعمالها فيما فيه شرّ [عَلَيْهِمْ دائِرَةُ السَّوْءِ] اخبار عن حالهم الّتي هم عليها في الآخرة لكن ادّاه بصورة الواقع لتحقّق وقوعه ، اوعن حالهم الّتي هم عليها في الدّنيا اشارة الى غرور الشّيطان ودواعي النّفس الّتي كلّها مهلكات ، اودعاء عليهم ولمّا لم ينفكّ دعاء الله عن تحقّق المدعوّ به فهو مستلزم للاخبار و الاضافة الى السّوء هنا دون الاوّل لحرمة المؤمنين و اهانة المنافقين [وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ] والجامع ههنا هو لازم المعطوف عليه ومتعلّق المعطوف المقدّر كأنّه قال: ومن الاعراب من يتّخذ ما ينفق مغرماً فيقول قد وقعت في محذور مع محمّد (ص) ويتربّص بكم الدّوائر فيضمر هلاككم وخلاصه والله سميعٌ لقوله عليمٌ بنيّته وهو تهديد للاعراب وتسلية للمؤمنين [وَمِنَ الْأَعْرابِ مَنْ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَتَّخِذُ ما يُنْفِقُ قُرُباتٍ عِنْدَ اللهِ] لمّا كان قوله الاعراب اشدّ كفراً مقدّمة للتّفصيل الّذى بعده حكم فيه على الجنس للاشعار بانّه سجيّتهم ولازمهم ، ليكون مذمومهم اشدّ ذمّاً وممدوحهم ابلغ مدحاً ، وكرّر لفظ الاعراب ليكون تصويراً لهم بما وصفوا به من السّجيّة الخبيثة ليكون في الذّمّ و المدح أبلغ [وَصَلَواتِ الرَّسُولِ] سبب دعوته لانّه (ص) كان يدعو للمصدّق بحسب الامر الآلهيّ بقوله: اللّهمّ صلّ عليه [أَلا إِنَّها قُرْبَةٌ لَهُمْ] لمّا صار المقام مظنّة السّؤال عن انّها قربة ام لا؟ وهل يكون سبباً لصلوات الرّسول (ص)؟ وهل يجاب الرّسول (ص) في حقّهم ام لا؟ اتى بالجملة المذكورة مقطوعة عن سابقها مؤكّدة مصدّرة باداة الاستفتاح [سَيُدْخِلُهُمُ اللهُ في رَحْمَتِهِ] تصديق بسببيّة انفاقهم لدعاء الرّسول (ص) واجابة الله له (ص) في حقّهم ، والسّين امّا للتّأكيد اوللتّسويف [إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ] تعليل لتأكيد الوعد و تحقيقه [وَالسّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ] عطف على من يؤمن بالله اى ومن الاعراب السّابقون فضلاً عن كون من يؤمن بالله منهم وعلى هذا فينبغى ان يراد بالاعراب الواقف في بيداء النّفس لااهل البدو فقط ، حتّى يصحّ كون السّابقين بلام الاستغراق منهم ويكون الآية حينئذ

اشارة الى انّ من كان فى تيه النّفس لاينبغى ان ينظر اليه نظر الحقارة ، كذلك كنتم من قبل فمنّ الله عليكم :

هيچ كافر را بخوارى منگريد كه مسلمان مردنش باشد اميد

و التّوصيف للتّاكيد و رفع توهّم ارادة السّبق فى صورة الاسلام او الهجرة اوالاحتشام او الجنود اوالغزو اوالقتال فقط ، وللاشارة الى ارادة السّبق فى السّلوك الى الله وفى مراتب عبوديّته فانّه السّبق حقيقة او السّابقون الاوّلون مبتدء وخبر فيكون من عطف الجملة ، والمعنى انّ السّابقين هم الاوّلون فى درجات القرب اومبتدء خبره من المهاجرين اورضى الله عنهم فيكون ايضاً من عطف الجملة والتّوصيف بالاوّلون لما ذكر [مِنَ الْمُهاجِرِينَ] الّذين هاجروا من مكّة الى المدينة لمحض خدمة الرّسول (ص) اومن مطلق اوطانهم اليها [وَالْأَنْصارِ] الّذين نصروه بعد الهجرة ، وقد ورد فى الخبر ، انّ المهاجر من هجر السّيّئات ، وفى خبر : لايقع اسم الهجرة الّا بمعرفة الحجّة ، وعلى هذا فالمراد بالمهاجر من هجر دار نفسه المشركة الى مدينة الرّسول الّتى هى القلب ، ولمّا كان الزّمان منطوياً فى مكان النّفس والقلب فلا اعتناء بالهجر المكانىّ ولا بسبقه الزّمانىّ فلا يلزم ان يكون كلّ مهاجر صحابىّ بمحض الهجرة المكانيّة و سبقه فيها مهاجراً فضلاً عن ان يكون سابقاً فى الهجرة ، والمراد بالانصار السّاكنون فى مدينة القلب المتوجّهون الى عمران النّفس المطمئنّة واللّوّامة المبلّغون النّاشرون احكام نبىّ القلب الى اهل بدو النّفس الامّارة وعمران النّفس المطمئنّة واللّوّامة [وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسانٍ] عطف على السّابقون او على الاوّلون او على المهاجرين اومبتدء وخبر و الجملة عطف على السّابق والاحسان ضدّ الاساءة قد يعتبر بالنّسبة الى خارج وجود الفاعل فيقال احسن الى الخلق اوالى زيد وقد يعتبر بالنّسبة الى ماله من الحال و الفعل فيحذف المفعول فيقال : احسن زيداً و هو محسن بمعنى صار فى حاله اوفعله ذاحسن والحسن الحقيقىّ قدمرّ مراراً انّه الولاية ، وكلّ حال اوفعل ينسب اليها يكون حسناً وان لم يرظاهره حسناً ، وكلّ ما لم يكن منسوباً اليها فهو قبيح وان كان ظاهره حسناً ، والمراد بالاحسان هنا هوجعل الحال والفعل متّصلاً بالنّبوّة و الولاية والمعنى والّذين اتّبعوهم باسلام و ايمان [رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ] قد مضى كيفيّة رضوان الله ورضا العباد فى سورة البقرة فى بيان توابيّته تعالى [وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهارُ خالِدِينَ فِيها أَبَدًا ذٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمِ وَ مِمَّنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الْأَعْرابِ] خبرٌ مقدّمٌ [مُنافِقُونَ] مبتدءٌ مؤخّرٌ والجملة عطف على جملة من الاعراب من يتّخذ والمعنى من الاعراب من دخل فى الاسلام مكرهاً و يتّخذ ما ينفق (الى الآخر) ومنهم من دخل طوعاً لكنّه اخذ الاسلام بهوى النّفس و اشار اليه بقوله ممّن حولكم فانّه يدلّ على انّه يتملّق لكم ويرضى عنكم او ممّن حولكم مبتدء و من الاعراب خبره و منافقون خبر بعد خبر اومستأنف اوحال بتقدير مبتدء ، او منافقون خبر و من الاعراب حال [وَ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ] عطف على ممّن حولكم اوعلى من الاعراب او مبتدء وما بعده خبره والجملة عطف على سابقها [مَرَدُوا عَلَى النِّفاقِ] تمرّنوا عليه و اعتادوه مستأنف اوخبر من اهل المدينة على جواز قيام من التّبعيضيّة مقام الاسم اوحال بتقدير قد [لا تَعْلَمُهُمْ] استيناف او حال او خبرٌ وهو اخبار للمؤمنين بحال المنافقين بايّاك

٢٣٧ أعنى واسمعى ياجارة ، حتّى يكونوا على حذرٍ ممّن يحتملون نفاقه واعلامٌ لهم بمهارتهم فى نفاقهم [نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ] خبراومستأنف اوحال متداخلة اومترادفة [سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ] مرّة على كفرهم ومرّةعلى اظهارهم الاسلام نفاقاً اومرّة بنزعهم عن آمالهم ومتمنّياتهم ومرّة بمشاهدة ما اعدّ لهم فى الآخرة [ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ] فى القيامة [وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ] عطف على مردوا اوعلى منافقون اوعلى من الاعراب او على من يؤمن بالله او اخرون مبتدء واعترفوا خبره والجملة عطف على سابقتها [خَلَطُوا عَمَلاً صَالِحاً وَآخَرَ سَيِّئًا] نزولها فى ابى لبابة بن عبدالمنذر حين شاوره بنوقريظة فى النّزول على حكم سعدبن معاذٍ وقد مضى عند قوله لاتخونوا الله من سورة الانفال لكن معناها عامّ فى كلّ مؤمن احدث ذنباً فى ايمانه و اعترف به [عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ] عسى من الله واجب وانّما يأتى تعالى شأنه بادوات التّرجّى و التّسويف جرياً على عادة الملوك و الاكابر فى مواعيدهم [إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ] و قد ورد انّ وحشياً منهم وورد ايضاً انّهم قوم اجترحوا ذنوباً مثل قتل حمزة وجعفر الطّيّار ثمّ تابوا وذكر ايضاً انّ من قتل مؤمناً لم يوفّق للتّوبة [خُذْ] بنفسك اوبعمّالك وهو جواب لما ينبغى ان يسأل عنه محمّد (ص) كأنّه قال : فما افعل بالمنافقين والّذين خلطوعملاً صالحاً و آخرسيّئاً؟ فقال تعالى :خذ [مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً] والامرهنا للوجوب كماوردانّها وردت فى فرض الزّكوة وقد نزلت فى شهررمضان وامر (ص) مناديه ان ينادى فى النّاس بفرض الزّكوة ، ومنه يعلم انّ وجوب الاخذ عليه يستلزم وجوب الاعطاء عليهم ، وهل يجب عليهم الايصال الى يده او يد نائبه كما يستفاد ذلك ايضاً من وجوب الاخذ عليه ، وورد بذلك الاخبار وافتى به بعضهم او لايجب بل لهم الاختيار فى الايصال اليه (ص) والاعطاء الى من شاؤا من المستحقّين ؟ والحقّ ان ليس لهم الاعطاء الّا الى الرّسول (ص) او نوّابه و خلفائه ، او من اذنوا لهم من المستحقّين و التّفصيل موكول الى الكتب الفقهيّة [تُطَهِّرُهُمْ] صفة لصدقة اومستأنف وهوامّا خطاب له (ص) اومسند الى ضمير الصّدقة ، وعلى الاوّل يكون المجرورفى قوله [وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا] متنازعاً فيه ، والمراد بالتّزكية هنا الانماء فى المال والبركة لا التّطهير ليكون تأسيساً واشارة الى انّ الصّدقة توجب البركة فى المال ليكون ترغيباً لهم فيها [وَصَلِّ عَلَيْهِمْ] و ادع لهم بطلب الرّحمة عليهم حين الاخذ اوبلفظ الصّلوة كماورد انّه اذا اتى النّبىّ (ص) قوم بصدقتهم قال : اللّهمّ صلّ عليهم، اومطلقاً حيث استحقّوا بتزكية المال دعاءك حين التّصدّق وبعده بانواع الدّعاء للدّنيا و الآخرة [إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ] سبب سكونهم واطمينانهم ونكّر السّكن للاشارة الى انّه نوع سوى مايعرفه النّاس، فانّ الزّوج سكن والمال والمسكن والاولاد كلّها سكن وكذا ذكر الله سكن لكن كلّها لايخلو عن نوع اضطراب ومداخلة للشّيطان بخلاف توجّهه (ص) وعنايته ودعائه ، فانّه يفرّ منه الشّيطان ولا يبقى له مداخلة فلا يبقى للسّاكن شيءٌ من الاضطراب، مثل السّكينة القلبيّة النّازلة من الله فى قلب المؤمن [وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ] عطف على مدخول انّ اوعلى انّ مع اسمها وخبرها وعلى كلا التّقديرين يستفادمنه التّعليل [أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ] ترغيبٌ لهم فى التّصدّق وذكر التّوبة لمشاركتها للصّدقة فى قبوله تعالى على ايدى خلفائه ولانّها مقدّمة للصّدقة ولذا قدّمها فانّ من لم يتب الى الله لايمكنه التّصدّق حقيقة . اعلم ، انّ التّوبة هى رجوع الشّخص عمّا لاينبغى

الى الله سواء كان الرّجوع من جهة الباطن الى مظهر الله الباطنىّ الّذى هو القلب ، اومن جهة الظّاهر الى مظهره الّذى هو النّبىّ (ص) اوالامام (ع) اوخلفاؤهما، ولهذا الرّجوع وقبول التّوبة بهذا المعنى اعمال ومواثيق مقرّرة كانت جارية بينهم من لدن آدم (ع)، وان كانوا لشرافتها والضّنّة بها كتموها من غير اهلها ومحوا اثرها من صدور من اطّلع عليها ورجع عنها لئلّا تبتذل كسائر رسوم الملّة، والمستعمل فى الكتاب والسّنّة فى الاغلب هو التّوبة بهذا المعنى والقابل لهذه التّوبة هو النّبىّ (ص) اوخليفته كما انّ الآخذ للصّدقة ايضاً هو النّبىّ (ص) اوخليفته (ع)، لكنّه لمّا كان مظهراً لله وفانياً ببشريّته فيه خصوصاً وقت قبول التّوبة و اخذ الصّدقة نسب قبول التّوبة و اخذ الصّدقة الى نفسه بطريق الحصر بمعنى عدم انفراد الغير ولامشاركته له تعالى فيه ، هذا اذا كان الآخذ للصّدقة والقابل للتّوبة خلفاءه تعالى ، وامّا اذا كان الآخذ للصّدقة غيرهم كالفقراء السّائلين الآخذين للصّدقات المندوبة اوالمفروضة فالاخذ وان لم يكن الٰهيّاً لكنّ المتصدّق بنيّته الالٰهيّة الّتى هى شرط فى اطلاق اسم الصّدقة على ما يعطى يصير الٰهيّاً ومظهراً لله وبصيرورته مظهراً لله يجذب اللّطيفة الالٰهيّة فى الآخذ وان لم يصر الآخذ شاعراً به ، ولذا ورد تقبيل يد الامام اوالآخذ اوالسّائل وتقبيل المعطى يد نفسه وتقبيل الخير بعد الرّدّ من يد السّائل ووجه الكلّ قد علم ممّا ذكر [وَ إِنَّ اللّٰهَ هُوَ التَّوّٰابُ] كثير المراجعة على العباد بالعفو و التّوفيق و قبول توبتهم [الرَّحِيمُ] للعباد وقد مضى تحقيق التّوبة ومعنى توّابيّته فى اوّل البقرة فى مثل هذه الآية [وَقُلِ اعْمَلُوا] تهديد بعد ترغيب [فَسَيَرَى اللّٰهُ عَمَلَكُمْ وَ رَسُولُهُ وَ الْمُؤْمِنُونَ] الخالصون للايمان المتحقّقون به وهم خلفاء الله بعد رسوله (ص) وانّما اكثر المؤمنين النّاقصين لا اطّلاع لهم على اعمال الغير ، ولذلك ورد بطريق الحصر انّ المراد بالمؤمنون علىّ بن ابى طالب (ع) اوالائمّة (ع)، فانّ اعمال العباد تعرض صباحاً ومساءً فى الدّنيا على من جعله الله شهيداً على الخلق فاحذروا من ان يعرض منكم ما اذا شوهد يسوّكم و ما اذا عرض على امامكم يسوّه كما فى الاخبار ، والسّين للتّأكيد لا للتّسويف اوللتّسويف بتضمين يرى معنى يظهر رؤية الله لاعمالهم [وَسَتُرَدُّونَ إِلىٰ عٰالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهٰادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمٰا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ] و يجازيكم عليه ان خيراً فخير وان شرّاً فشرّ [وَآخَرُونَ مُرْجَوْنَ] عطف على آخرون اعترفوا اوعلى ماعطف عليه آخرون اعترفوا، ولمّا كان نزول قوله آخرون اعترفوا فى ابى لبابة بن عبدالمنذر ، وكان بعد قبول توبته تصدّق بتمام ماله و ابى رسول الله (ص) عن اخذ تمام ماله ، وقال يكفيك الثّلث ان تتصدّق به، وكان نزول قوله خذ من اموالهم صدقةً فى اخذ صدقته جاء به معترضاً بين المعطوف والمعطوف عليه والارجاء التّأخير ، يعنى انّهم مؤخّرون من غير تنجيز بالمغفرة اوالعذاب لكونهم واقعين بعد بين الملكوت العليا الّتى هى دار الرّحمة والملكوت السّفلى الّتى هى دار العذاب من غير حكم عليهم بكونهم من اهل احدى الملكوتين . اعلم ، انّ الانسان بعد البلوغ امّا قادر بحسب قوّته العمّالة والعلّامة على طلب الدّين والاستشعار بخيره وشرّه الانسانيّين اولا ، والثّانى هو المستضعف والاوّل امّا متّصل بنبىّ (ص) اوامام (ع) بالبيعة العامّة اوالخاصّة اولا ، والثّانى امّا منكر لله او لنبىّ وقته وهو الكافر المحكوم عليه بالعذاب ، اومتحيّر واقف وهو المرجى لأمر الله ، والاوّل امّا موافق اتّصاله ولسانه لجنانه بحسب قوّته العلّامة اولا ، والثّانى هو المنافق المحكوم عليه بالعذاب سواء كان دخوله وبيعته اكراهاً اوطوعاً، والاوّل امّا موافق عمله لعلمه ولايخالف بحسب قوّته العمّالة تبعيّته وعهده اولا ، والاوّل هو المؤمن المحكوم عليه بالرّحمة و الثّانى هو الخالط للعمل السّيّئ بالعمل الصّالح الّذى على الله ان يعفو عنه ، فآخرون مرجون

[لِأَمْرِ اللهِ] اى لحكمه الّذى هو من عالم امره [إِمّا يُعَذِّبُهُمْ] حين خروجهم من الدّنيا بلحوقهم بدار العذاب بواسطة غلبة الحكم السّفلىّ عليهم [وَإِمّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ] بلحوقهم بدار الرّحمة بواسطة غلبة الحكم العلوىّ عليهم [وَاللهُ عَلِيمٌ] باستعدادهم واستحقاقهم لكلّ من التّوبة والعذاب [حَكِيمٌ] لطيف فى علمه لا يعزب عنه قدر شعرٍ وشعيرةٍ من استعدادهم واستحقاقهم متقن لطيف فى عمله يجازى كلاً بحسب عمله ولو كان بقدر شعيرةٍ وشعرةٍ [وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِداً] عطف على منافقون اوكلّ من معطوفيه اوعلى مرجون من قبيل عطف اوصاف موصوفٍ واحدٍ، اوعطف المتغايرين اومبتدء خبره محذوف اوخبر مبتدء محذوف اومفعول فعلٍ محذوفٍ، روى انّ بنى عمرو بن عوف بنوا مسجد قبا وصلّى فيه رسول الله (ص) فحسدهم اخوتهم بنو غنم بن عوف، فبنوا مسجد الضّرار وارادوا ان يحتالوا بذلك فيفرّقوا المؤمنين ويوقعوا الشّكّ فى قلوبهم، بان يدعوا اباعامر الرّاهب من الشّام ليعظهم ويذكر وهن دين الاسلام ليشكّ المسلمون ويضطربوا فى دينهم، فأخبر الله تعالى نبيّه (ص) بذلك، فدعوا رسول الله (ص) ليصلّى فى مسجدهم فأبى واعتذر بأنّى على جناح سفرٍ حين ارادة غزوة تبوك، وبعد مارجع من تبوك امر بهدمه واحراقه وجعله كناسة يلقى فيه الجيف وقصّته مذكورة بتفصيلها فى المفصّلات ومافى الصّافى يكفى للتبصّر [ضِراراً وَكُفْراً] لحصول الكفر اولتحصيل ازدياد الكفر [وَتَفْرِيقاً بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصاداً] ترقّباً [لِمَنْ حارَبَ اللهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ] يعنى ابا عامر الرّاهب، نقل انّه كان قد ترهّب فى الجاهليّة ولبس المسوح فلمّا قدم النّبىّ (ص) المدينة حسده وحزّب عليه ثمّ هرب بعد فتح مكّة وخرج الى الرّوم وتنصّر، وانّه كان يقاتل رسول الله (ص) فى غزواته الى ان هرب الى الشّام ليأتى من قيصر بجنودٍ يحارب بهم رسول الله (ص) ومات بقنّسرين [وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنا إِلَّا الْحُسْنى] الّا الارادة الحسنى اوالعاقبة الحسنى او الخصلة الحسنى [وَاللهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكاذِبُونَ لا تَقُمْ فِيهِ أَبَداً] اى للصّلوة فانّ القيام لكثرة استعماله فى القيام للصّلوة يتبادر منه الصّلوة [لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوى] اعلم، انّه كما انّ للبناء سقفاً واساساً ومقرّاً يقوم الاساس عليه كذلك لكلّ عمل صورة واساس ومقرّ يقوم الاساس عليه، فسقف العمل هو صورته الّتى هو عليها، واساسه هو نيّة العامل، ومقرّه هو شأنه الّذى يقتضى تلك النّيّة، فبالنّيّة يوجد العمل ومن شأن العامل ينشأ النّيّة وعليه تستقرّ والعمل مبتنٍ على النّيّة والنّيّة قائمة على شاكلة العامل قل كلٌّ يعمل على شاكلته والعمل ظهور النّيّة والنّيّة ظهور الشّاكلة لكن يخفى ذلك الظّهور على العميان مع ظهوره لاصحاب البصائر، والعلم بمبنى العمل احد وجوه العلم بتأويل القرآن، فمن كان شاكلته التّقوى من مقتضيات النّفس صارت نيّته آلهيّة ومن كان كذلك كان عمله مبتنياً على نيّة آلهيّة قائمة على شاكلة التّقوى، واذا كان العمل مبتنياً على نيّة آلهيّة كان العمل آلهيّاً لظهور تلك النّيّة فى العمل ولذلك اولكون قلب عاملها الواقف لها بيت الله يسمّى المساجد بيوت الله مع شركتها لسائر الابنية فى موادّها وصورها وبقاعها وعامل بنائها، وقد مضى تحقيق معنى المسجد فى سورة البقرة عند قوله تعالى: ومن اظلم ممّن منع مساجد الله [مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ] من ايّام تأسيسها يعنى مسجد قبا [أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ] للصّلوة من مسجد اسّس على النّفاق لانّه بمظهريّته لنيّة المتّقى مجانس لك [فِيهِ رِجالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا] من الارجاس الباطنة والانجاس الظّاهرة [وَاللهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ] روى

عن النّبيّ (ص) انّه قال لأهل قبا: ماذا تفعلون فى طهركم فانّ الله قد احسن عليكم الثّناء؟ـ قالوا نغسل اثر الغائط، قال: فأنزل الله فيكم: والله يحبّ المطهّرين [أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيانَهُ] بنيان وجوده [عَلى تَقْوى مِنَ اللهِ وَرِضْوانٍ] من الله عطف على محذوف مستفاد من سابقه والهمزة والفاء على التّقديم والتّأخير اوعلى تقدير المعطوف عليه بينهما تقديره امسجد اسّس على التّقوى خير ام مسجد اسّس على النّفاق فامّن اسّس بنيانه او فمن اسّس بنيانه على تقوى من الله و رضوان خير [أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيانَهُ عَلى شَفا جُرُفٍ] الجرف جانب الوادى الّذى تجرفه السّيول وتذهب بتراب اصله فتنشقّ و الشّفا شفيره [هارٍ] اصله هائر وهورو هوالمنشقّ المشرف على السّقوط [فَانْهارَ بِهِ] اسقطه اى البنيان او من اسّس البنيان [فِي نارِ جَهَنَّمَ وَاللهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظّالِمِينَ] عطف باعتبار المعنى كأنّه قال فمن أسّس بنيانه على شفيرجهنّم ظالم والله لايهدى القوم الظّالمين. اعلم، انّ النّفس الانسانيّة فى اوّل الخلقة ليس لها الّا فعليّة الجماد ثمّ تتدرّج الى فعليّة النّبات ثمّ الى فعليّة مراتب الحيوان من مراتب الخراطين الى مراتب البهيميّة والسّبعيّة، ثمّ الى فعليّة الشّيطانيّة، ثمّ الى فعليّة الانسانيّة فى الجملة، وهى مقام تميزها للخيروالشّرّ العقليّين فى الجملة فى اوّل مراتب البلوغ والتّكليف وحينئذ تقع برزخاً بين عالم الجنّة والشّياطين وفيه جهنّم ونيرانها، وبين عالم الملائكة بمراتبها وفيه الجنان ونعيمها وروحها وريحانها، والانسان فى هذا المقام ليس الّا قابلاً صرفاً يتصرّف فيه الشّياطين ويجذبونه الى السّفل والى عالمهم ويتصرّف فيه الملائكة ويجذبونه الى العلو والى عالمهم وله القوّة والاستعداد للسير على تمام مراتب السّفل والاتّصاف بها وعلى تمام مراتب العلو والاتّصاف بها، فان ساعده التّوفيق وادرك ببصيرته شروره وانّ جذب الشّياطين له ليس الّا الى دار الشّرور واتّقى ذلك ولم ينصرف الى ما اقتضيه القوّة الشّيطانيّة والسّبعيّة والبهيميّة، بل كان على حذر من ذلك وقام فى مقام الانسانيّة متدرّجاً فى مراتبها فقد اسّس دار وجوده وتعيّشه على تقوى من لوازم سخط الله وهى مقتضيات القوى المذكورة، وان ادركه خذلان الله العياذ بالله، وانصرف عن مقام الانسانيّة وانجذب بوسوسة الشّيطان الى مقام القوى المذكورة وهو اقرب مقاماته الى العالم السّفلىّ الّذى فيه جهنّم وقام فى هذا المقام الّذى هواضعف مراتبه واوهنها فقد اسّس دار وجوده وتعيّشه على اوهن مقاماته الّذى اذا انهدم سقط فى جهنّم [لا يَزالُ بُنْيانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا] يعنى اهل مسجد الضّرار [رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ] سبب شكّ [إِلّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ] فلا يبقى منها اثر حتّى تتّصف بالرّيبة [وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ] يعنى انّ بنيانهم سبب جهلهم وبلاهتهم والله عليمٌ حكيمٌ فيكون بنيانهم سبب بعدهم من الله فليهدم كما روى انّه (ص) امر بهدمه واحراقه [إِنَّ اللهَ اشْتَرى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ] بعد ماذكر اصناف المنافقين واحوالهم ذكر اوصاف المؤمنين وماهم عليه وما لهم فى الآخرة لازدياد حسرة المنافقين. اعلم، انّ النّفوس البشريّة خلقت متعلّقة بمعنى انّ التّعلّق جزؤ جوهر ذواتها و فصل مميّز لها عن الجواهر المجرّدة الصّرفة لا انّ التّعلّق وصف خارج عن ذواتها عارض لها، وهذا التّعلّق الفطرىّ هوالّذى يكون منشأ شوقها الّذى يعبّرعنه بالفارسيّة بدرد، وهويقتضى التّعلّق الاختيارىّ حين البلوغ فان ساعدها التّوفيق وتعلّقت اختياراً حسبما كلّفها الله بالعقول المجرّدة ومظاهرها البشريّة فازت بالحيوة الابديّة، وان خذلها الله وتعلّقت بالشّيطان ومظاهره البشريّة اعاذنا الله منها، هوت الى المظاهر القهريّة وهلكت، ولمّا كان فى يدوالامر مدار كها العقليّة ضعيفة ومدار كها الحيوانيّة والشّيطانيّة قويّة بحيث لاتدرك الّا ماادركته المدارك الظّاهرة والباطنة الحيوانيّة

او ما اقتضته القوى الحيوانيّة والشّيطانيّة ، ولايتيسّر لها ادراك العقول و التّعلّق بها بلاواسطة بشريّة مدركة بمداركها الحيوانيّة ، امرهم الله تعالى شأنه بالتّعلّق بمظاهر العقول من الانبياء وخلفاءهم والانقياد لهم واتباعهم، ولتطابق العوالم وتوافق المراتب ولزوم سريان حكم كلّ عالم ومرتبته الى سائر العوالم والمراتب، امرهم الله تعالى بالبيعة الّتي هي مشتملة على التّعلّق الجسمانيّ بعقد يدي المتعلّق والمتعلّق به وتعلّق سمع كلّ بلسان الآخر وصوته ليكون التّعلّق النّفسانيّ موافقاً للجسمانيّ وسارياً الى المرتبة البشريّة ، وتلك البيعة كانت سنّة قائمة من لدن آدم (ع) الى زمان ظهور دولة الخاتم (ص) ، بحيث كان اهل كلّ دين لايعدّون من اهل ذلك الدّين احداً الّا بالبيعة مع صاحب ذلك الدّين اومع من نصبه لاخذ البيعة من النّاس ولتلك كانت شرائط وآداب مقرّرة مكتومة عندهم، ولشرافة تلك البيعة والضنّة بابتذالها عند من ليس لها باهل كانت تختفي في كلّ دين بعد قوّته و رحلة صاحبه واختيار العامّة له بأغراضهم الفاسدة على سبيل الرّسم والملّة ، وقوله وبئر معطّلة اشارة الى التّحقّق بالدّين بالدّخول فيه بما به تحقّقه من البيعة ، وقصر مشيد اشارة الى صورة الدّين المأخوذة على طريق الرّسم و الملّة من دون التّحقّق به اذا تقرّر ذلك، فاعلم، انّ تلك البيعة لمّا لم تكن الّا مع المظاهر البشريّة لعدم امكان الوصول الى الله والى العقول من غير توسّط تلك المظاهر وقد تحقّق انّ المظاهر يعني الانبياء وخلفاءهم (ع) لفنائهم في الله خصوصاً وقت اخذ البيعة واشتراء الانفس والاموال، وجودهم وجود الله لاوجود انفسهم لعدم نفسيّة لهم حينئذٍ وفعلهم فعل الله لافعل انفسهم، وكان القاصرون لايرون البيعة الّا مع الوسائط من غير نظرٍ الى الظّاهر فيها، قال الله تعالى بطريق حصر القلب اوالتّعيين اوالافراد انّ الله اشترى لا الوسائط البشريّة كما اعتقدوا لقصورهم وقد صرّح بالحصر في قوله انّما يبايعون الله يعني انّ المشترى هو الله لا انت ، وهكذا قوله يدالله فوق أيديهم للحصر اعتباراً لمفهوم اضافة اليد الى الله يعني يدالله لا يدك، كما مضى عند قوله تعالى الم يعلموا انّ الله هو يقبل التّوبة عن عباده انّه اشارة الى تلك البيعة وانّه للحصر فانّ قبول التّوبة من اجزاء تلك البيعة ومقدّماته، وقول المفسّرين انّ الآية وذكر الاشتراء تمثيل لاثابة الله اياهم على بذل الانفس والاموال انّما هو بالنّظر الى المبايعة الماليّة لاالمبايعة الاسلاميّة [يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ] حال لبيان حالهم و ما يشترط عليهم حين الاشتراء او مستأنف جواب لسؤال عن حالهم وما اشترط عليهم . اعلم ، انّ الدّاخل في الاسلام بالبيعة العامّة النّبويّة وقبول الدّعوة الظّاهرة و الدّاخل في الايمان بالبيعة الخاصّة الولويّة و قبول الدّعوة الباطنة لاينفكّ عن المقاتلة مع الاعداء الباطنة وجنود الشّيطان ، وان كان قد ينفكّ عن المقاتلة مع الاعداء الظّاهرة وايضاً لاينفكّ عن قتل لشيءٍ من جنود الجهل واتباع الشّيطان وعن مقتوليه بحسب مراتب جنود الحيوان ما لم يمت اختياراً اواضطراراً ، ولذا اتى بالافعال الثّلاثة مضارعات دالّات على الاستمرار [فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ] قرئ الاوّل مبنيّاً للفاعل والثّاني مبنيّاً للمفعول و بالعكس [وَعْداً عَلَيْهِ] وعد المقاتلة بحسب الشّرط في البيعة او وعد الجنّة بازاء الانفس والاموال وعداً ثابتاً عليه [حَقّاً] صفة لوعداً اوحال منه اومصدر لمحذوف اى ثبت ذلك الوعد ثبتاً [فِي التَّوْرٰيةِ وَ الْإِنْجِيلِ وَ الْقُرْاٰنِ وَ مَنْ أَوْفٰى] افعل التّفضيل او فعل ماض [بِعَهْدِهِ مِنَ اللهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ] الله بتوسّط مظاهره [بِهِ] ان كان او في افعل تفضيل ومن استفهاميّة فالفاء جواب شرط محذوف اى اذا لم يكن احد او في بعهده من الله فاستبشروا ، وان كان فعلاً ماضياً و من شرطيّة اوموصولة فالفاء جواب

الشرط المذكور اذ الموصولة فى مثل هذا المقام متضمّنة لمعنى الشّرط لكن يقدّر حينئذٍ بعد الفاء القول اى فيقال لهم: استبشروا ، والوجه الاوّل اولى لتناسبه لقوله وعداً عليه حقّاً [وَذٰلِكَ] البيع الّذى بايعتم على ايدى خلفائه اوذلك الوعد [هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ التّٰائِبُونَ] هوعلى قراءة الرّفع مقطوع عن الصّفة للمدح اومستأنف مقطوع عمّا قبله جواباً لسؤالٍ مقدّرٍ كأنّه قيل: من المؤمنون المستبشرون؟ فقال: التّائبون ،وعلى كلا التّقديرين فهوخبر مبتدءٍ محذوفٍ ، ونسب الى المعصومين(ع) انّهم قرؤه بالجرّ صفة للمؤمنين والمراد التّائبون بالتّوبة الخاصّة على ايدى خلفاء الله الّتى هى من اجزاء البيعة المذكورة [الْعٰابِدُونَ] الصّائرون عبيداً خارجين من رقّيّة انفسهم داخلين فى رقّيّة مولاهم اوفاعلين فعل العبيد يعنى كان فعلهم بامر مولاهم لابامر أنفسهم [الْحٰامِدُونَ] المعتقدون المشاهدون كلّ كمال وجمال من الله فانّه الحمد حقيقةً الّذاكرون الله بكماله وجماله بألسنتهم طبق اعتقادهم وشهودهم [السّٰائِحُونَ] فى اراضى العالم الصّغير والعالم الكبير وفى اخبار الامم الماضية وفى شرائع الانبياء ومواعظ الاولياء ونصائحهم وفى الكتب السّماويّة ولاسيّما القرآن المهيمن على الكلّ وقداشير فى الاخبار الى كلّ ، وفسّر ايضاً بالصّائمين وقد ورد انّ سياحة امّتى الصّيام وهو من قبيل التّفسير بالسّبب ، فانّ الصّيام وهو منع القوى الحيوانيّة عن مشتهياتها بضعفها و بتضعيفها يرتفع الحجاب عن المدارك الانسانيّة و ينفتح بصيرة القلب وينطلق رجل العقل فيسبح فى اراضى وجوده ويسرى سياحتها الى اراضى سيرة الانبياء(ع) والاولياء(ع) وكتبهم، اويسرى الى سياحة العالم الكبير بالنّظر فى آياته والعبرة من تقلباته بأهله فانّه السّياحة حقيقةً لا المشى فى وجه الارض خالياً من ذلك النّظر وتلك العبرة [الرّٰاكِعُونَ] بالرّكوع المخصوص الّذى هومن اركان الصّلوة الصّوريّة اوباظهار الخضوع والذّلّ لله ولخلفائه [السّٰاجِدُونَ] بسجدة الصّلوة اوبمطلق السّجدة لله اوبغاية الخضوع والتّذلّل [الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ] لأهالى عوالمهم اولأهل العالم الكبير بعد استكمال اهالى عوالمهم والفراغ منهم [وَالنّٰاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ] هكذا، والاتيان بالعاطف لتماميّة السّبعة والعرب فى التّعداد اذا تمّ عدد السّبعة يأتى بالواو وتسمّى واوالثّمانيّة وسرّه تماميّة العوالم الكلّيّة الآلهيّة بالسّبع ، وقد مضى فى اوّل سورة البقرة تحقيق للامر بالمعروف والنّهى عن المنكر عند قوله تعالى : اتأمرون النّاس بالبرّ (الاية) [وَالْحٰافِظُونَ لِحُدُودِ اللّٰهِ] بعد الفراغ من الامر و النّهى بابقاء المأمورين والمنهيّين على الايتمار و الانتهاء فى العالم الصّغير والعالم الكبير والحافظون على حدود احكام الله من العبادات والمعاملات وغاياتها المقصودة منها ، مثل ان يحفظ فى الصّلوة على الانقياد والخشوع والتّشبّه بالملائكة والشّخوص بين يدى الله والانصراف من التّوجّه الى عالم الطّبع والحيوان الى الله ، ومثل ان يحفظ فى النّكاح على التّوالد وابقاء النّسل وازدياد المودّة والرّحمة والاستيناس ، لا ان يكون نكاحه لمحض قضاء الشّهوة الحيوانيّة واللّذّة النّفسانيّة بل يكون حين اللّذّة حافظاً لتلك الغايات ناظراً اليها ، وما ورد فى تفسيره بالحفظ على الصّلوة بحفظ اوقاتها وركوعها وسجودها اوبحفظ احكام الله فهومشير الى هذا المعنى .

امّهات منازل السّالكين

اعلم ، انّ الآية الشّريفة جامعة لامّهات منازل السّالكين الى الله واسفارهم مشيرة الى جميع مقامات السّائرين ، فانّ التّائبون اشارة الى منازلهم الحيوانيّة و مقاماتهم الخلقيّة لانّ التّوبة هى السّير من الخلق الى الحقّ وهو السّفر الاوّل من الاسفار الاربعة وللانسان فى هذا السّفر مقاماتٌ ومراحل عديدة و ليس له الّا التّعب و الكلفة ولا يوازى لذّته كلفته، ولذا ترى اكثر السّالكين

واقفين فى هذا السّفر حائرين لا يمكنهم الرّجوع ولا الوقوف على مقامهم الحيوانىّ، لما ايقنوا من انّ ذلك المقام من مقامات الجحيم ولما رأوا انفسهم فيه من العذاب الاليم ولا يمكنهم التّجاوز والسّير الى مافوقه لكثرة المتاعب وضعف يقينهم وقلّة التذاذهم بالمقامات الانسانيّة وضعف نفوسهم عن التحمّل وقوّة قويهم فى طلب مقتضياتها، والعابدون اشارة الى مقاماتهم الحقّيّة الخلقيّة ، لانّ العبوديّة هى السّير فى المقامات الانسانيّة وعلى المراحل الرّوحانيّة الى الانتهاء الى حضرة الاسماء والصّفات ، وهو السّفر الثّانى من الاسفار الاربعة اى السّفر من الحقّ الى الحقّ ، والحامدون السّائحون الرّاكعون السّاجدون اشارة الى مقاماتهم الحقّيّة اى السّير فى حضرة الاسماء والتّمكّن فى التّحقّق بحقائق الصّفات الالهيّة، وهو السّفر الثّالث اى السّفر بالحقّ فى الحقّ ،والامرون بالمعروف والنّاهون عن المنكر والحافظون لحدود الله اشارة الى مقاماتهم الالهيّة و مراتبهم الرّبوبيّة اى السّير فى المظاهر الالهيّة متّصفين بصفات الرّبوبيّة مبدّلين للخلقيّة بالحقّيّة ناظرين الى المظاهر الى كلّ فى مرتبته معطين لكلّ ذى حقّ حقّه، وهو آخر الاسفار الاربعة يعنى السّفر بالحقّ فى الخلق . وبيان هذه الاسفار ومقاماتها وما يرد فيها وما يشاهد منها من الآيات ممّا يضيق عنه بيان البشر ولا يسعه هذا المختصر، واجمال القول فيها: انّ الانسان فى زمان الصّبا الى اوان البلوغ حيوان كالخراطين والدّيدان او كالبهائم والسّباع لا يدرى من الخيرات الّا ما اقتضته القوى الحيوانيّة ولا من الشّرور الّا ما تستضرّبه ، و بعد بلوغ الاشدّ و ظهور اللّطيفة الانسانيّة وتميز الخيرات والشّرور العقليّة الانسانيّة ، امّا يقف على الحيوانيّة باقياً فيه شيء من الانسانيّة ، اويهوى عن الحيوانيّة الى اسفل السّافلين مهلكاً للطّيفة الانسانيّة ، اوينزجر عن الحيوانيّة و يرغب فى الخيرات الانسانيّة متدرّجاً فيه الى ان يطلب من يبيّن له طريق جلب خيراته ودفع شروره الانسانيّة ، لانّه خارج عن ادراك مداركه الحيوانيّة غير مدرك بمداركه العقليّة لضعفها، وذلك التّدرّج فى الانزجار وان كان توبة وانابة لغة لكنّه لا يسمّى عند اهل الله توبة ولا انابة ، لانّ التّوبة والانابة عندهم اسم للرّجوع عن الحيوانيّة الى الانسانيّة الآلهيّة ولخفاء طريقها كثيراً ما يقع الرّاجع عن الحيوانيّة الى حيوانيّة اوشيطانيّة بتدليس الشّيطان وظنّه انّها خيرات انسانيّة فيقع فيما فرّ منه ، فما لم يظهر صحّة رجوعه عن الحيوانيّة الى الانسانيّة لم يطلق عليه اسم التّوبة وصحّة الرّجوع عن الحيوانيّة الى الانسانيّة لا تظهر الّا بقبوله من الله ، وقبوله من الله لا يظهر الّا بقبول خلفاءه و هم المظاهر الانسانيّة و الكاملون الفارقون ببصيرتهم بينها و بين الحيوانيّة ، فاذا وصل الى نبيّ اوولىّ وتاب هو عليه وهى توبة الله عليه و استغفر له فى البيعة العامّة النّبويّة و قبول الدّعوة الظّاهرة صدق على رجوعه التّوبة و الانابة بجهتيه وصار تائباً ، وبتلك التّوبة لا يحصل له الّا خيراته القالبيّة المؤدّية الى خيراته الانسانيّة ولا يلتذّ بها بل لا يرى فيها الّا التّعب والكلفة ولا يسكن حرارة طلبه للخيرات الانسانيّة ولا يتمّ توبته ، فاذا طلب ووجد وتاب بالتّوبة الخاصّة فى البيعة الخاصّة الولويّة وقبول الدّعوة الباطنة ودخول الايمان فى القلب و هناك يتمّ صورة توبته فقد يلتذّ بانموذج خيراته الانسانيّة ، لكنّه ما لم يخرج من ملكه ولم يلج ملكوت السّماوات ولم يشاهد ملكوت شيخه كان تائباً ولم يخلص له اللّذّات الانسانيّة وكان بعد فى تعب وكلفة و ضيق لا يرضى بحال من احواله ويتقلّب فى الاحوال، حتّى يشاهد ملكوت الشّيخ ويسكن الشّيخ فى ارض صدره ويتمكّن له دينه الّذى ارتضاه له و حينئذٍ يتمّ سيره من الخلق الى الحقّ ، فانّ ملكوت الشّيخ هى الحقّ بحقّيّة الحقّ الاوّل ويصير حينئذٍ سالكاً الى الله، لانّه كان قبل ذلك سالكاً الى الطّريق ويصير عبداً خارجاً من رقّيّة نفسه داخلاً فى رقّيّة الله ويصير فعله ايضاً فعل العبد حيث تمكّن الشّيخ فى وجوده وصار بالنّسبة الى شيخه كالملائكة بالنّسبة الى الحقّ

الاوّل ، لا يعصى الشّيخ وهوبأمره يعمل لا بأمرنفسه ويصدق عليه انّه عبد وعابد و يصير مسافراً بالسّفر الثّانى من الحقّ الى الحقّ لانّ المبدأ ملكوت الشّيخ وهى الحقّ ، والمنتهى هوالحقّ المضاف ، ومراحل هذاالسّفر ومقاماتها خارجة عن الحصر والعدّ ، والسّالك فى هذا السّفر واله غيرشاعر كالمجذوب فاذا وصل الى حضرة الاسماء والصّفات تمّت عبوديّته وفنى عن افعاله وصفاته وذاته واتّصف بالرّبوبيّة اذا تمّ له هذا السّفروصحا عن فنائه وصدق ما قالوا : الفقر اذا تمّ هو الله ، و انتهاء العبوديّة ابتداء الرّبوبيّة ، وفى هذا المقام يظهر بعض الشّطحيّات من السّالكين مثل: اناالحقّ ، وسبحانى ما اعظم شانى ، وليس فى جبّتى سوى الله، والسّالك حينئذٍ مسافر فى الحقّ و هو السّفر الثّالث ولا انتهاء لمقامات هذا السّفر ، وفى هذا السّفر لايرى فى الوجود الّا الله ولا يرى جمالاً وكمالاً الّا لله فينسب تمام الكمال والجمال اليه تعالى من غير شعورٍ بهذه النّسبة منه وهوحمده بل يتحقّق بالصّفات الجماليّة والاسماء الحسنى الآلهيّة وهوحامديّته حقيقة، ويصدق حينئذٍ عليه انّه سائح حيث انّ السّياحة هى السّير لمشاهدة غرائب صنع الله و هو فى السّفر الاوّل لا يمكنه مشاهدة صنع الله بل لا يرى الّا المصنوع ، و فى السّفر الثّانى امّا لا يشعر بصنع و مصنوع بل لا يشعر الّا بشيخه او لايرى الّا المصنوع بحسب تقلباته ذات اليمين وذات الشّمال ، وفى هذا السّفر حين يفيق من جذبته يرى ويشاهدلكن لايرى الّا صنع الله و غرائبه لخروجه من التّعيّنات الكونيّة فلا يرى فى الوجود الّا صفاته واسماءه تعالى ، وكلّ ما يشاهد يتذلّل ويخضع له وهوالرّكوع والسّجود بحسب تفاوت مراتب خضوعه، فاذا تحقّق باسمائه وصفاته وتمّ سفره هذا عاد الى ما منه رجع لاصلاح العباد وسافر بالحقّ فى الخلق وامر بامرالله ونهى بنهى الله وحفظ الامر والنّهى على المأمورين والمنهيّين، وكذا يحفظ غايات اوامره ونواهيه عليهم، والمسافر بهذاالسّفرامّا نبىّ اورسول اوخليفة لهما ، ومقامات هذا السّفر ايضاًغيرمتناهية بحسب عدم تناهى كلمات الله وبحسب مقاماته يتعدّد ويختلف مراتب الانبياء والرّسل، وما ورد من تحديد الانبياء بمائة وعشرين الفاً اوبمائة واربعة وعشرين الفاً فهوامّا لمحض بيان الكثرة اولتحديد امّهات المقامات ؛ وما ورد عن المعصومين (ع) من تخصيص الاوصاف بأنفسهم قدعلم وجهه حيث لا يوجد تلك الاوصاف بحقائقها الّا فيهم لكن اذا صحّ ايمان المؤمن و صدق فى ايمانه توجد رقائقها و انموذجاتها فيه فليطلب المؤمن من نفسه فاذا لم يجد لم يكن صادقاً فى ايمانه [وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ] عطف على الامرالسّابق و بينهما اعتراض لبيان حال المؤمنين و وضع المؤمنين موضع ضميرهم للاشعار بعلّة الحكم ولتصويرهم بأوصافهم المذكورة حيث انّ اللّام للعهد الذّكرىّ والمذكورالمؤمنون الموصوفون بالاوصاف المذكورة [مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا] يعنى ماصحّ [أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ] بلغ غاية الوضوح [لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ] اعلم، انّ الكافرما لم ينقطع فطرته الّتى هى لطيفته الانسانيّة لا منع فى الاستغفار والدّعاء بالخير له حيّاً وميّتاً ولايجوز لعنه على الاطلاق بل يجوزمن حيث كفره وشركه ، وللاشارة الى هذا المعنى قوله تعالى انّى لعملكم من القالين ، وانّنى برئ ممّا تعملون ، واذا انقطع فطرته يجوز لعنه على الاطلاق ولا يجوز له الدّعاء بالخير ولا يعلم قطع الفطرة الّا بشهود مراتب وجوده اوبوحيٍ من الله اوبسماعٍ من صاحب الكشف اوالوحى ، وماورد فى الاخبار وافتى به العلماء (رض) ايضاً من انّ المرتدّ الفطرىّ لايقبل توبته ناظرالى هذا المعنى ، وما ذكروه من الفرق بين المرتدّ الملّىّ والفطرىّ كما فى الاخبار انّما هو باعتبار انّ التّولّد على الاسلام و التّولّد على الكفر ثمّ الخروج عن الاسلام كاشف

عن الارتدادين وقد مضى تحقيق الارتداد في سورة آل عمران عند قوله ومن يبتغ غير الاسلام ديناً، وللاشارة الى ما ذكرنا قال تعالى من بعد ماتبيّن بالكشف والوحي اوبالسّماع من صاحب الكشف والوحي لهم: انّهم اصحاب الجحيم منقطعوا الفطرة غير مرجوّى النّجاة يعنى لا قبل هذا التبيّن [وَمٰا كٰانَ اسْتِغْفٰارُ إِبْرٰاهِيمَ لِأَبِيهِ] عطف لاستدراك ما يتوهّم من انّ ابراهيم (ع) كان نبيّاً واستغفر لابيه المشرك [إِلّٰا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهٰا إِيّٰاهُ] يعنى كان استغفاره وفاءً بوعده وهو خصلة حسنة وكان قبل ان تبيّن له انّه اصحاب الجحيم بقرينة قوله [فَلَمّٰا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلّٰهِ] اى فطرة بمعنى انقطاع جهة محبّته لله وهى اللّطيفة الانسانيّة [تَبَرَّأَ مِنْهُ] مع انّه كان اقرب قراباته وفسّر قوله تعالى الّا عن موعدة وعدها اياه بوعد آزر لابنه ان يسلم وهو يؤيّد ماذكرنا لانّ وعد الاسلام لا يكون الّا عن فطرة الانسان [إِنَّ إِبْرٰاهِيمَ لَأَوّٰاهٌ حَلِيمٌ] الاوّاه الكثير التّأوّه واكثر ما يكون التّأوّه اذا كان حزن على فراق محبوب وهو يستلزم كثرة الدّعاء و التّضرّع فى الخلوات و حال العبادات فما ورد من تفسيره بالدّعّاء اوبالمتضرّع تفسير باللّازم وهو تعليل لاستغفاره [وَمٰا كٰانَ اللّٰهُ لِيُضِلَّ قَوْماً بَعْدَ إِذْ هَدٰيٰهُمْ] تكويناً بايصالهم الى مقام الانسانيّة الّتى بها يتميّز الخيرات والشّرور الانسانيّة اوتكليفاً بايصالهم الى من يبايعهم بيعة عامّة اوبيعة خاصّة وتبيّن لهم خيراتهم وشرورهم التّكليفيّة [حَتّٰى يُبَيِّنَ لَهُمْ] تكويناً اوتكليفاً [مٰا يَتَّقُونَ] ما ينبغى ان يتّقوه من شرورهم الانسانيّة لاتمام الحجّة [إِنَّ اللّٰهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ] جواب سؤال كأنّه قيل ايعلم دقائق ما يضلّون و يهتدون به وما يتّقون [إِنَّ اللّٰهَ لَهُ مُلْكُ السَّمٰاوٰاتِ وَالْأَرْضِ] ابتداء كلام غير مرتبط بالسّابق اوتعليل لعلمه بكلّ شيء ، اوتعليل لنسبة الاضلال والهداية والتّبيين الى نفسه ، او جواب لسؤال عن حالهم مع الله ونسبته تعالى اليهم [يُحْيِي] بالحيوة الحيوانيّة اوبالحيوة الانسانيّة [وَيُمِيتُ] هكذا [وَمٰا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللّٰهِ مِنْ وَلِيٍّ] يتولّى اموركم بجلب ماهو خيركم اليكم [وَلٰا نَصِيرٍ] يدفع عنكم شروركم وقد مضى مراراً انّ النّبيّ (ص) بولايته هو الوليّ الّذى يتولّى امور التّابع من اصلاح حاله فى نفسه وبنبوّته و رسالته هو النّصير الّذى ينصر التّابع بدفع الشّرور عنه ، وهذا النّفى لدفع توهّم يرد على قلب المريد النّاقص حيث لا يرى من شيخه المرشد الّا بشريّته وكذا من شيخه الدّليل فيظنّ انّهما بحسب البشريّة او بانفسهما يتولّيان مستقلّين اوبالاشتراك مع الله تعليم المريد واصلاحه ، فرفع هذا الوهم بحصر ذلك فى نفسه بمعنى انّهما فى تولّى أمور المريد ليسا الّا مظهرين و الظّاهر المتولّى هو الله لاهما وحدهما ولا باشتراكهما مع الله [لَقَدْ تٰابَ اللّٰهُ عَلَى النَّبِيِّ] و قرئ بالنّبى و على قراءة على النّبيّ فتوبته تعالى عليه باعتبار توبته على امّته اعطاءً لحكم الجزء للكلّ ، اولحكم التّابع للمتبوع ، اوالتّوبة بمعنى مطلق الرّجوع لانّهم وقعوا فى غزوة تبوك فى الشّدّة والقحط وشدّة الحرّ وقلّة الماء فرجع بالرّخاء والرّاحة وعدم الحاجة الى القتال والصّلح على الخراج بدون زحمة القتال [وَ الْمُهٰاجِرِينَ وَ الْأَنْصٰارِ] حيث تخلّف بعضهم وكره بعض آخر الخروج الى تلك الغزوة فلحق المتخلّفون ورغب الكارهون [الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ] حين خروجه على كراهة اوبعد خروجه بلحوقهم له [فِي سٰاعَةِ الْعُسْرَةِ] فى زمان العسرة فانّ غزوة تبوك اتّفقت فى شدّة الحرّ وزمان القحط مع بعد السّفر [مِنْ بَعْدِ مٰا كٰادَ

يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ] عن اتّباعه واعتقاد رسالته وقيل: همّ قوم منهم ان ينصرفوا بعدالخروج بدون اذنه فعصمهم الله ، وروى انّ عددالعسكرفى تلك الغزوة بلغ خمسة وعشرين الفاً سوى العبيد والاتباع ، وقيل: بلغ عدد جميعهم اربعين الفاً [ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ] بعصمتهم عن الزّيغ [إِنَّهُ بِهِمْ رَؤُفٌ رَحِيمٌ] الفرق بين الرّأفة والرّحمة كالفرق بين الاحوال والسّجايا فانّ الرّأفة عبارة عمّا يظهر من آثار الرّحمة من النّصح والحمل على الخير [وَعَلَى الثَّلٰثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا] استعمال الخوالف فى النّساء و المخلّف فى الرّجال للاشارة الى انّ التّخلّف شأنهنّ فتخلّفهنّ لا تعمّل فيه ، وامّا الرّجال فانّ شأنهم التّهييج للقتال وتخلّفهم كأنّه كان بتعمّل وقبول من غيرهم ، ولمّا فهم العامّة من ظاهره انّ رسول الله(ص) خلّفهم انكر المعصومون (ع) قراءة خلّفوا و قرأوا خالفوا و الّا فقد سبق استعمال المخلّف فى المتخلّفين المخالفين عند قوله فرح المخلّفون والمعنى فرح الّذين حملهم الشّيطان على التّخلّف لا الرّسول (ص)، والثّلاثة المخلّفون كانوا كعب بن مالك ومرارة بن الرّبيع وهلال بن امّية كانوا تخلّفوا عن غزوة تبوك واستقبلوا رسول الله(ص) بعدمراجعته ، فسلّموا عليه فلم يردّ عليهم الجواب و أمر اصحابه ان لا يسلّموا عليهم ولايكلّموهم ولا يبايعوهم ولا يجالسوهم ، فدخلوا المدينة ولايكلّم معهم احد ، ودخلوا المسجد فلا يسلّم عليهم احد ، وجاءت نساؤهم الى رسول الله(ص) وقالت: بلغنا سخطك على ازواجنا ؛ انعتزلهم؟ فقال: لاتعتزلنهم ولكن لايقاربوكنّ ، فلمّا رأوا ما حلّ بهم قالوا: مايقعدنا بالمدينة فخرجوا الى الجبال وقالوا: لانزال فى هذه الجبال حتّى يتوب الله علينا ، وكان أهلوهم يأتونهم بالطّعام فيضعونه عندهم ولا يكلّمونهم فلمّا طال عليهم الامر قال بعضهم : يا قوم سخط الله علينا و رسوله و اخواننا واهلونا فلايكلّمنا احد فما لنا نجتمع ولايسخط بعضنا بعضاً، فتفرّقوا وحلفوا ان لايتكلّم احد منهم احداً حتّى يموتوا او يتوب الله عليهم ، فبقوا على هذه الحال فأنزل الله توبتهم على رسوله حين اشتدّ الامر عليهم [حَتّٰى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ] بعدم تكلّم رسول الله(ص) ولا اصحابه ولا اهليهم [وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ] بعدم اجتماعهم وعدم تكلّم بعضهم بعضاً [وَظَنُّوا] اى علموا وأيقنوا واطلاق الظّنّ على العلم لمامرّ مراراً انّ علوم النّفس ان كانت يقينيّات فهى ظنون لتوجّهها الى السّفل و تخلّف المعلوم وغاياتها عنها بخلاف علوم العقل فانّ معلوماتها ثابتة وغاياتها غير متخلّفة ، و هؤلاء لمّا كانوا قبل قبول توبتهم واقعين فى مرتبة النّفس كانت علومهم ظنوناً [أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ] رجع بالرّحمة و التّوفيق عليهم [لِيَتُوبُوا] صادقين الى الله فيقبل توبتهم [إِنَّ اللهَ هُوَ التَّوَّابُ] كثير المراجعة على العباد بالرّحمة والتّوفيق سهل القبول لتوبتهم [الرَّحِيمُ] فلا يدعهم لرحمته ان يدوموا على العصيان [يٰا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا] بعد ما ذمّ المتخلّفين عن رسول الله(ص) رغّب المؤمنين فى طاعته وعدم التّخلّف عنه ليكون اوقع ولان يجمع بين الوعد و الوعيد كما هو شأن النّاصح الحكيم [اتَّقُوا اللهَ وَكُونُوا مَعَ الصّٰادِقِينَ] اعلم، انّ الايمان قد يطلق على الاسلام الحاصل بالبيعة العامّة وقبول الدّعوة الظّاهرة وانقياد النّفس والقالب تحت احكام القالب المأخوذة من نبيّ (ع) اوخليفته (ع)، وقد يطلق على الايمان الخاصّ الحاصل بالبيعة الخاصّة الولويّة وقبول الدّعوة الباطنة وانقياد القلب تحت احكام القلب المأخوذة من صاحب أحكام القلب وهو الايمان حقيقةً لصحّة سلب

اسم الايمان عن الاسلام كما قال تعالى: قالت الاعراب آمنّا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا اسلمنا، يعني ما اعتقدتموه ايماناً ليس بايمان بل هو اسلام، والتّقوى من سخط الله وعذابه قد تطلق باعتبار مطلق الانزجار عن النّفس ومقتضياتها وهو مقدّم على الاسلام الحقيقيّ الّذي هو هداية للايمان، وقد تطلق باعتبار الانصراف عن النّفس وطرقها الى طريق القلب و السّلوك اليه والتّقوى بهذا المعنى لاتحصل الّا بالايمان الخاصّ والبيعة الولويّة، لانّ الانسان ما لم يبايع بتلك البيعة لم يتّضح له طريق القلب فضلاً عن التّوجّه اليه والسّلوك عليه ولم يدخل الايمان في قلبه، فهذه التّقوى لا تحصل قبل الاسلام ولا قبل الايمان بل هي مع الايمان وتكون بعد الايمان الى ان تحصل التّقوى من ذاته من غير شعورٍ بتقواه و هو الفناء التّامّ الّذي لا فناء بعده و بعده صحو و بقاء بالله و اتّصاف بصفات الله الحقيقيّة و الاضافيّة الّتي هي داخلة تحت اسم الرّحمن كما قال تعالى: يوم نحشر المتّقين الى الرّحمن وفداً يعني بعد انتهاء التّقوى لهم صحو و اتّصاف بصفة الرّحمانيّة الّتي هي مجمع سائر الصّفات الاضافيّة وباعتبار هذا المعنى خصّصوا التّقوى بشيعتهم، والصّدق لغةً وعرفاً مطابقة القول اللّفظيّ اوالنّفسيّ للواقع، وعند اهل الله النّاظرين الى الاشياء بما هي عليه الصّدق مطابقة الاقوال والافعال و الاحوال والاخلاق والعلوم لما ينبغي ان يكون الانسان عليه، ولما هو نفس الامر لما ينتسب الى الانسان بما هو انسان، فانّ اللّطيفة الانسانيّة مظهر للعقل ان لم تكن محجوبةً باغشية الآراء النّفسيّة والكدورات الطّبيعيّة والعقل مظهر لله تعالى ومظهر المظهر مظهر، وما ينسب الى مظهر شيءٍ من حيث انّه مظهر ذلك الشّيء ينسب الى ذلك الشّيء حقيقةً ويصحّ سلبه عن المظهر كما في قوله تعالى: فلم تقتلوهم في عين انّ القتل كان بأيديهم فسلب نسبة القتل عنهم حيث انّهم لغاية الدّهشة ونزول السّكينة الّتي هي ظهور الحقّ تعالى كانوا مظاهر للسّكينة والسّكينة مظهر لله تعالى فسلب القتل عنهم و اثبته للظّاهر فيهم و هو السّكينة اولاً و الحقّ الاوّل ثانياً فقال: و لكنّ الله قتلهم اسقاطاً لحكم الظّاهر الاوّل ايضاً وكذا قوله تعالى: و ما رميت اذ رميت ولكنّ الله رمى فما هو نفس الامر لما ينسب الى الانسان ان يكون بحيث ينسب حقيقة الى الله و يصحّ سلبه عن الانسان فما ينسب الى الانسان اذا لم يصحّ نسبته الى الله تعالى اولم يصحّ سلب نسبته عنه كان كذباً، وكما انّ القول فعل اللّسان كذلك الافعال والاحوال والاخلاق والعلوم قول الاركان والجنان، و صيغة الصّادق لغة تطلق على من اتّصف بصدقٍ ما من غير تعرّض لكونه سجيّة له اوعرضيّاً لكنّه غلب في العرف على من صار الصّدق سجيّةً له، فعلى هذا كان الصّادق من تمكّن في الانسانيّة وصار كلّما صدر عنه موافقاً لما اقتضته انسانيّته، وهذا المعنى مخصوص بالانسان الكامل ولذا حصروا الصّادقين في انفسهم، وصيغة الامر من الكون تدلّ على الاستمرار اذا اطلقت خصوصاً اذا كان بعدها ما يدلّ على المعيّة المشعرة بالاستمرار و ان كان الامر من غير الكون مطلقاً عن التّقييد بالاستمرار و عدمه اذا اطلق، والمعيّة تصدق على المصاحبة البدنيّة البشريّة لكن استمرار تلك المصاحبة غير ممكن لافراد البشر حيث تحتاج لبعض ضروريّاتها الى المفارقة البدنيّة على انّها لا تفيد فائدة اخرويّة يعتنى بها اذا لم تقترن بالمصاحبة النّفسيّة، اما سمعت انّ اكثر المنافقين كانوا اشدّ مصاحبة للنّبيّ (ص) من سائر الصّحابة! وبعضهم سابقاً في الهجرة ومذكوراً في الكتاب بالمصاحبة! ولمّا كان مصاحبتهم محض المصاحبة البدنيّة لم تنفعهم في الآخرة، وتصدق على المصاحبة النّفسيّة مع رقائق الصّادقين المأخوذة منهم من الفعليّة الحاصلة في نفوس التّابعين بسبب البيعة والاتّصال الصّوريّ، وقبول الولاية الّتي هي بمنزلة الانفحة للبن الاعمال وبمنزلة البذر لزرع الآخرة ومن الذّكر

الّذى يلقّنهم الصّادقون قلبيّاً كان اولسانيّاً ، فانّ الّذكر المأخوذ من وليّ الامر رقيقته ونازلته الّتى نزلت من مقامه العالى ولبست لباس الّذكر القلبيّ اواللّسانيّ وتحقيق هذا المطلب قد مضى شطرٌ منه ، وتصدق على المصاحبة النّفسيّة مع حقائقهم الملكوتيّة الّتى يعبّر عنها بصورة الشّيخ وبالسّكينة القلبيّة و بالفكر و الرّحمة و النّعمة و الآية الكبرى و الاسم الاعظم و للاشارة الى تينك المعنيين قال تعالى : وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوٰتِهِمْ دَائِمُونَ لانّ هذا الّذكر والفكر صلوة حقيقيّة والصّلوة القالبيّة صورة تلك الصّلوة وقالت الصّوفيّة : ينبغى للسّالك ان يكون دائم الّذكر والفكر وقيل بالفارسيّة : « خوشا آنان كه دائم درنمازند » واستمرار تلك المعيّة امر ممكن وان كان النّاقصون من السّلاك فى تعسّر منه ، فمعنى الآية يا ايّها الّذين أسلموا بالبيعة العامّة النّبويّة اتّقوا الله بالبيعة الخاصّة الولويّة وداوموا على الّذكر المأخوذ من الصّادقين ان لم تكونوا من اهل الفكر ، اوعلى الّذكر والفكر ان كنتم من اهل الفكر ، او يا ايّها الّذين آمنوا بالبيعة الخاصّة الولويّة اتّقوا الله فى الانصراف عن طريق القلب وداوموا على الّذكر والفكر [مَا كَانَ] استيناف لتعليل الامر السّابق والمعنى ما ينبغى [لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ] من اهل الشّرق و الغرب فانّ ما حول المدينة بالنّسبة الى العوالم الاُخر تمام الدّنيا و اهلها ما لم يدخلوا فى الاسلام اعراب كلّهم وكذلك ماكان لاهل المدينة القلب و الصّدر المنشرح بالاسلام ومن حولهما [أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ] الّذى هو اصل فى الصّدق ، و صدق سائر الصّادقين فرع صدقه [وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ] بسبب محبّة انفسهم او فى انفسهم او لايرغبوا انفسهم على ان يكون الباء للتّعدية [عَنْ نَفْسِهِ ذَٰلِكَ] اى عدم جواز التّخلّف والرّغبة [بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ] عطش [وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ] مجاعة [فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطَئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَيْلًا] من غلبة وقتل واسرونهب [إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ] يعنى سواء اصيبوا اواصابوا اُثيبوا ، وللفرق بين ماعليهم ومالهم اتى بقوله فى سبيل الله بين المتعاطفين كما انّ توسّط الاستثناء وتعليله بين المتعاطفات كان لذلك وللتّأكيد بالتّكرير [إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ] يعنى انّهم باتّباعهم لرسول الله (ص) محسنون والله لايضيع اجر المحسنين [وَلَا يُنْفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ] ذلك [لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ] يعنى يكتب كلّما عملوا لينظر اليها ويجزى كلّها بازاء احسنها وليس المراد انّه لايجزى الّا احسنها ، و يجوز ان يراد هنا انّهم يجزون بأحسن ممّا عملوا . اعلم ، انّ الانسان كما يكون فى الاستكمال بحسب بدنه من اوّل صباه يكون فى الاستكمال بحسب نفسه وكلّ فعل يصدر منه خيراً كان اوشرّاً يحصل منه فعليّة له ، ولمّا كان واقعاً بين عالمى الملائكة والشّياطين ، فان لم يتمكّن فى احد العالمين لايمكن الحكم عليه بكونه من اهل الرّحمة اواهل العذاب من غير تقييد بشرط البقاء على الاسلام اوالكفر ، وكان بحسب العاقبة محكوماً عليه بكونه مرجيّ لأمر الله وان لم يكن داخلاً فى صنفهم ، وان دخل فى احدهما وتمكّن فيه صار جميع الفعليّات الحاصلة له مسخّرة لحاكم ذلك العالم اى العقل اوالشّيطان وصارت محكومةً بحكم احسنها اواسوئها ، فانّ احسن الاعمال ماكان الفعليّة الحاصلة منه مسخّرة للعقل وأسوأها ماكان الفعليّة الحاصلة منه مسخّرة للشّيطان ، وغير هذين حسن وسيّئ باعتبار قربهما الى العقل والشّيطان فاذا صار الفعليّات كلّها مسخّرة للعقل بسبب تمكّن صاحبها فى اتّباع الاخيار والانقياد لهم كان جزاء كلّ الاعمال سيّئها وحسنها واحسنها

بجزاء احسنها ، واذا صارت مسخّرة للشّيطان كان الجزاء بالعكس ، وايضاً اذا صار الانسان متمكّناً فى اتّباع الابرار صار محبوباً لله بمنطوق فاتّبعونى يحببكم الله و اذا صار محبوباً لله صار كلّ اعماله محبوبة سيّئها وحسنها كأحسنها فيجزى الكلّ بمثل أحسنها، واذا صار مبغوضاً صار كلّ اعماله مبغوضة مثل اقبحها فيجزى بأسوء الّذى كان يعمل من اوّل عمره ، وقد حقّقنا فى موضع آخر انّ اسماء الاشياء اسماء لفعليّاتها الاخيرة واحكامها ايضاً جارية على فعليّاتها الاخيرة فمن كان فعليّته الاخيرة فعليّة الولاية كان جزاء جميع فعليّاته جزاء فعليّته الاخيرة وجارياً عليها [وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً] جميعاً عطف على ما كان لاهل المدينة و استدراك لما يتوهّم من الآية السّابقة من لزوم ملازمة النّبىّ (ص) لجميع المؤمنين وعدم جواز التّخلّف عنه فى حال من الاحوال ، مع امتناعه عادةً لاختلال معيشتهم وعدم كفاية مافى يد النّبىّ (ص) بحاجتهم وضيق محلّه عن سكناهم، وكون الآية استدراكاً مبتنٍ على تلازم العلم والعمل وانّ الغاية من جميع الاعمال حصول العلم ، وحينئذٍ فوضع المؤمنين موضع ضمير اهل المدينة للاشارة الى انّ ملازمة خدمة النّبىّ (ص) واجبة لاهل الشّرق و الغرب ما لم يحصّلوا الاسلام فاذا حصّلوا الاسلام فليس عليهم الّا خروج طائفة مستعدّة لتلك الملازمة حتّى يستكملوا بالعلم والعمل ويستحقّوا الاذن فى ارشاد قومهم ، وامّا اذا جعل الآية الاولى فى الجهاد والثّانية فى تحصيل العلم فهى عطف من دون اعتبار استدراك [فَلَوْلَا نَفَرَ] الى الجهاد او الى خدمة النّبىّ (ص) اومشايخه لتحصيل العلم [مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ] مستعدّون لاستكمال القوّتين العلميّة والعمليّة [لِيَتَفَقَّهُوا فِى الدِّينِ] ليطلبوا الفقاهة اوليكمّلوها [وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ] بعد استكمالهم فى القوّتين و اذنهم فى الارشاد وتعليم العباد . اعلم ، انّ الفقه كمامرّ علم دينىّ يتوسّل به الى علم آخر والمقصود العلوم العقليّة الانسانيّة فانّ العلم الدّينىّ هو العلم الانسانىّ العقلىّ عقلياً كان اوخيالياً ، لانّ الانسان بانسانيّته طريق الى الآخرة وواقع فى الطّريق وسائر عليه ، وحيث انّه بانسانيّته سالك على الطّريق يكون علمه فى الاشتداد والازدياد دون العلم الخيالىّ الّذى يحصل بتصرّف الواهمة دون العقل سواء سمّى عقلياً اوخيالياً ، فانّه علم نفسىّ حيوانىّ موصل الى الملكوت السّفلى صادٌّ عن طريق الآخرة وان كان صورته صورة علم الآخرة، فالفقه كما فى الصّحيحة النّبويّة امّا علم بالاحكام القالبيّة المسمّاة بالسّنّة القائمة ولا طريق اليها الّا الوحى الآلهىّ لخفاء ارتباطها الى عالم الآخرة وخفاء كيفيّة ايصالها اليه ، واختلافها باختلاف درجات المكلّفين بها فهى لا تحصل الّا بالاخذ والتّقليد من نبىٍّ اوممّن اخذها منه ، وامّا علم بالنّفس واخلاقها واحوالها وهى الفريضة العادلة ، وامّا علم بالعقائد الحقّة الدّينيّة وهى الآيات المحكمات لكون كلّ منها آية وعلامة من الحقّ تعالى ومبدئيّته ومرجعيّته؛ هذا اذا جعل العقل ذلك وسيلة الى مقاصده الاخرويّة ، و امّا اذا جعله الوهم وسيلة الى آماله الدّنيويّة و مآربه الحيوانيّة فلم يكن فقهاً ولا علماً واشباه النّاس سمّوه فقهاً وعلماً ، والمراد بالتّفقّه كمال الفقاهة سواء جعل الهيئة للمبالغة اوغيرها لانّه تعالى غيّاه بالانذار والمراد بالانذار ما يكون مؤثّراً فى المنذر ، ولا يكون الانذار مؤثّراً فى المنذر الّا اذا كان المنذر كاملاً فى قوتيه العلميّة والعمليّة ، والّا فلفظ الانذار كثيراً مايجرى على لسان غير المتفقّه كانذار خلفاء الجور وعلماءهم وقصّاصهم ووعّاظهم، الّذين كانوا يأمرون ولا يأتمرون وينهون ولا ينتهون ويعظون ولا يتّعظون ولم يحصل من ذلك الّا وبال اتمام الحجّة عليهم لا تأثّر المخاطبين ، ولخفاء كمال النّفس فى هاتين القوّتين على المتفقّه وعلى غيره كانوا يحتاجون فى الانذار والامر والنّهى الى الاذن والاجازة من الامام اونائبه وكانت

سلسلة الاجازة منضبطة فى سلسلة العلماء الظّاهرة والباطنة [لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ] موبقات انفسهم وقد ورد فى تفسير قول النّبىّ (ص): اختلاف امّتى رحمة ؛ انّه اختلافهم من البلدان اليه (ص) اوالى خلفائه (ع) للتّفقّه لا اختلافهم فى الدّين حتّى يكون اجتماعهم عذاباً ، ويمكن تصحيح ظاهره بان يكون المراد اختلافهم فى كيفيّة التّكليف حيث انّ كلّا مكلّف على قدر مرتبته كما قيل : حسنات الابرار سيّئات المقرّبين ، وقد ورد فى تعميم الآية انّه يجرى فى النّفر بعد وفاة الامام (ع) لتعيين الامام الّذى يكون بعده و درك خدمته و تجديد التّوبة والبيعة معه ، وقد فسّرت ايضاً هكذا ، فلولا نفر من كلّ فرقة طائفة للجهاد واقام طائفة للتّفقّه ليتفقّه المقيمون [يٰاَيُّهَا الَّذِينَ اٰمَنُوا] بالايمان العامّ [قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ] اى يقربون منكم فانّ التجاوز عنهم الى الاباعد لايرتضيه العقل لانّه ايقاع للانفس بين الاعداء وترك للاحتياط بالنّسبة الى من خلّفتموه فى اوطانكم [وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً] و شدّة بأس حتّى لايجترؤا عليكم [وَاعْلَمُوا اَنَّ اللّٰهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ] فاتّقوا اغراض النّفس فى القتال من المراياة والصّيت والغنيمة تنصروا فهو تخصيص على التّقوى [وَاِذَا مٰا اُنْزِلَتْ سُورَةٌ] عطف على مقدّر كأنّه قال لكن اذا امروا بالقتال تثبّط بعضهم واذا ما انزلت سورة [فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ] استهزاءً [اَيُّكُمْ زٰادَتْهُ هٰذِهِ اِيمٰاناً فَاَمَّا الَّذِينَ اٰمَنُوا فَزٰادَتْهُمْ اِيمٰاناً] جواب وردٌ عليهم من الله [وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ] بنزولها لانّهم يرونها نعمة لهم [وَاَمَّا الَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ] تعريض بالمنافقين [فَزٰادَتْهُمْ رِجْساً اِلىٰ رِجْسِهِمْ] شكّاً و وسوسة الى شكّهم [وَمٰاتُوا وَهُمْ كٰافِرُونَ] فاستحقّوا الخلود [اَوَلٰا يَرَوْنَ] توبيخ لهم على عدم عبرتهم وعدم توبتهم [اَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ] بالبلايا فى ابدانهم و فى انفسهم او يمتحنون بجهاد الاعداء و ظهور آثار صدق النّبوّة بغلبتهم مع عدم تهيّة اسباب الغلبة [فِى كُلِّ عٰامٍ مَرَّةً اَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لٰا يَتُوبُونَ] من نفاقهم وكفرهم وخديعتهم [وَلٰا هُمْ يَذَّكَّرُونَ] انّ الافتتان من الله وانّه قادر على عذابهم [وَاِذٰا مٰا اُنْزِلَتْ سُورَةٌ نَظَرَ بَعْضُهُمْ اِلىٰ بَعْضٍ] ذمّ آخر يعنى اشاروا بأنظارهم استهزاءً اوغيظاً لما يرون فيها من عيوبهم قائلين [هَلْ يَرٰيكُمْ مِنْ اَحَدٍ] يعنى ان قمتم وصرفتم من هذا المجلس [ثُمَّ انْصَرَفُوا] قاموا من مجلس محمّد (ص) وانصرفوا عنه غيظاً [صَرَفَ اللّٰهُ قُلُوبَهُمْ] استيناف، دعاء عليهم اواخبار عن حالهم [بِاَنَّهُمْ قَوْمٌ لٰا يَفْقَهُونَ] لايدركون ادراكاً يوصلهم الى طريق الآخرة ويستعقب ادراكاً آخر من امر الآخرة [لَقَدْ جٰاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ اَنْفُسِكُمْ] من جنسكم بشر اوعرب اوانسان كامل على ان يكون الخطاب للائمّة ، وقرئ من انفسكم بفتح الفاء اى من اشرفكم [عَزِيزٌ عَلَيْهِ مٰا عَنِتُّمْ] عنتكم [حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ] على حفظكم وايمانكم [بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُفٌ رَحِيمٌ] التفات من الخطاب الى الغيبة ، ووضع الظّاهر موضع المضمر اشعاراً بعلّة الحكم، وعلى تخصيص الخطاب بالائمّة فالتّصريح بالمؤمنين للتّعميم كما ورد عنهم انّ من انفسكم فينا ، وعزيز عليه ما عنتّم فينا ، وحريص عليكم فينا ، وبالمؤمنين رؤف رحيم شركنا المؤمنون فى هذه الرّابعة [فَاِنْ تَوَلَّوْا] عنك وعن الايمان بك [فَقُلْ حَسْبِىَ اللّٰهُ] استظهاراً به وباعانته [لٰا اِلٰهَ اِلّٰا هُوَ] نفياً للغير فضلاً عن الحاجة اليه [عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ] من قبيل عطف العلّة .

سورة يونس

مائة وتسع آياتٍ، وقيل: عشر آيات وهي مكّية كلّها: وقيل: سوى ثلاث آيات فان كنت في شكّ ممّا انزلنا اليك (الى آخرها) وقيل: الّا آية هي ومنهم من يؤمن به (الاية)

بسم الله الرحمن الرحيم

[الٓرٰ] قد مضى في اوّل البقرة و في مطاوى ما سبق انّ امثال هذا من الرّموز الّتي يعبّر بها عمّا عاينه المنسلخ عن هذا العالم من مراتب الوجود و آياته العظمى فيلقّيها الملك بالوحي او بالتّحديث مشاراً بها الى تلك المراتب والآيات، واذا اريد التّعبير عن المقصود بها للراقدين في فراش الطّبع يعبّر بالمناسبات والتّمثيلات كما يظهر الحقائق للنّائم بالمناسبات والتّمثيلات فيحتاج الى تعبير من خبير بصير، فما ورد في تفسيرها من كون الالف اشارةً الى الله، واللّام اشارةً الى جبرئيل، والميم اوالرّاء اشارةً الى محمّد (ص)، وكذا ماورد من انّ معناه: انا الله الرّؤف، تمثيل محتاجٌ الى التّعبير، وماورد انّ الحروف المقطّعة في القرآن حروف اسم الله الاعظم يؤلّفها الرّسول (ص) اوالامام فيدعو بها فيجاب فهو اشارة الى خواصّها الّتي تترتّب عليها بحسب اعدادها و نقوشها كما اشير اليه في الاخبار، اوكناية عن اتّصافه بحقائقها [تِلْكَ اٰيٰتُ الْكِتٰبِ] اشارة الى المراتب المشهورة المعبّر عنها بتلك الحروف ووجوه الاعراب في امثاله والفرق بين الكلام والكتاب قد سبق في اوّل البقرة [الْحَكِيمِ] ذي الحكمة في العلم والعمل لانّ المراد بالكتاب مراتب الوجود من العقول والنّفوس وهي ذات حكمة في العلم والعمل يعني علمها وعملها مشتملان على الدّقائق اوالمحكم الّذي لا نسخ فيه فانّ المتشابه هو جملة عالم الطّبع بحقائقها وآثارها و منه الكتاب التّدويني وعالم الطّبع من حيث ذاته متشابه وان كان من حيث انتسابه الى الله محكماً [أَكٰانَ لِلنّٰاسِ عَجَباً اَنْ اَوْحَيْنٰا اِلىٰ رَجُلٍ مِنْهُمْ] لمّا اعتقدوا انّ الرّسول لابدّ وان يكون مناسباً للمرسل والمناسب لله هو الملك تعجّبوا من ادّعاء البشر لرسالة من الله واعتقدوا انّه فرية عظيمة و هذا حمق وسفاهة منهم، فانّ الرّسول كما يكون مناسباً للمرسل ينبغي ان يكون مناسباً للمرسل اليهم ولا يكون الّا من كان ذا شأنين؛ شأن آلهيّ و شأن خلقيّ حتّى يناسب بشأنيّة الطّرفين فأنكر سبحانه تعجّبهم و وبّخهم على ذلك [اَنْ اَنْذِرِ النّٰاسَ] وضع المظهر موضع المضمر لئلّا يتوهّم ارادة المتعجّبين منهم

[وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا] خصّ البشارة بالمؤمنين لانّ الانذارعامّ لهم و لغيرهم و البشارة بنعم الآخرة لاتكون الّا للمؤمنين و قد يخصّ الانذار بالكفّار لانّ انذار المؤمنين لا يكون الّا من جهة غفلتهم وكفرهم الخفىّ [أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ] كما يكون سلوك البدن بالمركب اوالرّجلين كذلك سلوك النّفس ومركبها ورجلاها الصّدق ، فالصّدق بحسب الظّاهراستعارة تخييليّة واثباتالقدم له ترشيح وتنكيرالصّدق وافرادالقدم اشارة الى كفاية ثبات قدمٍ واحدةٍ لشيءٍ من الصّدق [عِنْدَ رَبِّهِمْ] لانّه يجزيهم بأحسن ماكانوا يعملون فاذا ثبت لهم قدم واحدة من صدقٍ ما فازوا بكلّما وعدالله المقرّبين ، و قد فسّر فى الاخبار بالشّفاعة و بمحمّد (ص) وبالولاية والكلّ صحيح كماعرفت [قَالَ الْكَافِرُونَ] بيان لانكارهم الوحى المستفاد من تعجّبهم ولذا لم يأت بالعاطف وجعله جواباً للسّؤال عنهم [إِنَّ هَٰذَا] القرآن اوالادّعاء من محمّدٍ (ص) اوتصرّفه فى النّاس وصرفهم الى نفسه اوالمجموع [لَسَاحِرٌ مُبِينٌ] كلّ فعلٍ اوقولٍ دقيق يؤثّر فى النّفوس ولا يعلم سبب تأثيره يسمّى سحراً سواء كان بالتّصرّفات الملكوتيّة السّفليّة اوالعلويّة اوامتزاجات القوى الرّوحانيّة مع القوى الطّبيعيّة اوبالتّصرّفات الطّبيعيّة المحضة [إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ] صرف الخطاب اليهم بعد ما أنكر عليهم و وبّخهم مزجاً للوعد و الوعيد و الرّحم والغضب كما هو عادته تعالى وعادة خلفائه فى الوعظ والنّصح من الشّروع فى الانذاروالوعيد والختم بالبشارة والوعد ، ولذلك ختم بوعدالمؤمنين بأبسط وجهٍ وللتّباين بينهما لم يأت باداة الوصل، وقدسبق تفسير الآية بتمام اجزائها فى سورة الاعراف [يُدَبِّرُ الْأَمْرَ] استينافٌ جوابٌ لسؤالٍ مقدّرٍ اوحال عن فاعل خلق او استوى منفرداً او على التّنازع و لمّا كان خلقة السّماوات والارض وكذا استواؤه على العرش امراً قضى بحسب ظاهر الحسّ والتّدبير امراً يحتاج اليه المخلوق ما بقى اداّه بالمضارع الدّالّ على التّجدّد ، و الامر يقال على كلّ فعل كمايقال : بايّ امرٍ اشتغلت؟وعلى حال الشّخص، وعلى طلب الشّيء بحكومة، وعلى فعل ذلك الطّلب،وعلى المجرّدات الاله الخلق والامر اشارة اليه، وعلى المشيّة الّتى بهاخلق الاشياء الّتى يعبّرعنهابوجهٍ بالعرش وبوجهٍ بالكرسىّ وهى الولاية المطلقة والحقيقة المحمّدية (ص) ، والتّدبيرعبارة عن النّظر فى ادبار الافعال والاحوال واختيارالاحسن غاية منها ، والمقصود انّ الّذى هو خالقكم غيرغافلٍ عنكم ينظرفى اموركم واحوالكم ويختارماهوخيرلكم بحسب دنياكم وآخرتكم ، ومنه ارسال رسولٍ من جنسكم ، اوينظرفى الامر الّذى هو عالم المجرّدات وكيفيّة تنزيله الى المادّيّات فينزلّه على وفق حكمته و ما ننزّله الّا بقدرٍ معلوم اقتضته قابليّاتكم اشارة اليه ، و منه ارسال الملك فانّه لايرسل الملك اليكم بلا واسطة بشرٍ استعدّ لمشاهدته لانّه لوارسل الى غير المستعدّ لاهلكه و هو خلاف التّدبير والنّظر فى عاقبة الامور وهكذا القول فى بيانه ان فسّر الامر بالمشيّة .

تحقيق تعلّق الشّفاعة و منها الافتاء للنّاس على الاجازة من الله

[مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ] استينافٌ جوابٌ لسؤالٍ كأنّه قيل : اليس لاحدٍ دخل فى امر النّاس وحالهم ؟ او فى تعلّق فعل الله و امره بعالم الطّبع ؟ ولا شفاعة اصلاً ؟ - فقال: لاشفاعة الّا باذنه ودخل الشّفيع باذنه تدبيره تعالى لاغير،اوحال متداخلة اومترادفة، والشّفاعة ههنا بمعنى مسئلة العفوعن ذى سلطنةٍ لغيره اومسئلة الاحسان اليه وشاع استعماله

فى سؤال العفو للغير والشّفاعة عندالله غير مختصّة بالآخرة كما يظنّ ، بل هى ثابتة فى الدّنيا للانبياء(ع)واوصياءهم اذ استغفارهم للتّائبين البائعين على ايديهم شفاعة ، واستغفارهم بعد ذلك لهم شفاعة ، وامرهم بالخير ونهيهم عن الشّرّ ونصحهم ووعظهم كلّها نحوشفاعة ، فمن اجترأ على امرالخلق ونهيهم وبيان حلال الله وحرامه بالفتيا والوعظ الّذى جعلوه صنعة كسائرالصّنائع المعاشيّة والقضاء بين النّاس من غيراذن من الله بلاواسطة اوبواسطة فقد اجترأ على الله، والاجتراء على الله نهاية الشّقاوة وهذاكسرعظيم على من دخل واجترأ على اخذالبيعة من النّاس من غير اذن من الله، كماكان ديدن الخلفاء من بنى امّيّة وبنى العبّاس ، وكما اجترأ المتشبّهة المبطلة بالصّوفيّة فدخلوا فى ذلك من غير اذن من مشايخ المعصومين(ع)، ولذلك كانت السّلف لم ينقلوا الحديث فضلاً عن بيان احكام الله بالرّأى والظّنّ ما لم يجازوا من المعصوم(ع)اوممّن نصبوه ، ومشايخ الاجازة واجازة الرّواية مشهورة مسطورة و سلسلة اجازتهم مضبوطة ، وكذا الصّوفيّة المحقّة كانوا لا يدخلون فى الامر والنّهى وبيان الاحكام و الاستغفار للخلق و اخذ البيعة منهم الّا اذا اجيزوا وسلاسل اجازاتهم مضبوطة عندهم ، وذمّ الامر بالمعروف و النّهى عن المنكر والاقدام على الفتيا و الوعظ ممّن ليس له باهل خصوصاً ممّن جعله وسيلة الى اغراضه الفاسدة ، من جمع المال والتّبسّط فى البلاد والتّسلّط على العباد والصّيت وصرف وجوه النّاس اليه وادخال محبّته فى قلوبهم قدكثر وروده فى الاخبار، اعاذنا الله من هذاالعاروحفظنا من شرّ امثال هؤلآء الاشرار، وقد ورد فى وصف مجلس القضاء : هذا مجلس لايجلس فيه الّا نبيٌّ اووصيّ اوشقيّ، ومعلوم انّ الوصاية اذن من النّبيّ(ص) فى التّصرّف فيما له التّصرّف فيه من حيث نبوّته وماله التّصرّف فيه من حيث نبوّته هوالاحكام الآلهيّة الّتى يبلّغها الى عباده وحديث: العلماء ورثة الانبياء ، يشعر بما ذكرنا، لانّ الوراثة ليست الّا بالولادة الجسمانيّة اوبالولادة الرّوحانيّة وليست الولادة الجسمانيّة مقصودة، والولادة الرّوحانيّة لاتحصل بمحض الادّعاء بل هى نسبة خاصّة واتّصال مخصوص ووراثة المتّصل بالنّبيّ(ص) بقدر اتّصاله وقربه وبعده عن النّبيّ الّذى هو مورّثه ، ولا يحصل اصل اتّصال النّسبة الرّوحانيّة الّا بالعمل الصّورىّ و التّفاضل فى الاتّصال بحسب التّفاضل فى القرب الحاصل بمتابعته وقدرالارث يختلف بحسب التّفاضل فمن كان له شأن الانوثة كان له قسط من الارث ، و من كان له شأن الذّكورة كان له قسطان ، و العارف لذلك التّفاضل لا يكون الّا النّبيّ (ص) اوخليفته فورائته لا تكون الّا بايراثه وهوالاذن المذكور [ذٰلِكُمُ] الموصوف بالخالقيّة والاستواء على العرش الّذى هو جملة الاشياء وبتدبير امركم فى البقاء وعدم مداخلة احد فى امركم الّا باذنه [اللّٰهُ] خبراوبدل اوصفة على تقدير اعتبار معنى الوصفيّة فيه [رَبُّكُمْ] خبر لذلكم اوصفة لله اوخبربعدخبر [فَاعْبُدُوهُ] يعنى اذاكان الله الموصوف بتلك الصّفات ربّكم فافعلوا له فعل العبيد اوصيروا له عبيداً ، ولمّاكان المقصود ترغيبهم فى عبادته لم يصرّح بحصر العبادة فى نفسه و نفى استحقاق الغير [أَفَلَا تَذَكَّرُونَ] الا تفكّرون فيه و فى اوصافه و فى آلهتكم الظّاهرة من الاصنام و الكواكب و غير المستحقّين للنّيابة الآلهيّة و فى آلهتكم الباطنة من اهويتكم الفاسدة و اغراضكم الكاسدة فلا تذكّرون انّ الحقيق بالعبادة و الاطاعة هوالله و مظاهره البشريّة النّائبة عنه لا آلهتكم الّتى لاجهة استحقاق عبادة فيهم/[إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً] استيناف جوابٌ لسؤال عن العلّة اوعن حاله مع خلقه وعلى الثّانى ايضاً يستلزم التّعليل [وَعْدَ اللّٰهِ] وعدالله وعداً [حَقّاً] مفعول مطلق تأكيد لنفسه انجعل من قبيل له علىّ درهم حقّاً ، اوتأكيد لغيره ان جعل من قبيل: ابنى انت حقّاً، اوحال من وعدالله، والموعود امّا

ارجاع الكلّ اليه او بدء الخلق و اعادتهم للجزاء [إِنَّهُ يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ] بيان للموعود ولذا لم يأت باداة الوصل ، اوتعليل لرجوع الكلّ اليه ان جعل الموعود ارجاع الكلّ اليه [لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ] بالعدل الّذى هو لائق به من جزاء كلّ اعمالهم بجزاء احسنها ، او ذكر القسط هنا تمهيدٌ لوعيد الكفّار للاشارة الى انّه لاظلم معهم وهو لاينافى المعاملة معهم بالفضل بعد مراعاة القسط ، والحقّ انّ حقيقة القسط هى الولاية المطلقة المتحقّق بها علىّ (ع) ، والّ كلّ قسط يوجد فى العالم انّما هو من فروع تلك الولاية ، لكن لايسمّى القسط قسطاً شرعاً الّا اذا اتّصل الولاية التّكوينيّة بالولاية التّكليفيّة بالبيعة العامّة النّبويّة اوبالبيعة الخاصّة الولويّة ، فالقسط شرعاً يستلزم الاسلام اوالايمان والمنظور ههنا هو ذلك اللّازم كأنّه قال ليجزى الّذين آمنوا بالبيعة العامّة اوبالبيعة الخاصّة وعملوا الصّالحات بالبيعة الخاصّة ومايشترط فيها، اوبامتثال شرائط البيعة الخاصّة بالاسلام اوبالايمان ويؤيّد هذا المعنى موافقته لقرينته فى قوله تعالى: بما كانوا يكفرون، ولم يعيّن الجزاء تفخيماً له بابهامه اشارة الى انّه جزاء لائق باعطاءه [وَالَّذِينَ كَفَرُوا] عطف على الّذين آمنوا، وعلى هذا فقوله [لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ] جملة مستأنفة بيان للجزاء اوعطف على انّه يبدؤ الخلق اوعلى مقدّر مستفاد من قوله ليجزى الّذين آمنوا (الى الآخر) كأنّه قال: فالّذين آمنوا (الى آخر الآية) والّذين كفروا (الى آخر الآية) وعلى هذا فتغيير الاسلوب للاشارة الى انّ جزاء الكفّار من الغايات بالعرض وانّه ينسب الى انفسهم لانّهم اولى بسيّئاتهم من الله [هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً] استيناف فى معرض التّعليل للبدءة والاعادة للجزاء اوللتّدبير اوفى معرض البيان لتدبيره تعالى، ولم يذكر منازل الشّمس ولاغاية ايجادها ومنافع سيرها لانّها كثيرة لايحيط بها البيان ولانّ اكثرها مشهودة للعوام ولعدم شهرة منازل للشّمس بخلاف القمر [وَالْقَمَرَ نُورًا] الفرق بين النّور و الضّياء بالعموم والخصوص وحمل الضّياء والنّور للمبالغة اوباعتبار مايرى منهما من انّهما نوران متجوهران [وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ] قدّر له منازل اوقدّره ذامنازل اوسيّره منازل [لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ] فانّ الاعوام والشّهور فى نظر العوام منوطة بدورات القمر دون الشّمس [مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ] بسبب الحقّ اوبالغاية الحقّة [يُفَصِّلُ الْآيَاتِ] قرئ بالغيبة والتّكلّم [لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ] اى نفصّلها بالبيان و فى الوجود لقوم لهم صفة العلم .

اعلم ، انّ الانسان من اوّل استقرار نطفته فى الرّحم بل من اوّل تولّد مادّته من العناصر الى زمان بلوغه سالكٌ على الطّريقة القويمة الانسانيّة بتسبيبات آلهيّة، ومدرك لخيراته بادراك جمادىّ اونباتىّ اوحيوانىّ لابادراك انسانىّ ، ولايسمّى ادراكه ذلك علماً كما لايسمّى ادراك غير الانسان من المواليد علماً، فاذا بلغ بهذا السّلوك او ان بلوغه واستغلظ فى بدنه ونفسه وحصل له العقل الّذى هو مدرك خيراته وشروره الانسانيّة، فان كان ادراكه للاشياء بقدر مرتبته الدّانية وقوّته الضّعيفة من حيث انّها دوالّ قدرته تعالى وآيات حكمته واسباب توجّهه وسلوكه الى الحقّ القديم سمّى ادراكه ذلك علماً، وان لم يكن ادراكه كذلك بل يدرك الاشياء مستقلّات فى الوجود ولم يدركها من حيث انّها متعلّقات دالّات على صانعها لم يسمّ علماً، بل يسمّى جهلاً مشابهاً للعلم، مثل ان يرى احد من بعيد ظلّاً لشاخص ويظنّ انّ الظّلّ شاخص مستقلّ فى الوجود، وهذا كما يجرى فى الآيات الجزئيّة الآفاقيّة والانفسيّة يجرى فى الآيات

القرآنيّة والاخبار المعصوميّة والاحكام الشّرعيّة خصوصاً في حقّ من جعلها وسائل للاغراض الدّنيويّة، والحاصل انّ كلّ ادراك يكون سبباً لسلوكه الفطريّ على الطّريق الانسانيّ ولاشتداد مداركه الانسانيّة وازدياد ادراكاته الاخرويّة يسمّى علماً، وكلّ ادراك يكون سبباً لوقوفه عن السّلوك اولرجوعه عن الطّريق الى الطرق السّفلية الحيوانيّة يكون جهلاً بل الجهل السّاذج يكون افضل منه بمراتب؛ اذا تقرّر هذا فتفصيل الآيات تكويناً وتدويناً لايكون الغرض منه الّا ادراك من له صفة العلم لعدم انتفاع الغير به [إِنَّ فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ] جواب لسؤال ناشٍ عن السّابق وهكذا الجمل المذكورة فيما بعد الّتي لاعاطف فيها [وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَّقُونَ] لمّا كان الشّمس والقمر من الآيات الظّاهرة علّق كونهما آية على صفة العلم الّتي هي اوّل مراتب الانسانيّة بخلاف سائر المخلوقات وبخلاف اختلاف اللّيل والنّهار ولذلك علّق كونهما آية على التّقوى الّتي مرتبتها فوق مرتبة اصل العلم فانّ التّقوى عمّا يتّقى بعد العلم بما يتّقى [إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا] جواب لسؤال ناشٍ عن تعليق الآيات على العلم و التّقوى، وعدم رجاء اللّقاء كناية عن عدم العلم فانّ العالم بالله طالب للقائه و الطّالب راجٍ كما انّ قوله [وَرَضُوا بِالْحَيَوةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا] كناية عن عدم التّقوى لانّ الاطمينان بالحيوة الدّنيا مضرّ بالحيوة العليا ومفنيها [وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ] من قبيل عطف المسبّب على السّبب [أُولَئِكَ] تكرار المسند اليه والتّعبير عنه باسم الاشارة لتصويرهم واستحضارهم بالاوصاف المذكورة [مَأْوَيهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ] فانّ الغافل كلّما كسب كان جاذباً له الى السّفل والجحيم وان كان كسبه صورة الصّلوة والصّيام [إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا] بالبيعة العامّة اوبالبيعة الخاصّة [وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ] اى البيعة الخاصّة وشرائطها اوشرائط البيعة الخاصّة والاعمال الّتي كلّفوا بها فيها [يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ] المضاف الّذى هو وليّ امرهم الى ملكه و ولايته على الاوّل و الى ملكوته على الثّاني [بِإِيمَانِهِمْ] باسلامهم اوبايمانهم الخاصّ اويهديهم في الآخرة الى الجنّة [تَجْرِي] حال اومستأنف جواب سؤال [مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ] متعلّق بتجرى او ظرف مستقرّ حال متداخلة او مترادفة اومستأنفٌ جواب لسؤال مقدّر بتقدير مبتدء محذوف [دَعْوَيهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ] مستأنف اوحال من جنّات النّعيم او من المؤمنين على التّرادف اوالتّداخل [وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَآخِرُ دَعْوَيهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ] ان هي المخفّفة. اعلم، انّ في الآية اشارة اجماليّة الى درجات المؤمنين ومقامات السّالكين فانّ، آمنوا اشارة الى البيعة الاسلاميّة، وعملوا الصّالحات الى البيعة الايمانيّة والاعمال القالبيّة والقلبيّة اوالمجموع الى البيعة النّبويّة والاعمال القالبيّة، ويهديهم الى البيعة الولويّة الايمانيّة والاعمال القلبيّة والسّلوك من مقام النّفس الى مرتبة القلب، و تجرى من تحتهم الانهار اشارة الى سيرهم فوق مرتبة القلب في مراتب الرّوح والعقل، و دعويهم فيها سبحانك اللّهمّ اشارة الى انتهاء سيرهم و آخر مراتب فناءهم و هو فناؤهم عن ذواتهم و عن فنائها، و تحيّتهم فيها سلام اشارة الى بقاءهم بالله في الله من غير صحو و بقاء فانّ فيه السّلامة على الاطلاق

و آخر دعويهم ان الحمدلله ربّ العالمين اشارة الى حشرهم الى اسم الرّحمن وبقاءهم بالله فى الخلق لتكميل الغير، وبعبارة اخرى اشارة الى اسفارهم الاربعة اى السّفر من الخلق الى الحقّ بقوله: آمنوا وعملوا الصّالحات، و السّفر من الحقّ الى الحقّ بقوله : يهديهم (الى) سبحانك اللّهمّ ، و السّفر فى الحقّ بقوله تحيّتهم فيها سلام ، والسّفر بالحقّ فى الخلق بقوله وآخر دعواهم ، رزقنا الله وجميع المؤمنين [وَلَوْ يُعَجِّلُ اللّٰهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ] عطف على انّ الّذين لا يرجون لقاءنا وتخلّل انّ الّذين آمنوا غير مخلّ بالوصل والعطف لانّه جوابٌ لسؤال ناشٍ عن المعطوف عليه فكأنّه من متعلّقاته كأنّه قال : انّ الّذين لا يرجون لقائنا حالهم كذا مع انّ حال المؤمنين كذا ولو عجّلنا لهم الشّرّ الّذى استحقوه لم يبقوا فى الدّنيا متمتّعين [اسْتِعْجَالَهُمْ بِالْخَيْرِ] تعجيلاً مثل تعجيله لهم الخير فالباء للتعدية اومثل حثّه وحمله ايّاهم على العجلة فى الخير اوبالخير فالباء بمعنى فى او للسببيّة او مثل عجلتهم فى الخير اوبسبب الخير [لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ] لاقضى اليهم قضاء مدّتهم الّتى اجّلوا فيها اولاقضى اليهم آخر عمرهم الّذى اجّلوا اليه [فَنَذَرُ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ] عطف على لو يعجّل الله باعتبار المعنى اى لم يعجّل فنذر الّذين لا يرجون او جزاء شرطٍ محذوفٍ اى اذا لم نقض اليهم اجلهم فنذرهم فى طغيانهم [وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنْبِهِ] حالكونه على جنبه فاللّام بمعنى على والمقصود مطلق القاء البدن على الارض سواء كان على الجنب اوالظّهر اوالوجه ويعبّر بالالقاء على الجنب عن مطلق احوال الالقاء كثيراً فى العرب والعجم [أَوْ قَاعِداً أَوْ قَائِماً] اى فى جملة الاحوال فلفظة او لتفصيل الاحوال [فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ] كان المناسب ان يقول فاذا كشفنا حتّى يصحّ تعقيبه للشّرط المستقبل لكنّه اداه بالشّرط الماضى اشارة الى انّ مسيس الضّرّ والدّعاء عقيبه سجيّة للانسان مستغرق للماضى والمستقبل كأنّه قال: اذا مسّ الانسان الضّرّ دعانا وقد مسّه الضّرّ فدعانا فلمّا كشفنا عنه ضرّه [مَرَّ كَأَنْ لَمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرٍّ مَسَّهُ] كناية عن اعراضه وعدم عنايته بشأن من كان محتاجاً اليه و متنعّماً به و قد صار هذه العبارة مثلاً فى العرب و العجم فى هذا المعنى اذا ذكر بعده ما يدلّ على تشبيه حال المحتاج بغير المحتاج [كَذَٰلِكَ] اى مثل ما زيّن للمكشوف الضّرّ اعمالهم حتّى لا يبالوا بمن دعوه لكشفه وغفلوا عنه [زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ] من اتّباع الشّهوات والانهماك فيها حتّى وقعوا فى الغفلات [وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا] انفسهم بالغفلة وعدم المبالاة بسخط الله ومكره وهو تهديد للغافلين [وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ] فما اكترثوا بهم وببيّناتهم لغاية غفلتهم [وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا] لغاية غفلتهم وانهماكهم فى الشّهوات لتزيين الشّيطان لهم اعمالهم الشّهويّة [كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ] اى خلائف لنا اوللاسلاف [فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَٰذَا] وهم الواقعون فى جهنّام النّفس والنّفس كالمرأة الخبيثة لا ترضى بوضع يحصل لها وتتمنّى دائماً غير الوضع الّذى هو حاصل لها وهؤلاء باقتضاء فطرة النّفس سئلوا تبديل القرآن [أَوْ بَدِّلْهُ] يعنى اترك هذا القرآن واتت بمكانه قرآناً ترتضيه، اوغيّره بتبديل مالا ترتضيه

الى ما نرتضيه [قُلْ مٰا يَكُونُ] مايصحّ [لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ] اى اغيّره بترك اصله اوبتبديل آياته اواقتصر على الامتناع عن التّبديل ليدلّ على انّ تركه اصلاً اولى بالامتناع [مِنْ تِلْقٰاءِ نَفْسِي] بدون امر ربّى [إِنْ أَتَّبِعُ إِلّٰا مٰا يُوحىٰ إِلَيَّ] يعنى ليس لى نفسيّة وامر نفسٍ واتّباع لامر النّفس لانّ شأنى واتّباعى مقصور على امر ربّى [إِنِّي أَخٰافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذٰابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ] جواب سؤال عن العلّة وتعريض بهم حيث يعصون ولايخافون [قُلْ لَوْ شٰاءَ اللّٰهُ مٰا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلٰا أَدْرٰيكُمْ بِهِ] اى لا اعلمكم الله به على لسانى يظنّ فى بادى النّظر انّ حقّ العبارة ان يقال : لو لم يشأ الله ما تلوته حتّى يفيد ترتّب عدم التّلاوة على عدم المشيّة و يستفاد من مفهومه ترتّب التّلاوة على المشيّة ، ومفاد الآية ترتّب عدم التّلاوة على المشيّة و استلزامه بحسب المفهوم لترتّب التّلاوة على عدم المشيّة والحال انّ الوجودىّ يحتاج الى العلّة الوجوديّة والعدم لاعلّة له ، وماقالوا: علّة العدم عدم ، فهو من باب المشاكلة ولوسلّم فيقتضى تعليق عدم التّلاوة على عدم المشيّة لاعلى نفس المشيّة ، والجواب انّه تعالى ارادان يشيرالى انّه لا شأن له (ص) عدميّاً كان اووجوديّاً الّا وهو متعلّق بمشيّة الله والعدم الصّرف وان كان لاعلّة له ولاتعلّق له بشيء ، لكنّ الاعدام النّشأنيّة اى اعدام الملكات كالوجوديّات تقتضى علّة وتعلّقاً واذا كان عدم تلاوته مع انّه عدمىّ متعلّقاً بمشيّته تعالى فتلاوته كانت متعلّقة بالطّريق الاولى، لانّها حادثة وجوديّة مقتضيته للعلّة والتّعلّق، ومفهوم الآية تعلّق التّلاوة بعدم مشيّة عدم التّلاوة وهواعمّ من مشيّة التّلاوة اوعدم المشيّة مطلقاً [فَقَدْ لَبِثْتُ] الفاء عاطفة على لوشاء الله ماتلوته بملاحظة المعنى مع اشعاره بالسببيّة للاثبات كأنّه قال : تلوته بمشيّة الله لابمشيّتى وادّعائى ذلك بسبب لبثى فيكم وعدم ظهور مثل ذلك منّى ، كأنّه اشار بتلك السببيّة الى قياسين اقترانيّين من الشّكل الاوّل وقياسٍ استثنائىٍّ مأخوذٍ من نتيجة القياس الثّانى واستثناء نقيض تاليه ترتيبه هكذا : لو لم يكن القرآن باتّباع الوحى ومشيّة الله لكان باختلاقٍ من تلقاء نفسى وكلّما كان باختلاقٍ من تلقاء نفسى ظهر مثل ذلك منّى قبل ذلك ؛ ينتج لو لم يكن بمشيّة الله لظهر مثله قبل ذلك وكلّما ظهر مثله قبل ذلك شاهدتموه وسمعتموه ولكن لم تشاهدوه منّى فقد لبثت [فِيكُمْ عُمُراً مِنْ قَبْلِهِ] قبل القرآن مدّة اربعين سنة لايظهر عنّى امثال ذلك ، وماسمعتم منّى [أَفَلٰا تَعْقِلُونَ] لاتدركون بعقولكم اولاتتصرّفون فى مدركاتهم بعقولكم او لا تصيرون عقلاء [فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرىٰ عَلَى اللّٰهِ كَذِباً أَوْ كَذَّبَ بِآيٰاتِهِ] تعريض بنفسه و بهم على سبيل التّرديد على طريقة الانصاف مع الخصم بعد ما اثبت كونه غير مفترٍ كأنّه قال : ان كنت مفترياً على الله كما تكنون بذلك فانا اظلم النّاس وان كنت آتياً بآيات الله وتكذّبونها فانتم اظلم النّاس، اوتعريض بكلتا القرينتين بهم ويكون او للتّفصيل لا للتّشكيك كأنّه قال بعد ما اثبت انّى غير مفترٍ: فانتم اظلم النّاس من جهة افترائكم على الله بنصب الآلهة لانفسكم وبتكذيب آياته [إِنَّهُ لٰا يُفْلِحُ الْمُجْرِمُونَ] فى موضع التّعليل [وَيَعْبُدُونَ] عطف بملاحظة المعنى المقصود بالتّعريض يعنى هم يفترون ويكذّبون ويجرمون ويعبدون [مِنْ دُونِ اللّٰهِ مٰا لٰا يَضُرُّهُمْ وَلٰا يَنْفَعُهُمْ] من الاصنام والكواكب عبادة العبيد ومن الاهوية والآراء والشّياطين عبادة اتّباعيّة ، ومن غيرمن نصبه الله من رؤساءهم الدّنيويّة اورؤساءهم الدّينيّة بزعمهم عبادة طاعة ، والمقصود من نفى الضّرّ والنّفع نفى ما يتوهّمونه ضرّاً ونفعاً ممّا يؤل الى دنياهم من غير نظرٍ الى عبادتهم والّا فهى بعبادتهم

اياّها تضرّهم غاية الضرّ ويقولون [هٰؤُلاٰءِ شُفَعٰاؤُنٰا عِنْدَاللّٰهِ] كما يقول الوثنىّ : انّ اصنامنا شفعاؤنا عندالله ، وكما يقول اكثر الصّابئين : انّ الكواكب شفعاؤنا ، و بعض يقول : هى قديمة مستقلّة فى الآلهة ، كما يقول الزّرداشتيّون : النّار تشفعنا عندالله ، وكما يقول المطيعون لمن يزعمونهم رؤساء الدّين : هؤلآء وسائط بيننا و بين الله ، وكما يقول المتّبعون للاهواء و الشّياطين فى صورة الاعمال الشّرعيّة الصّادرة من اتّباع النّفس والشّياطين: هى وسائل بيننا وبين الله واسباب قربنا الى الله والحال انّها وسائل الشّيطان واسباب القرب الى الجحيم والنّيران [قُلْ] استهزاءً [أَتُنَبِّؤُنَ اللّٰهَ بِمٰا لاٰيَعْلَمُ فِى السَّمٰاوٰاتِ وَلاٰفِى الْأَرْضِ] بالشّفعاء من حيث شفاعتهم اوبشفاعتهم يعنى انّ ما فى السّماوات والارض معلوم له وما ليس معلوماً له فيهما فلايكون [سُبْحٰانَهُ وَتَعٰالٰى عَمّٰا يُشْرِكُونَ وَمٰا كٰانَ النّٰاسُ إِلّٰا أُمَّةً وٰاحِدَةً] يعنى قبل بعثة الرّسل البشريّة كانوا على مقتضيات شهوات النّفوس آمّةً لها متوجّهةً اليها وبعد بعثة الرّسل انصرف طائفة عنها الى مادعتهم الرّسل اليه من الخيرات الاخرويّة الانسانيّة وابى طائفة [فَاخْتَلَفُوا] وقبل بعثة الرّسل الباطنة من العقول كانوا على مقتضيات النّفوس الحيوانيّة آمّةً لها وبعد بعثة الرّسل الباطنة انصرف طائفة من قواهم الى مادعتها الرّسل اليه وبقيت طائفة فاختلفوا وتنازعوا و تقاتلوا [وَلَوْلاٰ كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ] كلمة امهالهم وآجالهم المؤخّرة المعيّنة سبقت فيما كتبه الملك المصوّر فى أرحام أمّهاتهم اوسبق ثبتها فى الالواح والاقلام العالية [لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ فِيمٰا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ] لحكم باظهار الحقّ والباطل وتميّز الحقّ عن المبطل [وَيَقُولُونَ] استهزاءً اواستظهاراً [لَوْلاٰ أُنْزِلَ عَلَيْهِ] اى على محمّد(ص) [آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ] ممّا اقترحناه اوممّا يدلّ على رسالته [فَقُلْ] الفاء جواب شرط محذوف اومتوهّم اى اذا قالوا فقل [إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلّٰهِ] علم الغيب مختصّ به فلا اعلم انا ولا انتم ما يترتّب على انزال الآية من المفاسد والمصالح وهو يعلم فلا ينزل الآية لما فيها من المفاسد وفى تركها من المصالح اوعالم الغيب ملك الله ليس لى تصرّف فيه ولاتسلّط عليه حتّى اجيب مقترحكم اوانزل منه ما اريد ، فانا وانتم سواءٌ فى ذلك [فَانْتَظِرُوا] نزول الآية و الفاء مثل سابقه [إِنِّى] مثلكم [مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ] ويحتمل ان لايكون قوله فقل انّما الغيب (الآية) مساشاةً معهم بل يكون تهديداً لهم على استهزاءهم والمعنى انّ الغيب لله ينزّل منه مايشاء من عذابكم وعذابى والرّحمة بكم و بى فانتظروا نزول عذابه انّى معكم من المنتظرين ويؤيّد هذا المعنى تهديدهم بالآية الآتية [وَإِذٰا أَذَقْنَا النّٰاسَ رَحْمَةً] سعة وصحّة و أمناً فانّها من آثار الرّحمة وان كانت قد تصير نقمة اوهى رحمة فى انظارهم القاصرة عن ادراك الغايات [مِنْ بَعْدِ ضَرّٰاءَ مَسَّتْهُمْ] وهى ضدّ المذكورات [إِذٰا لَهُمْ مَكْرٌ فِى آيٰاتِنٰا] الكبرى البشريّة او الصّغرى الآفاقيّة والانفسيّة والتّدوينيّة فانّ الانسان ليطغى ان رآه استغنى، والمكر فى الآيات الكبرى بالاضرار بالحيل الخفيّة ، وفى الآيات الصّغرى فى المعجزات بحملها على السّحر ونحوه من الوجوه الخفيّة ، وفى غيرها باخفائها وتلبيسها على الغير اوتأويلها على مقتضى شهواتهم [قُلِ اللّٰهُ أَسْرَعُ مَكْراً] انفذ مكراً واسبق مكراً فانّ مكركم فى الآيات فى الحقيقة مكر الله فيكم فمكره اسبق من مكركم فى كلّ حالٍ ونسبة المكر الى الله من باب المشاكلة اوالمشابهة والّا فالماكر يقال للعاجز عن اعلان المخاصمة المنصرف عنه الى اخفائها [إِنَّ رُسُلَنٰا يَكْتُبُونَ مٰا تَمْكُرُونَ] تهديدٌ لهم بظهور مايظنّونه خافياً عليه بواسطة

الرّسل وصرف للخطاب عنه (ص) اليهم والتفات من الغيبة الى التّكلّم ليكون ابلغ فى الانذار على قراءة تمكرون بالخطاب وهو جواب سؤال ناش عن سابقه كأنّه قيل: هل الله يعلم مانمكر حتّى يمكر بنا [هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ] بمنزلة التّأكيد والاضراب من غير الابلغ الى الابلغ فى الجواب كأنّه قال: بل نعلم ماتمكرون بدون واسطة الرّسل وانتم بحسب الفطرة تعلمون ذلك لانّا نحن الّذى نسيّركم، والتّسيير يستلزم العلم بدقائق احوال المسيّر والمسيّر فيه و المسيّر له وانتم اذا رفع عنكم غشاوة الخيال تعلمون ذلك، لانّكم تدعونه وقت انقطاع الوسائل وحيل الخيال عنكم فتعلمون انّه هو الّذى يعلم حالكم و دعاءكم و يقدر على اجابتكم و رفع البلاء عنكم فتدعونه مخلصين عن اغراض الخيال، لكنّكم اذا رفع عنكم البلاء وتسلّط عليكم الخيال احتجب بأغراضكم الخياليّة و اهويتكم النّفسانيّة معلومكم الّذى تكونون مفطورين عليه فتشركون به غيره، فهو تأكيد للجواب وتفظيع لهم بالتّبع، والمراد بتسييره تعالى تمكينه اياّهم من التّسيير بتهيئة اسبابه الدّاخلة من قواهم العلّامة والعمّالة والخارجة من تسطيح الارض وتسخير المراكب وجعل ما يحتاج اليه من المأكول والمشروب والملبوس ممّا يمكن نقله، اونقول لكلّ متحرّك محرّك لامحالة والمحرّك الاوّل فى الحركات الاختياريّة هو النّفس المسخّر لها القوى والنّفس بالنّسبة الى الله تعالى مثل القوى بالنّسبة الى النّفس لااستقلال لها فى شأن من شؤنها، فكما انّ فعل القوى ينسب الى النّفس حقيقة بل النّفس اولى بنسبتها من القوى فكذلك فعل النّفس بالنّسبة الى الله تعالى فالمسيّر وان كان هى النّفس اوّلا لكنّه الحقّ الاوّل تعالى حقيقة والنّفس كالآلة له؛ فصحّ نسبة التّسيير اليه تعالى بطريق الحصر [فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا] التفات من الخطاب الى الغيبة [جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ] من امكنة البحر يعنى من جميع جوانب السّفن [وَظَنُّوا] أيقنوا لمامرّ مراراً انّ علوم النّفس ان كانت يقينيّة فهى ظنون، او المراد حقيقة الظّنّ لانّ ظاهر الامواج وان كان موثّراً ليقينهم لكن رجاءهم بالغيب المفطور على العلم به وبقدرته على انجائهم مورث لاحتمال الانجاء [أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ] اى اهلكوا و التّأدية بالماضى للاشارة الى تحقّقه كأنّه وقع وهذا يؤيّد كون الظّنّ بمعنى اليقين وهو صار مثلاً فى الهلاك، واصله من قولهم: احاط به العدوّ فلاسبيل للخلاص له ولامسلك للخروج [دَعَوُا اللَّهَ] بدل من ظنّوا بدل الاشتمال، اوجواب سؤال مقدّر كأنّه قيل: مافعلوا؟ [مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ] طريق الدّعاء اوطريق النّفس الى الله اواعتقادهم التّوحيد وسائر عقائد الدّين اوملّتهم الّتى أخذوها ديناً من نبيّهم و وجه الاخلاص قد مضى من انّ تسلّط الخيال و تصرّفه يورث الشّرك الظّاهر و الباطن و حين تراكم البلاء و تلاطم امواجه ينقطع حيله ويفرّ و يقول كالشّيطان: انّى ارى مالاترون انّى اخاف الله ربّ العالمين فيبقى التّوحيد الفطرىّ بلا معارض ولا حجاب [لَئِنْ أَنْجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ] تفسير للمدعوّ به المحذوف تقديره: دعوا الله بشيء لئن انجيتنا، اومفعول لقول محذوف حالاً [فَلَمَّا أَنْجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ] يعنى خرجوا من الشّكر و نكثوا حلفهم ونقضوا عهدهم لعود الخيال وحيله واغشيته اليهم بغى عليه عدا وظلم، وبغى وعدل عن الحقّ واستطال وكذب، وبغى فى مشيه اختال واسرع، وبغاه طلبه والكلّ مناسب ههنا [بِغَيْرِ الْحَقِّ] تقييد للبغى فانّ البغى باىّ معنىً كان قديكون بالحقّ

مثل ما يرى من اهل الحقّ من التّجاوز عن الحدّ وصورة الظّلم والعدول عن الحقّ تقيّةً والاستطالة والكذب في موقعه والاختيال في محلّه وطلب الدّنيا بامر الرّبّ [يٰاَيُّهَا النّٰاسُ] بعد ما ذمّهم بالنّكث و البغى توجّه اليهم بالنّداء وذكر انّ وبال بغيهم راجع عليهم ليكون ارد ع [إِنَّمٰا بَغْيُكُمْ عَلىٰ اَنْفُسِكُمْ] لايتعدّاها فى الحقيقة الى غيركم فانّ الانسان ما لم يفسد قوى نفسه بصدّها عن مطاوعة العقل لايفسد غيره، وافساده غيره وان كان افساداً له ظاهراً لكنّه اصلاح له حقيقة ، فيبقى البغى افساداً لنفس الباغى فقط وعلى هذا فعلى انفسكم خبر عن بغيكم ويحتمل وجوهاً من الاعراب وهى كون بغيكم بمعنى اوبتضمين معنى يقتضى التّعلّق بعلى وكون الجارّ متعلّقاً به و [مَتٰاعُ الْحَيٰوةِ الدُّنْيٰا] بالرّفع خبراً عنه او على انفسكم خبراً ومتاع الحيوة الدّنيا خبراً بعد خبر، اوخبر مبتدء محذوف حالاً من المستتر فى الظّرف اومستأنفاً ، وعلى قراءة نصب متاع الحيوة الدّنيا فالخبر هو الظّرف ومتاع الحيوة الدّنيا نائب عن مصدر بغيكم، اومصدر لفعل محذوف حالاً اومستأنفاً ، اومنصوب على الذّمّ اى اذمّ متاع الحيوة الدّنيا ، وعلى قراءة نصب المتاع يحتمل كونه مفعولاً لبغيكم ايضاً ، ويحتمل وجوهاً اخر بعيدة مثل كون الظّرف لغواً ومتاع الحيوة الدّنيا بالرّفع او بالنّصب بوجوه كونه غير خبر و الخبر محذوفاً مثل محذور اوثقل ووبال [ثُمَّ إِلَيْنٰا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُمْ بِمٰا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّمٰا مَثَلُ الْحَيٰوةِ الدُّنْيٰا] جواب سؤال ناش عن ذمّ متاع الحيوة الدّنيا [كَمٰاءٍ] كمثل ماء [اَنْزَلْنٰاهُ مِنَ السَّمٰاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبٰاتُ الْاَرْضِ] اختلاط النّباتات كثرتها وتداخل انواعها المختلفة بعضها خلال بعض [مِمّٰا يَأْكُلُ النّٰاسُ وَالْاَنْعٰامُ حَتّٰى إِذٰا اَخَذَتِ الْاَرْضُ زُخْرُفَهٰا] الوان نباتها فانّ زخرف الارض الوان نباتها [وَازَّيَّنَتْ] تزيّنت باصناف النّبات وازهارها واخضرارها واختلاف الوان رياحينها واشكالها واختلاطها بحيث يعجب النّاظر اليها [وَظَنَّ اَهْلُهٰا] اهل الارض او اهل الزّخرف فانّه باعتبار معناه الّذى هو الوان النّبات اذا اضيف الى الارض يجوز ارجاع ضمير المؤنّث اليه [اَنَّهُمْ قٰادِرُونَ عَلَيْهٰا] على الارض بانباتها و انماء نباتها و ابقائه الى ان انتفعوا به اوعلى الزّخرف بانباتها و انمائها و ابقائها و ذلك لكمال غفلتهم و اغترارهم بتدبيرهم [اَتٰيهٰا] اتى الارض او الزّخرف [اَمْرُنٰا] باهلاكها و استيصالها بالعاهات و الآفات [لَيْلاً اَوْ نَهٰاراً فَجَعَلْنٰاهٰا] اى الزّخرف [حَصِيدًا] محصودة و الفعيل بمعنى المفعول يستوى فيه المذكّر والمؤنّث و هو فى اللّغة اسم لما حصده الانسان بالحديد لكنّه صار مثلاً فى كلّ ما استوصل بحيث لم يبق منه شيء [كَاَنْ لَمْ تَغْنَ] لم تقم اولم تكن [بِالْاَمْسِ] يعنى قبل ذلك الزّمان فهو ايضاً صار مثلاً فى الزّمان القريب ، اعلم ، انّ هذه التّمثيل من احسن اقسامه لتطابق جميع اجزاء الممثّل به والممثّل له فى التّشبيه حيث انّ النّفس الانسانيّة النّازلة من سماء الارواح كالماء النّازل من السّماء الدّنيا وبدن الانسان كالارض فى استقرار النّفس والماء وقواه كنبات الارض فى اختلاف انواعها و اغترار الانسان بقوّة قواه و اشتدادها كاغترار اهل الارض بزخرفها و استيصال قوى الانسان بالاجل كاستيصال اصناف النّبات بالآفة [كَذٰلِكَ نُفَصِّلُ الْاٰيٰاتِ] آيات العالم الكبير و العالم الصّغير [لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ] يستعملون قوّتهم المتصرّفة فى معلوماتهم بالضّمّ و التّفريق الّتى تسمّى باعتبار استخدام العاقلة

لها مفكّرة وباعتبار استخدام الواهمة متخيّلة ، فانّ التّفكّر هو استعمال المفكّرة اوالمتخيّلة فى التّصرّف فى المعلومات ، وامثال هذه الآيات المتراكمة المتداخلة المتوافقة المتخالفة لا يدركها الّا من كان عالماً متفكّراً [وَاللّٰهُ يَدْعُو إِلٰى دٰارِ السَّلٰامِ] عطف على نفصّل الآيات او على كذلك نفصّل الآيات ومقتضى المقام ان يقول وندعو الى دار السّلام ليتوافق المتعاطفان فى الفعليّة و فى المسند اليه لكنّه عدل عن التّكلّم وعن الفعليّة الى الاسميّة ولذا يتراءى المنافرة بين المتعاطفين للاشارة الى علّة الحكم وانّ الآلهيّة تقتضى ذلك ، وتقديم المسند اليه لتأكيد الحكم ولشرافته وللاشارة من اوّل الامر الى علّة الحكم ، ودار السّلام دار الله لانّ السّلام من اسمائه تعالى ، اودار السّلامة من جملة الآفات البدنيّة والنّفسانيّة ، ولمّا كان الدّعوة عامّة بخلاف الهداية الخاصّة اطلق هذه وقيّد الهداية [وَيَهْدِي مَنْ يَشٰاءُ إِلٰى صِرٰاطٍ مُسْتَقِيمٍ] والمراد بالدّعوة الدّعوة الظّاهرة الجارية على السنة الانبياء ولذا كانت عامّة و بالهداية الهداية الخاصّة الى ولىّ الامر وهو الصّراط المستقيم و لذا اتى بها بعد الدّعوة ، لانّ تلك الهداية تكون بعد قبول النّبوّة والبيعة العامّة النبويّة وقيّدها بمن يشاء لانّ الدّعوة الباطنة و البيعة الخاصّة خاصّة بمن شاء ان يتّخذ الى ربّه سبيلاً [لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنىٰ] جواب لسؤال مقدّر كأنّه قيل : مالمن انتفع بالآيات وقبل الدّعوة واهتدى ؟- فقال: للّذين احسنوا منهم العاقبة الحسنى ، اوالمثوبة الحسنى ، واصل الاحسان قبول الولاية وكلّ قول وفعل وحال وخلق يكون للانسان من جهة الولاية كان احساناً لانّ الحسن الحقيقىّ هو الولاية المطلقة الّتى مظهرها علىّ(ع)، والولايات الجزئيّة حسنة بحسنها وكلّ من اتّصل بالبيعة الخاصّة بعلىّ(ع) بلاواسطة اوبواسطة الاولياء الجزئيّة صار ذاحسن ، وهوالمراد بالاحسان هنا ، ومن صار ذاحسن ولم ينقطع حبل اتّصاله ولا ينقطع الّا نادراً اتّصل اتّصاله البشرىّ بالاتّصال الملكوتىّ و الجبروتىّ بملكوت علىّ (ع) وجبروته ، وهوالعاقبة الحسنى والمثوبة الحسنى لااحسن منها [وَزِيٰادَةٌ] هى لوازم الاتّصال بملكوت ولىّ الامر من الرّاحة فى الدّنيا والخلاص من آلامها والجنّة ونعيمها فى الآخرة ، واختلاف الاخبار فى تفسيرها يرفعه ما ذكرنا [وَلٰا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ] لا يغشيها [قَتَرٌ] غبرة فيها سواد [وَلٰا ذِلَّةٌ] و هما كناية عمّا يعروها من اثر الحزن وشدّة الحاجة و ذلك لما عرفت من انّ المتّصل بملكوت ولىّ الامر ليس له الم حزن ولا حاجة [أُولٰئِكَ] التّأدية باسم الاشارة البعيدة للتّفخيم ولتصويرهم بما ذكر من الاوصاف [أَصْحٰابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهٰا خٰالِدُونَ وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئٰاتِ] عطف على جملة للّذين احسنوا الحسنى من قبيل عطف الجملة اوعلى الّذين احسنوا الحسنى بتقدير اللّام من قبيل العطف على معمولى عاملين مختلفين عطف المفرد وهواولى لموافقته لسياق الكلام ولسلامته عن الحذف [جَزٰاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهٰا] قد سبق انّ السّيّئة لمّا كانت مخالفة لمقتضى الفطرة لا تقوى على تنزيل الانسان زيادة على قدر قوّتها، والحسنة لمّا كانت موافقة لفطرته ترفعه زائداً على قدر قوّتها عشر امثالها الى سبعمائة والله يضاعف لمن يشاء [وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مٰا لَهُمْ مِنَ اللّٰهِ] من سخط الله اومن جانب الله [مِنْ عٰاصِمٍ كَأَنَّمٰا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا] لغاية الحزن وشدّة الالم [أُولٰئِكَ أَصْحٰابُ النّٰارِ هُمْ فِيهٰا خٰالِدُونَ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ] يعنى المؤمنين والكافرين ، اوالكافرين وشركاءهم ، اوالمؤمنين وأئمّتهم والكافرين وشركاءهم [جَمِيعًا] عطف على محذوف متعلّق بالجمل

السّابقة من قوله للّذين احسنوا الى اغشيت وجوههم اى فى الدّنيا اويوم الموت اويوم الرّجعة ويوم نحشرهم اوالمعطوف والمعطوف عليه كلاهما محذوفان والتّقدير ذكّرهم بما ذكر و ذكّرهم يوم نحشرهم او متعلّق بزيّلنا على تقدير امّا او توهّمه او زيادة الفاء ، او متعلّق بزيّلنا المذكور تفسيره [ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا] بالله او بالولاية [مَكَانَكُمْ] الزموا ولا تبرحوا اوهو اسم فعل و [أَنْتُمْ] تأكيد للمستتر فيه تصحيحاً للعطف عليه [وَشُرَكَاؤُكُمْ] فى الالهه او فى العبادة او فى الولاية او فى الطّاعة او فى المحبّة او فى الوجود [فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ] اوقعنا التّفرقة بين المؤمنين والكفّار او بين الكفّار وشركاءهم [وَقَالَ شُرَكَاؤُهُمْ] باحد الوجوه [مَا كُنْتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ] المراد بالعبادة ههنا اعمّ من العبادة المعروفة ، اوالمراد بشركاؤهم الشّركاء فى العبادة لانّهم فى الحقيقة عبدوا اهواءهم ومن عبادة اهواءهم تولّد عبادة الشّركاء الظّاهرة [فَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ] عطف على ماكنتم ولمّا كان مرتبة الاستشهاد بعد ابراز الدّعوى عطفه بالفاء واستشهد شركاءهم بالله على نفى عبادة المشركين لهم ، لانّه كان العالم بحقيقة الحال وانّهم بعبادة الشّركاء واطاعتهم ماكانوا عابدين الّا اهويتهم وما ارادوا بذلك الّا حصول مشتهياتهم فهم كانوا عابدين لانفسهم الخبيثة مصدراً ومرجعاً، اعاذنا الله من ان يقول يوم العرض لنا: ماكنتم ايّاى تعبدون، لانّ الدّاعى لعبادتكم كان اهويتكم لاامرى والمقصود كان حصول اغراضكم لارضاى [إِنْ كُنَّا] انهى المخفّفة [عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَافِلِينَ] نفوا دعوى المعبوديّة لانفسهم كما نفوا عبادة المشركين لهم [هُنَالِكَ] المقام اوالزّمان [تَبْلُو] تختبر [كُلُّ نَفْسٍ مَا أَسْلَفَتْ] فتعرف حقّها عن باطلها او صحيحها عن سقيمها و جيّدها عن مغشوشها لحدّة بصرهم و صفاء ادراكهم فيدركون ايّها صدر عن النّفس الامّارة والشّيطان وايّها صدر عن العقل بشركة النّفس و ايّها صدر عن العقل ثمّ طرء عليه اغراض النّفس [وَرُدُّوا] بعد ما عرفوا اعمالهم [إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ] التّوصيف بالحقّ تعريض ببطلان معبوداتهم [وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ] من الشّركاء لكونها باطلة [قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ] بالرّزق الانسانىّ [وَالْأَرْضِ] بالرّزق الحيوانىّ اوبكليهما باعداد كليهما [أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ] اقتصر على المدارك الجزئيّة المحسوسة و منها على اشرفها وانفعها للانسان اعنى السّمع والبصر افادة لمملوكيّة غيرها بالطّريق الاولى والمراد بمالكيّته تعالى لها كونها تحت قدرته بحيث لامدخليّة لاحد غيره فيها فيعطى و يمنع و يأخذ و يبقى ويجعل سليماً و مأوفا وقويّاً وضعيفاً مايشاء منها لمن يشاء [وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ] و المراد باخراج الحىّ اعمّ من اخراج الحيوان من مادّته الميتة وانشاء النّفس الحيّة بالذّات من البدن الميتة واخراجها منه بالموت اوبالنّوم واخراج المؤمن الّذى هو حىّ بالحيوة الانسانيّة من الكافر الّذى هو ميّت عنها واخراج المثال الصّاعد من عالم الطّبع وهكذا اخراج الميّت من الحىّ [وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ] قد مضى تفسير هذه الكلمة فى اوّل السّورة [فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ] الفاء زائدة والجملة جوابٌ لسؤالٍ مقدّرٍ اوالفاء جواب شرط محذوف اوخالصة للسببيّة [فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ] توبيخاً لهم اوامراً لهم بالتّقوى بعد اقرارهم بكون الكلّ بقدرته [فَذَلِكُمُ] الموصوف بما ذكر [اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ]

تعريض ببطلان شركاءهم كمامرّ، وفي اعرابه وجوه احسنها ان يكون ذلكم مبتدء والله صفة او بدلاً منه وربّكم خبراً عنه والحقّ صفة له [فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ] بعد الانصراف عنه او بعد الحقيّة [إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ] وليس انصرافكم الّا الى الضّلال لعدم الواسطة [كَذَٰلِكَ] متعلّق بتصرفون و [حَقَّتْ] ابتداء كلام او متعلّق بحقّت و على ايّ تقدير فالجملة مستأنفة جواب لسؤال مقدّر كأنّه قيل : فلا ينبغي لاحد ان ينصرف عنه فقال كحقيّة الرّبوبيّة او ككون الضّلال بعد الحقّ او كانصرافهم عن الحقّ حقّت [كَلِمَةُ رَبِّكَ] اى الضّلال او حكمه بالضّلال او عدم ايمانهم [عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا] خرجوا عن الحقّ او عن طاعة العقل او النّبيّ (ص) اوالولىّ (ع) [أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ] بتقدير الباء اوالّلام اوبدل من كلمة ربّك [قُلْ هَلْ مِن شُرَكَائِكُم مَّن يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ] ذكر الاعادة في الالزام امّا لكون المخاطبين معتقدين بالاعادة اولوضوح برهانها اوللاكتفاء بالابداء في الالزام و ذكر الاعادة للتّنبيه والاستطراد ، اوالمراد بالاعادة هوتكميل المواليد بالبلوغ الى كمالاتها المترقّبة منها ولمّا لم يكن لهم جواب سوى الاعتراف بانّ الله هوالمبدأ و المعيد وليس هذا من فعل الشّركاء امر تعالى نبيّه (ص) ان يجيب عنهم فقال [قُلِ اللَّهُ يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ] الى اين تصرفون عن الله بعد قدرته وعجز الشّركاء [قُلْ هَلْ مِن شُرَكَائِكُم مَّن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ] و لمّا كان ههنا عدم تبادرهم الى الجواب متوقّعاً لخفاء هداية الله عليهم اولاحتمالهم هداية اصنامهم امره (ص) بالتّبادر الى الجواب من قبلهم فقال [قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ] مقول قوله (ص) او استيناف كلام من الله [أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّي] قرئ يهدّى بتشديد الدّال من اهتدى بابدال التّاء دالاً وادغامها وقرئ حينئذٍ بكسر الهاء على قانون تحريك السّاكن بالكسرة وبفتحها على نقل حركة التّاء ، وقرئ في صورة كسر الهاء بفتح الياء على الاصل وبكسرها على اتّباعها ، وقرئ بتخفيف الدّال من الهدى بمعنى الرّشاد او بمعنى الدّلالة [إِلَّا أَن يُهْدَىٰ] تنزيل الآيات في الاشراك بالآله وتأويلها في الاشراك بالولاية ولذا فسّر من يهدى بمحمّد (ص) وآله (ع) من بعده (ص) ، وعلى التّأويل يجوز تفسير الآية هكذا قل هل من شركاء كم من يهدى غيره اويهتدى بنفسه الى الحقّ قل الله في مظاهره النّبويّة او الولويّة يهدى غيره اويهتدى بنفسه الى الحقّ افمن يهدى غيره او يهتدى الى الحقّ احقّ ان يتّبع ام من لا يهدى غيره اولايهتدى على قراءة تخفيف الدّال ، او ام من لايهتدى فقط على قراءة تشديد الدّال ، وكأنّه للاشارة الى التّأويل اتى في الكلّ بلفظ من الّتي هي لذوى العقول [فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ] باىّ حكم تحكمون فتختارون ما ليس له جهة ادراك على من يملك المدارك كلّها [وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا] استيناف على ماقيل باتيان الواو للاستيناف لكنّه بعيد لانّه ما لم يلاحظ ربط بين الجملتين لا يؤتى بالواو فان شئت فسمّ ذلك الرّبط بالعطف بجعل الجملة السّابقة في امثال هذا معطوفاً عليها بلحاظ المعنى او بتقدير المعطوف عليه من معنى الجملة السّابقة ، مثل ان يلاحظ انّ معنى مالكم اومعنى كيف تحكمون ليس لهم عقل اوعلم اويحكمون بالباطل، اويقدّر امثال ذلك بقرينة السّابق ثمّ يعطف عليه وان شئت فسمّه بشبه العطف والتّقييد بالاكثر امّا لانّ بعضهم يتّبعون رؤساءهم من غير حصول اعتقاد لهم لعدم شأنيّتهم لاعتقاد شيء كالحيوان الّذى يتّبع صاحبه من غير شعور له بنفع اوضرّ في ذلك الاتّباع ، اولانّ بعضهم كان يعلم

بطلان ما يعبد لكنّه كان يعبد المعبودات الباطلة ويطيع رؤساء الضّلالة لمحض اغراض فاسدة دنيويّة ، وتنكير الظّنّ للاشارة الى انّ ظنّهم ظنّ سفليّ مستند الى النّفس ردىٌّ مهلكٌ و الّا فالظّنّ العلوىّ المستند الى العقل قلّما ينفكّ الطّالب للآخرة عنه ما لم يدخل فى الولاية ولم يصر عالماً بواسطة اتّباعه للولاية و ذلك الظّنّ يجذبه الى دارالعلم ويكون ممدوحاً [إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي] من اغنى عنه بمعنى ناب عنه و كفى كفايته [مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا] مفعول مطلق ومن الحقّ صلة يغنى اومفعول به ومن الحقّ حال منه، وتعريف الظّنّ امّا للاشارة الى الظّنّ السّابق اوللجنس باعتبار انّ بعض افراد الظّنّ وان كان قد يدعوا الى دارالعلم لكنّه لايكفى كفاية الحقّ فلاينبغى الوقوف عليه فالظّنون المستندة الى الكتاب والسّنّة ان كانت عقليّة علويّة فهى ممدوحة لكن لاينبغى الوقوف عليها ما لم توصل الى العلم و ان كانت نفسيّة دنيويّة سفليّة فهى مذمومة [إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ] جواب سؤال ناش عن قوله ومايتّبع اكثرهم الّاظنّاً يعنى انّه عليم بصور افعالهم ومصادرها وغاياتها [وَمَا كَانَ هَٰذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَىٰ] اى لان يفترى بتقدير اللّام اى لايجوز كونه مفترىً فكيف بفعليّته اوافتراء من قبيل زيد عدل [مِنْ دُونِ اللَّهِ] من غير الله [وَلَٰكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ] من الكتب السّماويّة حيث يطابقها فى العقائد والاحكام ونصب التّصديق بالعطف على خبر كان او بتقدير كان على خلاف فى عطف المفرد الاتى بعد لكن مع الواو اوبكونه مفعولاً له لانزله مقدّراً [وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ] كتاب النّبوّة واحكامها وقدمرّ مراراً انّ الكتاب اشارة الى احكام النّبوّة كلّما ذكر مطلقاً [لَا رَيْبَ فِيهِ] حال او مستأنف [مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ] ظرف مستقرّ حال اوخبر مبتدء محذوف والجملة مستأنفة [أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ] ان افتريته [فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ] فانّه ان كان كلام المخلوق و انتم فصحاء الخلق ينبغى ان تقدروا على مثله [وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ] للاستعانة به على الاتيان [مِنْ دُونِ اللَّهِ] كما ادّعيتم انّه من غير الله [إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ] فى دعوى الافتراء [بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ] انكروا ما لم يعلموا شبّه العلم الكامل بالشّيء بشيء محاط من جميع جوانبه بحيث لم يشذّ عن المحيط شيءٌ منه، ففيه اشعار بانّ انكار ما لم يعلم بطلانه علماً يقينيّاً عيانيّاً اوبرهانيّاً اوسماعيّاً بتقليد من يعلم صدقه كذلك مذموم، فانكار بعض على من لم يروه موافقاً لعاداتهم ورسومهم وتسميته حميّة للدّين وحفظاً للاسلام و عقائد المسلمين ليس فى محلّه [وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ] يعنى انكروا ما لم يعلموا و ما لم يعاينوا مصاديقه فيشاهدوا بطلانه فهو عطف على لم يحيطوا او على كذّبوا اوحال ، و يجوز ان يكون المراد تهديدهم باتيان مصاديق ما فى القرآن او ما فى اخبار النّبىّ(ص) اومافى الاخبار بولاية علىّ(ع) اوالمراد بما لم يحيطوا بعلمه القرآن او النّبوّة وبتأويله الولاية فانّها مايؤل اليه القرآن والنّبوّة لانّهما صورتاها [كَذَٰلِكَ] التّكذيب من غير علم وعيان [كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ] من الامم السّالفة المعاقبة فى الدّنيا [فَانْظُرْ] بايّاك اعنى و اسمعى ياجارة اوهو (ص) مقصود بالخطاب اصالة وغيره تبعاً والغرض تسليته عن تكذيب قومه وتهديد القوم عن تكذيبه [كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ] اى عاقبتهم والتّعبير بالظّاهر لذمّ آخر [وَمِنْهُمْ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ] عطف على كذّبوا كأنّه قال: بل منهم من يعلم صدقه وينكر عناداً اومنهم من له استعداد التّصديق فيصدّق وينقاد بعد ذلك

و انكاره هذا محض الجهل من غير خبث من ذاته [وَمِنْهُمْ مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهِ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِالْمُفْسِدِينَ] الجاحدين عن علم او بالمفسدين الغير المتوقّعين لايمانهم و وضع الظّاهر موضع المضمر للاشعار بافسادهم وذمّ اخر لهم [وَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ] اعراضاً عن الجاهلين اومتاركة لهم [لِي عَمَلِي] نافعاً كان او ضاراً [وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ] كذلك [أَنْتُمْ بَرِيئُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ] تأكيد للاوّل و لذا ترك العاطف وعكس التّرتيب لانّه تأكيد للمفهوم لاللمنطوق كأنّه قال: لي عملي لا لكم بحسب مفهوم الحصر ولكم عملكم لالي [وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ] ردّاً واستهزاءً، اولسماع المقصود منك [أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ] حال بتقدير القول اوجواب عن سؤال مقدّر كأنّه (ص) قال: فما شأنهم لايسمعون المقصود منّي؟ فقال: شأنهم ان يقال افانت تسمع الصّمّ يعني انّ آذانهم الانسانيّة صمّ عن سماع ما يسمعه الانسان ولاعقل لهم حتّى يمكن الافهام بالاشارة ونحوه فهم كالبهائم ولذا قال [وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْظُرُ إِلَيْكَ] ويشاهد منك بيّنات صدقك و صدق كتابك لكنّهم عمى عن مشاهدة آثار الصّدق و دلالة دوالّه [أَفَأَنْتَ تَهْدِي الْعُمْيَ] الى مشاهدة آثار الرّبوبيّة و الآخرة [وَلَوْ كَانُوا لَا يُبْصِرُونَ] ببصيرة عقليّة يعني ان كان لهم بصيرة يمكن افهام آثار الرّبوبيّة ولو لم يكن بصر لهم لكنّهم عمى وغير ذوى بصيرة والآية كالعلّة للاعراض و المتاركة [إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا] بمنع ما يستحقّونه منهم جواب لسؤال مقدّر كأنّه قيل فالله يمنعهم السّماع ويظلمهم [وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ] بابطال فطرتهم وافساد استحقاقهم وانفسهم مفعول ليظلمون او تأكيد للنّاس [وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ] عطف على محذوف والتّقدير لكنّ النّاس انفسهم يظلمون فى الدّنيا ويوم يحشرهم اومتعلّق باذكر مقدّراً اويتعارفون اوبقد خسر [كَأَنْ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنَ النَّهَارِ] حال من مفعول يحشرهم اوصفة لمصدر محذوف بتقدير العائد اى حشراً كأن لم يلبثوا قبله اومتعلّق بيتعارفون والمقصود انّهم استقلّوا لبثهم فى الدّنيا اوفى القبر لتمثّل الحال الماضية بحيث انّها كأن لم تغب ولذا قيّد بالنّهار [يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ] يعرف بعضهم بعضاً لاستحضارهم الحال الماضية و تمثّلها عندهم [قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ] قالاً كالدّهريّة والطّبيعيّة وكلّ من اقرّ بالمبدء دون المعاد، وحالاً كاكثر من اقرّ بلسانه ولم يساعده حاله وهو جواب سؤال كأنّه قيل: فما كان حال النّاس يومئذ؟ اوحال من فاعل يتعارفون بتقدير العائد، اومتعلّق ليوم يحشرهم، اوابتداء كلام منقطع عمّا قبله والتّعبير بالماضى والحال انّ حقّه الاتيان بالمستقبل على غير الوجه الاخير لتحقّق وقوعه [وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ] ان نرك [بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ] من العذاب والانتقام [أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ] قبل الاراءة [فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ] لايفوتون عنّا فلاتحزن على تأخير الانتقام [ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ] وللتّفاوت بين الاخبارين فى الغرض المسوق له الكلام وهو تسليته ايضاً اتى بثمّ والتفت تجديداً لنشاط السّامع حتّى يتمكّن فى قلبه واشارة الى علّة الحكم كأنّه قال: ان نرك اونتوفّك فلاتحزن لانّ مرجعهم الينا فنجازيهم على سوء اعمالهم على انّ الله شاهد بالفعل على اعمالهم ومحيط بهم [وَلِكُلِّ أُمَّةٍ] من الامم الماضية [رَسُولٌ] من الله اعمّ من الرّسول الموحى اليه اووصيّه وعلى هذا فقوله [فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ] مبتن على تصوير الحال

الماضیة حاضرة اوعلی کون اذا للزّمان الماضی وهذا علی کون الآیة تسلیة للرّسول (ص) بتذکّره (ص) حال الانبیاء الماضین، اولکلّ امّة من الامم الماضیة والآتیة رسول من الله نبیّ اوخلیفته فاذا جاء رسولهم فکذّبوه [قُضِیَ بَیْنَهُمْ] بین الرّسول والامّة اوبین امّة الرّسول (ص) باهلاك الامّة وانجاء الرّسول (ص)، اواهلاك المکذّبین وانجاء الرّسول والمصدّقین، اواذا جاء رسولهم یحاکم بینهم بالحقّ ولم یهملوا کما کانوا من قبل مجیء الرّسول (ص) [بِالْقِسْطِ] بالعدل [وَهُمْ لَا یُظْلَمُونَ] باهلاك المستحقّ للنّجاة و انجاء المستحقّ للهلاك او بالمحاکمة بینهم بهوی النّفس واغراضها، اوالمعنی لکلّ امّة رسول من الانبیاء اوخلفائهم هوشاهد علیهم فاذا جاء رسولهم یوم القیامة للشّهادة علیهم وشهد علیهم قضی بین الامّة بالقسط بادخال من کان اهلاً للجحیم فیها ومن کان اهلاً للنّعیم فی الجنّة، وعن الباقر (ع) تفسیرها فی الباطن انّ لکلّ قرن من هذه الامّة رسولاً من آل محمّد (ص) [وَیَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ] وعد مجیء الرّسول (ص) فی القیامة اووعد العذاب الّذی کان الرّسول یوعد هم به اووعد القیامة الّتی کان الرّسول یذکرها لهم استبطأوا الموعود استهزاءً [إِنْ کُنْتُمْ صَادِقِینَ قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِی ضَرًّا وَلَا نَفْعًا] فکیف املك لغیری اقامة القیامة اوالاتیان بالعذاب [إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ] استثناء من ضرّاً ونفعاً اواستثناء منقطع بمعنی لکن ماشاءالله یقع [لِکُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ] مقولٌ لقوله (ص) اوابتداء کلام من الله وعلی ایّ تقدیر فهو جواب لسؤال مقدّر والمعنی لکلّ امّة من امم الرّسل (ع) مدّة لامهالهم اووقت معیّن لعذابهم [إِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ] ای انقضی مدّتهم او اتی وقت عذابهم بالاهلاك فی الدّنیا او بالعذاب فی الآخرة و اذا جاء اجلهم علی تضمین التّقدیر حتّی لاینافر مع قوله لایستقدمون ای اذا قدّر مجیء اجلهم [فَلَا یَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا یَسْتَقْدِمُونَ] لایتأخّرون ولا یتقدّمون علی وقت الاجل [قُلْ أَرَأَیْتُمْ] من الرّأی بمعنی الاعتقاد [إِنْ أَتَاکُمْ عَذَابُهُ بَیَاتًا أَوْ نَهَارًا] یترائی انّ التّقیید بهما تطویل حیث انّه یستفاد من الاتیان لکنّه اطناب مستحسن لانّه تکمیل لسابقه ورفع لتوهّم اختصاص العذاب بالاتیان فی وقت مخصوص فالمقصود من ذکر الظّرف اطلاق الحکم لا تقییده [مَاذَا] ایّ شیءٍ اوماالّذی [یَسْتَعْجِلُ مِنْهُ] من العذاب [الْمُجْرِمُونَ] وضع الظّاهر موضع المضمر اشعاراً بعلّة التّهویل والانکار وتفضیحاً لهم بذمّ آخروالاستفهام الاوّل علی حقیقته للاستخبار بحسب اصل المعنی وانّا فهومع الفعل بمعنی اخبرونی والاستفهام الثّانی للانکار والتّهویل متعلّق بأرایتم والفعل معلّق بسبب الاستفهام و المعنی اخبرونی بجواب هذا السّؤال وجملة الشّرط محذوفة الجواب معترضة بینهما وهذا انکار لاستعجالهم العذاب المستفاد من قولهم: متی هذا الوعد؟ [أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ] الاستفهام مع العاطف علی التّقدیم والتّأخیر والاستفهام للتّقریر والاتیان بثمّ للتّفاوت بین الاستفهامین فانّ الاوّل للانکار والثّانی للحمل علی الاقرار والمعنی اثمّ اذا ما وقع العذاب حین ظهور القائم (ع) فی الکبیر اوالصّغیر اوحین الموت اوحین بأس علیّ (ع) بعد محمّد (ص) وقد اشیر الی الکلّ فی الاخبار [آمَنْتُمْ بِهِ آلْآنَ] تؤمنون بتقدیر القول ای یقال: آلآن جملة مستأنفة اومقولاً لهم آلآن مفرداً حالاً [وَقَدْ کُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ] استهزاء لعدم اعتقادکم به [ثُمَّ قِیلَ لِلَّذِینَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا کُنْتُمْ تَکْسِبُونَ وَیَسْتَنْبِئُونَكَ أَحَقٌّ هُوَ] العذاب

اوولاء علىّ (ع) كما فى الاخبار [قُلْ إِى وَرَبِّى إِنَّهُ لَحَقٌّ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ] جاعلين الله اوعليّاً (ع) عاجزاً عن نفاذحكمه [وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ] فى حقّ الله اوحقّ محمّد (ص) وآل محمّد (ص) [مَا فِى الْأَرْضِ لَافْتَدَتْ بِهِ] عن نفسه من هول العذاب و شدّته [وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ] كراهة شماتة الاعداء كما فى الخبر اوخوف اطّلاع ملائكة العذاب او اطّلاع الله على ندامتهم النّاشئة عن اعترافهم بالظّلم فانّهم يحلفون لله كما يحلفون لكم على انكار الظّلم والذّنب [لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَقُضِىَ بَيْنَهُمْ] بين المؤمنين والمنافقين او بين الظّالمين و المظلومين [بِالْقِسْطِ] باعطاء كلّ ذى حقّ حقّه وكلّ ذى عقوبة عقوبته [وَهُمْ لَايُظْلَمُونَ] بمنع الحقّ و عقوبة غير المستحقّ و بنقص الحقّ و زيادة العقوبة [أَلَا إِنَّ لِلَّهِ] مبدءً و مرجعاً وملكاً [مَا فِى السَّمَوَاتِ وَ الْأَرْضِ] فيفعل ما يشاء بمن يشاء من غير مانعٍ من حكمه ولارادّ من فعله [أَلَا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ] بالعذاب والثّواب [حَقٌّ] لاخلف فيه من قبله كما لامانع له من غيره ولمّا كان الجملتان لتسجيل عقوبة المنافقين وكان التّأكيد بعد ذمّهم مطلوباً اتى فى الجملتين باداة الاستفتاح و مؤكّدات الحكم [وَ لَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَايَعْلَمُونَ] ليس لهم صفة العلم، فانّ العلم هو الادراك الّذى يحرّك صاحبه من السّفل الى العلو، وبعبارة اخرى هو الادراك الّذى يحصل لصاحبه حالكونه فى السّلوك الى الله ولا محالة يشتدّ كلّ يوم وكلّ آن ويستلزم ذلك الادراك العمل بموجبه وحصول علم آخرله بآخرته ويحصل له ازدياد علمٍ بالله و قدرته و احاطته ، وهذا العلم غير حاصل لمن انكر الآخرة قالاً كاهل بعض المذاهب اوحالاً كاكثر المنتحلين للملل الحقّة فهم غيرعالمين وان كانوا عالمين بجميع الفنون والصّناعات، وللغفلة عن حقيقة العلم سمّى ادراكاتهم اشباه النّاس علوماً؛ وفى الخبر قد سمّاه اشباه النّاس عالماً وقد حقّقنا ذلك فى اوّل البقرة عند قوله: لبئس ماشروا به انفسهم لو كانوا يعلمون و فى الرّسالة المسمّاة بسعادت نامه، وعلى هذا فالتّقييد بالاكثر للاشعار بانّ اقلّهم ما ابطلوا علمهم الفطرىّ الّذى اعطاهم الله وبقى فيهم شيءٌ منه محجوباً احتجاباً عرضيّاً [هُوَ يُحْيِى وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ] تأكيد لقوله انّ لله ما فى السّماوات و الارض و لذا لم يأت بالعاطف او جواب لسؤال مقدّر او حال و الاحياء والاماتة اشارة الى مالكيّته والرّجوع اليه اشارة الى مرجعيّته [يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ] دعوة من الشّرور الى الخيرات [مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِى الصُّدُورِ] من وساوس الشّيطان ولمّات النّفس واهويتها لمن استشفى به [وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ] والمراد القرآن فانّه موعظة وشفاء وهداية ورحمة اطلق الاوّلين لانّ الموعظة عامّة لمن اتّعظ ومن لم يتّعظ وكذا الشّفاء لكن لاينتفع بهما الّا من اتّعظ واستشفى، وقيّد الثّانيين لاختصاصهما بالمؤمنين وعدم تعلّقهما بغيرهم وحقيقة الموعظة هى الرّسالة واحكامها التعلّقها بالقوالب والظّواهر وعمومها لكلّ الخلق ، وحقيقة الشّفاء النّبوّة لتعلّقها بالصّدور وعمومها ايضاً وحقيقة الهدى و الرّحمة الولاية لانّ الرّسالة والنّبوّة سبب لايقاظ الخلق من الغفلة وتنبيههم على الحيرة والضّلالة ليس فيهما من حيث انفسهما هداية ولارحمة، والولاية سبب لاراءة الطّريق وايصال الضّالّ المتحيّر بعد تنبّهه بضلاله وتحيّره الى الطّريق ، وبعد الوصول الى الطّريق موجبة لنزول الرّحمة آناً فآناً عليه ، ولمّا كان القرآن صورة للكلّ صحّ جعل الاوصاف كلّها اوصافاً له فصحّ التّفسير بالقرآن ، كما صحّ جعل الاوصاف لموصوفاتٍ متعدّدة كماذكرنا والتّفسير بها

[قُلْ] تبجّحاً و سروراً [بِفَضْلِ اللهِ وَبِرَحْمَتِهِ] قد مرّ مراراً انّ فضل الله هو الرّسالة والنّبوّة اللّتان هما صورة الولاية والرّحمة هى الولاية ، و لمّا كان النّبوّة والولاية من شؤن النّبىّ (ص) والولىّ (ع) و متّحدتان معهما صحّ تفسيرهما بمحمّد(ص) وعلىّ(ع) [فَبِذٰلِكَ] الفاء للعطف واسم الاشارة اشارة الى المذكور من الفضل والرّحمة ولمّا كان التّبجّح مقتضيا لتطويل ما يتبجّح به وتكريره والمبالغة فيه اتى بالفاء العاطفة لما بعدها على مغاير الدّالة على تعقيب ما بعدها لما قبلها بين المتّحدين اشارة الى انّ ما بعدها وان كان متّحداً مع ماقبلها لكنّه مغاير له باعتبار المبالغة والاشتداد فى الدّاعى للكلام ، وهو التّبجّح او الغرض المسوق له الكلام وهو ايضاً فرح المبشّرين فكأنّه عطف مغايراً بالذّات ولذلك الاقتضاء كرّر الجارّ [فَلْيَفْرَحُوا] هذه الفاء امّا زائدة او بتوهّم امّا او بتقديره او عاطفة على محذوف مفسّر بما بعدها وهو ابلغ كلام فى الدّلالة على اشتداد تبجّح المتكلّم وعلى المبالغة فى المقصود [هُوَ] اى المذكور من الفضل والرّحمة واتى باسم الاشارة والضّمير مفردين للاشارة الى اتّحادهما حقيقة [خَيْرٌ مِمّا يَجْمَعُونَ] من صورة القرآن فانّهما ممّا يجمعونه بايديهم ثمّ يقولون هو من عندالله وما هو من عندالله لجمعهم اياّها و تصرّفهم فيها بآرائهم الفاسدة بخلاف الفضل والرّحمة فانّهما لا قدرة لهم على التّصرّف فيهما لانّهما ممّا لايمسّه الّا المطهّرون او ممّا يجمعون من حطام الدّنيا [قُلْ أَرَأَيْتُمْ مٰا أَنْزَلَ اللهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ] ما استفهاميّة للتّعجيب اشارة الى شرافته وعظمته فى نفسه ومن حيث انتسابه الى الله والى كثرته وتوطئة لذمّ التّصرّف فيه بالاهواء وحينئذٍ فأرأيتم استفهام واستخبار مستعمل بمعنى اخبرونى كسابقه اوهو بمعنى أعلمتم والاستفهام للتّعجيب اوللانكار اوللتّقرير وقوله الله اذن لكم يكون مستأنفاً اولفظة ما شرطيّة وقوله : فجعلتم جزاءه بتقدير قد على القول بلزوم قد فى الجزاء اذا كان ماضياً لفظاً ومعنىً ولذا دخل الفاء وأرأيتم حينئذٍ بمعنى اخبرونى اوللتّعجيب اوللانكار التّوبيخىّ ، وعلى التّقادير فالفعل معلّق عن جملة ما انزل الله اولفظة ما موصولة مفعولاً اوّلا لرأيتم والمفعول الثّانى محذوف اى كذلك او ء آلله اذن لكم والفعل معلّق عنه و لفظة قل تأكيد للفظ قل الاوّل ، والمراد بانزال الرّزق فى الرّزق الصّورىّ النّباتىّ انزال اسبابه وفى الرّزق المعنوىّ الانسانىّ انزال حقيقته ، فانّ رزق الانسان وهو العلوم والاخلاق الحسنة تنزل بحقائقها من سماوات الارواح ولفظ لكم للاشعار بانّ الغرض انتفاعكم ومن الانتفاع يستنبط حلّيّته [فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرٰاماً وَحَلٰالاً] بما اسّستم بجعلكم من حرمة بعض الانعام مطلقاً وحرمة بعضها على بعض من افراد الانسان و حرمة شيء من الحرث وغير ذلك وبما تقوّلتم من عند انفسكم من حرمة علم انتم جاهلوه لكونكم اعداءً لما تجهلون ، كتحريم بعض المتشبّهين بالفقهاء و منعه عن مثل علم الكلام والهيئة ، وكمنع المتفلسفة عن الحكمة الحقيقيّة والعلوم الشّرعيّة ما سوى اصطلاحاتهم واقيستهم المأخوذة من اسلافهم ، وكتحريم المتصوّفه ماسوى مأخوذاتهم من اقرانهم ، وامّا العالم الحقيقىّ فانّه لجامعيّته لا يقول بحرمة شيء من ذلك بل يقول بحلّيّة الجميع بشرط كون الأخذ على اتّباع وتقليد من الانبياء(ع) واوصيائهم ونوّابهم وكان الأخذ باذن منهم فيقول : جملة العلوم اذا اخذت من أهلها وعلى وجهها فهى محلّلة و اذا لم تؤخذ من اهلها او لا على وجهها فهى محرّمة ، و يقول الحلال ما احلّه الله والحرام ماحرّمه الله والمبيّن هو النّبىّ (ص) اومن كان مأذوناً منه بلاواسطة اوبواسطة ، فانّ الاذن والاجازة كما يصحّح العمل

يصحّح العلم ويجعل الظنّ قائماً مقام العلم بل اشرف منه كما مضى؛ ولذلك قال تعالى [قُلْ ءآللّٰهُ أَذِنَ] بلا واسطة او بواسطة [لَكُمْ] فى التّحليل والتّحريم بأىّ نحوٍ شئتم اوفى خصوص تحليل أشياء خاصّة وتحريم اشياء خاصّة والاذن اعمّ من ان يكون بتكليم الله بلا واسطة اوبواسطة الملك وحياً اوتحديثاً اوبواسطة خلفائه البشريّة [أَمْ عَلَى اللّٰهِ تَفْتَرُونَ] فى ادّعاء الاذن اوفى نسبة التّحليل والتّحريم الى الله، ولمّا كان الحلال ما احلّه الله والحرام ما حرّمه الله لاغير فمن قال بالتّحليل والتّحريم باذن الله فحلاله حلال الله وحرامه حرام الله، ومن لم يقل باذن الله فتحليله وتحريمه افتراء على الله سواء ادّعى الاذن فى ذلك وقال برأيه اوادّعى نسبة ذلك الى الله وادّعى أنّه مبيّن لحكم الله او لم يدّع شيئاً من ذلك، لانّه قال فيما هو مختصّ بالله والقول فيما هو مختصّ بالله لايكون الّا من ادّعاء الاذن فيه اوادّعاء نسبته اليه تعالى وانّه مبيّنه فالمنفصلة حقيقيّة، فاذا كان عدم الاذن معلوماً فالافتراء محقّق ولذا عقّبه بتهديد المفترين، فمن ادّعى تبليغ الاحكام القالبيّة كما هو شأن علماء الشّريعة رضوان الله عليهم اوتبليغ الاحكام القلبيّة كما هو شأن علماء الطّريقة رضوان الله عليهم ولم يكن مأذوناً من الله بواسطة خلفائه كان مفترياً ومصداقاً لقوله تعالى: ولوتقوّل علينا بعض الاقاويل لاخذنا منه باليمين ثمّ لقطعنا منه الوتين، ولذا كانت سلسلة الاجازة منضبطة متّصلة من لدن آدم (ع) الى الخاتم (ص) وبعده الى زماننا هذا بين الفقهاء رضوان الله عليهم ومشايخ الصّوفيّة [وَمَا ظَنُّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللّٰهِ الْكَذِبَ يَوْمَ الْقِيٰمَةِ] ظرف مستقرّ حال من لفظة ما فانّه مفعول للظّنّ معنىً و فى معنى الحدث، واما تعلّقه بالظّنّ فانّه يفيد خلاف المقصود لانّ المقصود تهديدهم على اعتقادهم الحاصل المستتبع لاعمال منافية لاعتقاد الجزاء يوم القيامة، وتعلّقه بيفترون ايضاً مفسد للمعنى والمعنى، اىّ جزاءٍ مظنون الّذين يفترون على الله حالكونه ثابتاً يوم القيامة؟ اوظرف لغو بتقدير فى اوالّلام ومتعلّق بالظّنّ اوبيفترون والمعنى، اىّ شيءٍ ظنّ الّذين يفترون فى حقّ يوم القيامة اوليوم القيامة ؟ وقرئ ظنّ بلفظ الماضى وهذه الكلمة فى المبالغة والتّشديد فى التّهديد صارت كالمثل فى العرب والعجم، ولمّا بالغ فى التّهديد فى المتصرّفين بآرائهم فى احكام الله وقل من ينفكّ عن التّصرّف فى احكام الله قالاً اوحالاً فى الصّغير او فى الكبير وصار المقام قريباً من مقام اليأس والمطلوب مزج الخوف مع الرّجاء حتّى لايترك العاصى الاستغفار ولايغترّ الرّاجى، فرض سؤالاً عن فضله تعالى ورحمته فأجاب بقوله [إِنَّ اللّٰهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النّٰاسِ وَلٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لٰا يَشْكُرُونَ] ما يتفضّل به عليهم وبعضهم يكفرون والاقلّ منهم يشكرون [وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ] الشّأن عبارة عن مراتب الانسان ومقاماته الحاصلة فى الكامل والمكمونة فى النّاقص والاحوال الطّارية له بحسب مقاماته [وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ] من الكتاب او من الشّأن او من الله [مِنْ قُرْءٰنٍ] تخصيص الخطاب فى هاتين الفقرتين به (ص) لاختصاص تلاوة القرآن من الله اومن الشّأن واختصاص ابتداء التّلاوة من الكتاب واختصاص الاستشعار بالشّؤن والمراتب به بخلاف العمل [وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ] تشريك للخطاب اوصرف للخطاب عنه (ص) اليهم لانّ شهود اعماله الجليّة مستفاد من شهود شؤنه الخفيّة [إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ] تخوضون [فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ] ومايفقد [عَنْ رَبِّكَ] عن تصرّفه اوعن علمه اوعن ذاته [مِنْ] ذات [مِثْقٰالِ ذَرَّةٍ] على الاولين اومن علم مثقال ذرّة على الاخير، والذّرّة النّملة الصّغيرة ومائة منها زنة حبّة من الشّعير [فِي الْأَرْضِ] تقديم الارض لكونها اهمّ فى مقام بيان سعة علمه لانّ الارض ابعد الاشياء منه ومافيها اخفى الاشياء لانّ كلاًّ منها فى الغيبة ٦٠

بالنّسبة الى غيره بخلاف السّماء والسّماويّات سواء اريد بها سماء عالم الطّبع اوسماوات الارواح [وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَٰلِكَ وَلَا أَكْبَرَ] لمّا كان المقام للمبالغة فى سعة علمه كان التّأكيد و التّكرير مطلوباً و لذا اكّد مثقال ذرّة فانّه صار كالمثل اذا وقع بعد النّفى فى المبالغة فى الشّمول ولااصغر مع ما بعده جملة معطوفة على جملة مايعزب ولا لنفى الجنس مركّبة مع اسمها و [إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ] خبرها ومن قرأ بالرّفع فلا عاملة عمل ليس اوملغاة عن العمل بالتّكرير، ويحتمل العطف على لفظ مثقال على قراءة الفتح وعلى محلّه على قراءة الرّفع وحينئذٍ يكون الاستثناء منقطعاً [أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ] جواب لما ينبغى ان يسأل عنه من انّه هل يبقى احد بلا خطر [لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ] قد مضى بيان الخوف والحزن ووجه انتفائهما عن الاولياء ووجه اختلاف المتعاطفين فى طريق التّأدية [الَّذِينَ آمَنُوا] بالبيعة الخاصّة وقبول الدّعوة الباطنة والدّخول فى امر الائمّة ودخول الايمان فى قلوبهم لا من قبل الدّعوة الظّاهرة وبايع بالبيعة العامّة النّبويّة ودخل فى الاسلام من دون الدّخول فى الايمان [وَكَانُوا يَتَّقُونَ] غيّر الاسلوب للاشارة الى انّ الايمان امر يحصل بمحض البيعة الولويّة و امّا التّقوى الخاصّة فهى لابدّ منها الى تمام مراتب الفناء و الحشر الى الرّحمن بحيث تصير للمؤمن كالسّجيّة والموصول امّا صفة بيانيّة لاولياء الله ولذا اخّره عن الخبر اوخبر لمبتدء محذوف اومنصوب بفعل محذوف او مبتدء خبره [لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ] اعلم ، انّ الولىّ يطلق على معانٍ منها المحبّ والصّديق و القريب بمعنى ذى القرابة والقريب ضدّ البعيد و منها النّصير والولىّ فى التّصرّف بمعنى الاولى بالتّصرّف والسّلطان والمالك ، وولىّ الله قد يطلق ويراد به من قبل الدّعوة الباطنة ودخل الايمان فى قلبه بالبيعة الخاصّة الولويّة باعتبار الصّنف الاوّل من معانيه ، وقد يطلق ويراد به الولىّ من الله باعتبار الصّنف الثّانى من معانيه و الاولياء بالاطلاق الثّانى هم الانبياء واوصياؤهم الكاملون المكمّلون ، وبالاطلاق الاوّل شيعتهم واتباعهم الّذين قبلوا ولايتهم ، ولهم مراتب من اوّل دخولهم فى الايمان وتدرّجهم فى مدارج التّقوى والايقان الى ان انتهوا فى التّقوى الى فنائهم من ذواتهم بحيث تحقّقوا فى المحبّة وكانوا لافرق بينهم و بين حبيبهم وكلّما ازداد مراتب تقواهم ومحبّتهم كان اطلاق الاولياء عليهم اولى، ولذلك اختلف الاخبار فى تفسير اولياء الله وكذا فى تفسير بشريهم فى الدّنيا بانّها الرّؤيا الحسنة الّتى يراها المؤمن اويراها غيره له وبأنّها تحديث الملائكة مطلقاً اوتبشيرهم عند الموت اوتبشير محمّد(ص) وعلىّ(ع) لهم عند الموت [لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ] تأكيد لتحقّق البشرى لهم [ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ] اى كونهم مبشّرين مع عدم تبدّله [وَلَا يَحْزُنْكَ قَوْلُهُمْ] فيك و فى اتباعك و هو عطف على مقدّر تقديره اذا كان الاولياء(ع) يعنى انت واتباعك حالهم هكذا فلاتبال بالمكذّبين ولا يحزنك قولهم [إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا] تعليل للنّهى [هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ] جواب سؤال كأنّه قيل : هل يسمع اقوالهم ويعلم احوالهم ؟- فأجاب بالحصر [أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ] تأكيد لعزّته ولذا لم يأت بالعاطف واكّده وتمهيد بمنزلة التّعليل لقوله [وَمَا يَتَّبِعُ الَّذِينَ مِنْ دُونِ اللَّهِ شُرَكَاءَ إِنْ يَتَّبِعُونَ] تأكيد للاوّل على ان يكون مانافية وقوله [إِلَّا الظَّنَّ] استثناء من مايتّبع اوقوله ان يتّبعون مستأنف

والاستثناء منه ومافى مايتّبع استفهاميّة اوموصولة معطوفة على من فى السّماوات اونافية والمفعول محذوف اى ما يتّبعون حجّة وبرهاناً [وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ] يكذبون اويقولون بالظّنّ وعليه فالاوّل لبيان انّ فعلهم عن الظّنّ و الثّانى لبيان انّ قولهم عن الظّنّ و قد مضى انّ ادراك النّفس للاشياء يسمّى ظنّاً سواء كان شهوداً اويقيناً اوظنّاً لكون معلومها مغاير لادراكها كالظّنّ ، فانّه مغاير للمظنون على انّها لكونها سفليّة ادراكها للاشياء يكون على غير وجهها وعلى غير ماهى عليه ، فادراكها لها امّا مخالف لما هو واقعها عند النّفوس فهو خرص وكذب او موافق لما هو واقعها عندها لكن لاعلى وجهها وعلى ماهى عليه فهو ظنّ لانّ شأنه ان لايكون ادراكاً محاطاً للمدرك على ما هو عليه [هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ] لانتفاعكم [اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا] عن متاعب النّهار وكدّ طلب المعاش [فِيهِ وَالنَّهارَ مُبْصِراً] لتطلبوا اسباب معيشتكم وحقّ العبارة ان يقول و النّهار لتطلبوا فيه معايشكم بذكر ماهو غاية له مطابقاً لذكر غاية اللّيل، لكنّه اكتفى عن ذكر الغاية بذكر سببها افادة لها مع سببها وغيّر الاسلوب اشعاراً بسببيّة النّهار للابصار، لانّه اسنده الى النّهار بطريق المجاز العقلىّ فأفاد الغاية وسببها وسبب سببها باوجز لفظ وهو مبصراً، وتقديم اللّيل مع كون النّهار اشرف من وجوه عديدة لكونه عدميّاً مقدّماً بالطّبع على الوجودىّ الحادث ولكونه بحسب التّأويل مقدّماً بالزّمان وبالطّبع فى سلسلة الصّعود الّتى هى من مراتب وجود الانسان ، ولانّ المقام مقام تعداد النّعم والاهتمام باللّيل فى عدّة من النّعم اكثر لانّهم يعدّونه زوال النّعمة وبعد ماأسلفنا لك لايخفى عليك تعميم اللّيل والنّهار [إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَآيٰاتٍ] عظيمة حيث انّ موالید عالم الطّبع موقوفة عليهما وعلى اختلافهما بالزّيادة والنّقيصة والبرودة و الحرارة و الظّلمة والاستنارة ففى خلقهما للمتدبّر آيات كثيرة دالّة على كمال قدرة الصّانع وعلمه وحكمته وفضله ورحمته [لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ] ينقادون فانّه يكفى فى ادراك آياتهما الانقياد للنّبىّ (ص) اوالامام (ع) وان لم يحصل بعد للمنقاد قلب اوعقل، واستعمال السّماع والاستماع فى الانقياد كثير/[قٰالُوا اتَّخَذَ اللّٰهُ وَلَداً] بعد ماذكر سعة ملكه وانّ الكلّ مملوكون له وانّ اللّيل والنّهار الّذين هما عمدة اسباب دوران العالم وتعيّش مافيه مجعولان له غير قديمين، كما يقوله الدّهريّة والطّبيعيّة وغير مجعولين لغيره ذكر قولهم النّاشى من غاية حمقهم ، من انّ الله اتّخذ لنفسه ولداً تسفيها لرأيهم حيث انّ اتّخاذ الولد بنحو التّوالد كما زعموه لا يكون الّا من المحتاج المحاط بالزّمان و المكان و هو تعالى فوقهما وجاعلهما [سُبْحٰانَهُ هُوَ الْغَنِيُّ] تعليل لنفى الولد ولانكار قولهم المستفاد من التّسبيح [لَهُ مٰا فِي السَّمٰاوٰاتِ وَمٰا فِي الْأَرْضِ] تعليل للغنى [إِنْ عِنْدَكُمْ مِنْ سُلْطٰانٍ بِهٰذٰا] ما عندكم حجّة مع هذا القول او ملصق بهذا القول بعد ماردّ قولهم بعدم جواز الولد له سبحانه ردّه بعدم الحجّة لهم اشعاراً بلزوم امرين فى صحّة القول بشيء احدهما امكان ذلك الشّيء فى نفسه والثّانى وجود حجّة للقائل على قوله وبانتفاء كلّ من الامرين يكون ذلك القول كذباً، ولذا وبّخهم على محض قولهم من غير علم وحجّة من دون التّعرّض لعدم جواز هذا القول على الله بقوله [أَتَقُولُونَ عَلَى اللّٰهِ مٰا لٰا تَعْلَمُونَ/قُلْ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللّٰهِ الْكَذِبَ] قولاً مخالفاً للواقع اوقولاً بلاحجّة سواء كان مخالفاً ام موافقاً [لٰا يُفْلِحُونَ] لانّ الافتراء لا يكون الّا عن حكومة النّفس و الشّيطان و محكومهما من حيث انّه محكومهما لاسبيل للنّجاة له غاية ما يترتّب على محكوميّته وافترائه انّه يتمتّع فى الدّنيا بمازيّنه النّفس والشّيطان

له ولذلك قال ذلك الافتراء [مَتَاعٌ] اى سبب تمتع [فِى الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ] تمهيد للتهديد [ثُمَّ نُذِيقُهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ] تذكيراً و تهديداً لهم و تسلية لنفسك فى تكذيبهم [نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي] بمعنى الاقامة او القيام او مكان القيام [وَتَذْكِيرِي بِآيَاتِ اللَّهِ] والمقصود انه ان كان كبر عليكم كونى فيكم بالدعوة فتريدون اجلائى اودفعى عن الدعوة اواهلاكى [فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ] اجمعت الامر وعليه وجمعت عليه عزمت كأنّ الامر قبل العزم كان متفرّقاً وبالعزم تجمّعه وقرئ فاجمعوا من الثلاثى المجرّد [وَشُرَكَاءَكُمْ] قرئ بالضمّ عطفاً على ضمير الفاعل وقرئ بالنصب عطفاً على امركم بلحاظ اصل معنى الجمع او مفعولاً معه او مفعولاً لمحذوف تقديره و ادعوا شركاءكم و تحدّى معهم استظهاراً بالله و اطميناناً بنصرته [ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً] يعنى تدبّروا غاية التدبّر فى اجماع الامر حتى لا يبقى ضرّه ونفعه مستوراً عليكم او لا يصير عاقبته وبالاً وغماً لكم [ثُمَّ اقْضُوا] اقضوا الامر المعزوم عليه [إِلَيَّ وَلَا تُنْظِرُونِ فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ] بتضرّركم بدنياكم [فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ] يعنى ان توليتم لكذبى وافترائى فقد تحدّيت فى غاية الاطمينان والكاذب لا يتحدّى كذلك وان توليتم لتضرّركم بدنياكم فما سألتكم من اجر فلاوجه لتوليكم لامن جهة الدنيا ولامن جهة الآخرة [إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ] المنقادين لحكمه [فَكَذَّبُوهُ] بعداتمام الحجّة كما كذبوه فى اول الدعوة [فَنَجَّيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ] من اذى قومه اومن الغرق [وَجَعَلْنَاهُمْ خَلَائِفَ] فى الارض لنفسى او للهالكين [وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَانْظُرْ] حتى تتسلّى و تطمئنّ بنصرتنا [كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنْذَرِينَ ثُمَّ بَعَثْنَا] عطف باعتبار المعنى ومفاد المحكىّ كأنه قال: بعثنا نوحاً الى قومه ثم بعثنا [مِنْ بَعْدِهِ رُسُلاً إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءُوهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ] المعجزات الدالّات على صدقهم اواحكام النبوّة المتعلّقة بالقالب دون القلب فانها تسمّى بالبيّنات كما انّ احكام القلب تسمّى بالزبر [فَمَا كَانُوا] ثابتين [لِيُؤْمِنُوا] يعنى ماكان فى سجيّتهم قوّة الايمان فكيف بفعليته [بِمَا كَذَّبُوا بِهِ] بالرسالة التى كذبوها [مِنْ قَبْلُ] اى من قبل ان يبلغوا اوان الرشد وجواز وصول دعوة الرسالة اليهم ، اومن قبل هذا العالم فى عالم الذرّ، اومن قبل زمانهم باعتبار تكذيب اسلافهم للرسل [كَذَلِكَ] الطبع الذى طبعناه على قلوبهم [نَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِ الْمُعْتَدِينَ] تهديد لمكذبى قومه (ص) [ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَى وَهَارُونَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَائِهِ بِآيَاتِنَا] التسع [فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ] تفصيل لاجمال استكبارهم و لذلك عطف بالفاء [مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ مُبِينٌ قَالَ مُوسَى أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ] انه سحر بحذف المفعول اوتعيين الحقّ والاستفهام للانكار [أَسِحْرٌ هَذَا] انكار لكونه سحراً [وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ] حال على جواز الواو فى الحال المبدوّة بالمضارع المنفىّ بلا، اوبتقدير مبتدء [قَالُوا أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا] لتصرفنا

[عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا الْكِبْرِيَاءُ فِي الْأَرْضِ] اى السّلطنة فى ارض مصر [وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ] تصريح بمااشعروا به فى ضمن انكار صرفهم و كبريائهما من عدم انقيادهم لهما [وَقَالَ فِرْعَوْنُ ائْتُونِي بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ] ماهرٍ [فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ] و امرهم فرعون باتيان السّحر و دبّروا ما دبّروا وتهيّؤا لمعارضة موسى (ع) [قَالَ لَهُمْ مُوسَى] بعد ما خيّروه واختار موسى تقديمهم [أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ فَلَمَّا أَلْقَوْا قَالَ مُوسَى مَا جِئْتُمْ بِهِ السِّحْرُ] ما مبتدأٌ وجئتم به صلته والسّحر خبره ، وقرئ السّحر بهمزة الاستفهام وحينئذٍ يكون مااستفهاميّة وجئتم به خبره والسّحر بدله والمعنى على الاوّل ما جئت به آلهيٌّ وماجئتم به بشريٌّ مبنيّ على الاعمال الدّقيقة الخفيّة او شيطانيّ مبنيّ على تمزيج القوى الارضيّة مع الارواح السّفليّة [إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ وَيُحِقُّ اللَّهُ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ] التكوينيّة من الآيات والمعجزات ولا سيّما الكلمات التّامّات من الانبياء والاوصياء [وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ فَمَا آمَنَ لِمُوسَى إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِنْ قَوْمِهِ] اى جمع قليل من شبّان قوم موسى لقلّة مبالاتهم بتهديد فرعون او من قوم فرعون بمقتضى شبابهم حالكون هؤلآء الشّبّان مع جرأتهم و عدم مبالاتهم مشتملين [عَلَى خَوْفٍ مِنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَائِهِمْ أَنْ يَفْتِنَهُمْ] يعذّبهم بالبلايا بدل من فرعون و ملائهم اومفعول الخوف او بتقدير لام التّعليل وجمع الضّمير فى ملائهم امّا لتعظيم فرعون اولانّ المراد من فرعون هووخواصّه فانّه كثيراً مايطلق اسم الرّئيس ويراد به الرّئيس واتباعه، اوباعتبار رجوعه الى الذرّيّة سواء فسّر بذرّيّة من قوم موسى (ع) او من قوم فرعون وعلى هذا يجوز ان يكون مفعول يفتنهم هو الملأ وعلى غير هذا الوجه فافراد الضّمير فى يفتنهم للاشعار بانّ الخوف من ملأه كان بسببه وانّ الملأ كانوا لاحكم لهم بالاستقلال [وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ] لقاهر غالب عطف باعتبار المعنى كأنّه قال انّه ليفتنهم وانّه لعالٍ اوحال ووضع الظّاهر موضع المضمر للاشعار بعلّة العلوّ لانّ اسم فرعون كان من القاب ملك مصر [وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ] اكتفى بالضّمير لانّ الاسراف لايتوقّف على السّلطنة والمراد الاسراف فى تعذيب قوم موسى (ع) [وَقَالَ مُوسَى] بعد ما رأى تعذيب فرعون لمن آمن به واضطرابهم من خوفه تسلية لهم وتقوية لقلوبهم بالتّوكّل على القادر القوىّ [يَا قَوْمِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ] انى باداة الشّكّ اشعاراً بانّ الخوف والاضطراب يورث الشّكّ فى الايمان اواداة الشّكّ للتّهييج [فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا] لانّ الايمان يقتضى معرفته بانّه عليم بصير قادر رحيم بالمؤمنين و ذلك يقتضى التّوكّل [إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ] منقادين جزاؤه محذوف بقرينة السّابق والتّقدير ان كنتم منقادين فان كنتم مؤمنين بالبيعة العامّة اوالخاصّة فعليه توكّلوا يعنى انّ التّوكّل يقتضى امرين الانقياد والايمان بالبيعة العامّة النّبويّة اوبالبيعة الخاصّة الولويّة [فَقَالُوا] اجابة له [عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا] متضرّعين قائلين [رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً] سبب فتنة وشقاء [لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ] بان يبلغوا باستعبادنا وتعذيبنا غاية الغرور والشّقاء يعنى لواردت بلوغهم غاية الشّقاء فاجعل سببه غير عذابنا، اوالمراد لاتجعلنا محلّاً لفتنتهم وعذابهم لنا [وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ] وضع الظّاهر موضع المضمر

للاشعار بذمّهم بجمعهم بين الكفر والظّلم [وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا] ان اتّخذا لهم [بِمِصْرَ بُيُوتًا] مبوّءً و مرجعاً يرجعون-وقت العبادة اليها [وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ] المبنيّة للعبادة [قِبْلَةً] تتوجّهون اليها وقت العبادة باقامة عبادتكم فيها او بتوجّهكم وقت عبادتكم نحوها [وَأَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ] فيها اواليها ، وفى الاخبار ما يشعر بانّ البيوت المأمور باتّخاذها كانت مساجدهم وكانوا يجتمعون وقت العبادة اليها [وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ] باجابة دعوتهم ونجاتهم ووراثتهم لملك مصر فى الدّنيا والجنّة فى الآخرة، فى الخبر: انّ رسول الله (ص) خطب النّاس فقال ايّها النّاس انّ الله عزّوجلّ امر موسى (ع) وهارون (ع) ان يبنيا لقومهما بمصر بيوتاً وامرهما ان لا يبيت فى مسجد هما جنب ولا يقرب فيها النّساء الّا هارون وذرّيّته ، وانّ عليّاً (ع) منّى بمنزلة هارون من موسى فلا يحلّ لاحد ان يقرب النّساء فى مسجدى ولا يبيت فيه جنباً الّا علىّ (ع) وذرّيّته فمن ساءه ذلك، فههنا، وضرب بيده نحو الشّام [وَقَالَ مُوسَىٰ] متبتّلاً الى الله داعياً على فرعون وقومه [رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً] من الحلىّ و الملابس و المساكن و اثاثها و المراكب [وَأَمْوَالًا] من الذّهب والفضّة والضّياع و الخيل والبغال والغنم والجمال [فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا] تكرار النّداء لاقتضاء التّضرّع وحالة الدّعاء والمحبّة ذلك [لِيُضِلُّوا] النّاس [عَنْ سَبِيلِكَ] بطموح نظرهم الى الاعراض الفانية واتّباع من وجدوها فى يده [رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَىٰ أَمْوَالِهِمْ] حتّى لا يفتتن النّاس بهالهم والطّمس المحق والافناء اصلاً [وَاشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ] اوثق حبال القساوة على قلوبهم [فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ] عند الاحتضار ولا يؤمنوا مجزوم بلا اومنصوب بان مقدّرة دعاء عليهم بشدّ القلوب وعدم الايمان بعد ما علم انّهم لاخير فيهم ويئس من ايمانهم [قَالَ قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمَا] ورد انّه كان بين دعائه (ع) ووعد اجابته وبين اخذ فرعون وقومه اربعون سنة [فَاسْتَقِيمَا] فيما انتما عليه من الدّعوة ولا تضطربا بتأخير الوعد كالجهلة، والاستقامة فى الامر عبارة عن التّمكّن فيه بحيث لا يخرجه منه مخرج [وَلَا تَتَّبِعَانِّ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ] سبيل الجهلة من عدم الثّبات على امر [وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ] اتبع بمعنى تبع او بمعنى جعل غيره تابعاً اى تبعهم اواخرج النّاس فى عقبهم [فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدْوًا] بغى عليه بغياً عدا الظّلم وعدل عن الحقّ واستطال وكذب، وفى مشيه اختال ، وعدا ضدّ احبّ وعدا عليه ظلمه والاولى ان يكون الاوّل بمعنى الاستطالة والثّانى بمعنى الظّلم وتقدير الكلام اتبعهم فرعون اتباع بغى اوبغوا بغياً اوباغين وعادين اوللبغى والعدو [حَتَّىٰ إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ] قرئ بفتح الهمزة بتقدير الباء اوالّلام و قرئ بكسر الهمزة على الاستيناف [لَا إِلَٰهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ] اطنب فى الكلام حرصاً على القبول واظهاراً لشدّة الالتجاء حين الاضطرار [ءَآلْـَٔانَ] فقيل له: آلآن آمنت وقد اضطررت والقائل كان جبرئيل [وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ] حين الاختيار [وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ] من الماء لا بروحك من العذاب يعنى نخرجك ببدنك من غير روح على نجوة من الارض ليشاهدوك و يروا ذلك [لِتَكُونَ لِمَنْ

خَلْفَكَ] من القبطيّ الباقي بعدك اوالسّبطيّ الّذي عظم شأنك في نظره وشكّ في انّك عظيم من عظماء الخلق [آيَةً] على كذبك وذلّك وكمال قدرتنا وحكمتنا اذا رأوا انّا اخذناك من حيث لم يكونوا يحتسبون لانّ القبطيّ وبعض السّبطيّ يظنّون انّ له عظماً وشرافةً وانّه لايفعل به ماينقص شأنه بل لايموت [وَإِنَّ كَثِيراً مِنَ النَّاسِ عَنْ آياتِنا لَغافِلُونَ] اى فانّا مظهرون للآيات و انّ كثيراً فهو عطف على محذوف اوعطف بلحاظ المعنى اواستيناف شبيه بالعطف [وَلَقَدْ بَوَّأْنا بَنِي إِسْرائِيلَ مُبَوَّءَ صِدْقٍ] محلّ صدق اوهو مصدر ميميّ والمراد بمحلّ الصّدق منزل لايتأتّى فيه الّا الصّدق كالقلب والصّدر المنشرح بالاسلام المتعلّق بالقلب ، ومحلّ لاينبغي ان يتأتّى فيه الّا الصّدق كمحلّ يكون مايحتاج اليه اهله موجوداً سهل الوصول من غير مزاحمة احد ، فلايكون فيه عداوة وحقد وحسد وتدافع وبخل، واذا لم يكن فيه هذه لم يكن فيه كذب لايراث هذه المذكورات الكذب واذا لم يكن كذب لم يكن الّا الصّدق ، والمراد بمبوء الصّدق مصر لوفور النّعمة فيها وعدم المزاحمة بعد هلاك اعدائهم او شام كما قيل [وَرَزَقْناهُمْ مِنَ الطَّيِّباتِ] الطّيّب من ارزاق الابدان ما لا تبعة فيه من الاسقام ومالا تبعة فيه من الآثام مع كونه ملّذاً للانام، ومن ارزاق الانسان العلوم والاخلاق الّتي تكون مأخوذة من اهلها و معتدلة بين الافراط و التّفريط [فَما اخْتَلَفُوا حَتّى جاءَهُمُ الْعِلْمُ] بحقّيّة موسى (ع) و دينه بالآيات الظّاهرات كما هوشأن امّة كلّ نبيّ [إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ] جواب سؤال مقدّر [يَوْمَ الْقِيامَةِ فِيما كانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ] برفع اغشية الخيال و ظهور الحقّ و الباطل ، و الآية تعريض بأمّة محمّد (ص) في اختلافهم بعده و حين حيوته بعد ما اظهر واعلى خلافة عليّ (ع)، وعلى هذا فربط الآية الآتية بهذه الآية واضح لانّها مفسّرة بولاية عليّ (ع) [فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمّا أَنْزَلْنا إِلَيْكَ] و المراد بما انزل خلافة عليّ (ع) اوما اوحى اليه (ص) ليلة الاسراء من عظمة مقام عليّ (ع) كما في الخبر ولم يكن له شكّ لكنّه من باب ايّاك اعني واسمعي يا جارة اوالخطاب عامّ [فَاسْئَلِ الَّذِينَ يَقْرَؤُنَ الْكِتابَ مِنْ قَبْلِكَ لَقَدْ جاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ] قدمرّ مراراً انّ الحقّ المضاف هو الولاية المطلقة ومظهرها عليّ (ع) وكلّ حقّ حقّ بحقّيّته [فَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ وَلا تَكُونَنَّ مِنَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآياتِ اللهِ] واصل الآيات هي الآية الكبرى الّتي هي ولاية عليّ (ع) [فَتَكُونَ مِنَ الْخاسِرِينَ] لانفاقك في ردّ الآيات بضاعتك الّتي آتاك الله لتنفقه في تصديق الآيات [إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَةُ رَبِّكَ] تعليل للسّابق والمعنى لاتكن من الممترين الغير المؤمنين لانّ الّذين حقّت عليهم كلمة ربّك [لا يُؤْمِنُونَ] لا من هومثلك و اصل الكلمات هي الولاية وهي واحدة كساير صفاته تعالى وافعاله وكلّ الكلمات من العقول والنّفوس والاشباح النّوريّة والاشباح الظّلمانيّة والعبارات والنّقوش الكتبيّة اظلال تلك الكلمة وتلك الكلمة تختلف بحسب القوابل ففي قابل تصير رضى ورحمة رحيميّة وفي قابل سخطاً وكلّ منهما امّا تحقّ وترسخ للقابل اوعليه وامّا لاتحقّ ، والّذي حقّت له كلمة الرّضا لاينصرف عن الايمان والّذي حقّت عليه كلمة السّخط لا ينصرف عن الكفر ، والمعنى لا يؤمنون بالله اوبالولاية اوبعظمة شأن عليّ (ع) او بالرّسالة اوبك [وَلَوْ جاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ] من الآيات المقتضية للايمان [حَتّى يَرَوُا الْعَذابَ

الْاَلِيمَ] عندالاحتضار ولاينفع حينئذٍ نفساً ايمانها [فَلَوْلا كانَتْ قَرْيَةٌ اٰمَنَتْ] جزاء شرط مستفادمن تعقيب عدم الايمان بالعذاب الاليم كأنّه قال اذاكان عدم الايمان مستلزماً لاليم العذاب فلولاكانت قرية آمنت [فَنَفَعَهٰا ايمانُهٰا اِلّا قَوْمَ يُونُسَ] استثناء باعتبارمعنى النّفى لا التّقريع [لَمّٰا اٰمَنُوا] جواب سؤال كأنّه قيل: ماكان حال قوم يونس ؟ و ما فعل بهم ؟ اوحال من قوم يونس [كَشَفْنٰا عَنْهُمْ عَذٰابَ الْخِزْيِ] الخزى الفضيحة فالاضافة بتقدير اللّام اوالبليّة فالاضافة بيانيّة [فِي الْحَيٰوةِ الدُّنْيٰا وَمَتَّعْنٰاهُمْ اِلىٰ حِينٍ] حين آجالهم المقدّرة وقصّة قوم يونس (ع) وانكارهم عليه ودعائه عليهم ومسألته نزول العذاب وعدم اجابة الله له ومراجعته فى ذلك مراراً، حتّى اجابه الى ذلك ومشورته بعدذلك مع تنوخا العابد وتصديقه وتحريصه له (ع) على ذلك، لعدم علمه ومشورته مع روبيل الحكيم وعدم تصديقه له وسؤاله عندالمراجعة فى دفع العذاب وردّ تنوخا عليه ، وفراره من القوم مع تنوخا واقامة روبيل فيهم وترحّمه عليهم ودعائه لهم الى التّوبة وتعليم طريق التّوبة لهم وكشف العذاب وفرار يونس بعد كشف العذاب وابتلائه ببطن الحوت وعوده الى قومه مذكورة فى المفصّلات [وَلَوْ شٰاءَ رَبُّكَ لَاٰمَنَ مَنْ فِي الْاَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا اَفَاَنْتَ تُكْرِهُ النّٰاسَ حَتّٰى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ] مصدّقين لك اوللرّسالة اولعلىّ (ع) اوللولاية اولله اومؤمنين بالايمان العامّ الحاصل بالبيعة العامّة النّبويّة اوبالايمان الخاصّ الحاصل بالبيعة الخاصّة الولويّة ، يعنى انّ الايمان بأىّ معنى كان لايمكن اكراه البشراحداً عليه لانّ اكراه البشرلايتجاوز عن حدّ القالب والايمان امر قلبىّ، فالاكراه يتحقّق فى انقياد السّلطنة وصورة البيعة العامّة والدّخول فى احكام الرّسالة يعنى من كان مسخّراً ومحيطاً يمكنه اكراه المحاط لكن لايسمّى ذلك اكراهاً بل تسخيراً، وتقديم المسنداليه لافادة الحصر ان اريدانّ مثلك البشرىّ لايمكنه الاكراه بخلاف الملكوتيّين اولمحض افادة تقوىّ الحكم [وَمٰا كٰانَ لِنَفْسٍ اَنْ تُؤْمِنَ اِلّا بِاِذْنِ اللّٰهِ] الجملة حاليّة اومستأنفة والاوّل اوفق بترتّب الانكار على تعليق الايمان على المشيّة [وَيَجْعَلُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لا يَعْقِلُونَ] حقّ المقابلة ان يقال ولا ان تكفر الّا باذن الله لكن لمّا كان الايمان هو الدّخول فى حريم قدسه تعالى كان موقوفاً على اذنه ، والكفر لمّا كان عدم الدّخول لم يكن موقوفاً على اذنه بحسب الظّاهر ولمّا كان تبعة الكفر بفعل الله جعل الرّجس الّذى هو تبعة الكفر الى نفسه [قُلِ انْظُرُوا مٰاذٰا فِي السَّمٰاوٰاتِ وَالْاَرْضِ] من الآيات الدّالّة على كمال قدرته تعالى و حكمته حتّى توقنوا به و تؤمنوا والاستفهام للتّعجيب والتّفخيم [وَمٰا تُغْنِي الْاٰيٰاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لا يُؤْمِنُونَ] امّا من كلام الله اومحكىّ بالقول وعلى اىّ تقدير فمانافية والجملة معطوفة على محذوف مؤلّف معه قياس من الشّكل الاوّل تقديره لكنّهم قوم لا يؤمنون وكلّ قوم لا يؤمنون لا تغنى الآيات والنّذر عنهم ، ويجوز ان يكون الجملة حاليّة عن فاعل قل او عن فاعل انظروا او مفعوله و تكون مشيرة الى القياس المذكور و يجوز ان يكون ما استفهاميّة معطوفة مع مابعدها على ماذا فى السّموات اوتكون الجملة حاليّة بتقدير القول [فَهَلْ يَنْتَظِرُونَ اِلّا مِثْلَ اَيّٰامِ الَّذِينَ خَلَوْا] مضوا [مِنْ قَبْلِهِمْ] جواب شرط محذوف اى ان كانت الآيات لا تغنى عنهم ، او عطف على محذوف اى هل

يرجون الّا عقوبة الله ، اوعطف على ما تغنى الآيات باعتبار انّ معناه ما ينتظرون ، اوبتقدير القول اى فيقال لهم هل ينتظرون ، اوباعتبار كون ما استفهاميّة [قُلْ فَانْتَظِرُوا] امر للتهكّم [إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا] عطف على محذوف تعليل للامر بالتّحدّى معهم تقديره فانّا ننزّل العذاب على المكذّبين ثمّ ننجّى رسلنا والّذين آمنوا [كَذَٰلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا] كذلك متعلّق بالفعل الاتى وحقّاً علينا مفعول مطلق لحقّ محذوفا معترض بينهما [نُنْجِ الْمُؤْمِنِينَ] لمّا كان المقام لتقريع المكذّبين والمقصود بالوعد زيادة حسرتهم وتجرئة نبيّه (ص) والمؤمنين فى التّحدّى معهم صار التّأكيد والتّكرار مطلوباً ولذلك كرّر الانجاء بالنّسبة الى المؤمنين مؤكّداً بحقّاً [قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ دِينِي فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ] يعنى بعد مابعثتك بالنّبوّة فاعلن دينك ولاتخف منهم ولاتخف دينك وان كنت قبل ذلك خائفاً خافياً [وَلَٰكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ] التّعليق على التّوفّى المتعلّق بهم لتهديدهم [وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ] بكلّ من معانى الايمان [وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ] عطف على ان اكون وغيّر الاسلوب اشارة الى انّه مأمور بالثّبات فى الايمان وادامته واماّ اقامة الوجه للدّين فانّ الثّبات والدّوام فيه للبشر غير مقدور لضرورة اشتغاله بالكثرات ، والاشتغال بالكثرات وان كان لمن لايشغله شأن عن شأن غير مانع من اقامة الوجه للدّين لكنّه للاكثر مانع ولمن لايشغله شأن عن شأن ايضاً مانع من قوّة الاقامة وكمالها ، و ان ، فى ان اقم مصدريّة اوتفسيريّة وعلى المصدريّة فالاتيان بالامر على حكاية حال الامر والخطاب [حَنِيفًا] حال عن فاعل اقم او عن الدّين [وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ] بجملة انواع الشّرك [وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ] من الاصنام والكواكب والاهواء والمهويّات و من نصب دون الامام فانّ شيئاً من هذه لايقدر على نفع وضرّ الّا باذن الله واذا لم يتصوّر فى المدعوّ نفع وضرّ كان دعاؤه لغواً و هذا على ايّاك أعنى و اسمعى يا جارة ، او صرف الخطاب عنه الى غير معيّن [فَإِنْ فَعَلْتَ] الفاء للسببيّة المحضة [فَإِنَّكَ إِذًا مِنَ الظَّالِمِينَ وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ] حال اوعطف فيه معنى التّعليل [فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ] اختلاف القرينتين للدّلالة على تفاوتهما فى الارادة كأنّ الضرّ يمسّ الانسان بفعله من غير ارادة الله وان كان الفاعل هو الله لانّه غير مراد بالذّات و انّ الخير بارادة الله كما قال تعالى ما اصابك من حسنة فمن الله و ما اصابك من سيّئة فمن نفسك و وضع فضله موضع ضمير الخير للاشارة الى ما قلنا من انّ الشّرّ غير مراد بالذّات و يلحق العبد بعمله و انّ الخير مراد بالذّات كأنّه يلحق العبد بمحض الفضل من دون استحقاق بالعمل [يُصِيبُ بِهِ] بالخير [مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ] عطف على يصيب والمقصود انّه لايمسّ الضرّ اكثر المستحقّين لانّه هو الغفور الرّحيم فوضع موضع المعلول [قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ] قدمّر مراراً انّ الحقّ هو الولاية وانّ كلّ حقّ حقّ بحقّيّته وانّ عليّاً هو مظهرها التّامّ ، فالمراد جاءكم على (ع) باعتبار

ولایته او ولایة علیّ(ع) او الولایة المطلقة ومظهرها علیّ(ع) و یدلّ علی هذا قوله تعالی [فَمَنِ اهْتَدٰی فَاِنَّمٰا یَهْتَدِی لِنَفْسِهِ] لانّ الاهتداء لیس الّا الی الولایة فانّ النّبوّة ما به الهدایة کما قال الله تعالی ولکنّ الله یمنّ علیکم ان هدیکم بالاسلام للایمان [وَمَنْ ضَلَّ فَاِنَّمٰا یَضِلُّ عَلَیْهٰا وَمٰا اَنَا عَلَیْکُمْ بِوَکِیلٍ] حتی اجبرکم علی الولایة و امنعکم عن الضّلالة [وَاتَّبِعْ مٰا یُوحٰی اِلَیْکَ] جملة ما یوحی الیك و منها الولایة اوما یوحی الیك فی امر الولایة بخصوصه و اتّباع ما یوحی فی امر الولایة امتثال بتبلیغها و عدم الخوف من القوم ولذا أمره بالصّبر فقال [وَاصْبِرْ] علی اذاهم و نفاقهم [حَتّٰی یَحْکُمَ اللّٰهُ] بینك وبین من نافق فی امر علیّ(ع) [وَهُوَ خَیْرُ الْحٰاکِمِینَ].

سورة هود

مائة وثلاث وعشرون آية وهي مكّيّة كلّها وقيل : سوى آية واقم الصّلوة ؛ فانّها مدنيّة

بسم الله الرحمن الرحيم

[الٓرٰ] قد سبق انّها اشارة الى مراتب العالم او مراتب وجوده (ص) و لذلك ورد : انّ الحروف المقطّعة في اوائل السّور اسماؤه ، ومضى انّه في حال انسلاخه يشاهد من تلك الحروف ما لايمكن التّعبير عنه الّا بالمناسبات وانّ مراتب العالم او مراتب وجوده (ص) كتاب حقيقيّ تكوينيّ وانّ الكتاب التّدوينيّ صورة تلك الكتاب [كِتٰبٌ] خبر للحروف المقطّعة اوخبر مبتدء محذوف [اُحْكِمَتْ اٰيٰتُهُ] في مقامه العالي من مراتب العقول المعبّر عنها بالاقلام وفي مراتب النّفوس الكلّيّة المعبّر عنها بالالواح العالية، واللّوح المحفوظ واحكام الآيات في تلك المراتب عبارة عن عدم الخلل والبطلان والتّغيير والنّسخ فيها فانّه في تلك المراتب لا يمسّه الّا المطهّرون ولا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وهوفي تلك المراتب محفوظ عن التّشابه بالباطل و بكلام غيرالحقّ تعالى وهو فيها بنحو الاجمال من غير تفصيل [ثُمَّ فُصِّلَتْ] بعد تلك المراتب في مراتب النّفوس الجزئيّة المعبّر عنها بالالواح الجزئيّة وكتاب المحو و الاثبات ثمّ في مراتب الاعيان المعبّر عنها بكتاب المحو والاثبات العينيّ ثمّ في مرتبة الاصوات والحروف ثمّ في مرتبة الكتابة والنّقوش ، وليست آيات الكتاب في تلك المراتب محكمات لتطرّق المحو و الاثبات و النّسخ و التّبديل اليها و يتشابه حقّها بباطلها لتشابه المظاهر الشّيطانيّة بالمظاهر الآلهيّة وتشابه الاعمال والاقوال والاحوال والاخلاق، فانّ المظاهر الشّيطانيّة يعملون أعمالهم الشّيطانيّة بصور الاعمال الآلهيّة ثمّ يقولون هي بأمر الله والحال انّها بأمر الشّيطان ويحسبون أنّهم يحسنون صنعاً، ويقرؤن الآيات القرآنيّة بألسنتهم وهي ألسنة الشّيطان ويكتبون الآيات التّدوينيّة بأيديهم وهي أيدي الشّيطان ثمّ يقولون : هومن عندالله وما هومن عندالله ، بل من عند الشّيطان غاية ما فيه انّها مشابهة لما هو من عندالله صورة [مِنْ لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ] كامل في العمل والعلم وذكر الوصفين للاشارة الى انّ كتابه التّكوينيّ والتّدوينيّ على كمال ماينبغي فليس لاحدٍ ان يردّ شيئاً منهما اويلوم احداً كما ورد : لواطّلعتم على سرّ القدر لا يلومنّ احدكم احداً ، ولدن الله وعندالله عبارة عن عالم المجرّدات و تفصيل الكتاب نشأ منها ولذا ورد ، انّ القرآن نزل جملة على البيت المعمور او على قلب محمّد (ص) ثمّ نزل منه نجوماً على صدره [اَلَّا تَعْبُدُوا اِلَّا اللّٰهَ] ان مصدريّة اى لان لا تعبدوا والفعل نفي اونهي اوتفسيريّة والفعل نهي يعني انّ خلاصة

الغرض من تفصيل الكتاب نهيكم عن عبادة غير الله وامركم بالاستغفار والتّوبة [إِنَّنِي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ] امّا من كلام الله ولا اشكال اومن كلام الرّسول (ص) حكاه الله كأنّه قال : فبلّغه رسولنا (ص) فقالوا : ما انت وذاك ؟ـ فقال : انّنى لكم من جانب الله نذير من موجبات سخطه وبشير برحمته [وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ] اعلم ، انّ اللّطيفة الانسانيّة السّيّارة الّتى يعبّرعنها بالرّوح خلق الله الارواح قبل الابدان بالفى عام وقديعبّر عنها بالامانة عرضنا الامانة على السّماوات والارض وقديعبّر عنها بالانسان وبفطرة الله وبقيّة الله وغير ذلك من الاسماء نزلت من عالم القدس ، ومقام الاسماء على الصّراط المستقيم الى عالم الطّبع فصارت جسماً وعنصراً وجماداً ونباتاً وحيواناً و انساناً الى ان بلغ اوان البلوغ وحدّ الانسانيّة ، وكان عوده الى ذلك المقام على الصّراط المستقيم بمحض تسبيبات آلهيّة من غير مدخليّة لاختياره ، وفى هذا المقام يصير برزخاً بين عالمى الجنّة والملائكة ويصير مختاراً مريداً لخيراته نافراً عن شروره مميّزاً لهما ، فان ساعده التّوفيق وصار اختياره موافقاً لفطرته سلك باختياره على الصّراط المستقيم الى الله ، و ان لم يساعده التّوفيق وصار اختياره مخالفاً لفطرته و موافقاً لمراد الشّيطان رجع عن الصّراط المستقيم الى دار الجنّة ومهوى الجحيم ، فان تنبّه وتذكّر انّ سلوكه كان الى الجحيم و انّ كلّما فعله فى هذا السّلوك كان موذياً للطيفته الانسانيّة صار حاله مثل من وقع فى سجن ضيّق مملوّ من العذرات والجيف المنتنة والحشرات الموذية مستدعياً من السّجّان ستر تلك ما لم يتخلّص من السّجن وهذا استغفاره من السّجّان ، فاذا وجد مهرباً فرّ منه وهذا الفرار توبة عامّة اى التّوبة من المعصية ثمّ اذا وجد دليلاً
٣٦ يدلّه على الطّريق اوعلى المقصد فرّ الى طريق المقصد او الى المقصد وهذا الفرار توبة خاصّة اى التّوبة الى الله وهذه التّوبة لاتتصوّر الّا على يد نبىّ (ص) وتكون اسلاميّة ، اوعلى يد ولىّ وتكون ايمانيّة ، وللتّوبة الاسلاميّة الّتى يحصل بها الاسلام وكذا للتّوبة الايمانيّة الّتى يحصل بها الايمان شرائط وآدابٌ وعهودٌ و مواثيق كانت مقرّرة عندهم فقوله تعالى: استغفروا ربّكم، خطاب لمن وقع فى سجن الطّبع يعنى اطلبوا ايّها الواقعون فى سجن الطّبع من ربّكم ستر عذرات الهوى وجيف الشّبه وموذيات الغضبات والشّهوات ما لم تجدوا فرصةً ومهرباً من السّجن، حتّى لاتفسد دماغكم بنتنها ولاتفسد فطرتكم الانسانيّة ثمّ فرّوا منه كلّما وجدتم فرصةً ومهرباً ثمّ فرّوا الى الله بالتّوبة على ايدى خلفائه والبيعة معهم بشرائطها اذا وصلتم اليهم فان تبتم اليه بشرائطها [يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا] مادمتم فى الطّريق [إِلَى أَجَلٍ] وقتٍ [مُسَمًّى] معيّن لخروجكم من الدّنيا ووصولكم الى موطنكم بالموت الاختيارىّ او الاضطرارىّ [وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ] فى الطّريق بكثرة المجاهدة وكثرة جنوده الآلهيّة فى مملكته [فَضْلَهُ] عين فضله لانّ الفضل يتصوّر بصور حسناء خصوصاً على ما قلنا من انّ الفضل لذى الفضل هو كثرة الجنود الآلهيّة اوعلى القول بتجسّم الاعمال او جزاء فضله كما فسّره المفسّرون [وَإِنْ تَوَلَّوْا] تتولّوا عن عبادة الله و الاستغفار و التّوبة [فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ] يوم القيامة الكبرى [إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ] تعليل او حال [وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ أَلَا إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ] ثنى الصّدر وثنى الظّهر كناية عن اخفاء الانسان نفسه حتّى لايراه احد وهو ابداء ذمّ بأنّهم لحمقهم يثنون صدورهم [لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ] من الله مع انّه عالم بسرائرهم فكيف يستخفون منه بعلنهم بواسطة تثنية ظهورهم ، روى انّ المشركين كانوا اذا مرّوا برسول الله (ص) حول البيت طأطأ احدهم ظهره و رأسه هكذا ، و غطّى رأسه

بثوبه حتّى لايراه رسول‌الله(ص) فأنزل‌الله الآية ، ونقل انّه كناية عن انطواء قلوب المنافقين على بغض علىّ(ع) [أَلاحِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيابَهُمْ] حين دخولهم فى خلواتهم واستغشائهم ثيابهم للمنام وهوأخفى حالاتهم اوحين يستغشون ثيابهم لئلا يراهم الرّسول (ص) [يَعْلَمُ] الله [مايُسِرُّونَ] من النيّات فيعلم نبيّه (ص) والمؤمنين [وَمايُعْلِنُونَ] من الافعال [إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذاتِ الصُّدُورِ] بمكمونات الصّدور الّتى لم تخرج من القوّة الى الفعل بعد، ولاخبرة لهم بها فكيف بنيّاتها وخطراتها وحالاتها الّتى هى علانية بالنّسبة الى ذات الصّدور فانّ غير المكمونات لجواز زوالها عن الصّدور لايصدق عليها انّها صاحبة للصّدور وهوتعليل لسابقه .

[الجزء الثّانى عشر]

[وَمامِنْ دابَّةٍ فِى الْأَرْضِ] عطف على انّه عليم بذات الصّدور اوحال من المستتر فى عليم [إِلّا عَلَى اللهِ رِزْقُها] فكيف لا يعلم حالها و ما يوافقها و ما يخالفها [وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّها] محلّ قرارها من الدّنيا او من الآخرة [وَمُسْتَوْدَعَها] محلّها الّذى ينتقل منها من اصلاب الآباء و ارحام الامّهات ومن منازل الدّنيا و منازل الآخرة الى مستقرّها فى الآخرة ، و يجوز ان يكونا اسمى زمان او مصدرين ، و يجوز اعتبار الاستقرار بالاضافة وكذلك اعتبار الاستيداع وحينئذ يكون كلّ من منازل الدّنيا و الآخرة مستقرّاً و مستودعاً باعتبارين سوى المنزل الاخير من الآخرة لانّه يكون مستقرّاً على الاطلاق [كُلٌّ] من الدّوابّ اومن المستقرّ والمستودع [فِى كِتابٍ مُبِينٍ] هوالقلم العالى اواللّوح المحفوظ [وَهُوَالَّذِى خَلَقَ السَّمٰواتِ وَالْأَرْضَ] سماوات الارواح و ارض الاشباح الملكوتيّة النّورانيّة و الملكيّة الظّلمانيّة و السّفليّة السّجّينيّة و سماوات عالم الطّبع و ارض ذلك العالم [فِى سِتَّةِ أَيّامٍ] قدمرّ تفسير الآية و وجه التّقييد بستّة ايّام فى سورة الاعراف [وَكانَ عَرْشُهُ عَلَى الْماءِ] عرش الرّحمن مشيّته الّتى هى فعله وكلمته و الحقّ المخلوق به و الولاية المطلقة والحقيقة المحمّديّة (ص) واضافته الاشراقيّة وهى اضافة الحقّ الى الخلق، ولها وجه الى الحقّ المطلق وبهذا الوجه تسمّى عرشاً ووجه الى الخلق وبهذا الوجه تسمّى كرسيّاً، وهى بوجهها الاوّل ظهوره تعالى باسمائه وبوجهها الثّانى ظهوره تعالى بافعاله واذا اعتبرت اضافتها الى الخلق كان حاملها اقرب الممكنات اليها، وهم اربعة فى النّزول واذا اعتبر الصّاعدون معها صاروا ثمانية و يحمل عرش ربّك فوقهم يومئذ ثمانية واذا قطع النّظر عن اضافتها الى الخلق كان وجهها الخلقىّ وجوداً صرفاً ويعبّر عنه بالماء وكان الوجه الخلقىّ حاملاً لها من حيث وجهها الحقّىّ فقبل اعتبار الخلق كان عرشه على الماء، وماورد فى الاخبار من التّفاسير المختلفة راجع الى ماذكرنا [لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً] ليعلم بالاختبار ايّكم احسن عملاً و لهذا التّضمين علّق يبلوكم باداة الاستفهام والمعنى انّا خلقنا السّماوات والارض فى المراتب السّتّ من مراتب العالم وخلقكم بين السّماوات والارض وجعل لكم طريقاً اليهما وسهّل لكم الصّعود الى السّماوات والنّزول الى الارض، واودع فيكم انموذجاً من كلّ ليبلوكم بذلك ويظهر من كان منكم احسن عملاً ، وانّما اقتصر على ذكر حسن العمل واتى بصيغة التّفضيل اشارة الى انّ الغاية هوالّذى يكون احسن عملاً و الباقى منظور اليه بالتّبع واماّ قبح العمل فهو من الطّوارى فالآية اشارة الى شرافة الانسان وترغيبه فى محاسن الاعمال بألطف وجه [وَلَئِنْ قُلْتَ إِنَّكُمْ مَبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ

الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا] بالمعادسواء كفروا بالمبدء ام لا [إِنْ هٰذَا] القول بالعود [إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ] السّحر يطلق على عدّة معان منها القول الباطل الّذى لايعلم وجه صحّة له وقد ابرز بتمويهات وتخييلات مبرز الحقّ [وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ] الّذى وعدناهم على لسانك [إِلَىٰ أُمَّةٍ مَعْدُودَةٍ] الامّة ههنا البرهة من الزّمان لكونهامقصودة متوجّهاً اليها والمعدودة القليلة، اوالمراد اصحاب القائم عجّل الله فرجه الثّلاثمائة وبضع عشر ؛ وقد اشير فى الاخبار الى كليهما [لَيَقُولَنَّ] استهزاءً [مَا يَحْبِسُهُ أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ] يوم ظهور القائم (ع) اويوم الموت او يوم عذاب الدّنيا او يوم السّاعة [وَحَاقَ بِهِمْ] قبل هذا الزّمان العذاب الموعود فانّ مادّته محيطة بهم و صورته مكمونة فيهم لكن لا يشعرون به لغشاوة أبصارهم [مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِؤُنَ وَلَئِنْ أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً] نعمة صحّة وسعة وولد [ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَئُوسٌ] عن اعطائها لعدم صحّة اعتقاده بفضلنا [كَفُورٌ] لتعلّق قلبه بالنّعمة نفسها و بعد انتزاعها لا يبقى له حالة شكر على النّعمة لغفلته عن المنعم وانقطاعه بالزّوال عن النّعمة [وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نَعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ] كان حقّ العبارة ان يقول : ولئن اصبناه بضرّاء ثمّ كشفناهاعنه حتّى يوافق قرينته لكنّه تعالى ارادان يفتتح القرينتين بنسبة الانعام اليه ولاينسب مسيس الضّرّ الى نفسه لانّه تابع لاعمال الانسان [لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي] لانّ نظره كان مقصوراً على صورة النّعمة غير متجاوز الى المنعم والى غاية النّعمة [إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ] جواب سؤال عن علّة القول اى يقول ذلك لانّ فى جبلّته الفرح بالنّعمة و الفخر على الخلق بها او جواب سؤال عن حال القائل [إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا] فانّهم لصبرهم وثباتهم على النّظر الى المنعم لايخرجهم زوال النّعمة الى اليأس و الكفران غفلة عن المنعم ولاتجرّهم النّعمة الى البطر والفخر لخوفهم عن الاستدراج وعن زوالها [وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ] والمراد بالصّبر حقيقة هو الدّخول فى الاسلام وتحت احكام النّبوّة ولقد فسّر الصّبر فى قوله واستعينوا بالصّبر بمحمّد (ص) لنبوّته و المراد بعمل الصّالحات حقيقة هو الدّخول فى الايمان و تحت احكام الولاية وقد فسّر الصّلوة فى الآية المذكورة وهى اصل الاعمال الصّالحة بعلىّ (ع) لولايته [أُولَٰئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ] فى فضيلة علىّ (ع) او فى ولايته كما روى انّه (ص) دعا لعلىّ (ع) فاستهزأ قومه اوانّه (ص) بعد مانزل الوحى بولاية علىّ (ع) خاف من تكذيب قومه فنزل الآية اوبعض ما يوحى اليك مطلقاً على ظاهره [وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ أَنْ يَقُولُوا] لان يقولوا اوكراهة ان يقولوا [لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ كَنْزٌ] ان كان صادقاً فى انّه ينزل عليه الوحى او فى انّه يجاب دعاؤه [أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ] فيعينه اويصدّقه [إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ] تعليل للمقصود من قوله لعلّك تارك يعنى لاينبغى لك التّرك لقولهم واستهزائهم لانّ شأنك الانذار وليس عليك قبولهم و ردّهم حتّى تترك شأنك لردّهم [وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ] لا انت فعليه ترك الانذار والاهمال حيثما استحقّوا ذلك والامر بالانذار والرّدع عن المساوى حيثما استحقّوا ذلك وعليه اثابة الفاعل وعقوبة المنكر فليس عليك الّا ما هوشأنك من الانذار والتّبليغ ما لم تنه عنه من الله [أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ] متحدّياً معهم [فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ] فيما تدركون منه من حسن

النّظم و تناسق الحروف والكلمات وتأدية معانٍ كثيرة بالفاظ قليلة والاتيان بحقّ مايقتضيه كلّ مقام و التّأدية بأحسن مايمكن التّأدية به بحسب كلّ مقام ، وامّاالاتدر كونه منه ممّا يترتّب على حروفه من فوائد العلوم المنوطة بحروفه من علم الاعداد والحروف والطّلسمات ، وممّا يستنبط منه من المغيبات الّتى كلّها عند اهل القرآن وليس لاحدٍ الوصول اليها الّا بتطهير قلبه من الاحداث والاخباث ودخوله فى سلك المشاهدين اوالمتحقّقين بحقيقة القرآن، لانّ القرآن لايمكن مسيسه الّا للمتطهّرين فلاكلام فيه معكم فانّكم متباعدون عن التّخاطب بامثال هذه [وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللّٰهِ] من الشّياطين والجنّة الّتى يدعوها الكهنة، ومن الكواكب والاصنام الّتى يدعوها المشركون ، ومن الفصحاء الّذين يظنّهم النّاس قادرين على الاتيان بمثله [إِنْ كُنْتُمْ صٰادِقِينَ] انّه مفترىٰ [فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ] اى ان لم يستجب الشّركاء لكم ايّها المنكرون او ان لم يستجب المنكرون لكم ايّها المؤمنون الى ماتحدّيتم به ، ولمّا كان الغرض من هذا التّحدّى تسلية المؤمنين وتقوية ضعفاء المسلمين جعلهم شركاء له (ص) فى الخطاب على هذا الوجه ، ويجوز ان يكون هذا ابتداء كلام و يجوز ان يكون مقول قوله (ص) [فَاعْلَمُوا أَنَّمٰا أُنْزِلَ] القرآن [بِعِلْمِ اللّٰهِ] اى باطّلاعه اوانّ الّذى انزل انزل باطّلاع الله لا بافتراء عليه [وَأَنْ لاٰ إِلٰهَ إِلاّٰ هُوَ] يعنى انّ الّذين يدعونه من دون الله من الشّياطين و الاصنام و الكواكب لا تصرّف ولا تسلّط لهم على شيء ولا استحقاق للعبوديّة الّا له يعنى انّ عجزهم عن الاتيان دليل على صدق محمّد(ص) وعلى نفى استحقاق غيره للعبادة وعلى كذب المكذّبين فى دعوى الآلهة لغيره تعالى [فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ] منقادون خالصون عن الرّيب ان كان الخطاب لضعفاء المسلمين او فهل انتم معتقدون لدين الاسلام داخلون فيه ان كان الخطاب للكفّار بصرف الخطاب عن المسلمين الى المشركين يعنى ان علمتم ايّها المؤمنون اوان عجزتم وعلمتم عجز شركائكم ايّها المشركون فهل انتم مسلمون [مَنْ كٰانَ يُرِيدُ الْحَيٰوةَ الدُّنْيٰا وَزِينَتَهٰا] باعماله الاسلاميّة وارتكاب صور الاعمال الحسنة وتحمّل المشاقّ وانفاق الاموال فى حفظ الاسلام واعلائه كمافعل المنافقون من اصحاب الرّسول(ص) واظلالهم من اتباعهم الى يوم القيامة وكلّ من تحمّل المتاعب الشّديدة من متاعب الغربة والاسفار البعيدة والصّبر على الجوع والحرّ والبرد فى تحصيل المسائل الدّينيّة لغرض الوصول الى المناصب الدّنيويّة داخل فى مصداق الآية و يدلّ على هذا التّفسير قوله تعالى [نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمٰالَهُمْ فِيهٰا] لانّ توفية الاعمال فى الدّنيا ليست الّا لمن عمل الاعمال الصّالحة صورة وذلك لان يخرجوا من الدّنيا ومالهم من صورة اعمالهم المشابهة لاعمال المؤمنين شيء [وَهُمْ فِيهٰا لاٰ يُبْخَسُونَ] هذا بحسب حال الاغلب والّا فقد يريد الدّنيا ويتعب نفسه فى تحصيلها و فى تحصيل العلم وارتكاب صور الاعمال الشّرعيّة لغرض من الاغراض الدّنيويّة ولا يصل اليها كماترى من حرمان بعض عن اغراضهم فليس له الآخرة لانّها لم تكن مقصودة له ولا الدّنيا لحرمانها عنها فيشبه دنياه آخرة يزيد لعنه الله وآخرته دنيا ابى يزيد ولهذا قيّد الاتيان فى آية اخرى بمايشاء لمن يشاء [أُولٰئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النّٰارُ وَحَبِطَ مٰا صَنَعُوا فِيهٰا] اى فى الدّنيا اوفى الآخرة ظرف للصّنع اوللحبط [وَبٰاطِلٌ مٰا كٰانُوا يَعْمَلُونَ] لمّا توهّم من ذكر الحبط انّ اعمالهم لهاشوب من الحقّيّة قال باطل اشارة الى انّه لاحقّيّة لها اصلا بل هى بالفعل باطلة لا انّها يطرؤها البطلان فى الآخرة [أَفَمَنْ كٰانَ

عَلٰی بَیِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَیَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ وَمِنْ قَبْلِهِ کِتَابُ مُوسٰی إِمَامًا وَرَحْمَةً] الهمزة للانکار و الخبر محذوف ای کمن لیس له بیّنة فی دعویه ویرید الدّنیا ، والمراد بالموصول محمّد (ص) اوعلیّ (ع) اوجملة المؤمنین والمراد بالبیّنة الرّسول (ص) اورسالته اومعجزاته اوکتابه اواحکام رسالته اوعلیّ (ع) اوولایته ، و یتلوه امّا من التّلاوة اومن التّلو وضمیر المنصوب امّا للموصول اوللبیّنة والتّذکیر باعتبار المعنی اوللقرآن بقرینة ذکره سابقاً والشّاهد امّا محمّد (ص) اوعلیّ (ع) اوالقرآن او البرهان الّذی یؤتیه الله المؤمن من الآیات الآفاقیّة والانفسیّة ، وضمیر المجرور امّا للموصول اوللربّ اوللبیّنة ، وضمیر من قبله راجع الی الموصول او الی البیّنة اوالی الشّاهد ، و من قبله کتاب موسی امّا جملة حالیّة او معطوفة علی خبر کان و الجملة امّا ظرفیّة مکتفیة بمرفوعها عن الخبر اواسمیّة وخبره مقدّم ، اومن قبله کتاب موسی (ع) عطف علی شاهد عطف المفرد ، واماماً و رحمة امّا حال عن الموصول او عن البیّنة اوعن الشّاهد اوعن کتاب موسی (ع) ، فهذه تسعة الاف و سبعمائة وعشرون (۹۷۲۰) وجهاً حاصلة من ضرب بعض الوجوه فی بعض هذا بالنّظر الی المعنی ، وامّا بالنّظر الی وجوه الاعراب و اعتبارات النّحو مثل احتمال کونه اماماً حالاً من المستتر فی کان او فی علی بیّنة او من مفعول یتلوه او المجرور فی منه اوالمستتر فی من قبله وکذلک احتمالات کون جملة من قبله کتاب موسی (ع) حالاً من کلّ من المذکورات السّابقة ، فالوجوه والاحتمالات تصیر اکثر من ذلک و یسقط بعض الاحتمالات لعدم صحّتها اوتکرّرها اوبعدها ویبقی الباقی صحیحاً ، وقد اشیر الی اجمالها فی الاخبار وهذا من سعة وجوه القرآن وصحّة حمله علی کلّ وجه ویستفاد من تفاسیرهم (ع) انّ احسن الوجوه الّذی امروا بالحمل علیه فیما نسب الیهم (ع) من مضمون : انّ القرآن ذووجوه فاحملوه علی احسن وجوهه ؛ هومایوافق مقام البیان [أُولٰئِکَ یُؤْمِنُونَ بِهِ] بالقرآن اوالرّسول (ص) اوعلیّ (ع) اومانزل من ولایة علیّ (ع) [وَمَنْ یَکْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ فَلَا تَکُ فِی مِرْیَةٍ مِنْهُ] من القرآن اوشأن رسالتک اوعلیّ (ع) اوشأن ولایة علیّ (ع) ، هذا علی ان یکون الخطاب لمحمّد (ص) وان کان الخطاب عامّاً فالمعنی فلاتک یامن یتأتّی منه الخطاب فی مریة من محمّد (ص) اورسالته اوالقرآن اوعلیّ (ع) اوولایته [إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّکَ وَلٰکِنَّ أَکْثَرَ النَّاسِ لَا یُؤْمِنُونَ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرٰی عَلَی اللّٰهِ کَذِبًا أُولٰئِکَ یُعْرَضُونَ عَلٰی رَبِّهِمْ وَیَقُولُ الْأَشْهَادُ هٰؤُلَاءِ الَّذِینَ کَذَبُوا عَلٰی رَبِّهِمْ] صورة الآیة عامّة فی کلّ من ادّعی شیئاً وادّعی انّه من الله ، مثل الوثنیّ والصّابئیّ وغیرهم من المشرکین المدّعین انّ اشراکهم من الله ، ومثل المبتدعین من اصحاب الملل الالٰهیّة مع ادّعائهم انّ ابتداعهم من نبیّهم ومن دینهم ، ومثل المنحرفین من اهالی المذاهب المختلفة من امّة محمّد (ص) ، ومثل اضحاب الفتاوی من العامّة ومثل اصحاب الفتاوی من اهل المذهب الحقّ من غیر اذن واجازة من المعصوم (ع) عموماً اوخصوصاً بواسطة اوبلاواسطة ، ومثل المنتحلین للتّصوّف من غیر اذن و اجازة صحیحة من المشایخ الحقّة سواء کانوا مدّعین للشّیخوخة من غیر اذن اوللسّلوک من غیر اخذ ؛ لکنّ المقصود اصل الکاذبین الّذین نصبوا انفسهم دون ولیّ الامر (ع) وادّعوا انّه من الله ومن رسوله (ص) والاشهاد خلفاء الله الّذین یشهدون علی اعمال اهل الارض ویقبل الله منهم الشّهادة یوم القیامة علی اهل عصرهم اوالملائکة الموکّلة علیهم [أَلَا لَعْنَةُ اللّٰهِ عَلَی الظّٰالِمِینَ] من قول الاشهاد ومن قول الله ووضع الظّاهر موضع المضمر للاشعار بأنّهم ظالمون وللاشارة الی انّ المراد مخالفوا آل محمّد (ص)

وصفهم بقوله [اَلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللّٰهِ] بيان للظّالمين يعنى انّ الظّالمين آل محمّد (ص) حقّهم هم الّذين يعرضون عن آل محمّد (ص) ويمنعون غيرهم عنهم، وسبيل الله هو الامام وولايته فى العلم الكبير والعقل او اتباعه فى العالم الصّغير، والاعراض عن الامام (ع) لايكون الّا بعد الاعراض عن العقل وكذا المنع بل هما متلازمان [وَيَبْغُونَهٰا عِوَجًا] اى يطلبون لها عوجاً اويطلبونها معوجّة يعنى ان كانت معوجّة يطلبونها لااذا كانت مستقيمة امّا لانّ الانسان عدوّ لما جهل اولانّه بفطرته يطلب ان يكون كلّ طريق مثل طريقه اوالمعنى كمافى الخبر يحرّفونها عن اهلها الى غير اهلها او يخلطونها على الضّعفاء باظهار ما يظنّونه عيباً فيها [وَهُمْ بِالْاٰخِرَةِ هُمْ كٰافِرُونَ] تكرير الضّمير لتأكيد الاختصاص [أُولٰئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ فِى الْاَرْضِ] تهديدٌ لهم وتسلية للرّسول (ص) [وَمٰا كٰانَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللّٰهِ مِنْ اَوْلِيٰاءَ] حتّى يمنعوهم من عقوبة الله ويصلحوا مافسد من امورهم و من يظنّونهم اولياء ممّن نصبوهم دون وليّ الامر (ع) فهم لايمنعون عن انفسهم ولايصلحون انفسهم فكيف بغيرهم [يُضٰاعَفُ لَهُمُ الْعَذٰابُ] جواب سؤال مقدّر عن حالهم اوعن حال الاولياء (ع) من دون الله كأنّه قيل: فماحال اوليائهم الّذين يتولّونهم من الاصنام والاحبار والرّهبان والرّؤساء الّذين يظنّونهم رؤساء الدّين والمقصود غاصبوا آل محمّد (ع) حقّهم، فقال يضاعف لهم العذاب فكيف ينصرون غيرهم وهذا انسب بالمقام [مٰا كٰانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ] حال من الضّمير المجرور اواستيناف اخر يعنى لشدّة العذاب لاقدرة لهم على استماع شيء اوكانوا لاقدرة لهم على سماع فضيلة علىّ (ع) فى الدّنيا لبغضهم له (ع)، واسم كان امّا ضمير الظّالمين اوالاولياء (ع) [وَمٰا كٰانُوا يُبْصِرُونَ] بالوجهين [أُولٰئِكَ] الظّالمون او الاولياء او المجموع [اَلَّذِينَ خَسِرُوا اَنْفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مٰا كٰانُوا يَفْتَرُونَ] ممّا ادّعوا انتسابه الى الله من ادّعاء الخلافة والفتاوى الباطلة وادّعاء شفاعة الآلهة وشفاعة من يظنّونهم خلفاء الرّسول (ص) ورؤساء الدّين وشفعاء يوم القيامة [لَا جَرَمَ اَنَّهُمْ فِى الْاٰخِرَةِ هُمُ الْاَخْسَرُونَ] حيث بدّلوا بضاعتهم بما لم يبق منه عين ولا اثر وظنّوا انّه اجلّ عوض اخذوه [إِنَّ الَّذِينَ اٰمَنُوا] ايماناً عامّاً بالبيعة العامّة النّبويّة او ايماناً خاصّاً بالبيعة الخاصّة الولويّة و دخول الايمان فى قلوبهم [وَعَمِلُوا الصّٰالِحٰاتِ] بعد الايمان العامّ بالدّخول فى الايمان الخاصّ او العمل بشرائط الايمان الخاصّ ممّا اخذ عليهم فى الميثاق والبيعة الولويّة اذمرّ مراراً انّ اصل الصّالحات هو الولاية ولا يكون عمل صالح الّا بقبول الولاية ودخول الايمان فى القلب [وَأَخْبَتُوا إِلٰى رَبِّهِمْ] الاخبات الاطمينان مع الخشوع من الخبت بمعنى المتّسع من الارض المطمئنّة والمعنى اطمأنّوا اليه بالخشوع والانقطاع عن غيره، والرّبّ المضاف هو الوليّ الّذى بايعوا معه بيعةً خاصّةً ولويّةً ولايصدق الاخبات الّا بعد لقائه بالوصول الى ملكوته والحضور عنده، فانّ تلك البيعة تورث المحبّة والمحبّة تورث الاضطراب وعدم الاطمينان دون الاتّصال بالمحبوب ولايقنع المحبّ بالاتّصال البشرىّ حتّى يحصل له الاتّصال الملكوتىّ و يجد المحبوب فى عالمه و يتّحد معه وهو الّذى يعبّر عنه بالفكر والحضور والسّكينة [أُولٰئِكَ اَصْحٰابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهٰا خٰالِدُونَ مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ] الصّادّين عن سبيل الله والمؤمنين به [كَالْاَعْمىٰ وَالْاَصَمِّ] كالّذى يعمى فى انّه لا يبصر طريقه وموبقات طريقه، وكالّذى

یصمّ فی انّه لایسمع من الصّوت ماهو مقصوده اوفی انّه لایسمع نداء منادی الله فی العالم الکبیر ولافی العالم الصّغیر اوکالّذی یعمی ویصمّ لیکون تشبیهاً واحداً لا ان یکون التّشبیه تشبیهین [وَالْبَصِیرِ وَالسَّمِیعِ] تقدیم الکافرین لمراعاة اللّف [هَلْ یَسْتَوِیانِ مَثَلاً أَفَلا تَذَکَّرُونَ وَلَقَدْ أَرْسَلْنا نُوحاً إِلی قَوْمِهِ إِنِّی لَکُمْ] بأنّی علی قراءة فتح الهمزة : وقائلاً انّی لکم [نَذِیرٌ مُبِینٌ] علی قراءة کسر الهمزة ، اوهو مستأنف علی هذه القراءة جواباً لسؤال مقدّر [أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ] انّ تفسیریّة وتفسیر لأرسلنا اولنذیر اولمبین علی ان یکون بمعنی مظهر لانذاری او بمعنی ظاهر الانذار علی ان یکون النّهی عن عبادة غیر الله بیاناً للانذار من الله او للافعال الثّلاثة شبه التّنازع و ذلک لانّ ان التّفسیریّة فی الحقیقة تفسیر لمتعلّق مجمل للفعل المفسّر بها و یجوز ان یکون تفسیر واحد تفسیراً لعدّة اشیاء مجملة کأنّه قیل : لقد ارسلنا نوحاً بشیءٍ انّی لکم نذیر بشیءٍ مبین انذاری بشیءٍ هو النّهی عن عبادة غیر الله ، او ان مصدریّة بدلا من انّی لکم نذیر علی قراءة فتح همزة انّی اومتعلّقاً بارسلنا بتقدیر الباء اواللّام علی قراءة کسر همزة انّی اومتعلّقاً بنذیر اومفعولاً لمبین ویجوز تعلّقه بالثّلاثة علی سبیل التّنازع ولاتعبدوا حینئذٍ یجوز ان یکون نفیاً ونهیاً [إِنِّی أَخافُ عَلَیْکُمْ عَذابَ یَوْمٍ أَلِیمٍ] فی موضع التّعلیل [فَقالَ] ای فقال نوح لهم ما ارسلناه به فقال [الْمَلَأُ الَّذِینَ کَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ ما نَرِیکَ إِلَّا بَشَراً مِثْلَنا وَما نَرِیکَ اتَّبَعَکَ إِلَّا الَّذِینَ هُمْ أَراذِلُنا] یعنی انّ المطاعیّة تقتضی ان یکون المطاع افضل من المطیع و الفضیلة امّا اضافیّة بالاضافة الی من ادّعی الانتساب الیه اونفسیّة بکونه فی نفسه افضل من المطیع وکلاهما منتف عنک ، امّا الاوّل فلکونک بشراً مثلنا والبشر لایکون مناسباً للخالق الّذی ادّعیت الانتساب الیه لکونک مادّیاً سفلیّاً محدوداً متحیّزاً وکون الخالق بخلاف ذلک ولوفرض وجود بشر علی خلاف ذلک فلست انت ذلک لکونک مثلنا، وامّا الثّانی فلکون اتباعک اراذل النّاس وبین التّابع والمتبوع یکون مناسبة فانت ارذل النّاس [بادِیَ الرَّأْیِ] من بدا یبدو بمعنی ظهر اومن بدء بمعنی ابتدء وهو منصوب علی الظّرفیّة بتقدیر مضاف ای وقت بادی الرّأی والاتّباع وقت اوّل الرّأی اوظاهر الرّأی من غیر تعمّق دلیل علی الارذلیّة [وَما نَری لَکُمْ عَلَیْنا مِنْ فَضْلٍ] یعنی لا فضل سوی ماذکر ولوفرض فضل سوی ماذکر لم تکن انت له باهل لانّا لانری لکم علینا شیئاً من الفضل، اشرکوا اتباعه معه فی نفی مطلق الفضل لیکون کالدّلیل علی نفی مطلق الفضل عنه لانّه ان کان للمتبوع فضل یسر ذلک الفضل الی التّابع وان خفی فی بعضٍ ظهر من بعض آخر ، و یجوز ان یکون قوله و ما نری لکم کالنّتیجة للاولیین یعنی ان لم یکن لک فضل نفسیّ ولا اضافیّ فلا فضل لکم علینا [بَلْ نَظُنُّکُمْ کاذِبِینَ] فی دعوی الرّسالة و تصدیقهم ایّاک ولمّا لم یکن مقدّماتهم یقینیّة بل کلّها کانت ظنّیّة خطابیّة صرّحوا بظنّهم اخیراً، ولکن قیاسهم یشبه ان یکون من القیاسات الشّعریّة المرکّبة من المقدّمات الوهمیّة الممّوهة حیث انکروا الرّسالة بقصر النّظر فی الرّسول علی بشریّته وانّها تنافی الرّسالة عن الخالق ولم ینظروا الی روحانیّته وانّها مناسبة للخالق وانّ الرّسول بوجهه الرّوحانیّ یأخذ من الله وبوجهه البشریّ یبلّغ الی خلقه، وانّه لولم یکن ذا بشریّة لایمکنه التّبلیغ الی البشر، وانکروا فضل الاتباع ایضاً بقصر النّظر علی بشریّتهم وجهة دنیاهم ولم ینظروا الی روحانیّتهم المناسبة لروحانیّة الرّسول المناسبة للارواح المجرّدة ولوادرکوا روحانیّتهم، وانّ لاروحانیّة لانفسهم لعلموا انّ لاتباع النّبیّ (ص) فضلاً

كثيراً جدّاً عليهم [قَالَ يَاقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ] من الرّأى بمعنى الاعتقاد ولمّا كان حقيقة الاستفهام الاستخبار ومعنى الاستخبار طلب الاخبار عن اعتقاد المستخبر عنه استعملوا تلك الكلمة فى معنى اخبرونى مجرّداً عن الاعتقاد لئلّا يلزم التّكرار وقد مرّ نظيره [إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَ آتَانِي رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ] فعمّيت جواب الشّرط ، وجملة الشّرط و الجزاء متعلّق ارأيتم وارأيتم معلّق عنها والحقّ انّ التّعليق كما يقع باداة الاستفهام يقع باداة الشّرط ايضاً وحينئذٍ يكون جملة انلزمكموها مستأنفة منقطعة عمّا قبلها اوالفاء عاطفة وعمّيت معطوف على الشّرط والجزاء محذوف بقرينة ارأيتم اوبقرينة انلزمكموها و انلزمكموها مفعول ارأيتم معلّقاً عنه باداة الاستفهام، والبيّنة قد مرّ مراراً انّها النّبوّة كما انّ الزّبر هى الولاية واطلاقها على الرّسالة واحكامها وعلى المعجزة المبيّنة لصدق الدّعوى وعلى الكتاب السّماوىّ لكونها صورة النّبوّة وظهورها ، والرّحمة هى الولاية و النّبوّة وتوابعها صورة الرّحمة و لذا وحّد الضّمير فى عمّيت و نلزمكموها ولتوحيد الضّمير وجوه اخر لافائدة معتدّا بها فى ذكرها [وَيَاقَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالاً] بعد ما اظهر الدّعوى وادّعى خفاء المدّعى عليهم تعرّض لجوابهم لانّهم عرّضوا بتكذيبه الى انّه (ص) طالب للدّنيا والرّياسة وبتحقير الاتباع الى طردهم عنه بل صرّحوا بطردهم كما نقل فقال : ان كنت طالباً لدنياكم ينبغى ان يظهر منّى التّعرّض لها حيناً ما ، والحال انّى لا اسألكم عليه مالاً [إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ] وان كان ازدراء المؤمنين فى اعينكم سبباً لتوهينى ومانعاً من اتّباعكم لى فليس امرهم الىّ [وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ] بملاقاة خليفته ومظهره وبملاقاة ملكوت ربّهم المضاف فى الدّنيا والآخرة ولذا أتى باسم الفاعل اشارة الى تحقّق الملاقاة فى الحال [وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ] استدراك لما اوهم كلامهم واستدلالهم على تكذيبه من انّهم اهل علم وعقل ومقابلة لما قالوا له من قولهم ما نريك يعنى انّ تكذيبى وعدم اتّباعى ليس لماذكرتم بل لوقوعكم فى دار الجهل وبعدكم عن دار العلم والعقل [وَيَا قَوْمِ مَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ طَرَدْتُهُمْ] يعنى كانّ ايمانهم بمشيّة الله ولايجوز طردهم الّا بمشيّة الله فلو طردتهم بهواى اوباهويتكم سخط الله علىّ و من ينصرنى من سخطه [أَفَلَا تَذَكَّرُونَ] ذلك حتّى لا تسألونى طردهم [وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ] حتّى تكذّبونى و اتباعى بفقرنا و فاقتنا [وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ] حتّى تكذّبونى بعدم اكثارى المال بالمكاسبات الرّابحة او تكذّبونى بعدم اجابتكم فى السّؤال عن المغيبات و الجملة معطوفة على جملة عندى خزائن الله ولا زائدة لتأكيد النّفى والعدول الى الفعليّة لكون العلم وصفاً للعالم دون الخزائن اومعطوفة على جملة لااقول ولانافية وعدم ادخاله فى جملة القول للاشعار بانّ علم الغيب خاصّ بالله لايوصف غيره به بخلاف الخزائن فانّه قد يوكّل الله بعض خواصّه عليها لكن لايقول ذلك ولايدّعيه [وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ] حتّى تكذّبونى بماترون من بشريّتى [وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ] تعيبهم اعينكم افتعال للمبالغة من زراه اذا عابه ونسبته الى الاعين للاشعار بانّ ازدرائهم انّما هو لأجل مارأوه من ظاهر حالهم من الرّثاثة والحاجة من غير تبصّر بحالهم الواقعيّة [لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا] حتّى تطالبونى بطردهم و تكذّبونى بقبولهم [اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي

اَنْفُسِهِمْ] تعلیل [اِنّی اِذًا لَمِنَ الظّٰالِمِینَ] تعلیلٌ اخر وتعریض بهم حیث عابوهم [قٰالُوا] بعد عجزهم عن المحاجّة [یٰانُوحُ قَدْ جٰادَلْتَنٰا فَأَکْثَرْتَ جِدٰالَنٰا] واملتنا بجدالک وکنت تعدنا العذاب من ربّک [فَأْتِنٰا بِمٰا تَعِدُنٰا اِنْ کُنْتَ مِنَ الصّٰادِقِینَ] فانّه لاینفع فینا جدا لک [قٰالَ] لست بقادر علی اتیان العذاب ووعده و انّما نسبتموه الیّ بجهلکم [اِنَّمٰا یَأْتِیکُمْ بِهِ اللّٰهُ] لاغیره [اِنْ شٰاءَ وَمٰا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِینَ] فلاتجترئوا علی التحدّی [وَلٰا یَنْفَعُکُمْ نُصْحِی اِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَکُمْ] هذا الکلام منه تحسّر علیهم بانصرافهم عمّا یدعوهم الیه والاتیان باداة الشّکّ و ذکر الارادة مع انّه نصحهم و اکثر نصحهم للاشعار بانّهم لغایة بعدهم کأنّه لم ینصح ولاینبغی ان یرید نصحهم [اِنْ کٰانَ اللّٰهُ یُرِیدُ أَنْ یُغْوِیَکُمْ] جزاء الشّرط الاوّل محذوف بقرینة لاینفعکم نصحی و جزاء الشّرط الثّانی محذوف بقرینة مجموع الشّرط و الجزاء الاوّل [هُوَ رَبُّکُمْ] تعلیل لعدم النّفع مع ارادة الله الاغواء [وَاِلَیْهِ تُرْجَعُونَ] تعلیل للتّهدید من العذاب [أَمْ یَقُولُونَ افْتَرٰیهُ] ای قال الله لنوح (ع) ام یقولون افتراه فهو حکایة قوله تعالی لنوح (ع) وضمیر یقولون راجع الی قوم نوح او قال الله لمحمّد (ص) فهو اعتراض من الله خطاباً لمحمّد (ص) کأنّه بعد ما ذکر قصّة نوح (ع) مع قومه زعم بعض انّه افتراء من محمّد (ص) من غیر وقوعه ومن غیر وحی فأتی الله بتلک الجملة المعترضة بین قصّة نوح (ع) [قُلْ اِنِ افْتَرَیْتُهُ فَعَلَیَّ اِجْرٰامِی وَأَنَا بَرِیءٌ مِمّٰا تُجْرِمُونَ وَأُوحِیَ اِلیٰ نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ یُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِکَ اِلّٰا مَنْ قَدْ آمَنَ] بعد مادعی نوح (ع) بأنّی مغلوب فانتصر [فَلٰا تَبْتَئِسْ] لاتوقع نفسک فی شدّة الحزن وضیق الغمّ [بِمٰا کٰانُوا یَفْعَلُونَ] لمّا کان لغایة رحمته علیهم مغتمّاً بصنائعهم القبیحة نهاه الله تعالی عن ذلک [وَاصْنَعِ الْفُلْکَ بِأَعْیُنِنٰا] ای بمحضرنا وفی مرآنا یقال: افعله فی محضری لامر یکون به اهتمام، وجمع الاعین لکون المضاف الیه متکلّماً مع الغیر او الاعین جمع العین بمعنی الدّید بان والباء بمعنی فی اوللسّببیّة، ولمّا کان النّبیّ (ص) ذاشأنین وحین الاشتغال بالشّأن الخلقی لایبقی له الحضور التّام کما انّه حین الاشتغال بالشّأن الآلهی لایبقی له الالتفات الی الکثرات لطروّ الغشی اوشبه الغشی علیه ویکون موصوفاً بالحضور حینئذٍ امره بالقیام فی مقام الحضور وعدم الاشتغال بالکثرات حین نجر السّفینة [وَوَحْیِنٰا] تعلیمنا بواسطة الملک اومن لدنّا [وَلٰا تُخٰاطِبْنِی فِی الَّذِینَ ظَلَمُوا] کأنّه (ع) من غایة رحمته کان یراجع الله تعالی فی دفع العذاب عن قومه بعد ما اخبره بنزول العذاب و هکذا کان شأن اکثر الانبیاء (ع) خصوصاً اولوالعزم منهم [اِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ] محکوم علیهم بالاغراق حتماً [وَیَصْنَعُ الْفُلْکَ وَکُلَّمٰا مَرَّ عَلَیْهِ مَلَأٌ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ] روی عن الباقر (ع) انّ نوحاً (ع) لمّا غرس النّوی مرّ علیه قومه فجعلوا یضحکون ویسخرون ویقولون قد قعد غرّاساً، حتّی اذا طال النّخل وکان طوالاً قطعه ثمّ نحته فقالوا قدقعد نجّاراً، ثمّ الّفه فجعله سفینة فمرّوا علیه فجعلوا یضحکون ویسخرون ویقولون قدقعد ملّاحا فی فلاة من الارض، حتّی فرغ منها، وکأنّه اشار الی اجمال سخریّتهم والّا فانّهم سخروا منه بانواع مایسخر به کما نقل [قٰالَ اِنْ تَسْخَرُوا مِنّٰا فَاِنّٰا نَسْخَرُ مِنْکُمْ کَمٰا تَسْخَرُونَ] وهکذا کان شأن کلّ محقّ ومبطل لانّ کلّ من رأی غیره خارجاً من طریقته یسخر منه لکن سخریّة المحقّ عقلیّة و سخریّة المبطل خیالیّة نفسیّة

[فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ] من استفهاميّة مفعول تعلمون والفعل معلّق عنها ويخزيه صفة عذاب [وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيمٌ] عطف على يأتيه اوموصولة مفعولاً لتعلمون بمعنى تعرفون وباقي اجزاء الجملة كما ذكر اوموصولة مفعولاً اوّلا لتعلمون ويخزيه مفعول ثان ويحلّ عطف على يخزيه اوموصولة مبتدء ويخزيه خبرها و يحلّ عطف عليه والجملة مستأنفة و تعلمون مطلق عن المفعول [حَتّٰى إِذٰا جٰاءَ أَمْرُنٰا] غاية لقوله قال ان تسخروا الآية اولقوله ويصنع الفلك [وَفٰارَ التَّنُّورُ] فى التّنّور وموضعه وفورانه وموضعه اقوال والحمل على الظّاهر اظهر، وموضع التّنور معروف فى مسجد الكوفة اليوم وتفصيل نبع الماء وقصّة نوح (ع) وقومه والاختلاف فى التّنور وموضعه ونبع الماء منه مذكورة فى المفصّلات واجمال الصّافى والمجمع يكفى للتّبصّر [قُلْنَا احْمِلْ فِيهٰا مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلّٰا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ] و من سبق عليه القول هى امرأته الخائنة امّ كنعان كما قيل [وَمَنْ آمَنَ وَمٰا آمَنَ مَعَهُ إِلّٰا قَلِيلٌ وَقٰالَ ارْكَبُوا فِيهٰا بِسْمِ اللّٰهِ مَجْرٖيهٰا وَمُرْسٰيهٰا] قرئ كلاهما بضمّ الميم وفتح الرّاء والسّين وقرئ بفتح الميم وفتح الرّاء والسّين وقرئ الاوّل فقط بفتح الميم وكسر الرّاء وهما امّا منصوبان على الظّرفيّة سواء اريد بهما المكان اوالزّمان اوالمعنى المصدرىّ اومرفوعان فاعلين لقوله بسم الله اومبتدئين وخبرهما بسم الله وبسم الله ظرف لغو متعلّق باركبوا ومجريها يكون منصوباً على الظّرفيّة اومستقرّ حال من الضّمير المجرور و مجريها فاعله اومن فاعل اركبوا بتقدير لكم حتّى يتمّ الرّبط اومستقرّ خبر لمجريها والجملة امّا حال من الضّمير الفاعل بتقدير لكم اومن الضّمير المجرور اومستأنفة جواباً لسؤال مقدّر عن حال السّفينة او عن علّة الامر بالرّكوب ، وورد انّهم كلّما ارادوا جريها قالوا بسم الله مجريها وكلّما ارادوا ارساءها قالوا بسم الله مرسيها، وعلى هذا فالمناسب ان يكون جملة بسم الله مجريها محكيّاً لقول محذوف والتّقدير اركبوا قائلين بسم الله سواء قدّر مجريها مبتدء اومنصوباً على الظّرفيّة [إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ] فمن تلبّس باسمه ادركته مغفرته ورحمته [وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبٰالِ وَنٰادىٰ نُوحٌ ابْنَهُ وَكٰانَ فِي مَعْزِلٍ يٰا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنٰا وَلٰا تَكُنْ مَعَ الْكٰافِرِينَ] وورد فى الاخبار انّه لم يكن ابنه انّما كان ابن امرأته وفى لغة طيّ يقال لابن المرأة ابنه بفتح الهاء وقد ورد قراءة علىّ (ع) والباقر (ع) والصّادق (ع) بفتح الهاء وروى ابنها والضّمير لامرأته [قٰالَ سَآوِي إِلىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمٰاءِ قٰالَ لٰا عٰاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللّٰهِ إِلّٰا مَنْ رَحِمَ] الّا من كان شأنه الرّحمة وهو الله اومن كان خليفةً له اوالّا مكان من رحمة الله يعنى السّفينة اوالعاصم بمعنى المعصوم اوالاستثناء منقطع اوالعامل والمستثنى منه محذوف اى فليس اليوم معصوم من امر الله الّا من رحمه الله [وَحٰالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكٰانَ] فصار [مِنَ الْمُغْرَقِينَ وَقِيلَ يٰا أَرْضُ ابْلَعِي مٰاءَكِ وَيٰا سَمٰاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمٰاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ] اختلف فى تعيين الجودىّ فقيل: انّه بناحية آمل، وقيل: بقرب جزيرة الموصل، وقيل: بالشّام، وفسّر بفرات الكوفة، وقيل: انّه اسم لكلّ جبل وارض صلبة وكذلك اختلف فى مدّة كون نوح (ع) فى السّفينة، فورد انّها كانت سبعة ايّام بلياليها، وقيل : كانت مائة وخمسين يوماً، وقيل : اوّلها كان عاشر رجب وآخرها عاشر محرّم؛ ولايخفى حسن نظم الآية وقد ذكروا وجوهاً عديدةً بيانيّةً وبديعيّةً

فی الآیة الشریفة من أرادها فلیرجع الی التفاسیر الاُخر [وَقِیلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِینَ وَنَادیٰ نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِی مِنْ أَهْلِی وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ] باهلاك من لایدخل السّفینة وانجاء اهلی [وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِینَ] بعد تضرّعه والتجائه ودعائه فی حقّ ابنه تبرّی عن مشیّته وحکومته و اقرّ بأنّه أحکم الحاکمین دفعاً لتوهّم عدم رضائه بحکمه [قَالَ یَانُوحُ إِنَّهُ لَیْسَ مِنْ أَهْلِكَ] و ذلك لانّه علی فرض صحّة ما اشتهر انّه کان ابنه کان نسبته جسمانیّة ونوح (ع) صار متحقّقاً فی الدّنیا بالرّوحانیّة والنّسب الجسمانیّة منقطعة فی العالم الرّوحانیّ والنّسب الرّوحانیّة معتبرة هناك کالقیامة ولمّا لم یکن له نسبة روحانیّة واتّصال ملکوتیّ لم یکن من اهل نوح (ع) [إِنَّهُ عَمَلٌ غَیْرُ صَالِحٍ] حمل المصدر للمبالغة و هو تعلیل للنّفی ومن قرأ انّه عمل غیر صالح بالاضافة کما فی بعض الاخبار نفیاً لنسبته الجسمانیّة بجعله لغیّة العیاذ بالله فقد أخطأ وقریٔ انّه عَمِلَ غیرَ صالح فعلاً ماضیاً و غیر مفتوح الرّاء [فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَیْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ] ما لم تعرف حقیقة مسؤلك حتّی تعرف صحّة سؤالك [إِنِّی أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِینَ] حیث یسألون ما لایعلمون [قَالَ رَبِّ إِنِّی أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَیْسَ لِی بِهِ عِلْمٌ] امتثالاً لحکمك و اتّعاظاً بعظتك [وَإِلَّا تَغْفِرْ لِی وَتَرْحَمْنِی أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِینَ] قاله تضرّعاً واستکانة/[قِیلَ یَانُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا] بسلامة [وَبَرَكَاتٍ عَلَیْكَ وَعَلَیٰ أُمَمٍ مِمَّنْ مَعَكَ] من الامم التی فی السّفینة فانّهم کانوا جماعات مختلفة من انواع الحیوان او من اصناف الانسان [وَأُمَمٌ] ممّن معك او ممّن یولدون ممّن معك [سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ یَمَسُّهُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِیمٌ] عن الصّادق (ع) فنزل نوحٌ (ع) من السّفینة مع الثّمانین وبنوا مدینة الثّمانین وکانت لنوح ابنة رکبت معه فی السّفینة فتناسل النّاس منها وذلك قول النّبیّ (ص) نوح (ع) احد الابوین [تِلْكَ] القصص [مِنْ أَنْبَاءِ الْغَیْبِ نُوحِیهَا إِلَیْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هٰذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ] الحسنی فانّها غلبت فیها [لِلْمُتَّقِینَ] عن الجزع و التّسرّع الی الدّعاء [وَإِلَیٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا] و قد مضی فی سورة الاعراف انّه کان احدهم [قَالَ یَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلٰهٍ غَیْرُهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ] فی نسبة الآلهة الی الاصنام وجعلها شرکاء الله وشفعاء کم عنده [یَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَیْهِ أَجْرًا إِنْ أَجْرِیَ إِلَّا عَلَی الَّذِی فَطَرَنِی] دفع لما یتوهّمونه قیاساً علی انفسهم من انّ ادّعاء الرّسالة للاغراض الدّنیویّة و لما یخافونه من تفویت مالهم باتّباعه [أَفَلَا تَعْقِلُونَ] تدرکون ادراکاً عقلانیّاً غیر مشوب بتصرّفات الخیال فتعلمون انّ من ادّعی امراً لغرض دنیویّ یکون فی الاغلب مطمح نظره المال/[وَیَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَیْهِ] قد مضی فی هذه السّورة تفسیره [یُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَیْكُمْ مِدْرَارًا] درّ السّماء بالمطر سالت به والمدرار بمعنی کثیر الدّر حال من السّماء و ارسال السّماء عبارة عن ارسال السّحاب او المطر من جهة انّهما یجیئان من جهتها ، او المراد بالسّماء هو السّحاب اوالمطر من دون ملاحظة علاقة لاطلاقها علی کلّ علوّ [وَیَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَیٰ قُوَّتِكُمْ] رغّبهم فی الایمان بذکر ترتّب الغایات الدّنیویّة علیه لانّ حالهم کانت کحال الصّبیان لا یرون الخیر الّا فیما

احسّوه خيراً من الاعراض الدّنيويّة وكان المناسب لحالهم وعدهم بما يظنّونه خيراً، وقيل: لم يمطروا ثلاث سنين وكانوا قد اعقمت نساؤهم فكانوا طالبين للمطر وللاولاد و المراد بزيادة القوّة زيادة العدد [وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ] دالّة على صدقك قالوه عناداً [وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ] يعنى ما نقول و ما نحتمل فى حقّك شيئاً الّا هذا القول وهو قولنا اعتريك اى اصابك بعض الهتنا بسوء فصرت مجنوناً، اوما نقول معك الّا هذا القول يعنى لاتخاطب نا معك لانّك مجنون باصابة بعض آلهتنا .

اعلم ، انّ الشّياطين كانوا يظهرون حيناً ما على هياكل الاصنام بعض الغرائب مثل التّكلّم على السنتهم و لذا كانوا مغترّين بها مع انّها جمادات بلاروح و الّا فالعاقل لاينسب الى الجماد ما يخوّف به الانسان [قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ مِنْ دُونِهِ] اجابهم عن التّخويف بالاصنام بالتّحدّى وعدم المبالاة بها [فَكِيدُونِي] انتم وآلهتكم [جَمِيعاً ثُمَّ لَا تُنْظِرُونِ إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا] كناية عن تسخيره تعالى وقهره لكلّ دابّة .

بيان فى وحدة الوجود

اعلم ، انّ الاصل فى التّحقّق هو الوجود كما سبق فى اوّل البقرة وعليه معظم الحكماء والمشّائين والاشراقيّين، وقرّره جميع اهل الذّوق من العرفاء والصّوفيّة الصّافيّة الطويّة رضوان الله عليهم وانّه حقيقة واحدة وسيعة ذات مراتب عديدة وبحسب تنزّلاتها وكثرة مراتبها يطرؤها الحدود الكثيرة ، و باعتبار الحدود ينتزع منها مهيّات عديدة متباينة ومتشاركة، وبكثرة الحدود والمهيّات لاينثلم وحدتها اذ وحدتها ليست اعتباريّة حتّى تنثلم باعتبار الكثرة، ولاجنسيّة حتّى تنثلم بانضمام الفصول، ولانوعيّة ولاصنفيّة حتّى تنثلم بالمصنّفات والمشخّصات، ولاعدديّة حتّى يتصوّر لها ثان، ولاتركيبيّة ولااتّصاليّة حتّى تنثلم بالتّحليل والتّقسيم بل لاتركيب فيها من جنس وفصل ولانوع ومشخّص ولامهيّة ووجود ولاوجود وحدّ وجود ، ولذا كانت لااسم لها ولارسم وكانت غيباً مطلقاً لا خبر عنها ولا اثر والاسماء والرّسوم والكثرات المتراءات فيها انّما هى فى مقام ظهورها فحقيقة الوجوب هى الظّاهرة فى كلّ المظاهر وهى الغاية عن الكلّ ومن قال : سبحان من اظهر الاشياء وهو عينها ؛ نظر الى تلك الحقيقة فانّها باعتبار مقام الغيب ومرتبة الوجوب خالق الكلّ ومظهرها، وباعتبار مقام الظّهور عين الكلّ وحقائقها فانّه ليس فى تلك العبارة اشعار بوحدة الوجود المؤدّية الى الاباحة والالحاد فانّه نزّهه سبحانه اوّلاً عن الاختلاط بالكثرات ثمّ اسند الاظهار اليه واثبت الاشياء فأشار الى الكثرات والى تنزّهه تعالى عن الكلّ وعلوّه على الكلّ ثمّ قال: انّه باعتبار حقيقة الوجود عين الكلّ والكلّ متحقّق به لاباعتبار مرتبة الوجوب و الّا لزم التّناقض فى كلامه و هو اجلّ شأناً من ان يأتى بالتّناقض فى كلام واحد، والى هذا المعنى اشير فى الكلام الآلهىّ بقوله تعالى : هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ اى الله باعتبار حقيقة الوجود لا باعتبار مقام الوجوب ، وما ورد من امثال هذا فى كلمات الكبار من الصّوفيّة فهو ناظر الى تلك الحقيقة لا الى مقام الوجوب حتّى يرد عليهم ما اوردوه مثل قولهم :

غيرتش غير در جهان نگذاشت — زان سبب عين جمله اشياء شد
كه يكى هست و هيچ نيست جزاو — وحده لا اله الّا هو
جنبشى كرد بحر قلزم عشق — صد هزاران حباب پيدا شد

ليس فى الدّار غيره ديار

هر لحظه بشکلی بت عیار برآمد دل‌بردو نهان شد هردم بلباس دگران یار برآمد که پیرو جوان شد

الی آخرماقاله المولویّ من هذا القبیل، فانّ الکلّ اثبتوا الکثرات ثمّ ذکروا تحقّقها بحقیقة الوجود لا بمقام الوجوب و الّا لزم التّناقض فی کلامهم وتلک الحقیقة من حیث هی منزّهة عن جملة الکثرات و تمام القیود والاعتبارات حتّی اعتبار الاطلاق وقید اللّا بشرطیّة، ولذا صارت مقسماً لجملة المقیّدات والمطلقات لاکمقسمیّة المفاهیم العامّة ولاکمقسمیّة الاجناس والانواع بل مقسمیّته فوق ما ندرکه مجهولة الکنه کنفس تلک الحقیقة، فاذا اعتبرت بشرط لاکانت مقام الوجوب، واذا اعتبرت مطلقة مقیّدة بالاطلاق کانت مقام الفعل ومرتبة المشیّة والصّراط المستقیم بین الخلق والحقّ، واذا اخذت بشرط شیء کانت ممکنة ومخلوقة بمراتبها المتکثّرة، فالحقیقة فی الواجب وجود وفی مقام الفعل وجود وفی مقام الممکن وجود ولایلزم من ذلک تشبیه ولاتشریک، لانّ المخلوقیّة فی الحقیقة راجعة الی المهیّات الّتی ماشمّت رائحة الوجود ابداً ووجود المخلوق هو خالقیّته تعالی وفعله الّذی هو اضافته الی الاشیاء ولا حکم له علی حیاله بل هو باعتبار المهیّات محکوم علیه بالمخلوقیّة وباعتبار الفاعل بالوجوب فهو فی الخارجیّات کالمعنی الحرفیّ فی الذّهنیّات وهو لیس ایّاه ولیس غیره بل هو هو بوجهٍ وغیره بوجهٍ، فمن نظر الی وجود الممکنات من حیث تحدّدها وتعیّنها بالمهیّات فهو ناظر الی المصنوع مردود ملعون عن الله، ومن نظر الیه من حیث انّه فعل الربّ وصنعه فهو مرحوم مکرم:

عاشق صنع خدا بافرّ بود عاشق مصنوع او کافر بود

ناظر الی ماذکرنا والاشکال بانّ الرّضا بالقضاء واجب و الرّضا بالکفر کفر مع انّ الکفر من القضاء مشهود، مدفوع بماذکر، اذاتقرّر هذا فاعلم، انّ ناصیة کلّ شیءٍ ما به اوّل ظهوره وما به توجّهه الی مایتوجّه الیه وهی فی کلّ الممکنات جهة وجودها الّتی بها ظهورها وتحقّقها وبها توجّهها الی اصلها الّذی هو حقیقة الوجود والوجودات الامکانیّة اظلال الوجود المطلق الّذی هو ظلّ الحقّ تعالی، والاظلال الوجودیّة کلّها محاطة مقهورة مسخّرة تحت الوجود المطلق، والحقّ الاوّل تعالی شأنه محیط بفعله آخذ له قاهر علیه والوجود المطلق هو الصّراط المستقیم فقوله: ما من دابّة فی الارض اشارة الی جملة الممکنات بذکر اشرفها الّا هو اشارة الی مقام الوجوب آخذ اشارة الی الوجود المطلق بناصیتها اشارة الی الوجودات الامکانیّة ولذا علّله بقوله [إِنَّ رَبِّی عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ] لانّه محیط بالوجود المطلق الّذی هو محیط بالوجودات الامکانیّة وباعتبار کثرة العوالم فی العالم الکبیر والعالم الصّغیر تتکثّر مصادیق الآیة الشّریفة ومظاهر مصداقها الحقیقی [فَإِن تَوَلَّوْا] ای تتولّوا [فَقَدْ أَبْلَغْتُكُم مَّا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ] من الانذار بالعذاب الدّائم والعذاب الدّنیویّ ونصحت لکم واتممت الحجّة علیکم [وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّی] بعد اهلاککم بالعذاب المنذر به [قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّونَهُ شَيْئًا] بتولّیکم وهلاککم بالعذاب فانّه یستخلف امثالکم فلا ینقص فی ملکه ولا فی خلقه بهلاککم [إِنَّ رَبِّی عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ] فیحفظ نوع الانسان وجملة خلقه باستخلاف امثال الموجودین من بعد هلاکهم [وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا] باهلاک القوم [نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا] علیهم لاستحقاقهم الرّحمة بایمانهم [وَنَجَّيْنَاهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ] من قبیل عطف التّفصیل علی الاجمال والفائدة تأکید الانجاء و لذا کرّر نجّینا والتّصریح بما نجوا منه تهویلاً لعذابهم لتهدید السّامعین و یمکن ان یراد بالثّانی الانجاء من عذاب الآخرة [وَتِلْكَ عَادٌ

جَحَدُوا بِـاٰيٰاتِ رَبِّهِمْ] بكفرانهم بهود (ع) ومعجزاته فكأنّهم جحدوا جميع الآيات وقد مرّ مراراً ان امثال هذه تعريض بامّة محمّد(ص) وجحودهم بعلىّ (ع) وكفرهم به [وَعَصَوْا رُسُلَهُ] بعصيان هود (ع) فانّ من انكر واحداً انكر الجميع اوبعصيان رسل زمانهم وبلادهم [وَاتَّبَعُوا اَمْرَ كُلِّ جَبّٰارٍ عَنِيدٍ] لانّهم اذا اتّبعوا امرجبّار من الجبابرة والكلّ سنخ واحد فاتّبعوا امر كلّ جبّار اوباتّباع امرجبابرة بلادهم اوالاتيان بصيغة الجمع للاشارة الى جحود آيات العالم الصّغير وعصيان رسل ذلك العالم واتّباع كلّ جبّار فيه وهو تعريض بامّة محمّد(ص) كأنّه قال فلا تجحدوا يا امّة محمّد(ص) بآيات ربّكم وخلفائه ولا تعصوا رسوله فى مخالفة قوله فى علىّ (ع) ولا تتّبعوا امر الجبّار الّذى يتجبّر على علىّ(ع) ويعانده [وَاُتْبِعُوا فِي هٰذِهِ الدُّنْيٰا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيٰمَةِ اَلاٰ اِنَّ عٰادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ] المضاف الّذى هوهود(ع) ثمّ بربّهم المطلق فلاتكفروا انتم بعلىّ(ع) فيقال بعداً لكم كما يقال [اَلاٰ بُعْدًا لِعٰادٍ قَوْمِ هُودٍ] وتكرير ألا وعاداً والابدال منه بقوم هود (ع) لكون المقام مقام السّخط والتّهديد والتّكرير والتّغليظ والتّطويل مطلوب فى ذلك المقام [وَاِلىٰ ثَمُودَ اَخٰاهُمْ صٰالِحًا قٰالَ يٰا قَوْمِ اعْبُدُوا اللّٰهَ مٰا لَكُمْ مِنْ اِلٰهٍ غَيْرُهُ هُوَ اَنْشَاَكُمْ مِنَ الْاَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهٰا] استبقاكم او اعطاكم وعلّمكم ما به تعمرون البلاد [فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا اِلَيْهِ اِنَّ رَبّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ قٰالُوا يٰا صٰالِحُ قَدْ كُنْتَ فِينٰا مَرْجُوًّا] للخير لما رأينا عليك من الصّلاح و العقل والكفاية [قَبْلَ هٰذٰا] الزّمان الّذى أظهرت فيه ماننكره وما لم نعرفه قبل ذلك من غيرك [اَتَنْهٰينٰا اَنْ نَعْبُدَ مٰا يَعْبُدُ اٰبٰاؤُنٰا] الهمزة للتّعجّب [وَاِنَّنٰا لَفِي شَكٍّ مِمّٰا تَدْعُونٰا اِلَيْهِ مُرِيبٍ] صفة شكّ من قبيل ظلّ ظليل سواء كان بمعنى موقع فى الشّكّ او بمعنى ذى ريبة [قٰالَ يٰا قَوْمِ اَرَاَيْتُمْ اِنْ كُنْتُ عَلىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبّي وَاٰتٰانِي مِنْهُ رَحْمَةً فَمَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللّٰهِ اِنْ عَصَيْتُهُ فَمٰا تَزِيدُونَنِي] ان اتّبعتمونى فيكون بمنزلة قوله تعالى قل لا أسألكم عليه اجراً وابلغ منه وان اتبعتكم فى دينكم يرجوعى اليه كما سألتمونيه [غَيْرَ تَخْسِيرٍ] ايقاع الخسران علىّ اونسبتى الى الخسران [وَيٰا قَوْمِ هٰذِهِ نٰاقَةُ اللّٰهِ لَكُمْ اٰيَةً فَذَرُوهٰا تَاْكُلْ فِي اَرْضِ اللّٰهِ] اجمل قصّته اتّكالاً على سائر ماورد فى الكتاب من حكايته [وَلاٰ تَمَسُّوهٰا بِسُوءٍ فَيَاْخُذَكُمْ عَذٰابٌ قَرِيبٌ] عاجل [فَعَقَرُوهٰا فَقٰالَ تَمَتَّعُوا فِي دٰارِكُمْ] تعيّشوا فى منازلكم اوبلدكم [ثَلاٰثَةَ اَيّٰامٍ] وعيد بالعذاب والاهلاك بعد الثّلاثة [ذٰلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ فَلَمّٰا جٰاءَ اَمْرُنٰا] باهلاكهم [نَجَّيْنٰا صٰالِحًا وَالَّذِينَ اٰمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنّٰا وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ] عطف على محذوف اى نجّيناهم من ذلك العذاب و من مسيس الخزى منه ايضاً فى يوم ذلك العذاب او فى يوم القيامة [اِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ] يقوى على عذاب جمع وانجاء جمع منهم [الْعَزِيزُ] غالب لا مانع له من مراده [وَاَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَاَصْبَحُوا فِي دِيٰارِهِمْ جٰاثِمِينَ] ميّتين [كَاَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهٰا] يقيموا بها [اَلاٰ اِنَّ ثَمُودَ كَفَرُوا رَبَّهُمْ اَلاٰ بُعْدًا لِثَمُودَ] قدمرّ مراراً انّ امثال هذه تعريض بامّة محمّد(ص) [وَلَقَدْ جٰاءَتْ

رُسُلَنٰا] ای الملائکة وکانوا اربعة کماورد فی الخبر جبرئیل ومیکائیل واسرافیل وکرّوبیل [إِبْرٰهِيمَ بِالْبُشْرٰى] ببشارة الولد ای اسماعیلّ من هاجر اواسحاق من سارة باختلاف الاخبار [قٰالُوا سَلٰامًا] حیّره بتلک التّحیّة [قٰالَ سَلٰامٌ] اجابهم بابلغ من تحیّتهم حیث عدل عن النّصب الی الرّفع [فَمٰا لَبِثَ أَنْ جٰاءَ] ای مالبث زماناً معتدّاً به الی ان جاء [بِعِجْلٍ حَنِيذٍ] یعنی اسرع فی قراهم وفی طبخه والحنیذ المشویّ النّضیج، فقال کلوا، فقالوا لانأکل حتّی تخبرنا ماثمنه؟ـ قال اذا اکلتم فقولوا بسم الله واذا فرغتم فقولوا الحمدلله، فقال جبرئیل لاصحابه حقّ علی الله ان یتّخذه خلیلاً [فَلَمّٰا رَأىٰ أَيْدِيَهُمْ لٰا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ] انکرهم واضمر انّهم اعداء لااضیاف [وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً] احسّ و اضمر خوفاً [قٰالُوا] بعد ما رأوا انّه خاف [لٰا تَخَفْ إِنّٰا] ملائکة الله و احبابک [أُرْسِلْنٰا إِلىٰ قَوْمِ لُوطٍ] و لیس شأننا الاکل [وَامْرَأَتُهُ قٰائِمَةٌ] وهی سارة تسمع مکالمتهم [فَضَحِكَتْ] تعجّبت من مکالمتهم او حاضت بعد ما ارتفع حیضها منذ دهرٍ لانّها کانت حینئذٍ ابنة تسعین سنة وابراهیم (ع) ابن عشرین ومائة سنة وقد فسّر ضحکت فی الاخبار بکلّ من المعنیین وهذا من سعة وجوه القرآن [فَبَشَّرْنٰاهٰا بِإِسْحٰاقَ وَمِنْ وَرٰاءِ إِسْحٰاقَ] الظّرف حال ممّا بعده [يَعْقُوبَ قٰالَتْ] بعد البشارة تعجّباً من الولد بعد سنّ الیأس منه [يٰا وَيْلَتىٰ] کلمة تعجّب وان کان اصله ان یستعمل فی الشّرّ [أَءَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ] آئسة من الولد [وَهٰذا بَعْلِي شَيْخًا] لایرجی منه الاستیلاد [إِنَّ هٰذا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ قٰالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللّٰهِ رَحْمَةُ اللّٰهِ وَبَرَكٰاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ] یفعل بمن استحقّ الاحسان فوق استحقاقه [مَجِيدٌ] لاینظر فی احسانه الی استحقاق فکیف ولکم الاستحقاق، وفی الخبر انّه اوحی الله تعالی الی ابراهیم (ع) انّه سیولد لک فقال لسارة فقالت اءلد وانا عجوز؟ـ فأوحی الله الیه انّها ستلد ویعذّب اولادها اربعمائة سنة بردّها الکلام علیّ قال: فلمّا طال علی بنی اسرائیل العذاب ضجّوا وبکوا الی الله اربعین صباحاً فاوحی الله الی موسی (ع) وهارون (ع) نخلّصهم من فرعون فحطّ عنهم مائةّ وسبعین سنة وقال هکذا انتم لوفعلتم لفرّج الله عنّا فامّا اذا لم تکونوا فانّ الامر ینتهی الی منتهاه [فَلَمّٰا ذَهَبَ عَنْ إِبْرٰاهِيمَ الرَّوْعُ] سکن الخوف بمعرفته ایّاهم [وَجٰاءَتْهُ الْبُشْرىٰ يُجٰادِلُنٰا فِي قَوْمِ لُوطٍ] یعنی انّه بعد ما سکن الخوف و حصل له البسط ببشارة الولد و اخبره الملائکة بانّهم نزلوا لعذاب قوم لوط جادلنا یعنی بمجادلة رسلنا فی دفع العذاب عن قوم لوط وهذا من کمال رحمته علی خلق الله وسعة خُلقه وکمال مرتبة نبوّته فانّ قوم لوط بشؤم اعمالهم استحقّوا سؤال العذاب منه و هو یجادل الله فی دفع العذاب ، عکس ماروی عن بعض الانبیاء (ع) الجزویّة من سؤال العذاب بعد التّبلیغ وتأبّیهم عن الانقیاد من غیر صبر علی اذاهم فضلاً عن طلب الرّحمة ودفع العذاب عنهم، وصورة مجادلته الملائکة کما نقل انّه قال ان کان فیها مائة من المؤمنین اتهلکونهم ؟ـ فقال جبرئیل : لا ، قال : فان کان فیها خمسون ؟ـ قال لا ، قال: فان کان فیها ثلاثون؟ـ قال لا ، قال: فان کان فیها عشرون ؟ـ قال: لا ، قال: فان کان فیها عشرة ؟ـ قال: لا ، قال: فان کان فیها خمسة ؟ـ قال: لا ، قال: فان کان فیها واحد؟ـ قال: لا ، قال : فانّ فیها لوطاً ؛ قالوا نحن اعلم بمن فیها لننجّینّه واهله، وهذا من استکماله (ع) فی نبوّته لانّه کماروی بعد ما أری ملکوت السّماوات

و الارض رأى رجلا و امرأته على معصية الله فدعا عليهما فأهلكا و بعد كمال النّبوّة يجادل فى قوم لوط مع انّه (ع) كان يراهم على معاصى الله وعلى اشدّها [إِنَّ إِبْرٰهِيمَ لَحَلِيمٌ] غيرعجول على المسيء بالمؤاخذة و بالدّعاء عليه [أَوَّاهٌ] كثير الدّعاء [مُنِيبٌ] راجع الى الله فى كلّ مايرى [يٰإِبْرٰهِيمُ] قلنا على السنة رسلنا اوقالت الملائكة يا ابراهيم [أَعْرِضْ عَنْ هٰذٰا] اى سؤال دفع العذاب والمجادلة فيهم [إِنَّهُ قَدْ جٰاءَ أَمْرُ رَبِّكَ] باهلاكهم ولامردّله [وَإِنَّهُمْ آتِيهِمْ عَذٰابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ] فلافائدة فى جدالك [وَلَمّٰا جٰاءَتْ رُسُلُنٰا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ] لانّهم اتوه بصورغلمان فخاف تفضيحهم لعلمه بسيرة قومه [وَضٰاقَ بِهِمْ ذَرْعًا] كناية عن العجز عن الحيل فى دفع الشّدّة كأنّه لايمكنه مدّ اليد الى شيء فى دفعها [وَقٰالَ هٰذٰا يَوْمٌ عَصِيبٌ] شديد بليّته لعدم حياء قومى وعدم قدرتى على دفعهم و كمال اهتمامى فى محافظة اضيافى [وَجٰاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ] يسرعون كأنّهم يدفعون لطلب الفاحشة من اضيافه [وَمِنْ قَبْلُ كٰانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئٰاتِ] بحيث لم يبق لهم حياء و تجاهروا بفعلهم وطلبوا الفاحشة من اضيافه [قٰالَ يٰا قَوْمِ] يعنى قالوا اعطنا اضيافك فانّك شاركتنا فى فعلنا فقال ياقوم [هٰؤُلاٰءِ بَنٰاتِي] يريد التّزويج بهنّ او مقصوده ازواجهم فانّهنّ كنّ بناته لكون كلّ نبيّ ابا امّته و مقصوده كما فى الخبر ان يأتوا من ادبارهنّ لانّه قد علم انّهم لايريدون الفروج [هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ] من حيث الاثم اومن حيث الجسم ولذلك وردعن الرّضا(ع) انّه قال احلّه آية من كتاب الله قول لوط هؤلاء بناتى هنّ اطهرلكم وقد علم انّهم لم يريدوا الفروج [فَاتَّقُوا اللّٰهَ] فى هذا الفعل الشّنيع [وَلاٰ تُخْزُونِ] لا تخجلونى من الخزاية بمعنى الحياء اولاتفضحونى من الخزى [فِي ضَيْفِي] فانّ اخزاء ضيف الرّجل اخزاؤه [أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ] يهتدى الى الحقّ ويرعوى عن القبيح [قٰالُوا لَقَدْ عَلِمْتَ مٰا لَنٰا فِي بَنٰاتِكَ مِنْ حَقٍّ] حاجة وميل [وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مٰا نُرِيدُ] من اتيان الذّكران [قٰالَ] بعد عجزه عن النّصح والمحاجّة متمنّياً ماليس له الوصول اليه باعتقاده [لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ] بمدافعتكم [قُوَّةً] بنفسى [أَوْ آوِي إِلىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ] قوىّ على دفعكم حتّى ادفعكم به استعار لفظ الرّكن الّذى هوالجبل الّذى لا يمكن تحريكه اوقاعدة البيت الّتى هى كذلك للقوىّ الممتنع عن ازعاجه، نقل انّه قال جبرئيل انّ ركنك لشديدٌ افتح الباب ودعنا وايّاهم [قٰالُوا] اى الملائكة بعد مارأوا عجزه عن دفعهم ونهاية تضجّره بهم تعريفاً لانفسهم تسكيناً لاضطرابه [إِنّٰا رُسُلُ رَبِّكَ] فلا تغتمّ [لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ] بما يريدون [فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ] مظلماً كذا روى عن علىّ(ع) [وَلاٰ يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ] يعنى لايتخلّف وعلى هذا فقوله [إِلّٰا امْرَأَتَكَ] استثناء من احد اولاينظر الى وراءه وعلى هذا فهو استثناء من اهلك [إِنَّهُ مُصِيبُهٰا مٰا أَصٰابَهُمْ] تعليل [إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ] جواب سؤال مقدّر اوكان مذكوراً فأسقطه تعالى ايجازاً كأنّه قال استعجالاً بالعذاب: متى كان موعدعذابهم؟ فقال: انّ موعدهم الصّبح، روى انّه قال: متى موعد اهلاكهم؟ قالوا: الصّبح، فقال: اريد اسرع من ذلك لضيق صدره بهم فقالوا [أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ] ومن هذا يظهر فضل مقام ابراهيم(ع) على مقام لوط (ع) مع انّه كان يراهم على الفاحشة

مثل لوط اوازید و اتمّ لانّه کان له رؤیة الملکوت فیری ماکان غائباً عن لوط (ع) ومع ذلک یجادل فی دفع العذاب و لوط (ع) یستعجل بالعذاب [فَلَمّا جاءَ أَمْرُنا جَعَلْنا عالِيَها سافِلَها] بان جعل جبرئیل جناحه فی اسفلها ثمّ رفعها الی السّماء ثمّ قلّبها علیهم [وَأَمْطَرْنا عَلَيْها حِجارَةً مِنْ سِجِّيلٍ] معرّب «سنگ گل» ای الطّین المتحجّر [مَنْضُودٍ] نضد واعدّ لعذابهم اومتتابع فی النّزول علیهم والصق بعضه ببعض [مُسَوَّمَةً] معلّمة بالنّقاط للعذاب [عِنْدَ رَبِّكَ] متعلّق بمسوّمة اوظرف مستقرّحال من المستتر فی مسوّمة [وَما هِيَ مِنَ الظّالِمِينَ بِبَعِيدٍ] تعریض بأمّة محمّد (ص) والمراد مطلق من ظلم اومن ظلم مثل ظلمهم باتیان الذّکور روی انّه من مات مصرّاً علی اللّواط لم یمت حتّی یرمیه الله بحجرمن تلک الاحجار فیکون فیه منیّته ولایراه احد وقصّة لوط (ع) وقومه وسوء فعلهم وخراب دیارهم مذکورة فی المفصّلات [وَإِلى مَدْيَنَ أَخاهُمْ شُعَيْباً قالَ يا قَوْمِ اعْبُدُوا اللهَ ما لَكُمْ مِنْ إِلهٍ غَيْرُهُ وَلا تَنْقُصُوا الْمِكْيالَ وَالْمِيزانَ] کانوا یعاملون بنقص المیزان اذا اعطوا واستیفائه اذا اخذوا، فنهاهم عن سوء صنیعهم [إِنِّي أَراكُمْ بِخَيْرٍ] ان ترکتم البخس فی المعاملة [وَإِنِّي أَخافُ عَلَيْكُمْ عَذابَ يَوْمٍ مُحِيطٍ] بعذابه کلّ النّاس او بجمیع جوانب کلّ احد او محیط بجمیع ایّام الدّنیا، وعدو وعید کما هوشأن الانبیاء (ع) فی دعوتهم حیث یجمعون بین التّبشیر والانذار [وَيا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيالَ وَالْمِيزانَ] تصریح بمفهوم النّهی تأکیداً ورفعاً لتوهّم ان یرید بالنّهی عن النّقص الامر باعطاء الزّیادة فانّ مفهوم مخالفته اعمّ من الایفاء واعطاء الزّیادة ولذا قیّد الایفاء بقوله [بِالْقِسْطِ وَلا تَبْخَسُوا النّاسَ أَشْياءَهُمْ] تعمیم لمطلق الاشیاء مکیلةً کانت او موزونةً اوغیرها و تأکید آخر فانّهم لمّا کانوا مصرّین علی التّطفیف کان التّأکید فی النّهی عنه والامر بالایفاء مطلوباً [وَلا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ] حال تأکیدیّ و تعمیم آخر و نهی عن مطلق الافساد. **اعلم**، انّ الآیة کما تجری فی الاعراض الدّنیویّة تجری فی الاوصاف النّفسانیّة من حسن المعاشرة وترک سوء الخلق مع المعاشرین والانصاف معهم وترک طلب الانصاف منهم وحسن الظّنّ بهم واتّهام نفسه فیهم وستر العیوب منهم ورؤیة العیوب من نفسه والاعتذار لهم والملامة لنفسه، وکما تجری فی العالم الکبیر تجری فی العالم الصّغیر والمعاملة مع اهل مملکته، وکما تجری فی المعاملة بین الشّخص وسائر الخلق تجری فی المعاملة بینه وبین الله، فلا تغفل عن تعمیم الآیة، بل ینبغی للنّاظر المتدبّر فی الآیات الآلهیّة ان ینظر ویتدبّر اولاً فی مصداق کلّ آیة فی وجوده ومملکته ثمّ ینظر فی مصادیقه الخارجیّة ولا یخصّص الآیة بمن نزلت فیه، مثلاً اذا تلا آیة فیها ذکر فرعون وموسی (ع) فلینظر اولاً الی وجوده و فرعون مملکته الدّاعی للآلهة والاستقلال والاستبداد، وموسی وجوده الدّاعی لاهل مملکته وفرعونهم الی الاقرار بالله والانقیاد له، ثمّ لینظر الی حال موسی (ع) وفرعون و مالهما و ما علیهما لیعتبر بذلک و یعین به موسی وجوده علی دعوته، ثمّ لینظر الی موسی زمانه وفرعونه لیعتبر بهما ویقیس حالهما الی من مضی وینزجرعن فرعونه ویطلب موساه لیعین ایضاً بذلک موسی وجوده ویفرّ من فرعونه [بَقِيَّةُ اللهِ خَيْرٌ لَكُمْ] یعنی مایبقی لکم من مکاسبکم من دون ارتکاب البخس والتّطفیف و الاضافة الی الله للاشارة الی انّ المعطی هوالله وانّ المکاسب وسائل اعطاء الله سترّاً علی اعطائه لئلّا ینصرفوا عن المکاسب، اوبقیّة الله من الفطرة الآلهیّة واللّطفیّة السّیّارة الانسانیّة والعقل وجنوده

بعداحاطة النّفس وشهواتها والشّيطان واغوائه والجهل وجنوده بمملكتكم خيرلكم من قضاء الشّهوات والآمال الّتى زيّنها الشّيطان، اوبقيّة الله من خلقائه فى ارضه الدّاعين لكم اليه خيرلكم من رؤسائكم فى ضلالتكم وكان هذا القول منه تلويحاً الى نفسه [إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ] تقييدٌ بالايمان فانّ بقيّة الله لغير المؤمن نقمة وعذاب اوشرط تهييجيّ لانّهم كانوا مدّعين انّهم مؤمنون بالله و اصنامهم شفعاؤهم عندالله [وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ] ضمّنه مثل معنى الوكالة والمراقبة فعدّاه بعلى اى ما انا وكيل عليكم بحفظكم من الشّيطان ومن شرورانفسكم [قَالُوا] فى جوابه عن دعوته الى التّوحيد وترك الفساد فى الاعمال [يَا شُعَيْبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا] استهزأوا به بتحقير صلوته من حيث انّها كانت غريبة فى انظارهم شبيهة بافعال المجانين لانّهم مارأوا مثلها من امثالهم و بتعظيم عبادة اصنامهم متوسّلاً فى ذلك بانّها كانت فعل آبائهم و انّهم اعتادوها و اخذوها من اسلافهم [أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ] بالتّطفيف [إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ] من قبيل استعمال الضّدّ فى الضّدّ تهكّماً واستهزاءً اى انّك ذوطيش سفيه اوتهييج له على ارتداعه عن دعواه وموافقته لهم يعنى انّك كنت رجلاً حليماً لايرجى منك مايظهر من امثال الصّبيان ، رشيداً لا ينبغى ان يصدر منك افعال السّفهاء و المجانين [قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي] قد مضى بيان البيّنة [وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا] اشارة الى موائد الولاية فانّها الرّزق الحسن، والجزاء محذوف اى انصرف عن دعواى؟ واخف غير مولاى؟!

[وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَيكُمْ عَنْهُ] يعنى ليس مطمح نظرى دنياكم حتّى تكذّبونى بمنزلة ماأسألكم عليه مالاً [إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ] لمّا نسب الارادة الى نفسه تبرّى عن استقلاله فقال [وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ] يعنى لانظر فى فعلى ودعوتى الى نفسى وحولى وقوّتى ولافى غاية فعلى الى غير ربّى فالآية اشارة الى التّبرّى من حوله ومن النّظر الى غاية سوى مولاه [وَيَا قَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي] لا يكسبنّكم كسباً سيّئاً [أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِنْكُمْ بِبَعِيدٍ] يعنى ان كان زمان الامم السّالفة بعيداً منكم ولستم تعتبرون منهم لعدم مشاهدة آثار هلاكهم بعصيانهم فقوم لوط غير بعيد منكم تشاهدون آثارهم و تتسامعون اخبارهم فاعتبروا بهم و اجتنبوا عن مثل افعالهم فى مخالفة نبيّهم و هو تهديد لهم بهلاك الامم الماضية بمخالفتهم رسولهم/[وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ] قد مضى تفسيره فى هذه السّورة [قَالُوا] بعد ما لم يقدروا على الاحتجاج معه [يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ] استهزؤا بقوله وهدّدوه بقولهم [وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ] فيمنعنا عزّة وجودك علينا عن قتلك ورجمك [قَالَ يَا قَوْمِ أَرَهْطِي أَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ] يعنى ترقبون فى حقّى رهطى ولا ترقبون ربّى و ربّى الّذى ارسلنى اليكم اولى بالتّرقّب [وَاتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظِهْرِيًّا] الظّهرىّ من كان وراء الظّهر منسوب الى الظّهر بالفتح بتغيير هيئته اومنسوب الى الظّهر بالكسر لكنّه لم يستعمل فى غير النّسبة وهو عطف بيان اوبدل اوحال تأكيدىّ اومفعول

ثان ووراءكم حال حينئذ اوظرف للظّهريّ اوهو مفعول بعد مفعول كالخبر بعد الخبر لانّه كان فی الاصل خبراً بعدخبر [إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ] تعليل للانكار والتّوبيخ المستفادمن الهمزة، اوجواب للسّؤال عن حال الله معهم [وَيَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ] منزلتكم عند آلهتكم اورزانتكم فی انفسكم و هو تهكّم بهم لكنّه ابرزه فی صورة الانصاف ولذا لم يقيّد قوله [إِنِّي عَامِلٌ] بمكانتی [سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَاذِبٌ] مضی مثله [وَارْتَقِبُوا] نصر آلهتكم وعذابی [إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ] نصر الهیّ و عذابكم [وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا] باهلاك قوم شعيب [نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا] الاتيان بالواو قبل لمّا ههنا و فی قصّة هود(ع) وبالفاء فی قصّتی صالح(ع) ولوط (ع) للتّصريح فی قصّتی صالح ولوط(ع) بوعد العذاب المستعقب لاتيانه المسبّب منه دون قصّتی هود(ع) وشعيب(ع) [وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ] روی انّه صاح بهم جبرئيل صيحة فزهق روح كلّ منهم [فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا أَلَا بُعْدًا لِمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ] الآيات هی الآيات التّسع الّتی بها ظهور رسالته وسلطان مبين هوالولاية الّتی لها السّلطنة علی الكلّ ، ولمّا كان جعل عصاه الّتی كانت جماداً حيّة حيّة من ظهور سلطنة الولاية وبه صار سلطنته تامّة كان المراد به فی الظّاهر هوعصاه [إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَائِهِ فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ] سبب رشد المأمور [يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ] لانّه كان اصل ضلالتهم فی الدّنيا فهكذا يصير يوم القيامة رئيساً لهم فی الذّهاب الی النّار [فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ] لانّهم يتّبعونه فی الذّهاب الی النّار والتّأدية بالمضیّ اشعارٌ بتحقّقه تأكيداً [وَبِئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ وَأُتْبِعُوا فِي هَٰذِهِ] الدّنيا او فی هذه الخصلة [لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ بِئْسَ الرِّفْدُ الْمَرْفُودُ] ای العطاء المعطی رفدهم واستعمال الورد والرّفد وتوصيفهما مبالغة فی الذّمّ وتهكّم بهم [ذَٰلِكَ] المذكور من انباء قری نوح(ع) وهود(ع) وصالح(ع) ولوط (ع) وشعيب(ع) وموسی(ع) شيء يسير [مِنْ أَنْبَاءِ الْقُرَىٰ] وللاشارة الی قلّتها اتی باسم الاشارة مفرداً مذكّراً [نَقُصُّهُ عَلَيْكَ مِنْهَا قَائِمٌ] من اسم بمعنی البعض مضاف الی الضّمير مبتدأ وقائم خبره اومنها لقوّة معنی البعض فی من قائم مقام موصوفه الّذی هوالمبتدأ ومنهاخبرمقدّم وقائم مبتدء مؤخّر والجملة حال ، اومستأنفة ، اومنها حال معتمد علی ذی الحال عامل عمل الوصف ومبتدء وصفیّ وقائم مرفوعه ومغنی عن الخبر [وَحَصِيدٌ] والمراد بقيامها قيام اهلها وعدم ابادتهم اوقيام آثار القری المهلكة وعدم انمحائها وهكذا الحصيد والحصاد هوالقطع بالحديد لكن يقال للّذی استوصل بحيث لم يبق منه اثرحصيد ومحصود ، ونسب الی الصّادق(ع) انّه قریٌ فمنها قائماً وحصيداً بلفظ الفاء قبل منها ونصب قائماً وحصيداً فيكونان حينئذ خبرين لكان محذوفاً اومفعولين لنقصّ محذوفاً والتّقدير فمنهاكان قائماً وحصيداً اوفمنها نقصّ قائماً وحصيداً [وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ] عطف لدفع توهّم انّ حصادهم واستيصالهم بالكلّيّة ظلم من الله [وَلَٰكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ] بارتكاب ما جلب عليهم العذاب من دعاء غيرالله و شنائع الاعمال يظنّ انّ الاليق بسياق هذه العبارة ان يقال : وما نحن ظلمناهم ولكنّهم ظلموا انفسهم لانّه اذا اريد نفی الفعل عن فاعل واثباته لفاعل آخر يؤتی بالفاعل المنفیّ

عنه عقيب اداة النّفى وبالفاعل المثبت له عقيب اداة الاستدراك، لكنّه تعالى اراد ان يشير الى انّه لم يكن فى الاستيصال ظلم بل كان عدلاً وانّما الظّلم كان افعالهم الشّنيعة المؤدّية الى الاستيصال فنفى فى الاوّل اصل الظّلم بواسطة الاستيصال واثبت ظلماً آخر سوى الاستيصال لهم [فَمٰا أَغْنَتْ عَنْهُمْ] ولا دفعت [أٰلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللّٰهِ] من الاصنام السّفليّة والاجسام العلويّة والاشخاص البشريّة الّتى ما انزل الله بها من سلطان دون ولىّ الامر [مِنْ شَيْءٍ] من العذاب [لَمّٰا جٰاءَ أَمْرُ رَبِّكَ] بالعذاب والاهلاك [وَمٰا زٰادُوهُمْ] اى ما زادهم الآلهة [غَيْرَ تَتْبِيبٍ] غير الاهلاك والتّخسير [وَكَذٰلِكَ] الاخذ بالحصاد والاستيصال بالكلّيّة [أَخْذُ رَبِّكَ إِذٰا أَخَذَ الْقُرىٰ] اى اهلها [وَهِيَ ظٰالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ] فى موضع التّعليل [أَلِيمٌ شَدِيدٌ] و ذلك انّه تعالى يمهل الظّالم الّذى انصرف عنه الى الشّيطان حتّى استتمّ جهات الغواية و استحقّ كمال العقوبة [إِنَّ فِي ذٰلِكَ] الاخذ والاهلاك الواقع بالامم الماضية الهالكة [لَآيَةً لِمَنْ خٰافَ عَذٰابَ الْآخِرَةِ] فانّه وان كان فى الدّنيا لكنّه من تصرّف الغيب وانموذج الآخرة [ذٰلِكَ] اليوم الّذى هو الآخرة والتّذكير باعتبار الخبر [يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النّٰاسُ] لانّ المتعاقبين متلاحقون فى ذلك اليوم [وَذٰلِكَ] تكرار اسم الاشارة للتّهويل [يَوْمٌ مَشْهُودٌ] يشهد فيه كلّ حاضر وغائب او يقوم الاشهاد من الانبياء(ع) و اوصيائهم(ع) بالشّهادة فيه او يطلب منهم الشّهادة فيه [وَمٰا نُؤَخِّرُهُ إِلّٰا لِأَجَلٍ] اى الى وقت اوفى وقت اولانقضاء امد [مَعْدُودٍ يَوْمَ يَأْتِ] ذلك اليوم على ان يكون الفاعل راجعاً الى اليوم المضاف اواليوم المشهود وقرئ يأتى باثبات الياء وحذفها اجراءً للوصل مجرى الوقف [لٰا تَكَلَّمُ] تتكلّم [نَفْسٌ إِلّٰا بِإِذْنِهِ] لظهور السّلطنة التّامّة و المالكيّة الكاملة بحيث يكون نسبة الكلّ اليه تعالى نسبة القوى والجوارح الى النّفس، فكما انّ حركات القوى والجوارح اذا كانت سليمة باقية على طاعة النّفس ليست الّا بالاذن التّكوينىّ من النّفس الانسانيّة، كذلك لايكون حركات الموجودات تماماً ومنها نطق الانسان وتكلّمه فى ذلك اليوم الّا بالاذن التّكوينىّ من الله تعالى، ولاينافيه قوله تعالى هذا يوم لا ينطقون ولايؤذن لهم، لانّ ذلك بالنّسبة الى العاصين اوبالنّسبة الى الاعتذار عن المعصية وهذا بالنّسبة الى المطيعين اوفى غير الاعتذار عن المعصية اوذلك فى يوم وموقف وهذا فى يوم وموقف آخر؛ بل نقول ذلك ايضاً يدلّ على توقف التّكلّم على الاذن موافقاً لهذا [فَمِنْهُمْ] اى من النّاس المذكورين او من صاحبى النّفوس المدلول عليهم بالنّفس المنكّرة الواقعة فى سياق النّفى الدّالّة على العموم او من اهل المحشر المدلول عليهم التزاماً او من المتكلّمين وهو من عطف التّفصيل على الاجمال ولذا اتى بالفاء [شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ] اى ومنهم سعيد فهو من عطف الاوصاف المتعدّدة لذوات متعدّدة لالذات واحدة واسقاط منهم للاشارة الى انّ القسمة غير مستوفاة امّا لانّ الضّمير راجع الى جملة المبعوثين من الحيوان والانسان ولايحكم على اكثرهم بالشّقاوة ولا بالسّعادة والاتيان بضمير ذوى العقول حينئذٍ للتّغليب اولانّ اكثر النّاس من السّواقط لا اعتناء بهم حتّى يدخلوا فى القسمة اولانّ الاكثر مؤخّر حكمهم الى الفراغ من حساب الاشقياء والسّعداء، وتقديم الشّقىّ امّا لانّ المقام للوعيد، اولكثرة الاشقياء بالنّسبة الى السّعداء، و لان يختتم الآية بذكر السّعداء و الرّحمة [فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا] قرئ معلوماً ومجهولاً من شقاه بمعنى أشقاه [فَفِي النّٰارِ] خبر الموصول [لَهُمْ فِيهٰا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ] الجملة حاليّة او مستأنفة

جواب لسؤال عن حالهم، واذا كانت حالاً قامّا حال عن فاعل شقوا اوعن المستتر فی الظّرف اوعن النّار، او لهم حال عمّا سبق و زفیر و شهیق فاعل للظّرف لاعتماده علی ذی الحال وللآیة وجوه أُخر من الاعراب ، و الزّفیر اخراج النّفس بشدّة والشّهیق ادخاله كذلك ، اوشبّه صراخهم بنهیق الحمیر فانّ الزّفیر والشّهیق حالتا نهیق الحمیر [خٰالِدِینَ فِیهٰا] حال عن واحد ممّا سبق بطریق التّداخل اوالتّرادف [مٰادٰامَتِ السَّمٰوٰاتُ وَالْأَرْضُ] ظرف للخلود اولكون الزّفیر لهم اولثبوتهم فی النّار استقلالاً اوعلی سبیل التّنازع [إِلّٰا مٰاشٰاءَ رَبُّكَ] استثناء من مدّة الخلود اومدّة كونهم فی النّار لامن مدّة زفیرهم وشهیقهم لیوافق قسیمه ولفظة مانافیة اومصدریّة اوموصولة اوموصوفة ، ولمّا كان المتوهّم من استثناء مدّة عن مدّة ان یكون المستثناة آخر المدّة المستثنی منها اشكل الآیة علی القائلین بدوام العذاب والخلود فی النّار واستدلّ القائلون بانقطاع العذاب اوخروج اهل النّار من النّار بامثالها.

بیان فی خلود اهل النّار وعدم خلودهم

اعلم ، انّ المتشرّعین من المتكلّمین و الفقهاء رضوان الله علیهم قالوا بدوام العذاب و خلود اهل النّار الّذین لا یدركهم شفاعة الشّفعاء فی النّار و فی العذاب و استدلّوا علی ذلك بظواهر الآیات و الاخبار ، وعلی هذا فالاستثناء من مدّة الخلود باعتبار اوّلها نظیره ان یقال : حبست یوم الجمعة الّا ساعة من اوّله ، فانّ اهل النّار قبل دخول نار الآخرة معذّبون فی البرازخ اوغیر مستفیقین من غشیهم و اماتتهم بالنّفخة الاولی و حالهم حینئذ كحال النّائم و المغشیّ علیه ، او الاستثناء من مدّة الخلود باعتبار آخر المدّة لكن بالنّسبة الی من یدركه شفاعة الشّافعین كأنّه قال : الّا ماشاءالله لمن شاءالله او الاستثناء من مدّة الخلود باعتبار آخرها لكنّ المراد بالنّار نار البرازخ المعبّر عنها بنار الدّنیا كما فی الاخبار ، وتلك النّار وان مكثوا فیها مامكثوا لكنّهم یخرجون عنها اخیراً الی نار الآخرة وسنحقّق نار الدّنیا ونار الآخرة وكذا جنان الدّنیا وجنان الآخرة عن قریب ان شاءالله، وقد ذكر فی تصحیح الاستثناء وجوه اخر لافائدة فی ذكرها ولا تلیق بهذا المختصر. وبعض الحكماء من المشّائین والاشراقیّین قالوا بخلود النّار وتسرمد العذاب علی النّوع بتعاقب الافراد و امّا الافراد فلا یتسرمد العذاب علیهم بل امّا یصیر العذاب عذباً كما قال بعض او یخرجون من الجحیم والنّار الی النّعیم ، اویخرج بعضهم ویصیر العذاب عذباً علی بعضهم ، واستدلّوا علی ذلك باصولهم المقرّرة عندهم من انّ القسر لایكون دائمیّاً ولا اكثریّاً والّا بطل الحكمة فی ایجاد القوّة المقسورة واذا لم یكن القسر دائمیّاً ولااكثریّاً فان كان الانسان مخلّداً فی النّار فلیبدّل القوّة المتألّمة منه بقوّة ملائمة للنّار حتّی یستریح منها ویلتذّ بها، اویخرج من النّار ویصل الی مایلائمه، واعتقد جمع من المتصوفة ایضاً عدم تسرمد العذاب و استدلّوا علی ذلك باصولهم الذّوقیّة و شواهدهم الكشفیّة من انّ الرّحمة ذاتیّة وسابقة علی الغضب وشاملة للكلّ وانّ الغضب عرضیّ لاحق للمرحوم بالذّات، والعرضیّ یزول والذّاتیّ لایزول فبعد مدّة العذاب اللّائق بحال المعذّب یصیر العذاب عذباً للكلّ كما قال بعض اویخرج المعذّبون جمیعاً وینبت من قعر الجحیم الجرجیر كما قال بعض ، اویتسرمد العذاب علی النّوع بتعاقب الاشخاص وخروجهم تدریجاً كما قال جمع ، اویخرج بعض ویبقی بعض فی الجحیم ملتذّاً بنارها وحیّاتها وعقاربها مثل ماقال الحكماء ، ولااشكال فی الاستثناء علی قولهم لكن هذا القول یشبه قول الیهود و قدكذّبهم الله فی قولهم : لن تمسّنا النّار الا ایّاماً معدودة [إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمٰا یُرِیدُ] تعلیل لسابقه [وَأَمَّا الَّذِینَ سُعِدُوا] قرئ بفتح السّین وضمّها من سعده الله بمعنی اسعده [فَفِی الْجَنَّةِ خٰالِدِینَ فِیهٰا مٰادٰامَتِ السَّمٰوٰاتُ وَالْأَرْضُ إِلّٰا مٰاشٰاءَ رَبُّكَ] الاستثناء هنا

باعتبار المبدء كماسبق او باعتبار المنتهى لكنّ المراد بالجنّة جنّة الدّنيا كما فى اخبارنا ، فالمعنى امّا الّذين سعدوا ففى جنّة الدّنيا خالدين فيها مادامت السّماوات والارض الّا ماشاء ربّك ان يخرجوا منها الى جنّات المأوى ومقام الرّضوان ويدلّ عليه التّقييد بدوام السّماوات والارض فانّها باقية فى الجنّات الدّانية ، وامّا جنّات المأوى فليس فيها سماء ولا ارض ليس عند ربّنا صباح ولا مساء ويدلّ عليه ايضاً قوله [عَطٰاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ] فانّهم ان خرجوا منها لا الى مثلها اومافوقها كان العطاء مجذوذاً لامحالة .

شرح فى عوالم البرازخ و المثال والآخرة

اعلم ، انّ الانسان من اوّل استقرار نطفته و مادّة بدنه فى الخلع و اللّبس و الموت و البعث فله فى كلّ آن موت و حشر و خلع لصورة و لبس لاخرى الى آخر حيوته الدّنيويّة و اوّل مماته الطّبيعيّة ، لكنّه لمّا كان بنحو الاتّصال التّدريجىّ فى عالم واحد طبيعىّ خصوصاً بعد تولّده الى آخر عمره ولا يظهر على اهل الحسّ ظهوراً غير مغفول عنه ما سمّوه فى الشّريعة المطهّرة موتاً و حشراً ، و يذهل اهل الحسّ عن تبدّله و خلعه ولبسه مع انّه مشهود معلوم لكلّ احد من حيث انّه يشهد انّ النّطفة اضعف جماد و يعلم انّه مادّة البدن ثمّ يراها حيواناً ثمّ انساناً صبيّاً ثمّ مراهقاً ثمّ شابّاً وكهلاً و هرماً ، لكن خلعه البدن و انتقاله الى عالم آخر لمّا كان من عالم الى عالم و من مادّة طبيعيّة الى صورة اخرويّة مجرّدة ودفعة لاتدريجاً صار ممتازاً عمّا قبله منظوراً اليه مسمّى بالموت والارتحال كما انّ خروجه من رحم امّه وانفصاله منها لمّا كان دفعة وانتقالاً من عالم الى عالم وخروجاً من مضيق الرّحم وظلماته الثّلاث صار ممتازاً منظوراً اليه مسمّى بالولادة ؛ وبعد خروجه من بطن الدّنيا ورحم غلاف البدن ومشيمة اغشية الاهواء ، وولادته فى الآخرة له حالات وانتقالات وفى كلّ انتقال موت وحيوة وخلع ولبس وقبر وبعث. فاوّل حالاته الاماتة التّامّة والغشى العامّ الحاصل بالنّفخة الاولى ونفخة الاماتة ويمكث فى تلك الحالة ماشاءالله كما اشير اليه فى اخبارنا ، وبعدمايبعث من تلك الحالة بالنّفخة الثّانية ونفخة الحيوة له حالات وانتقالات من صورة الى صورة بحسب ما اكتسبه فى الدّنيا من الاعمال والاخلاق ، فان كان من اهل الشّقاوة يتقلّب فى الصّور الموذية والنّار الدّانية الى ان ينتهى الى نار الآخرة وان كان من اهل السّعادة وكان عليه شوب من الاعمال السّيّئة والاخلاق الرّذيلة يتقلّب فى الصّور الموذية الى ان يتخلّص منها الى الصّور البهيّة ، وان لم يكن عليه شوب من ذلك يتقلّب فى الصّور البهيّة الى ان ينتهى الى جنان الآخرة وجنّة المأوى ويسمّى عالم التّقلّبات برزخاً بين عالم الطّبع وعالم الآخرة وفى هذا العالم يكون ترقّيات وتنزّلات فى الآخرة ، ونصوص الآيات والاخبار تدلّ على ذلك ، وقرّره العرفاء الشّامخون والصّوفيّة المكاشفون والعقل لايأباه فلا اعتناء بما قاله بعض المتفلسفة من عدم التّرقّى و التّنزّل بعد الموت بناء على انكار عالم البرزخ و المثال اوعلى انقطاع المادّة و الاستعداد وانّ التّرقّى والتّنزّل لايكونان الّا بالمادّة والاستعداد . امّا عالم البرزخ والمثال فقد اثبته الآيات والاخبار وحقّقه المكاشفون الاخيار واحتجّ عليه الاشراقيّون من الحكماء الابرار ومحلّ تحقيقه الحكمة العالية . وامّا انقطاع الاستعداد فمسلّم لكن لاينافيه ظهور المكسوبات بالاستعداد فى الدّنيا بعد الموت بصور مناسبة لها متعاقبة لعدم سعة النّفس لظهور الصّور تماماً واستجماعها دفعة حتّى تنتهى الصّور الى صورة لاخروج للنّفس منها بحسب آخر اعمالها فى السّعادة اوالشّقاوة ، كما هو شأن اصحاب اليمين واصحاب الشّمال ، اوتخرج النّفس من عالم الصّورة الى عالم المجرّدات الصّرفة كما هو شأن المقرّبين ، وهناك مالاعينٌ رأت ولا اذنٌ سمعت ولاخطر على قلب بشر وخروجها الى عالم المجرّدات الصّرفة لاينافى سعتها وتنعّمها بنعيم الجنان الصّوريّة بحسب مراتبها النّازلة وجنودها الدّانية فانّ المقرّبين مشاركون لاصحاب اليمين فى لذّاتهم الصّوريّة وهم لايشاركون المقرّبين فى لذّاتهم المعنويّة

فالنّفوس الانسانيّة بعد الموت والخروج من غلاف البدن مثلها بعد التّولّد والخروج من غلاف الرّحم ، فكما أنّها بعد التّولّد تنمو و تشبّ بحسب بدنه و تخرج من الدّنيا، كذلك بعد الموت تنمو وتشبّ وتخرج من عالم الصّورة والمثال ان كانت من المقرّبين ، اوتخرج من البرزخ فقط وتقف فی صورة هی مقرّها ان كانت من اصحاب اليمين اومن اصحاب الشّمال سواء كان موتها اختياريّاً اواضطراريّاً ، وبعد خروجها من عالم الصّور الی عالم المجرّدات الصّرفة وانتهائها الی صورة لاتتجاوز عنها يكون قيامتها الكبری ودخولها فی مقامها من جنّات عدن او الجنان الصّوريّة بمراتبها او الجحيم بمراتبها ، و قبل القيامة الكبری تكون فی جنان الدّنيا او فی نار الدّنيا كما فی اخبارنا، وهما اللّتان تكونان فی البرازخ قبل الوصول الی محلّ القرار؛ وقد فسّر الجنّة والنّار فی هذه الآية بولاية آل محمّد(ص) و ولاية اعدائهم [فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ] الخطاب عامّ اوخاصّ بمحمّد (ص) لكن علی طريقة ، ايّاك اعنی واسمعی ياجارة ، والفاء للجزاء ای اذا علمت حال آلهة الامم السّالفة وانّها لا تغنی عن عابديها شيئاً بما قصصناه عليك وبما شاهدت من آثارهم فلاتك فی مرية [مِمَّا يَعْبُدُ هَٰؤُلَاءِ] من عبادة هؤلاء لانّ عبادتهم مثل عبادة اسلافهم اومن الا لهة الّتی يعبدها هؤلآء فانّ حالها كحال آلهة السّالفين [مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ آبَاؤُهُم] ای الامم السّالفة الّذين قصصتهم عليك والتّقدير كما كان يعبد آباؤهم فحذف لدلالة قوله [مِن قَبْلُ] عليه [وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ نَصِيبَهُمْ] ای قسطهم من العذاب كآبائهم اونصيبهم من ارزاقهم الی آجالهم حتّی نذهب بهم الی دارشقائهم [غَيْرَ مَنقُوصٍ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ] كتاب النّبوّة وصورته التّوراة كما آتيناك الكتاب [فَاخْتُلِفَ فِيهِ] كما اختلف فی كتابك [وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ] بامهالهم حتّی يخوضوا فی طغيانهم [لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ] بين المختلفين من قوم موسی(ع) او من قومك بتمييز المبطل عن المحقّ واهلاك المبطل وابقاء المحقّ [وَإِنَّهُمْ] ای منكرون قومك [لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ] من كتابك [مُرِيبٍ] بالغ سواء كان من قبيل ظلّ ظليل اوبمعنی موقع للغير فی الشّكّ علی ان يكون من ارابه بمعنی اوقعه فی الشّكّ [وَإِنَّ كُلًّا لَّمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَالَهُمْ] قرئ انّ بتشديد النّون وتخفيفها وعلی قراءة التّخفيف قرئ كلّاً بالنّصب وبالرّفع وعلی كلّ فلمّا بالتّشديد وبالتّخفيف وقرئ لمّاً بالتّنوين فعلی قراءة تشديد النّون فكلّاً اسم انّ ولمّا بالتّشديد مركّبة من لام الابتداء ومن الجارّة وماالموصولة اوما الموصوفة، ولام ليوفّينّهم موطّئة والجملة صلة ماوصفته والمعنی لمن الّذين ليوفّينّهم اولمن اشخاص ليوفّينّهم بتقدير القول، اولمّا نافية والمنفیّ محذوف وليوفّينّهم جملة مستأنفة والمعنی لمّا يوفّ ربّك اعمالهم ليوفّينّهم اعمالهم اولمّا اصله لمّاً بالتّنوين بمعنی جميعاً تأكيداً لكلّا ابدل النّون الفاً اجراءً للوصل مجری الوقف، اولمّا فعلی من لمّ بالف التّأنيث بمعنی جميعاً لم ينصرف لمكان الالف وعلی قراءة تشديد انّ وتخفيف لما فلام لما لام خبر انّ ولام ليوفّينّهم موطّئة اوبالعكس ومازائدة للفصل بين اللّامين، اولام لما لام خبر انّ وماموصولة اوموصوفة ای انّ كلّاً من المؤمنين والمنكرين للّذين ليوفّينّهم ربّك اعمالهم، وهكذا تقدير الموصوفة، وعلی قراءة تخفيف النّون ونصب كلّاً وتشديد لمّا فان مخفّفة عاملة علی اصلها وكلّاً اسمها و لمّا علی الوجوه السّابقة او ان نافية وكلّا مفعول فعل محذوف ولمّا استثنائيّة والمعنی ان ارى كلّا الّا ليوفّينّهم ، اوان مخفّفة مهملة وكلّا مفعول فعل محذوف و لما علی الوجوه السّابقة وعلی قراءة تخفيف انّ ونصب كلّا وتخفيف لما فان مخفّفة عاملة مثل كونها مشدّدة عاملة مع لما

بالتّخفيف اوان مخفّفة مهملة وارى مقدّرة ولام لمّا موطّئة او لام خبر انّ وما للفصل بين اللّامين اولام لمّا خبرانّ وماموصولةاوموصوفة، اوان نافية وارى مقدّرة ولام لمابمعنى الّاعلى قول من يجعل اللّام بعد ان بمعنى الّا وما للفصل اوما موصولة اوموصوفة ، وعلى قراءة ان بالتّخفيف وكلّ بالرّفع ولمّا بالتّشديد فان مخفّفة مهملة وكلّ مبتدء ولمّاعلى الوجوه السّابقة ، اوان نافية ولمّا استثنائيّة وعلى قراءة ان بالتّخفيف وكلّ بالرّفع ولمّا بالتّخفيف فانَ مخفّفة مهملة اونافية ولمّا على الوجوه السّابقة، والمقصود تهديد المنكرين فالمعنى وانّ كلّاً من المنكرين اوتهديدالمنكرين وترغيب المؤمنين،فالمعنى وان كلّاً من المؤمنين والكافرين ليوفّينّهم ربّك اعمالهم [إِنَّهُ بِمٰا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ فَاسْتَقِمْ كَمٰا أُمِرْتَ] اى اذاكان الامر هكذا فاستقم و تمكّن والاستقامة من قام من الانحناء اومن قام بالامر بمعنى كفاه والهيئة للطّلب اوللمبالغة فمعنى استقام طلب القيام من نفسه اوالقيام بالامر من نفسه وهوايضاً يفيد المبالغة اوبالغ فيه ، ومعنى الآية فاستقم استقامة مماثلة لمأموريّتك وموازية لها او استقامة مثل الاستقامة الّتى امرت بها .

اعلم ، انّ الانسان مأمور تكويناً بالسّير من ادنى مراتب الوجود وهوالعناصر الاربعة بل مادّة الموادّ الى اعلاها وهومقام الاطلاق والخروج من التّعيّن والتّقيّد وسيره من مقام الطّبع على مراتب الجماد والحيوان الى مقام البشر و ظهور العقل الجزئيّ الّذى هومناط التّكليف وظهورالاختيار بمحض الامر التّكوينيّ من دون مداخلة اختيار و تكليف ، و بعد ظهور العقل و تميز الخير و الشّرّ الانسانيّين لمّا كان قد يعارض اختياره الامر التّكوينيّ ويمنعه عن سيره على المراتب العالية ادركه الرّحمة والعناية الآلهيّة بالاوامر والنّواهي التّكليفيّة على السنة رسله واوصيائهم (ع) ، فان ساعده التّوفيق فى امتثال الاوامر والنّواهي وساربمقتضى فطرته على المراتب العالية من الملكوت والجبروت الى مقام الاطلاق المعبّرعنه باللّاهوت والمشيّة والحقّ المخلوق به والولاية المطلقة وتمكّن فى ذلك صار منتهياً فى سيره الى ماامربه وصار مستقيماً متمكّناً فى جميع ماامربه تكويناً وتكليفاً، وان لم يساعده التّوفيق وتنزّل الى الملكوت السّفلى وعالم الجنّة والارواح الخبيثة صار مخالفاً للامر التّكوينيّ والتّكليفيّ فضلاً عن ان يكون مستقيماً فيه ، فانّ الاستقامة هوالتّمكّن فى المأمور به بحيث يصير راسخاً غير محتمل الزّوال بسهولة ، والسّالك الى الله عروجه على المقامات وان كان صعباً لكن تمكّنه فيهابحيث لايزول عنه اصعب من دخوله فيها فانّ الدّخول فى مقام التّوكّل صعب لكن تمكّنه فى التّوكّل بحيث لايزول عنه فى حال من الاحوال اصعب من دخوله فيه ، وهكذا الانسان الملكيّ عروجه الى الملكوت صعب لكن تمكّنه فيها بعد عروجه اليها بحيث لايشغله شأن من شؤنه عنها اصعب و قد اشار المولويّ قدّس سرّه الى السّير على تلك المراتب والتّمكّن فيها والانتهاء الى مقام الاطلاق بقوله :

از جمادی مردم و نامی شدم — وز نما مردم بحیوان سر زدم
مردم از حیوانی و آدم شدم — پس چه ترسم کی ز مردن کم شدم
حملهٔ دیگر بمیرم از بشر — تا برآرم از ملایک بال و پر
واز ملک هم بایدم جستن ز جو — کلّ شیء هالک الّا وجههُ
بار دیگر از ملک پرّان شوم — آنچه اندر وهم ناید آن شوم
پس عدم گردم عدم چون ارغنون — گویدم انّا الیه راجعون

فانّه اشار بذكر الموت الى التّمكّن فى المقام الّذى مات منه لانّه لو لم يتمكّن فى ذلك المقام لم يكن حيّاً به بل كان آثار ذلك المقام عرضيّاً لاذاتيّاً فلم يكن حيوته الّتى هى قوام ذاته به، وما لم يكن حيّاً به

لم يتصوّر موته منه واراد بالملك جنس الملائكة ذوى الاجنحة الّتى عالمها الملكوت، والمراد بما لم يدخل فى الوهم المجرّدات الصّرفة الّتى لا يتصوّرها الواهمة لانّ تصوّرها لا يتجاوز عن المتقدّرات وهى وجه الله الباقى بعد هلاك كلّ شيء، وصيرورته عدماً اشارة الى مقام الاطلاق او المراد بصيرورته غير موهوم مقام الاطلاق وصيرورته عدماً تأكيداً له، ولمّا كان التّمكّن فى جملة المراتب امراً عظيماً صعباً امره (ص) بالاستقامة فى جميع ما امر به دون المؤمنين لانّه لا يتيسّر لهم التّمكّن فى جميع ما امروا به الّا من ندر منهم، فانّ تقديم كما امرت على المعطوف للاشارة الى هذه اللّطيفة و لذلك لم يصرّح بامرهم بالاستقامة فيما يتيسّر لهم بل جعل امرهم تابعاً لامره (ص) وقال من غير تصريح بامرهم [وَمَنْ تَابَ مَعَكَ] كأنّه صار مأموراً باستقامة المؤمنين دون المؤمنين ولهذا ورد عنه (ع): شيّبتنى سورة هود وورد انّه ما نزلت آية كانت اشقّ على رسول الله (ص) من هذه الآية، ووجهه انّه امر فيها باستقامة امّته والّا فاستقامته بنفسه كانت سهلاً عليه ولم يقل: شيّبتنى سورة الشّورى، لانّ الآية هنالك مطلقة عن ذكر من تاب معه الّذين بايعوا معه البيعة العامّة النّبويّة الاسلاميّة فانّ التّوبة جزؤ للبيعة واحد اركانها سواء كانت البيعة اسلاميّة او ايمانيّة ومعك ظرف للتّوبة من حيث انّ النّبيّ (ص) او الولىّ يحصل له رجوع وانسلاخ من الكثرات حين البيعة وتوبة البايع او ظرف للاستقامة او هو حال او المراد بمن تاب عموم المؤمنين بالبيعة الخاصّة خصوصاً امير المؤمنين (ع) او المراد امير المؤمنين خاصّة [وَلَا تَطْغَوْا] ولا تخرجوا من الاستقامة فانّه نحو من الطّغيان او لا تتجاوزوا حدود الله ولجواز اتّصاف المؤمنين بالطّغيان اشركهم معه (ص) فى النّهى او صرف الخطاب عنه (ص) اليهم [إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ] تهديد وترغيب للمستقيم والطّاغى [وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا] من قبيل ذكر الخاصّ بعد العامّ تأكيداً، والرّكون هو الميل اليسير والمراد بالظّلم ظلم آل محمّد (ص) ويجرى فى كلّ من ظلم غيره من حيث ظلمه، وامّا من ظلم نفسه فقط فهو وان كان من حيث ظلمه لنفسه ظالماً لكن لمّا كان حيثيّة ظلمه لنفسه خفيّة غير ظاهرة لغيره لم يكن داخلاً فيه ظاهراً وان كان بحسب الطّريق داخلاً والرّكون اليه موجباً لمسيس نار ظلمه النّاشئة من جهله [فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ] عن الصّادق عليه السّلام هو الرّجل يأتى السّلطان فيحبّ بقاءه الى ان يدخل يده كيسه فيعطيه، وعنه (ع) امّا انّها لم يجعلها خلوداً و لكن تمسّكم فلا تركنوا اليهم [وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ] فلا تتّخذوهم اولياء [ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ] الجملة الاولى حال عن مفعول تمسّكم والثّانية عطف على تمسّكم [وَأَقِمِ الصَّلَاةَ] عطف على استقم او لا تطغوا او لا تركنوا [طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِنَ اللَّيْلِ] المراد بطرفى النّهار كما فى الخبر الغداة والمغرب وزلفاً جمع زلفة بمعنى القريبة اى ساعات قريبة من النّهار والمراد العشاء [إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ] تعليل لاقامة الصّلوة و المقصود دفع توهّم نشأ من النّهى عن الطّغيان بمعنى عدم التّمكّن والنّهى عن الرّكون الى الظّلمة كأنّه توهّم انّه لا يخلو احد من عدم التّمكّن والرّكون الى الظّالم ولاسيّما الظّالم لنفسه، وفى الخبر انّ الصّلوة الى الصّلوة كفّارة ما بينهما ما اجتنبت الكبائر، وورد انّ الله يكفّر بكلّ حسنة سيّئة، وورد انّه ليس له شيء اشدّ طلباً ولا اسرع دركاً للخطيئة من الحسنة امّا انّها لتدرك الذّنب العظيم القديم المنسىّ عند صاحبه فتحطّه وتسقطه وتذهب به بعد اثباته، وذلك قوله سبحانه: انّ الحسنات يذهبن السّيّئات، وعن احد الصّادقين (ع): انّ علياً (ع) قال: سمعت حبيبى رسول الله (ص) يقول: ارجى آية فى كتاب الله اقم الصّلوة طرفى النّهار (الآية) وقال: يا علىّ

والّذى بعثنى بالحقّ بشيراً ونذيراً انّ احدكم ليقوم الى وضوئه فتساقط عن جوارحه الذّنوب ، فاذا استقبل الله بقلبه ووجهه لم ينفتل وعليه من ذنوبه شيء كما ولدته امّه [ذٰلِكَ] اى اذهاب الحسنات للسّيّئات او قول انّ الحسنات يذهبن السّيّئات [ذِكْرٰى لِلذّٰاكِرِينَ] اى تذكّر لهم لما يرونه فى وجودهم وعالمهم من انمحاء السّيّئات بالحسنات ومن غسل الصّلوة لدرن الذّنوب عن وجودهم و المراد بالذّاكرين من كان شأنهم تذكّر المساوى الحاصلة لهم من افعالهم الشّنيعة وهم الّذين قبلوا الولاية ودخلوا الابيات من ابوابها وذكروا الله من جهة ذكره [وَاصْبِرْ] على اذى قومك حتّى لايخرجك عن الاستقامة ولايدخلك فى الطّغيان والرّكون الى غير الله وعلى الطّاعات خصوصاً الصّلوات الخمس باتيانها بجميع شرائطها [فَإِنَّ اللّٰهَ لٰا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ] وضع المظهر موضع المضمر ليكون كالبرهان و يكون تلويحاً الى الامر بالاحسان الى المسيء و وجه اختلاف الخطاب فى تلك الآيات من قوله فاستقم الى قوله واصبر بالخصوص والعموم غير خافٍ على المتأمّل فى لطائف الخطاب [فَلَوْلٰا كٰانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُوبَقِيَّةٍ] بعد ما نهى عن الطّغيان و ذكر مسيس النّار بالرّكون الى الظّالم وانّ الصّلوة حسنة وانّ الحسنات يذهبن السّيّئات وامر بالصّبر على الطّاعات واذى القوم و اشار الى الامر بالاحسان ، وبّخهم على ترك النّهى عن الطّغيان والرّكون وعلى عدم الصّبر على الاذى والطّاعات مشعراً بتسبّبه عمّا قبله باتيان الفاء ، اى اذا كان الامر هكذا فانتم موبّخون على ترك النّهى عن هذا الامر العظيم الّذى يدخل بسببه عباد الله النّار ، والمراد بالبقيّة هو بقيّة الله وقد مضى فى تفسير بقيّة الله انّ العقل وجنوده رسول الله الى العالم الصّغير وبعد استيلاء الشّيطان على مملكة هذا العالم فان بقى من العقل وجنوده شيء كان الانسان ذا بقيّة من جنود الله والّا فلا [يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسٰادِ فِي الْأَرْضِ] ارض العالم الصّغير وارض العالم الكبير [إِلّٰا قَلِيلاً مِمَّنْ أَنْجَيْنٰا مِنْهُمْ] استثناء متّصل من اولوا بقيّة باعتبار النّفى المستفاد من اداة التّخصيص اى ما كان من القرون اولوا بقيّة من رسول الله الباطنىّ او الظّاهرىّ الّا قليلاً هم من انجينا اوبعض ممّن انجينا او ناشئاً ممّن انجيناومتولّداً منهم ، ومنهم ظرف لغواى انجينا من بينهم حين هلاكهم اوانجيناهم من شرّ تلك القرون اوظرف مستقرّ اى ممّن انجينا حالكونهم بعضاً من القرون او متولّداً منهم [وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مٰا أُتْرِفُوا فِيهِ] عطف للحاظ المعنى كأنّه قال : فنهى اولو البقيّة و اتّبع الّذين ظلموا ما اترفوا فيه وتركوا النّهى طلباً للرّاحة وخوفاً من اذى القوم وزوال النّعمة والآية توبيخ لاهل عصر الرّسول (ص) وبيان لذمائمهم [وَكٰانُوا مُجْرِمِينَ] تمرّنوا عليه و صار الاجرام سجيّة لهم [وَمٰا كٰانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرٰى بِظُلْمٍ] اى بظلم صادر من بعضهم اوبظلم منّا لهم من دون استحقاقهم بسوء اعمالهم وجرائمهم [وَأَهْلُهٰا مُصْلِحُونَ] تهديد عن الاجرام وترغيب فى الاصلاح فى العالم الكبير والصّغير [وَلَوْ شٰاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النّٰاسَ أُمَّةً وٰاحِدَةً] على دين واحد متوجّهين الى مقصد واحد دفع توهّم نشأ من التّهديد والتّرغيب من انّهم مستقلّون فى الاصلاح والاجرام وتسلية للنّبىّ (ص) عن حزنه على اختلافهم [وَلٰا يَزٰالُونَ مُخْتَلِفِينَ] ابداً كما لم يزالوا مختلفين ازلاً [إِلّٰا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ] قد مرّ مراراً انّ الولاية المطلقة هى رحمة الحقّ و انّ صورتها النّازلة المتصوّرة بصور الحروف و النّقوش المعبّر عنها بالايمان الدّاخل فى القلب وانّ ملكوت الامام السّاكنة فى القلب صورة الرّحمة وحقيقتها وقد حقّق

ایضاً انّ الدّاخلین فی الولایة بالبیعة الخاصّة الولویّة وجهتهم واحدة ومقصدهم واحد الّا اذا خرجوا وارتدّوا فطرة بعد ما آمنوا و انّ غیرهم سواء کانوا منتحلین لملّة واحدة او لملل مختلفة او لم یکونوا ینتسبون الی ملّة آلهیّة کلّهم مختلفون لانّهم لاقائد لهم من ولیّ مرشد ولا سائق من دلیل ناصر ولا اتّصال لهم بشیخ واحد وملکوت واحدة وقد قال المولویّ قدّس سرّه تفسیراً للآیة :

جان حیوانی ندارد اتّحاد	تو مجو این اتّحاد از جان باد
جان گرگان و سگان ازهم جداست	متّحد جانهای شیران خداست
همچو آن یک نور خورشید سما	صد بود نسبت بصحن خانه‌ها
لیک یک باشد همه انوارشان	چونکه برگیری تو دیوار از میان

[وَلِذٰلِكَ خَلَقَهُمْ] لانّ فیه تعمیر الدّنیا وبه بقاء اهلها و تکمیل الاتقیاء وتطهیرهم من وسخ الدّنیا وقد فسّر المرحوم فی الاخبار بشیعة آل محمّد(ص) و انّهم متّحدون وانّ غیرهم مختلفون وان کانوا صورة علی طریقة واحدة [وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ] عطف علی خلقهم ای ولذلک تمّت کلمة ربّک فیکون اشارة الی حکمة الاختلاف اوعلی مجموع لذلک خلقهم [لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ وَكُلًّا] ای من الاقتصاص علی ان یکون نائباً للمصدر اوکلّاً من الانباء علی ان یکون مفعولاً به [نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ] حتّی لایعتریه خوف واضطراب ولاشکّ وارتیاب ولاینصرف عن طریق الطّاعة الی غیرها ولفظة ما مفعولٌ به علی الاوّل وبدل اوعطف بیان علی الثّانی [وَجَاءَكَ فِي هٰذِهِ] القصص لافی غیرها [الْحَقُّ] فلاتملّ من تطویلها وتکرارها فانّ فائدتها وهی مجیء الحقّ وثبات الفؤاد اعظم الفوائد واسناها والمراد بمجیء الحقّ هو ظهور الملکوت والملکوتیّین علیه فانّها صورة الحقّ لانّ الحقّ هومقام الولایة والجبروت والملکوت صورتها والملک ایضاً بجهة حقیّة صورتها لکنّه لاکتناف الباطل به اختفی الحقّ عنه ولذلک لایسمّی حقّاً علی الاطلاق ولمّا لم یکن مجیء الولایة الّا بصورة ولیّ الامر علی الاشخاص البشریّة فالمراد بمجیئها هو نزول السّکینة الّتی هی ملکوت ولیّ الامر وبها ثبات فؤاد البشر [وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ] یعنی انّ الاولیین لک خاصّة و هاتین لجملة المؤمنین [وَقُلْ] عطف باعتبار المقصود ای فذکّرهم وعظهم بها وقل [لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ] یعنی انذرهم [إِنَّا عَامِلُونَ] اشرک المؤمنین لانّ المراد بالعمل العمل علی الدّین المدّعی صحّته وهم شرکاء له (ص) فیه [وَانْتَظِرُوا] نزول ما تهدّد و ننابه من آلهتکم وانتظروا نزول ماتهدّدکم به [إِنَّا مُنْتَظِرُونَ] نزول مانعدکم من الله اونزول ماتعدوننا [وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ] اثبات لمبدئیّته ومرجعیّته تمهیداً للامر بالعبادة ولذلک اتی بالفاء السّببیّة فیه ای اذاکان الامر کذلک [فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ] انتم ومخالفوکم ؛ ترغیب وتهدید و تعلیل للعبادة .

سورة يوسف

مكّيّة ، وقيل : غير اربع آيات نزلن بالمدينة ثلاث من اوّلها والرّابعة :
لقد كان فى يوسف واخوته آياتٌ للسّائلين

بسم الله الرحمن الرحيم

[الٓر] قد سبق انّ تلك الحروف تعبير عن مراتب العالم او مراتب وجوده (ص) المشهودة له حين انسلاخه عن غواشى الطّبع ولذلك عدّت من اسمائه (ص) فصحّ جعلها مناداة و جعلها مبتدءً وما بعدها خبرها و جعلها منقطعة غير عاملة ولامعمولة لمحض اظهار تلك المراتب فى نظره وعلى وجه الابتداء فقوله [تِلْكَ] بدل منها و [اٰيٰتُ الْكِتٰبِ] خبرها اوتلك مبتدء ثان و آيات الكتاب [الْمُبِينِ] خبره والجملة خبرها والمبين بمعنى الظّاهر اوالمظهر والمراد القلم العالى اواللّوح الكلّىّ اوعالم المثال اوعالم الطّبع اوالقرآن اوجملة العالم [إِنَّآ اَنْزَلْنٰهُ] اى الكتاب فى صورة الحروف والنّقوش [قُرْءٰنًا] جامعاً لجهتى الوحدة والكثرة والامر والخلق [عَرَبِيًّا] بلغة العرب اوعربيّاً ذاعلم وفقه لا اعرابيّاً ذاجهل وسبعيّة وبهيميّة [لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ] اى يسهل عليكم تعقّله لكونه بلغتكم اوتصيرون ذاعقلٍ وفقه لاشتماله على ما يحصل به عقل وفقه [نَحْنُ نَقُصُّ] نملى [عَلَيْكَ] لاغيرنا على ان يكون تقديم المسند اليه لافادة الحصر والمقصود النّهى عن الاصغاء الى الغير بايّاك اعنى و اسمعى يا جارة ، او المقصود النّهى عن النّظر الى الواسطة من الملك الاتى به [اَحْسَنَ الْقَصَصِ] املاء احسن من كلّ املاء ، واحسنيّة الاقتصاص امّا باحسنيّة اللّفظ المقتصّ به اوبأحسنيّة الاخبار المقتصّة لاغرابتها اوابعديّتها عن الاذهان اواكثريّة فوائدها وانفعيّتها اواحسنيّة موضوعاتها ، اوكون محمولاتها اشهى والذّ عند النّفس ولايخفى انّ الكلّ مجتمعة فى القرآن خصوصاً فى سورة يوسف (ع) وقد ذكر لاحسنيّة قصّة يوسف اوجه أخر ماذكرنا أوجهها والمقصود اقتصاص جملة القرآن لانّ فيه اخبار الانبياء (ع) والاخيار والاشرار واقتصاص سورة يوسف (ع) [بِمَآ اَوْحَيْنٰٓا إِلَيْكَ هٰذَا الْقُرْءٰنَ] جملة القرآن اوسورة يوسف (ع) فانّ القرآن كان اسماً لمانزل عليه (ص) آية كان اوسورة اوجملة القرآن ثمّ غلّب على المجموع بكثرة الاستعمال وهو مفعول

اوحینا او نقصّ اوکلیهما علی سبیل التّنازع علی ان یکون احسن القصص مفعولاً مطلقاً واّلافهو مفعول اوحینا اوبدل من احسن القصص [وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ] لانّک ماختلفت الیٰ العلماء ولاالی القصّاص و ما تجسّست الکتب و الغفلة من الله مذمومة و من غیرالله للاشتغال به ممدوحة و المراد الغفلة من تلک القصّة [إِذْ قَالَ] اذاسم خالص مفعول نقصّ او اوحینا اوبدل من احسن القصص اوهذا القرآن ، او بتقدیر الامر من الذّکر وعلی ایّ تقدیر فلیقدّر مثل المثل و الحکایة مضافاً الی کلمة اذقال [يُوسُفُ لِأَبِيهِ] یعقوب (ع) بن اسحاق (ع) بن ابراهیم (ع) وکان لقبه اسرائیل وهوفی لغة العبریّ خالص الله [يَا أَبَتِ] الحاق التّاء بالاب والامّ منادیین لاظهار الشّفقة و الاستعطاف کتصغیر الابن منادی [إِنِّي رَأَيْتُ] من الرّؤیا [أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ] رأیتهم تأکید لرأیت ولی ساجدین مفعول ثان لرأیت الاوّل او رأیتهم جواب سؤال مقدّر کأنّه قیل : علی ایّ حال رأیتهم ؟ ـ او جواب سؤال کان مذکوراً فی المحکیّ فحذ ف من الحکایة کما قیل : انّ یعقوب (ع) قال علی ایّ حال رأیتهم ؟ وتأخیر الشّمس والقمر للاشارة الی التّرتیب فی الرّؤیا ، وقیل : کان تحقّق تعبیر الرّؤیا ایضاً کذلک لانّ اخوته سجدوا اوّلاً ثمّ سجد ابوه وامّه ، اوللاهتمام بالشّمس والقمرشبه التّخصیص بعدالتّعمیم ، والاتیان بضمیرذوی العقول وجمعهم لنسبة السّجدة التّی هی من افعال ذوی العقول الیهم [قَالَ يَا بُنَيَّ] صغّره شفقة [لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ] لمّا کان شفیقاً علی اولاده لم یقتصر علی نسبة الکید الیهم و اعتذرعنهم بانّ الکید کان من تصرّف الشّیطان، نقل انّ یوسف (ع) قال : یا ابة انّ کلماتک تدلّ علی انّ اخوتی سیدخلون فی سلک الانبیاء (ع) ولاینبغی الکید من الانبیاء ؟ـ فقال : لایتأتّی الکید من الانبیاء (ع) لکن قد یتصرّف الشّیطان فیهم کماوقع منه بالنّسبة الی آدم (ع)، انّ الشّیطان للانسان عدوّ مبین، نهاه (ع) عن قصّ رؤیاه علی اخوته لما شاهد منهم من حقدهم وحسدهم علی یوسف (ع) وعلم انّهم عالمون بتعبیر الرّؤیا وانّهم یحسدونه علی ما یتفطّنون من تعبیر رؤیاه . نقل انّ یعقوب (ع) لمّا منع یوسف (ع) من قصص رؤیاه علی اخوته قبل تعبیر رؤیاه تغیّرلون یوسف (ع) و ارتعدت فرائصه لماکان قد علم من شدّة صولة اخوته و قوّتهم فأخذه یعقوب (ع) وعبّر رؤیاه تسکیناً له فقال: [وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ] عطف علی محذوف ای یرفعک وکذلک یجتبیک ربّک ، ویحتمل انّه کان مذکوراً فی المحکیّ فأسقطه الله عن الحکایة ایجازاً ، اواستیناف شبه العطف بلحاظ المعنی لانّه بعد ما قال : لاتقصص رؤیاک استنبط منه انّ تلک الرّؤیا دلیل رفعته و المشار الیه الاجتباء باراءة سجدة الکواکب [وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ] أتی بمن للاشعار بأنّ لتأویل الاحادیث مراتب عدیدة لایحیط بجملتها اّلا الله ، والاحادیث ، قیل: اسم جمع للحدیث ، وقیل : جمع له علی خلاف القیاس، و قیل : جمع الاحداث و هو جمع الحدیث او جمع الحدث بمعنی ما یحدث آناً فآناً ، وتأویل الاحادیث عبارة عمّا تؤل الیه من مبدئها وغایتها ان کان التّأویل بمعنی المؤوّل الیه و ان کان بمعناه المصدریّ فالمقصود کیفیّة ارجاعها الی مبدئها ومنتهاها، ومبدءالکلّ وکذا غایته هو الله بتوسّط المبادی والغایات المتوسّطة فهو مبدءالمبادی وغایةالغایات، وتأویل الاحادیث بهذا المعنی امرعظیم غامض جدّاً لایتیسّر اّلا لمن کان رسولاً بعد ماکان عبداً ولیّاً ، والاحاطة بجمیع مراتب التّأویل خاصّة بالله وبمن کان خاتم الکلّ فی کلّ الکمالات کما قال تعالی: لایعلم

تأويله الّاالله خاصّة على ان يكون والرّاسخون ابتداء كلام اولايعلم اجمال تأويل ماتشابه منه الّاالله والرّاسخون في العلم خاصّة [وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ] اصل النّعمة هوالولاية و النّبوّة صورتها المكمّلة لها و هكذا الرّسالة والنّعم الدّنيويّة والاخرويّة صورتها الدّانية والمراد باتمام نعمته عليه اتمام نعمة الولاية بنعمة النّبوّة و الرّسالة والسّلطنة في الدّنيا والآخرة هذا بالنّسبة الى من تحقّق بقبول الولاية او بحقيقة الولاية و امّا النّعمة و اتمامها بالنّسبة الى من لم يقبل النّبوّة بعد او قبل النّبوّة ولم يقبل الولاية فهي قبول النّبوّة و اتمامها قبول الولاية كما في قوله : اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي يعني باتّصال البيعة الاسلاميّة النّبويّة بالبيعة الايمانيّة الولويّة [وَعَلَىٰ آلِ يَعْقُوبَ] بواسطتك و اتمام النّعمة عليهم جمع خير الدّنيا و الآخرة لهم بعد ما ازلّهم الشّيطان [كَمَا أَتَمَّهَا عَلَىٰ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ] باستحقاق كلّ وقدره [حَكِيمٌ] ينظر الى دقائق الاستحقاق فيعطي بحسبها وانت مستحقّ بحسب فطرتك فيعطيك ماتستحقّه [لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ] اى في قصّتهم [ءَايَٰتٌ لِّلسَّائِلِينَ] اى السّائلين عن قصّتهم كما قيل : انّ رؤساء المشركين سألوا محمّداً (ص) بتلقين اليهود عن قصّتهم ،اوالصّحابة سألوا عنه سورة مشتملة على الحكايات خاليةً عن الامروالنّهي ، اواليهود جاؤا ليسألوا قصّة يوسف (ع) عنه فرأوه يقرؤها كما وجدوها في كتبهم . **اقول:** نزول الآية ان كان فيمن ذكر فالحقّ انّ السّؤال اعمّ من السّؤال بلسان القال و الحال والاستعداد ، وان كلّ طالب للآخرة و لما يعتبر به في جهة الآخرة سائل عنها ، و في تعليق الحكم على الوصف اشعار بانّ غير السّائل محروم عن ادراك آيات تلك القصّة وعبرها ، فانّ غير السّائل لايسمع من تلك القصّة غير ما يسمع من الاسمار و التذاذه بها مثل التذاذه بالاسمار سواء لم يكن سائلاً بلسان القال اوكان سائلاً بلسان القال دون لسان الحال كما قال : وَكَأَيِّن مِّنْ آيَةٍ فِي السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ، وفي تلك القصّة آيات عديدة للطّالب المستيقظ دالّة على علمه وحكمته وقدرته وربوبيّته وتصريفه للاشياء على مايشاء ، وعدم انجاء الحذر من القدر ، وعدم الانتفاء بالتّدبير فيما يريد غيره ، وعدم الاضرار بمكر الماكرين ، وسببيّة حسد الحاسدين لدرجات شرف المحسودين وانتشار فضلهم ، وعلى فضل العفّة وحسن عاقبتها ، وانّ الانسان ينبغي ان يكون عفيفاً ولومع خوف التّلف ووخامة البغي وابتلاء الباغي بالالتجاء بنفسه اوبعقبته الى المظلوم وترك الكذب ولوتوريةً ، وابتلاء الكاذب بمثل كذبه ممّن كذب له اومن غيره ومكافاة العمل في الدّنيا وان كان من الانبياء (ع) على سبيل ترك الاولى وغير ذلك من الآيات المندرجة في تلك القصّة [إِذْ قَالُوا لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰ أَبِينَا مِنَّا] قالوا ذلك بعد اطّلاعهم على رؤيا يوسف (ع) وتعبير يعقوب (ع) رؤياه له وكانوا يكذّبون يوسف (ع) في رؤياه ويقولون: انّه افترى ليصرف وجه ابينا الى نفسه ، **ونقل** في سبب اطّلاع اخوته انّ امّ شمعون بن يعقوب (ع) كانت تسمع حين نقل يوسف (ع) رؤياه وتسمع تعبير يعقوب (ع) لها من حيث لا يريانها فأخبرت ابنها بذلك وقالت : التّعب لكم والشّرف لغيركم ، وقيل : انّهم اطّلعوا على انّ يوسف ذكر رؤياه ليعقوب (ع) وامره بالاخفاء فاحلفوه حتّى اخبرهم ، وقيل: انّه رأى بعد ذلك رؤيا اخرى فأخبر أباه بمحضر اخوته فحسدوه وقالوا ماقالوا وعزموا على الكيد والغدر ،ولفظة اذ بدل من يوسف واخوته بدل الاشتمال بتقدير قصّة اذقالوا ، او مفعول للسّائلين او استيناف كلام بتقدير اذكر في جواب السّائلين قصّة اذقالوا، واضافة اخوّة بنيامين الى يوسف (ع)

لکونه من امّه دونهم [وَنَحْنُ عُصْبَةٌ] جماعة اقویاء علی دفع الضّرّ وجلب النّفع له دونهما ، والعصبة کماقیل من العشرة الی الاربعین [إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ] ظاهر رتّبوا قیاساً بعقولهم منتجاً لضلال ابیهم وترتیب القیاس هکذا: نحن اقوی منهما وکلّ من کان اقوی کان اولی بالمحبّة فنحن اولی بالمحبّة وابونا اختار غیر الاولی علی الاولی وکلّ من اختار غیر الاولی علی الاولی فهو ضالّ عن طریق العقل وحکمه فأبونا ضالّ ، لکن قیاسهم الخیالیّ کان سقیماً عقیماً عند العشق وسلطانه ، لانّ العشق ارفع من ان یعارضه الخیال اویداخله القیاس واعظم شأناً من ان یناط بالاسباب بل هو من صفات الله العلیا یعطی منه ما یشاء لمن یشاء ، کما سنحقّقه انشاءالله فی بیان عشق امراة العزیز لیوسف(ع) [اُقْتُلُوا يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا] مجهولة [يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ] عن مزاحمة التّوجّه الی یوسف(ع) [وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ] بعد یوسف وقتله اوطرحه [قَوْمًا صَالِحِينَ] بان تتوبوا الی الله ثمّ تعبدوه فی اوامره ونواهیه وهذا دلیل علی انّهم فی ذواتهم کانوا طیّبین وانّما عرض ذلک لهم من الشّیطان [قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ] قیل : کان القائل یهودا وورد أنّه کان لاوی وهو الّذی بقی النّبوّة فی عقبه [لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ] عظّم القتل و نهاهم عنه و وضع الظّاهر موضع المضمر تعلیلاً للنّهی بتذکیرهم انّه یوسف (ع) وابن ابیهم و أحبّهم الیه لیعظّموا قتله ایضاً [وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ] قعره الّذی یغیب عن الانظار [يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ] فیذهب به عن ارضکم ویبعّده عن ابیکم [إِنْ كُنْتُمْ] لامحالة [فَاعِلِينَ] به ما یفرّق بینه وبین ابیه [قَالُوا] بعد ماعزموا علی ما أرادوا [يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ] اظهروا الشّفقة علیه بعد ما أنکروا عدم اطمینانه [أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ] النّظر فی الازهار [وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ] عطف علی یرتع والعدول عن الفعلیّة لتأتّی التّأکیدات من اسمیّة الجملة وانّ واللّام وتقدیم الجارّ فانّه یشعر بالاهتمام به المستلزم لحفظه [قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ] لشدّة محبّتی له وقلّة صبری عن مفارقته [وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ] قیل: انّ الارض کانت مذئبة؛ ومافی الاخبار یشعر بأنّها لم تکن مذئبة لکنّه ورّی عن حسدهم وحقدهم واظهر انّه یخاف الذّئب الصّوریّ کما فی الخبر: لاتلقّنوا الکذب فتکذبوا فانّ بنی یعقوب (ع) لم یعلموا انّ الذّئب یأکل الانسان حتّی لقّنهم ابوهم ، وورد فی سبب ابتلاء یعقوب(ع) انّه ذبح کبشاً سمیناً ورجّل من اصحابه محتاج لم یجد مایفطر علیه فأغفله ولم یطعمه ، وورد انّه کان له جاریة ولدت ابناً وماتت امّ یوسف(ع) فی نفاس بنیامین وکانت الجاریة تربّی بنیامین وترضعه وکان ابنها رضیع بنیامین فأخذه یعقوب(ع) منها بعد کبره اوبعد مراهقته وباعه فأخذت الجاریة من فراقة حرقة وتضرّعت الی الله فسمعت هاتفاً یقول: یبتلی یعقوب(ع) بفراق احبّ اولاده ولا یصل الیه الّا وتصلین انت قبل ذلک الی ولدک [وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ قَالُوا لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ] جماعة اقویاء [إِنَّا إِذًا لَخَاسِرُونَ] هذا علی عادة العرف تقول : ان وقع کذا فانا ملوم اوافعل بی ما شئت والّا فلیس هوجواباً له(ع) ، اوهوجواب بابلغ وجه کأنّهم ادّعوا بعصابتهم وقوّتهم محالیّة اکل الذّئب له فکأنّهم قالوا اکل الذّئب له مستلزم لخسراننا وخسراننا محال فهو محال [فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ] جزاؤه محذوف ای القوه فیها [وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ] وحیاً بتوسّط الملک کما فی اخبارنا؛ ورد انّه کان ابن سبع سنین اوتسع سنین وقیل:

انّه كان ابن سبع عشرة سنة [لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هٰذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ] بانّك يوسف (ع) وهو قوله هل علمتم ما فعلتم الآية [وَجَاؤُا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ] بعد ما ذبحوا جدياً و لطّخوا قميصه بدمه [قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ] الاستباق التّسابق فى الرّمى، والتّسابق فى الخيل، والتّسابق فى العدو؛ وهو المرادهنا [وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا] مصدّق لنا [وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ وَجَاؤُا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ] ذى كذب او مكذوب او كاذب او وصف بالمصدر للمبالغة و وصف الدّم بالكذب باعتبار انّه خلاف ما اظهروه ، ورد انّه (ع) قال بعداخذالقميص ماكان اشدّ غضب ذلك الذّئب على يوسف (ع) واشفقه على قميصه حيث أكل يوسف (ع) ولم يخرق قميصه [قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ] سهّلت [لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا] عظيماً هواذى يوسف من غير جرم واذى نبيّ الله و الكذب لنبيّ الله [فَصَبْرٌ جَمِيلٌ] هذه الكلمات كانت فى الشّرائع الماضية مثل كلمة الاسترجاع فى الشّريعة المحمّديّة (ص) واصلها فاصبر صبراً جميلاً ، اسقط الفعل واقيم المصدر مقامه ثمّ عدل الى الرّفع نظيرسلاماً وسلامٌ فعلى هذاكان تقدير: لى صبرٌ جميلٌ ، اولى من تقدير صبرى صبرٌ جميلٌ ، اوصبرٌ جميلٌ صبرى ، اوأمرى صبرجميل ، لانّ تعلّق المصدر بالفاعل والمفعول وربطه به بواسطة حرف الجرّ بعد حذف الفعل و اقامة المصدر مقامه منصوباً و مرفوعاً مطّرد مثل ظنّاً منهم و سلام منّا عليك والحمدلله و حمداً لله [وَاللّٰهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ] من هلاك يوسف (ع) اى على الصّبرعليه [وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ] جماعة سيّارة للتّجارة وفى لفظ السّيّارة اشعارٌ بانّ السّير كان شغلهم وقصّته انّ مالك بن زعرالّذى كان اميرالعير وكان من ولد ابراهيم الخليل (ع) باربعة آباء ، رأى رؤياعبّروها له بالتقاط غلام فى ارض كنعان يكون له فيه خير كثيرفى الدّنيا والآخرة ، وكان رؤياه قبل ذلك بخمسين عاماً ، وكان يمرّ فى تلك المدّة على ارض كنعان بعيره كلّ عامٍ مرّة وفى ذلك العام ضلّ الدّليل الطّريق ومرّوا على ذلك البئر بعد مضىّ ثلاثة ايّام اوخمسة ايّام اوسبعة ايّام من القاء يوسف فيه، وقيل: انّ البئر كان على طريق المارّة ، ويستفاد من قوله تعالى يلتقطه بعض السّيّارة انّ البئر كان على طريق المارّة [فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ] الّذى يرد الماء ليستقى للنّاس والدّوابّ [فَأَدْلَى دَلْوَهُ قَالَ يَا بُشْرَى] جواب سؤال كأنّه قيل: مارأى وما فعل بعد اخراج الدّلو، ونداء البشرى اشارة الى غاية سروره واستبشاره كأنّه تمثّل البشرى لديه فاستبشرها بشهود الغلام، وقيل: كان له صاحب اسمه بشرى فناداه ليبشّره بشهود الغلام [هٰذَا غُلَامٌ وَأَسَرُّوهُ] اى الوارد وخواصّ اصحابه كتموا التقاطه من البئر لئلا يمتدّ اليه اطماع الرّفقة، اوكتموانفس يوسف (ع) لئلا يراه رفقتهم فيطمعوا فيه، اواسرّوا بمعنى اظهروا، ويحتمل رجوع ضمير الفاعل الى اخوة يوسف (ع) كما يجيء [بِضَاعَةً] حال من مفعول اسرّوه ، قيل: انّ يهوداكان يأتى كلّ يوم الى البئر ويتعاهد يوسف (ع) ويأتى له بطعام فلمّا جاء اليوم الى البئر لم يجد يوسف (ع) فيه فأتى العير فوجده هناك واخبر اخوته فجاؤا الى العير وكتموا أمر يوسف (ع) وهدّدوه من القتل حتّى أقرّ بالعبوديّة فعابوه بالسّرقة والاباق [وَاللّٰهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ وَشَرَوْهُ] منهم ويحتمل ارجاع ضمير الفاعل الى الوارد و رفقته او الى السّيّارة وكون الشّراء بمعنى الاشتراء [بِثَمَنٍ بَخْسٍ] مغشوش اوقليل [دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ] عشرين

اواثنین وعشرین اوثمانیة عشر [وَكَانُوا] ای السّیّارة اواخوة یوسف [فِیهِ] فی یوسف اوفی الثّمن [مِنَ الزَّاهِدِینَ] غیر راغبین اوناظرین بنظرالزّهد لابنظرالخیانة ، وکان المشتری من اخوة یوسف (ع) مالک بن زعر امیرالعیرفجاء به الی مصروکان من کنعان الی مصرمسیرة اثنی عشریوماً اوثمانیة عشریوماً وقد سار یعقوب (ع) وولده بعد بشارة حیوة یوسف (ع) وسلطنته فی تسعة ایّام [وَقَالَ الَّذِی اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ] بعد وصول العیر الی مصر و ابراز یوسف (ع) فی معرض البیع و اشتراء عزیز مصر الّذی کان بحکم الملک علی خزائن مصر والملک یومئذ ریّان بن الولید وآمن بیوسف (ع) ومات فی حیوته [لِامْرَأَتِهِ] زلیخا [أَكْرِمِی مَثْوَاهُ عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا] بالاعانة فی امورنا وجمع اموالنا وتعهّد ضیاعنا وعقارنا [أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا] لانّه لم یکن له ولد امّا لانّه کان عنّیناً ویکتفی من النّساء بالملامسة والملاصقة اوکان عقیماً، وقد نقل انّ زلیخا کانت بکراً لعنته، اولانّه کلّما یرید الدّخول ضعف عن الرّجولیّة ولم یتیسّر له الدّخول [وَكَذَٰلِكَ] مثل ذلک التّمکین فی دار العزیز وهو عطف علی محذوف ای فمکّنّا لیوسف (ع) فی دارالعزیز ومثل ذلک [مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ] تمام ارض مصر اوالمراد مثل ذلک التّمکین المسبّب عن المتاعب حتّی یکون تسلیة للمبتلی [وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ] عطف علی محذوف ای لیعدل فی النّاس ولنعلّمه من تأویل الاحادیث فیدبّر علی وفقها سواء ارید بالاحادیث ، الاحداث اواحادیث الرّؤیا اواحادیث الکتب السّماویّة واخبارالانبیاء اواعمّ من ذلک [وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ] مسلّط علی ما یریده لاردّ لمراده و قد ظهر ذلک فی قصّة یوسف (ع) لانّه اراد اعزازه فی الدّنیا والآخرة بابتلائه واراد یعقوب (ع) ان لایفارق عنه ففرّق بینهما ، واراد عدم اخبار یوسف (ع) اخوته برؤیاه فاخبروا ، و أراد اخوته بحسدهم ان یقتلوه فصرفوا ، و ارادوا ان یذلّوه فصار عزیزاً باذلالهم ، وارادوا رقّیّته مادام عمره فصارمالک رقاب اهل مصر ، واراد زلیخا اضلاله فعصمه ، وارادوا اتّهامه بسجنه فصارسبب ظهور طهارته وعلوّ مرتبته [وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ] اللّعب المعکوس منه وجعله الاضداد اسباباً للاضداد واظهار الشّرّ بابتلاء العبد وکتمان الخیر فیه [وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ] قد سبق تفسیر الاشدّ وانّه اوان کمال جمیع القوی وهو سنّ الوقوف بین الثّلاثین والاربعین والحقّ انّ مبدأه الثّامن عشر و منتهاه الاربعون [آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا] نبوّة و رسالة سواء ارید بالحکم کمال القوّة العملیّة بحیث ینقاد له جمیع القوی النّفسانیّة اوالحکومة والتّسلّط اوالقوی النّفسانیّة، فانّ الاوّل النّبوّة والثّانی لازمها والعلم وهو الاستبصار بالاشیاء علی ماهی علیه من لوازم الرّسالة ، ویجوز ان یراد بالحکم لازم الولایة من التّسلّط علی القوی و بالعلم النّبوّة والرّسالة فانّ النّبوّة ایضاً تستلزم الاستبصار بما فی العالم الصّغیر ، وعلی ایّ تقدیر فتقدیم الحکم لتقدّم رتبته علی العلم ولمکان هذا الحکم کان لیوسف (ع) کمال العفّة حین تهیّؤ اسباب الشّهوة والشّره ولذا قدّم ذکر اعطاء الحکم علی المراودة [وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ] یعنی کما انّ یوسف (ع) کان محسناً فأعطیناه الحکم لاحسانه کذلک نعطی کلّ محسن لاحسانه، والاحسان قد مضی مراراً انّه الایمان الخاصّ وقبول الاحکام القلبیّة الولویّة بالبیعة الولویّه وقبول الدّعوة الباطنة ودخول الایمان فی القلب فالمراد بالمحسن ههنا هو الّذی صار ذا حسن اوالّذی احسن الی نفسه بادخالها تحت ولایة ولیّه، والاحسان الی الغیر لازم ذلک الاحسان [وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ

نَفْسِهِ] راود ذهب وجاء لطلب شيء و لتضمين معنى الطّلب والسّؤال عدّاه بعن و المقصود تشبيه ملاطفاتها له وفتح ابواب الرّغبة عليه، وانّه كلّما سدّ باباً من ابواب ترغيبها فتحت باباً آخر بالمراودة الصّوريّة ، والتّعليق على الموصول للاشعار بكمال قوّتها في المراودة و عدم عذر له من جهة الاسباب الصّوريّة و ارتفاع حجاب الحياء بكثرة المعاشرة ولذلك عقّبه بقوله [وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ] حتّى يكون تعفّفه في تلك الحال دالّاً على كمال قوّته الآلهيّة وتسلّطه على قواه النّفسانيّة ، والتّضعيف للتّكثير فانّ الابواب كما نقل كانت سبعةً وكانا في البيت السّابع . وقد ذكر في التّواريخ انّها كانت تعشق يوسف (ع) وهو في بيتها سبع سنين وكانت تكتم عشقها ولا يعلمه الّا الله و ما اظهرتها على يوسف (ع) ايضاً حتّى ذاب جسمها و اصفرّ لونها و اغورّت عيناها وكانت لها امرأة مربّية كانت صاحبة اسرارها ، فسألتها عن حالها فأظهرت حال عشقها و انّ يوسف (ع) لا يلتفت اليها ولا ينظر اليها كلّما تزيّنت له ، فأشارت اليها ان تبني قباباً متزيّنة بانواع الجواهر وان تنقش في جوانب كلّ قبّة صورتها وصورة حبيبها متعانقة وتجعل مسكن يوسف (ع) فيها وتظهر عشقها له لعلّه يرغب فيها بعد مشاهدة الصّور المنقوشة المرغّبة ؛ ففعلت وأدخلت يوسف (ع) في القبّة السّابعة و غلّقت الابواب لئلّا يبقى له عذر في عدم المخالطة معها. وقيل: انّها بنت قبّة نصبت في سقفها وجميع جدرانها المرائي بحيث اذا أدخلت يوسف (ع) فيها لا تنظر الى شيء الّا تشاهد صورة يوسف (ع) ولا ينظر يوسف (ع) الى طرف الّا يرى صورتها، وذلك انّها كلّما الحّت و دبّرت ان ينظر يوسف (ع) الى صورتها لعلّه يرغب فيها كان لا ينظر اليها فدبّرت ذلك لعلّه يرى صورتها ويرغب فيها وايضاً لغاية محبّتها كانت لا تريد النّظر الّا الى جمال يوسف (ع) [وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ] اسم فعل بمعنى أقبل او بمعنى تهيّئت واللّام لتبيين الفاعل او المفعول وقرئ هيت بضمّ التّاء وهيت بكسرها مثل حيث وجير، وقرئ هيت بكسر الهاء وفتح التّاء ، وهئت مثل جئت بضمّ التّاء فعل ماض بمعنى تهيّئت [قَالَ] في جوابها اعتذاراً من عدم اجابتها مستعيذاً بالله خوفاً من ان يفتتن بصحبتها [مَعَاذَ اللَّهِ] عذت بالله معاذاً ولمّا كان في الاستعاذة اشعار بعدم الاجابة علّله بقوله [إِنَّهُ رَبِّي] انّ العزيز سيّدي اشتراني بثمن غالٍ لا يليق بي الخيانة بأهله وحريمه ، او انّ الله ربّي ربّاني من اوّل استقرار نطفتي ومادّة بدني في رحم امّي فلا ينبغي مخالفته فيما نهى عنه [أَحْسَنَ مَثْوَايَ] اظهر وصفاً آخر مقتضياً لقبح الخيانة ، ونسبة الاحسان الى المثوى كناية عن اكثار الانعام ووفور الاحسان ، ومن أساء الى المحسن فهو ظالم والظّالم لا ينجو من العذاب الاليم [إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ] ذكر في الاعتذار ثلاثة اشياء : الرّبوبيّة وكثرة الاحسان وكون الخيانة ظلماً خصوصاً مع المنعم مع عدم فلاح الظّالم تعريضاً بنصحها وردعها عمّا أرادت .

بيان العشق ومراتبها ومراتب الحبّ

اعلم ، انّه لا خلاف ولا شكّ في انّ زليخا تعشّقت يوسف (ع) ولم يكن مراودتها عن محض شهوة حيوانيّة وسفاد قوّة بهيميّة كما قال من لا خبرة له بالحقائق الآلهيّة والصّفات الرّبوبيّة حيث نظر الى تهديدها له بالسّجن ورضاها بكونه في السّجن، والحال انّ العاشق لا يمكنه تهديد المعشوق ويعدّ البلاء والملامة فيه من شعار عشقه ومستلذّات لوعته وموجبات ازدياد محبّته واشتعال شوقته، بل الخلاف في انّ عشقها أكان سفليّاً صارفاً لها عن الجهة الانسانيّة العالية الآلهيّة داعياً لها الى الحيوانيّة البهيميّة المقتضية للسّفاح والفجور لانّ مراودتها كانت لذلك لدلالة هيت وقولها ولقد راودته فاستعصم وقولها لئن لم يفعل ما امره ليسجننّ وقول يوسف (ع) معاذ الله انّه ربّي احسن مثواي ام علويّاً صارفاً عن الجهة الحيوانيّة

السّفليّة الى الانسانيّة العالية مقتضياً لنزاهة النّفس عن الادناس والارجاس موجباً لقرب الحقّ الاوّل تعالى، لانّ تعشّقها ليوسف انتهى بها الى محبّة الله و مشاهدة جماله و الاستغناء عن مشاهدة المظاهر فضلاً عن المواقعة والسّفاح كماورد انّ يوسف (ع) افتتن بها وهي استغنت عنه بالله تعالى وتحقيق ذلك يستدعي تحقيق معنى العشق والمحبّة وبيان حقيقته ومراتبه؛ فنقول ومنه الاعانة والتّوفيق:

العشق من صفات الله العليا وبه دعمت السّماوات والارضون وهو الّذى ملأ اركان كلّ شيء ولولاه لماكان ارض ولاسماء ولاملك ولاملكوت وهويساوق الوجود، حقيقته حقيقة الحقّ الاوّل تعالى وهوباطلاقه غيب مطلق لا اسم له ولا رسم ولا خبرعنه ولا اثر ولذا قيل:

هرچه گويم عشق را شرح و بيان چون بعشق آيم خجل مانم ازان
عقل درشرحش چوخرد در گل بخفت شرح عشق و عاشقی هم عشق گفت

لانّ العشق كالوجود لايكتنه ولا يحاط لانّه عين الواقع وحاقّ التّحقّق فلوادرك بالكنه لانقلب الواقع ذهناً والواقعيّ ذهنيّاً. وايضاً حقيقة العشق المطلق كحقيقة الوجود المطلق منزّه عن ادراك الحسّ والخيال والعقل للزوم السّنخيّة بين المدرك والمدرك بل لزوم الاتّحاد بينهما ولاسنخيّة ولا اتّحاد بين المطلق والمقيّد ولذلك ورد هو مع كلّ شيء، هومعكم اينما كنتم وهوحقيقة كلّ شيء وهو بفعله كلّ الاشياء ولا شيء من الاشياء معه:

آنجاكه توئی چومن نباشد کس محرم این سخن نباشد

و ايضاً العشق المقيّد الّذى هو من اجلّ اوصاف الانسان وبه تميّزه عن سائر الحيوان و فى الحقيقة هو فعليّته وبه تحقّق انسانيّته لايدرك حاله بالحال والقال ولا بالعقل والخيال لخروجه عن سلطان العقل فكيف بعقال الخيال، فانّه يقتضى الدّهشة والحيرة والاسترسال عن انتظام الحركات وتدبير الامور كالجنون والاختبال ولا يدرك العقل المقتضى للتّدبير وحفظ النّاموس حقيقة تلك الاحوال لتقيّده واسترسال العشق، ولهذا ظنّ العقلاء من الحكماء انّه جنون من اختلال فى الدّماغ او فساد فى المزاج و ترقّى بعضهم لانّه لم يدرك له سبباً طبيعيّاً فقال: انّه جنون آلهيّ. **فالعشق كالوجود مرتبة منه واجب الوجود** وليس لاحد الكلام فيه اذا بلغ الكلام الى الذّات فأمسكوا، ومرتبة منه العشق المطلق والحقّ المضاف الّذى به قوام كلّ شيء وهواضافة الحقّ تعالى الى الاشياء وهوحقيقة كلّ ذى حقيقة وبه معيّته وقيّوميّته وهوالظّاهر والباطن والاوّل والآخر وهو بكلّ شيء محيط، وبه يقال بسيط الحقيقة كلّ الاشياء وليس شيئاً من الاشياء ولا يبقى معه شيء وان كان هومع كلّ شيء. ومرتبة منه المجرّدات الصّرفة بسعتها وعدم نهايتها، ومرتبة منه النّفوس، ومرتبة منه الاشباح النّوريّة وعالم المثال وفيه جنان اصحاب اليمين، ومرتبة منه الماديّات وعالم الطّبع و فيه التّكليف والتّرقّى الى عالم المجرّدات النّوريّة والتّنزّل الى عالم الارواح الخبيثة، ومرتبة منه عالم الارواح الخبيثة وفيه جحيم الاشقياء، وهناك يتمّ نزول العشق ومن هناك ابتداء الصّعود كما اشيرالية فى اخبارنا، بانّ الجنّ منهم مؤمنون اى متصاعدون عن مقام الارواح الخبيثة اوابتداء الصّعود من عالم الطّبع كما عليه معظم اهل النّظر والبيان، ولمّا كان عالم الطّبع مكتنفاً بالاعدام موصوفاً بالتّضادّ والتّعاند ملفوفاً بالغيبة والفقدان، بحيث لايدرك منه اهل الحسّ والخيال العشق والمحبّة لكونهما مسبوقين بالعلم والحيوة ولايدركون منه حيوة ولاشعوراً ماسمّوا ميل الطّبائع الى احيازها ولاعشقها لحفظ موادّها وصورها ولاميل النّبات فى حركاتها ولاميل الحيوان فى ارادتها عشقاً، بل فرّقوا بين مراتب الطّلبات فسمّوا طلب الاجرام الثّقال والخفاف لاحيازها عند الخروج عنها ميلاً، وعشق الجماد لبقاء صورته حفظاً، وعشق النّبات للنموّ وتوليد المثل تنمية وتوليداً، وطلبه للغذاء جذباً، وعشق الحيوان للغذاء والسّفاد شهوة، وعشقها

لاولادها من حيث انّه يشبه انس الانسان حبّاً ، وسمّوا حبّ الانسان من حيث انّه انسان باعتبار مراتبه من الشّدّة والضّعف وباعتبار متعلّقه بالميل والشّهوة والحبّ والعشق والشّوق؛ فسمّوا اوّل مراتبه ميلاً ، واذا اشتدّ بحيث يتمالك معه شهوة وحبّاً، واشدّ مراتبه بحيث لايتمالك معه عشقاً ، اذا كان الحبّ للمحبوب الموجود، واذا كان للمحبوب المفقود يسمّى شوقاً ، وقد يطلق كلّ على كلّ . والحبّ على المعنى الاعمّ وعلى مراتب عشق الحيوان والنّبات حقيقة اوعلى سبيل المشاكلة ، ويسمّى عشق الانسان من حيث نفسه الحيوانيّة بالهوى والشّهوة ، ويطلق الحبّ على جملة المراتب فيكون اعمّ من الكلّ ، ولاشكّ انّ الهوى والشّهوة والميل والحبّ والشّوق الغير الشّديد من لوازم وجود الانسان ولايمكن بقاء الشّخص ولا بقاء النّوع ولاعمارة الدّنيا والآخرة الّا بها فهى من الكمالات المترتّبة عليها غايات ومصالح عديدة . وامّا العشق والشّوق اللّذان لايتمالك معهما الانسان ولايكونان الّا متعلّقين بصور الحسان وقد يتعلّقان باصوات القيان وتناسب الالحان فقد اختلف كلمات اصحاب البيان وارباب الذّوق والوجدان فى انّهما من الخصائل ام من الرّذائل؟ فقال اكثر العقلاء: انّ العشق رذيلة مستلزمة لرذائل كثيرة واوصاف مذمومة مثل البطالة فى الدّنيا والقلق والدّهشة و سهر اللّيالى واصفرار اللّون و اغورار العين و خروج الحركات عن ميزان العقل ، ولذا قيل: انّه جنون الّهىّ اومرض سوداوىّ وجنون حيوانىّ وعدم الانتزاع بالنّصح والرّدع بل اشتداده به كما قال المولوىّ :

سخت تر شد بند من از پند تو عشق را نشناخت دانشمند تو

وعدم الخوف من التّخويف بالحبس والقتل كما قال ايضاً :

تو مكن تهديدم از كشتن كه من تشنهٔ زارم بخون خويشتن
گر بريزد خون من آن دوست رو پاى كوبان جان بر افشانم بر او

والوحشة من ابناء النّوع وطلب العزلة والخلوة عنهم وجعل الهموم مقصورة على لقاء المعشوق نافراً عن كلّ شغل سواه ولوفى ترك العبادات والاعمال المعاديّة كما قال ايضاً :

غير معشوق ار تماشائى بود عشق نبود هرزه سودائى بود
عشق آن شعله است كو چون برفروخت هرچه جز معشوق باقى جمله سوخت

واقتضاؤه فى بعض الاحيان للفجور واشتداد الشّهوة الحيوانيّة بحيث لايتمالك عنه ويدخل فيما منعه الشّارع، وهذا كلّه من الرّذائل والمناهى الشّرعيّة التّحريميّة اوالتّنزيهيّة، وقال بعض اهل النّظر وجملة العرفاء والصّوفيّة : انّه من حيث هو من الفضائل النّفسانيّة وان صار بالنّسبة الى من غلب عليه البهيميّة رذيلة بالعرض وبالنّسبة الى من هو مشغول بالله صارفاً عن الاشرف الى الاخسّ .

و تحقيق الحقّ فى ذلك ان نقول : شرافة الاوصاف امّا بشرافة مباديها اومحالّها اوبشرافة لوازمها اومتعلّقاتها اوغاياتها ؛ والكلّ مجموعة فى عشق الانسان للصّور الحسان والحان القيان وتخلّف البعض فى بعض الاحيان بعارض لاينافى الاقتضاء الذّاتىّ لولم يعارضه عارض ، فانّ مبدأه القريب لطافة النّفس ودقّة الادراك ورقّة القلب ، ولذا ترى النّفوس الغليظة والقلوب الجافية منه خالية كالاكراد الّذين لايعرفون منه الّا السّفاد ومبدأه البعيد هوالله بتوسّط المبادى العالية باعداد الابصار اوالسّماع واستحسان شمائل المعشوق ، فانّ عشق كلّ عاشق ظلّ ومعلول لعشق الاوّل تعالى لاكمعلوليّة الاوصاف القهريّة له تعالى فانّها معلولة له بالعرض اوبتوسّط المبادى القهريّة، فانّ كمال الوجود من حيث هو وجود ينتهى الى الوجوب ومحلّ تحقيقه الحكمة العالية ولاشكّ فى شرافة ذلك كلّه و محلّه النّفس الانسانيّة الّتى هى الصّراط المستقيم الى كلّ خير وهى الجبر الممدود

بین الجنّة والنّار وهی الکتاب الّذی کتبه الرّحمن بیده ، ومن لوازمه جعل الهموم همّاً واحداً وکفی العشق فضلاً ان یجعل الهموم همّاً واحداً وقد قال المولویّ قدّس سرّه :

عقل تو قسمت شده بر صد مهم — بر هزاران آرزو و طمّ ورمّ
جمع باید کرد اجزا را بعشق — تاشوی خوش چون سمرقندودمشق

وطهارة النّفس عن جملة الرّذائل کما قال ایضاً :

هر که را جامه زعشقی چاك شد — او زحرص و عیب کلی پاك شد
شاد باش ای عشق خوش سودای ما — وای طبیب جمله علّتهای ما
ای دوای نخوت و ناموس ما — ای تو افلاطون و جالینوس ما

فانّه لایبقی للعاشق المفتون دواعی الغضب ولا الشّهوة ولذا قیل: العشق یحرق الشّهوة لا انّه یوقدها ومایری من هیجان الشّهوة فی بعض فانّما هی لبقاء النّفس البهیمیّة وغلبتها علی النّفس الانسانیّة ، اولسعة النّفس الانسانیّة واخذ البهیمیّة من العشق حظّها ، وقد علمت انّ حظّ البهیمیّة من العشق هو قضاء الشّهوة ، ومنها رقّة القلب فی کلّ حال والتّواضع لکلّ احد ولاسیّما المنسوب الی المعشوق والقرب من عالم المجرّدات والتّشبّه بالملائکة ولذلك ورد : من عشق وعفّ وکتم ومات مات شهیداً ؛ وقد قال المولویّ بلسانه:

خونبهای من جمال ذوالجلال — خونبهای خود خورم کسب حلال

ومنها الزّهد الحقیقیّ فی الدّنیا بلا تکلّف ولا تعب فی الاتّصاف به :

عاشقان را با سرو سامان چه کار — بازن وفرزندو خان ومان چه کار

والرّغبة فی الآخرة وطلب الخلاص من سجن الدّنیا :

عاشقان را هر زمانی مردنیست — مردن عشّاق خود یکنوع نیست
او دوصد جان داود از نور هدی — وان دو صد را میکند هردم فدا

ومتعلّقه بحسب الظّاهر هو الا وجه الحسان باعداد الابصار اوالسّماع ونغم الالحان باعداد السّماع فقط ، وقد یکون تعلّق العشق بالاوجه الحسان باعداد غلبة الشّهوة مع النّظر اوالسّماع ، وشرف حسن الصّورة ثابت بالکتاب والسّنّة والعقل والفطرة والمنکر له خارج عن الکلّ ومن لایمیّز بین الصّور الحسان وغیرها لیس بانسان، ودقیق النّظر یقتضی ان یکون متعلّق العشق امراً غیبیّاً متجلّیاً علی العاشق من مرآة جمال المعشوق، ولمّا کان ازدیاد حسن الصّورة و بهاؤها دلیلاً علی ازدیاد حسن السّیرة و صفاء النّفس وکان ازدیاد صفاء النّفس موجباً لاشتداد تجلّی ذلك الامر الغیبیّ، فکلّما کانت الصّورة احسن کان تجلّی الامر الغیبیّ اشدّ وبحسب اشتداده یشتدّ العشق ، وممّا یدلّ علی انّ متعلّق العشق هو الامر الغیبیّ لا الحسن البشریّ فقط انّه لو کان المعشوق امراً جسمانیّاً لانطفی حرارة شوقه وانسلی من حرقة فرقته عند الوصول الی معشوقه والحال انّ العاشق اذا وصل الی المعشوق وحصل له الاتّصال الجسمانیّ ازداد حرقته واشتدّ لوعته کما قیل :

اعانقها والنّفس بعد مشوقة — الیها فهل بعد العناق تدانی
والثم فاها کی یزول حرارتی — فیزداد ما یبقی من الهیجان

وانّه لوحصل للعاشق اتّصال ملکوتیّ بالمعشوق لتسلّی عن صورته الجسمانیّة کما نقل عن المجنون العامریّ انّه وقفت علی رأسه لیلی العامریّة فقالت: یامجنون انا لیلاك فلم یلتفت الیها وقال: لی منك مایغنینی، وقد قال المولویّ قدّس سرّه برهانا علی هذا المطلب :

آنچه معشوقست صورت نیست آن — خواه عشق این جهان خواه آن جهان
آنچه بر صورت تو عاشق گشتهٔ — چون برون شد جان چرایش هشتهٔ
صورتش برجاست این زشتی زچیست — عاشقا وابین که معشوق توکیست
آنچه محسوس است اگر معشوقه است — عاشق استی هر که اورا حسّ هست
چون وفا آن عشق افزون میکند — کی وفا صورت دگرگون میکند

وغایته قد علم انّها التّجرّد من مقتضیات الشّهوة والغضب ومن ادناس الدّنیا والتّعلّق بالآخرة بل بالله ولاشرف اشرف منها ، فعلم انّ المحبّة الشّدیدة للاوجه الحسان من الخصائل الشّریفة وقد یعرضها ما تصیر بسببه مذمومة کتعشّق المقرّبین وافتتانهم بالصّور الملاح اوالسّماع ، فانّ هذا العشق من اوصاف الاواسط واصحاب الیمین وهو سیّئة بالنّسبة الی المقرّبین . و قد نقل عن بعض الکمّلین من المشایخ افتتانهم بالسّماع او الاوجه الحسان ، ومثل تعشّق من اشتدّ بتعشّقه نار الشّهوة سواء کان نفسه البهیمیّة غالبة علی نفسه الانسانیّة اومغلوبة ، فانّه بسبب اشتداد الشّهوة و اقتضاء الفجور یصیر مذموماً عقلاً و ذوقاً وحراماً شرعاً . و لمّا کان عشق اکثر الخلق مورثاً لاشتعال نار الشّهوة و مؤدّیاً بهم الی الفجور ورد النّهی عن النّظر الی الامارد و التّشبّب بالاجانبة و ذمّ اهل الذّوق ذلک کما قال المولویّ :

عشقهائی کز پی رنگی بود — عشق نبود عاقبت ننگی بود

ولا یوجد آثار العشق الممدوح فی ذلک بل هو من توابع الشّره المذموم ، وعشق زلیخا و ان کانت البهیمیّة اخذت منه حظّها واستدعت الفجور کما یدلّ علیه ظواهر الآیات والاخبار ، لکنّ الانسانیّة کانت غالبة والعشق نشأ منها و البهیمیّة اخذت حظّاً منه تبعاً ولذا کانت کاتمة له سبع سنین و انتهی العشق بها الی الانسلاخ ممّا کانت مقیّدة به من الافتتان بصورة یوسف (ع) والی الافتتان بالمعشوق الحقیقیّ فارّة من المعشوق المجازیّ.

بیان البرهان الّذی رآه یوسف (ع)

[وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ] بمخالطته وقصدت الفجور [وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَىٰ بُرْهَانَ رَبِّهِ] همّ بها فی المعنی جزاء للولا کأنّه قال : لولا ان رآی برهان ربّه لهمّ بها یعنی انّ ترک الهمّة منه کان مسبّباً عن رؤیة برهان الرّبّ لا عن امرٍ آخر من عنّنٍ و ضعفٍ او مانعٍ ، وتقدیم الجزاء لایهام تحقّق الهمّة اشعاراً بقوّة المقتضی من حیث بشریّته وعدم المانع من قبلها بل شدّة الاقتضاء منها وعدم مانع آخر لکونهما فی بیتٍ خالٍ من الاغیار وعدم احتمال دخول النّظّار وهذا غایة المدح له (ع) وقیل : الکلام لیس علی تقدیر التّقدیم والتّأخیر والمعنی وهمّ بها لولا ان رآی برهان ربّه لعزم علی المخالطة اولفعل ، لکنّ الهمّة عبارة عن الشّهوة الفطریّة والرّغبة الاضطراریّة والخطرة القلبیّة الّتی لامدخلیّة للاختیار فیها و هو بعید عن مفهوم الهمّة لغة وعرفاً ، فان المتبادر من الهمّة هیجان النّفس للفعل بعد تصوّره والرّغبة فیه اختیاراً و هو بعید عن عصمة الانبیاء و حرمتهم (ع) . و ورد فی الاخبار ما یشعر بعدم تقدیر التّأخیر لکن فرّق بین الهمّتین وانّ المعنی ولقد همّت بمخالطته وهمّ بالفرار اوبقتلها لوالجأتها اوبدفعها اوبوعظها لولا ان رأی برهان ربّه لهمّ بمخالطتها بحسب بشریّته ، وقالت جماعة من المعترفین بجواز الخطاء علی الانبیاء (ع) : انّه همّ بمخالطتها وقالوا مالایلیق بادنی عبدٍ من عباد الله ممّا لاینبغی ذکره. ونسبوا الی الباقر (ع) انّه نقل عن امیر المؤمنین (ع) انّه همّ ان یحلّ التّکّة ، وذکر انّ یوسف (ع) حین قال اظهاراً لطهارته ذلک لیعلم انّی لم اخنه بالغیب نزل جبرئیل (ع) وقال : ولاحین هممت یا یوسف ؟ فقال یوسف (ع) و ما ابرّئ نفسی انّ النّفس لامّارة بالسّوء ، وحاشا مقام النّبوّة عن التّلوّث بامثال هذه الخطایا ، والعجب انّهم یذکرون انّ الله تعالی أخذ یوسف (ع) حین

قال: ربّ السّجن احبّ الیّ ، بالسّجن بسبب توجّهه الی السّجن وغفلته عن العصمة واخذه (ع) حین قال اذکرنی عند ربّک، بتوسّله الی المخلوق باللّبث فی السّجن بضع سنین ولم یذکروا انّه تعالی أخذه بتلک المعصیة العظیمة کأنّهم سفّهوا الحقّ تعالی بالمؤاخذة علی الالتفات الی الغیر فی محضر حضوره وعدم المؤاخذة علی المخالفة وارتکاب معصیة عظیمة فی حضوره بل ذکروا انّ الآیة فی مدحه (ع) بطهارة ذیله ، ولو کانت کما ذکروها لکانت غایة الذّمّ له (ع)، وقد ذکر انّ کلّ من کان له ارتباط بتلک الواقعة شهد بطهارته وهم اغمضوا عن ذلک ونسبوه الی التّلوّث، فانّ الله تعالی قال کذلک لنصرف عنه السّوء والفحشاء ، والعزیز قال انّه من کیدکنّ والشّاهد الصّبیّ قال: ان کان قمیصه قدّ من قبلٍ الی الآخر والنّسوة قلن حاش لله ما علمنا علیه من سوءٍ وزلیخا قالت الآن حصحص الحقّ انا راودته عن نفسه وانّه لمن الصّادقین وابلیس قال: لاغوینّهم اجمعین الّا عبادک منهم المخلصین وقد کان ینصّ الآیة من المخلصین .

والمراد بالبرهان هو السّکینة الّتی کانت تنزل علی الانبیاء (ع) والمؤمنین وبها کانت نصرتهم علی الاعداء فی العالم الکبیر والصّغیر ، وقد مضی انّها تجلّی ملکوت الشّیخ علی صدر السّالک وانّها الاسم الاعظم الّذی یفرّ منه الشّیطان ، وقد کان شیخ یوسف (ع) الّذی تاب علی یده وبایعه البیعتین اباه یعقوب (ع) ، وبرهان الرّبّ هو صورته الملکوتیّة النّازلة علی صدره ، وذکر الرّؤیة یشعر بها وفی الاخبار ما یدلّ علیه نصّاً اواشعاراً، واختلاف الاخبار فی تفسیر البرهان یمکن رفعه بما ذکر، فقد ورد انّ البرهان کان جبرئیل (ع) لانّه نزل حین همّتها وقال: یا یوسف (ع) اسمک فی الانبیاء مکتوب فلا یکونن عملک عمل الفجّار ، وورد انّه رأی صورة یعقوب (ع)، ونقل انّه رأی یداً بینه وبین زلیخا ، وفی اخبارنا انّ البرهان ماقاله لها حین سترت الصّنم: انت تستحیین من صنمٍ لایبصر ولا یسمع وانا لااستحیی ممّن خلق الانسان وعلّمه؟! ونقل انّ البرهان اسم ملک اوانّ طیراً ظهر علیه اوانّ حوراء من حور الجنّة ظهرت علیه اوانّه ایّد بالنّبوّة حین مراودتها، وقد قیل فیه اشیاء اخر لاینبغی ذکرها، والحقّ انّ البرهان هو ما ذکرنا وانّه لغایة الانزجار عن مراودتها والدّهشة عن محادثتها انسلخ عن البشریّة واتّصل بعالم الملکوت وفاز بشهود الملکوت وانوارها واستلذّ بجمال شیخه بحیث لم یبق له حالة توجّه والتفات الی زلیخا ومحادثتها ، وما ورد فی الاخبار من انکار ظهور یعقوب (ع) اوجبرئیل (ع) اوغیرهما فانّما هو باعتبار ما یذکره العامّة من انّه ظهر حین اراد یوسف (ع) الفجور ومنعه عن الفجور فالانکار فی الحقیقة راجع الی ما یستفاد من قولهم من الاشعار بهمّة یوسف (ع) للفجور [کَذٰلِکَ] امّا متعلّق بقوله تعالی هَمّ بها ای همّ بها مثل همّها به، وتخلّل لولا ان رأی بینهما لئلا یتوهّم تحقّق همّه مثل همّها وانقطاع لولا ان رأی عمّا قبله وقوله [لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشٰاءَ] جواب سؤالٍ بتقدیر اریناه وهذا اوفق بما ورد من تفاسیر ائمّتنا (ع) من جعل همّ بها جزاء للولا فی المعنی اوهو مع عامله المحذوف جملة مستقلّة ولنصرف متعلّق به ای کذلک عصمناه لنصرف عنه السّوء ای الخیانة فی حقّ من اکرم مثواه والفحشاء ای الزّنا [إِنَّهُ مِنْ عِبٰادِنَا الْمُخْلَصِینَ] فی موضع التّعلیل و قرئ بفتح اللّام وکسرها [وَاسْتَبَقَا الْبٰابَ] تسابقا؛ بقصده الفرار منها وقصدها منعه [وَقَدَّتْ قَمِیصَهُ] ای وصلت الیه وتمسّکت بقمیصه لتمنعه من الخروج فقدّته [مِنْ دُبُرٍ وَأَلْفَیٰا سَیِّدَهٰا] زوجها العزیز [لَدَی الْبٰابِ قٰالَتْ] جواب سؤال مقدّر ای بعد ما رأت العزیز واستحیت منه ورأت افتضاحها وانّه لایمکن لها انکار الفضیحة قالت دفعاً للتّهمة عن نفسها ورمیاً بها غیرها لایهام انّها فرّت منه کما هو شأن کلّ خائنٍ بعد

الافتضاح بخيانته [مٰا جَزٰاءُ مَنْ اَرٰادَ بِاَهْلِكَ سُوءً اِلّٰا اَنْ يُسْجَنَ اَوْ عَذٰابٌ اَلِيمٌ] لفظة ما استفهاميّة انكاريّة اونافية اخباريّة [قٰالَ] دفعاً للتّهمة والعذاب عن نفسه [هِيَ رٰاوَدَتْنِي عَنْ نَفْسِي] وألهمه الله ان يقول: سل هذا الصّبيّ الّذي في المهد وكان الصّبيّ من اقارب زليخا ابن عمّها اوابن خالتها وقيل: كان ابن اخت العزيز جاءت الى دار العزيز حين سمعت النّزاع فيها ومعها ابنها ابن ثمانية ايّام اوثمانية اشهر وكان العزيز قد سلّ سيفه غضباً على يوسف (ع) وهمّ بقتله فالتجأ يوسف (ع) الى الله وقال: اللّهمّ ادفع عنّي هذه التّهمة والقتل؛ فنطق الصّبيّ من غير سبق سؤال [وَشَهِدَ شٰاهِدٌ مِنْ اَهْلِهٰا] اى الصّبيّ [اِنْ كٰانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكٰاذِبِينَ وَاِنْ كٰانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصّٰادِقِينَ] ادّى الشّهادة بما يكون دليلاً عليه [فَلَمّٰا رَاٰى قَمِيصَهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ قٰالَ] عتاباً عليها [اِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ] اشرك سائر النّساء اشارة الى انّ الكيد في امثال تلك سجيّة للنّساء ليكون العتاب مشوباً بالاعتذار عنها مراعاة لما هو شأن النّصح والوعظ من امتزاج التّهديد والارجاء والرّحمة والغضب و حفظاً لعرضه عن الافتضاح ، ويدلّ عليه وصيّته ليوسف (ع) بالكتمان [اِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ] في مراودة الرّجال لوجود المقتضي في سجيّة الرّجال و عدم المانع حين مراودتكنّ و قلّما ينفكّ الرّجل عن شرّ كيدكنّ [يُوسُفُ] بحذف حرف النّداء [أَعْرِضْ عَنْ هٰذٰا] اوصاه بالكتمان صوناً لعرضه ، وقيل: ماوفى يوسف (ع) واخبر بما كان لانّ النّاس كانوا يلومونه على ماسمعوه منه ثمّ اعرض عن يوسف (ع) وخاطب زليخا بالامر بالاستغفار وبالتّلطّف معها في ضمن التّعبير فقال [وَاسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ اِنَّكِ كُنْتِ مِنَ الْخٰاطِئِينَ] ذكر جمع المذكّر تغليباً وجرياً على ماهو الغالب على الالسن من الاتيان بجمع المذكّر [وَقٰالَ نِسْوَةٌ] اتى بالفعل بدون التّاء مع نسبته الى المؤنّث الحقيقيّ الغير المفصول نظراً الى صورة الجمع المكسّر؛ على ان يكون جمعاً للنّساء الّذي هو جمع للمرأة وقيل: النّسوة بكسر النّون وضمّها والنّساء والنّسوان والنّسون بكسرهنّ كلّها اسم جمع للمرأة، وقيل: كلّها جمع لاواحد لها من لفظها واسقاط التّاء للاشعار بانّهنّ كنّ موصوفات بخصال الرّجال لافتتانهن بجمال يوسف (ع) حين مشاهدتهنّ اياّه، وقيل: كنّ اربعاً اوخمساً اواربع عشرة وقيل: صارت القضيّة منتشرة بين نساء مصر حتّى انّ اكثر النّساء كنّ يتحدّثن بها [فِي الْمَدِينَةِ امْرَاَةُ الْعَزِيزِ تُرٰاوِدُ فَتٰيٰاهٰا عَنْ نَفْسِهِ] تعييراً لها بافتتانها بعبد مملوك لها وكأنّهنّ كنّ مفتتنات به وكنّ يردن بذلك ان يخرجه العزيز من داره لعلّهنّ يرينه بسبب ذلك ولذلك سمّاه مكراً فيما يأتي [قَدْ شَغَفَهٰا حُبًّا] احاط بها من الشّغاف بمعنى الغلاف يعني اعميها واصمّها بحيث لا تبصر معايب المراودة ولا تسمعها ممّن يعيبها لانّها كانت كلّما تسمع الملامة يزداد عشقها ويشتدّ التهاب شوقها كما قيل :

نسازد عشق را كنج سلامت — خوشا رسوائي كوي ملامت

ملامت شحنهٔ بازارعشق است — ملامت صيقل زنگار عشق است

او وصل الى باطنها بحيث ملأ جميع اركانها من شغاف القلب بمعنى باطنها او وصل من باطن قلبها الى ظاهره فأحاط به من شغاف القلب بمعنى غشائه المحيط به .

بیان مراتب القلب

اعلم ، انّ اهل الله المکاشفین قالوا: انّ القلب تارة یطلق علی معنی یشمل اللّحمة المودعة فی أیسر الصّدر وتارة علی مراتب الرّوح المتعلّق به و بهذا المعنی یقال : للقلب اطوار سبعة أوّلها الصّدر وهو محلّ نورالاسلام وظلمة الکفر کما فی الکتاب الآلهیّ ، و ثانیها القلب وهومحلّ الایمان کتب فی قلوبهم الایمان ، ولمّا یدخل الایمان فی قلوبکم ، وثالثها الشّغاف وهو محلّ المحبّة الانسانیّة المتعلّقة بالخلق قد شغفها حبّاً ،و رابعها الفؤاد و هو محلّ المشاهدة للانوار الغیبیّة ما کذب الفؤاد مارأی وخامسها حبّة القلب وهی محلّ المحبّة الآلهیّة ، وسادسها سویداء القلب وهی محلّ المکاشفات و العلوم الدّینیّة ، و سابعها مهجة القلب وهی محلّ تجلّی الله بأسمائه وصفاته .

[إِنَّا لَنَرٰیهَا فِی ضَلٰالٍ مُبِینٍ] لانّها کانت قد خرجت من جادّة العقل وسهّلت علی نفسها الشّین و العار و اختارت عشق مملوکٍ لها لایلتفت الیها [فَلَمّٰا سَمِعَتْ بِمَکْرِهِنَّ] قد مضی وجه اطلاق المکر علی ذمّهنّ [أَرْسَلَتْ إِلَیْهِنَّ] للضّیافة وهیّأت مجلساً لائقاً بشأن الملوك وسألت یوسف(ع) ان یخرج علیهنّ اذا سألت الخروج [وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّکَأً وَآتَتْ کُلَّ وٰاحِدَةٍ مِنْهُنَّ سِکِّیناً] احدّ مایکون بعد الفراغ من الغذاء واعطت کلّ واحدة منهنّ اترجّاً [وَقٰالَتِ اخْرُجْ عَلَیْهِنَّ] بعد ما زیّنته بالالبسة الفاخرة وانواع ما یتزیّن به [فَلَمّٰا رَأَیْنَهُ أَکْبَرْنَهُ] بحیث لم یبق لهنّ شعور بانفسهنّ ومحین فی جماله، وقیل: اکبرن بمعنی حضن فانّ الاکبار ورد فی اللّغة بهذا المعنی لانّ الحیض علامة دخول المرأة فی الکبر کالاحتلام للمرء یعنی من غلبة الوله اومن غلبة الشّبق حضن [وَقَطَّعْنَ أَیْدِیَهُنَّ] جرحنها جرحاً کثیراً [وَقُلْنَ حٰاشَ لِلّٰهِ] کلمة تعجّب و حاش حرف نزّل منزلة المصدر ای تنزیهاً لله وعلی هذا فاللّام للتّبیین مثل لام سقیاً لک ، اوللقسم سواء جعل حاش کلمة برأسه اوکان اصله حاشا خفّف الفه الاخیرة، وقیل: اصله حاشا فعلاً خفّف بحذف الالف من الحشی بمعنی النّاحیة والفاعل ضمیر یوسف (ع) واللّام للتّعلیل والمعنی تنحّی یوسف عن التّلوّث لله اولتبیین المفعول والمعنی نزّه یوسف الله والفعل لازم والفاعل هو الله واللّام لتبیین الفاعل ، اواللّام للقسم سواء جعل الفعل لازماً اومتعدّیاً وفاعل الفعل ضمیر یوسف (ع)، وقرئ حاشا الله فعلاً لازماً والله فاعله وحاشا لله بتنوین حاش حرفاً منزّلاً منزلة المصدر اومنزلة اسماء الاصوات، اوبجعله اسم صوت ولام لله حینئذ تکون للتّبیین اوللقسم [مٰا هٰذٰا بَشَراً] جرین علی عادة العرف من نفی البشریّة عمّن یبالغون فی کماله یعنی انّه فوق البشریّة فی جماله ولم یردن نفی البشریّة حقیقة ، او اردن ذلک حقیقة [إِنْ هٰذٰا إِلّٰا مَلَکٌ کَرِیمٌ] هذا ایضاً علی عادة العرف من اثبات الملکیّة لمن یبالغون فی کماله [قٰالَتْ] اعتذاراً عن افتتانها به ودفعاً لملامتهنّ اوتفاخراً بعشقه او جواباً عن سؤالهنّ لانّهنّ بعد مشاهدة جماله و قطع ایدیهنّ قلن: یازلیخا من هذا الّذی اریتناه؟- قالت فی جوابهنّ [فَذٰلِکُنَّ الَّذِی لُمْتُنَّنِی فِیهِ وَلَقَدْ رٰاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ] یعنی انّ الملامة لیست فی موقعها لانّ جماله اقتضی الافتتان به ولا یمکن الصّبر عنه [وَلَئِنْ لَمْ یَفْعَلْ مٰا آمُرُهُ لَیُسْجَنَنَّ وَلَیَکُوناً مِنَ الصّٰاغِرِینَ قٰالَ] بعد ما رأی انّ مدافعتهنّ اصعب شیء له [رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَیَّ مِمّٰا یَدْعُونَنِی إِلَیْهِ وَإِلّٰا تَصْرِفْ عَنِّی کَیْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَیْهِنَّ] وانتزل من مقام العلم والعقل [وَأَکُنْ مِنَ الْجٰاهِلِینَ] السّاقطین فی مقام الجهل اشرك النّسوة مع زلیخا فی استدعائه الخلاص

منها لانّهنّ كنّ يرغّبنه على اجابة زليخا و يخوّفنه منها ويدعونه خفيةً الى انفسهنّ و لمّا كان المراد من اظهار احبّيّة السّجن والصّبا اليهنّ لو لم يصرف كيدهنّ دعاء الخلاص منهنّ قال تعالى [فَاسْتَجابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ] بنجاته من ايديهنّ بارادتهنّ السّجن له [إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ] لدعاء كلّ داع اولكلّ صوت ومنه دعاء الدّاعين [الْعَلِيمُ] بمايصلح كلّ احد [ثُمَّ بَدا لَهُمْ مِنْ بَعْدِ ما رَأَوُا الْآياتِ] لمّا رأت امرأة العزيز انّها افتضحت بين النّاس ولم تصل الى وصال يوسف (ع) شاورت خواصّها فدبّرن ان يرسلوه الى السّجن حتّى ينتشر فى النّاس انّ الاثم كان منه ، ولعلّه يرضى بمواصلتها بعد ماذاق مرارة السّجن فسألت زليخا من العزيز ان يرسله الى السّجن فشاور خواصّه فأشاروا اليه بذلك فاستقرّ رأى الجميع على سجنه و لذلك قال تعالى : بدا لهم اى للمرأة وخواصّها وللعزيز وخواصّه والمراد بالآيات آيات صدقه وطهارة ذيله من تنطّق الصّبىّ وقدّ القميص من الدّبر واستباقهما الباب حتّى سمع العزيز مجاذبتها اياّه على الباب وقطع النّسوة ايديهنّ [لَيَسْجُنُنَّهُ حَتّى حِينٍ] مدّة قليلة ليحسب النّاس انّه كان الآثم [وَدَخَلَ] ادخل [مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيانِ] كانا عبدين للملك احدهما كان خبّازه و الآخر صاحب شرابه و استعمال الفتى و الفتاة فى العبيد و الاماء غالب فى عرفهم وقيل: انّه لمّا ادخل السّجن استدعى من السّجّان ان ينزله تحت شجرة يابسة كانت فى وسط السّجن فآواه هناك فتوضّأ (ع) تحتها وصلّى فأصبحت الشّجرة مخضرّة ، وكان ينصح اهل السّجن ويسلّيهم ويعظهم ويتعاهدهم كلّ صباح ومساء فعرفوه بالصّلاح واحبّوه وكان يبثّ كلّ شكواه اليه ورأى فى المنام صاحباه ماقصّ الله تعالى فاتيا [قالَ أَحَدُهُما إِنِّي أَرانِي أَعْصِرُ خَمْراً] اى عصيراً اوعنباً، واطلاق الخمر للاشارة الى انّه يعصره للخمر اوالمراد انّى اعصر الخمر عن دردىها واصفيها [وَقالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزاً] جفنةً فيها خبز [تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنا بِتَأْوِيلِهِ] ورد عن الصّادق (ع) انّه لمّا امر الملك بحبس يوسف (ع) فى السّجن الهمه الله تعالى علم تأويل الرّؤيا فكان يعبّر لاهل السّجن رؤياهم وانّ فتيين ادخلا معه السّجن يوم حبسه فباتا فأصبحا فقالا : انّا رأينا رؤيا فعبّرها لنا فقال: وما رأيتما؟ فقصّا [إِنَّا نَراكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ] من صاحبى السّجن اوممّن يحسن الى جلسائه ومعاشريه لانّه كان يقوم على المريض ويلتمس للمحتاج ويوسّع فى المجلس على جلسائه او ممّن يحسن تعبير الرّؤيا لانّه كان يعبّر لاهل السّجن و يوافق تعبيره الواقع [قالَ لا يَأْتِيكُما طَعامٌ تُرْزَقانِهِ] وكان وقت اتيان الطّعام لاهل السّجن [إِلَّا نَبَّأْتُكُما بِتَأْوِيلِهِ] لمّا كان المستثنى مفرّغاً وحالاً ممّا قبله والحال تقتضى الاقتران بالعامل زماناً وكان مقصوده انّه يعبّره قبل الاتيان قيّده بقوله [قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُما] واخّر التّعبير لترغيبهم فى التّوحيد وتنفيرهم عن الاشراك بعد مارأى وثوقهما به وظنّ تأثّرهما بوعظه كما هو شأن كلّ ناصح اذا رأى التّأثّر بنصحه ولم يكن التّأخير لتأمّله فى التّعبير والّا لم يسجّل الاخبار به [ذلِكُما] العلم بتعبير الرّؤيا [مِمّا عَلَّمَنِي رَبِّي] لا ممّا تعلّمته بنفسى من بشر مثلى كعلوم القافة و المشعبذة وغير ذلك ولا ممّا تعلّمته من الشّياطين والجنّ كعلوم الكهنة والسّحرة بل علّمنى ربّى بالوحى والالهام من غير كسب منّى علوماً كثيرةً هذا احدها ثمّ علّل تعليم الرّبّ بترك ملّتهم واتّباع ملّة الانبياء (ع) تنفيراً وترغيباً لهما بقوله [إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كافِرُونَ] عرّض بهما وورّى عن ملّتهما

وكفرهما ليكون اشدّ تأثيراً واقرب قبولاً واوقع فى نفوسهما [وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ اٰبَائِيٓ إِبْرٰهِيمَ وَإِسْحٰقَ وَيَعْقُوبَ] اضاف الملّة الى آبائه اشارة الى علوّ نسبته بانتسابه الى من كان ذاملّة وصاحب شريعة وصرّح باسمائهم لكونهم مشهورين بعلوّ الشّأن وشرافة الرّتبة و مقبولين عند الكلّ خصوصاً ابراهيم (ع) لذلك ؛ وبعد ما عرّفهم نسبه وانّه (ع) من اهل بيت النّبوّة والشّرف اثبت لهم مذهبه وانّه التّوحيد وعرّض بذمّ مذهبهما وانّه خلاف مذهب الانبياء (ع) والاشراف فقال [مَا كَانَ لَنَآ أَنْ نُّشْرِكَ بِاللّٰهِ مِنْ شَيْءٍ] شيئاً يسيرا من اصناف الاشراك كالاشراك فى الوجوب كاشراك اكثر الثّنويّة القائلة بانّ للعالم مبدئين قديمين واجبين النّور والظّلمة اوبزدان واهريمن، وكاشراك الزّنادقة من الدّهريّة والطّبيعيّة القائلة بانّ الدّهر اوالطّبع واجب ومبدء فانّ هذا القول اشراك بحسب نفس الامر، وكالاشراك فى الآلهة كاشراك بعض الثّنويّة القائلة بوحدة الواجب تعالى وآلهته المبدئين، وكاشراك الصّابئة القائلة بآلهة الكواكب وتربيتها لعالم العناصر ومخلوقيّتها للحقّ الاوّل تعالى على كثرة مذاهبهم، وكاشراك اكثر من قال بسلطنة الملائكة اوالجنّة على اختلاف طرقهم، وكالاشراك فى العبادة كاشراك الوثنيّة وعابدى العناصر و مواليدها من الاحجار و الاشجار و الحيوان ، وكالاشراك فى الطّاعة كاشراك من اطاع السّلاطين و الحكّام والاغنياء والشّياطين و الاهواء و منتحلى العلم والامامة والفتيا من غير اذن و اجازة من الله ولا ممّن اجازه الله كالرّهبان والاحبار ومترأسّى الملّة والطّريق من كلّ ملّة وطريق، وكالاشراك فى النّبوّة كاشراك من بايع من ليس نبيّاً ولاخليفة له ببيعة عامّة نبويّة ، وكالاشراك فى الولاية كاشراك من بايع من ليس بوليّ ببيعة خاصّة ولوية ، ولمّا كان هذا الاشراك مستلزماً لما سبق من انواع الاشراك وبتوحيد الولاية يحصل جملة انواع التّوحيد كما لايخفى على العارف بالولاية ، وانّها لاتحصل الّا بماقرّر من الائمّة (ع) فسّر الاشراك فى اكثر الآيات بالاشراك فى الولاية فى اخبارنا المعصوميّة ، وكالاشراك فى الوجود قالاً اوحالاً او شهوداً و قلّما ينفكّ الانسان عن هذا الاشراك والى هذا الاشراك اشار تعالى بقوله : وما يؤمن اكثرهم بالله الّا وهم مشركون فأشار (ع) بقوله من شيء الى نفى جملة انواع الاشراك سواء جعل من شيء مفعولاً مطلقاً كمامضى اومفعولاً به وهو تعريض بهما وبقومهما لانّهم اشركوا اكثر انواع الاشراك ، ولمّا لم يمكن الخروج من جملة انواع الشّرك الّا بالفناء التّامّ الّذى هو الفناء عن الفناء وكان هذا الفناء بحيث ان كان بعده بقاء لم يكن البقاء الّا بالنّبوّة والرّسالة والخلافة وكان الكلّ من شعب فضله تعالى، كما انّ الولاية الّتى هى اصل تلك رحمته وكان النّبوّة وتاليتاها كما انّها فضل على الموصوف بها فضلاً على من كان الموصوف فيهم ومبعوثاً عليهم قال [ذٰلِكَ مِنْ فَضْلِ اللّٰهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ] لانّهم لايعرفون قدر النّبوّة ولايقومون بواجب حقّها بل يعرضون عنها ويجحدونها [يٰاصَاحِبَيِ السِّجْنِ] الاضافة لأدنى ملابسة سواء كان المراد صحابة يوسف (ع) فى السّجن اوصحابة نفس السّجن [ءَأَرْبَابٌ] متكثّرون والتّعبير بالارباب تعبير بما اعتقدوه ليكون ادخل فى النّصف [مُتَفَرِّقُونَ] غير قاهرين بعضهم لبعض وجمع العقلاء ايضاً لموافقة اعتقادهم [خَيْرٌ] افعل التّفضيل للمداراة والنّصف ايضاً [أَمِ اللّٰهُ] لم يصرّح بربوبيّته لتسليم الخصم اوادّعاء تسليمه وانّه ممّا لاينكر [الْوَاحِدُ] مقابل المتكثّرين [الْقَهَّارُ] مقابل المتفرّقين [مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّآ أَسْمَآءً] قد مضى انّ ما سوى الله من الملئكة باصنافهم و الطّبائع و مواليدها و الاناسىّ وصنائعهم كلّها اسماء لله تعالى و انّ الاسم لاحكم له ولا نظر اليه و انّ النّظر

الى الاسم والحكم عليه لايتصوّرا لا اذا جعل مسمّى مستقلاً وثانياً للمسمّى وانّه شرك بالله ، وانّ النّاقصين لمّا لم يمكن خروجهم من حدّ الاشراك في الوجود اذن الله لبعض الاسماء ان يجعلوها مسمّين منظوراً اليهم كالانبياء واوصيائهم (ع) وانزل الله لهم سلطاناً على جواز جعلهم مسمّين من دلائل صدق دعويهم ولذا قال : ما تعبدون من دونه الّا اسماء لامسمّين [سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ] على مقتضى بشريّتكم النّاقصة وقد مضى في سورة الاعراف في نظير الآية وفي سورة البقرة في بيان قوله تعالى وعلّم آدم الاسماء و في بيان بسم الله الرّحمن الرّحيم من سورة الفاتحة تحقيق تامّ للاسم وكيفيّة اسميّته ومسمّويّته [مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ] لفظة الباء تحتمل السّببيّة والمصاحبة والظّرفيّة ؛ والمراد بالسّلطان امّا الحجّة من المعجزات الدّالّة على جواز طاعتها وعبادتها اوالسّلطنة والتّصرّف في الاشياء وكلتاهما كانتا للانبياء واوصيائهم (ع) فانّهم وان كانوا اسماءً لكن انزل الله معهم حجّة دالّة على جعلهم مسمّين ومنظوراً اليهم وانزل معهم سلطنة وتصرّفاً مصحّحة لطاعتهم وربوبيّتهم كما لا يخفى [إِنِ الْحُكْمُ] في العالم او في حقّ العباد [إِلَّا لِلَّهِ] فلا حكم ولا سلطنة في شيء لاربابكم [أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا] ان مصدريّة اوتفسيريّة والفعل نهي او نفي [إِلَّا إِيَّاهُ ذَٰلِكَ] التّوحيد من توحيد الله في الوجود المستفاد من حصر المعبودات من دونه مع انّها اشرف الموجودات في نظرهم في الاسميّة و الاسم لا استقلال له في الوجود كالمعنى الحرفيّ الغير المستقلّ في لحاظ الذّهن وتوحيده في الآلهة والسّلطنة المستفاد من قوله ان الحكم الّا لله وتوحيده في استحقاق العبادة المستفاد من قوله امر ان لا تعبدوا الّا اياه ، وقد ذكر التّوحيدات الثّلاثة مترتّبة بحسب ترتّبها في نفس الامر فانّ توحيد الوجود يستعقب توحيد الآلهة وهو يستعقب توحيد العبادة [الدِّينُ الْقَيِّمُ] الّذي لاعوج فيه وكلّ ما كان غيره فهو معوج لاينبغي ان يتّبع فانّه مفهوم الحصر المستفاد من تعريف المسند [وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ] استدراك لمايتوهّم من انّه لاوجه للاشراك بعد الوضوح التّوحيد وبطلان الشّرك هذا الوضوح فمابال المشركين يشركون؟! ولعلّه كان لهم دليل وحجّة فاستدرك وقال : لاحجّة لهم ولكنّهم ليس لهم علم وانّهم ساقطون في دار الجهل كالبهائم الّتي لاتستشعر بالبرهان وان كان اوضح مايكون ، والتّقييد بالاكثر لانّ بعضهم يتفطّنون بالحجّة ويتّبعونها ويختارون التّوحيد وبعضهم يتفطّنون بها ويختارون الدّنيا ويعاندون الحقّ عن علم ، ولقد اجاد (ع) في الدّعوة بالموعظة الحسنة اولاً والحكمة اليقينيّة البرهانيّة ثانياً ، فانّه لمّا رأى وثوقهما به واقرارهما بحسن سريرته وعلمهما بكونه عالماً بتعبير الرّؤيا ادّعى ذلك العلم اولاً بقوله لا يأتيكما طعام ترزقانه الّا نبّأتكما بتأويله و ثانياً بقوله ذلكما ممّا علّمني ربّي واسند ذلك الى تعليم الله رفعاً لوصم الكهانة والتّعلّم من البشر والجنّة والشّياطين ، ثمّ علّل ذلك العلم الّذي رأى اقرارهما به بترك ملّتهما تنفيراً لهما عنها ثمّ ورّى عنهما بذكر قوم منكر موصوف بعدم الايمان بالله تعريضاً بهما ليكون ابعد عن الشّغب واقرب الى القبول وباتّباع ملّة المعروفين بالصّلاح والسّداد مع انتسابه الصّوريّ اليهم وبنفي الاشراك عنهم تعريضاً بها وبتسميته ذلك فضلاً من الله عليه وعلى النّاس ، وصرّح بعدم معرفة النّاس لقدر تلك النّعمة وعدم شكرهم لها تعريضاً بهما ، ثمّ لمّا رأى تأثّرهما بوعظه أعرض عن الخطابة وأقبل على الحكمة والبرهان بقوله ءارباب متفرّقون ووصف الارباب بالكثرة والتّفرّق الدّالّ على عدم انقياد بعضهم لبعض الّذي هو سبب النّزاع والفساد الواضح اشارة الى علّة انكار ربوبيّتهم ثمّ وصف الله بالوحدة اشارة الى جواز ربوبيّته ثمّ بالقهر اشارة الى وجوب طاعته فأبطل ربوبيّة الاصنام وأثبت لزوم طاعة الله بالبرهان ثمّ اقبل على تزييف معبوداتهم وعدم استقلالها في الوجود

فضلاً عن الرّبوبیّة واستحقاق العبادة وعلی التّصریح بتوحید الله فی الآلهة والسّلطنة وتوحیده فی العبادة بعد التّلویح الی التّوحید فی الوجود ، قیل: آمن بالله تعالی بدعوته المذکورة الصّاحبان السّائلان منه تأویل رؤیاهما و جمع آخر من المسجونین و السّجّانین [یٰا صٰاحِبَیِ السِّجْنِ اَمّٰا اَحَدُکُمٰا] الّذی یری أنّه یعصر خمراً [فَیَسْقِی رَبَّهُ خَمْرًا] وهو الّذی کان قبل ادخاله السّجن صاحب شرابه [وَاَمَّا الْاٰخَرُ فَیُصْلَبُ فَتَأْکُلُ الطَّیْرُ مِنْ رَأْسِهِ] وهو الّذی کان قبل ادخاله السّجن صاحب غذائه، قیل: انّهما مارأیا شیئاً وامتحناه بذلک، وقیل: انّهما رأیا رؤیاهما، وقیل: انّ صاحب الشّراب رأی وکان صادقاً، وصاحب الغذاء مارأی شیئاً وکذب فی رؤیاه وقال بعد ذلک : مارأیت شیئاً وانّما اردت امتحانک فقال فی جوابه [قُضِیَ الْاَمْرُ الَّذِی فِیهِ تَسْتَفْتِیٰانِ] رأیتما او ما رأیتما [وَقٰالَ] یوسف (ع) [لِلَّذِی ظَنَّ اَنَّهُ نٰاجٍ مِنْهُمَا اذْکُرْنِی عِنْدَ رَبِّکَ] نقل انّه لمّا قال ذلک نزل جبرئیل (ع) وقال: ربّک یقرئک السّلام ویقول: من حبّبک الی ابیک ؟- فقال: ربّی، فقال: من أنجاک من الجبّ؟- قال: ربّی، فقال: من حبّبک الی العزیز حتّی اکرم مثواک؟- قال: ربّی ، فقال: من انجاک عن کید النّساء وعصمک عن الفحشاء؟- قال: ربّی، فقال: ربّک یقول: اما استحییت منّی التجأت الی غیری؟- وقد کان مابقی من حبسک الاّ ثلاثة ایّام وبجرم الالتجاء الی غیری تمکث فیه سبعة اعوام وقد کان فی السّجن خمسة اعوام قبل ذلک فصار مدّة مکثه فیه اثنی عشر عاماً [فَاَنْسٰاهُ الشَّیْطٰانُ ذِکْرَ رَبِّهِ] ای انسی الشّیطان صاحب الشّراب ذکر یوسف (ع) عند الملک او انسی الشّیطان یوسف (ع) تذکّر الله [فَلَبِثَ فِی السِّجْنِ بِضْعَ سِنِینَ] بعد ماکان قد لبث خمس سنین ونسب الی النّبیّ (ص) انّه قال: رحم الله اخی یوسف (ع) لو لم یقل اذکرنی عند ربّک لمالبث فی السّجن سبعاً بعد الخمس، والبضع ما بین الثّلاثة الی التّسعة وقیل فیه شیء آخر وهو من البَضع بمعنی القطع، قیل انّه وقع لیوسف (ع) ثلاث عثرات اولیها الهمّ الّذی وقع منه بالنّسبة الی زلیخا فحبس بسببه فی السّجن وثانیتها الالتجاء الی غیره فلبث بسببه فی السّجن بضع سنین وثالثتها ماقال لاخوته انّکم لسارقون فأجابوه بکذب مثله ، فقالوا: ان یسرق فقد سرق اخ له من قبل ولمّا انقضی مدّة ریاضته (ع) وحبسه وحان اوان سلطنته ووسعته ، رأی الملک انّه علی سریره فخرج من النّیل سبع بقرات سمان احسن مایکون وجاءت الی جنب سریره ووقفت ثمّ خرج منه سبع بقرات اُخر عجاف فجاءت الی البقرات السّمان فأکلتها، ورأی انّه نبت فی جنب سریره سبع سنبلات خضر ثمّ سبع سنبلات یابسات فالتفّت بالسّنبلات الخضر فاصفرّت ویبست ، فتنبّه الملک و أحضر الکهنة والمفسّرین والمنجّمین وقصّ الرّؤیا علیهم کما حکی الله [وَقٰالَ الْمَلِکُ اِنِّی اَرٰی] التّعبیر بالمضارع لاحضار صورة الرّؤیا او لانّه کان یری هذه الرّؤیا مکرّرة او لانّه رأی اجزاء الرّؤیا متدرّجة فادّاه بالمضارع تصویراً للحال الماضیة حاضرة مشعراً بتکرّرها اوتدرّج رؤیتها [سَبْعَ بَقَرٰاتٍ سِمٰانٍ یَأْکُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجٰافٌ وَسَبْعَ سُنْبُلاٰتٍ خُضْرٍ وَاُخَرَ یٰابِسٰاتٍ] اکتفی بذکر اکل العجاف عن ذکر التواء الیابسات [یٰا اَیُّهَا الْمَلَأُ اَفْتُونِی فِی رُؤْیٰایَ اِنْ کُنْتُمْ لِلرُّؤْیٰا تَعْبُرُونَ] وکأنّه کان فی رؤیاه اشیاء اخر دقائق لایمکن للمعبّر استنباط تعبیرها والاّ فتعبیر تلک غیر خافٍ علی المعبّر ولخفاء دقائقها [قٰالُوا اَضْغٰاثُ اَحْلاٰمٍ] ای تلک الرّؤیا اضغاث احلام جمع الضّغث وهو الحزم من النّباتات المختلفة استعیر للصّور المختلفة المختلطة من تخیّلات المتخیّلة ، فانّ

من الرّؤيا مايشاهده النّفس فى عالمى المثال من صور الطّبيعيّات الموجودة اوالآتية اوالماضية. لكن قلّما يتّفق ان تشاهد الماضية لتوجّه النّفس الى الحال والاتى وادبارها عن الماضى ، فما تشاهد فى المثال العلوىّ فهو امّا بشارة من الله اوتحذير وانذار اوتنبيه واخبار، وما تشاهد فى المثال السّفلىّ فهو امّا غرور من الشّيطان على المعاصى او تحذير منه عن الطّاعات او اخبار بالاتيات غروراً منه او استدراجاً من الله و منها ما تشاهده باراءة المتخيّلة وتصويرها ممّا لم يكن واقعاً وهو اضغاث الاحلام، والاحلام جمع الحلم وهو مايراه النّائم فى المنام مطلقاً اومايراه فى المنام من غير حقيقة له [وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالِمِينَ] كأنّهم اعتذروا عن عدم علمهم بكون الرّؤيا من اضغاث الاحلام الّتى لاتعبير لها وبينما ذاك السّؤال تذكّر السّاقى يوسف (ع) ومهارته فى تعبير الرّؤيا فذكر انّى اعلم عالماً بتعبير الرّؤيا كما قال تعالى [وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ] من الزّمان سبع سنين [أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ] الى من اريد فاذنوا له فجاء الى يوسف (ع) وقال [يُوسُفُ] يا يوسف [أَيُّهَا الصِّدِّيقُ] منصوب على الاختصاص او منادى ثان و المقصود ذكره بوصف مدح ترغيباً فى الاهتمام بالتّعبير [أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنْبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ] يعنى بعلم تأويل ذلك لاستبعاد ترجّى الرّجوع المطلق [لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ] تأويله او يعلمون قدرك ومنزلتك فيخرجونك من السّجن قيل: انّه نسب الرّؤيا الى نفسه فقال يوسف (ع): ماانت رأيت ذلك ولكنّ الملك رأى وعبّر الرّؤيا ثمّ بيّن لهم تدبير ذلك كما حكى الله بقوله [قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا] قرئ بسكون الهمزة وفتحها وهما مصدرا دَأَبَ فى الأمر استمرّ على عادته فيه وهو جواب السّؤال كان مذكوراً لم يحك اولسؤال مقدّر كأنّه قال: ماندبّر لذلك؟ قال: تزرعون، ويجوز ان يكون تعبيراً للرّؤيا مع شيء زائد فانّه افاد القحط والتّدبير والخصب قبل القحط [فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ] لئلا يفسد ويتدوّد [إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَأْكُلُونَ] فى تلك السّنين تخرجونه من سنبله [ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ] نسبة الاكل الى السّنين مجاز عقلىّ ومراعاة للتّطبيق بين الرّؤيا وتعبيرها [مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تُحْصِنُونَ] لبذور الزّراعات واحتياط المجاعة قبل وصول الزّراعة [ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ] من الغيث او من الغوث [وَفِيهِ يَعْصِرُونَ] قرئ بالبناء للفاعل اى يعصرون العنب والزّيتون وكلّما يعصر لكثرتها، وقيل: يعصرون الضّروع بمعنى يحلبون، وقرئ تعصرون بالخطاب تغليباً للخاطب على الغيّاب، وقرئ بالبناء للمفعول من عصره اذا انجاه اى ينجون من القحط ، اومن اعصرت السّحابة عليهم اذا امطرهم، وقرائة اهل البيت (ع) على ما وصل الينا كانت هكذا بمعنى يمطرون ، فخرج الرّسول من عنده و جاء الملك بالتّعبير والتّدبير فلمّا سمع الملك ذلك ارتضاه وطلب ملاقاة يوسف (ع) [وَقَالَ الْمَلِكُ] لخواصّه [ائْتُونِي بِهِ] فأرسلوا اليه لاحضاره [فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ] وقال انّ الملك يطلبك ويستحضرك [قَالَ] انّى اتّهمت عند الملك بالخيانة ومراودة النّساء و ما لم اخرج من الاتّهام لم آت الملك لعدم منزلة و عرض لى عنده [ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ] اى العزيز اوالرّيان [فَاسْأَلْهُ] ان يتجسّس ويطلب [مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ] فانّى اتّهمت بهنّ حتّى يعلم انّى لم اكن خائناً و سجنت ظلماً ولم يذكر امرأة العزيز مع انّ الاتّهام و السّجن كانا منها تكرّماً و صوناً

لعرضها بخصوصه عن التفضيح [إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ] تعليل لطلبه سؤال الملك عن النسوة يعني انهن كدنني وانى بريئ واكد هذا المعنى بالاستشهاد بعلم الله فرجع الرسول وحكى ما قاله يوسف للملك فأحضر الملك اى العزيز اوالريان النسوة [قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ] ءانتن راودتن يوسف ام يوسف (ع) راودكن ؟ ام كانت المراودة من الطرفين؟ـ [إِذْ رَاوَدْتُنَّ يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ] نسب المراودة اليهن مع ان سؤاله يقتضى الجهل اوالتجاهل اشارة الى ان سؤاله كان لمحض احتمال ان يكون يوسف شريكاً لهن فى المراودة لان مراودتهن كانت مشهورة بحيث لم يكن لاحد شك فيها [قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ] قد مضى بيان تلك الكلمة [مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ قَالَتِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ] بعد اعتراف سائر النساء ببراءته وخروجها عن شدة حيائها [الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ] ظهر غاية الظهور [أَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ] فى البراءة من الخيانة [ذَلِكَ لِيَعْلَمَ] ربكث امّا مرتبط بسابقه وقوله قال ما خطبكن الى الآخر معترض بينهما فى الحكاية ، اوقال ذلك يوسف (ع) بعد مارجع الرسول اليه وسأل عنه لم تثبت فى الخروج وطلبت مسئلة الملك عن حال النساء؟ـ فاجاب وقال ذلك التثبت ليعلم العزيز وهو دليل على ان المراد بالرب هو العزيز لا الملك [أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ] متلبساً بالغيب او واقعاً فى الغيب منى ، حال من الفاعل اوالمفعول [وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ] يعنى ليعلم ان امرأته كادتنى وان كيدها ما نفذ وما اثر فىّ وهو مبالغة فى اظهار طهارته و لمّا بالغ فى اظهار طهارته اراد ان يدفع وصمة الاعجاب والتزكية عن نفسه وينسب ذلك الى الله فقال :

[الجزء الثالث عشر]

[وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي] فان شأنها التلوث بالوان الذنوب لا التنزه منها [إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي] الا وقت رحمة ربى او الا التى رحمها ربى يعنى ان التنزه من محض الرحمة لا من فعل النفس و قيل قوله تعالى ذلك ليعلم (الى آخرها) من تتمة كلام زليخا اى ذلك الاعتراف بخيانتى وطهارته ليعلم يوسف (ع) انى لم اخنه بالغيب بنسبة الكذب اليه و ان الله لا يهدى كيد الخائنين بابقائه مستوراً من غير ان يظهره وماابرء نفسى عن نسبة الخيانة والكذب اليه حيث ختنه بنسبتهما اليه ان النفس لامارة بالسوء فبأمرها اسأت الا مارحم ربى [إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ] لامر النفس بالسوء [رَحِيمٌ] بعصمتى عن اتباعها و لمّا ظهر لهم طهارته و عفته كمال الظهور اشتد طلبهم له [وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي] بجعله من خواصى من غير حكومة لغيرى عليه فذهب الرسول واحضره [فَلَمَّا كَلَّمَهُ] ووجده صاحب رشد وكمال وكلام وقد علم عفته وامانته سابقاً [قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ] ذومكانة ومنزلة لرشدك وعقلك [أَمِينٌ] لظهور عفتك وامانتك [قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ] اى خزائن النقد والجنس فى ارض مصر [إِنِّي حَفِيظٌ] لما تحت يدى عن الخيانة لا اخون بنفسى ولا يمكن الخيانة لغيرى لامانتى وحسن تدبيرى فى الحفظ [عَلِيمٌ]

بكيفيّة التّصرّف والحفظ عن الفساد والتّلف. نقل عن النّبيّ (ص): رحم الله اخي يوسف (ع) لو لم يقل: اجعلني على خزائن الارض لولّاه من ساعته ولكنّه اخّر ذلك سنة، وعن الصّادق (ع) انّه قال يجوز ان يزكّي الرّجل نفسه اذا اضطرّ اليه اما سمعت قول يوسف (ع): اجعلني على خزائن الارض انّي حفيظ عليم، اقول: كأنّ غرضه من ذلك تسلّطه على ما يحتاج النّاس اليه ليتوجّهوا اليه فيسمعوا بذلك كلامه ويبلّغ رسالته وآمن بعد ذلك الملك على يده ووكل الامر اليه ودبّر في السّبع السّنين المخصبة في تحصيل الحبوب و حفظها وشرع في السّنين المجدبة ببيعها حتّى حصّل جميع اموال مصر ومواشيها وضياعها وعبيدها و اماثها و رقاب اهلها له وصار مالكاً للكلّ، وفي بعض الاخبار انّه بعد الخصب قال للملك: ايّها الملك ماترى فيما خوّلني ربّي من ملك مصر و اهلها اشر علينا برأيك فانّي لم اصلحهم لافسدهم ولم انجهم من البلاء ليكون وبالاً عليهم و لكنّ الله نجّاهم على يدي قال له الملك: الرّأي رأيك قال يوسف (ع) انّي اشهد الله واشهدك انّي قد اعتقت اهل مصر كلّهم، ورددت عليهم اموالهم وعبيدهم، ورددت عليك ايّها الملك خاتمك وسريرك وتاجك على ان لا تسير الّا بسيرتي ولا تحكم الّا بحكمي، قال له الملك: انّ ذلك لشرفي وفخري ان لا اسير الّا بسيرتك ولا احكم الّا بحكمك، ولولاك ماقويت عليه ولا اهتديت له ولقد جعلت سلطاني عزيزاً ما يرام وانا اشهد ان لااله الّا الله وحده لاشريك له وانّك رسوله فأقم على ماولّيتك فانّك لدنيا مكين امين [وَكَذٰلِكَ] عطف على محذوف اى فأنجينا يوسف (ع) من السّجن ومثل ذلك الانجاء [مَكَّنَّا لِيُوسُفَ] اومثل ذلك التّمكين المتعقّب للبلايا العديدة والمتاعب الكثيرة مكّنّا ليوسف (ع) الّذي كان من ابناء انبيائنا (ع) وجعلناه نبيّاً فمن اراد التّمكين في ارض العالم الكبير او ارض العالم الصّغير فليصبر على الرّياضات و البلايا وليتسلّ عن الجزع في المتاعب [فِي الْأَرْضِ] ارض مصر ماجاوزها كما في الخبر [يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ] لتسلّطه على جميعها بل كون الجميع ملكها حقيقة و ان كان اودعها ملّاكها السّابقة كما سبق [نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ] جواب سؤال كأنّه قيل: لم كان ذلك التّمكين؟ فأجاب بأنّ فعلنا لايسأل عنه ولأنّه كان محسناً [وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ] من تمكين يوسف (ع) في الارض [لِلَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ] [وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ] بعد ماوقع القحط وأصاب كنعان ايضاً القحط ليمتاروا لأهلهم وذلك انّ يعقوب (ع) ارسل بنيه سوى بنيامين مع بضاعة قليلة وكانت مقلاً كما قيل [فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ] لعدم تغيّر حالهم وتفرّس يوسف (ع) [وَهُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ] غير عارفين له لتغيّر حاله عمّا عاهدوه عليه سنّاً وصورة ومرتبة وهيبة، نقل انّه كان بينه وبين ابيه ثمانية عشر يوماً وكان ابوه في بادية وكان النّاس من الآفاق يخرجون الى مصر ليمتاروا به طعاماً وكان يعقوب (ع) وولده نزولاً في بادية فيها مقل فاخذ اخوة يوسف (ع) من ذلك المقل و حملوه الى مصر ليمتاروا به، وكان يوسف (ع) يتولّى البيع بنفسه فلمّا دخل اخوته عليه عرفهم ولم يعرفوه كما حكى الله عزّوجلّ [وَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَازِهِمْ] لمّا اعدّ لهم ماجاؤا لاجله وما يحتاجون اليه في سفرهم، والجهاز مايعدّ للسّفر ممّا يحتاج اليه [قَالَ ائْتُونِي بِأَخٍ لَكُمْ مِنْ أَبِيكُمْ] وذلك انّه لمّا عرفهم جعل لهم مضيفاً مخصوصاً واحسن ضيافتهم وتلطّف بهم وسائلهم عن محلّهم ونسبهم وسأل عن حال ابيهم واولاده فأجابوه بالتّفصيل وقالوا: انّ لنا اخاً من ابنيا

لا من امتنا فأحسن اليهم ووقّر ركائبهم من غير ان ينظر الى انّ بضاعتهم لاتفى بثمنها وجعل بضاعتهم اى ثمن المقل الّذى جاؤا به بضاعة فى رحالهم، وقيل: كانت بضاعتهم نعالاً وادماً، وقال [أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ] اوفّيه من غير بخس [وَأَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ] لما رأيتم من حسن ضيافتى لكم [فَإِنْ لَمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِنْدِي وَلَا تَقْرَبُونِ] بدخول بلادى بالغ فى إياس إخوته تأكيداً لهم على الاتيان به [قَالُوا سَنُرَاوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَاعِلُونَ] ذلك الاجتهاد فى أخذه من ابيه اولفاعلون الاتيان به ؛ قيل : لمّا دخلوا عليه وعرفهم قال: من انتم لعلّكم عيون؟ـ وكان مقصوده الحيلة فى ان يكون احدهم عنده من غير معرفة بحاله قالوا: لسنا عيوناً انّما نحن بنو اب واحد وهو يعقوب النّبىّ (ع) قال: كم كنتم ؟ـ قالوا : اثنى عشر، ذهب واحد منّا الى البرارى فهلك وبقينا احد عشر ، قال: كم انتم فى بلدنا ؟ـ قالوا: عشرة ، قال : فاين الآخر؟ـ قالوا : خلّفناه عند ابينا قال: فمن يشهد لكم؟ـ قالوا: لايعرفنا ههنا من يشهد لنا ، قال: فدعوا بعضكم عندى رهينة واتونى بأخيكم حتّى اصدّقكم فاقترعوا فأصاب شمعون [وَقَالَ لِفِتْيَانِهِ اجْعَلُوا بِضَاعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا] يعرفون حقّ ردّها او يعرفون اعيانها، فرغبوا فى الرّجوع [إِذَا انْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَى أَبِيهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مُنِعَ مِنَّا الْكَيْلُ] حكم بمنعه ان لم تذهب بأخينا [فَأَرْسِلْ مَعَنَا أَخَانَا نَكْتَلْ] برفع المانع فانّ سبب المنع عدم ذهابنا بأخينا بنيامين ، وقرئ يكتل اى بنيامين لنفسه اولنا ايضاً اى يصير سبباً للاكتيال او يكتل الكيّال لنا برفع المانع ولمّا كانوا مسبوقين بما فعلوا بيوسف (ع) وخدعوا اباهم فيه تبادروا الى قولهم [وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ قَالَ هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ] تعييراً لهم على قولهم بما قالوا فى حقّ يوسف (ع) ولم يفوا به [إِلَّا كَمَا أَمِنْتُكُمْ عَلَى أَخِيهِ] يوسف (ع) [مِنْ قَبْلُ] ثمّ انصرف عنهم من الاعتماد على قولهم والتجأ الى الحافظ الحقيقىّ فقال : [فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ] فعلى حفظه ورحمته أعتمد لاعلى قولكم فى حقّ يوسف (ع) و اخيه ، نسب الى الخبر انّه تعالى قال: فبعزّتى لاردّنهما اليك بعد ما توكّلت علىّ [وَلَمَّا فَتَحُوا مَتَاعَهُمْ] اوعية متاعهم [وَجَدُوا بِضَاعَتَهُمْ] ثمن مقلهم اونعالهم واديمهم [رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُوا] استبشاراً [يَا أَبَانَا مَا نَبْغِي] يعنى لامزيد على ذلك الاحسان حيث احسن ضيافتنا ومثوانا وجعل بضاعتنا فى رحالنا [هَذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلَنَا] اى نذهب بأخينا و نمير أهلنا [وَنَحْفَظُ أَخَانَا] او نبغى من البغى اى لانبغى ونمير اهلنا [وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ] بمصاحبة اخينا [ذَلِكَ] الكيل الّذى كيل لنا [كَيْلٌ يَسِيرٌ] اوذلك الكيل المزيد على اكيالنا كيل يسير لايضايقنا الملك فيه اوهو من كلام يعقوب (ع) جواباً لبنيه وردّاً عليهم يعنى ذلك الكيل المزيد كيل يسير لاينبغى للعاقل ان يجعل ابنه فى معرض المخاوف لمثل ذلك [قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ] بلاوثيقة كما أرسلت يوسف (ع) [حَتَّى تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ] عهداً وثيقاً من الله أثق به عليكم فى حفظه [لَتَأْتُنَّنِي بِهِ] جواب قسم محذوف اى احلفوا، اوجواب حتّى تؤتون موثقاً من الله فانّه فى معنى القسم [إِلَّا أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ] اى الّا ان تمنعوا و تغلبوا بحيث لا تقدرون او تهلكوا جميعاً فلا يبقى منكم احدٌ [فَلَمَّا آتَوْهُ

مَوْثِقَهُمْ قَالَ اللّٰهُ عَلٰى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ] استشهد بوكالة الله تأكيداً للوثيقة او توكّلاً عليه لاعلى الوثيقة يعنى انّى توكّلت عليه و فعلت ما كان علىّ من التّوسّل بالاسباب او تيمّناً بذكره لامضاء الوثيقة [وَقَالَ يَا بَنِيَّ لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ] لمّا علم انّ الملك واعوانه عرفوهم وعلموا انّهم بنواب واحد خاف عليهم العين فوصّيهم بحسب البشريّة بالتّدبير له فى العين [وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ] ولمّا لم يعتمد على تدبيره قال [وَمَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللّٰهِ مِنْ شَيْءٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلّٰهِ] و امرى بهذا التّدبير كان لمحض التّوسّل بالاسباب الّذى امر الله عباده به فى التّوكّل [عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُمْ] من الابواب المتفرّقة [مَا كَانَ] ابوهم او تدبيره او دخولهم بحسب تدبيره [يُغْنِي عَنْهُمْ مِنَ اللّٰهِ] من تقدير الله [مِنْ شَيْءٍ] شيئاً من الاغناء اوشيئاً من التّقدير فنسبوا الى السّرقة واخذ بنيامين [إِلَّا حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ] وهى التّوسّل بالتّدبير مع التّوكّل على الله مع العلم بعدم اغناء التّدبير عن التّقدير [قَضَاهَا] امضيها والاستثناء منقطع [وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ] بانّ التّدبير لايغنى من التّقدير [لِمَا عَلَّمْنَاهُ] لاجل تعليمنا اياه اوبالّذى علّمناه لابكلّ الاشياء والآية اشارة الى سعته وكماله (ع) فى مرتبة البشريّة والعمل بمقتضاها من حيث انّها تقتضى التّوسّل بالاسباب و المرتبة العقليّة من حيث انّها تقتضى الانقطاع عن الاسباب و العلم باستقلال المسبّب فى كلّ ذى سبب وانّ الاسباب حُجُبٌ لظهور اثر المسبّب [وَلٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ] انّ الحذر لا يغنى من القدر او لايتّصفون بمرتبة العلم استدراك لما يتوهّم من انّه ان كان ذوعلم ينبغى ان لا يظهر مقتضى البشريّة الّذى يوهم الجهل يعنى انّه ، وان كان ذوعلم ولكنّ اكثر النّاس ليس لهم علم فابرز مقتضى البشريّة لموافقتهم ومنهم أبناؤه المخاطبون له، اوالمعنى أنّه لذوعلم ومقتضى علمه التّوسّل بالاسباب فى التّوكّل ولكنّ اكثر النّاس لايعلمون انّ مقتضى العلم التّوسّل بالاسباب ما لم يخرجوا من عالم الاسباب [وَلَمَّا دَخَلُوا عَلٰى يُوسُفَ آوٰى إِلَيْهِ أَخَاهُ] وكيفيّة دخولهم عليه وايوائه اياه مذكورة بتفصيلها فى المفصّلات [قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ] لاتحزن [بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ] من الاساءة الىّ واليكم فانّها صارت سبباً لرفعتنا وموجباً لسلطنتنا ويجمع الله بيننا وبين ابينا واخوتنا فى احسن حال [فَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ السِّقَايَةَ] المشربة الّتى بها تكال الاطعمة [فِي رَحْلِ أَخِيهِ] بنيامين [ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ] من قبل السّلطان [أَيَّتُهَا الْعِيرُ] اسم للابل الّتى تنقل السّيّارة متاعهم عليها الى مقاصدهم ثمّ غلب على السّيّارة الّتى فيها تلك العير [إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ] توريه عن سرقتهم يوسف (ع) وبيعه بعنوان الرّقيّة اوعن سرقتهم ذرّيّة عقولهم واستخدامها بل استرقاقها لنفوسهم حتّى لايكون كذباً، وقيل بعد مافقد الصّواع نسب السّرقة اليهم من دون اذن يوسف (ع)، وفى الاخبار انّه كذب فى مقام الاصلاح وما سرقوا وما كذب لانّ الكذب فى مقام الاصلاح ليس بكذب وذلك لانّ يوسف (ع) اراد اصلاحهم باخذ اخيه وخلاصهم من نفوسهم الامّارة بتضرّعهم الى الله والتجائهم الى يوسف (ع) وتذلّلهم عند ابيهم [قَالُوا وَأَقْبَلُوا عَلَيْهِمْ] حال بتقدير قد ، اوعطف قبل تمام المعطوف عليه، اواعتراض ووجهه التّنبيه على كمال اطمينانهم وتجرّيهم على المجادلة لقطعهم بأنّهم غير فاعلين [مَاذَا تَفْقِدُونَ قَالُوا نَفْقِدُ صُوَاعَ الْمَلِكِ

وَلِمَنْ جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ] قيل: كان ذهباً او فضّة مكلّلاً بالجواهر الثّمينة ولذلك وعدوا من جاء به حمل بعير من الغلّة مع انّها كانت غالية ولغلائها جعلوا مكيالها غالياً [وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ قَالُوا تَاللَّهِ] قسم لتأكيد الدّعوى [لَقَدْ عَلِمْتُمْ] تأكيد آخر استشهدوا بعلمهم على صدق الدّعوى لانّهم كانوا اذا دخلوا بلاد مصر جعلوا على افواه رواحلهم اوكية لئلا تدخل زراعاتهم كما قيل، و قيل: ردّوا البضاعة المردودة اليهم الى الملك ظنّاً منهم انّهم جعلوها فيها سهواً واشتهر بذلك امانتهم وصلاحهم [مَا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ قَالُوا فَمَا جَزَاؤُهُ] اى السّارق او السّرق [إِنْ كُنْتُمْ كَاذِبِينَ قَالُوا جَزَاؤُهُ مَنْ وُجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ] هو جزاؤه تأكيد للقضيّة الاولى ولذا أتى بالفاء اشارة الى ابلغيّته في التّقرير، او من موصولة مبتدء او شرطيّة وقوله فهو جزاءه خبره او جزاء الشّرط ودخول الفاء على الاوّل لتضمّن المبتدء معنى الشّرط و الجملة خبر جزاؤه [كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ] يدلّ هذا القول على انّ هذا كان من شريعة يعقوب(ع) لانّهم قالوه اطميناناً وتجريباً ولا انّه كان دين الملك كما قيل [فَبَدَأَ] المؤذّن او يوسف(ع) لانّهم رجعوا اوردّوا الى العزيز بعد نسبة السّرقة اليهم [بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ] لئلا يرتابوا انّه كان من فعلهم [ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِنْ وِعَاءِ أَخِيهِ كَذَلِكَ] الكيد الّذى هو اخفاء الصّواع و تفويض الحكم الى اخوته حتّى يحكموا باسترقاق السّارق موافقاً لشريعة ابيهم [كِدْنَا لِيُوسُفَ] وما يتراءى من تخلّل اداة التّشبيه بين الشّيء ونفسه مدفوع بانّ ذلك مثل ان يقال: الانسان كزيد بتخلّل الكاف بين الكلّيّ والجزئيّ [مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ] في طريقته وآداب سياسته [إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ] وقوله كذلك كدنا ليوسف رفع لتوهّم الخديعة من يوسف(ع) وانّه ينافي مقام النّبوّة [نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ] الى عليم لا عليم فوقه، قيل: اخذ عمّال يوسف(ع) بيد بنيامين واسترقّوه فرجع اخوته ضرورة اليه، وقيل: رجعوا اوّل المشاجرة اليه [قَالُوا] لشدّة حزنهم وغيظهم [إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ] اشارة الى منطقة اسحاق(ع) الّتى ورثتها عمّته فربطتها في حقوه لتأخذه حبّاً له، وقيل انّ: ليان ابارا حيل امّ يوسف(ع) كان يعبد الاوثان و كان له صنم من الذّهب فأخذه يوسف(ع) خفيةً واعطاه امّه ترحّماً على جدّه في استخلاصه من عبادة الصّنم، وعلى امّه في استخلاصها من الفقر، وقيل: انّه كان يأخذ الطّعام من خوان ابيه ويعطيه الفقراء خفيةً، وقيل: انّه اخذ شاة من اغنام ابيه واعطاها فقيراً خفيةً، والاوّل هو المرويّ عن ائمّتنا(ع) والمشهور عند اهل مذهبنا [فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ] اى كلمة قد سرق الخ له من قبل ليعيّرهم بها، او اسرّ هذه الكلمة من حيث كذبها؛ او اسرّ كلمة انتم شرّ مكاناً فيكون من قبيل العود على ما تأخّر ويكون قوله قال انتم شرّ مكاناً بدلا منه ويكون المعنى اسرّ مقالة انتم شرّ مكاناً [فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ] يعنى [قَالَ] في نفسه [أَنْتُمْ شَرٌّ مَكَانًا] مرتبة ومنزلة اى حالاً او نسب الشّرّ الى المكان والمحلّ مجازاً للمبالغة في وصفهم بذلك يعنى ان كان نسبة السّرقة الى اخيه صحيحة فانتم شرّ منه حيث دخلتم في امر فيه اذى ابيكم النّبيّ(ع) من الله وان لم يكن في الشّرّ معنى التّفضيل فالمعنى واضح [وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ] من نسبة السّرقة الى يوسف(ع)، ولمّا تذكّروا حال ابيهم وحزنه وعهدهم المؤكّد باليمين في ردّ بنيامين انقبضوا

والتجأوا الى يوسف (ع) وعلى سبيل التّضرّع والاستكانة [قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا] ذكروا في مقام استرحامه اوصافاً ثلاثة: ابوّته له الموجبة لحزنه بفراقه، وشيخوخته المستلزمة للترحّم، وغاية كبره في السّن مبالغة في الشّيخوخة او في المنزلة المستلزمة لمراعاته [فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ] في أخذ أحدنا عوضه اومطلقاً اوالينا سابقاً [قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ نَأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِنْدَهُ] استثناء مفرّغ من الموجب لكون المستثنى منه محدوداً اى ان نأخذ احداً منكم الّا من وجدنا منكم متاعنا عنده، اومن المنفيّ باعتبار المعنى لانّ المعنى ما نأخذ الّا من وجدنا متاعنا عنده، اولفظة الّا بمعنى الغير وكان الاصل نأخذ واحداً الّا من وجدنا متاعنا عنده ثمّ حذف الموصوف و اقيم الصّفة مقامه [إِنَّا إِذًا لَظَالِمُونَ] في استرقاق من لا يستحقّ الاسترقاق؛ هذا بحسب الظاهر واما بحسب الواقع فالمعنى انّا لظالمون في اخذ من لم يأذن الله لي اوفي اخذ من لم نجد متاعنا اى السّنخيّة منّا عنده [فَلَمَّا اسْتَيْأَسُوا مِنْهُ] بعد الالتجاء والمسئلة وعدم الاجابة [خَلَصُوا] من اصحاب العزيز وانفردوا عنهم [نَجِيًّا] للنّجوى اومتناجين والافراد لكونه مصدراً اووصفاً شبيهاً بالمصدر [قَالَ كَبِيرُهُمْ] في السّن وهو روبيل، اوكبيرهم في الامر والحكم وهو شمعون، اوكبيرهم في العقل وهو يهودا كذا قيل [أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُمْ مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ] نسب الوثيقة الى الله لانّه (ع) استشهد به وقت العهد [وَمِنْ قَبْلُ] عطف على محذوف اى اخذ موثقاً حين المسافرة الى مصر ومن قبل، وعلى هذا فلفظة ما في قوله [مَا فَرَّطْتُمْ فِي يُوسُفَ] نافية والجملة مستأنفة اوحاليّة والمعنى مافرّطتم في حقّ يوسف (ع) على سبيل التّهكّم اومافرّطتم في التّعدّي على يوسف (ع) اوما استفهاميّة تعجّبيّة اومازائدة وحينئذٍ فقوله من قبل مثل سابقه وفرّطتم جملة مستأنفة، اوحاليّة اومن قبل متعلّق بفرّطتم والجملة حاليّة، اومعطوفة على جملة الم تعلموا اومامصدريّة ومافرّطتم وفي يوسف معطوفان على اسم انّ وخبرها ومن قبل حال اومافرّطتم عطف على انّ واسمها وخبرها ومن قبل حال؛ وفي يوسف متعلّق بفرّطتم، اومن قبل خبر مافرّطتم والجملة عطف على اسم انّ وخبرها، اوعلى انّ ومابعدها اوما موصولة واعرابها كاعراب المصدريّة [فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ] ارض مصر [حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي] باستخلاص اخي اوبالفرج لي باي نحو شاء [وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ] حكاية مجادلة اخوة يوسف (ع) معه مذكورة في المفصّلات [ارْجِعُوا إِلَى أَبِيكُمْ فَقُولُوا يَا أَبَانَا إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ] على ما شاهدنا [وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا] حيث رأينا استخراج الصّواع من رحله [وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ] حتّى نعلم باطن امره و انّه سرق او نسب الى السّرقة من غير جرم، وقيل: المعنى كنّا نحفظه حين حضوره عندنا عن امثال ما نسب اليه من السّرقة وما كنّا في غيبه حافظين له لعدم امكان الحفظ حينئذٍ، وقيل: الغيب بمعنى اللّيل في لغة حمير والمعنى وما كنّا في اللّيل حافظين له عن مثل السّرقة، وقيل: انّه جواب لسؤال يعقوب (ع) حين قال: من قال للملك جزاء السّرقة الاسترقاق؟ قالوا: نحن قلناه، قال: فلم قلتم ذلك؟ قالوا ما شهدنا الّا بما علمنا من شريعة الانبياء (ع) وما كنّا للغيب حافظين حتّى نعلم انّ الصّواع في رحله [وَسْئَلِ الْقَرْيَةَ] بارسال من يسئل أهلها عن تلك القضيّة اوبالمسئلة ممّن كان في العير من اهل مصر [الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ] تصريح

بصدقهم اللّازم من اخبارهم تأكيداً ولذلك اكّدوه بانّ واللّام واسميّة الجملة وهوعطف على انّ ابنك سرق وتوسيط قوله واسئل القرية الى الآخر لاشعاربعلّة صدق ادّعاء الصّدق ، ويحتمل ان يكون وصيّة كبيرهم الى قوله واسئل القرية ويكون واسئل القرية من كلام الرّاجعين الى يعقوب(ع) حين المخاطبة معهم ويكون المعنى فرجعواوقالوا لابيهم انّ ابنك سرق فكذّبهم يعقوب(ع) فقالوا واسئل القرية [قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا] معنى ظاهره انّ ابنى ما سرق وانّكم تكذبون وخدعتمونى فى اذها به، كما انّ معنى هذه الكلمة كان فى قصّة يوسف(ع) هكذا والحال انّهم ماخدعوا فى بنيامين وما كذبوا فى اتّهامه بالسّرقة وما سوّلت لهم انفسهم فى حقّه امراً ، ويعقوب(ع) كان نبيّاً ولم يفرّق بين القضيّتين والجواب انّ المعنى بل سوّلت لكم انفسكم فى يقينكم بنسبة السّرقة اليه والحال انّه ما سرق اوسوّلت لكم انفسكم وزيّنت اصراركم على اذهابه بمظنّة تكثير النّفع غافلاً عن تقدير الرّبّ فجعلتمونى مضطرّاً فى الاذن وادخلتموه فى الضّرر [فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ] بثلاثتهم [جَمِيعًا] فانّ الصّبر مفتاح الفرج [إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ] بعواقب الامور ولعلّ الابتلاء بفراقهم كان خيراً لى ولهم [الْحَكِيمُ] فى فعاله يفعل ما يقتضيه حكمته وهو تسلية لنفسه و تسهيل للصّبر على البلاء [وَتَوَلَّى عَنْهُمْ] رغبة فى الخلوة و العزلة لغاية الحزن لمّا رأى انّ اقباله على اولاده و اعتماده عليهم ذهب بثلاثة منهم تنبّه انّ الاعتماد على الغير يوجب التّضرّر وتولّى عنهم و لكن لمّا كان حبّ يوسف(ع) قوياً فى قلبه لم يقوعلى التّسلّى عنه [وَقَالَ يَا أَسَفَى عَلَى يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ] كناية عن العمى، وقيل عن كثرة البكاء لانّ الحدقة اذا اغرورقت فى الدّمع تترائى مبيّضة [فَهُوَ كَظِيمٌ] بمعنى مكظوم اى مملوّ من الغيظ على اولاده اومن الحزن على يوسف(ع) اوبمعنى كاظم مثل الكاظمين الغيظ اى ممسك غيظه اوحزنه غيرمظهراً الا الخير، والفاء للسّببيّة المحضة مشعرة بسببيّة مابعدها لما قبلها سببيّة ماقبلها الاعتقاد بمابعدها [قَالُوا] بعد ما رأوا انّه مازال يذكر يوسف (ع) بعد طول المدّة وكثرة البلايا لانّهم كانوا قد غلب عليهم القحط و طال مدّة فراق يوسف(ع) قريباً من ثمانين سنة او سبعين اواربعين او اثنتين و عشرين او ثمانى عشرة [تَاللَّهِ تَفْتَؤُ] بحذف لا اى لاتفتؤ [تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا] مريضاً مشفياً على الهلاك [أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي] بلائى من البثّ بمعنى النّشر [وَحُزْنِي] وما اتجرّعه من البلاء [إِلَى اللَّهِ] لا اليكم فدعونى وشأنى [وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ] من قبل الله بايحائه الىّ حيوة يوسف(ع) ووصاله لى اومن رحمته وانّه لايبتلى الّا ويأتى بعده بالفرج [مَا لَا تَعْلَمُونَ يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا] تفحّصوا [مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ] من فرجه [إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ] فخرجوا الى مصر فى طلب اخوتهم [فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ] على يوسف(ع) [قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ] المجاعة [وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُزْجَاةٍ] رديّة غيرعزيزة القيمة وكانت مقلاً اودراهم رديّة لاتنفق فى ثمن الطّعام اوخلق الجوالق والحبل ورثّ المتاع اوالصّوف والسّمن اللّذين هما متاع العرب اوالصّنوبر وحبّة الخضراء او اقطاً اوالنّعال والادم [فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ] كما أوفيت لناسابقاً [وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا] بلاثمن اوبأخينا بنيامين [إِنَّ اللَّهَ

يَجْزِى الْمُتَصَدِّقِينَ] و قد كانت الشّدّة بلغت بهم الغاية مع الخجلة عمّا نسب اليهم من السّرقة و لذلك استكانوا غاية المسكنة وعرّفهم يوسف (ع) نفسه ورقّ لهم وفرّج عنهم و [قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ] ولمّا رأى خجلتهم من معرفته و ما صنعوا به اعتذر عنهم فقال [إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ] و لعلّه كان المراد بما فعلوا بأخيه اذلالهم له لأنّه ما كان يقدر على التّكلّم معهم الّا بالعجز و الإنكسار . روى عن الصّادق (ع) كلّ ذنب عمله العبد وان كان عالماً فهو جاهل حين خاطر بنفسه معصية ربّه فقد حكى الله تعالى قول يوسف (ع) لاخوته هل علمتم ما فعلتم بيوسف واخيه اذانتم جاهلون فنسبهم الى الجهل لمخاطرتهم بانفسهم فى معصية الله [قَالُوا ءَإِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ] استفهام تقريرىّ ؟ حيث علموا من مكالمته انّه يوسف (ع) ولذلك أكّدوه بتأكيدات، وقرئ بدون همزة الاستفهام على الاخبار او على حذف اداة الاستفهام، وقرئ آنّك بالمدّ على تخفيف الهمزة الثّانية [قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَٰذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا] برفع منزلتنا واعطاء الملك والسّلطنة لنا [إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ] الله فى مخالفة رضاه [وَيَصْبِرْ] على البلاء والطّاعات وعن المعاصى [فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَاطِئِينَ] اعترفوا بخطائهم فى تدبيرهم فى مقابلة التّقدير او بخطائهم فى خلاف طاعة الله ورضا ابيهم، ولمّا رأى خوفهم من عتابه ومن عقوبة الله آمنهم من ذلك و [قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ] فلا تخافوا من عتابى [يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ] فلا تخافوا من عقوبته [وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ] عطف فيه معنى التّعليل اوحال كذلك اوعطف او حال لازدياد رجائهم يعنى يغفر لكم ويتفضّل عليكم فوق المغفرة لانّه ارحم الرّاحمين [اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَٰذَا] وقد ابتلّ القميص بدموعه او كان قميص ابراهيم (ع) الّذى اتى به جبرئيل من الجنّة حين القاء نمرود فى النّار فصارت برداً وسلاماً وقد جعله ابراهيم (ع) تعويذاً لاسحاق (ع) وجعله اسحاق (ع) تعويذاً ليعقوب (ع) وجعله يعقوب (ع) تعويذاً ليوسف (ع) على اختلاف الاخبار [فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَائْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ] عير اخوة يوسف (ع) الّتى فيها القميص عن مصر [قَالَ أَبُوهُمْ] لمن حضره [إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُونِ] تنسبونى الى الفند والخرافة من الكبر [قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ] يهودا ابنه او ابن الجارية الّذى باعه يعقوب (ع) فى صغره [أَلْقَاهُ] اى القميص [عَلَىٰ وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا] لانتعاش الشّوق والحرارة الغريزيّة [قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ] استفهام تعجّب والمحكىّ محذوف يعنى انّ يوسف حىّ وانّى الاقيه او المحكىّ قوله [إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ] وقد نقل مكاتبات يعقوب (ع) وعزيز مصر بعد المجاعة و ارتهان واحد من ابنائه واسترقاق بنيامين من غير علم منه بانّ العزيز هو يوسف (ع) وكيفيّة تظلّم يعقوب (ع) الى يوسف (ع) وتأديب الله ايّاه بثّ شكواه الى غيره تعالى فى المفصّلات [قَالُوا يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا] تضرّعوا اليه وتابوا ممّا فعلوه واعترفوا بسوء فعالهم [إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي] تسويف الاستغفار كما فى الاخبار كان لانتظار وقت السّحر لانّ جنايتهم كانت على غيره

فانتظر اشرف الاوقات رجاء الاجابة، واما يوسف(ع) فان جنايتهم كانت على نفسه فبادر الى الاستغفار [إِنَّهُ هُوَالْغَفُورُالرَّحِيمُ] روى ان بينهم وبين يوسف (ع) كان مسير ثمانية عشر يوماً واسرع العير التى جاءت بالبشارة فى تسعة ايام وسافر يعقوب(ع) مع اولاده ايضاً فى تسعة ايام [فَلَمَّادَخَلُواعَلٰى يُوسُفَ اٰوٰى اِلَيْهِ اَبَوَيْهِ] يعقوب وامه راحيل وروى ان امه توفيت فى نفاس بنيامين و تزوج يعقوب باختها خالة يوسف (ع) واسمها كانت ياميل اويامين وتسمية الخالة اماً شائعة وكانت مربية ليوسف(ع) وتسمية المربية ايضاً أماً شائعة [وَقٰالَ ادْخُلُوا مِصْرَاِنْشٰاءَاللّٰهُ اٰمِنِينَ] الاستثناء للتيمن و لذلك قدمه على آمنين حالاً من فاعل ادخلوا و انما دخلوا عليه قبل دخولهم مصر لانه استقبلهم و نزل لهم فى بيت اومضرب خارج مصر . عن الصادق (ع) ان يوسف(ع) لما قدم عليه الشيخ يعقوب (ع) دخله عز الملك فلم ينزل اليه فهبط عليه جبرئيل(ع) فقال : يا يوسف(ع) ابسط راحتك فخرج منها نور ساطع فصار فى جو السماء فقال يوسف(ع) : يا جبرئيل(ع) : ما هذا النور الذى خرج من راحتى؟ـ فقال: نزعت النبوة من عقبك عقوبة لما لم تنزل الى الشيخ يعقوب(ع) فلا يكون فى عقبك نبى ، وفى خبر آخر: جعلت النبوة فى ولد لاوى اخيه الذى نهى الاخوة عن قتله ، وقال: لن ابرح الارض فشكر الله له ذلك وكان انبياء بنى اسرائيل(ع) من ولده [وَرَفَعَ اَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا] وكان سجودهم ذلك عبادة لله [وَقٰالَ يٰااَبَتِ هٰذٰا تَأْوِيلُ رُؤْيٰايَ مِنْ قَبْلُ قَدْجَعَلَهٰا رَبِّى حَقًّا وَقَدْ اَحْسَنَ بِى اِذْ اَخْرَجَنِى مِنَ السِّجْنِ] لم يذكر ما فعل اخوته به و نجاته منهم لئلا يكون تثريباً عليهم [وَجٰاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ] لانهم كانوا اصحاب البدو والمواشى ينتقلون فى المياه والمراعى [مِنْ بَعْدِاَنْ نَزَغَ الشَّيْطٰانُ] وسوس وافسد [بَيْنِى وَبَيْنَ اِخْوَتِى] نسب فعل الاخوة الى الشيطان مراعاة لهم [اِنَّ رَبِّى لَطِيفٌ لِمٰايَشٰاءُ] دقيق علماً وعملاً لما يشاء فيدبره على ادق ما يكون بحيث لايدرك مسالك تدبيره احد [اِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ] البالغ فى العلم [الْحَكِيمُ] الكامل فى العمل ، ولما تم له النعمة بايتاء الملك والانجاء من المهالك والجمع بينه و بين ارحامه حين كمال العزة و السلطنة توجه الى الله وتذكر نعمه فقال [رَبِّ قَدْ اٰتَيْتَنِى مِنَ الْمُلْكِ] ظاهراً وباطناً [وَعَلَّمْتَنِى مِنْ تَأْوِيلِ الْاَحٰادِيثِ] بعضاً من تأويلها [فٰاطِرَ السَّمٰوٰاتِ وَالْاَرْضِ اَنْتَ وَلِيِّى فِى الدُّنْيٰا وَالْاٰخِرَةِ] ثم طلب حسن العاقبة كما احسن اليه فى الدنيا فقال [تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَاَلْحِقْنِى بِالصّٰالِحِينَ] الكاملين فى الصلاح، فى الخبر عاش يعقوب بن اسحاق(ع) مائة واربعين سنة ، وعاش يوسف(ع) مائة وعشرين سنة ، وفى الخبر : دخل يوسف(ع) السجن وهو ابن اثنى عشر ومكث فيها ثمانى عشرة سنة وبقى بعد خروجه ثمانين سنة ، وعاش يعقوب(ع) بمصر حولين ، وروى غير ذلك الى اربع وعشرين سنة [ذٰلِكَ] المذكور من قصة يوسف(ع) واخوته وحزن يعقوب(ع) وامرئة العزيز ومراودتها وسجن يوسف(ع) وسلطنته واجتماعه مع ابويه واخوته [مِنْ اَنْبٰاءِ الْغَيْبِ] من انباء ماغاب عنك وعن غيرك [نُوحِيهِ اِلَيْكَ] يا محمد (ص) [وَمٰا كُنْتَ لَدَيْهِمْ] لدى اخوة يوسف(ع) [اِذْ اَجْمَعُوا اَمْرَهُمْ] عزموا على الامر الذى اتفقوا عليه [وَهُمْ يَمْكُرُونَ] بالنسبة الى يعقوب(ع) ويوسف(ع) فليس علم ذلك لك الا بالوحى [وَمٰا اَكْثَرُ

النّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ] على ايمانهم [بِمُؤْمِنِينَ] استدراك بمنزلة ولكنّ ما اكثر النّاس مع ظهور امثال تلك الآيات والاخبار المغيّبة من مثلك الامّيّ بمؤمنين بك وبرسالتك ولو حرصت على ايمانهم وبالغت فيه [وَمَا تَسْئَلُهُمْ عَلَيْهِ] اى على التّبليغ اوعلى الاخبار بانباء الغيب اوعلى القرآن [مِنْ أَجْرٍ] حتّى يكون ذلك مانعاً من ايمانهم [إِنْ هُوَ] اى التّبليغ اوالاخبار بتلك الانباء اوالقرآن [إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ وَكَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ] فى سماوات العالم الكبير والعالم الصّغير وكذا فى اراضيهما [يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ] فلا غرو فى اعراضهم عمّا ظهر منك من الآيات وهو تسلية له (ص) [وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ] اى مايذعن اومايؤمن بالايمان العامّ او بالايمان الخاصّ [إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ] فى الوجوب اوفى الآلهة او فى العبادة او فى الطّاعة او فى الولاية و اقلّه فى الوجود و الشّهود [أَفَأَمِنُوا] اى الّذين انكروا رسالتك او الّذين آمنوا مع الاشراك تهديد لهم حتّى يخلصوا التّوحيد و يستوجبوا المزيد [أَنْ تَأْتِيَهُمْ غَاشِيَةٌ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ] عقوبة تغشاهم [أَوْ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ] ساعة القيامة الصّغرى او الكبرى او ظهور القائم عجّل الله فرجه [بَغْتَةً] من غير ظهور علامة [وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ] حتّى يستعدّوا و يتهيّؤا لها [قُلْ هَذِهِ] الدّعوة الى التّوحيد والخلاص من الشّرك وتأسيس قانون المعاش بحيث يؤدّى الى حسن المعاد [سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ] تفسير لهذه سبيلى مع زيادة سواء جعلت بدلاً من هذه سبيلى اومستأنفة جواباً لسؤال مقدّر اوحالاً عن سبيلى بتقدير عائدلها [عَلَى بَصِيرَةٍ] بصحّة دعوتى لكون دعوتى عن اذنٍ صريح من الله بلاواسطة بخلاف طريقة غيرى من الدّاعين الى الباطل فانّهم لا بصيرة لهم بدعوتهم وصحّتها لعدم كونها باذنٍ صريحٍ من الله بلاواسطة اوبواسطة اوعلى بصيرةٍ بالمدعوّ اليه لكونه مشهوداً لى صحّته معايناً حقّيّته بخلاف غيرى من الدّاعين لعدم علمهم بصحّة المدعوّ اليه وحقّيّته فضلاً عن معاينتهم اياه اوعلى بصيرة بالدّعوة والمدعوّ اليه كليهما [أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي] من الدّاعين باذنى بلا واسطة او بواسطة فانّهم ايضاً على شهود بصحّة الدّعوة و المدعوّ اليه اوعلى يقين ان لم يكن شهود فمن لم يكن دعوته باذنٍ من الله اوممّن اذن الله له ولم يكن على يقين بالمدعوّ اليه لم يكن من اتباعه ولاعلى سبيله، ولمّا كان قوله هذه سبيلى ادعوا الى الله على بصيرة انا ومن اتّبعنى مشعراً بالاشراك فى الوجود لانّه اثبت انانيّة لنفسه وسبيلاً ودعوة واتّباعاً قال [وَسُبْحَانَ اللَّهِ] اى اسبّح الله عن الاشراك فانّ اثبات الكثرة بحسب مراتب الوجود توسعة للوحدة و تأكيد لها لا انّها منافية لها و لذلك قال [وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ] فى الوجود فيما اثبته [وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالاً] ردّ لانكارهم الرّسالة من البشر [نُوحِي إِلَيْهِمْ] ونميّزهم عن غيرهم بمحض الوحى وانت مثل سائر الرّسل (ع) اتى بالمستقبل احضاراً للحال الماضية واشعاراً بتكرر الوحى وتجدّده على الرّسل (ع) [مِنْ أَهْلِ الْقُرَى] يعنى من الاناسىّ المتوطّنين فى الارض لا من الاملاك المتنزّلة من السّماء المتمثّلة بصور الرّجال اولا من اهل البدو فانّ البدوىّ لا يستعدّ للرّسالة وقبول الوحى [أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ] ارض العالم الكبير اوالصّغير اوارض القرآن اوارض احكام الشّريعة اوارض السّير والاخبار الماضية [فَيَنْظُرُوا

كَيْفَ كَانَ عٰاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ] من الرّسل و المرسل اليهم المؤمنين و المكذّبين فيعتبروا بحالهم وينصرفوا عن تكذيبك ويقبلوا على تصديقك [وَلَدٰارُ الْاٰخِرَةِ خَيْرٌ] من حسن العاقبة فى الدّنيا الّذى عرفتموه من اخبارهم [لِلَّذِينَ اتَّقَوْا] الشرك وتكذيب الرّسل (ع) [أَفَلَا تَعْقِلُونَ] من حسن العاقبة وسوئها فى الدّنيا حسن العاقبة وسوئها فى الآخرة ؛ وقد قال المولوىّ قدّس سرّه :

سحر رفت و معجزهٔ موسى گذشت هردو را از بام بود افتاد طشت
بانگ طشت سحر جز لعنت نماند بانگ طشت دين بجز رفعت نماند

[حَتّٰى إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ] هو غاية لمحذوف مدلول عليه بسابقه و التّقدير فقد سمعتم طول تكذيب الامم الماضية للرّسل (ع) وامهال الله ايّاهم او فقد كذّب الامم الماضية الرّسل (ع) حتّى اذا استيأس الرّسل (ع) عن ايمان الامم وانجاز الله وعده [وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا] قرئ بالتّشديد والبناء للمفعول وبالتّخفيف و البناء للمفعول و الفاعل وعلى كلّ القراءات يحتمل ارجاع فاعل ظنّوا الى الرّسل و المرسل اليهم المؤمنين والمرسل اليهم المكذّبين وارجاع ضميرانّهم الى كلّ وقدورد فى الخبر فى وجه تخفيف كذبوا والبناء للمفعول وارجاع الضّمائر الى الرّسل انّهم وكّلهم الله الى انفسهم طرفة عين اواقلّ حتّى ظنّوا انّهم قد كذبوا فى وعد النّصر و اتيان العذاب على المكذّبين بتمثّل الشّيطان لهم بصورة الملك الموحى و اخبار النّصر و العذاب [جٰاءَهُمْ نَصْرُنٰا] وذلك لانّه تعالى لغاية رحمته بعباده يتوانى بهم خصوصاً فى وعد نزول العذاب واهلاكهم [فَنُجِّيَ] قرئ نجّى ماضياً مبنيّاً للمفعول من التّفعيل ومضارعاً متكلّماً مع الغير من الافعال، وماضياً معلوماً من الثّلاثىّ المجرّد [مَنْ نَشٰاءُ] من الرّسل (ع) واتباعهم [وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنٰا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ] اتى بالمضارع الدّالّ على الاستمرار مصرّحاً بوصف المهلكين من الامم الماضية بالمجرمين اشعاراً بانّ ذلك ثابت لمن أجرم من اهل كلّ عصر تعريضاً بامّة محمّد (ص) [لَقَدْ كٰانَ فِي قَصَصِهِمْ] قصص اخبار الرّسل (ع) وامهم المؤمنين والمكذّبين ، اوقصص اخبار يوسف (ع) وابيه (ع) واخوته [عِبْرَةٌ] ما يعتبر به ويستبصر [لِأُولِي الْأَلْبٰابِ] فانّ غيرهم يمرّون عليها وهم عنها معرضون يستمعونها كالاسمار [مٰا كٰانَ] هذا القصص اوهذا الكتاب الّذى فيه قصصهم [حَدِيثاً يُفْتَرىٰ] كالاسمار المختلقة [وَلٰكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ] ولكن وحياً من الله لانّه تصديق الّذى بين يديه من الكتب السّماويّة السّالفة والاخبار الحقّة الماضية فى احوال الامم الماضية والشّرائع السّابقة [وَتَفْصِيلَ كُلَّ شَيْءٍ] من احوال يوسف واخوته وابيه اومن الامور الماضية والآتية والسّنن الحقّة والباطلة [وَ هُدىً] يعنى هو حقيقة الهدى من الله تصوّرت بصور الحروف والنّقوش والمعانى الذّهنيّة اوهادياً فانّه هدى باعتبار و هاد باعتبار آخر [وَ رَحْمَةً] من الحقّ تعالى متصوّرة كذلك نازلة اليكم او سبب رحمة [لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ] فانّ غيرهم يضلّهم ذلك القرآن اوالقصص ويصير نقمة عليهم ، نسب الى امير المؤمنين (ع) انّه قال : لاتعلّموا نساءكم سورة يوسف (ع) ولاتقرئوهنّ ايّاها فانّ فيها الفتن ، وعلّموهنّ سورة النّور فانّ فيها المواعظ ؛ والسّرّ فى ذلك انّهنّ لضعف نفوسهنّ سريعة التّأثّر بالمسموع .

سورة الرعد

مكّيّة كلّها، وقيل: مكّيّة الّا آية آخر السّورة، فانّها نزلت فى مثل سلمان وعبدالله بن سلام، وقيل: انّها مدنيّة الّا آيتين وهما قوله تعالى: ولوانّ قرآناً سيّرت، ومابعدها.

عدد آيها عند قرّاء كوفة ثلاث واربعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

[المر] قد مضى نظائره [تِلْكَ اٰيٰتُ الْكِتٰبِ وَالَّذِىٓ اُنْزِلَ اِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ] فى الآية وجوه من الاعراب نظيرما سلف فى اوّل البقرة، والمراد بالّذى انزل القرآن اوالاحكام او القصص اوالولاية [وَلٰكِنَّ اَكْثَرَ النّٰاسِ لٰا يُؤْمِنُونَ اللّٰهُ الَّذِى رَفَعَ السَّمٰوٰاتِ] مبتدء وخبراومبتدء وصفة والخبر يدبّر الامر اويفصّل الآيات مع كون يدبّر الامرحالاً اوصفةً لاجلٍ مسمّىً بتقدير فيه اومستأنفاً جواباً لسؤال مقدّر [بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهٰا] مفهوم القيد يدلّ على انّ هناك عمداً ولكن لاترونها، كماروى عن الرّضا(ع) ولمّا كان تماميّة العرش بوجه بتماميّة خلقة السّماوات و الارض و الاستواء عليه و الاحاطة به بعد تماميّته اشار اوّلاً الى خلقة السّماوات مرتفعة المستلزمة لخلقة الارض، فانّ الارتفاع لايتصوّر الّا بتحقّق الارض ثمّ اتى بالاستواء معطوفاً بثمّ للاشعار بذلك فقال [ثُمَّ اسْتَوٰى عَلَى الْعَرْشِ] قد مضى معنى العرش والاستواء عليه فى سورة الاعراف [وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِى لِاَجَلٍ مُسَمًّى] فى مدّة معيّنة لانقضاء دورة من الفلك وبانتظام تلك المدّة فى دورانها ينتظم امور العالم كماهو مشهود وهو دليل على كمال حكمته وعلمه، اوكلّ يجرى الى غاية معلومة لجريه و هو وقت خراب السّماوات و الارضين [يُدَبِّرُ الْاَمْرَ] المعلوم و هو فعله الّذى هواضافته الاشراقيّة المسمّاة بالمشيّة والولاية المطلقة والحقيقة المحمّديّة(ص)، ومعنى تدبيره انزاله من مقامه العالى وتعليقه بكلّ ما يتعلّق به على وفق التّدبير الكامل والحكمة البالغة فالمعنى ينزّل الامر بالتّدبير الى اراضى القوابل، ولمّا كان الآيات فى مقام الامر بنحو الاجمال والوحدة موجودة بوجود واحد جمعىّ وبعد التّنزيل الى مقام الكثرة تصير موجودة بوجودات متكثّرة مفصّلة قال بعدذلك [يُفَصِّلُ الْاٰيٰتِ] التّكوينيّة الآفاقيّة والانفسيّة والتّدوينيّة

القرآنيّة [لَعَلَّكُمْ] بتدبير الامر على ما اقتضته الحكمة من غير نقص وفتور فيه وبتفصيل الآيات الدّالّة على كمال قدرة صانعها وتكثيرها تعلمون انّ لها صانعاً عليماً حكيماً قديراً ترجعون اليه وبعد ذلك العلم [بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ] فيكون عملكم على ما يرتضيه لا على ما يسخطه [وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ] بسطها لتسهيل توليد النّبات والحيوان فيها و تعيّشها على اكمل وجه [وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ] جبالاً ثوابت لتسهيل اخراج الماء من تحتها واجرائها على وجه الارض لسقى الزّروع والاشجار ولذلك ضمّ الانهار الى الجبال فقال [وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ] فائدة التّأكيد بالاثنين الاشعار بانّ الاهتمام بالعدد لا بالجنس فقط والمراد بالاثنين الحاصل فى الجبال والجزائر من دون تربية مربّ ، والمغروس والمزروع فى البساتين والمزارع بتربية الانسان كما فى قوله ثمانية ازواج من الضّأن اثنين الآية [يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ] يستره ويحيط به [إِنَّ فِي ذَٰلِكَ] المذكور [لَآيَاتٍ] عديدة [لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ] باستعمال عقولهم فى المبادى واستنباط الغايات منها وترتيب الحكم و المصالح عليها ، و لمّا كان فى رفع السّماوات و جعل الارض وسطها و تسخير الشّمس و القمر فى جريهما و فى تدبير الامر وتعليقه بكلّ على حسب حاله ، وفى مدّ الارض وجعل الرّواسى والانهار والاشجار والاثمار و اللّيل والنّهار مصالح لا تحصى و حكم لا تضبط وآيات لا تعدّ و الانتقال اليها يحتاج الى استعمال المتخيّلة باستخدام العقل والانتقال من المبادى اليها خصّصها بالمتفكّرين بخلاف ما بعده ، فانّ كثرتها ليست بهذه المثابة و لذا اكتفى فيه بمحض العقل [وَفِي الْأَرْضِ قِطَعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ] متلاصقات مختلفات فى الاثر و الزّرع [وَجَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ] نخلات من اصل واحد [وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ] فى الثّمر والحبوب من حيث المقدار و الشّكل و اللّون والطّعم [إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ] دالّة على علمه وقدرته و كمال حكمته وعلى انّ الاناسىّ و ان كانوا من اصل واحد قد يختلفون فى الآثار و الاعمال والاخلاق [لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ وَإِنْ تَعْجَبْ] يا محمّد(ص) من انكارهم المعاد مع ظهور دلائله ، اوان تعجب ايّها المنكر للمعاد والاحياء بعد الاماتة ، اوالخطاب عامّ لكلّ من يتأتّى منه الخطاب [فَعَجَبٌ] تعجّبهم عن الاعادة و [قَوْلُهُمْ أَئِذَا كُنَّا تُرَابًا أَئِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ]

اعلم ، انّ الانسان كالعالم الكبير ذو مراتب كثيرة بعضها بالامكان وبعضها بالفعل فمرتبة منه البدن الجسمانىّ ، ومرتبة منه النّفس النّباتيّة ، ومرتبة منه النّفس الحيوانيّة ، ومرتبة منه النّفس الانسانيّة ، ومرتبة القلب ، ومرتبة الرّوح ، وهكذا الى ما لا خبر عنه ولا اسم ولا رسم واكثر النّاس لمّا لم يتجاوزوا المدارك الحيوانيّة ولم يشاهدوا بالشّعور التّركيبىّ المراتب المجرّدة من الانسان بل حصروه فيما شاهدوا منه من مرتبته الجسمانيّة وفعليّته الطّبيعيّة وشاهدوا انّ الموت يفنى تلك المرتبة ويفسدها ، ولم يعلموا انّ انسانيّة البدن انّما كانت عرضيّة بعرض تعلّق النّفس الانسانيّة به وانّه حجاب للانسانيّة مانع عن ظهورها وفعليّتها ولولاه لانجلت كمال الانجلاء قالوا متعجّبين: أئذا متنا ! بنسبة الموت الى انفسهم باعتبار موت البدن و كنّا تراباً ! بنسبة التّرابية والفساد الى انفسهم بترابيّة البدن وفساده أئنّا لفى خلق جديد؟! ولو انّهم علموا انّ البدن مرتبة نازلة من الانسان بل حجاب وقيد له وانّ الانسان حقيقة مجرّدة منزّهة عن الفساد باقية دائمة لما قالوا ذلك [أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ] و قدرته وسعته

و نعمته البالغة فی حقّ الانسان و توسعته و بسطه بحسب مراتب العالم [وَأُولٰئِكَ الْأَغْلٰالُ] النّاشئة من الطّبع و النّفس الحيوانيّة [فِي أَعْنٰاقِهِمْ] فلا يقدرون على ان يرفعوا رؤسهم فيشاهدوا مقامات الانسان فيعلموا انّ فساد البدن لا يفنيه بل يقويه [وَأُولٰئِكَ أَصْحٰابُ النّٰارِ هُمْ فِيهٰا خٰالِدُونَ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ] بالعذاب والعقوبة [قَبْلَ الْحَسَنَةِ] يعنى دون الحسنة فانّه يستعمل تلك الكلمة فى هذا المعنى كثيراً [وَقَدْ خَلَتْ] و الحال انّه قد مضت [مِنْ قَبْلِهِمُ الْمَثُلاٰتُ] جمع المثلة بفتح الميم وضمّ الثاء وفتحها بمعنى العقوبة من مثل بفلان نكّل والمعنى قد مضت العقوبات على الامم الماضية الّذين صاروا امثالاً فى الاشتهار ولا يعتبرون بها لغاية حمقهم وجهلهم، وقرئ المثلات بفتح الميم وضمّ الثّاء اوسكونها، وبضمّ الميم وضمّ الثّاء اوسكونها ، وبفتح الميم والثّاء ، ونسب الى امير المؤمنين وامام المتّقين (ع) انّه قال : احذروا ما نزل بالامم من قبلكم من المثلات بسوء الافعال وذميم الاعمال فتذكّروا فى الخير والشّر احوالهم واحذروا ان تكونوا امثالهم [وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنّٰاسِ عَلىٰ ظُلْمِهِمْ] فلذا لا يجيبهم عن استعجالهم بالعذاب [وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقٰابِ] اذا اخذ العباد [وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلٰا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ] وضع الظّاهر موضع المضمر اشعاراً بانّ كفرهم بالله سترعنهم الآيات الدّالّة على صدقه فاقترحوا نزول آية من الآيات كأنّه لم ينزل عليه شيء من الآيات [إِنَّمٰا أَنْتَ] بشأن الرّسالة لا بشأن الولاية [مُنْذِرٌ] فلا بأس عليك آمنوا اولم يؤمنوا ، قبلوا اولم يقبلوا ، وهو تسلية له (ص) عن عدم اجابة قومه [وَلِكُلِّ قَوْمٍ هٰادٍ] فى عصرك ومن بعدك وقد مضى معنى الانذار وانّ الرّسول كمن ينبّه من النّوم وينذر من المخاوف من كان فى بادية لا طريق فيها الى عمران وكان فيها سباع كثيرة وحيّات مهلكة و موذيات قويّة ولم يشعر بضلالته و بمهلكات تلك البادية فاذا تنبّه و أنذر طلب لامحالة من يدلّه على طريق العمران ويخرجه من تلك البادية ، وذلك الدّالّ هو الهادى الّذى يوصله الى المعمورة [اَللّٰهُ يَعْلَمُ] استيناف كلام لاظهار كمال علمه وقدرته فى مقابل الآلهة الّتى هى فى كمال العجز و الجهل ليكون حجّة على صحّة دعوته وبطلان دعوتها [مٰا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثىٰ] من كلّ نوع من الحيوان يعلم عدد المحمول وذكره وانثاه وحسنه وقبيحه [وَمٰا تَغِيضُ الْأَرْحٰامُ] قد فسّر فى الاخبار غيض الارحام بنقصان عدد الايّام عن تسعة اشهر وبعدم الحمل ، وفسّر بمطلق النّقص سواء كان فى عدد الايّام او فى الخلقة اوفى نقص الرّحم بعدم الحمل اوفى اسقاط الجنين قبل التّمام ، وعلى هذا يجوز حمل ما تحمل على مدّة تحمل فيها يكون ما مصدريّة او موصولة [وَمٰا تَزْدٰادُ] على تسعة اشهر اومطلق الزّيادة فى الخلقة او فى عدد الايّام اوفى عدد المحمول بان يكون اثنين اوثلاثة ، وقد ورد فى الاخبار انّ المرأة ما رأت الدّم فى ايّام الحمل يزداد عدد الايّام على تسعة اشهر بعدده [وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدٰارٍ] لا يتجاوزه ولا ينقص عنه [عٰالِمُ الْغَيْبِ] ما غاب عن المدارك البشريّة [وَالشَّهٰادَةِ] ما يشهده المدارك او عالم عالم الغيب وعالم الشّهادة [الْكَبِيرُ] الّذى لا يوصف [الْمُتَعٰالِ] على كلّ شيء بعظمته [سَوٰاءٌ مِنْكُمْ] فى علمه [مَنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ] يعنى قول من اسرّ القول [وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسٰارِبٌ] بارز [بِالنَّهٰارِ لَهُ] اى لله اولمن اسرّ القول و من جهر به [مُعَقِّبٰاتٌ]

ملائكة يعقّب بعضهم بعضاً، من عقّبه تعقيباً اذا جاء بعقبه [مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ] حفظاً ناشئاً [مِنْ أَمْرِ اللّٰهِ] اومن اجل امر الله، عن الصّادق(ع) انّه قرئ الآية عنده هكذا فقال لقاريها: الستم عرباً؟! فكيف يكون المعقّبات من بين يديه؟- وانّما المعقّب من خلفه، فقال الرّجل: جعلت فداك كيف هذا؟- فقال: انّما انزلت له معقّبات من خلفه ورقيب من بين يديه يحفظونه بأمر الله ومن ذا الّذى يقدر ان يحفظ الشّيء من امر الله وهم الملائكة الموكّلون بالنّاس، وعن الباقر(ع) من امر الله يقول بأمر الله من ان يقع فى ركيّ او يقع عليه حائط او يصيبه شيء حتّى اذا جاء القدر خلّوا بينه وبينه الى المقادير وهما ملكان يحفظانه بالليل وملكان بالنّهار يتعاقبانه، وقيل: يحفظونه من امر الله بالاستمهال والاستغفار [إِنَّ اللّٰهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ] من النّعم [حَتّٰى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ] من حسن الحال والطّاعة والبرّ وصلة الارحام [وَإِذَا أَرَادَ اللّٰهُ بِقَوْمٍ سُوءً فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ] يعنى لا ناصر سواه ولا متولّى لامور النّاس غيره [هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا] خائفين وطامعين او اراءة خوف وطمع اويريكم من البرق خوفاً وطمعاً يعنى يظهر فيكم ذلك [وَيُنْشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ] بالماء يعنى يرفعها الى السّماء [وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ] وتسبيح كلّ بحسبه وكذا حمده [وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ] واجلاله [وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ] فيهلكه [وَهُمْ] لغاية جهلهم وعنادهم وعدم تدبّرهم فى تسخّرهم تحت تلك المسخّرات [يُجَادِلُونَ فِي اللّٰهِ] ومبدئيّته ومرجعيّته وتفرّده بالآلهة و استحقاق العبادة و سائر صفاته [وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ] المماحلة المكائدة، او شديد القوّة من المحل بمعنى القوّة وفسّر بشديد الاخذ وشديد الغضب وهما من لوازم ما ذكر [لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ].

اعلم، انّ الحقّ المطلق هو الأوّل تعالى والحقّ المضاف هو فعله وكلّ حقّ حقّ بحقّيّة فعله بل متحقّق بفعله الّذى هو الولاية المطلقة كما مرّ مراراً، وكلّ قول وفعل وخلق يكون عن ولاية اختياريّة كما انّها آثار اختياريّة فهو حقّ بحقّيّتها، وكلّ مأذون من الله بلا واسطة لدعوة الخلق اليه تعالى اولدعوة الخلق اياه وسيلة بينهم وبين الله فهو داع حقّ ومدعوّ حقّ، ودعوة كلّ داع حقّ وكلّ مدعوّ حقّ هى دعوة الله تعالى ومنتهية اليه وخاصّة به لامدخليّة لاحد فيها من حيث انّ الدّاعى والمدعوّ الحقّين مظهران له تعالى و ما يظهر ويتعلّق بهما يظهر ويتعلّق بالله، واما دعوة الدّاعى الباطل كخلفاء الجور ودعوتهم الى الاسلام و الى الله وكذا دعوة الخلق المدعوّ الباطل كالاصنام و الكواكب وخلفاء الجور باطلة وضائعة كنفس الدّاعى و المدعوّ حيث لايترتّب عليه شيء ولاينتهى به الى شيء، وبالجملة كلّ من لم يأذن الله فى كونه داعياً للخلق اوللوسائط بينه وبين الله اومدعوّاً باطل كائناً من كان ودعوته ايضاً باطلة، وعلى هذا فقوله [وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ] يحتمل ان يكون معناه و الدّاعون الّذين يدعون الخلق الى اتّباعهم من دون اذن الله او حالكونهم من غير الله لايستجيب المدعوّون لهم بشيء وان يكون معناه والمدعوّون الّذين يدعوهم الخلق من دون اذن الله اومن غير الله لايستجيب المدعوّون للخلق بشيء [إِلَّا كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاءِ] الّا كاجابة الماء لمن بسط كفّيه مشيراً اليه و داعياً الى نفسه او مغترفاً له [لِيَبْلُغَ] الماء [فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ] لعدم استشعاره بالاشارة اوعدم حصوله فى الكفّ المبسوطة [وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ] لله [إِلَّا فِي ضَلَالٍ] لانّ الكافر دعاءه لله دعاء للشّيطان من حيث

لايشعر او ما دعاء الكافرين للخلق الى انفسهم او الى الله اوالى غيرهما ، اوما دعاء الخلق للكافرين الّا فى ضلال فى ضياع وعدم ترتّب الأثر وهو كالنّتيجة لسابقه [وَلِلّٰهِ] لالغيره [يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمٰوٰاتِ وَ] من فى [الْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا] السّجود لغة الخضوع و لمّا كان غاية الخضوع السّقوط على التّراب لمن يخضع له سمّى سجدة الصّلوة بالمواضعة الشّرعيّة بالسّجود واذا كان الخضوع عبارة عن كسر الانانيّة عند من يخضع له فكلّما كان هذا المعنى اتمّ كان الخضوع اكمل . ولمّا كان جميع الموجودات بالنّسبة اليه تعالى لاانانيّة لهابل كلّها لهاحكم الاسميّة وعدم النّفسيّة بالنّسبة اليه تعالى ونفسيّة الكلّ هى انيّة الحقّ الاوّل تعالى كان الكلّ سماواتها وسماويّاتها وارضوها وارضيّاتها ذووعلمها وغيرذوى علمها ساجدة لله لعدم انانيّة لها بالنّسبة اليه تعالى ،لكنّ الشّاعرين منها اكثرهم يسجدون طوعاً كالاملاك بانواعها وبعض الاناسىّ والجنّ وبعضهم لايسجدون الّا كرها كبعض الاناسىّ وبعض الجنّ فانّ الكفّار منهما لايسجدون لله طوعاً اختياراً ومن لايسجد طوعاً لله بلا واسطة يسجد لهطوعاً بواسطة مظاهره ، فانّ نفوسهم فطريّة التّعلّق فاذا لم تتعلّق بالله تعلّق بغيره من مظاهره من كوكب وصنم وغيره واقلّه الدّراهم والدّنانير والمواليد الثّلاثة تسجد بصورهاونفوسها تكويناً طوعاً وبعناصرها تسجد لله كرهاً، لانّ العناصر مقسورة فى المواليد على الامتزاج ، وعلى هذا فالاتيان بمن الّتى هى لذوى العقول امّا من باب التّغليب اوباعتبار نسبة السّجدة اليها لانّ السّجود لا يكون الّا من ذوى الشّعور ويسرى حكم السّجدة الى نفس السّماوات والارض لما مرّ مراراً انّ نسبة الحكم الى المظروف تسرى الى الظّرف خصوصاً اذا كان المظروف اشرف من الظّرف [وَظِلٰالُهُمْ] جمع الظّلّ وهوالفيء الحاصل من الشّاخص الّذى ينتقل بانتقاله و يسكن بسكونه و بالجملة لا انانيّة له الّا انانيّة الشّاخص وكلّ موجود علوىّ او سفلىّ له فى مقامه الخاصّ به حقيقة وله اظلال فى العالم الاعلى والاسفل منه والموجودات الطّبيعيّة الارضيّة من المواليد لها اظلال صوريّة حاصلة من محاذاة الشّمس و الكلّ سجّدٌ لله و آخرون طوعاً [بِالْغُدُوِّ] جمع الغدوة [وَ الْآصٰالِ] جمع الاصيل و ما ورد فى الاخبار فى تفسير الظّلال يرتفع اختلافه ممّا ذكرنا ، والسّجود وكذا الغدوّ والآصال فى كلّ بحسبه [قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمٰوٰاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللّٰهُ] اجب عنهم بذلك لانّه لاجواب لهم سواه [قُلْ أَفَاتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيٰاءَ] تقريعاً و توبيخاً لهم على ذلك بعد الاعتراف بربوبيّته لهما [لٰا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ نَفْعًا وَلٰا ضَرًّا] فكيف بغيرهم من امثالهم فضلاً عن تربية السّماوات و الارض اللّتين لا يصلون اليهما ولايحيطون بهما ولا بعلمها [قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمٰى] الّذى لايبصر طريق ضرّه ولانفعه [وَالْبَصِيرُ] الّذى يبصر غيره ويحيط بضرّه ونفعه ويتصرّف فيه كيف يشاء اوهل يستوى الاعمى الّذى لايفرّق بين من لايضرّ ولا ينفع ومن يضرّ وينفع كالمشرك والبصير الّذى يبصر ذلك ويفرّق كالمؤمن [أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمٰاتُ] كالكفر [وَالنُّورُ] كالايمان [أَمْ جَعَلُوا لِلّٰهِ شُرَكٰاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ] صفة لشركاء [فَتَشٰابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ] ولتشابه خلقهم وخلق الله حكموا باستحقاق عبادتهم والحال انّهم اتّخذوا شركاء عاجزين غير قادرين على ماقدروا بانفسهم عليه [قُلِ اللّٰهُ خٰالِقُ كُلِّ شَيْءٍ] فهم مخلوقون فضلاً عن كونهم خالقين [وَهُوَ الْوٰاحِدُ] الّذى لايبقى معه شيء فى الوجود فلاوجود لشيء سواه فضلاً عن الخالقيّة وغيرها من الاوصاف [الْقَهّٰارُ] الّذى كلّ شيء فان تحت وجوده مضمحلّ لا انانيّة له/ [أَنْزَلَ مِنَ السَّمٰاءِ مٰاءً] جواب لسؤال كأنّه قيل: انكان هوالواحد

الّذى لا ثانى له القهّار الّذى لا انانيّة لشيء معه فما هذه الكثرات المشهودة ؟ـ فقال : انزل من السّماء ماءً فظهر الكثرات فلا انانيّة ولا ظهور لشيء منها الّا بذلك الماء الّذى هو فعله بل هو هولاغيروالمقصود تمثيل ظهور الكثرات من امر واحد هو فعل الله و قوامها بذلك الامر بنزول الماء الّذى هو حقيقة واحدة من الجهة الواحدة الّتى هى السّماء وتكثّره بتكثّر الاودية و ظهور الزّبد الغير النّافع عليه [فَسالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِها] نسبة سالت الى الاودية مجاز [فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَداً رابِياً] مرتفعاً على السّيل [وَمِمّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النّارِ] ومن الفلزّات الّتى يوقد النّاس عليها النّارحالكونها فى النّار [ابْتِغاءَ حِلْيَةٍ] كما يصاغ من الذّهب والفضّة و غيرهما [أَوْ مَتاعٍ] ما يتمتّع به كالاوانى وآلات الصّنائع وغيرها [زَبَدٌ مِثْلُهُ] مثل زبد الماء يعنى انّ الزّبد الغيرالنّافع لا اختصاص له بالماء والسّيل بل يكون فى الجوامد والفلزّات الّتى تذاب بالنّار، والمقصود انّ الباطل لا اختصاص له بالتّعيّنات الامكانيّة الّتى هى كزبد الماء بل النّفوس البشريّة الّتى هى كالفلزّات فى شدّة تراكمها و صلابتها تتحمّل زبد باطل الاهوية [كَذلِكَ يَضْرِبُ اللهُ الْحَقَّ وَالْباطِلَ] يعنى انّ مثل ظهور الحقّ و اختلاطه بالباطل مثل نزول الماء و اختلاطه بالزّبد فالممثّل له بحسب مراتب الوجود يحتمل وجوهاً وكذابحسب مراتب العلم اى الوجودالذّهنىّ . فنقول بحسب التّطبيق على الممثّل له ، انزل من سماءالاسماء ماء المشيّة فسالت اودية المهيّات بقدرها فاحتمل الماء السّائل فى اودية المهيّات زبد التّعيّنات والتّكثّرات، فامّا الماء الّذى هو حقيقة متحقّقة فيبقى ، وامّا الزّبد وان كان ساتراً لوجه الماء ظاهراً فى الانظار دون الماء بحيث لايدرك القاصرون فى الادراك الّا ذلك الزّبد والتّعيّنات حتّى قالوا : انّ الوجود اعتبارىّ صرف وانّ المهيّات اصيلة فى التّحقّق فهوباطل مضمحلّ متلاشٍ كلّ شيء هالك الّا وجهه ، وانزل من سماء المشيّة ماء وجودات الاشياء فسالت اودية المهيّات الى الآخر، وانزل من سماءالعقول ماء وجودالنّفوس ومادونهافسالت اودية النّفوس وعالم المثال وعالم الطّبع بقدرها الى الآخر، وانزل من سماءعالم المثال ماء وجود عالم الطّبع الى الآخر، هذا فى الكبير ، وامّا فى الانسان الصّغيرفنقول: انزل من سماءالارواح ماء الحيوة فسالت اودية المدارك الحيوانيّة والمراتب النّباتيّة الى مقام الطّبع فاحتمل السّيل زبد الاخلاق الرّذيلة والاهوية الرّديّة والافعال الذّميمة كما انّ الاخلاق الحسنة والاشواق الآلهيّة والافعال المرضيّة متحقّقة بذلك الماء ، وامّا بحسب العلم والذّهن وهوعين وخارج بوجه فنقول: انزل من سماءالولاية ماء النّبوّة والرّسالة فسالت اودية القلوب والصّدور بحسبها فبعض بحسب استعداد الاتّصاف بالنّبوّة والرّسالة وبعض بحسب استعداد قبول احكامهما فاحتمل السّيل زبد مقتضى الاهواء من الآراء الباطلة والبدع العاطلة المختلطة بمرور الازمان بأحكام الرّسالة والنّبوّة و منه الزّيادة والنّقيصة والتّحريف فى الكتاب الآلهىّ ، اوانزل من سماء النّبوّة ماء الرّسالة اومن سماء الرّسالة ماء الاحكام الآلهيّة ، اوانزل من سماء الرّوح ماء العلم فسالت اودية القلوب والصّدور فاحتمل السّيل زبد مداخلة الاهواء فى العلم ، اوانزل من سماء القلب ماء العلم فسالت اودية الصّدر [فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفاءً] مرميّاً يرمى به السّيل [وَأَمّا ما يَنْفَعُ النّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ] لانتفاع اهلها [كَذلِكَ يَضْرِبُ اللهُ الْأَمْثالَ] كرّرذكر كون الآية مثلاً تأكيداًوتنبيهاًعلى انّها بظاهرها ليست مقصودة ومنظوراًاليها بل المراد بيان حال الحقّ والباطل بالتّمثيل بأمرٍ حسّىٍّ [لِلَّذِينَ اسْتَجابُوا] متعلّق بيضرب الامثال اى يضرب الامثال لحال هؤلآء و هؤلآء

يعنى حالهما كحال الماء والزّبد اويضرب الامثال لبشارة هؤلآء وانذار اولئك ، اويضرب الامثال لانتفاع الّذين استجابوا [لِرَبِّهِمُ] الاستجابة [الْحُسْنٰى وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ] عطف على الّذين استجابوا على الاوّلين وهو مع ما بعده جملة مستأنفة على الثّالث ويجوز ان يكون قوله لِلَّذِين استجابوا خبراً مقدّماً للحسنى مع كون الجملة مستأنفة جواباً لسؤال مقدّر ويكون المعنى للّذين استجابوا لربّهم العاقبة الحسنى والّذين لم يستجيبوا له [لَوْ أَنَّ لَهُمْ مٰا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ أُولٰئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسٰابِ] بان لاتقبل لهم حسنة ولا تغفر لهم سيّئة كما نسب الى الصّادق (ع) او بان نوقش فى حسابهم و استقصى بهم كما فى خبر آخر [وَمَأْوٰيهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهٰادُ] المستقرّ [أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمٰا أُنْزِلَ إِلَيْكَ] لفظة ما كافّة او موصولة اومصدريّة ، ومااُنزل اليه امّاالقرآن تماماً اواحكام الرّسالة جملةً اوالولاية مخصوصة [مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمٰى] عن علم ذلك [إِنَّمٰا يَتَذَكَّرُ] بعدم تشابههما [أُولُوا الْأَلْبٰابِ] لااصحاب الخيال وارباب الالف والعادات، عن الصّادق (ع) انّه خاطب شيعته بقوله انتم اولوا الالباب فى كتاب الله، والسّرّ فى ذلك انّ اللبّ هو العقل الخالص من شوب الوهم والخيال ولايخلص العقل ما لم يتّصل بصاحب العقل ، والاتّصال ان كان بالبيعة العامّة النّبويّة لم يفد تخليص العقل من حيث انّ الرّسول (ص) ببيعته يؤسّس احكام العقل باعانة الوهم والخيال فليس شأن الرّسول تخليص العقل بل تخليطه بقشر الخيال، بخلاف الاتّصال بالبيعة الخاصّة الولويّة فانّ صاحب البيعة الخاصّة من حيث اصل الايمان شأنه تخليص العقل عن شوب الخيال وبهذا الاعتبار يصدق على المتّصل به انّه ذولبّ وان لم يحصل بعد له لبّ ، وايضاً صاحب الولاية باعتبار ولايته لبّ وصاحب الرّسالة باعتبار رسالته كالقشر والمتّصل بالولاية مظهر لصاحب الولاية فهو ذولبّ بهذا الاعتبار ايضاً على انّ التّحقيق انّ الانسان بدون تلقيح الولاية كالجوز الخالى من اللّبّ ولاينعقد لبّه الّا بالولاية ، فانّ البيعة الولويّة يدخل بها كيفيّة من ولىّ الامر فى قلب البائع وبها يتحقّق الابوّة والبنوّة بينهما وهى الايمان الدّاخل فى القلب كما سبق تحقيقه فى مطاوى ماسبق [أَلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللّٰهِ] صفة لاولى الالباب لبيان حالهم او استيناف كلام والخبر اولئك لهم عقبى الدّار والمراد بالعهد هو العهد العامّ النّبوىّ والوفاء به الانتهاء الى آخر اركانه الاسلاميّة وهو البيعة الولويّة الّتى عبّروا عنها فى الاخبار بالولاية [وَلٰا يَنْقُضُونَ الْمِيثٰاقَ] الميثاق الولاية الّذى حصل لهم بالوفاء بعهد النّبوّة ، و تسميته ميثاقاً لكونه عقداً على عقد فانّه بعد عقد البيعة النّبويّة ، و فى الخبر اشارة الى ما ذكرنا [وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مٰا أَمَرَ اللّٰهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ] اوّل ما امر الله به من صلة الارحام الوصلة مع نبىّ الوقت بالبيعة العامّة ، ثمّ الوصلة مع ولىّ الوقت بالبيعة الخاصّة ، ثمّ مع المسلمين بقرابة الرّحم المعنويّة ، ثمّ مع المؤمنين بقرابة الرّحم الولويّة ، ثمّ مع اقربائه بقرابة الرّحم الجسمانيّة وصلة الرّحم مع النّبىّ و الولىّ بعد ما هو أصل من البيعتين وكذا مع كلّ ذى قرابة عبارة عمّا به يحصل اظهار المحبّة و التّرحّم و اقلّه البشاشة فى وجهه عند لقائه و السّرور به و اهداء التّحف اليه و قضاء حاجته [وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخٰافُونَ سُوءَ الْحِسٰابِ] الخشية حالة حاصلة من ادراك لذّة وصال المحبوب و الم فراقه او سطوة عذابه ، و بعبارة اخرى حالة حاصلة من ادراك ذى جمال و سطوة ، و بعبارة اخرى حالة ممتزجة من الخوف و الرّجاء لاخوف صرف ولا رجاء محض و لذا خصّصها بالربّ والخوف بسوء الحساب [وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغٰاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ] وجه الربّ

هو ملكوت ولىّ الامر ، و ابتغاؤه عبارة عن طلب انفتاح باب القلب حتّى يظهر و يتمثّل له ولىّ الامر بملكوته والصّبر لذلك الابتغاء ان لاينصرف عن ذكره القلبىّ الخفىّ اواللّسانىّ الجلىّ، والصّبرعليه يستلزم عدم الجزع وعدم الخروج الى المهويّات [وَ أَقَامُوا الصَّلٰوةَ] باقامة الصّلوة القالبيّة و حفظ حدودها ومواقيتها وادامة الذّكر الّذى هو صلوة الصّدر و اتّصاله بالفكر الّذى هو صلوة القلب وهو تمثّل ملكوت الشّيخ [وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنٰاهُمْ] من الاموال والاعراض الدّنيويّة والقوى والاعراض والجاه والحشمة ومن نسبة الافعال والصّفات والانانيّات الى انفسهم [سِرًّا وَعَلٰانِيَةً] السّرّ والعلانية فى كلّ مقام بحسبه ، فانّ الانسان من اوّل استقرار نطفته فى الانفاق والخلع واللّبس والاستعواض من الله تكويناً وبعد البلوغ بل وقت التّمرين يكلّف بالانفاق من الاموال بل من الفعليّات السّفليّة وان كان لا يشاهد الأعواض ولا المنفق من القوى والفعليّات سوى الاموال الدّنيويّة ، واصل الانفاق سرّاً ان ينفق من فعليّاته وانانيّته من غير شعورٍ منه بالانفاق والمنفق فضلاً عن اطّلاع الغير عليه [وَيَدْرَؤُنَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ] الحسنة هى الولاية وكلّ فعل اوحال اوخلق كان متّصلاً بالولاية كان حسنةً ، والسّيّئة فى الحقيقة هى عدوّ علىّ (ع) وكلّ فعل وخلق وحال متّصل بجهته وطريقه سيّئة، ويجرى الحسنة والسّيّئة فى كلّ فعل يكون مشاكلاً لهما كافعال من كان غافلاً عن ولاية ولىّ الامر [أُولٰئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدّٰارِ] عقبى الدّار غلبت على العاقبة الحسنى كأنّ من كان له العاقبة السّوءى لا عاقبة له [جَنّٰاتُ عَدْنٍ] اقامة [يَدْخُلُونَهٰا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ اٰبٰائِهِمْ وَأَزْوٰاجِهِمْ وَذُرِّيّٰاتِهِمْ] بتبعيّتهم فالمراد بالصّلاح ههنا عدم الفساد و الاستعداد للصّلاح الحقيقىّ والّا فلم يكن لهم حاجة الى ان يدخلوها بتبعيّة غيرهم [وَالْمَلٰائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بٰابٍ] من ابواب قصورهم فى الجنان قائلين [سَلٰامٌ عَلَيْكُمْ بِمٰا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدّٰارِ] غرف المؤمنين وقصورهم وكيفيّة زيارة الملائكة لهم مذكورة فى الاخبار بتفاصيلها [وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللّٰهِ مِنْ بَعْدِ مِيثٰاقِهِ] اى عهد النّبوّة من بعد ميثاقه وتأكّده بعهد الولاية فانّه مرتدٌّ فطرىّ لايقبل له توبة لاظاهراً ولا باطناً ، واماّ النّاقض لعهد النّبوّة والبيعة العامّة فانّه يقبل توبته ظاهراً وباطناً وهو مرتدٌّ ملّىّ لافطرىّ وقد مضى تحقيق واف للارتدادين فى سورة آل عمران عند قوله : و من يبتغ غير الاسلام ديناً [وَيَقْطَعُونَ مٰا أَمَرَ اللّٰهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ] و يحصل اصل القطع بنقض العهد كما سبق [وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ] ارض العالم الكبير والعالم الصّغير وقد مضى فى سورة البقرة تحقيق تامّ لقطع ما امر الله به ان يوصل وللافساد فى الارض عند قوله و يقطعون ما أمر الله به ان يوصل [أُولٰئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدّٰارِ اَللّٰهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ] النّباتىّ و الحيوانىّ والانسانىّ [لِمَنْ يَشٰاءُ وَيَقْدِرُ وَفَرِحُوا بِالْحَيٰوةِ الدُّنْيٰا وَمَا الْحَيٰوةُ الدُّنْيٰا فِي الْأٰخِرَةِ] فى جنب الآخرة او بين الحيوة الآخرة [إِلّٰا مَتٰاعٌ] الاشيء قليل يتمتّع به يسيراً [وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلٰا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ] كأنّهم لم يروا منه شيئاً من الآيات لعماهم وحملهم ما رأوا على السّحر والعادات [قُلْ إِنَّ اللّٰهَ يُضِلُّ مَنْ يَشٰاءُ] بجعله اعمى عن النّظر فى العواقب و فى دعوة الدّاعى وفى آياته ؛ وليست الهداية و الضّلالة بالآية وعدمها [وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أَنٰابَ] ورجع عن جهنّام الطّبع وفرّ من سجن النّفس [اَلَّذِينَ آمَنُوا] بدل

ممّن اناب اواستيناف كلام مبتدء ، وطوبى لهم خبره ، اوخبر مبتدء محذوف والّذين آمنوا وعملوا الصّالحات بدل منه ، اوالّذين آمنوا وعملوا الصّالحات مبتدء ثان اومبتدء اوّل والمراد بالايمان الايمان الخاصّ الحاصل بالبيعة الخاصّة الولويّة [وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللّٰهِ] .

اعلم ، انّ الانسان بعد ما آمن ودخل ما به حصول للايمان من الّذكر الّذى يلقّنه الولىّ فى قلبه يحصل له اطمئنان فى الجملة بالنّسبة الى حال طلبه واشتداد لوعته فيصدق عليه انّه اطمئنّ بذكر الله الّذى اخذه من ولىّ امره ، لكن لا يحصل له اطمئنان تامّ الّا بالوصول الى ملكوت الامام والقرار معه فاذا وصل الى ملكوت الامام واستقرّ معه اطمأنّ من غير شوب اضطراب وهيجان ، وملكوت الامام ذكر الله الحقيقىّ فالمعنى الّذين آمنوا واخذوا ذكراً ممّن آمنوا بواسطته وتطمئنّ قلوبهم بصورة ذلك الّذكر اوبحقيقته الّتى هى ملكوت الشّيخ ، ولذا فسّر الّذين آمنوا بالشّيعة الّذين بايعوا بيعة خاصّة ولويّة و ذكر الله بامير المؤمنين (ع) والائمّة (ع) و فسّر ذكر الله بمحمّد (ص) [اَلا بِذِكْرِ اللّٰهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ] معترضة لتأكيد هذا [الَّذِينَ اٰمَنُوا وَعَمِلُوا الصّٰالِحٰاتِ] حتّى انتهوا الى الّذكر الحقيقىّ فاطمئنّوا بها [طُوبىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَاٰبٍ] الطّوبى وصف بمعنى الطّيّبة والطّيّب ، اومصدر طاب كزلفى وبشرى ، او جمع طيّبة كما فى القاموس اومؤنّث اطيب ، و فسّرت فى الاخبار بشجر فى الجنّة موصوف باوصاف عديدة اصله فى بيت محمّد (ص) اوعلىّ (ع) [كَذٰلِكَ اَرْسَلْنٰاكَ] اى ارسلناك ارسالاً مثل ذلك الارسال من قبيل تشبيه الكلّىّ بالجزئىّ وتمثيله به او كذلك خبر مبتدء محذوف اى الامر كذلك وارسلناك مستأنف [فِي اُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهٰا اُمَمٌ] حتّى تكون الامم الماضية عبرة لهم و تكون انت فيهم اقرب الى التّصديق من الرّسل الماضية (ع) فى اممهم [لِتَتْلُوَ عَلَيْهِمُ الَّذِي اَوْحَيْنٰا اِلَيْكَ] من القرآن والاحكام وقصص الماضين بل اصل ما اوحينا اليك وهو ولاية علىّ (ع) [وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمٰنِ] اى لتتلو عليهم حال كفرهم بالرّحمن لتصرفهم عن كفرهم اولكنّهم يكفرون بالرّحمن [قُلْ هُوَ رَبِّي لَا اِلٰهَ اِلَّا هُوَ] تعميم بعد تخصيص يعنى هو ربّى وربّ كلّ شيء اذ لا اله الّا هو [عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ] فى جملة اموري [وَاِلَيْهِ مَتٰابِ] يعنى لا انظر فى مبدئى ومعادى ومعاشى الى غيره بل انظر الى ربوبيّته وآلهته لنفسى ولكلّ شيء والى حفظه ونصرته فى كلّ حال ولذلك توكّلت عليه ولا ارى لنفسى مرجعاً آخر [وَلَوْ اَنَّ قُرْاٰنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبٰالُ اَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الْاَرْضُ اَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتىٰ] لكان هذا القرآن ، لمّا كان المعروف بين النّاس انّ من النّاس من يقرأ ورداً و ينفخ فيما يريد من تحريك الاحجار و انزال الامطار و من اراءة الامصار واحضار الغيّاب كما هو المعروف فى زماننا هذا من المرتاضين المتشرّعين وغيرهم قال : لو انّ فى العالم مقروّاً يقرأ ويسيّر به الجبال الى الآخر لكان ذلك المقروّ هو هذا القرآن لا غيره وهذا اوفق بقوله [بَلْ لِلّٰهِ الْاَمْرُ جَمِيعًا] من حيث انّه اضراب عن تأثير المقروّ وحصر للتّأثير به تعالى فكأنّه قال : كلّ مقروّ له اثر فى العالم منحصر فى هذا القرآن بمعنى انّه غير خارج منه اذ لا رطب ولا يابس الّا فيه ، ثمّ اضرب وقال : بل لا اثر لشيء من الاشياء الّا لله بمعنى انّ كلّ مؤثّر فانّما هو مؤثّر بمؤثّريّة الله لا بنفسه [اَفَلَمْ يَيْاْسِ الَّذِينَ اٰمَنُوا] فسّر ييأس بيعلم على لغة وقرئ يتبيّن

فی قراءة اهل البیت(ع) وان کان علی معناه المشهور فالمقصود افلم ییأس الّذین آمنوا عن ایمان المشرکین ویکون مابعده تعلیلاً له [أَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ] مفعول افلم ییأس اوالمعنی لانّه لویشاءالله [لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعًا وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا] والحال انّ اسباب الایمان حاصلة لهم من الانذارات البالغة لانّه لایزال الّذین کفروا [تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا] فی کفرهم [قَارِعَةٌ] داهیة تقرعهم من البلایا [أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِنْ دَارِهِمْ] بامثالهم فتدهشهم ویصل الیهم اثرها [حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ] بالعذاب فی الدّنیا من القتل والاسر و النّهب او وعدالله بقبض ارواحهم [إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ] تسلیة له (ص) [فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ] تهدیدٌ للمستهزئین [فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ] استفهام للتّهویل وتطویل فی مقام التّهدید [أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ] مراقباً لها حافظاً علیها اعمالها [بِمَا كَسَبَتْ] کمن لیس کذلک [وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ قُلْ سَمُّوهُمْ] هل کان لهم اسم فی المسمّیات اواخترعتموهم من عند انفسکم واختلقتم لهم اسماء ، او المعنی صفوهم حتّی یعلم هل کان لهم ما یستحقّون به العبادة [أَمْ تُنَبِّئُونَهُ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ] یعنی بل اتخبرونه بشرکاء لا یعلمهم فی الارض؟ ! وهوالعالم بکلّ شیء ، اواتخبرونه باستحقاق شراکة الشّرکاء الّذی لایعلمه فی الارض؟ وهو غایة تسفیه لهم [أَمْ بِظَاهِرٍ مِنَ الْقَوْلِ] یعنی اتخبرونه بأمر خفیّ لایعلمه اوبأمر جلیّ یعلمه کلّ احد؟ والتّقیید بالقول لانّ الاخبار والانباء یتعلّق بالقضایا والنّسب وهی اقوال نفسانیّة، وقیل : المعنی ام تسمّونهم شرکاء بظاهر من القول من دون اعتبار حقیقة له کما تسمّون الزّنجیّ کافوراً لکن لیس لما جعلتموه شرکاء شیءٌ من المذکورات [بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرُهُمْ] مکر رؤسائهم الّذین وضعوا لهم عبادة الشّرکاء واظهروا لهم بتمویهاتهم انّ الشّرکاء یقدرون علی ضرّ اونفع کما کانوا یخوّفون الانبیاء(ع) بالشّرکاء والاصنام [وَصُدُّوا] بتمویه الرّؤساء [عَنِ السَّبِيلِ] سبیل الحقّ و هو سبیل القلب الّتی بها ظهور الولایة التّکوینیّة وحصول الولایة التّکلیفیّة [وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ] لانّ کلّ هادٍ لایکون هدایته الّا هدایة الله فلا تعارض اضلال الله [لَهُمْ عَذَابٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا] بانواع البلایا [وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَقُّ وَمَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ] فی الدّنیا ولا فی الآخرة [مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ] لمّا کان المثل عبارة عن امر ترکیبیّ جعل خبره جملة من غیر عائد لکونها عین المبتدأ [أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا] لاکجنان الدّنیا من حیث انّها منقطعة الاکل والظلّ فی الخریف والشّتاء [تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ] کتاب النّبوّة و احکامها بالتّوبة علی یدک وقبول الاحکام منک [يَفْرَحُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ] من صورة الکتاب وهو القرآن خصوصاً ما انزل فیه من ولایة علیّ(ع) [وَمِنَ الْأَحْزَابِ] ای الفرق المتفرّقة الّذین آمنوا بک او لم یؤمنوا [مَنْ يُنْكِرُ بَعْضَهُ] بعض ماانزل الیک وهو مالایوافق أهوائهم وأغراضهم خصوصاً ولایة علیّ(ع) [قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ]

اطيعه [وَلَا أُشْرِكَ بِهِ] فى الطّاعة شيئاً فكيف يصحّ لى ان اطيع أهواءكم فيما انزل الىّ فأترك بعضه الّذى لا يوافق اهواءكم [إِلَيْهِ أَدْعُوا] لا الى غيره فلا انظر الى اهوائكم موافقة كانت اومخالفة [وَإِلَيْهِ مَآبِ] فلا انظر الّا اليه لا الى اهوائكم [وَكَذٰلِكَ] المذكور من عبادة الله وعدم الاشراك والدّعوة والرّجوع اليه [أَنْزَلْنَاهُ] يعنى انزلناه حال كونه مثل ذلك المذكور يعنى انّه وان لم يكن كلّه صريحاً فى ذلك لكن كلّه راجع اليه [حُكْمًا عَرَبِيًّا] صادراً عن حكمة بالغة له حقيقة فى عالم العقول لا اعرابيّاً لا حقيقة له ولا حكمة فيه وهو حال عن ذلك اوعن مفعول انزلناه [وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ] فى اخفاء ما يكرهونه و خصوصاً ولاية علىّ (ع) [بَعْدَمَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ] بحقّيّته ومأموريّتك ان تظهره [مَا لَكَ مِنَ اللّٰهِ مِنْ وَلِيٍّ] يتولّى تربيتك [وَلَا وَاقٍ] ينصرك فى شدائدك وقد مضى مراراً تفسير الولىّ والنّصير وانّهما كنايتان عن مظهر الولاية ومظهر الرّسالة [وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ] فما كنت بدعاً من الرّسل [وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً] فلا ينبغى ان يعيّروك على التّزويج و الذّريّة [وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ] ممّن مضى [أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللّٰهِ] حتّى يعيّروك على عدم اجابة اقتراحهم اوتحزن على عدم اتيان الآية المقترحة [لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ] لكلّ وقت حكم مكتوب فلا يمكنك الاتيان بالآية المقترحة فى غير وقته ، ولمّا كان ظاهره منافياً لما امر الله من الدّعاء والتّصدّقات وصلة الارحام لدفع الآلام والاسقام وطول العمر بحسب تعميم الاجل والكتاب قال [يَمْحُوا اللّٰهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ] فلا تتركوا الدّعاء والصّدقات وصلة الارحام [وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ] الّذى فيه كلّ شيء من غير تغيير حتّى محو المثبت و اثبات ما لم يكن ، وكتاب المحو و الاثبات فى مقام العلم هو النّفوس الجزئيّة المتقدّره بالاشباح النّوريّة المعبّر عنها بعالم المثال ، وكتاب المحو والاثبات العينىّ هو عالم الطّبع [وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ] اى ان نرك [أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ] فلا بأس عليك ولا تحزن عليه [فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ] وقد بلّغت [وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ] ونحاسب لا محالة [أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا] والمراد بالاتيان اتيان الملائكة المأمورين لذلك اواتيان امره تعالى، ونقصها من اطرافها ذهاب اهلها تدريجاً ، وقد فسّر نقصها من اطرافها بفقد العلماء امّا لانّ العلماء لمّا كانوا من عالم الارواح و نزلوا الى الارض فبذهابهم تنقص الارض و امّا غيرهم فلكونهم مخلّدين الى الارض لا ينقص ذهابهم شيئاً من الارض ، اولانّ الاطراف جمع الطّرف بالتّحريك اوالطّرف بالسّكون بمعنى الشّريف ويجرى الآية فى العالم الصّغير ، ونقصان العالم الصّغير اظهر من العالم الكبير [وَاللّٰهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ] لاراد ّ ولا دافع [وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ] بانبيائهم (ع) ومن آمن معهم كما يمكر قومك فلا يفتروا بمكرهم [فَلِلّٰهِ الْمَكْرُ جَمِيعًا] من حيث انّه يقدر على جميع اسبابه وعلى انفاذه بحسب مشيّته بخلاف غيره لانّ الغير ان هيّأ بعض اسباب المكر فات عنه بعضها وان نفذ مكره بعض النّفوذ لم ينفذ بتمامه على وفق مراده ، والمكر منه تعالى ابراز الاساءة فى صورة الاحسان استدراجاً [يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ] فى مقام التّعليل اوتأكيد للتّهديد المستفاد من قوله : فللّه المكر جميعاً [وَسَيَعْلَمُ الْكُفَّارُ لِمَنْ عُقْبَى الدَّارِ] للماكر اوالمخلص وهو تهديد بسوء العاقبة كما انّ سابقه تهديد

بالمؤاخذة فى الحال [وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا] انكروا رسالتك [قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ].

اعلم، انّ خليفةالله لمّا كان ذاجهتين له وجهة آلهيّة بها يأخذ من الله ووجهة خلقيّة بها يوصل المأخوذ، فاذا تحقّق لوجهته الخلقيّة رجل واحد يأخذ منه كفاه و كفى فى صدق خلافته فقال تعالى: قل انّى رسول الله و فى رسالتى يكفى الله المعطى و الّذى عنده علم الكتاب آخذاً منّى و يكفينى شهادتهما لا حاجة لى فى صدق رسالتى وتبليغى اليكم انكرتم اواقررتم، ومن عنده علم الكتاب لايجوز ان يكون غير علىّ (ع) وان كانوا فسّروه بغيره لانّ العلم المضاف من غير عهد يفيد الاستغراق ولم يدّع احد جميع علم الكتاب من الامّة الّا علىّ (ع) واولاده المعصومون (ع)، فعنه (ع): الا انّ العلم الّذى هبط به آدم (ع) من السّماء الى الارض وجميع مافضّل به النّبيّون (ع) الى خاتم النّبيّين (ص) فى عترة خاتم النّبيّين (ع)، و الاخبار فى هذا المعنى و فى تخصيص علم الكتاب بعلىّ (ع) او به وبالائمّة (ع) كثيرة، وقرئ مِن عنده علم الكتاب بكسر الميم والدّال.

سورة ابراهيم

مكّيّة الّا آيتين نزلتا فى قتلى بدرٍ من المشركين قوله: الم تر الى الّذين بدّلوا نعمة الله كفراً (الى قوله) فبئس القرار

بسم الله الرحمن الرحيم

[الٓرٰ كِتٰبٌ اَنْزَلْنٰهُ اِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النّٰاسَ مِنَ الظُّلُمٰاتِ] ظلمات الكفر، ولمّا كان الكفر ذاظلماتٍ كثيرةٍ متباينةٍ بحسب ما تنتزع الظّلمات منه جمع الظّلمات معرّفةً باللّام، بخلاف النّور فانّه حقيقة واحدة به وحدة المتكثّرات ولذا افرده فقال [اِلَى النُّورِ بِاِذْنِ رَبِّهِمْ] فى اخراجك حتّى يصير طاعتهم لك طاعة لله ولايكون شركاً بالله او فى خروجهم حتّى يكون اخراجك موافقاً لاذن الله و مسبّباً عنه [اِلٰى صِرٰاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ] بدل من قوله الى النّور.

اعلم، انّ الانسان فى اوّل خلقته طبع محض وله قوّة واستعداد بصيرورته نباتاً، ثمّ يصير نباتاً بالفعل وحيواناً بالقوّة، ثمّ يصير حيواناً بالفعل وانساناً بالقوّة، ومازال يشتدّ تلك القوّة الى اوان التّميز الانسانىّ واستعداد ادراك الكلّيّات البديهيّة الّتى لايدركها سائر الحيوان، وحينئذٍ يحصل له انسانيّة ما بالفعل بحيث يصحّ اطلاق اسم الانسان عليه، ومازال يشتدّ ويتقوّى الى اوان البلوغ والرّشد وتعلّق التّكليف به وحينئذٍ يصير انساناً ممتازاً عن الحيوان نحو امتيازٍ اقوى من امتيازه السّابق، لانّه حينئذٍ يدرك الخير والشّر الانسانيّين وطريق تحصيل الخير ودفع الشّر، لكنّه لمّا لم يخرج بعد من تحت حكومة النّفس والنّفس لاترى خيراً الّا مايلائم قواها الشّهويّة والغضبيّة والشّيطانيّة ولاشرّاً الّا ما يضادّ تلك القوى، فهووقع فى ظلمة الطّبع والشّهوة والغضب والشّيطنة ومن كلٍّ ينشأ ظلمات بعضها فوق بعضٍ؛ فان ساعده التّوفيق و دخل تحت حكومة نبىٍّ بالبيعة العامّة او وليٍّ بالبيعة الخاصّة ينجيه ذلك النّبىّ اوالولىّ من حكومة النّفس ويخرجه تدريجاً من ظلماته، وان لم يدخل تحت حكومة خلفاء الله يبقى فى تلك الظّلمات ابد الآباد، اعاذنا الله منها. فارسال الرّسل وانزال الوحى والاحكام عليهم ليس الّا لاخراج العباد بالتّدريج من ظلماتهم الّتى كانوا فيها الى نور القلب و من جهنّام انفسهم الّتى هى سنخ جهنّم الآخرة الى ذروة القلب الّذى هوسنخ جنان الآخرة، والاذن فى الاخراج عبارة عن امره تعالى

للرّسل(ع) بتبليغ الاحكام ، والاذن فى الخروج عبارة عن استعداد الخلق للسّلوك و الخروج من هذه الجهنّام الى تلك الجنان وعن امره التّكوينىّ والتّكليفىّ على السنة الخلفاء بالخروج ، ولمّا كان القلب صراطاً الى العقل والعقل صراطاً الى الحقّ العزيز ابدل من قوله الى النّور قوله الى صراط العزيز الحميد [اَللّٰهِ الَّذِى لَهُ مٰا فِى السَّمٰوٰاتِ وَمٰا فِى الْاَرْضِ] ابدل الله من العزيز اشعاراً بوصفه الى علّة عزّته ومحموديته [وَوَيْلٌ لِلْكٰافِرِينَ] بالله او بمحمّد(ص) او بالكتاب او بالنّور او بالصّراط [مِنْ عَذٰابٍ شَدِيدٍ] الويل الهلاك اوهو وادٍ فى جهنّم اوبئر [اَلَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ الْحَيٰوةَ الدُّنْيٰا عَلَى الْاٰخِرَةِ] صفة للكافرين وبيان له .

اعلم ، انّ الانسان واقع بين الدّنيا والآخرة وبعبارة اخرى بين مراتب النّفس ومدارج القلب وهو فطرىّ التّعلّق ذاتىّ الرّبط فان كفر بالآخرة تعلّق بالدّنيا ، وان كفر بالدّنيا تعلّق بالآخرة ، وكلّ ما تعلّق به اختاره على ما لم يتعلّق به فالكافر بالآخرة لامحالة متعلّق بالدّنيا ومختارلها على الآخرة والمتمكّن فى الكفر بستمرّ استحبابه للدّنيا كما انّ المتمكّن فى الايمان يستمرّ استحبابه للآخرة، والمتلوّن فيهما قد يستحبّ الدّنيا وقد يستحبّ الآخرة ولمّا كان صيغة الكافرين بحسب الاستعمال يتبادر منها المتمكّنون فى الكفر اتى بالاستحباب بصيغة المضارع الدّالّ على الاستمرار وعقّبه بقوله [وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللّٰهِ وَيَبْغُونَهٰا عِوَجًا] مضارعاً دالّاً على الاستمرار والّا فالمتلوّنون فى الكفر كثيراً ما لايصدّون عن سبيل الله ولا يبغونها عوجاً بل يبغونها قيّماً [أُولٰئِكَ فِى ضَلٰالٍ بَعِيدٍ] نسبة البعد الى الضّلال مجاز [وَمٰا اَرْسَلْنٰا مِنْ رَسُولٍ اِلّٰا بِلِسٰانِ قَوْمِهِ] كأنّهم توهّموا انّ الرّسول من الله لابدّ وان يكون لسانه لساناً عربيّاً لايعرفه احد من اصحاب اللّغات ولعلّهم اجروا على السنتهم ذلك فقال: وما ارسلنا رسولًا الّا بلسان قومه [لِيُبَيِّنَ لَهُمْ] فانّ المقصود من الارسال التّبليغ ولايمكن الّا بالبيان الّذى يتفطّن به المرسل اليهم ، وما يقال : انّ الآية تدلّ على انّه (ص) رسول الى العرب خاصّة لايتجاوز رسالته غيرهم فى غاية البعد للفرق بين ان يقال : ما ارسلنا رسولاً الّا بلسان قومه وبين ان يقال : ما ارسلنا رسولاً الا الى اهل لغته [فَيُضِلُّ اللّٰهُ مَنْ يَشٰاءُ وَيَهْدِى مَنْ يَشٰاءُ] بالخذلان والتّوفيق [وَهُوَ الْعَزِيزُ] لايمنع ممّا يشاء [الْحَكِيمُ] لايخذل ولا يوفق الّا عن حكمة مقتضية له [وَلَقَدْ اَرْسَلْنٰا مُوسىٰ بِاٰيٰاتِنٰا اَنْ اَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمٰاتِ اِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ بِاَيّٰامِ اللّٰهِ] قد غلّب اليوم فى العرف للواقعة الغريبة الواقعة فيه فايّام الله على هذا عبارة عن الوقائع الواقعة على الامم الماضية وقد فسّرت فى الاخبار بنعم الله وآلائه ، وهذا التّفسير من تشريف الاضافة الى الله فانّ اليوم المنسوب الى الله لابدّ و ان يكون اشرف الايّام ، وشرافته بانعامه تعالى فيه فاستعمل الايّام فى النّعم الّتى وقعت فيها هذا بحسب الظّاهر ، وامّا على التّحقيق فايّام الله عبارة عن مراتب الآخرة ومقامات الانسان من عالم المثال والنّفوس والصّافّات صفّاً والمقرّبين ومن القلب والرّوح والعقل الى آخر المراتب وكذا المراتب النّازلة من جهنّام النّفس و دركاتها والجحيم وطبقاتها ، ولعلّ التّفسير بالوقائع والنّقم وبالآلاء والنّعم للاشارة الى ما فى تلك المراتب [اِنَّ فِى ذٰلِكَ] التّذكير [لَاٰيٰاتٍ لِكُلِّ صَبّٰارٍ] على البلاء [شَكُورٍ] على النّعماء [وَاِذْ قٰالَ مُوسىٰ] وذكّرهم اذقال موسى [لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللّٰهِ عَلَيْكُمْ اِذْ اَنْجٰيكُمْ مِنْ اٰلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذٰابِ] باستعبادكم [وَيُذَبِّحُونَ اَبْنٰاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ

نِسٰاءَكُمْ] بدل تفصيلىّ [وَفِى ذٰلِكُمْ بَلٰاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ] فى سوء العذاب ابتلاء او فى الانجاء نعمة [وَاِذْتَأَذَّنَ] علم [رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ] نعمة الانجاء [لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ] بالطّغيان وترك العمل بطاعته [اِنَّ عَذٰابِى لَشَدِيدٌ] وقد فسّر الشّكر بمعرفة القلب انّ النّعمة من الله ويقول الحمد لله [وَقٰالَ مُوسىٰ اِنْ تَكْفُرُوا اَنْتُمْ وَمَنْ فِى الْاَرْضِ جَمِيعًا فَاِنَّ اللّٰهَ لَغَنِىٌّ] فلايحصل له حاجة بكفركم [حَمِيدٌ] لاينقص من محموديّته بترككم حمده [اَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ] خطاب من الله لامّة محمّد (ص) اومقول قول موسى (ع) وعلى اىّ تقدير فهو تذكير بالايّام الماضية ليعتبروا ولا يفعلوا مثل ما فعلوا [قَوْمِ نُوحٍ وَعٰادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ] من الرّسل واممهم [لٰا يَعْلَمُهُمْ] عدّة وعدّة ومدّة وحيّزاً وقصّة [اِلَّا اللّٰهُ جٰاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنٰاتِ] باحكام النّبوّة الشّاهدة على صدق الاتى بها بمضمون اعرفوا الرّسول بالرّسالة [فَرَدُّوا اَيْدِيَهُمْ فِى اَفْوٰاهِهِمْ] كناية عن شدّة الغيظ حيث انّ المغتاظ يعض لغاية الغيظ على يده طبعاً كقوله عضّوا عليكم الانامل من الغيظ ، اوكناية عن غاية التّعجّب والاستهزاء لانّ المتعجّب يضع يده على فمه طبعاً، اوكناية عن الاشارة الى الانبياء (ع) بالاسكات فانّ من ارادان يشير الى غيره بالاسكات يضع يده على فم نفسه اشارة الى اسكات المتكلّم ، و قيل : ردّوها فى افواه الانبياء لمنعهم من الكلام و حينئذ يحتمل ان يكون على حقيقته وان يكون تمثيلاً للمنع عن الكلام [وَقٰالُوا اِنّٰا كَفَرْنٰا بِمٰا اُرْسِلْتُمْ بِهِ وَاِنّٰا لَفِى شَكٍّ مِمّٰا تَدْعُونَنٰا اِلَيْهِ مُرِيبٍ قٰالَتْ رُسُلُهُمْ اَفِى اللّٰهِ شَكٌّ فٰاطِرِ السَّمٰاوٰاتِ وَالْاَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ اِلىٰ اَجَلٍ مُسَمًّى] ذكروا صفة الفاطريّة و الخالقيّة الّتى لا يبقى معها شكّ فيه ثمّ ذكروا انّ دعوته لمغفرتكم فى الآخرة ولطول اعماركم فى الدّنيا حتّى يرغبوا فى قبول دعوته [قٰالُوا اِنْ اَنْتُمْ اِلّٰا بَشَرٌ مِثْلُنٰا] فلاامتياز لكم عنّا بانفسكم حتّى تستحقّوا بذلك اتّباعنا لكم ومانرى ممّا تدعوننا اليه شيئاً اذ لاانصراف عن آلهتنا فانتم [تُرِيدُونَ اَنْ تَصُدُّونٰا عَمّٰا كٰانَ يَعْبُدُ اٰبٰاؤُنٰا فَأْتُونٰا بِسُلْطٰانٍ مُبِينٍ] حجّة موضحة لصدقكم اوواضحة الحجيّة حتّى نتّبعكم بذلك [قٰالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ اِنْ نَحْنُ اِلّٰا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ] لاندّعى الامتياز عنكم بحسب البشريّة [وَلٰكِنَّ اللّٰهَ يَمُنُّ عَلىٰ مَنْ يَشٰاءُ مِنْ عِبٰادِهِ] بالوحى والارسال الى العباد وبذلك نمتاز عنكم [وَمٰا كٰانَ لَنٰا اَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطٰانٍ اِلّٰا بِاِذْنِ اللّٰهِ وَعَلَى اللّٰهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ] يعنى نتوكّل و نبلّغ ولا نبالى بكم وبردّكم وقبولكم و اذاكم لكنّهم علّقوا التّوكّل على وصف الايمان اشعاراً بانّ الايمان يقتضى ذلك [وَمٰا لَنٰا اَلّٰا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللّٰهِ وَقَدْ هَدٰيٰنٰا سُبُلَنٰا] جمع السّبل باعتبار جمع الرّسل او باعتبار انّ لكلّ سبلاً عديدة الى الخيرات والشّرور [وَلَنَصْبِرَنَّ عَلىٰ مٰا اٰذَيْتُمُونٰا وَعَلَى اللّٰهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ] يعنى من ارادالتّوكّل فلايتوكّل الّا على الله فانّه الحقيق بان يتوكّل عليه لانّه عالم بجميع جهات ماتوكّل عليه فيه وقادر على حفظه ووافٍ لايخون فيما عليه وكالته [وَقٰالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ اَرْضِنٰا اَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنٰا] ذكر العود لاعتقادهم انّ رسلهم (ع) قبل اظهار الرّسالة كانوا على دينهم [فَاَوْحىٰ

إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ] تقوية لتوكّلهم وصبرهم [لَنُهْلِكَنَّ الظّالِمِينَ وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ] هذا الخطاب لجميع الرّسل فى العوالم الانسانيّة واسكانهم فى الارض الصّغيرة الانسانيّة وكان لبعض الرّسل فى العالم الكبير [ذٰلِكَ] الاهلاك او الاهلاك و اسكان الرّسل (ع) [لِ] انتفاع [مَنْ خافَ] او ذلك الاهلاك و الاسكان كما يكون للرّسل فهو ثابت لمن خاف [مَقامِي] وموقفى للحساب [وَخافَ وَعِيدِ وَاسْتَفْتَحُوا] اى الرّسل (ع) اوالامم المنكرة اوالجميع لانّ كلّا استفتحوا من الله و المعنى طلبوا الفتح على اعدائهم اوالفتاحة و الحكومة بينهم وبين اعدائهم [وَخابَ] فى ذلك الاستفتاح [كُلُّ جَبّارٍ عَنِيدٍ] متكبّر معاند للحقّ منكر له [مِنْ وَرائِهِ جَهَنَّمُ وَيُسْقىٰ مِنْ ماءٍ صَدِيدٍ] الصّديد القيح والدّم الّذى يخرج من الجلود بالنّار و فى اخبارنا هو ما يسيل من الدّم والقيح من فروج الزّوانى فى النّار ووصف الماء الصّديد بتشوية الوجوه وقطع الامعاء واخراجها من دبر صاحبها كثير فى الاخبار [يَتَجَرَّعُهُ] يتكلّفه جرعة جرعة لغاية كراهته له [وَلا يَكادُ يُسِيغُهُ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكانٍ] بحسب اسبابه لانّه يحيط به اسبابه من جميع جهاته [وَما هُوَ بِمَيِّتٍ] فيستريح [وَمِنْ وَرائِهِ عَذابٌ غَلِيظٌ] اعاذنا الله بمنّه وفضله وقدم احسانه، وقد فسّر العذاب الغليظ الّذى له بعد ذلك العذاب بحميم تغلى به جهنّم منذ خلقت كالمهل يشوى الوجوه بئس الشّراب وساءت مرتفقاً [مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ] اى حكايتهم وشأنهم فى احوالهم واعمالهم وقبولها وردّها [أَعْمالُهُمْ كَرَمادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ] حملته واسرعت الذّهاب به [فِي يَوْمٍ عاصِفٍ] اى عاصف ريحه فانّ العصف شدّة الرّيح تعريض بمنافقى الامّة لانّهم اغترّوا بما عملوه فى الاسلام من العبادات و الانفاقات والاعتاقات و تركوا الولاية وكفروا به فكفروا بمحمّد (ص) فكفروا بالله و ان فسّر ربّهم بالربّ المضاف فالمعنى واضح [لا يَقْدِرُونَ مِمّا كَسَبُوا] فى الاسلام [عَلىٰ شَيْءٍ] يعنى لايصلون الى جزاء شيء ممّا كسبوا فانّ سلب القدرة كثيراً مايستعمل فى عدم وصول اليد [ذٰلِكَ] التّعب فى العمل و عدم القدرة على شيء من جزائه مع حسبان انّهم يحسنون صنعاً [هُوَ الضَّلالُ الْبَعِيدُ] نسبة البعد الى الضّلال مجاز [أَلَمْ تَرَ] يا محمّد (ص) او يا من يتأتّى منه الرّؤية [أَنَّ اللهَ خَلَقَ السَّمٰواتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ] اى متلبّساً بالحقّ لانّه لاباطل فيه او بواسطة الحقّ الّذى هو الولاية المطلقة فلابأس بانكارهم ولا نقص لها بذلك الانكار [إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ] ابرز الامر المتحقّق فى معرض المشكوك تهديداً لهم لانّه يوهم الاذهاب فى الآن الحاضر و الّا فليس له شأن سوى الاذهاب و الاتيان بخلق جديد [وَما ذٰلِكَ عَلَى اللهِ بِعَزِيزٍ] بمتعذّر ولا متعسّر لانّه واقع [وَبَرَزُوا لِلّٰهِ جَمِيعاً] يعنى يوم القيامة ، أتى بالماضى للدّلالة على تحقّق وقوعه اولانّ الخطاب لمحمّد (ص) وامر القيامة مشهود له [فَقالَ الضُّعَفاءُ] اى الاتباع [لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا] اى المتبوعين و قد فسّر على الاستكبار بترك الطّاعة لمن امروا بطاعته و التّرفّع على من ندبوا الى متابعته [إِنّا كُنّا لَكُمْ تَبَعاً] استغاثوا بهم كما ظنّوا فى الدّنيا انّهم يغيثونهم فى الآخرة لانّ المراد بالرّؤساء هم المترئّسون فى الدّين صورة لا رؤساء الدّنيا و استعطفوهم بذكر تبعيّتهم لهم [فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنّا] دافعون عنّا [مِنْ عَذابِ اللهِ مِنْ شَيْءٍ قالُوا] فى جوابهم [لَوْ هَدانَا اللهُ] فى الدّنيا

و ههنا الى طريق النّجاة علّقوا تقصيرهم على عدم هداية الله كما هو ديدن النّساء بعد ما اعترفن بسوء فعلهنّ، اوالمرادبهذاالشّرط الشّرط فى الاستقبال يعنى ان هدينا الله ههنا الى طريق الخلاص [لَهَدَيْنَاكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْنَا] يعنى عليكم وعلينا [أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَالَنَا مِنْ مَحِيصٍ] منجى ومهرب [وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ] اى امرالدّنيا، [إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ] انّ الله بلسان مظهره محمّد(ص) وعلىّ(ع) وعدكم وعد الحقّ [وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ] تسلّط و اجبار [إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ] استثناء منقطع اى دعوتكم وزيّنت لكم الكفر والعصيان [فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي] فانّى كنت عدوّاً لكم وماكان عداوتى مخفيّة عليكم ومن قبل قول العدو يلام، على انّ المدعوّ الى الشّر اوالى مالايعلم ضرّه ونفعه ملوم فى اجابته [وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ] اى تبرّأت من اشراككم ايّاى بالله فى الطّاعة واشراككم ايّاى بعلىّ(ع) فى الولاية [إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ] من تتمّة كلامه او استيناف من الله وحكاية امثال هذه انّما هى للتّنبيه على انّ اهل الدّنيا فى الحقيقة هم اهل النّار لانّهم كلّما اتّفقوا على امر ولا يقضون منه مرامهم يلعن بعضهم بعضاً ويتبرّء بعضهم من بعض ويرمى بذلك الامر بعضهم بعضاً [وَأُدْخِلَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً] على(ع) ودعوته هو الكلمة الطّيّبة [كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ] من حيث الاثمار لايتضرّر احد بثمرها، ومن حيث الرّيح والظّلّ والمنظر [أَصْلُهَا ثَابِتٌ] لا يتحرّك ولا ينقل من مكانه [وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ] فى الصّيف و الشّتاء و الخريف والرّبيع [بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ] لانّهم لا يدركون المعقولات الّا بالصّور المحسوسة [لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ] عن الصّادق (ع) انّه سئل عن الشّجرة فى هذه الآية فقال: رسول الله (ص) اصلها، وامير المؤمنين(ع) فرعها، والائمّة من ذرّيّتهما اغصانها، وعلم الائمّة(ع) ثمرتها، وشيعتهم المؤمنون ورقها، والاخبار بهذا المضمون كثيرة [وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ] غيّر الاسلوب بانّ المقصود بالذّات من ضرب الامثال هو الاخيار وامثالهم وامّا الاشرار فليست مقصودة الّا بالتّبع [اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ] لانّها لاثبات لها كالمرأة الّتى لاثبات لها على شيء من آرائها و اقوالها وعهودها [مَالَهَا مِنْ قَرَارٍ يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ] كالنّتيجة لماقبله يعنى بعدماعلم انّ محمّداً(ص) وعليّاً(ع) هما الشّجرة الطّيّبة الثّابتة فمن آمن بهما يثبّته الله بهما وهما القول الثّابت اوبايمانه وهو ايضاً قول ثابت [فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا] فلايشكّون فى دينهم وفى آخر الحيوة الدّنيا فلايمكن للشّيطان ان يفتنهم عند الموت [وَفِي الْآخِرَةِ] فلا يزلقون الى النّار [وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ] الّذين انصرفوا عن الشّجرة الطّيّبة الى الشّجرة الخبيثة لانّهم ظلموا انفسهم بمنعها عن حقّها الّذى هو اتّباعها للشّجرة الطّيّبة وظلموا آل محمّد(ص) بمنعهم عن حقّهم الّذى هو انقيادهم لهم واضلالهم يكون عن طريق الجنان الى الجحيم كما انّهم ضلّوا فى الدّنيا عن صاحب الجنان الى صاحب الجحيم [وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ] امّا من قبيل لايسأل عمّا يفعل، اوالمقصود رفع الاغترار عن المؤمنين ورفع اليأس عن

الكافرين بامكان التبديل [اَلَمْ تَرَ اِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللهِ كُفْرًا وَ أَحَلُّوا قَوْمَهُمْ] فى العالم الصّغير وفى العالم الكبير [دٰارَ الْبَوٰارِ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهٰا وَبِئْسَ الْقَرٰارُ] وقد فسّر فى الاخبار الّذين بدّلوا نعمة الله بالافجرين من قريش بنى اميّة وبنى المغيرة، ونعمة الله بمحمّد (ص) وفسّروا بقريش قاطبة ونعمة الله بمحمّد (ص) و فسّر نعمة الله بعلىّ (ع) والمبدّلون بالمنحرفين عنه (ع) [وجعَلُوا لِلّٰهِ اَنْدٰادًا] كالاصنام والكواكب وغيرها، او جعلوا لله فى العالم الصّغير اندادا من انانيّاتهم فانّ مبدء الانداد فى الخارج هى الاصنام الدّاخلة او جعلوا لله بحسب مظاهره اندادا يعنى جعلوا لمحمّد (ص) وعلىّ (ع) اندادا [لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِهِ] وهو علىّ (ع) وطريق الولاية [قُلْ تَمَتَّعُوا] تهديد بصيغة الامر [فَاِنَّ مَصِيرَكُمْ اِلَى النّٰارِ قُلْ لِعِبٰادِيَ الَّذِينَ اٰمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلٰوةَ] ترك مقول القول للاشارة الى انّ قوله (ص) وتوجّهه اليهم يؤثّر فيهم بحيث يجعلهم على اشرف اوصاف الانسان وهو اصل جملة العبادات يعنى اقامة الصّلوة وايتاء الزّكوة فلاحاجة الى تقدير المحكىّ، وتخصيص القول بان يقال قل : اقيموا الصّلوة يقيموا الصّلوة [وَيُنْفِقُوا مِمّٰا رَزَقْنٰاهُمْ] من الاعراض و القوى العمّالة والعلّامة والوجاهة والحشمة [سِرًّا] من النّاس ومن المنفق عليه ومن الملائكة ومن انفسهم [وَعَلٰانِيَةً] ويحتمل ان يكونا متعلّقين برزقناهم اشارة الى النّعم الظّاهرة و الباطنة [مِنْ قَبْلِ اَنْ يَاْتِيَ يَوْمٌ لاٰ بَيْعٌ فِيهِ] فيبتاع المقصّر ما يتدارك به تقصيره اويبيع ماله ويفدى بثمنه نفسه [وَلاٰ خِلاٰلٌ] لا محالة بين احد فيشفع الخليل لخليله [اَللّٰهُ الَّذِى خَلَقَ السَّمٰوٰاتِ وَالْاَرْضَ] لاغيره فمابالكم يأمركم بالانفاق مع انّ الكلّ بيده فتبخلون [وَاَنْزَلَ مِنَ السَّمٰاءِ مٰاءً فَاَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرٰاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِى الْبَحْرِ بِاَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْاَنْهٰارَ وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دٰائِبَيْنِ] على نظام واحد من غير تغيّر عن طريقهما فى الحركة [وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهٰارَ] وبتسخيرهما يتولّد ويحصل اصول معيشتكم [وَاٰتٰيكُمْ مِنْ كُلِّ مٰا سَاَلْتُمُوهُ] بلسان الاستعداد وان كان قد لايعطى ماسألتموه بلسان القال، وقرأ الصّادقان (ع): من كلّ بالتّنوين و لعلّه كان اوفق بالمقصود اذ السّؤال بلسان الحال لايتخلّف المسؤل عنه والله تعالى يعطى كلّا من كلّ شيء بقدر ذلك السّؤال ؛ ولسان القال ان لم يكن موافقا للسان الحال يتخلّف المسؤل عن السّؤال كما يشاهد من اكثر السّائلين المتضرّعين الّذين يتخلّف عنهم مسؤلهم .

اعلم ، انّ الله تعالى ناظر الى سؤال الاستعداد ومعط بقدره فالمادّة الانسانيّة تسأل نضجا بالقوى النّباتيّة من الغاذية بجنودها و النّامية بجنودها و المولّدة باعوانها ، ومستقرّا من الكليتين والبيضتين وبعد تمام نضجها تستدعى وعاء تستقرّ فيه و تنمو و تتبدّل من صورة الى صورة و من حال الى حال وتستدعى مربّيا يربّيها من اللّنفوس البالغة و متصرّفا فى ذاتها من القوى النّباتيّة بمراتبها الى ان يبلغ اوان تولّدها و بعد التّولّد تستدعى الف الف ملك والف الف قوّة بها يتمّ فعلها ونموّها وبلوغها وخروجها من الدّنيا الى الآخرة فأعطاها الله كلّها، هذا بحسب ما ندركه بمدركاتنا القاصرة و امّا ما لاندركه فغير متناهية الى حدّ [وَاِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللّٰهِ] التى اعطاكموها بمسئلتكم [لاٰ تُحْصُوهٰا اِنَّ الْاِنْسٰانَ لَظَلُومٌ كَفّٰارٌ] جواب سؤال عن حال الانسان بازاء تلك النّعم يعنى انّه ظلوم لانّه لا يستعمل النّعم فيما اعطيت له ويمنع المستحقّ عن الحقّ و يعطى لغير المستحقّ ،

وكفّار لأنّه يستر انعام الحقّ فى النّعمة ولا ينظر الى الانعام ولا الى المنعم بل الى ذات النّعمة من غير اعتبار كونها نعمةً من غيره بل يضيفها الى نفسه ويقول: انّما اوتيته على علمٍ واستحقاقٍ من نفسى [وَإِذْ قَالَ إِبْرٰهِيمُ] واذكر اذ كرّ قومك دعوة ابراهيم (ع) ومقالته فانّ فيها ترغيباً الى الخيرات وترهيباً عن الاشراك ومعرفةً لبعض اوصاف الله وتعليماً لطريق التّضرّع والمسألة منه وبياناً لشرف ذرّيّته وفى بيان شرفهم ترغيب للخلق اليهم، وفى رغبتهم اليهم نجاة لهم فى الآخرة وشرافة فى الدّنيا [رَبِّ اجْعَلْ هٰذَا الْبَلَدَ اٰمِنًا] ذا امنٍ.

اعلم، انّ بلدة مكّة وعمارتها كانت بسعى ابراهيم (ع) وتعميره كما انّ البيت كان بسعيه وتعميره فكان البلد مظهراً لصدره المنشرح بالاسلام المطهّر من الوساوس والارجاس، والبيت مظهراً لقلبه الّذى هو بيت الله الحقيقىّ و قد اجاب تعالى شأنه دعاءه حيث جعل صدره مأمناً عن كلّ شرّ و فساد و بلده مأمناً بالمواضعة لامره التّكليفىّ ان لا يتعرّض لاحدٍ ولا لحيوان ولا نبات كان فى الحرم [وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ] المصنوعة اواصنام الاهوية اوكلّ ما يطاع ويعبد من دون اذن الله [رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ] صرن سبباً لاضلالهم او اضللن بما ظهر من الشّيطان على صورهنّ من خوارق العادات و ايضاً رؤساء الضّلالة الّذين هم الاصنام البشريّة اضللن كثيراً من النّاس [فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي] الفاء جواب شرطٍ محذوفٍ كأنّه قال: فان أجبتنى الى مسؤلى فمن تبعنى فانّه منّى فأجبنى فى حقّه ايضاً و المقصود بالتّبعيّة التّبعيّة الحقيقيّة الّتى تحصل بالبيعة العامّة اوالخاصّة ولمّا كان التّابع يصير بتلك البيعة مرتبطاً بالمتبوع بل متولّداً منه من حيث لطيفته التّابعة الرّوحية فالتّابع بتلك التّبعيّة يصير جزءً من المتبوع فيصير بعضاً منه ويصير متولّداً منه فيصير ناشئاً منه [وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ] فعاملهم بشأنك لا بشأنهم وقد ورد فى اخبارنا الامامية انّ من أحبّنا فهو منّا، ومن اطاعنا فهو منّا، ومن اتّقى وأصلح فهو منّا اهل البيت [رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي] بعض ذرّيّتى و هو اسماعيل وقد ورد فى اخبارنا: نحن بقيّة تلك الذرّيّة ونحن هم، ونحن بقيّة تلك العترة وكانت دعوة ابراهيم (ع) لنا خاصّةً [بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ] وادى مكّة [عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ] الّذى حرّم التّهاون به والتّعرّض بمن كان فى نواحيه وماكان فيها [رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلٰوةَ] لمّا كان المقيم فى بلد الصّدر المنشرح بالاسلام والطّائف حول بيت القلب مقيماً للصّلوة متوجّهاً الى الله وكان بلد مكّة وبيت الكعبة مظهرين لهما كان من كان مقيماً فيهما وكان فيه لطيفة آلهيّة يتوجّه الى الله توجّهاً اقوى واتمّ، ولذلك جعل الغاية اقامة الصّلوة [فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ] اى من بعضهم، وفى اخبارنا انّه لم يعن النّاس كلّهم اولئك انتم ونظراؤكم؛ بالخطاب لشيعتهم، وورد انّه: ينبغى للنّاس ان يحجّوا هذا البيت ويعظّموه لتعظيم الله اياه وان يلقونا حيث كنّا، نحن الادلّاء على الله [تَهْوِي إِلَيْهِمْ] قرئ بكسر الواو وفتحها من هوى اذا سقط، وهوى اذا احبّ، وعلى اىّ تقديرٍ فهو يدلّ على كمال المحبّة والاشتياق، وورد فى اخبارنا: انّ دعوة ابراهيم (ع) كانت فى حقّنا حيث لم يقل تهوى اليه حتّى يرجع الى البيت بل قال اليهم حالكون الضّمير راجعاً الى الذّرّيّة، وفى هذه الدّعوة طلب للتّوسعة على الذّرّيّة و طلب للنّجاة و الفلاح للخلق [وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ] ثمرات الاشجار الطّبيعيّة و ثمرات الاشجار الرّوحيّة وهى الوداد و الانقياد والذّوق والمعرفة والوصال والاتّحاد وغير ذلك ممّا يظهر فى المعاد [لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ] وبعد اتمام ما اراد من الدّعاء انتقل من مقام التّضرّع الى مقام الثّناء مثنياً بما يعين

على اجابة دعوته فقال [رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ] فانت العالم بحاجاتنا ومصالحنا سألنا اولم نسأل [وَمَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ] تعميم بعد تخصيص والتفات من الخطاب الى الغيبة اشارة الى تنزّله عن مقام الحضور ثمّ انتقل عن مقام الثّناء الى مقام الالتفات الى النّعمة والقيام بشكرها فقال [الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ] مشتملاً على كبر السّن و اليأس عن الولد قيّد الثّناء به اظهاراً لعظمة النّعمة دلالة على كمال القدرة [إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَقَ] قيل ولد اسماعيل(ع) حالكونه ابن تسع وتسعين، وولد اسحاق(ع) حالكونه ابن مائة واثنتى عشرة سنة [إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ] ذكر ذلك اظهاراً لنعمة اخرى هي اجابته له فى دعاء الولد، ورجاءً لاجابة دعائه الماضى وتمهيداً لاجابة دعائه الآتى [رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَوٰةِ] اقامة الصّلوة بان يكون صلوة القالب متّصلة بصلوة القلب وهى متّصلة بصلوة الرّوح [وَمِنْ ذُرِّيَّتِي] لمّا علم انّ اقامة الصّلوة بحيث صارت سجيّة للمصلّى المستفاد من لفظ مقيم الصّلوة خاصّة بمن له درجة النّبوّة اوالولاية وانّ جميع ذراريه لايكونون انبياء اتى بمن التّبعيضيّة [رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ] بالاجابة [رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ] آدم(ع) وحوّاء(ع) كما نسب الى الخير اووالديه القريبين، ونسب الى اهل البيت(ع) انّهم قرأوا لولدىّ يعنى اسماعيل(ع) واسحاق(ع) [وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ] استيناف كلام من الله اوعطف على اذقال وعامله والخطاب لمحمّد (ص) اولكلّ من يتأتّى منه الحسبان [غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ] وعيد للظّالم ووعد للمظلوم [إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ] بالامهال [لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ] تبقى مفتوحة لايقدرون ان يطرفوا [مُهْطِعِينَ] مسرعين الى اجابة الدّاعى [مُقْنِعِي رُؤُسِهِمْ] رافعيها [لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ] لايقدرون ان ينظروا الى انفسهم لكمال دهشتهم وحيرتهم [وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ] خلاء عن الرّأى لفرط الوحشة، اوعن الخير لغلبة الشّقوة، وقيل: متصدّعة من فرط الدّهشة [وَأَنْذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ] من يوم يأتيهم العذاب اوهو مبنىّ وبدل من يوم تشخص فيه الابصار اوهو ظرف للافعال السّابقة اومتعلّق بذكّر بدلاً من انذر النّاس والمراد منه يوم حضور الموت [فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ الرُّسُلَ أَوَلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِنْ قَبْلُ مَا لَكُمْ مِنْ زَوَالٍ] اى يقال لهم ذلك [وَسَكَنْتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ] يعنى استنتم بسنتهم ووقفتم فى مقامهم اوسكنتم فى منازلهم الصّوريّة بحيث شاهدتم آثار عذابهم وهلاكهم [وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ الْأَمْثَالَ] موافقة لاحوالكم وانتقالكم الى الآخرة، اوضربنا لكم امثال الّذين ظلموا حتّى تتنبّهوا وتجتنبوا مثل افعالهم [وَقَدْ مَكَرُوا] صرف الخطاب عنهم اوالضّمير راجع الى الّذين ظلموا [مَكْرَهُمْ] ماكان فى وسعهم وجهدهم [وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ] يعنى مكرهم ثابت عندالله فيجازيهم عليه، اوعندالله مكرهم فلاينفذ ولايؤثّر الاباذنه، اوعندالله مكرهم يعنى انّ بمكر بهم مكراً لاثقاً بحالهم [وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ] انّه كان مكرهم اوان شرطيّة وصليّة اونافية اى وان كان مكرهم لعظمه مستعدّاً [لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ] وماكان مكرهم لتزول منه الجبال بل كان اعظم، وقرئ بفتح اللّام ورفع الفعل على

انيكون انهى المخفّفة واللّام للفصل [فَلا تَحْسَبَنَّ اللّٰهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ] بوعدالنّصرة واسكان الارض من غير معاند [إِنَّ اللّٰهَ عَزِيزٌ ذُو انْتِقامٍ] فى موضع التّعليل [يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ] بدل من يوم يأتيهم العذاب اوظرف لمخلف وعده اولعزيزٌ اولذوانتقام اومتعلّق بذكّر اواذكر مقدّراً [غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمٰواتُ] او تبدّل ارض عالم الطّبع ارض عالم البرزخ وارض عالم المثال وذلك حين ظهور القائم عجّل الله فرجه فى العالم الصّغير بالموت الاختيارىّ اوالاضطرارىّ ، وهوحين اتيان السّاعة والقيامة الصّغرى كما فسّر السّاعة بظهور القائم وبالقيامة وتلك الارض المبدّلة لمّا لم يكن معهامادّة حاجبة وظلمة وامتداد مكانىّ وبعد جسمانىّ لاترى فيهاعوجاً ولا امتاً بحيث ترى البيضة الّتى فى المغرب من المشرق ، وكذا لا يحجب اهل تلك الارض ولاقصورها بعضها بعضاً بل يرى الكلّ فى الكلّ ومن وراء الكلّ ، لانّ الكلّ مرائى متعاكسات وغيرحاجبات لما وراءها و لذلك قال [وَبَرَزُوا لِلّٰهِ الْواحِدِ الْقَهّٰارِ] بحيث كلّما كان باطناً منهم فى الدّنيا صار بارزاً هناك وتحدّث الارض اخبارها بابراز ما كان مكموناً فيها ، والتّوصيف بالوحدة و القهّاريّة لظهورسلطان الوحدة هناك [وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفادِ] جمع الصّفد بمعنى القيد وذلك لانّ اصفادهم المكمونة فى الدّنيا تبرزهناك [سَرابِيلُهُمْ] قمصانهم [مِنْ قَطِرانٍ] القطران بفتح القاف وكسر الطّاء وهوقراءته بالفتح والسّكون وبالكسر والسّكون شيءٌ اسود منتن يحلب من الابهل وهو شجر كبيرورقه كالطّرفاء يطلى به الابل الجربى يحرق الجرب بحدّته ويشتعل النّارفيه سريعاً، والمقصود انّهم يطلون بالقطران فيجعل لهم كالقمصان حتّى يتأذّوا بريحه ولونه وحدّته ويسرع اليهم اشتعال النّار، وقرئ من قطرٍ آنٍ كلمتين منوّنتين والقطرهو الصّفر المذاب والانى البالغ فى الحرّ وكأنّه بهذه القراءة فسّر فى الاخبار بالصّفر المذاب [وَتَغْشىٰ وُجُوهَهُمُ النّٰارُ] كناية عن غاية عجزهم وشدّة ابتلائهم فانّ الانسان مهما كان له قدرة وحراك يدفع الموذى عن وجهه وان كان بجعل بعض اعضائه جنّة له [لِيَجْزِيَ اللّٰهُ كُلَّ نَفْسٍ مٰا كَسَبَتْ] متعلّق بتبدّل الارض اوبرزوا [إِنَّ اللّٰهَ سَرِيعُ الْحِسابِ هٰذٰا] المذكور ههنا من قوله ولا تحسبنّ الله (الى آخرالآية) واماّ كونه اشارة الى القرآن او الى السّورة فبعيد لانّ هذاالكلام يقال فيما لاقدرله بالاضافة الى غيره فيقال هذاالقدربكفى [بَلاغٌ] كفاية وكاف [لِلنّٰاسِ] اى لجملة المؤمنين والكافرين [وَلِيُنْذَرُوا بِهِ] اى لينصحوا به ولينذروا، اوالمعطوف محذوف اى وانزل لينذروا به [وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمٰا هُوَ إِلٰهٌ واحِدٌ] انّماالله اله ومستحقّ للمعبوديّة واحد لا ثانى له فى المعبوديّة [وَلِيَذَّكَّرَ أُولُوا الْأَلْبابِ] رتّب على كونه بلاغاً ثلاث فوائد: الانذاربالنّسبة الى الكفّار، والعلم بوحدانيّته بالنّسبة الى المستعدّين للايمان، والتّذكّر بالنّسبة الى المؤمنين العالمين ، ويحتمل ان يكون المعنى هكذا: هذا المذكورنزل لبلوغه الى النّاس، ولينذروا به ، فيكون لينذروا به عطفاً على بلاغٌ باعتبار المعنى .

سورة الحجر

تسع وتسعون آية وهي مكّيّة كلّها ، وقيل : الّا قوله : ولقد آتيناك سبعاً من المثاني والقرآن العظيم ، والّا قوله : كما أنزلنا على المقتسمين

[الجزء الرّابع عشر]

بسم الله الرحمن الرحيم

[الٓرٰ تِلْكَ اٰيٰاتُ الْكِتٰابِ وَقُرْاٰنٍ مُبِينٍ] ظاهر الصّدق و المعنى اوبيّن الغيّ عن الرّشد و الحقّ عن الباطل ، وعطف القرآن على الكتاب للاشارة الى انّ المشار اليه كما انّه آيات كتاب النّبوّة وكتاب الفرق كذلك آيات كتاب الولاية وكتاب الجمع ، و تنكير القرآن للاشارة الى انّه آيات شأن من شؤن الولاية لا انّه آيات حقيقة الولاية [رُبَمٰا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كٰانُوا مُسْلِمِينَ] قرئ بتخفيف ربّ و تشديدها و ما كافّة او نكرة موصوفة ، و لو للتّمنّى او مصدريّة ؛ و المعنى يودّ الّذين كفروا كثيراً اسلامهم حين الافاقة من سكر اهويتهم او حين الملال من تعب كفرهم ، و استعمال ربّ للتّكثير كاستعماله للتّقليل شائع كثير ، و فى ربّ ستّ عشرة لغة ضمّ الرّاء و فتحها مع تشديد الياء و تخفيفها مفتوحة و الكلّ مع تجرّدها عن التّاء و اتّصالها بها حالكون التّاء ساكنة و مفتوحة و ضمّ الحرفين مع التّشديد و التّخفيف و ضمّ الرّاء و فتحها مع اسكان الباء مخفّفة [ذَرْهُمْ يَاْكُلُوا] كما يأكل الانعام فانّ المقصود منه هذا المعنى فى مثل المقام [وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ الْاَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ] عاقبة كفرهم وهو اقناط للرّسول عن اسلامهم و توهين و تهديد لهم [وَمٰا اَهْلَكْنٰا مِنْ قَرْيَةٍ اِلّٰا وَلَهٰا كِتٰابٌ مَعْلُومٌ] اجل مكتوب مثبت والمستثنى مفرّغ واقع موقع الحال ويكفى فى صحّة كون القرية ذا الحال وقوعه نكرة عامّة فى سياق النّفى [مٰا تَسْبِقُ مِنْ اُمَّةٍ اَجَلَهٰا وَمٰا يَسْتَاْخِرُونَ وَقٰالُوا يٰا اَيُّهَا الَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ] يعنون محمّداً (ص) [اِنَّكَ لَمَجْنُونٌ] يعنون انّك تدّعى بطلان عبادة الاصنام الّتى كانت قديمة و تدّعى التّوحيد الّذى ما سمعنا به من اسلافنا وليس هذا الّا بجنونك وعدم تأمّلك فى انّ مثل هذا لا يقبل وانّه لا ينفع لك ولا يحصل لك الغرض منه [لَوْ مٰا تَاْتِينٰا بِالْمَلٰائِكَةِ] فانّ لله ملائكة كثيرة لو كان ارسلك الينا رسولاً لانزل معك ملائكة [اِنْ كُنْتَ مِنَ الصّٰادِقِينَ] فقال تعالى ردّاً عليهم

[مٰانُنَزِّلُ الْمَلٰائِكَةَ] قرئ بالنّون وبالياء والبناء للفاعل وبالتّاء والبناء للمفعول وبالتّاء والبناء للفاعل مفتوح التّاء اصله تتنزّل الملائكة [اِلَّا بِالْحَقِّ] اى الّا مع الحقّ واذا جاء الحقّ لم يبق منكم اثر لأنّكم باطلون ولا يبقى الباطل مع الحقّ، وقد مرّ مراراً انّ الحقّ هو الولاية المطلقة وهى اضافة الحقّ الاوّل تعالى شأنه اضافة اشراقيّة وانّ كلّ حقّ فهو حقّ بحقّيّته ولذلك قال [وَمٰا كٰانُوا اِذًا مُنْظَرِينَ اِنّٰا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ] ردّ عليهم فى استهزائهم بذكر تنزيل الذّكر [وَاِنّٰا لَهُ لَحٰافِظُونَ] ولا ينافى حفظه تعالى للذّكر بحسب حقيقته التّحريف فى صورة تدوينه فانّ التّحريف ان وقع وقع فى الصّورة المماثلة له كما قال فويل للّذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثمّ يقولون هو من عندالله وماهو من عندالله [وَلَقَدْ اَرْسَلْنٰا مِنْ قَبْلِكَ فِى شِيَعِ الْاَوَّلِينَ] فى فرقهم والشّيعة هى الفرقة المتّفقة على طريقة واحدة [وَمٰا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ اِلَّا كٰانُوا بِهِ يَسْتَهْزِؤُنَ كَذٰلِكَ] الادخال على سبيل الاستهزاء او كذلك الاستهزاء [نَسْلُكُهُ] ندخل الذّكر او الاستهزاء [فِى قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ لٰا يُؤْمِنُونَ بِهِ] حال عن المجرمين اوعن مفعول نسلكه، اومستأنفة جواب لسؤال مقدّر، اومفسّرة للجملة السّابقة [وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الْاَوَّلِينَ] اى سنّة الله فى الاوّلين اوطريقتهم المستتبعة للعذاب فى الدّنيا و الآخرة [وَلَوْ فَتَحْنٰا عَلَيْهِمْ بٰابًا مِنَ السَّمٰاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ لَقٰالُوا] لغاية عنادهم و تشكيكهم [اِنَّمٰا سُكِّرَتْ اَبْصٰارُنٰا] منعت من الابصار بالسّحر او جعلت حيارى كالسّكارى [بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ] سحرنا محمّد(ص) ولذا نرى صعودنا فى السّماء [وَلَقَدْ جَعَلْنٰا فِى السَّمٰاءِ بُرُوجًا] امّا المراد بها البروج المشهورة الاثنى عشر اومنازل القمر اودرجات مسير الشّمس الثّلاث مائة والسّتّون، وقد فسّر البروج بكلّ منها والبرج والقصر بمعنىً ومن غرائب الحكمة وعجائب الصّنع انّ الفلك مع بساطته ممتاز بعض اجزائه عن بعض بخواصّ وآثار، فانّ البروج الاثنى عشر وكذا المنازل الثّمانية والعشرون لكلّ اثر غير صاحبه كما علم بالتّجربة و أثبته المنجّمون فى كتب الاحكام [وَزَيَّنّٰاهٰا لِلنّٰاظِرِينَ] بالكواكب المنيرة [وَحَفِظْنٰاهٰا مِنْ كُلِّ شَيْطٰانٍ رَجِيمٍ] حفظ بروج سماء الارواح من الشّيطان واضح فانّ الشّياطين لكون عالمهم عالم الظّلمة والملكوت السّفلى لو صعدوا الى عالم الارواح لفنوا عن ذواتهم، وامّا بروج سماء الطّبع فقد يتوهّم انّهم يمكن لهم الصّعود اليها لتسلّطهم على عالم الطّبع على الاطلاق، لكنّ التّحقيق انّهم كما كانوا مطرودين من عالم الارواح كذلك مطرودون من الاجسام العالية، لانّها لعدم تركّبها عن المتضادّات وبساطتها وصفائها محالّ للملائكة المدبّرين ومتعلّقات للنّفوس العلويّة وللارواح العالية، فأجسام الافلاك بذواتها وان كانت لاتأبى لها عن اتّصال الشّياطين بها لكنّ الارواح المتعلّقة بها تأبى اتّصال الشّياطين بها [اِلَّا مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ] استثناء متّصل او منقطع.

بيان ردع الشّياطين بتولّد عيسى (ع) ومحمّد(ص) عن السّماوات

[فَأَتْبَعَهُ شِهٰابٌ مُبِينٌ] محقه و ادركه، و الشّهاب شعلة نار ساطعة و يطلق عليه اسم الكواكب فيقال كوكب انقضّ السّاعة و تتولّد الشّهب فى كرة الدّخان كما حقّق فى محلّه، وليست هى كواكب كماهو المشهور فى العرف وليست الشّياطين تتأذّى بها لكون الشّهب من الماديّات والشّياطين من الرّوحانيّات، بل المراد بالشّهب القوى الرّوحانيّة المتضادّة للشّياطين الرّادعة لهم عن ساحة حضور الارواح الطّيّبة المتصوّرة للبصائر

المنفتحة بصور الشّهب سواء كان استراق السّمع من سماوات الطّبع اومن سماوات الارواح، وبماذكرنا من وجه ردع الشّياطين من سماوات الطّبع وسماوات الارواح يمكن التّفطّن بماورد في الاخبار، من انّ الشّياطين كانوا يصعدون الى السّماوات، فلمّا ولد عيسى (ع) حجبوا عن ثلاثة منها وكانوا يخرقون اربع سماوات، فلمّا ولد رسول الله (ص) حجبوا عن السّبع ، اوكان الشّياطين يصعدون السّماء فلمّا ولد محمّد (ص) ردعوا بالشّهب وكان ليلة تولّده كثيرة الشّهب ، وامثال ذلك كثيرة ، مع انّ الشّياطين كانوا مطرودين من سماوات الارواح وكذا من سماوات الطّبع كماسبق والوجه في ذلك انّ السّماوات في العالم الصّغير قبل تولّد الكلمة العيسويّة كانت مجتمعة بالقوّة في السّماء الدّنيا وهي سماء النّفس الانسانيّة وهي محلّ تصرّف الشّياطين، فاذا تولّد الكلمة العيسويّة صار بعض ما بالقوّة بالفعل كسماء الصّدر المنشرح بالاسلام وسماء القلب وسماء النّفس الانسانيّة ويبقى الباقي بالقوّة ويطرد الشّياطين بواسطة تلك الكلمة عن هذه السّماوات ، وبعد تولّد الكلمة المحمّديّة (ص) الجامعة لجميع المراتب بالفعل يصير جميع ما بالقوّة بالفعل فيتميّز السّماوات السّبع ويطرد الشّياطين من الكلّ ، الّا انّه مترصّد من جهة النّفس الحيوانيّة لان يسترق حين الفرصة من سماء النّفس الانسانيّة الدّنيا استماع بعض الاشياء فيتبعه شهاب تذكّر الانسان بنور الايمان واليه اشير بقوله: اذامسّهم طائف من الشّيطان تذكّروا فاذاهم مبصرون [وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ] جبالا ثوابت وقد ذكر وجه الانتفاع ببسط الارض والقاء الجبال وانّ فيهما حكماً ومصالح كثيرة [وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ] ان رجع ضمير فيها الى الجبال فالمراد بالموزون ما يوزن ويباع بالوزن كالفلزّات فانّها تنبت في الجبال ، وان رجع الى الارض فالمراد الموزون المقدّر لمنافعكم والمعدود لمصالحكم، وان كان راجعاً اليهما جميعاً فالمراد منه معنىً اعمّ من المعنيين [وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ] ماتعيشون به من الملابس والمطاعم والمساكن والمراكب [وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ] عطف على معايش اى وجعلنا لكم خدماً واماءً وعبيداً وانعاماً لستم لها برازقين وكان تغليباً لجانب ذوى العقول، اوعطف على المجرور في لكم على بعد لعدم عادة حرف الجرّ و المعنى و جعلنا لكم معايش و جعلنا لمن لستم له برازقين معايش كالمجانين و السّفهاء وغيرهم من اهل الجزائر الّذين يعيشون كالبهائم والسّباع ويلحقون بها .

بيان انّ لكلّ شيء خزائن عندالله

[وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ] اعلم ، انّه قد يطلق الشّيء ويراد به مايساوق الموجود فيشمل الحقّ الاوّل تعالى شأنه، وقد يطلق ويراد به الشّيء وجوده فلايشمل الحقّ الاوّل ولاحضرة الاسماء ولاحضرة الفعل الّذى هو مبدء اضافاته، ويشمل الممكنات كلّها من حضرة العقول المعبّر عنها بالاقلام العالية والملائكة المقرّبين، وحضرة الارواح المعبّر عنها بارباب الانواع والصّافّات صفّاً، وحضرة النّفوس الكلّيّة المعبّر عنها بالالواح الكلّيّة المحفوظة والمدبّرات امراً ، وحضرة النّفوس الجزئيّة المعبّر عنها بألواح المحو والاثبات وبعالم المثال باعتبارين ويشمل موجودات عالم الطّبع تماماً ، وكلّ ما في تلك الحضرات له حقيقة في حضرة الاسماء وحقيقة في حضرة الفعل و الاضافة الآلهيّة الاشراقيّة، وكلّ مافي حضرة الفعل له حقيقة ايضاً في حضرة الاسماء، وكلّ مافي حضرة الارواح له حقيقة في حضرة الاقلام وحقيقة في حضرة الفعل وحقيقة في حضرة الاسماء ، وهكذا حضرة النّفوس الكلّيّة وما فيها وحضرة النّفوس الجزئيّة ومافيها وعالم الطّبع وما فيها ، وبعبارة اخرى كلّ دان له صورة بالاستقلال في العالى وصورة بالاستقلال في عالى العالى وصورة بتبع العالى في عالى العالى فلكلّ شيء من الممكنات حقائق في حضرة

الاسماء استقلالاً وتبعاً وهكذا فی حضرة الفعل وهكذا فی حضرة الاقلام الی عالم المثال ، وكلّ تلك الحضرات من حيث انّها عوالم مجرّدة عن المادّة واغشيتها تسمّى عندالله ولدنالله لحضورها فی محضره ، ولمّا كان تلك الحقائق محفوظة عن التّغيّر والتّبدّل كالاشياء النّفيسة المخزونة المحفوظة سمّاها تعالى بالخزائن ، فكلّ ما فی عالم الملك فله حقيقة فی عالم المثال ينزّله تعالى شأنه من عالم المثال الی عالم الملك بقدر استعداد المادّة لقبوله وحين استعدادها ، وهكذا من النّفوس الكلّيّة الی عالم المثال ، وهكذا الامر فی العالی والاعلی الی حضرة الاسماء . ولمّا كان موجودات عالم الملك متجدّدة بالتّجدّد الذّاتیّ بمعنی انّها كلّ آن فانية عن ذواتها وموجودة بموجدها كما حقّق فی محلّه فما من شیء ممّا فی عالم الملك الّا ويفنی آناً فآناً وينزّله تعالى من خزائنه آناً فآناً فلذلك قال [وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ] بصيغة المضارع الدّالّ علی الاستمرار التّجدّدیّ [وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ] ملقحات فانّ اللّاقح هو الحامل والملقح هو الجاعل للشّیء حاملاً يعنی وممّا ننزّل بقدر الرّياح اللّواقح الّتی لا اعتناء لكم بها وفيها منافع لكم منها تسيير السّحاب فی السّماء لامطار المطر ولهذا كانت بشری بين يدی رحمته و قال [فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً] بالفاء الدّالّة علی التّعقيب [فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ] حتّی تقدروا علی انزاله و منعه بل هو ايضاً ممّا ننزّله بقدر فالمقصود اثبات خازنيّة الماء لنفسه استدلالاً علی ما ادّعاه من انّ كلّ شیء خزائنه عنده [وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ] كأنّ سابقه كان لاثبات المبدئيّة وحصرها فی نفسه وهذا لاثبات المالكيّة والمرجعيّة وحصرهما فی نفسه [وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ] ای المستقدمين ولادة والمستأخرين الموجودين فی زمان واحد ، اوالمستقدمين الّذين مضی زمان وجودهم والمستأخرين الّذين لم يأتوا بعد ، اوالمستقدمين فی مراتب الايمان والاسلام والآية بحسب التّعميم شاملة للجميع ولعلّ المقصود كان هذا التّعميم لانّ المراد بيان احاطة علمه تعالی بعد بيان مبدئيّته ومرجعيّته والتّعميم ادلّ علی ذلك [وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ] وحكمته تقتضی الحشر والمجازاة وايصال كلّ الی مقتضاه [عَلِيمٌ] بعلم قدر كلّ ومحشره واقتضاءه ، ثمّ لمّا اثبت آلهته فی مبدئيّته ومرجعيّته ومالكيّته واثبت حكمته وعلمه اثبت مبدئيّته لخصوص الانسان لانّه اشرف الموجودات و انّ مبدئيّته له ادلّ علی حكمته و قدرته وعلمه و ذكر مبدئيّته للجانّ تبعاً فقال [وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ] ذكروا لتلك الكلمات معانی اوجهها ان يكون المراد بالصّلصال الشّیء المنتن، والحمأ الطّين الاسود لطول مجاورته للماء ، شبّه النّطفة بالحمأ لانّه يبقی فی العروق واوعية المنیّ مدّة طويلة كالطّين الاسود فی الانهار، والمسنون المصبوب لانّها تصبّ فی الرّحم [وَالْجَانَّ] قيل: المقصود منه ابو الجنّ ، وقيل: ابليس، وقيل: اريد به الجنس كما هو الظّاهر من لفظ الانسان [خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ] قبل خلق الانسان [مِنْ نَارِ السَّمُومِ] السّموم الرّيح الحارّة الشّديدة الحرّ المعروفة وكثيراً ما تكون فی البلاد الحارّة وهی ريح شديدة الحرّ منتنة حادثة من الاراضی السّبخة الكبريتيّة المتسخّنة بالشّمس ولها سمّيّة ولذلك تسمّی سموماً ، شبّه الكيفيّة الحادثة من اختلاط القوی الطّبيعيّة العنصريّة السّبخة مع القوی الرّوحانيّة وتسخّنها بحرارة الشّمس الحقيقيّة بالنّار الّتی تظهر فی الهواء من اختلاط سطوح الاراضی السّبخة مع ضوء الشّمس ، وتولّد الجنّ منها بالدّخان الحاصل من النّار فانّه بعد انتهاء الوجود الی عالم الملك يحدث منه ظلّ ظلمانیّ و دخان الی اسفل

السّافلين و يحصل الملكوت السّفلى ودارالجنّة والشّياطين وذلك قبل خلقة مواليد عالم الطّبع او قبل خلقة الانسان وقد مضى فى اوّل البقرة عند قوله: واذقلنا للملائكة اسجدوا لآدم ؛ الآية، تحقيق تامّ لكيفيّة خلق الجنّة والشّياطين هذا فى العالم الكبير ، وامّا فى العالم الصّغير فالجانّ ابو الجانّ هو الواهمة المتولّدة من حرارة الاخلاط الحاصلة من تسخّنها بشمس الرّوح وخلقتها قبل خلقة الانسان كما هو المشهود [وَاِذْقَالَ] واذكر اذقال [رَبُّكَ لِلْمَلٰئِكَةِ اِنّى خٰالِقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصٰالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ فَاِذٰا سَوَّيْتُهُ] اتممت خلقته [وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِى فَقَعُوا لَهُ سٰاجِدِينَ فَسَجَدَ الْمَلٰئِكَةُ كُلُّهُمْ اَجْمَعُونَ اِلّآ اِبْلِيسَ اَبىٰ اَنْ يَكُونَ مَعَ السّٰاجِدِينَ قٰالَ يٰا اِبْلِيسُ مٰالَكَ اَنْ لاٰ تَكُونَ مَعَ السّٰاجِدِينَ قٰالَ لَمْ اَكُنْ لِاَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصٰالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ] و قد خلقتنى من النّار الّتى هى اشرف العناصر و ذلك الصلصال اخسّ مواليد العناصر [قٰالَ فَاخْرُجْ مِنْهٰا] من السّماء اومن الجنّة اومن الملائكة اومن المنزلة والرّياسة [فَاِنَّكَ رَجِيمٌ وَاِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ اِلىٰ يَوْمِ الدّينِ قٰالَ رَبِّ فَاَنْظِرْنِى اِلىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ] حرصاً على البقاء وفسحة فى الاغواء [قٰالَ فَاِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ اِلىٰ يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ] لمّا اراد البقاء الى يوم البعث و هو يوم الاحياء بالنّفخة الثّانية وامد ابليس الى النّفخة الاولى قال اجابة لملتمسه لكن لاالى الوقت المسؤل بل الى الوقت المعلوم الّذى هو وقت النّفخة الاولى ، وقد فسّر فى الاخبار الوقت المعلوم بظهور القائم عجّل الله فرجه و ذبحه اياّه اوذبح رسول الله (ص) اياّه وبوقت النّفخة الاولى والكلّ راجع الى امر واحد و ان ادّى باختلاف الاعتبارات بعبارات مختلفة [قٰالَ] غيظاً [رَبِّ بِمٰا اَغْوَيْتَنِى] كما هو عادة اتباعه فانّهم اذا لم يجدوا ما طلبوا نسبوا التّقصير الى غيرهم بل الى سيّدهم [لَاُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِى الْاَرْضِ وَلَاُغْوِيَنَّهُمْ اَجْمَعِينَ اِلّا عِبٰادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ] قرئ بكسر اللّام و فتحها [قٰالَ هٰذٰا صِرٰاطٌ] حقّ [عَلَىَّ مُسْتَقِيمٌ] لا اعوجاج فيه والمشار اليه امّا الاخلاص او عدم تسلّطه على المخلصين او تزيينه او اغواؤه لغير المخلصين، وسرّ كونه صراطاً مستقيماً حقّاً على الله تعالى انّ الانسان خلق ومن كلّ شيء فيه قوة بنصّ علّم آدم الاسماء ،والمقصود من خلقته ان يصير فى الكلّ بالفعل لكن لمّا كان فى كلّ شيء جهة تعيّن وبطلان وجهة اطلاق وحقّيّة والمقصود من فعليّتها فعليّة حقّيّتها فى الانسان مع استخلاصها من البطلان ولا يحصل الفعليّة الخالصة من جهة البطلان الّا بوسوسة الشّيطان واغواته فانّ وسوسته كالنّار للذّهب وقد قال المولوىّ قدّس سرّه :

ديوكه بود كو ز ادم بگذرد	برّچنين نطعى از او بازى برد
در حقيقت نفع آدم شد همه	لعنت حاسد شده آن دمدمه
بازيى ديدو دوصد بازى نديد	پس ستون خانهٔ خود را بريد
خود زيان جان او شد ديو او	گوئى آدم بود ديو ديو او

فالصّراط المستقيم هو النّفس الانسانيّة الواقعة بين طرفى وساوس الشّيطان وزواجر الملك و بهما يحصل كمال له ويتمّ سيره الى مولاه :

من چو آدم بودم اوّل حبس کرب پر شد اکنون نسل جانم شرق وغرب

ولولا وسوسة الشّيطان واغواؤه لما امتلأ الدّنيا من نسل آدم(ع)، وقرئ : صراط علىّ وعلى وزن فعيل وصفاً للصّراط ، ونقل : صراط علىٍّ باضافة الصّراط الى علىّ (ع) وفسّر الصّراط او علىّ بامير المؤمنين (ع) [إِنَّ عِبادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغاوِينَ] ممّن هو مثلك فى الغواية و الضّلالة الذّاتيّة التّكوينيّة [وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ لَها سَبْعَةُ أَبْوابٍ لِكُلِّ بابٍ مِنْهُمْ] من الغاوين المتّبعين [جُزْءٌ] صنفٌ [مَقْسُومٌ] كون ابواب جهنّم ودركاتها سبعة باعتبار طبقات الارض السّبع : الهيولى الاولى والاستعداد الجسمانىّ والطّبع العنصرىّ والمادّة الجماديّة والمادّة النّباتيّة والمادّة الحيوانيّة والمادّة الانسانيّة المعبّر عنها بالصّدر المنشرح بالكفر والنّفس الامّارة، ولكلّ طبقة باب منه يدخل فيها ويخرج منها، وهذه الطّبقات بظواهرها المدركة واقعة فى الدّنيا وبيواطنها واقعة فى الملكوت السّفلى ودار الاشقياء ودركات جهنّم وابوابها بازاء تلك الطّبقات ، وما ورد من انّ جهنّم فى الارض السّابعة اوتحت الارض اشارة الى ماذكر وتلك مجتمعة فى الانسان لكنّها منصبغة بالنّفس الانسانيّة بحيث لاحكم لها سوى حكم النّفس، ولذلك يسمّى الانسان انساناً ولا يسمّى ارضاً ولا ناراً ولا جحيماً و خلداً و ما لم تفارق النّفس الانسانيّة عنها لم يكن لها حكم وكان ابوابها غير منفتحة بل مطبقة كما اشير اليه فى الآيات والاخبار، ولمّا كان بازاء كلّ طبقة من طبقات الارض سماء والجنان الثّمان كانت بازاء السّماوات السّبع وكان فوق السّبع جنّة اللّقاء و الرّضوان صارت درجات الجنان ثمانياً وكانت ابوابها ثمانية . و لمّا كانت اللّطيفة الانسانيّة سماويّة و مجانسة للسّماوات فهى من اوّل خلقته داخلة فى السّماوات الّتى هى بازاء درجات الجنان و ابوابها و لذلك كانت ابواب الجنان مفتوحة والانسان واقع فى تلك الابواب و ان لم يكن داخلاً فى الجنان ففى الآيات القرآنيّة بالنّسبة الى اهل الجحيم : ادخلوا ابواب جهنّم ، فى عدّة مواضع ، وبالنّسبة الى اهل الجنان : ادخلوها وليس فى الكتاب ادخلوا ابواب الجنان ، وقد تفسّر ابواب الجحيم بالرّذائل السّبع الّتى هى امّهات الرّذائل على اختلاف الاقوال فى تعيينها ، وابواب الجنان بالخصائل الثّمان الّتى هى امّهات الخصائل على اختلاف فى تعيينها . وقد تفسّر ابواب الجحيم بالمدارك الخمسة الظّاهرة والخيال المدرك للصّور والوهم المدرك للمعانى ، وابواب الجنان بتلك المدارك مع العاقلة ولايخفى وجه المناسبة لكنّ الحقّ والتّحقيق انّ الجحيم وابوابها حقيقة موجودة فى خارج هذا العالم فى الملكوت السّفلى، وماذكروا مناسبات لعدد طبقاتها وابوابها لا انّه هى بعينها . وفى الخبر انّ للنّار سبعة ابواب؛ باب يدخل منه فرعون وهامان وقارون ، وباب يدخل منه المشركون و الكفّار ومن لم يؤمن بالله طرفة عين ، و باب يدخل منه بنوامية هو لهم خاصّة لايزاحمهم فيه احدٌ وهو باب لظى وهو باب سعير وهو باب الهاوية يهوى بهم سبعين خريفاً فكلّما هوى بهم سبعين خريفاً فاربهم فورة قذف بهم فى اعلاها سبعين خريفاً فلا يزالون هكذا ابداً خالدين مخلّدين، وباب يدخل منه مبغضونا ومحاربونا وخاذلونا وانّه لاعظم الابواب واشدّها حرّاً (الى آخر الحديث) [إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنّاتٍ وَعُيُونٍ] وعد للمتّقين عن متابعة الشّيطان فى مقابلة وعيد التّابعين له [أُدْخُلُوها بِسَلامٍ آمِنِينَ] على تقدير القول [وَنَزَعْنا ما فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ] الحقد يعنى نزعنا فى الدّنيا قبل الآخرة و لذلك دخلوا الجنّة بسلام آمنين، اونزعنا فى الجنّة ما فى صدورهم من قوّة الحقد فانّ الانسان مادام فى الدّنيا قلّما يخلو من

قوّة الحقد [إِخْوٰانًا] حال [عَلٰى سُرُرٍ مُتَقٰابِلِينَ] فى الاخبار: انتم والله الّذين قال الله ونزعنا ما فى صدورهم، ووالله ما اراد بهذا غيركم [لٰا يَمَسُّهُمْ فِيهٰا نَصَبٌ] تعب [وَمٰا هُمْ مِنْهٰا بِمُخْرَجِينَ نَبِّئْ عِبٰادِى أَنِّى أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ] تقوية لرجائهم [وَأَنَّ عَذٰابِى هُوَ الْعَذٰابُ الْأَلِيمُ] تقوية لخوفهم [وَنَبِّئْهُمْ عَنْ ضَيْفِ إِبْرٰاهِيمَ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقٰالُوا سَلٰامًا قٰالَ إِنَّا مِنْكُمْ وَجِلُونَ] لامتناعهم عن الاكل كما سبق [قٰالُوا لٰا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلٰامٍ عَلِيمٍ] ورد فى الاخبار انّ البشارة جاءته من الله فمكث ثلاث سنين ثمّ جاءته البشارة مرّة بعد اخرى بعد ثلاث سنين [قٰالَ أَبَشَّرْتُمُونِى عَلٰى أَنْ مَسَّنِىَ الْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ قٰالُوا بَشَّرْنٰاكَ بِالْحَقِّ] بأمر واقع حقّ [فَلٰا تَكُنْ مِنَ الْقٰانِطِينَ] لقدرته تعالى على ما لم يوافقه الاسباب [قٰالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضّٰالُّونَ] من طريق معرفة الله وقدرته [قٰالَ فَمٰا خَطْبُكُمْ] امركم و شغلكم بعد البشارة [أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ قٰالُوا إِنّٰا أُرْسِلْنٰا إِلٰى قَوْمٍ مُجْرِمِينَ] اى قوم لوط [إِلّٰا آلَ لُوطٍ] استثناء من قوم مجرمين منقطعاً اومتّصلاً اومن المستتر فى مجرمين [إِنّٰا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ إِلّٰا امْرَأَتَهُ قَدَّرْنٰا إِنَّهٰا لَمِنَ الْغٰابِرِينَ] علّق قدّرنا لما فيه من معنى العلم ، والغابر بمعنى الباقى اى من الباقين مع الكفرة للهلاك [فَلَمّٰا جٰاءَ آلَ لُوطٍ الْمُرْسَلُونَ قٰالَ] لوط (ع) بعد مشاهدتهم [إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ] لا اعرفكم اولا آنس بكم لظنّ الشّرّ بكم [قٰالُوا] لسابذى شرّ لكم [بَلْ جِئْنٰاكَ بِمٰا كٰانُوا فِيهِ يَمْتَرُونَ] من العذاب [وَأَتَيْنٰاكَ بِالْحَقِّ] بالامر الحقّ الّذى لا تخلّف فيه [وَإِنّٰا لَصٰادِقُونَ] تأكيد لتحقّقه [فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَاتَّبِعْ أَدْبٰارَهُمْ] وكن على ادبارهم كالمراقب الحافظ [وَلٰا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ] الى ورائه [أَحَدٌ وَامْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ] يعنى يدركم الامر الالهىّ حين الخروج فامضوا حيث تؤمرون حينئذ [وَقَضَيْنٰا إِلَيْهِ] الى لوط (ع) [ذٰلِكَ الْأَمْرَ] اى انهينا اليه علم ذلك الامر المبهم الّذى يفسّره قوله [أَنَّ دٰابِرَ هٰؤُلٰاءِ مَقْطُوعٌ مُصْبِحِينَ] يعنى يستأصلون من اخرهم [وَجٰاءَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ] بعد اطّلاعهم بواسطة امرأة لوط (ع) كما مضى [يَسْتَبْشِرُونَ] باضياف لوط (ع) طمعاً فيهم وبدخول لوط (ع) على زعمهم فى مثل فعلهم [قٰالَ إِنَّ هٰؤُلٰاءِ ضَيْفِى فَلٰا تَفْضَحُونِ وَاتَّقُوا اللّٰهَ وَلٰا تُخْزُونِ] لاتذلّون من الخزى بمعنى الهوان او لاتخجلون عند ضيفى من الخزاية بمعنى الحياء [قٰالُوا أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ الْعٰالَمِينَ] اى عن ضيافة النّاس [قٰالَ هٰؤُلٰاءِ بَنٰاتِى إِنْ كُنْتُمْ فٰاعِلِينَ لَعَمْرُكَ] يا محمّد (ص) اى بحيوتك [إِنَّهُمْ لَفِى سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ] يتحيّرون والاتيان بالمضارع لاحضار الحال الماضية [فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ] داخلين فى وقت شروق الشّمس [فَجَعَلْنٰا عٰالِيَهٰا] عالى قراهم [سٰافِلَهٰا وَأَمْطَرْنٰا عَلَيْهِمْ حِجٰارَةً مِنْ سِجِّيلٍ] معرّب «سنگ گل» وقد مضى تفصيل اهلاكها [إِنَّ فِى ذٰلِكَ لَآيٰاتٍ لِلْمُتَوَسِّمِينَ] المتفرّسين الّذين يعرفون الاشياء بسماتها [وَإِنَّهٰا]

اى القرى اوآثار الهلاك او الآيات [لَبِسَبِيلٍ مُقِيمٍ] باقٍ غير مندرس يسلكه النّاس و يشاهدون آثار قُراهم وهلاكهم ، ووردعنهم (ع) انّا نحن المتوسّمون وانّ السّبيل فينامقيم ، وورد انّ فى الامام آية للمتوسّمين وهو السّبيل [إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَآيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ] تأكيد للاوّل بابدال المتوسّم بالمؤمن، اوالمرادانّ فى ذلك التّوسّم لآية للمؤمنين [وَإِنْ كَانَ] انّه كان [أَصْحٰابُ الْأَيْكَةِ] الايكة الشّجر الملتفّ الكثير او الجماعة من كلّ شجرحتّى من النّخل الواحدة الايكة ، اوالاجمة الكثيرة الشّجروالمراد بهم قوم شعيب (ع) من اهل مدين اومن اهل القرية الّتى كانت غيرمدين [لَظٰالِمِينَ فَانْتَقَمْنٰا مِنْهُمْ وَإِنَّهُمٰا] اى الايكة ومدين اوقرئ قوم لوط وقرئ اصحاب الايكة [لَبِإِمٰامٍ مُبِينٍ] طريق واضح يؤمّه المارّة ، والامام مايؤمّ من طريق وغيره [وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحٰابُ الْحِجْرِ الْمُرْسَلِينَ] يعنى ثمود كذّبوا صالحاً ولعلّه كان لهم رسل اخرى ، اوجعل تكذيب الواحد تكذيباً للكلّ ، او الجمع باعتبار من كان مع الرّسول من المؤمنين ، و الحجر اسم واديهم و هو وادٍ بين المدينة و الشّام وكانوا يسكنونه [وَآتَيْنٰاهُمْ آيٰاتِنٰا] كالنّاقة وولدها وشربها [فَكٰانُوا عَنْهٰا مُعْرِضِينَ وَكٰانُوا يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبٰالِ بُيُوتًا] لقوّة ابدانهم و طول اعمارهم و آمالهم [آمِنِينَ] من الانهدام و نقب السّرّاق وتخريب الاعداء ، اوآمنين من عاقبة امرهم ونزول العذاب بهم فى الدّنيا اوفى الآخرة ، اومزيدين كونهم بذلك آمنين من الآفات [فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ فَمٰا أَغْنىٰ عَنْهُمْ مٰا كٰانُوا يَكْسِبُونَ] من البيوت فى الاحجار وكثرة المال والعدد [وَمٰا خَلَقْنَا السَّمٰاوٰاتِ وَالْأَرْضَ وَمٰا بَيْنَهُمٰا إِلّٰا بِالْحَقِّ] مرّ نظائر الآية مراراً وهذا تمهيد للامر بالصّفح يعنى انّ قومك متلبّسون بالحقّ وانت اكمل الانبياء (ع) فلاينبغى لك ان تنظر الى تكذيبهم وسوء صنيعهم بك وتدعو عليهم او تغضب عليهم فانّ غضبك كدعائك موجب لبعدهم عن الرّحمة وانت نبيّ الرّحمة فكن سبباً لقربهم من الرّحمة لا لبعدهم عن الرّحمة [وَإِنَّ السّٰاعَةَ لَآتِيَةٌ] فمن كان منهم مستحقّاً للعقوبة والسّياسة لا يفلت عنّا فتوكّل علينا وكل امورهم الينا ولا تعاجلهم بالدّعاء كسائر الانبياء (ع) [فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ] الّذى لاعتاب فيه ولامنّ ، والعفوترك المكافاة ، والصّفح اخراج اثر المساءة من القلب، ويستعمل كلّ فى كلّ وكلّ فى الاعمّ وكأنّهما كالفقراءوالمساكين اذااجتمعا افترقا واذا افترقااجتمعاً [إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلّٰاقُ] التّعليق على وصف الرّبوبيّة دون سائر الاوصاف للاستعطاف والمعنى انّ الّذى يربّيك و يتلطّف بك هوخالقهم فلا ينبغى لك المعاجلة فى معاقبة مخلوق من هو يربّيك [الْعَلِيمُ] بحالهم فيكافئهم على ما اقتضته حالهم فالآية من قوله : ما خلقنا السّماوات (الآية) استعطاف له (ص) على قومه و استبطاء عن المعاجلة فى المعاقبة و الدّعاء [وَلَقَدْ آتَيْنٰاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثٰانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ] تمهيد لقوله : لاتمدّن عينيك فانّ من اعطى السّبع المثانى كان غنيّاً مطلقاً فلا ينبغى مدّ نظره الى غيره ، والمثانى جمع المثنى بمعنى اثنين اثنين، وقيل جمع المثنى من الثّناء وقد سبق انّ مراتب العالم باعتبار سبع ، وانّها باعتبار النّزول والصّعود تصير متكرّرة ومثانى وانّ القرآن صورة تدوين تلك المراتب وانّ فاتحة الكتاب مختصرة من القرآن وانّه مجموع فيها ، وانّ الائمّة هم المتحقّقون بتلك المراتب ، وانّ محمّداً (ص) صاحب المقام المحمود وهو مقام جمع الجمع فى لسان الصّوفيّة وانّ ذلك المقام هوالقرآن العظيم فصحّ تفسير السّبع المثانى بالقرآن جملةً ، وبسورة

فاتحة الكتاب ، وبالمثانى من السّور وبالسّور السّبع الطّول من اوّل القرآن الى آخر براءة على ان يجعل الانفال وبراءة واحدة وبالصّحف السّابقة وبالكتب السّماويّة تماماً وبالائمّة (ع) [لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ] اصنافاً من الكفّار لانّه فى غاية الحقارة فى جنب ما اوتيت فلا ينبغى قطع النّظر عمّا اوتيت والنّظر الى مثل هذا الشّيء الحقير [وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ] يعنى انّك اوتيت ما به كما لك فى دنياك وآخرتك فلا ينبغى ان تتأثّر من غيرك بان تنظر الى ظاهر المتنعّمين فيتحرّك رغبتك البشريّة او تنظر الى باطنهم و انّهم منصرفون عن الايمان الموصل الى الجنان الى الكفران الموصل الى النّيران فتنقبض و تحزن على ذلك بل كن فى الحالين كأمير الحالين غير متأثّر منهما وليكن حالك بالنّسبة الى من آمن حال التّواضع والتّذلّل والتّحبّب لانّهم بلطيفة الايمان مظاهرك بل مظاهر الله تعالى والتّواضع لهم تواضع لله [وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ] مستعار من خفض الطّيور جناحها لقرينها حين التّذلّل والتّحبّب لها ، عن رسول الله (ص) : من أوتى القرآن فظنّ انّ احداً من النّاس اوتى افضل ممّا اوتى لقد عظّم ما حقّر الله وحقّر ما عظّم الله [وَقُلْ] بالنّسبة الى من نهيتك عن الرّغبة فى ظاهرهم والحزن على باطنهم [إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ] الّذى يظهر انذاره بحيث لايخفى دلالته على صدقه ولا دلالته على المنذر به [كَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ] يعنى آتيناك سبعاً من المثانى كالّذى انزلنا على المقتسمين من اهل الكتاب الّذين اقتسموا هممهم على الاطماع والاحزان والآمال فجعلوا القرآن ما يوافقهم منه مقبولاً ومايخالفهم منه مردوداً ، اوقل انّى انا النّذير المبين بعذاب مهين كما انزلنا على المقتسمين **قيل** : المقتسمون كانوا اثنى عشر رجلاً اقتسموا محالّ دخول مكّة وخروجها ايّام الموسم لينفروا المؤمنين عن الايمان بالرّسول (ص) ، **وقيل** : هم الّذين تقاسموا على قتل محمّد (ص) ، **وقيل** : هم الّذين تقاسموا على ان يبيّتوا صالحاً (ع) ، **وقيل** : هم اليهود اقتسموا الكتب السّماويّة فأظهروا بعضها وأخفوا بعضها ، او التّوراة فأظهروا بعضها و أخفوا بعضها ؛ و على هذا فالمراد بالقرآن فيما بعد مطلق المقروّ السّماوىّ [الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ] جمع العضة من العضوة بمعنى العضو اى جعلوا القرآن اعضاء و اجزاء ، اوجمع العضة من عضيته اذا بهتّه اى جعلوا القرآن اسماراً [فَوَرَبِّكَ لَنَسْئَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ] من تقسيم القرآن او جعله اسماراً اومن سائر ما فعلوا [فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ] ولاتبال بقبولهم وردّهم وباستهزائهم وعدم استهزائهم ، والمراد منه اجهر به من صدع بالحجّة اذا تكلّم بها جهاراً ، اوفرّق به بين الحقّ والباطل ، اوفرّق الحقّ وانشره بحيث لايكاد تجمع و يذهب به اوشقّ وفرّق به جماعات الكفّار [وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ] عاقبة امرهم وقد ورد فى أخبارنا انّ الآية نزلت بمكّة بعد ان اكتتم محمّد (ص) امره بعد بعثته خمس سنين اوثلاث سنين ولم يكن معه الّا على (ع) و خديجة (ع) ثمّ امر بالاظهار فكان يظهر امره على قبائل العرب [وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ] من تكذيبك والطّعن فيك والاستهزاء بك وبدينك وبآلهك وبكتابك وصلوتك [فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ] فاشغل نفسك عنهم واشتغل بماهو شأنك من عبادة ربّك [وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ] اى الموت فانّه المتيقّن فالمعنى حتّى يأتيك الامر المتيقّن ، اولانّ اليقين الكامل بالمغيبات

لا يحصل الّا بعد رفع حجاب البدن بالموت الاختياريّ هذا ما قيل ؛ و الحقّ انّ اعتبار مفهوم الغاية و دخولها وخروجها عن المغيّ بها امرٌ لاحجّة عليه من العرف واللّغة، فالمقصود انّك علمت علماً اجماليّاً وكلّ من علم امراً اجمالاً طلب التّفصيل فيه و اليقين به بمراتب اليقين من علم اليقين وعين اليقين و حقّ اليقين كما اشار اليه المولويّ قدّس سرّه :

٨٣ هرگمان تشنه يقين است اى پسر — ميزند اندر تزايد بال و پر
چون رسد درعلم پس برپا شود — سر يقين را علم او پويا شود
علم جوياى يقين باشد بدان — وان يقين جويای ديداست و عيان
اندر الْهٰيكم بيان اين ببين — كه شود علم اليقين عين اليقين

فكأنّه قال : انكنت تريد اليقين بمراتبه و تفصيل المعلوم فاشتغل بعبادة ربّك حتّى يحصل لك مطلوبك من مراتب اليقين ، امّا عدم العبادة بعد اليقين فغير مستفاد منه الّا باعتبار مفهوم الغاية وقد عرفت ضعف اعتباره؛ وقد قال بعض المتصوّفة المسقطين للعبادات : انّ العبادة لحصول اليقين فاذا حصل اليقين فلا حاجة الى العبادات ، وتوسّلوا بمفهوم مثل هذه الآية ومتشابهات الآيات والاخبار واقوال الكبار من اهل اليقين من غير غورٍ وتعمّقٍ فى مغزاها .

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

سورة النحل

مائة وثمانٍ وعشرون آية ، وهي مكّيّة كلّها ، وقيل : من اوّلها الى قوله والّذين هاجروا في الله مكّيّة ، والباقي مدنيّة ، وقيل : مكّيّة غير ثلاث آياتٍ وهي قوله : وان عاقبتم (الى آخر السّورة)

بسم الله الرحمن الرحيم

[أَتىٰ أَمْرُ اللّٰهِ فَلا تَسْتَعْجِلُوهُ] كانوا يستعجلون ما وعدهم الرّسول (ص) من العذاب والاهلاك وقيام السّاعة والحساب والعقاب يوم القيامة استهزاءً به وبرسالته وبايعاده فقال تعالى : اتى أمر الله بالاهلاك بالماضي للاشارة الى تحقّقه او للاشارة الى قرب حصوله وكانوا يقولون استهزاءً اذا وقع ما توعّده فأصنامنا تشفع لنا فقال تعالى [سُبْحانَهُ وَتَعالىٰ عَمّا يُشْرِكُونَ] فلا يشفع شيءٌ لهم ولا يدفع الاصنام شيئاً من عذابه [يُنَزِّلُ الْمَلائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلىٰ مَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ] اعلم، انّ الانسان من اوّل استقرار مادّته في الرّحم يقع في تدبير الملائكة فيربّونه ويجلبون مايحتاج اليه ويدفعون عنه ما يضرّه وانّ الله تعالى يبعث عليه بمحض فضله ملائكة ويزداد عددهم يوماً فيوماً وآناً فآناً الى اوان البلوغ ، فان ساعده التّوفيق واستعان بالله اختياراً كما كان مستعيناً به تكويناً قبل ذلك لم ينقطع امداده بالملائكة بعد ذلك ايضاً ، والملائكة الّذين كانوا موكّلين به كانوا ملائكة ارضيّين وهم الملائكة الّذين امروا بالسّجود لآدم (ع) وبعد ذلك يكون الامداد بالملائكة السّماويّة ويزداد كلّ يوم عددهم الى ان بلغ الى مقام العبوديّة واوّل ظهور الرّبوبيّة وحينئذٍ يمدّه بالعظام من الملائكة كجبرئيل وميكائيل، ويمدّه ايضاً بالرّوح وهو اعظم من جبرئيل وميكائيل كما ورد في الاخبار ، ولعلّ الرّوح ههنا اشارة الى الملك المعتنى بتربية نوع الانسان ويسمّيه الاشراقيّون ربّ النّوع وله بعدد كلّ انسان وجهٌ كما في الخبر وهو المحيط بجميع افراد الانسان بل بجميع موجودات العالم لانّ جميع الانواع تحت نوع الانسان، وجميع ارباب الانواع تحت ربّ النّوع الانسانيّ ، وجميع الموجودات تحت ارباب انواعها فجميع الموجودات تحت ربّ النّوع الانسانيّ وعلى هذا فالمعنى ينزّل الملائكة مع الرّوح ، او ينزّل الملائكة بسبب الرّوح وتوسّطه ، وعلى الاوّل فالمنزّل عليه الخواصّ من الانبياء وعلى الثّاني جملة الانبياء ، او المراد بالرّوح ما يحيى به القلوب من الجهل تشبيهاً بالرّوح الّتي يحيى

به الابدان ، اوالمراد بالرّوح النّبوّة الّتی بها حیوة کلّ شیء ، وعلی هذا فالمعنی ینزّل الملائکة الرّوح من عالم امره علی من یشاء من عباده و للرّوح معانٍ أخر مذکورة فی الاخبار ومصطلحة بین ارباب الصّنائع و هذا الرّوح الّذی هو اعظم من جبرئیل یکون مع العظماء من الانبیاء والاولیاء (ع) کخاتم النّبیّین (ص) وخلفائه المعصومین (ع) وقوله : من امره ، ای من عالم امره فانّ الملائکة النّازلة والرّوح من عالم الامر مقابل عالم الخلق [أَنْ أَنْذِرُوا] ان مصدریّة اوتفسیریّة فانّ الانزال یستلزم معنی القول ، وانذروا بمعنی اعلموا او بمعنی احذروا [أَنَّهُ لَا إِلٰهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ] وکون التّوحید محذراً به لاستلزامه الاستقلال فی الحکومة والتّصرّف والمستقلّ فی الحکومة یحذر من مخالفته [خَلَقَ السَّمٰوٰاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ] بمنزلة التّعلیل للتّوحید [تَعٰالٰی عَمَّا یُشْرِکُونَ خَلَقَ الْإِنْسٰانَ مِنْ نُطْفَةٍ] بدل نحو بدل البعض [فَإِذٰا هُوَ خَصِیمٌ مُبِینٌ] ولا یتمشّی من الطّبع والدّهر مثل ذلک الخلق [وَالْأَنْعٰامَ خَلَقَهٰا لَکُمْ فِیهٰا دِفْءٌ] ماتستدفئون به من اصوافها واوبارها واشعارها وجلودها [وَمَنٰافِعُ] من لحومها وضروعها و ظهورها واثارة الارض بها [وَمِنْهٰا تَأْکُلُونَ] من الشّحوم واللّحوم والالبان [وَلَکُمْ فِیهٰا جَمٰالٌ] زینة [حِینَ تُرِیحُونَ] ترجعونها بالرّواح الی المناخ والمغنم [وَحِینَ تَسْرَحُونَ] تخرجونها للسّرح والرّعی بالغداة فانّ الاغنیة تتزیّن بها فی الوقتین ویجلّ اهلها فی اعین النّاظرین الیها ، وتقدیم الاراحة لانّها حینئذٍ تقبل والاقبال ازین من الادبار ملاء البطون ثمّ تأوی الی الحظائر حاضرة لاهلها ، وفی الغداة بالعکس، [وَتَحْمِلُ أَثْقٰالَکُمْ إِلٰی بَلَدٍ لَمْ تَکُونُوا] بانفسکم [بٰالِغِیهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ] فضلاً عن ان تحملوا الاثقال علی ظهورکم [إِنَّ رَبَّکُمْ لَرَؤُفٌ رَحِیمٌ] بکم لانّه خلق لکم ماتنتفعون به وتحتاجون الیه [وَالْخَیْلَ وَالْبِغٰالَ وَالْحَمِیرَ لِتَرْکَبُوهٰا وَزِینَةً وَیَخْلُقُ مٰا لٰا تَعْلَمُونَ] لانتفاعکم من موجودات عالم الطّبع ممّا فی الارض والسّماء وموجودات عالم الارواح [وَعَلَی اللّٰهِ قَصْدُ السَّبِیلِ] لمّا ذکر فی خلقة الانسان جملة مایحتاج الیه فی معاشه ووصوله الی خیراته وکان السّبیل المقتصد الخارج عن الافراط والتّفریط فی کلّ شیء ان یکون اسباب وصوله الی خیراته الاوّلیّة الذّاتیّة والی خیراته الثّانویّة بقدر حاجته موجودة، والسّلوک الی خیراته الاوّلیّة الذّاتیّة والی خیراته الثّانویّة بقدر حاجته ، موجودة وکان السّلوک الی خیراته غیر متعسّر قال: لااختصاص لقصد السّبیل بالانسان بل علی الله قصد السّبیل لکلّ شیء [وَمِنْهٰا جٰائِرٌ] وبعض السّبل حائدٌ عن الاعتدال اوالمقصود انّ خلقتکم وخلقة ماتحتاجون الیه هی السّبیل الی خیراتکم البدنیّة وکمالاتکم الدّنیویّة التّکوینیّة الغیر الاختیاریّة، وامّا خیراتکم الرّوحیّة الاخرویّة وکمالاتکم الانسانیّة الاختیاریّة فعلی الله قصد السّبیل فی ذلک باعطاء العلم والمعرفة وارسال الرّسل وانزال الکتب وتهیئة جمیع ماتحتاجون الیه فی تحصیل هذه، فان وقع حیف وميل ونقص وجور فهو من عند انفسکم غیر راجع الی الله ، فمن خرج عن الاقتصاد فی الطّریق الی الجور فیه فهو بشآمة استعداده وکسبه [وَلَوْ شٰاءَ لَهَدٰاکُمْ أَجْمَعِینَ] بالایصال الی قصد الطّریق والسّیر علیه [هُوَ الَّذِی أَنْزَلَ مِنَ السَّمٰاءِ مٰاءً لَکُمْ مِنْهُ شَرٰابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ] اعمّ من النّبات [فِیهِ تُسِیمُونَ] فی الشّجر ترعون مواشیکم [یُنْبِتُ لَکُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّیْتُونَ وَالنَّخِیلَ وَالْأَعْنٰابَ وَمِنْ کُلِّ الثَّمَرٰاتِ إِنَّ فِی ذٰلِکَ لَآیَةً لِقَوْمٍ یَتَفَکَّرُونَ]

لمّا كان كون انزال الماء وانبات النّبات والاشجار آية محتاجاً الى تأمّل وترتيب مقدّمات قال: لقوم يتفكّرون [وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ] قرئ الشّمس و القمر والنّجوم مسخّرات كلّها بالرّفع، وقرئ الشّمس والقمر بالنّصب والنّجوم مسخّرات بالرّفع، وقرئ الجميع بالنّصب وفائدة الحال المؤكّدة تأكيد التّسخير وبيان واسطة التّسخير وهو عالم الامر [إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ] يكفيه العقل من غير فكر لظهور دلالة المذكورات بالنّسبة الى انزال الماء و انبات النّبات وجمع الآيات لكون كلّ منها آية على حياله [وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ] وسخّر لكم ماخلق لكم [فِي الْأَرْضِ] من المواليد من المعادن واصناف النّبات وانواع الحيوان والعناصر ومافي الارض من الجبال والوهاد والتّلال، والمراد بتسخيرها تسخيرها فيماخلق لاجله لاتسخيرها للانسان نحو تسخير الحيوان للانسان ولكن تسخيرها بالمطاوعة للانسان في وجه الانتفاع بها وان كان وجه الانتفاع ببعضها مخفيّاً، اوما ذرأ مبتدء ولكم خبره اوفي الارض خبره والجملة حال او عطف على جملة هوالّذي انزل، او على جملة سخّر لكم اللّيل [مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ] اكتفى ببيان اختلاف اللّون عن ذكر اختلاف النّوع وجهات الانتفاع لانّه الظّاهر على الابصار والاغلب انّ الانواع المختلفة بالذّات مختلفة باللّون [إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ] لايكفيه العقل فقط ولا يحتاج الى التّفكّر بل يكفيه تذكّر العقل [وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا] كأنواع مايخرج من البحر [وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ] جوارى من المخر وهو شقّ الماء اوصوت شقّ الماء [وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ] بالتّجارات [وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ] يعني غاية الكلّ ان تنظروا الى الانعام و تشكروا حقّ النّعمة برؤيتها من المنعم [وَأَلْقَىٰ فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ] كراهة ان تميد الارض بكم باضطرابها.

اعلم، انّ الارض كرويّة الشّكل حيّزها حول مركز العالم بحيث انّ كلّ جزء من اجزائها لتوافقها مع الكلّ في الطّبع لو خلّي وطبعه لما استقرّ الّا في حيّز المركز كماهو المشهود، ولو كان الاجزاء طالبة للكلّ ولسنخها كما قيل للزم عدم افتراق ما اتّصل بقلل الجبال الى السّفل والارض ساكنة في حيّزها غير متحرّكة، وان قال بحركتها المتحدّسون بقوّة الحسّ وليست تلك الكرة كالكرة الواقعة في الماء الطّافية فوق الماء حتّى تحتاج الى مايسكنها عن الحركة والانقلاب وليست الجبال بمايزيد في سكونها لانّه ليس ارتفاع الجبال المرتفعة البالغة غاية الارتفاع بالنّسبة الى قطر الكرة الّا مقدار شعيرة اواقلّ، وظاهر الآية يدلّ على انّ تلك الكرة لولم يكن الجبال تضطرب وتنقلب وتتحرّك ولا يمكن التّعيّش عليها الّا بالجبال فنقول: انّ الجبال وان لم تكن اسباباً لسكون الكرة كماعرفت لكنّه قد يقع الزّلزلة القويّة باسباب سماويّة وارضيّة ولولا الجبال لسرت تلك الزّلزلة الى مجاورات القطعة الّتي وقعت فيها الزّلزلة مسافات كثيرة والجبال تمنع من تلك السّراية كما لايخفى، وهذا القدر كاف في صدق ظاهر الآية مع انّ المقصود بطونها، وايضاً قد سلف منّا انّ العالم بتمام اجزائه مظاهر لاسماء الله وانّ خلفاء الله اسماء الله العظماء والجبال مظاهر لها بسكونها وارتفاعها وثقلها وصلابتها وجريان المياه من تحتها، وقد يجري احكام الظّاهر على المظاهر كما مضى من جريان احكام القلب والصّدر على بيت الله ومكّة، وقد ورد في الاخبار لو لا الامام لماجت الارض بأهلها، اولو فقد الحجّة لساخت الارض باهلها، وغير ذلك من الاخبار فبوجود خلفاء الله (ع) وجود الارض وسكونها وقرارها، و لمّا كانت الجبال مظاهر لخلفاء الله حكم عليها انّ

بها قرار الارض وسكونها اجراءً لحكم الظّاهر على المظهر، هذا بحسب التّنزيل، واما بحسب التّأويل فالعقول الكلّيّة المعبّر عنها بالقيام لاينظرون وبالمقرّبين بوجه جبال الارض، والعقول العرضيّة المعبّر عنها بالصّافّات صفّاً جبال الارض، والنّفوس الكلّيّة المعبّر عنها بالمدبّرات امراً والنّفوس الجزئيّة المعبّر عنها بالرّكّع والسّجّد والاقدار المثاليّة المعبّر عنها بذوى الاجنحة كلّها جبال الارض، وخلفاء الله فى الارض اعظم جبال الارض، هذا فى الكبير وكلّ ما فى الكبير فهو بعينه جارٍ فى العالم الصّغير [وَأَنْهٰاراً] بواسطة الرّواسى [وَسُبُلاً] فى الارض [لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ] بالسّبل الى مقاصدكم من الاسفار البعيدة والامتعة الّتى فى غير امكنتكم اولعلّكم تهتدون الى المقصد الحقيقىّ من التّوجّه الى الله والسّير على سبيله الّذى جعل لكم من الانبياء والاولياء (ع) [وَعَلٰامٰاتٍ] ممّا يستدلّ السّيّارة على استقامة سيرهم الى مقاصدهم [وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ] بجنس النّجم فى اللّيل كما هو شأن السّيّارة او بالنّجم الخاصّ الّذى هو الجدى كما فى الخبر و باطنه رسول الله (ص) و الائمّة (ع) واصحابهم وخلفاؤهم كما اشير اليه فى الاخبار [أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لاٰ يَخْلُقُ] من الاصنام و الكواكب و غيرها [أَفَلاٰ تَذَكَّرُونَ] حتّى لاتجعلوا المخلوق مشاركاً للخالق [وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللّٰهِ لاٰ تُحْصُوهٰا إِنَّ اللّٰهَ لَغَفُورٌ] فلا يؤاخذكم بالتّقصير فى القيام بشكرها [رَحِيمٌ] فلا يقطعها عنكم بتقصيركم بل يزيدها يوماً فيوماً [وَاللّٰهُ يَعْلَمُ مٰا تُسِرُّونَ] من الاعمال و الاحوال و النّيّات و الخيالات و الخطرات و الاخلاق و العقائد و الاقوال و المكمونات الّتى لم تظهر بعد على انفسكم [وَمٰا تُعْلِنُونَ] ممّا ذكر، والاعلان فى كلّ بحسبه [وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللّٰهِ] كالملائكة والكواكب والاصنام والشّياطين والرّؤساء فى الضّلالة [لاٰ يَخْلُقُونَ شَيْئاً] فلا يستحقّون الدّعوة [وَهُمْ يُخْلَقُونَ] فلا يمتازون عنكم حتّى تختارهم بالدّعوة [أَمْوٰاتٌ غَيْرُ أَحْيٰاءٍ] فهم ادون منكم فانتم اولى بان يدعوكم الّذين تدعون من دون الله [وَمٰا يَشْعُرُونَ أَيّٰانَ يُبْعَثُونَ] لاشعور لهم ببعثتهم فكيف بوقت بعث غيرهم والمجازاة والشّفاعة لهم [إِلٰهُكُمْ إِلٰهٌ وٰاحِدٌ] كالنّتيجة وقد مضى مثله وانّ المقصود انّ الّذى هو آلهكم اله ومستحقّ للعبادة وواحد لامتعدّد بخلاف ما جعلوه آلهاً [فَالَّذِينَ لاٰ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُمْ مُنْكِرَةٌ] لايعرفون الآله ولاامر الآخرة [وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ] فانّ الاستكبار هو الخروج عن حكم الله وحكم خلفائه وهم خارجون لعدم اعتقادهم بالله و بخلفائه [لاٰ جَرَمَ] مصدر من الجرم بمعنى كسب الذّنب ومعنى لاجرم لاذنب فى الاصل لكنّه يستعمل بمعنى حقّاً و اصل المعنى لاجرم اى لاذنب فى كذا يعنى فى اعتقاد كذا لكونه متحقّقاً ثابتاً [أَنَّ اللّٰهَ يَعْلَمُ مٰا يُسِرُّونَ وَمٰا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ لاٰ يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ] تعليل للمقصود من التّهديد على افعالهم بالمؤاخذة وفى الخبر لايؤمنون بالآخرة يعنى الرّجعة قلوبهم منكرة يعنى كافرة وهم مستكبرون يعنى عن ولاية علىّ (ع) انّه لايحبّ المستكبرين يعنى عن ولاية علىّ (ع) [وَإِذٰا قِيلَ لَهُمْ مٰاذٰا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قٰالُوا أَسٰاطِيرُ الْأَوَّلِينَ لِيَحْمِلُوا أَوْزٰارَهُمْ كٰامِلَةً يَوْمَ الْقِيٰامَةِ وَ مِنْ أَوْزٰارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلاٰ سٰاءَ مٰا يَزِرُونَ] قالوا ذلك اضلالاً للنّاس و صدّاً وكان غاية ذلك ان يحملوا اوزار ذلك القول والصّدّ وبعض اوزار من اضلّوهم وبغير علم ظرف مستقرّ حال من مفعول يضلّونهم اوفاعله

اوفاعل ليحملوا ، اوظرف لغو متعلّق بيحملوا اويضلّونهم، وفى الخبر انّما لم يعذر الجاهل لانّ عليه ان يبحث وينظر بعقله حتّى يميّز بين المحقّ والمبطل ، وعن الباقر (ع) ما ذا انزل ربّكم فى علىّ (ع) قالوا اساطير الاوّلين وعن الصّادق (ع) والله ما اهريقت محجمة من دم ولا قرع عصاً بعصاً ولا غصب فرج حرام ولا اخذ مال من غير حلّه الّا وزر ذلك فى اعناقهما من غير ان ينتقص من اوزار العالمين شيء [قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَأَتَى اللَّهُ بُنْيانَهُمْ مِنَ الْقَواعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ] تمثيل لحالهم فى مكرهم بحال من بنى سقفاً على اساطين محكمة قصداً للرّاحة تحته فاستوصلوا به وخرب تلك السقوف من جهة الاساطين الّتى بها استحكامها، والمراد باتيان الله اتيان امره بالاهلاك [وَأَتاهُمُ الْعَذابُ] عذاب خراب السّقف [مِنْ حَيْثُ لا يَشْعُرُونَ] بل من حيث يظنّون بقاءه اواتاهم عذاب غير خراب السّقف [ثُمَّ يَوْمَ الْقِيامَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكائِيَ] من الاصنام و الكواكب و الاهوية وغيرها اوشركاء مظاهرى من الاولياء و الاصل علىّ (ع) [الَّذِينَ كُنْتُمْ تُشاقُّونَ فِيهِمْ] تعاندون المؤمنين ومظاهرى فى حقّهم، اوتخالفون الانبياء والاولياء (ع) فى حقّهم [قالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ] الانبياء (ع) واوصيائهم اوجملة المؤمنين وائمّتهم [إِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ وَالسُّوءَ عَلَى الْكافِرِينَ] الخزى الهوان و السّوء العذاب [الَّذِينَ تَتَوَفّاهُمُ الْمَلائِكَةُ] خبر مبتدء محذوف او مفعول فعل محذوف اوصفة للكافرين [ظالِمِي أَنْفُسِهِمْ] ظالمين فى حقّهم اوفى حقّ امامهم فانّه بمنزلة انفسهم بل اولى بهم منهم [فَأَلْقَوُا السَّلَمَ] اى الاستسلام و الانقياد او القول بالاستسلام و الانقياد [ما كُنّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ] تفسير للسّلم على الّذين انكروا ما فعلوا من الجحود والانكار والاستهزاء فى الدّنيا [بَلى] ردّ من الملائكة اومن الله اى قالوا اوقال بلى [إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ] فلا ينفعكم انكاره الآن [فَادْخُلُوا] جزاء لأعمالكم [أَبْوابَ جَهَنَّمَ] كلّ من بابه الخاصّ به [خالِدِينَ فِيها فَلَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ] جهنّم [وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا] قد مرّ مراراً انّ التّقوى الحقيقيّة لا تكون الّا بالولاية و البيعة الخاصّة الولويّة [ماذا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قالُوا خَيْراً] اقرار بالانزال من الرّبّ و تصديق لكونه خيراً استسلاماً [لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا] صاروا ذاحسن و الحسن على الاطلاق علىّ (ع) وكلّما اتّصل به من طريق الولاية كان ذا حسن به او احسنوا الى انفسهم او الى غيرهم [فِي هذِهِ الدُّنْيا حَسَنَةٌ] وهو طيبوبة المآكل والمشارب والمناكح والمراكب [وَلَدارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ] لخلوص الطيبوبة لهم هناك من غواشى المادّة وآلامها وقوله لّلذين احسنوا مقول لقولهم تفسير الخير اواستيناف من الله [وَلَنِعْمَ دارُ الْمُتَّقِينَ جَنّاتُ عَدْنٍ] مخصوص نعم اومبتدأ خبره [يَدْخُلُونَها] اويدخلونها صفة و [تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ] خبره اوتجرى صفة بعد صفة و [لَهُمْ فِيها ما يَشاؤُنَ] خبره ويحتمل كون الجمل حالات مترادفة اومتداخلة وكون بعضها حالاً وبعضها صفة وبعضها خبراً وقد مضى فى آل عمران فى نظير الآية مع جريان الانهار من تحت الجنّات [كَذلِكَ يَجْزِي اللَّهُ الْمُتَّقِينَ] وفى الخبر : ولنعم دار المتّقين الدّنيا [الَّذِينَ تَتَوَفّاهُمُ الْمَلائِكَةُ] صفة للمتّقين اوخبر مبتدء محذوف اومفعول فعل محذوف

اومبتدء خبره يقولون او ادخلوا بتقدير القول [طَيِّبِينَ] من المعاصي او من الشرك [يَقُولُونَ سَلٰامٌ عَلَيْكُمْ] تحيّة لهم اوبمعنى سلامة لكم من كلّ سوء [اُدْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمٰا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ] على طريق الولاية [هَلْ يَنْظُرُونَ] ينتظرون اى الّذين لايؤمنون بالآخرة [اِلّٰا اَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلٰائِكَةُ] حين الموت [اَوْ يَأْتِيَ اَمْرُ رَبِّكَ] بالعذاب او بخروج القائم (ع) [كَذٰلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَمٰا ظَلَمَهُمُ اللّٰهُ] بتدميرهم وعذابهم [وَلٰكِنْ كٰانُوا اَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ فَأَصٰابَهُمْ سَيِّئٰاتُ مٰا عَمِلُوا وَحٰاقَ بِهِمْ مٰا كٰانُوا بِهِ يَسْتَهْزِؤُنَ] من العذاب اوالمعاد اوالرّجعة اومطلق ما قاله رسلهم [وَقٰالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شٰاءَ اللّٰهُ مٰا عَبَدْنٰا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَحْنُ وَلٰا اٰبٰاؤُنٰا وَلٰا حَرَّمْنٰا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ كَذٰلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ] فى جواب من لامهم على شركهم وتحريمهم وقد مضى الآيه بتفسيرها مفصّلاً [فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ اِلَّا الْبَلٰاغُ الْمُبِينُ] يعنى انّ نسبتهم فعلهم السّيّء الى الله كنسبة المرأة الفاحشة شآمة فعلها الى غيرها وليس لها وجه صحّة لانّ ماعلى الله هو ارسال الرّسل لهدآيتهم وليس على الرّسل الّا البلاغ [وَلَقَدْ بَعَثْنٰا فِي كُلِّ اُمَّةٍ رَسُولاً] ولقد بلّغ الرّسل فقد ادّينا ما علينا وادّوا ما عليهم فالنّقص والتّقصير كان منهم [اَنِ اعْبُدُوا اللّٰهَ وَاجْتَنِبُوا الطّٰاغُوتَ] فلم يقبلوا من رسولهم [فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللّٰهُ] بقبوله قول الرّسول (ع) [وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلٰالَةُ] و وجه اختلاف الفعلين فى النّسبة ظاهر لانّ الهداية منتسبة الى الله اوّلاً و بالذّات و الاضلال منتسب اليه تعالى ثانياً وبالعرض وفى الخبر، ما بعث الله نبيّاً قطّ الا بولايتنا والبراءة من اعدائنا وذلك قوله تعالى: ولقد بعثنا (الآية) الى قوله من حقّت عليه الضّلالة يعنى بتكذيبهم آل محمّد ووجه الخبر قد مضى مفصّلاً من انّ شأن النّبوّة الانذار والدّلالة الى الولاية وانّ ولاية كلّ وليّ ظلّ من ولاية الاولياء الكلّيّة وهم آل محمّد (ص) وانّ عبادة الله لاتتصوّر الّا من طريق الولاية وانّ آل محمّد (ص) مظاهر الله وعبادة الله لا تتصوّر الّا بتوسّط طاعة المظاهر [فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ] اى ارض عالم الطّبع لتعلموا آثار المكذّبين واخبارهم اوارض القرآن واخبار الماضين اوارض العالم الصّغير [فَانْظُرُوا كَيْفَ كٰانَ عٰاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ اِنْ تَحْرِصْ عَلَى هُدٰيٰهُمْ] يا محمّد (ص) [فَاِنَّ اللّٰهَ لٰا يَهْدِي مَنْ يُضِلُّ وَمٰا لَهُمْ مِنْ نٰاصِرِينَ] اقناط له (ص) عن هديهم و تهديد بليغ للمكذّبين [وَاَقْسَمُوا بِاللّٰهِ جَهْدَ اَيْمٰانِهِمْ] تعليل لاقناطه [لٰا يَبْعَثُ اللّٰهُ مَنْ يَمُوتُ] وجهد الايمان الايمان المغلّظة المؤكّدة ومن لا يعتقد البعث لاينجع فيه نصح [بَلىٰ] ردّ عليهم [وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلٰكِنَّ اَكْثَرَ النّٰاسِ لٰا يَعْلَمُونَ] ولوعلموا لعلموا انّهم فى البعث آناً فآناً و يوماً فيوماً من غير انتظار البعث الكلّيّ الآتى [لِيُبَيِّنَ لَهُمُ] متعلّق ببيعث المقدّر بعد بلى [الَّذِي يَخْتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا] بالله اوالآخرة اوبالولاية [اَنَّهُمْ كٰانُوا كٰاذِبِينَ] فى انكار البعث والجزاء والعقاب اوفى ادّعاء الخلافة والاستبداد [اِنَّمٰا قَوْلُنٰا لِشَيْءٍ اِذٰا اَرَدْنٰاهُ اَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ] بيان لسهولة الاعادة عليه، وقدورد عن الصّادق (ع) انّه قال لابى بصير: ما تقول فى هذه الآية ؟ـ فقال: انّ المشركين يزعمون ويحلفون لرسول الله (ص) انّ الله لايبعث الموتى قال: فقال: تبّاً لمن قال هذا ؛ سلهم هل كان المشركون يحلفون بالله ام باللّات والعزّى؟! قال قلت: جعلت فداك

فأوجدنيه قال: فقال: يا ابا بصير لو قدقام قائمنا بعث الله قوماً من شيعتنا قبائع[1] سيوفهم على عواتقهم فيبلغ ذلك قوماً من شيعتنا لم يموتوا فيقولون: بعث فلان و فلان وفلان من قبورهم وهم مع القائم (ع) فيبلغ ذلك قوماً من عدوّنا فيقولون يامعشر الشّيعة ما اكذبكم هذه دولتكم وانتم تقولون فيها الكذب لا والله ما عاش هؤلآء ولا يعيشون الى يوم القيامة قال فحكى الله قولهم فقال: وأقسموا بالله جهد ايمانهم لا يبعث الله من يموت، وبهذا المضمون اخبار كثيرة [وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا] تنزيله فى رسول الله (ص) والّذين هاجروا معه وبعده الى المدينة والّذين هاجروا قبله الى الحبشة بعد ما آذاهم المشركون ايذاء كثيراً والّذين حبسوهم قريش بمكّة بعد هجرة رسول الله (ص) وآذوهم ثمّ هاجروا الى رسول الله، ومعنى قوله فى الله فى طريق الله وهو الرّسول (ص) والامام او الرّسالة والولاية والطّريق الموصل اليهما او فى طلب الله او فى ابتغاء مرضاة الله او فى طاعة الله، ولمّا كان التّنزيل غير مختصّ بمن نزلت الآية فيه بل تعمّه وغيره ممّن هو متّصف بوصفه كانت الآية شاملة لكلّ من هاجر من وطنه الصّورىّ ابتغاء دين الله الى نبىّ اوولىّ من بعد ما تأذّى بانقلابات الزّمان واذى الاقران وتصرّفات الشّيطان، وتأويله كلّ من هاجر من اوطان شركه النّفسانيّة كما قال (ع): المهاجر من هجر السّيّئات الى رسوله العقل ونبيّه القلب وامامه الرّوح والكلّ دين الله وطريق الله ومظاهر الله، والهجرات الثّلاث متعاقبة مترتّبة فانّ الهجرة تقع اوّلاً من دار الشّرك النّفسانيّة الى دار الاسلام الصّدر ثمّ منها الى دار الايمان القلب ثمّ منه الى دار العيان الرّوح و بعبارة اخرى تقع الهجرة من دار الشّرك الى الرّسول و قبول احكامه القالبيّة ثمّ منه الى النّبىّ و قبول احكامه القلبيّة ثمّ منه الى الولىّ و قبول ارادته الرّوحيّة [لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا] داراً [حَسَنَةً] اوتبوئة حسنة اوحالاً حسنة كما وقع فى الصّورة للمهاجرين مع الرّسول (ص) اذآواهم وعزّزهم اهل مدينة وكما وقع لجعفر و اصحابه اذآويهم النّجاشى وعزّزهم، وفى الباطن لكلّ من هاجر من دار النّفس الامّارة اذ يأوى الى دار الصّدر السّالمة من تنازع القوى النّفسانيّة وتحاسد المتحاسدين وايذاء الموذين وهكذا، وهذا اجر الدّنيا [وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ] وهو لقاء الرّحمن وجنّة الرّضوان [لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ] لو كان النّاس يعلمون ذلك لاختاروا الهجرة اولما تثبّطوا اولو كان الّذين هاجروا يعلمون لسرّوا بذلك اوليتهم كانوا يعلمون فيتبادروا الى ذلك او فيسرّوا بذلك [الَّذِينَ صَبَرُوا] بدل من الّذين هاجروا اوصفة له اوخبر مبتدء محذوف او مفعول فعل محذوف [وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالاً] فلاغرو فى كونك رجلاً من جنسهم فانّك مثل الرّسل الماضين [نُوحِي إِلَيْهِمْ] وكان امتيازهم بالوحى كما انّ امتيازك بالوحى فانكارهم لرسالتك لكونك بشراً مثلهم انكار لرسالة جميع الرّسل [فَاسْئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ] الذّكر هو اضافة الحقّ الى الخلق وهى المشيّة و الحقّ المخلوق به وهو حقيقة الولاية و خاتم الاولياء وهو علىّ (ع) هو المتحقّق بها و مظهرها التّامّ وسائر الاولياء (ع) مظاهر علىّ (ع) ومن اظلاله، والنّبوّة الّتى هى المصباح مظهر الولاية والرّسالة الّتى هى كالزّجاجة مظهر النّبوّة، ومافى عالم الطّبع من بشريّة الرّسل والأنبياء والاولياء (ع) وكتبهم واحكامهم القالبيّة والقلبيّة وسائر اجزاء عالم الطّبع الّتى هى كالمشكوة بتمامها مستنيرة بنور المصباح وذلك النّور هو ذكر الحقّ و تذكّره، و اهل الذّكر تارة يطلق على من يتصرّف الذّكر كالاولياء و الانبياء والرّسل (ع) و تارةً يطلق على من اضيف اليه الذّكر وهو كلّ من قبل دعوة الرّسل (ع) والانبياء الدّعوة الظّاهرة اودعوة الاولياء (ع) الدّعوة

(١) قبيعة السّيف، كالسّقيفه ماعلى طرف مقبض السّيف من فضة اوحديد.

الباطنة، وكذا يطلق اهل الذّكر على من انتحل الدّعوة العامّة كاليهود والنّصارى والمجوس واكثر اهل الاسلام فانّهم ليسوا من اهل الذّكر و الملّة الآلهيّة حقيقةً اذ تحقّق الانتساب الى ملّة له شرائط و عهود و مواثيق وليست تلك لهم ، والذّكر يطلق على الاولياء واحكامهم وعلى الانبياء والرّسل (ع) واحكامهم وكتبهم الآلهيّة فتفسير الذّكر بالرّسول (ص) و بعليّ (ع) وبالقرآن وبسائر الكتب السّماويّة وبأحكام الرّسالة والنّبوّة التّي هي الملّة الآلهيّة صحيح ، وكذلك تفسير اهل الذّكر بالانبياء والاولياء (ع) والاصل في الكلّ آل محمّد (ص) وبمن قبل الدّعوة العامّة ومن قبل الدّعوة الخاصّة وبمن انتحل الانتساب الى نبيّ وملّة آلهيّة وكتاب سماويّ كلّها صحيح ، و السّؤال قد يكون عن حال الرّسل و الانبياء والاولياء (ع) ، و قد يكون عن علامات رسولنا الختميّ (ص) وعن اوصيائه ، وقد يكون عن احكام النّبوّة ؛ اذا عرفت ذلك سهل عليك التّفطّن بصحّة ما في الاخبار من اختلاف تفسير الآية ومن التّفاسير التّي هي مخالفة لظاهر الآية من انكار تفسير اهل الذّكر باهل الكتاب وانّ اهل الكتاب اذا سألوا يدعونكم الى دينهم ومن تفسير اهل الكتاب وتخصيصهم بانفسهم [إِنْ كُنْتُمْ لٰا تَعْلَمُونَ] اوصاف الانبياء اواوصاف محمّد (ص) الموعود اولا تعلمون احكام الدّين اولا تعلمون [بِالْبَيِّنٰاتِ وَالزُّبُرِ] البيّنات آثار النّبوّة والرّسالة واحكامهما والزّبر آثار الولاية واحكامها، والتّفسير بالمعجزات والكتب السّماويّة لانّهما آثار النّبوّة والولاية، وقيل: قوله بالبيّنات والزّبر متعلّق بما ارسلنا ، وقيل : متعلّق بمحذوف وهو مستأنف كأنّه قيل: بم ارسلوا؟ فقال: بالبيّنات والزّبر [وَأَنْزَلْنٰا إِلَيْكَ الذِّكْرَ] اى القرآن اواحكام النّبوّة اوالولاية [لِتُبَيِّنَ لِلنّٰاسِ مٰا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ] والمقصود من مجموع ما نزل ولاية عليّ (ع) فلاينبغي لك ان تنظر الى ردّهم وقبولهم بل عليك النّظر الى غاية الامر و التّنزيل وهي التّبيين ردّوا اوقبلوا [وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ] فيعلموا انّ الاصل في جملة الاحكام هو الاقتداء والخروج من الرّأي والاستبداد ولا يتيسّر ذلك الّا بوجود من يقتدى به وانّه لابدّ لك من تعيين من يقتدى به باذن الله حتّى يسلّموا الامر لخليفتك ومن عيّنته فيأتمّوا به ويفلحوا [أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئٰاتِ] و خصوصاً انكار الولاية التّي بها قوام الصّالحات و في انكارها ليس الاعمال الّا السّيّئات [أَنْ يَخْسِفَ اللّٰهُ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذٰابُ مِنْ حَيْثُ لٰا يَشْعُرُونَ] بمجيئه من تلك الحيثيّة كاتيان العذاب من حيث يرجى الثّواب وهو صورة الاعمال الصّالحة اذا لم تكن بأمر خليفة الله كما قال: قل هل ننبّئكم بالاخسرين اعمالاً الّذين ضلّ سعيهم في الحيوة الدّنيا وهم يحسبون انّهم يحسنون صنعاً فانّ صورة الاعمال الشّرعيّة تصير سبباً لغرور النّفس وحسبان انّها على خير لكنّها ان لم تكن بامر وليّ الامر (ع) وخليفة الرّسول (ص) بل باستبداد النّفس ورأيها اورأى من ليس للرّأى باهل فهي ضالّة غير نافعة ، اوالمقصود من حيث لا يشعرون بشيء من العذاب وعدمه كوقت المنام والغفلة عن الاعمال والعذاب ولعلّه اوفق بما بعده [أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقَلُّبِهِمْ] في مكاسبهم ومتاجرهم او في تقلّبهم في آرائهم ومكرهم ، او في تقلّبهم فيما يحسبونه صلاحاً لهم كصور الاعمال الصّالحة [فَمٰا هُمْ بِمُعْجِزِينَ] لنا ان نعذّبهم في عين استيقاظهم وتفطّنهم [أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلىٰ تَخَوُّفٍ] حالكونهم على حذر و التفات الى العذاب وتمحّلهم لدفعه بان يتنبّهوا بما نزل بامثالهم [فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَؤُفٌ رَحِيمٌ] الفاء للسّببيّة المحضة لا من الّذين مكروا السّيّئات يعني لاينبغي ان يأمنوا بسبب رحمته فانّ رحمته لاتصل اذا لم يكن استحقاق ، او للجواب والجزاء لشرط محذوف يعني ان يمهلكم

ولا يعاجلكم فانّ ربّكم لرؤف رحيم ، اوللّسببيّة لمحذوف من غير تقدير بشرط كأنّه قيل: لم لايؤاخذهم؟ـ فقال: لايؤاخذ فانّ ربّكم لرؤف رحيم [أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ يَتَفَيَّؤُا ظِلَالُهُ] يتقلّب ظلاله بتقلّبه [عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ] توحيد اليمين وجمع الشّمائل للاشارة الى وحدة جهة اليمين فى المعنى وكثرة جهة الشّمائل فانّ اليمين المعنويّة لكلّ شيء هى وجهته الا لهيّة وشماله هى وجهته الخلقيّة والوجهة الآلهيّة كثرتها منطوية فى الوحدة والوجهة الخلقيّة وحدتها فانية فى الكثرة [سُجَّدًا لِلَّهِ] حال من ظلاله اومما خلق الله ، وجمعه باعتبار المعنى [وَهُمْ دَاخِرُونَ] حال مترادفة مع سابقه اومتداخلة اوكلّ حال من ذى حال ، والدّخور الانقياد و جمعه بالواو والنّون لانتساب وصف الدّخور اوالسّجود الّذى هومن اوصاف العقلاء اليهم ، اولانّ الكلّ من حيث انتسابها الى الله عقلاء علماء .

اعلم ، انّ الظّلّ هوشاكلة الشّاخص الّتى تحدث من الشّاخص الكثيف اذا قابل شيئاً منيراً فى طرف مقابل للمنير وهى تتقلّب بتقلّب الشّاخص وتسكن بسكونه ولا اختصاص لها بما يقابل الشّمس ولا بما فى عالم الطّبع بل تحصل من كلّ مايقابل منيراً ، والمنير الحقيقىّ هوالله وفعله المعبّر عنه بالمشيّة ، وعالم العقول بالنّسبة الى المشيّة كالشّاخص ، وعالم النّفوس بالنّسبة الى العقول كالشّاخص ، والمثال بالنّسبة الى النّفوس ، وعالم الطّبع بالنّسبة الى عالم المثال ، وعالم الجنّة بالنّسبة الى عالم الطّبع ، فظلّ كلّ عبارة عمّا دونه من العوالم وسجود كلّ عبارة عن تسخّره لله تعالى شأنه وتذلّله له تكويناً ، ودخوره عبارة عن اتّباعه وحركته وسكونه على وفق ارادته ومشيّته والكلّ بالنّسبة اليه ذووشعور وارادة وعلم . ولمّا كان لعالم الطّبع ظلّ نورانىّ كما يحدث من المرآة حين مقابلة الشّمس وينعكس منها الى جهة الشّعاع لا الى خلافه وهو المعبّر عنه بالمثال الصّاعد وظلّ ظلمانىّ كما يحدث من خلف المرآة وينعكس الى الجهة المخالفة للشّعاع وهوالمعبّر عنه بالمثال النّازل والملكوت السّفلىّ وعالم الظّلمة ، وكانت الملكوت السّفلىّ محلّ الكثرات و الاختلافات والتّغيّرات وكانت الشّمال تعبيراً عن هذه ، والملكوت العليا محلّ الوحدة واتّحاد المتكثّرات واجتماع المتغايرات وكانت اليمين تعبيراً عنها قال عن اليمين والشّمائل اشارة بوحدة الاوّل وجمع الثّانى الى جهة اتّحاد الاوّل وكثرة الثّانى [وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ] نتيجة لسابقه كأنّه قيل: مافى السّماوات وما فى الارض ظلّ لله تعالى وكلّ ظلّ ساجد منقاد لذى ظلّه كماهومشهود من ظلال الاشياء، فمافى السّماوات والارض ساجد داخر لله [مِنْ دَابَّةٍ] بيان لما فى السّماوات ومافى الارض على ان يكون الدّابة هى الّتى تتحرّك اوبيان لما فى الارض [وَالْمَلَائِكَةُ] عطف على دابّة بطريق النّشر خلاف اللّفّ اوعلى مافى السّماوات والمراد الملائكة الّذين هم فوق السّماوات والارض [وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ] عن عبادته [يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ] حال على سبيل التّرادف اوالتّداخل اومستأنف لبيان حالهم اوللتّعليل على عدم استكبارهم وفاعل لايستكبرون امّا الملائكة اوجملة مافى السّماوات ومافى الارض والملائكة وليس المراد بالخوف ماهومن صفات النّفس ومنفىّ عمّن تخلّص من النّفس وصفاتها كما قال تعالى : الا انّ اولياء الله لاخوف عليهم بل المراد هو التّذلّل والانقباض الّذى هوحاصل لكلّ محاط بالنّسبة الى المحيط المعبّر عنه بالخشيّة والهيبة والسّطوه باعتبار مراتب الموصوفين ولذلك قيّده بقوله: من فوقهم سواء كان ظرفاً مستقرّاً حالاً من ربّهم ، اوظرفاً لغواً متعلّقاً بيخافون اى يخافون خوفاً ناشئاً من فوقهم [وَيَفْعَلُونَ

مٰايُؤْمَرُونَ] فانّ حالهم كحال القوى النّفسانيّة بالنّسبة الى النّفس الانسانيّة من حيث انّها لاتعصيها اذا كانت باقية على السّلامة الطّبيعيّة بل كحال الصّور الذّهنيّة بالنّسبة الى النّفس من حيث انّها لاوجود لها سوى وجود النّفس، فحال الملائكة بل حال جميع الموجودات تكويناً كحال القوى والصّور الذّهنيّة وان كان حال الانسان اختياراً غير حاله تكويناً لانّه يعصى ويتأبّى ممّا امر به ويزعم انّ له وجوداً وفعلاً بنفسه [وَقٰالَ اللّٰهُ لاٰتَتَّخِذُوا إِلٰهَيْنِ اثْنَيْنِ] لمّا كان الٰهين مشتملاً على الجنس و العدد اكّده باثنين اشعاراً بانّ النّهى عن الاتّخاذ انّما هو بالنّسبة الى العدد كما فعل الثّنويّة لا الى الجنس فانّ اخذ الآله مأموراً به مع وصف الوحدة كما قال [إِنَّمٰا هُوَ إِلٰهٌ وٰاحِدٌ] اثباتاً للجنس مؤكّداً بالوحدة ولم يقل: بل اتّخذوا آلهاً واحداً؛ اشعاراً بانّ كونه آلهاً ليس بجعل جاعل حتّى يؤمر بالاتّخاذ بل هو امر ثابت فى نفسه اخذ اولم يؤخذ [فَإِيّٰايَ فَارْهَبُونِ] جواب شرط محذوف كأنّه قال : اذا كان الآله واحداً وانا ذلك الواحد فايّاى فارهبون يعنى ايّاى اتّخذوا آلهاً وارهبونى [وَلَهُ مٰا فِي السَّمٰوٰاتِ وَالْأَرْضِ] عطف فى معنى التّعليل [وَلَهُ الدِّينُ] الدّين ههنا الطّريق المؤدّى للسّالك فيه الى غايته [وٰاصِبًا] واجباً لازماً حال من الدّين اى حالكونه لازماً يعنى الدّين التّكوينىّ الفطرىّ بخلاف التّكليفىّ الاختيارىّ فانّه قد يكون للشّيطان ومنهياً للسّالك الى الشّيطان او وصف للمفعول المطلق مؤكّداً لغيره اى له الدّين حقّاً واصباً ، والدّين على هذا هو الطّريق الحقّ وعلى اىّ تقدير فالمقصود انّ الدّين الفطرىّ له اوالدّين الحقّ له فاجعلوا الدّين بحسب اختياركم له [أَفَغَيْرَ اللّٰهِ تَتَّقُونَ] عطف على محذوف اى اغير الله تتّخذون آلهاً فغيره تتّقون اوجواب شرط محذوف اى اذا كان الآلهة له وحدة فآغير الله تتّقون على ان يكون الهمزة على التّقديم والتّاخير [وَمٰا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللّٰهِ] حال من الله او من فاعل تتّقون [ثُمَّ إِذٰا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ] تتضرّعون يعنى اغير الله تتّقون والحال انّ النّعمة منه ولا دافع للمضرّة الّا هو والاتّقاء من الآله امّا للخوف من منع النّعمة اوايصال النّقمة [ثُمَّ إِذٰا كَشَفَ الضُّرَّ عَنْكُمْ إِذٰا فَرِيقٌ مِنْكُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ] بدل ان يوحّدوه ويعظّموه لنعمة كشف الضّرّ [لِيَكْفُرُوا بِمٰا آتَيْنٰاهُمْ] من نعمة كشف الضّرّ و سائر النّعم يعنى يصير غاية اشراكهم ذلك [فَتَمَتَّعُوا] امر للتّهديد [فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ وَيَجْعَلُونَ لِمٰا لاٰ يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِمّٰا رَزَقْنٰاهُمْ] عطف على يشركون وبيان لاشراكهم [تَاللّٰهِ لَتُسْأَلُنَّ عَمّٰا كُنْتُمْ تَفْتَرُونَ] من اتّخاذ الآلهة والتّقرّب بهم الى الله وجعل النّصيب من رزق الله لهم [وَيَجْعَلُونَ لِلّٰهِ الْبَنٰاتِ] وفيه افتراءان؛ جعل الملائكة اناثاً، ونسبة التّوالد اليه تعالى [سُبْحٰانَهُ] عن نسبة التّوالد و هو للتّعجّب اله البنات [وَلَهُمْ مٰا يَشْتَهُونَ] اى البنون [وَإِذٰا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثىٰ] جملة حاليّة [ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ] ساتر للغيظ اومملوّ من الغيظ [يَتَوٰارىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مٰا بُشِّرَ بِهِ] قائلاً عند نفسه متفكّراً [أَيُمْسِكُهُ عَلىٰ هُونٍ] و هوان من امساكه [أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرٰابِ] ليتخلّص من هوانه [أَلاٰ سٰاءَ مٰا يَحْكُمُونَ] من جعل النّصيب فى رزق الله لغيره وجعل البنات له وجعل الملائكة اناثاً و جعل البنين لانفسهم [لِلَّذِينَ لاٰ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ

وَلِلّٰهِ الْمَثَلُ الْأَعْلٰى] يعنى ان كانوا يريدون بجعل الملائكة بناتٍ تمثيلاً لحال الملائكة فى غاية قربهم من الله وكرامتهم عليه لا التّوالد الحقيقىّ فليمثّلوا بالمثل الاعلى له ولا يمثّلوا بمثل السّوء له ويبقوا المثل الاعلى لانفسهم، اوالله المثل الاعلى فليمثّلوا بالامثال اللّائقة بعلوّه ممّا يدلّ على التّنزّه عن التّوالد [وَهُوَ الْعَزِيزُ] الغالب الّذى لايتطرّق شبه الحاجة اليه ولايمثّل له بما يوهم الحاجة [الْحَكِيمُ] الّذى لا يقول الّا عن علمٍ بكنه كلّ شيءٍ [وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللّٰهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ] ومنه تسمية الملائكة اناثاً ونسبة الولد الى الله او التّمثيل له بمثل غير لائقٍ بشأنه [مَا تَرَكَ عَلَيْهَا] على الارض [مِنْ دَابَّةٍ] لانّ ظلمهم قد سرى الى البهم من الدّوابّ وبجزائهم يهلك الدّوابّ ايضاً [وَلٰكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلٰى أَجَلٍ مُسَمًّى] ليبلغوا ما بلغوا من الشّقاوة و يتوب من يتوب و يسعد من يسعد [فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ] قد مضى انّ المعنى اذا قدّر مجيء اجلهم حتّى لايستشكل بيستقدمون [وَيَجْعَلُونَ لِلّٰهِ مَا يَكْرَهُونَ] من البنات والشّركاء فى الرّياسة واراذل الاموال [وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكَذِبَ] ان قرئ برفع الكذب فهو صفة لالسنتهم كما انّه قرئ الكذب بضمّتين مرفوعاً و جمعاً للكذوب وصفة لالسنتهم، وان قرئ بنصب الكذب كما هو المشهور فهو مفعول تصف و على الاوّل فقوله [أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنٰى] مفعول تصف و على الثّانى فهو بدل من الكذب و قد قالوا لئن رجعت الى ربّى انّ لى عنده للحسنى، و يجوز ان يكون انّ لهم الحسنى بتقدير اللّام تعليلاً لتصف على الوجهين والمعنى لانّ لهم الحسنى فى الدّنيا [لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ النَّارَ] لاكسب جرمٍ فى ذلك اثبات لضدّ ماادّعوا لانفسهم [وَأَنَّهُمْ مُفْرَطُونَ] فيما ادّعوا لانفسهم اوفى اعمالهم [تَاللّٰهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلٰى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ] كما ارسلناك الى هذه الامّة [فَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ] كما زيّن لهؤلآء فلا تحزن على ما فعلوا فانّه ليس بامرٍ حادثٍ فى زمانك [فَهُوَ وَلِيُّهُمُ الْيَوْمَ] فالشّيطان ولىّ الامم الماضية فى النّار اليوم او هو ولىّ امّتك اليوم بتزيين السّوء لهم كما كان ولىّ الامم الماضية قبل ذلك [وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ] للامم الماضية اولامّتك وعلى اىّ تقديرٍ فهو تهديد لامّته [وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ] لمّا علمت انّ غاية النّبوّة الدّلالة على الولاية ولولا الولاية لماكان للنّبوّة غاية وانّ الّذى هو معظم مااختلفوا فيه هو الولاية وهو النّبأ العظيم الّذى هم فيه مختلفون علمت انّ المعنى لتبيّن لهم الولاية [وَهُدًى وَرَحْمَةً] عطف على الفعل المؤوّل [لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ] يذعنون بالله وبالآخرة اويؤمنون بالايمان العامّ والبيعة النّبويّة، واطلاق التّبيين لكونه عامّاً ليهلك من هلك عن بيّنة ويحيى من حىّ عن بيّنة، وتقييد الهداية والرّحمة لاختصاصهما بمن استحقّهما [وَاللّٰهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا] بانبات الحبوب الّتى تحت ترابها والعروق الّتى فيها وكذلك احياؤكم بعد موتكم حالكونكم نطفة وجماداً وبعد موتكم عن الحيوة الحيوانيّة واحياؤكم فى النّشور [إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَآيَةً] دالّة على بعثكم وعلى علم الله وقدرته [لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ] يستسلمون فانّ السّماع اوّل مراتب الايمان ثمّ بعده الايمان ثمّ العقل ثمّ الفكر، والتّذكّر يأتى فى كلّ من المراتب، والمراد بالسّماع الانقياد كما فى قوله لمن كان له قلب اوالقى السّمع وهو شهيد ولمّا كان دلالة انزال الماء وانبات عروق الارض وحبوبها على علمه وقدرته واحياء

الموتى يكفيها الخروج من العناد و الدّخول فى مقام الانقياد اكتفى فيها بالسّماع [وَإِنَّ لَكُمْ] ايّها المؤمنون اوايّها النّاس [فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ] استيناف اوحال وتذكير الضّمير ههنا وتوحيده امّا لكون الانعام مفرداً فى معنى الجمع اولرجوعه الى البعض وانّثه فى سورة المؤمنون على اعتبار اللّفظ اوالمعنى [مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا] من الدّم و الفرث وآثارهما [سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ] عن رسول الله (ص): ليس احد يغصّ بشرب اللّبن لانّ الله يقول : لبناً خالصاً سائغاً للشّاربين ، وقوله انّ لكم فى الانعام لعبرة خطاباً للمسلمين اوللنّاس اجمعين وقع موقع انّ فى ذلك لآية لقوم يؤمنون اولقوم يشعرون [وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا] من ثمرات النّخيل امّا عطف على ما فى بطونه بدون التّقدير ان كان نسقيكم مستأنفاً اوعلى نسقيكم بتقدير نسقيكم ان كان حالاً وحينئذٍ يكون تتّخذون حالاً اومستأنفاً جواباً لسؤال مقدّر وامّا مستأنف متعلّق بتتّخذون ولفظة منه تكون حينئذٍ تأكيداً للاوّل وامّا مبتدء وتتّخذون خبره بجعل من التّبعيضيّة لقوّة معنى البعضيّة فيها قائمة مقام الاسم المبتدء من دون تقدير اوبتقدير موصوف محذوف اوبجعله اسماً مبتدء بنفسه اى بعض من ثمرات النّخيل تتّخذون منه اى من ذلك البعض، وافراد الضّمير امّا باعتبار تقدير مضاف قبل الثّمرات او بلحاظ معنى البعضيّة فى من والمراد بالسّكر الخمر ولا ينافى حرمتها ذكرها فى مقام الامتنان لانّ حرمتها شرعيّة وكونها نعمة امر عرفىّ عقلىّ، على انّ فيها منافع باستعمالها من غير شرب لها ، ولمّا دلّ الامتنان بها على اباحتها ورد فى الخبر: انّها منسوخة بآية حرمة الخمر، وقيل: فيها اشياء اُخر لكنّ الاتيان بقوله [وَرِزْقًا حَسَنًا] بعده يدلّ على انّ المراد به الخمر وانّها غير حسن [إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ] لا يكفى فيه السّماع والايمان وان كان لايحتاج الى استعمال المفكّرة [وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ] وحى الهام فطرىّ تكوينىّ بمعنى انّه اودع فى وجوده التّدبير الّذى يعجز عن مثله العقلاء فانّ تدبير بيوتها مسدّسة مثلاً صفّة بحيث لايكون بينها فرجة ، ونظامها فى خروجها ودخولها فى طاعة يعسوبها ، وعدم وقوعها على الاشياء المنتنة امر يتحيّر فيه العقلاء ، ولمّا كان الآية شاملة بجميع المراتب من التّنزيل والتّأويل كان الوحى بالنّسبة الى الانبياء (ع) على معناه الّذى هو الالقاء بتوسّط الملك، وبالنّسبة الى الائمّة والاولياء (ع) التّحديث والالهام، وبالنّسبة الى النّحل الصّوريّة ايداع قوّة بها يقع هذا النّحو من التّدبير [أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ] من الكروم الّتى يعرشونها و من السّقوف الّتى يرفعونها [ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ] لطيفها و خالصها [فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ] الّتى الهمك سلوكها الى البيوت، اوفاسلكى السّبل الّتى الهمك لعمل العسل، اوفاسلكى سبل ربّك من البيوت الّتى هى مسالك لادخال العسل [ذُلُلًا] حال كون السّبل ذلك يسهل السّلوك فيها بتسهيل الله اوحال كونك منقادة لامر ربّك [يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ] و هو العسل باختلاف الوانه بالابيضاض والاصفرار والاحمرار والاسوداد [فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ] منفرداً اومنضمّاً الى غيره لمبرودى المزاج و محروريه و العجب انّه يخرج من محلّ السمّ ما فيه شفاء ، و فى الخبر : نحن والله النّحل الّذى اوحى اليه ان اتّخذى من الجبال بيوتاً امرنا ان نتّخذ من العرب شيعة، ومن الشّجر يقول من العجم وممّا يعرشون يقول من الموالى، والّذى يخرج من بطونها شراب مختلف الوانه اى العلم الّذى يخرج منّا اليكم، وفى رواية اخرى:

والشّيعة هم النّاس ، وغيرهم الله اعلم بهم ، ولو كان كما تزعم انّه العسل الّذي يأكله النّاس اذن ما أكل منه ولاشرب ذوعاهة الّاشفى لقول الله تعالى: فيه شفاء للنّاس ولاخلف لقول الله وانّما الشّفاء في علم القرآن وينزّل من القرآن ماهو شفاء ورحمة لاهله لاشكّ ولامرية واهله ائمّة الهدى الّذين قال الله ثمّ اورثنا الكتاب الّذين اصطفينا من عبادنا ولمّا كان النّحل وتدبيرها وشراب بطنها مظاهر للائمّة (ع) وتربيتهم للشّيعة وعلمهم كان التّفسير بالنّحل والبيوت المسدّسة وعسلها في محلّه، ولمّا كان الوقوف على ظاهر الآية وحصر المقصود في النّحل الصّوريّة واستقلال النّحل بالقصد منافياً لمقصود الآية من كون القصد الى النّحل من حيث كونها مظهراً لا اصالة وكون المقصود استقلالاً هو رؤساء الدّين كان انكار التّفسير بالنّحل الصّوريّة في محلّه [إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ] فانّه لايكفي فيه السّماع والايمان ولا العقل والتّذكّر لكثرة دقائقه وخفاء طريق الانتقال الى قدرة بارئها والى ما يمثّل بها له [وَاللّٰهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفّٰيكُمْ] بآجالكم [وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ] وهووقت الهرم ، وفي الخبر : اذا بلغ العبد مائة سنة فذلك ارذل العمر، وفي خبر آخر: ان يكون عقله مثل عقل ابن سبع سنين [لِكَيْ لٰا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا] لايعلم ماعلمه قبل ذلك ، وفي الخبر : انّ هذا ينقص منه جميع الارواح وينقص روح الايمان وليس يضرّه شيئاً [إِنَّ اللّٰهَ عَلِيمٌ] بما ينبغي و انّ الموت قبل ارذل العمر خير لكم ولذلك لايصل اكثركم الى ارذل العمر [قَدِيرٌ] على الايصال الى ارذل العمر [وَاللّٰهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلىٰ بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ] هذه الجملة و سابقتها ولاحقتها اظهار لنعمه تعالى تمهيداً لذمّ الاشراك و الكفران والتّفضيل بجعل بعضٍ غنيّاً وبعضٍ فقيراً وبعضٍ مالكاً لرزقه ورزق غيره ، وبعضٍ مملوكاً هوورزقه في يدغيره [فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا بِرَادِّي رِزْقِهِمْ عَلىٰ مَا مَلَكَتْ أَيْمٰانُهُمْ] ذكر اولاً نعمة التّفضيل في الرّزق و انّ المنعم بها هو الله لاغير، ثمّ ذكر تمهيداً لابطال الشّركاء انّكم لاترضون فيما فضّلكم الله بتسوية مماليككم المجازيّة لكم فكيف ترضون بتسوية مماليكه الحقيقيّة فيما يختصّ بذاته تعالى له فالمعنى انّ الله فضّل بعضكم على بعضٍ في الرّزق فما الّذين فضّلوا براضين لردّ الرّزق عن انفسهم واعطائه لمما ليكهم حتّى يكونوا مساوين في رزقٍ هو لهم من غيرهم ، او المقصود اظهار الانعام عليهم وعلى مماليكهم على السّواء و انّ المنعم من كمال انعامه لايفرّق بينهم وبين مماليكهم فالمعنى والله فضّل بعضكم على بعضٍ في الرّزق وجعل رزق المماليك ايضاً بيده لابيد المالكين ، فما الّذين فضّلوا برادّي رزقهم على المماليك بل الله هومعطي ارزاق المماليك ؛ وعلى الاوّل فمعنى قوله [فَهُمْ فِيهِ سَوٰاءٌ] لا يرضون ان يكونوا مع المماليك في الرّزق سواء ، وعلى الثّاني فمعناه انّ المالكين و المملوكين في الارتزاق من الله سواء ولا فضيلة للمالكين على المملوكين في اصل الرّزق بل رزق الكلّ بيده يجري عليهم على السّواء ، و يؤيّد هذا المعنى ما نقل انّ اباذرّ رحمه الله سمع النّبيّ (ص) انّه قال: انّما هم اخوانكم فاكسوهم ممّا تكتسون ، و أطعموهم ممّا تطعمون ، فما رأى عبده بعدذلك الّا و رداؤه رداءه وازاره ازاره من غير تفاوت فقوله [أَفَبِنِعْمَةِ اللّٰهِ يَجْحَدُونَ] على هذا انكار لترك التّسوية بين الانفس والمماليك وتسوية له جحوداً ، وعلى الاوّل انكار لجحود نعمة التّفضيل والغفلة عنها وجعل عبيده تعالى شركاء له ومتساوين معه تعالى في الآلهة مع انّهم لايرضون ذلك لانفسهم [وَاللّٰهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوٰاجًا]

من جنسكم لتأنسوا بهنّ و ترغبوا فيهنّ وترتاحوا اليهنّ وهذا بيان لنعمة اخرى [وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوٰاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً] قد فسّر الحفدة فى الاخبار ببنى البنت و بالبنين انفسهم فيكون من عطف الاوصاف المتعدّدة لشيء واحد وباختلاف الرّجل على بناته لانّ الحافد بمعنى المسرع فى الخدمة والكلّ مسرعون فى الخدمة والكلّ من عظام النّعمة [وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبٰاتِ] اعطاكم من جملة الطّيّبات من المركوب والمسكون والمطعوم والمشروب اورزقكم من الارزاق الطّيّبة من المطعوم والمشروب [أَفَبِالْبٰاطِلِ يُؤْمِنُونَ] يعنى بالشّركاء الباطلة اوبانتساب ذلك الى الشّركاء [وَبِنِعْمَةِ اللّٰهِ هُمْ يَكْفُرُونَ] من حيث انّهم يسترون انعامه تعالى فيها وينسبونها الى غيره تعالى من الشّركاء [وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللّٰهِ مٰا لٰا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِنَ السَّمٰاوٰاتِ وَالْأَرْضِ شَيْئًا] بدل من رزقاً امّا التأكيد التّحقير المستفاد من تنكير رزقاً ، وامّا للاشارة الى تعميم رزقاً وكونه بمعنى نصيباً، والمراد برزق السّماوات هو ارزاق الانسان من حيث انسانيّته وحيوانيّته وبرزق الارض ارزاق الانسان من حيث نباتيّته وحيوانيّته، اوالمراد برزق السّماوات والارض رزق كلّ من المراتب بتعميم الرّزق لما يرزق واسبابه [وَلٰا يَسْتَطِيعُونَ] ان يملكوه ، اولا استطاعة لهم ولا قدرة [فَلٰا تَضْرِبُوا لِلّٰهِ الْأَمْثٰالَ] اى لا تجعلوا له امثالاً تعبدونها لعبادته، اولاتضربوا له الامثال بتشبيه حاله بحال الملوك وارتضاء الخدمة من عبيدهم ومقرّبيهم واجرائهم ارزاق العساكر على ايدى وزرائهم و امنائهم و بان تقولوا انّ خدمة مقرّبى السّلطان ادخل فى التّعظيم وامثال ذلك فانّه اعلى من ان تعرفوه و تعرفوا كيفيّة اوصافه و افعاله حتّى تضربوا له الامثال [إِنَّ اللّٰهَ يَعْلَمُ] فقولوا ما علّمكموه [وَأَنْتُمْ لٰا تَعْلَمُونَ] فلا تقولوا من عند انفسكم شيئاً فى شيء فضلاً عن ضرب المثل فيه تعالى [ضَرَبَ اللّٰهُ مَثَلاً] للشّركاء ولنفسه اوللكافر والمؤمن [عَبْدًا مَمْلُوكًا لٰا يَقْدِرُ عَلىٰ شَيْءٍ وَمَنْ رَزَقْنٰاهُ مِنّٰا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا] والمراد بالرّزق الحسن هو العلم والحكمة والعيان والتّصرّف فى الملك والملكوت، وانفاق السّرّ هو ما يصل الى الملك ببركته ومن طريق السّرّ، وانفاق الجهر هو مايعلمه ويلقّنه غيره بحسب الظّاهر، وحاصل المرام وغاية المقصود من الآيات السّابقة واللّاحقة هو تمثيل حال علىّ (ع) فانّ النّعمة الحقيقيّة هو علىّ (ع) وولايته والباطل الحقيقىّ هو اعداؤه واصل من رزقه الله تعالى رزقاً حسناً هو علىّ (ع) وغيره كائناً من كان مرتزق بتوسّطه والمملوك الّذى لايقدر على شيء هو اعدائه [هَلْ يَسْتَوُونَ أَلْحَمْدُ لِلّٰهِ] على نعمة عدم التّسوية وحكمة اعطاء كلّ ذى حقّ حقّه وهو تعليم للعباد ان يحمدوا على كلّ النّعم [بَلْ أَكْثَرُهُمْ لٰا يَعْلَمُونَ] حال المملوك العاجز والقادر المنفق ولذلك يسوّون بينهما او لايعلمون عدم جواز التّسوية بينهما اولا يرتقون الى مقام العلم عن مقام الجهل ولذلك يسوّون بينهما ويختارون العاجز على القادر [وَضَرَبَ اللّٰهُ مَثَلاً] للشّركاء و لنفسه او للكافر والمؤمن او لعلىّ (ع) ولاعدائه و مخالفيه [رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمٰا أَبْكَمُ] ولد اخرس لاينطق ولايفهم نطق غيره [لٰا يَقْدِرُ عَلىٰ شَيْءٍ] من النّطق وسائر الافعال كمن كان جميع حواسّه وجميع قواه المحرّكة معطّلة [وَهُوَ كَلٌّ] ثقل [عَلىٰ مَوْلاٰهُ أَيْنَمٰا يُوَجِّهْهُ لٰا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ] يعنى من كان متّصفاً بالعدل فى جميع احواله واقواله وافعاله ويعرف العدل فى جميع موارده ويأمر غيره

بالعدل لأنّ الامر بالعدل يستلزم الاتّصاف بهومعرفته فى جميع موارده، وللاشارة الى هذا قال [وَهُوَ عَلٰى صِرٰاطٍ مُسْتَقِيمٍ] اى على التّوسّط بين طرفى الافراط والتّفريط فى جميع ماذكر [وَلِلّٰهِ غَيْبُ السَّمٰوٰاتِ وَالْأَرْضِ] ما غاب عنهما او جهتهما الّتى هى غائبة عن العباد و من غيبهما الخفايا من احوال العباد و يلزم منه خفاء صاحب الخير والشّرّ فلاتعلمون من العباد من كان بحسب السّريرة كالمملوك العاجز ومن كان آمراً بالعدل والله يعلم ذلك وهوبمنزلة انّ الله يعلم وانتم لاتعلمون فى الآية السّابقة والمقصود انّكم لمّا لم تكونوا عالمين باحوال الاشياء والعباد لم يجز لكم ان تختاروا من عند انفسكم شريكاً لله او لعليّ (ع) ولا احداً لهدايتكم وجلب نفعكم ودفع ضرّكم و لزم ان تكلوا الامر اليه تعالى فانّه العالم بمن ينبغى ان يختارو بمن ينبغى ان لا يختار فلا تجاوزوا فى ذلك النّصّ من الله على لسان من علمتم خلافته لله [وَمٰا أَمْرُ السّٰاعَةِ] فى سرعة اتيانها و حساب الخلائق فيها و جزاء الخلائق على اعمالهم [إِلّٰا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ] و هو تهديد لمن استبدّ برأيه و خالف امر الله و نصّه فى احكامه [إِنَّ اللّٰهَ عَلٰى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ] من حساب الخلائق فى اسرع زمانٍ وعقوبة العاصى و ثواب المطيع [وَاللّٰهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهٰاتِكُمْ لٰا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصٰارَ وَالْأَفْئِدَةَ] يعنى جعل لكم كلّ ما تحتاجون اليه فى تعيّشكم الدّنيوىّ ومنافعكم الاخرويّة وفى حصول العلم الّذى هومبدأ ذلك كلّه [لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ] تلك النّعمة فتصرفون كلّاً فيماخلق لاجله [أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرٰاتٍ فِي جَوِّ السَّمٰاءِ مٰا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا اللّٰهُ] بخلق مايقدرن به على الاستمساك فى الجوّ فانّ الله خلق كلّ شيءٍ وخلق له ما به تعيّشه وحركته وسكونه [إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَآيٰاتٍ] على علمه وقدرته وحكمته وعدم اهماله لشيءٍ من الاشياء من دون تهيّة ما يحتاج اليه [لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ] بالآخرة فانّهم يعلمون انّ الّذى لم يهمل شيئاً من الاشياء واعطى كلّ شيءٍ مايحتاج اليه لم يهمل الانسان الّذى هو اشرف الاشياء ولم يترك مايحتاج اليه فى اشرف جهاته وهى الآخرة بل جعل لهم رئيساً يدلّهم عليها ويمنعهم عمّا يضرّهم فيها ويأمرهم بما ينفع فيها ولم يكل اختيار ذلك اليهم حتّى يجعلوا برأيهم له شريكاً اويختاروا لانفسهم فى امر الآخرة الّذى هوغيب عنهم اماماً و رئيساً [وَاللّٰهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعٰامِ بُيُوتًا] يعنى الاخبية المتّخذة من الاديم والشّعر والصّوف [تَسْتَخِفُّونَهٰا] تعدّونها خفيفةً لاكبيوت الطّين والاحجار [يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقٰامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوٰافِهٰا وَأَوْبٰارِهٰا وَأَشْعٰارِهٰا أَثٰاثًا] لبيوتكم من الفرش والالبسة ومحالّ الامتعة وغير ذلك [وَمَتٰاعًا إِلٰى حِينٍ] ما تتمتّعون به الى مدّة اندراسه [وَاللّٰهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمّٰا خَلَقَ] من الشّجر و الجبال و الجدران [ظِلٰالًا] ماتستظلّون به [وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبٰالِ أَكْنٰانًا] ماتستترون فيه من الغيران اوماتنحتون فيها [وَجَعَلَ لَكُمْ سَرٰابِيلَ] ثياباً فانّ السّربال يستعمل فى كلّ ملبوسٍ، و المراد بالاثاث والمتاع غير الثّياب ، او المراد بالسّرابيل غير ما يكون من الصّوف والوبر والشّعر والجلود ، اويكون تعميماً بعد تخصيص من وجه كمايكون تخصيصاً بعد تعميمٍ من وجهٍ آخر [تَقِيكُمُ الْحَرَّ] اى و البرد اسقطه و اكتفى بذكر الحرّ لعدم الاحتياج الى ذكره لوضوحه بقرينة المضادّة وانّ الحاجة الى اللّباس فى البرد اشدّ منه فى الحرّ وللاهتمام بالحفظ من الحرّ

فى بلاد العرب [وَسَرَابِيلَ تَقِيكُمْ بَأْسَكُمْ] كالدّروع و لمّا كان تعداد النّعم الصّوريّة الجسمانيّة مقدّمة لتفهيم النّعم الاخرويّة الرّوحيّة وهى ارسال الرّسل لتبليغ الولاية واعداد الخلق لقبولها والسّير على طريقها وانّ المنعم لم يدع عالم الاجسام غير مهيّاة له اسباب قوامه وبقائه فكيف يدع عالم الارواح والجهة الرّوحانيّة فى الانسان غير مهيّاة له اسباب كما له وبقائه ، وانّ عمدة اسباب كما له وبقائه ارسال الرّسل للانذار من الرّكون الى الاجسام و الدّلالة على طريق الولاية و فتح باب القلب و ايلاء الولاة لتعليم طريق الولاية و تلقين ما يفتح به باب القلب بعد انقضاء ايّام الرّسالة ، عقّب المذكورات من النّعم المعدودة بقوله [كَذٰلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ] يعنى مثل اتمام النّعم الجسمانيّة الصّوريّة المختلطة بالآلام و الاسقام والمتاعب والمشاقّ يتمّ نعمته الحقيقيّة الّتى هى حاصلة ارسال الرّسل وغايته وهى الولاية ولا يهملكم فى تلك الجهة من غير تهيّة اسباب كما لكم وبقائكم فيها [لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ] تنقادون [فَإِنْ تَوَلَّوْا] صرف الخطاب الى محمّد (ص) يعنى ان تولّوا عن تلك النّعمة العظمى الّتى هى ولاية علىّ (ع) فلا بأس عليك [فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلٰاغُ الْمُبِينُ] وقد بلّغت واما الاقبال والتّولّى فليس عليك وفى الآية وجوه أخر بحسب مراتب النّعم الاخرويّة والدّنيويّة الجسمانيّة لكنّ المذكور هو خلاصة الكلّ و بتذكّر ما اسلفنا لك مراراً يمكن التّفطّن بها [يَعْرِفُونَ نِعْمَةَ اللّٰهِ] قد فسّر فى اخبار عديدة نعمة الله ههنا بعلىّ (ع) وهو ماذكرنا من خلاصة الوجوه والّا ففيها وجوه أخر بحسب المراتب ، وقد ذكر فى بعض الاخبار انّ الآية نزلت بعد ما قالوا عرفنا صدق محمّد (ص) ولكن لا نطيعه فى علىّ (ع) ولا نتولّى عليّاً (ع) [ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ] فى عين اسلامهم بك لانّهم كفروا بعلىّ (ع) او بقولك او كانوا كافرين بك من اوّل اسلامهم فانّ الاسلام يقتضى الانقياد وعدم الاعتراض على فعل الرّسول (ص) وقوله واطاعته فى جميع اوامره ونواهيه ، ولمّا انكروا عليه قوله علم انّهم لم يكونوا مسلمين [وَيَوْمَ نَبْعَثُ] عطف على نعمة الله ، او على مفعول ينكرونها ، او متعلّق بمحذوف معطوف على محذوف اى فحذّرهم وذكّرهم ، او التّقدير فاعذّبهم اليوم ويوم نبعث [مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيداً] ولمّا كان عناية الله بتكميل الخلق فى جهتهم الاخرويّة جعل فى كلّ امّة واقعة فى طول الزّمان وكذا فى كلّ فرقة واقعة فى بقاع المكان خليفة منه يكون شاهداً عليهم ومراقباً لاعمالهم واحوالهم ومعطياً لمن استعدّ منهم حقّه من آداب السّلوك الى الآخرة والاستعداد لنعيم الجنّة ، ويكون ذلك الخليفة باقواله وافعاله واحواله ميزاناً للكلّ و يوم القيامة يبعث الله كلّ امّة ويبعث خليفتهم بشهادته قالاً وحالاً عليهم ، فمن وافقه بعض الموافقة بعثهم الى الجنان بحسب مراتبهم فى مراتبها ، ومن خالفه كلّ المخالفة بعثهم الى النّيران بحسب مراتبهم فى مراتبها ، والمقصود تهديد من خالف من امّته (ص) خليفته علياً (ع) كما انّ الآيات السّابقة كانت لترغيبهم اليه (ع) [ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا] فى التّكلّم والاعتذار بل المتكلّم هو الخليفة لا غير [وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ] يسترضون من العتبى بمعنى الرّضا [وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ ظَلَمُوا الْعَذَابَ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ] يمهلون او لا يلتفت اليهم بالنّظر [وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ أَشْرَكُوا شُرَكَاءَهُمْ] من الاصنام والكواكب والشّياطين وخلفاء الجور [قَالُوا رَبَّنَا هٰؤُلَاءِ شُرَكَاؤُنَا الَّذِينَ كُنَّا نَدْعُو مِنْ دُونِكَ فَأَلْقَوْا] اى الشّركاء [إِلَيْهِمُ] الى المشركين [الْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَاذِبُونَ] فى ادّعاء اشراكنا بل كنتم تعبدون اهواءكم وجعلتم صورة

عبادتنا جالبة لمقتضى اهويتكم [وَأَلْقَوْا إِلَى اللهِ يَوْمَئِذِ السَّلَمَ] الاستسلام والانقياد [وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ] من الآلهة والشّركاء و استحقاقهم العبادة و الشّفاعة و النّصرة [الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللهِ] كفروا بالله او بالرّسول او بالولاية و منعوا الغير عن الولاية او اعرضوا عنها [زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ] لكفرهم وصدّهم [بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ] فى ارض وجودهم و فى ارض عالم الطّبع بمنع القوى عن الرّجوع الى القلب ومنع النّاس عن الرّجوع الى صاحب القلب [وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَؤُلَاءِ] لمّا كان هذه الآية تأكيداً لسابقتها فصّلها وأجمل الاولى [وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ] كتاب النّبوّة والقرآن صورته واحكام القالب والقلب ايضاً صورته ، ولمّا كان النّبوّة مقام الجمع بعد الفرق وتفصيلاً للوحدة الاجماليّة واجمالاً للكثرة كان فيه بيان كلّ شيء وظهوره ولذلك قال [تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى] الى الولاية والايمان القلبىّ الحاصل بالبيعة الخاصّة الولويّة [وَرَحْمَةً] لانّ النّبوّة لكونها صورة الولاية رحمة بكون الولاية رحمة [وَبُشْرَى] بشارة الى مراتب الولاية [لِلْمُسْلِمِينَ] البايعين بالبيعة العامّة اوالمنقادين المشار اليهم بقوله اوالقى السّمع وهوشهيد.

بيان العدل

[إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ] العدل التّوسّط بين طرفى الافراط والتّفريط فى جملة الامور، اووضع كلّ شيء موضعه، وهويحصل بمعرفة تفاصيل الاشياء بمراتبها ومقاماتها ودقائق استحقاقاتها بحسب تعيّناتها واعطاء كلّ ما تستحقّه بحسب اقتضاء طبائعها فى التّكوينيّات و اقتضاء افعالها فى التّكليفيّات وهويقتضى السّياسات واجراء الحدود والامر بالمعروف والنّهى عن المنكر وتهديد المعرض وترغيب الرّاغب وهذا شأن الصّدر والقلب من جهتهما الخلقيّة حالكونهما مستنيرين بنور الرّسالة والنّبوّة بالاتّصاف بهما او بالاتّصال بهما ولذلك فسّر العدل فى اخبارنا بمحمّد (ص) لاختصاص النّبوّة والرّسالة به (ص) فى زمان التّخاطب وصحّ تفسيره بالنّبوّة والرّسالة وبوضع كلّ شيء موضعه وبالتّوسّط بين الافراط والتّفريط فى جملة الامور [وَالْإِحْسَانِ] الاحسان امّا بمعنى صيرورة الانسان ذاحسن او بمعنى ايصال المعروف مع اغماض النّظر عن الاستحقاق، والمناسب ههنا المعنى الثّانى لاعتبار الاضافة الى الغير فى العدل وفى ايتاء ذى القربى ولكونه بعد العدل الّذى هو اعتبار الاستحقاق فى الاعطاء ، والاحسان بهذا المعنى شأن الرّوح والقلب من جهته الرّوحيّة وهو شأن الولاية، ولذلك فسّر فى الاخبار بعلىّ (ع) وصحّ تفسيره بالولاية من حيث الاتّصاف بها اومن حيث الاتّصال بها [وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى] تخصيص بعد تعميم للعدل والاحسان باعتبار المتعلّق لاختصاص ذى القربى بمزيد رجحان ، وذوالقربى اعمّ من القرابات الرّوحانيّة والجسمانيّة فى العالم الكبير والعالم الصّغير كما انّ متعلّق العدل والاحسان اعمّ ممّا فى العالم الكبير والصّغير، ولمّا كان المستحقّ لاداء امانة الخلافة اصل ذوى القربى، ورد انّ المراد اداء امام الى امام [وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ] الفعل الّذى يعدّه العقلاء اى اصحاب الشّرع فاحشاً من غير اعتبار التّعدّى الى الغير مقابل العدل [وَالْمُنْكَرِ] اى الفعل المتعدّى الى الغير الّذى يعدّه الشّارعون قبيحاً ضدّ المعروف مقابل الاحسان [وَالْبَغْيِ] التّطاول على النّاس او الخروج من طاعة العقل وعدم الانقياد لذى القربى مقابل ايتاء ذى القربى خصوصاً على تفسير ذى القربى بائمّة الهدى (ع) [يَعِظُكُمْ] ينصحكم ويبيّن ما ينفعكم ويضرّكم [لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ] قيل

لو لم يكن فى القرآن غير هذه الآية لصدق عليه انّه تبيان كلّ شيء [وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللّٰهِ] عطف على انّ الله يأمر بالعدل فانّه فى معنى اعدلوا ، وعهدالله هو العهد المأخوذ فى البيعة العامّة النّبويّة الاسلاميّة او البيعة الخاصّة الولويّة الايمانيّة [إِذَا عَاهَدْتُمْ] التّقييد به نصّ على انّ هذا العهد امر واقع فى دار التّكليف وليس المراد ماوقع سابقاً فى النّذر كما يفسّر به العهود المطلقة فى القرآن وتنبيه على انّ الوفاء بالعهد لايتصوّر ما لم يقع صورته فى دار التّكليف ، والمراد بالوفاء بالعهد الوفاء بشروطه الّتى تؤخذ على المعاهد حين البيعة، والمراد بقوله اوفوا بعهدى اوف بعهدكم هو هذا العهد وشروطه، وتسمية ذلك عهدالله لانّه عهد مع من اذن الله له فى اخذ العهد عن عباده واليه اشار بقوله انّ الّذين يبايعونك انّما يبايعون الله يدالله فوق ايديهم بطريق الحصر اشعاراً بانّ الواسطة لاحكم له وانّما الحكم لذى الواسطة فقط [وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ] المراد بالايمان هى العهود المأخوذة بالبيعة، وتسميتها ايماناً لحصولها بالايمان كسائر المبايعات [بَعْدَ تَوْكِيدِهَا] يعنى لا تنقضوا البيعة النّبويّة بعد توكيدها بالبيعة الولويّة فانّ البيعة الاسلاميّة اذا لم تؤكّد بالبيعة الايمانيّة كان فى نقضها توبة وتقبل توبة ناقضها لأنّه كاشف فى الاغلب عن الارتداد الملّىّ ، وامّا البيعة الايمانيّة فلا تقبل توبة ناقضها لانّه كاشف فى الاغلب عن الارتداد الفطرىّ وهو مبالغة فى نهى من يبايع علياً (ع) فى الغدير عن نقض بيعته بعد ما بايع محمّداً (ص) بيعة اسلاميّة و لقد اكّد تلك البيعة نفسها ايضاً بان امر النّبىّ (ص) الخلائق بالبيعة مع علىّ (ع) فى ذلك اليوم ثلاث مرّات ، وفى خبر ولقد عقد محمّد (ص) عليهم البيعة لعلىّ (ع) فى عشرة مواطن ، و قد فسّرت الآية فى الاخبار ببيعة غدير خم [وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللّٰهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلاً] تعديته بعلى لتضمين معنى المراقبة اى جعلتم الله رقيباً عليكم بواسطة كفالته لاموركم فى تلك البيعة المؤكّدة بالبيعة الولويّة ، وفيه اشارة الى انّ بائع البيعة الولويّة كان الله كفيلاً لاموره فليكل الامور اليه و رقيباً عليه فليحذر الفسوق بعده كما قال : بئس الاسم الفسوق بعد الايمان [إِنَّ اللّٰهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ] جواب سؤال عن العلّة اوعن حال الله معهم [وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِى نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ] واستحكام للفتل [أَنْكَاثًا] جمع نكث بالكسر وهو امّا حال من الغزل لانّه مصدر بمعنى المفعول فى معنى الجمع اوانكاثاً جمع فى معنى المفرد بحسب الاستعمال لانّه يقال حبل انكاث ، وامّا مفعول ثان لنقضت بتضمين معنى صيّرت و هو تشبيه تمثيلىّ لحال من بايع البيعة الاسلاميّة فانّ البيعة الاسلاميّة كالخيط المغزول الموصول من البائع الى من بايع معه بل الى الله ، ثمّ اكّد تلك بالبيعة الايمانيّة فانّها مثل استحكام الخيط المفتول بفتل آخر ثمّ نقض البيعة فانّ نقضها مثل نقض فتل الخيط بحال امرأة غزلت وانعبت نفسها فى غزلها واستحكامه ثمّ نقضت غزلها فى تحمّل المتاعب وعدم الانتفاع بالغزل ، و فى الخبر انّ الّتى نقضت غزلها كانت امرأة من بنى تميم يقال لها ريطة كانت حمقاء تغزل الشّعر فاذا غزلته نقضت ثمّ عادت فغزلته فقال الله كالّتى نقضت غزلها [تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ] عهودكم الّتى اخذت منكم فى البيعتين [دَخَلاً بَيْنَكُمْ] حال من اسم لاتكونوا اواستيناف جواب لسؤال مقدّر لقصد ذمّهم على حالهم هذه ، والدّخل محرّكة الفساد فى العقل والجسم والمكر وما داخل الشّىء وليس منه ، والرّيبة؛ والكلّ مناسب ههنا [أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِىَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ] كراهة ان تكون امّة هم علىّ (ع) واتباعه اربى من امّة هم مخالفوهم ، اولأن تكون امّة هم قريش اربى من امّة هم محمّد (ص) و اتباعه ، الاربى الارفع سواء كان فى العدد ، او فى المال ، او فى القوّة ، او فى الجاه [إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللّٰهُ]

به يختبركم باتّخاذ الايمان اوبكون بعض اربى من بعض ليظهر ثبات من يثبت على الايمان ونكث من ينكث [وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيٰمَةِ] عطف على محذوف اى ليظهر سعادة السّعيد وشقاوة الشّقى ولبيّن [مٰا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ] واعظم مافيه تختلفون ولاية علىّ (ع) لانّها النّبأ العظيم الّذى هم فيه مختلفون [وَلَوْ شٰاءَ اللّٰهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وٰاحِدَةً وَلٰكِنْ يُضِلُّ مَنْ يَشٰاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشٰاءُ وَلَتُسْئَلُنَّ عَمّٰا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ] تهديد لهم على اعمالهم وتحذير عمّا يضمرونه من عداوة علىّ (ع) ولمّا كان قوله ولكن يضلّ من يشاء (الى آخر الآية) مشعراً بالجبر واسقاط العقوبة قال ولتسئلنّ (الآية) اشعاراً بالاختيار وثبوت العقوبة [وَلٰا تَتَّخِذُوا أَيْمٰانَكُمْ دَخَلاً بَيْنَكُمْ] تصريح بالنّهى بعد الاشارة اليه تأكيداً واشعاراً بعظمة قبح ذلك [فَتَزِلَّ قَدَمٌ] عن الايمان [بَعْدَ ثُبُوتِهٰا] بالبيعة وافراد القدم مع اقتضاء العبارة جمعها للاشعار بانّ البائع له اقدام ثابتة فى مراتب الاسلام و الايمان ولو زلّت قدم منها فكأنّما زلّت جميع الاقدام [وَتَذُوقُوا السُّوءَ] فى الدّنيا [بِمٰا صَدَدْتُمْ] اهل الارض و اهل مملكتكم فانّ الفاسد يفسد غيره لامحالة والنّاكث يمنع جميع مدارکه وقواه [عَنْ سَبِيلِ اللّٰهِ] التّكوينىّ الّذى هو طريق القلب والتّكليفىّ الّذى هو طريق الولاية والآخرة [وَلَكُمْ عَذٰابٌ عَظِيمٌ] فى الآخرة قد كثرت الاخبار من طريق الخاصّة فى تفسير الآيات من قوله تعالى واوفوا بعهد الله الى قوله ولنجزينّهم اجرهم بأحسن ما كانوا يعملون بولاية علىّ (ع) ونزولها حين قال النّبىّ (ص): سلّموا على علىّ (ع) بامرة المؤمنين وامرهم بالبيعة معه [وَلٰا تَشْتَرُوا بِعَهْدِ اللّٰهِ] بيعة محمّد (ص) اوبيعة علىّ (ع) [ثَمَناً قَلِيلاً] من اعراض الدّنيا واغراضها بان تنكثوا بيعة علىّ (ع) خوفاً من فوت الجاه وطمعاً فى الرّياسة كما كان حال المترئسين اوطمعاً فى جيف الدّنيا كما كان حال المرتوسين [إِنَّمٰا عِنْدَ اللّٰهِ] ممّا ادّخره لعباده الوافين من نعم الجنان [هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ] علمتم انّه خير لكم [مٰا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ] تعليل [وَمٰا عِنْدَ اللّٰهِ بٰاقٍ وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا] على عهدهم ولم ينكثوا [أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مٰا كٰانُوا يَعْمَلُونَ] يعنى نجزيهم بجميع اعمالهم جزاء احسن اعمالهم واحسن الاعمال هو الّذى كان على تذكّر من الله ومن الولاية بمراتب التّذكّر من اللّسانىّ والقلبىّ والصّورىّ الملكوتىّ و الحقيقىّ التّحقّقىّ بل الاحسن هو نفس الولاية ، وهذه الآية ارجى آية للبائعين فطوبى لمن صبر على بيعته ، وقدمضى فى مطاوى ماسلفنا تحقيق الجزاء باحسن الاعمال واسوئها [مَنْ عَمِلَ صٰالِحاً] اى عملاً واحداً صالحاً اىّ عمل كان وقد مرّ مراراً انّ العمل الصّالح الحقيقىّ هو الّذى يكون مرتبطاً بالولاية ، اوالمراد بالتّنكير التّفخيم اى من عمل صالحاً عظيماً هو اصل جميع الصّالحات و هو عمل نفس الولاية [مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ] التّقييد به للاشارة الى انّ صورة العمل من غير ارتباطها بالولاية الّتى هى الايمان غير معتبرة فى الحكم مثل الاعمال الّتى كانت لمنافقى الامّة ، اوالمراد بالايمان ههنا الاسلام [فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيٰوةً طَيِّبَةً] الحيوة الطّيّبة هى ماتكون خالية عن شوب الآلام فى الدّنيا والآخرة وقد فسّرت فى الاخبار بالقنوع بمارزقه الله والرّضا به [وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مٰا كٰانُوا يَعْمَلُونَ] لمّا كان هذه بشارة كاملة للمبتاعين كرّره تأكيداً [فَإِذٰا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ] جواب شرط محذوف اى اذا كان اتّخاذ الايمان دخلاً سبباً لان تزلّ القدم و ان يذاق السّوء و العذاب والصّدق فى الايمان والصّبر عليها سبباً لان يجزى الله جميع الاعمال بجزاء احسن الاعمال فاذا قرأت القرآن الّذى هو صورة شروط

العهود والايمان و تذكرتها [فَاسْتَعِذْ بِاللّٰهِ] فعلى هذا يكون الخطاب عامّاً لكلّ من يتأتّى منه الخطاب اوخاصّاً على طريقة ايّاك اعنى و اسمعى ياجارة [مِنَ الشَّيْطٰانِ الرَّجِيمِ] فانّ الاستعاذة لها اثر عظيم فى منع الشّيطان سيّما اذا كانت بالفعل والحال اوبالقول قريناً للفعل والحال، وبهذه الآية تمسّك من قال بوجوب الاستعاذة القوليّة او استحبابها فى اوّل القرائة ولذلك ضمّن قرأت معنى اردت القرائة وقد مضى فى اوّل فاتحة الكتاب تفصيل تامّ للاستعاذة و كيفيّتها [إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطٰانٌ عَلَى الَّذِينَ اٰمَنُوا] بالبيعة العامّة او الخاصّة [وَعَلٰى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ] بالاستعاذة به والتوكّل عليه [إِنَّمٰا سُلْطٰانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ] ولا يؤمنون بالله [وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ] يعنى بعد الايمان او العطف من قبيل عطف الاوصاف العديدة لذات واحدة و انّ الله اسم لذاته تعالى بحسب مقام معروفيّته، ومقام المعروفيّة باعتبار وجهته الى الغيب يسمّى الله وباعتبار وجهته الى الخلق يسمّى علياً (ع) و فى الاخبار انّ الشّيطان يسلّط من المؤمن على بدنه ولا يسلّط على دينه و فى خبر ليس له ان يزيلهم عن الولاية فامّا الذّنوب واشباه ذلك فانّه ينال منهم كما ينال من غيرهم [وَإِذٰا بَدَّلْنٰا اٰيَةً مَكٰانَ اٰيَةٍ] آية من القرآن مكان آية منه بنسخ الاولى اوحكماً من الاحكام مكان حكم آخر فانّ الاحكام كلّها آيات لطفه وعلمه فى نظام الكلّ اوآية مكان آية اخبرت بها بالبداء فيها ومحوها واثبات غيرها اوآية من الآيات العظمى مكان اخرى بجعل علىّ (ع) بدلاً منك واخبارك ايّاهم بذلك [وَاللّٰهُ أَعْلَمُ بِمٰا يُنَزِّلُ] من حيث حكمه ومصالحه [قٰالُوا] اى الكفّار اومنافقوا امّتك [إِنَّمٰا أَنْتَ مُفْتَرٍ] وليس ذلك باخبار ووحى من الله [بَلْ أَكْثَرُهُمْ لٰا يَعْلَمُونَ] جواز النّسخ والتّبديل وكيفيّته والمصلحة فيه [قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ] اى جبرئيل فانّه من الارواح واضافته الى القدس لتنزّهه عن شوائب النّقص، اوالمراد بروح القدس الملك الّذى هو اعظم من جبرئيل لم يكن مع احد من الانبياء (ع) وكان مع محمّد (ص) وقد أسلفنا انّه ربّ النّوع الانسانىّ [مِنْ رَبِّكَ] حقّ العبارة ان يقال من ربّى لكنّه عدل الى الخطاب امّا لانّه مستأنف من الله تعالى غير محكىّ بالقول بتقدير نزّله اى نزّله من ربّك او لفرض المحكىّ بالقول غير محكىّ بالقول و مثله كثيراً ما يقع فى المحكىّ بالقول، اولانّ خطاب من ربّك ليس لمحمّد (ص) بل لكلّ من يتأتّى منه الخطاب، اوللشّيطان يعنى قل للشّيطان المنكر للولاية نزّله روح القدس من ربّك [بِالْحَقِّ] والضّمير فى نزّله للتّبديل وارجاعه الى خصوص امر ولاية علىّ (ع) يؤيّد التّفسير الاخير للآية المبدلة [لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ اٰمَنُوا وَهُدىً وَبُشْرىٰ لِلْمُسْلِمِينَ] هذا ايضاً يؤيّد التّفسير الاخير للآية فانّ الولاية هى الّتى يثبّت بها ايمان المؤمنين وهى الهدى والبشرى للمسلمين [وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمٰا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسٰانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ] يضيفون ويميلون قولك الى تعليمه [أَعْجَمِيٌّ وَهٰذٰا لِسٰانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ] قيل كانوا يقولون انّما يعلّمه ابوفكيهة مولى ابن الخضرمىّ وكان اعجمىّ اللّسان وآمن بالنّبىّ (ص) وكان من اهل الكتاب، وقيل: كانوا يقولون انّما يعلّم النّبىّ (ص) بشر يقال له بلعام وكان قيناً روميّاً نصرانيّاً، وقيل: ارادوا به سلمان الفارسىّ رحمه الله، وقيل: ارادوا به غلامين نصرانيّين [إِنَّ الَّذِينَ لٰا يُؤْمِنُونَ بِاٰيٰاتِ اللّٰهِ لٰا يَهْدِيهِمُ اللّٰهُ] جواب لسؤال مقدّر كأنّه قيل: فمالهم لايتفطّنون ويلحدون القرآن الّذى هو لسان عربىّ مبين

الى الاعجميّ فقال : لانّهم لا يؤمنون بآيات الله و من لا يؤمن بآيات الله لا يهديه الله الى التّفطّن بدقائق القول ومفاسده [وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ] لا انت فهو ردّ لقولهم انّما انت مُفتر [وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ] لا انت [مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ] اسلامه اوايمانه الخاصّ [إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ] على الكفر القوليّ اى الّا من كفر قولاً بالاكراه [وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا] اذعن بالكفر واعتقد و اطمأنّ عليه [فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ] روى انّ الآية نزلت فى عمّار رحمه‌الله لانّه اكرهه مشركوا مكّة واكرهوا ابويه على الكفر والبراءة من محمّد (ص) فأبى ابواه فقتلوهما وتبرّأ عمّار بلسانه ، وورد فى الاخبار تحسين ابويه فى اختيار القتل وتحسينه فى اختيار البراءة اللّسانيّة على القتل [ذَلِكَ] الارتداد بعد الاسلام اوالايمان [بِأَنَّهُمُ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ] فاختاروا ما زعموا انّه انفع بالحيوة الدّنيا وكفروا بالوجهة الاخرويّة [وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ] الى الثّبات فى الايمان [أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ] فلا يدركون من المعقولات والمسموعات والمبصرات ما لاجله ادراكها وقد سبق فى اوّل البقرة تحقيق تامّ لطبع القلب والسّمع و البصر [وَأُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ] الكاملون فى الغفلة لغفلتهم عمّا لاجله يكون جملة التّذكّرات وهو الله والآخرة بخلاف غفلات المؤمنين والمسلمين [لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْخَاسِرُونَ] لانّهم بذلوا لطيفتهم الانسانيّة الّتى كانت بضاعة لهم لتحصيل النّعيم الابدىّ و حصّلوا متاعاً فانياً مستعقباً لعذاب ابدىّ و قد مضى بيان لاجرم [ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا] مقابل من كفر بالله (الى آخرها) وثمّ للاشارة الى تفاوت القصّتين والتّباعد بينهما والمعنى انّ ربّك للّذين هاجروا بعد الايمان اوقبله من بعد مافتنوا والهجرة اعمّ من الهجرة الصّوريّة، كما ورد انّ الآية فى عمّار رضى الله تعالى عنه ، والهجرة الحقيقيّة اى هاجروا من دار الشّرك الى دار الاسلام ، ومن دار النّفس الى اعلى مراتبها وهو الصّدر، ومن دار الاسلام الى دار القلب وهى دار الايمان [ثُمَّ جَاهَدُوا] فى سبيل الله بالجهاد الصّورىّ او فى سبيل الولاية وسبيل القلب بالجهاد الباطنىّ [وَصَبَرُوا] على الجهاد ولم يفرّوا من الاعداء فى الظّاهر و الباطن [إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا] بعد المهاجرة و فائدة التّاكيد التّصريح بانّ المغفرة و الرّحمة انّما تكونان بعد الهجرة ولو بعد الشّروع فيها و امّا قبلها فليس للانسان الّا الاستبصار بمعايبه والانزجار من منتناته وهو باعث على الهجرة والهجرة على المغفرة والرّحمة [لَغَفُورٌ] يسترعن نظر النّاظرين الجيف المنتنة الّتى كانت مع المهاجر حين مقامه فى دار نفسه المشركة [رَحِيمٌ] بعد المغفرة بالتّفضّل عليه واستبدال الجيف بالصّور الطّيّبة من نعيم الجنان وحورها وغلمانها [يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ] ظرف لمغفور اورحيم اوكليهما على سبيل التّنازع ، اوظرف لرحيم لانّ المغفرة تكون قبل الوصول الى القيامة، اومستأنف مقدّر باذكر [تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا] عن ذاتها بالاعتذار فى الخلاص عن البوار وطلب مقام الابرار [وَتُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ] عين [مَا عَمِلَتْ] على تجسّم الاعمال اوجزاء ما عملت [وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ] بنقص الثّواب او زيادة العذاب [وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا] لتنبيه المنعمين الكافرين بانعم الله [قَرْيَةً] حال قرية [كَانَتْ آمِنَةً] من كلّ ما يخاف من بطش الاعداء وضيق المعيشة وآلام الابدان وغموم النّفوس [مُطْمَئِنَّةً] لا يزعج اهلها مزعج [يَأْتِيهَا رِزْقُهَا

رَغَدًا] واسعاً [مِنْ كُلِّ مَكَانٍ] مايوجد فيه وتحتاج القرية اليه [فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللهِ] بالغفلة عن المنعم والبطر بالنّعم بدل الخضوع للمنعم [فَأَذَاقَهَا اللهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ] جزاء لكفرانهم وبطرهم والجوع استعارة بالكناية اوقرينة للاستعارة التّحقيقيّة في اللّباس اوتشبيه من قبيل لجين الماء وكذا الاذاقة امّا استعارة تحقيقيّة اوترشيح لاستعارة الجوع [بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ] من الكفران والبطر وقد ذكر في الاخبار انّ هذه القرية كانت كثيرة النّعم حتّى كانوا يستنجون بالعجين ويقولون : انّه الين فأجدبت حتّى احتاجوا الى اكل ماكانوا يستنجون به [وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ وَهُمْ ظَالِمُونَ فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللهُ حَلَالاً طَيِّبًا وَاشْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ] ولا تكفروا ولاتبطروا كما كفرت اهل تلك القرية [إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللهِ بِهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلاَ عَادٍ فَإِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ] قد سبق في سورة البقرة وفي غيرها تفسير الآية وانّ الحصر بالاضافة الى ماقالوا من حرمة البحيرة والسّائبة وغيرها وليس مطلقاً حتّى يرد الاشكال بلزوم تحليل المحرّمات [وَلاَ تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ] قرئ بالرّفع صفة لالسنتكم وقرئ بالنّصب مفعولاً لقوله لاتقولوا اولقوله تصف ولفظ ما موصول اسميّ اوحرفيّ اوموصوف وقوله [هَذَا حَلاَلٌ وَهَذَا حَرَامٌ] مفعول لاتقولوا على بعض الوجوه، اوبدل من الكذب على بعض الوجوه ، اومفعول تصف على بعض الوجوه [لِتَفْتَرُوا] لينتهي الى الافتراء [عَلَى اللهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللهِ الْكَذِبَ لاَ يُفْلِحُونَ مَتَاعٌ قَلِيلٌ] يعني ما يقصدونه من هذا القول متاع قليل [وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ] في الاخرة ولا ينبغي للعاقل ان يطلب المتاع القليل المستعقب للعذاب الاليم ، نسب الى الصّادق(ع) انّه قال: اذا اتى العبد بكبيرة من كبائر المعاصي اوصغيرة من صغائر المعاصي الّتي نهى الله عنها كان خارجاً من الايمان وساقطاً عنه اسم الايمان وثابتاً عليه اسم الاسلام فان تاب واستغفر عاد الى الايمان ولم يخرجه الى الكفر والجحود والاستحلال فاذا قال للحلال: هذا حرام ، وللحرام: هذا حلال ودان بذلك ، فعندنا يكون خارجاً من الايمان و الاسلام الى الكفر وكان بمنزلة رجل دخل الحرم ثمّ دخل الكعبة فأحدث في الكعبة حدثاً فأخرج عن الكعبة والحرم فضربت عنقه وصار الى النّار [وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِنْ مِنْ قَبْلُ] في قوله وعلى الّذين هادوا حرّمنا كلّ ذي ظفر (الآية) [وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ] بتحريم ماحرّمنا عليهم بل صاروا مستحقّين للمنع والتّحريم كما في قوله فبظلم من الّذين هادوا حرّمنا (الآية) [وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ] الاتيان بثمّ لتفاوت الجملتين من حيث انّ الاولى للتّشديد والتّغليظ و الثّانية للتّلطّف واظهار الرّحمة [لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهَالَةٍ] بانصرافهم عن دار العلم ودخولهم تحت حكم الجهل [ثُمَّ تَابُوا] ورجعوا عن مقام الجهل وندموا على ما وقع منهم [مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا] بتدارك ما لزمهم من حقوق النّاس وما فات منهم اولزمهم من حقوق الله [إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا] من بعد التّوبة [لَغَفُورٌ رَحِيمٌ] تكرار انّ ربّك مثل ما سبق [إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً] قد مضى انّ الامّة تقع على الواحد والجماعة والمأموم والامام [قَانِتًا لِلَّهِ] خاضعاً له [حَنِيفًا] مسلماً اوخالصاً وقد ذكر في الاخبار انّه كان على دين لم يكن عليه غيره فمكث ماشاء الله حتّى آنسه الله

باسمعيل (ع) واسحاق (ع) فصاروا ثلاثة ولذلك قال: انّ ابراهيم (ع) كان امّة ولو كان معه غيره لاضافه اليه [وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ] وهو تعريض بقريش لانّهم زعموا انّهم على دين ابراهيم (ع) [شَاكِرًا لِأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ وَآتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً] الحسنة في الدّنيا هو الاطمينان بذكر الله والانس بالله بحيث لايكون شيء من قضاء الله مكروهاً عنده ويستتبع ذلك سهولة المخرج والالتذاذ في الطّريق الى الله ومحبّة النّاس وحسن الصّيت وطيب العيش والتّمتّع بالاولاد والبركة بالكثرة والسّلامة من آفات الآخرة في الاعقاب وقد كان كلّ ذلك لابراهيم (ع) [وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ] الّذين لافساد في وجودهم وهم الّذين حصّلوا جميع مايمكن للانسان من الكمالات [ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ] يا محمّد (ص) [أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ] الملّة هي صورة احكام القالب مرتبطة باحكام القلب مأخوذة من صاحب احكام القلب والقالب كما انّ النّحلة هي تلك الصّورة غير مأخوذة من صاحبها بشرائطها المقرّرة عندهم، وتخلّل ثمّ لتراخي زمان الوحي عن زمان ابراهيم، وللاشارة الى انّ اتّباع محمّد (ص) شرف لابراهيم (ع) لاوصف له اشرف منه، وللاشارة الى انّ حكاية حاله (ص) اعلى درجة من حكاية حال ابراهيم (ع)، وعن الصّادق (ع): لاطريق للاكياس من المؤمنين اسلم من الاقتداء لانّه المنهج الاوضح قال الله عزّوجلّ ثمّ اوحينا اليك ان اتّبع ملّة ابراهيم حنيفاً فلو كان لدين الله مسلك اقوم من الاقتداء لندب اولياءه وانبياءه (ع) اليه [إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ] محترماً [عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ] كأنّه كان في قلبه (ص) او في قلب من آمن به شيء من الامر باتّباع ملّة ابراهيم (ع) وترك تعظيم السّبت لانّه كان عيداً لليهود بأمر موسى (ع) كما انّ الاحد كان عيداً للنّصارى فرفع ذلك بقوله انّما جعل السّبت (الآية) تسكيناً له (ص) واللمؤمنين [وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ] فانّ اليهود اختلفوا في السّبت بان حرّموه ثمّ استحلّوه فلعنهم الله ومسخهم، وقيل: انّ المراد بالّذين اختلفوا فيه اليهود والنّصارى اختلفوا بان قال اليهود: السّبت اعظم الايّام لانّ الله فرغ من خلق العالم فيه واستراح، وقال النّصارى: الاحد اعظم الايّام لابتداء خلق العالم فيه [ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ] كلام منقطع عن سابقه ولذلك لم يأت باداة الوصل والمراد بسبيل الرّبّ دين الاسلام اواعظم اركانه وهو الولاية [بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ] الحكمة مفسّرة بالتّشبّه بالآله علماً وعملاً بمعنى الاطّلاع على دقائق العلوم الّتي يعجز عن مثلها البشر و القدرة على دقائق الاعمال الّتي يعجز عن مثلها امثاله و بالفارسيّة «خورده بينى وخورده كارى» وهو شأن الولاية والمراد بها ههنا الدّعوة من طريق الباطن بالتّصرّف في المدعوّ بحسب استعداده ومن طريق الظّاهر بحسب اقتضاء حاله باظهار المعجزات واعلامه بالخواطر والخيالات ليصرفه بذلك الى الحقّ، والموعظة الحسنة هي اظهار ما كان نافعاً للمدعوّ ليطلبه وما كان ضاراً ليجتنبه بحيث يرى المدعوّ انّ الدّاعي ناصح له وطالب لخيره وهو شأن النّبوّة، والمجادلة الحسنة هي الزام الخصم بالحجّة والبرهان اوبما هو مسلّم عنده مذعن له سواء وافقه البرهان ام لا؛ هكذا اشير الى تفسير المجادلة في الاخبار فهي اعمّ ممّا اصطلح عليه المنطقيّون وهي شأن الرّسالة فانّ الرّسول (ص) مأمور باقحام الخلق في الدّين ولو بالسّيف، ولمّا كان الرّسول (ص) صاحب الشّؤن الثّلاثة والخلق على طبقات ثلاث مستعدّ لتصرّف الوليّ (ع) وقابل لنصح النّبيّ (ص) ومعاند محتاج الى الالزام ولكلّ شخص يتصوّر احوال صاحب تلك الطّبقات امر الله تعالى النّبيّ (ص) بالدّعوات

الثّلاث والمجادلة الغير الحسنة كما في الاخبار ان تجحد حقّاً يدّعيه الخصم اوتلقّى باطلاً عليه لالزامه وتضعف عن مقاومته بالحجّة فتجادله وبضعفك تجرّئه على اهل دينك وتضعف قلوب المسلمين وعقائدهم [إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ] يعني انّك مأمور بالدّعوة العامّة فلاتتوان في الدّعوة تفكّراً في انّها تنفع ام لا [وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ] يعني ان عاقبتم قصاصاً و اتى بلفظ الشّكّ للاشعار بانّ المؤمن لا ينبغي له القصاص بل شأنه العفو واقدامه على القصاص كالمشكوك ؛ وهذا لمن لم يترقّ عن مرتبة النّفس ، وقوله وليعفوا وليصفحوا لمن عرج منها الى مقام القلب، وقوله والله يحبّ المحسنين لمن اتّصف بصفات الرّوح وبعبارة اخرى الاوّل لمن قبل الرّسالة ، والثّاني لمن قبل النّبوّة ، والثّالث لمن قبل الولاية [وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ] يعني ان صبرتم عن القصاص والمراد من الصّبر العفو وكظم الغيظ الّذي ذكر في الآيات الاُخر كما انّ الرّضا بمنزلة الصّفح وفوق كلّ المراتب الاحسان الى من اساء ونزول الآية كما في الاخبار في غزوة احد لانّ المشركين مثّلوا من قتلى المسلمين فقال المسلمون : لئن ادالنا الله عليهم لنمثلنّ باخيارهم، اوقال النّبيّ (ص) حين حضر حمزة ورأى ما فعل به وبكى: لئن امكنني الله من قريش لامثلنّ سبعين رجلاً منهم، فنزل عليه (ص) جبرئيل (ع) فقال: وان عاقبتم (الآية) لكنّ مضمونها عامّ [وَاصْبِرْ] لمّا كان المؤمنون الغير الخارجين من دار النّفس غير متحمّلين للاذى متبادرين الى القصاص قال فيهم على طريق المداراة ولئن صبر تم بخلاف محمّد (ص) و لذلك امره (ص) صريحاً بالصّبر [ثُمَّ] للاشعار بانّ التّمكّن من الصّبر انّما هو نعمة من الله لانّ البشريّة مقتضيته للانتقام قال [وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ] اى على اصحابك وما فعل بهم من القتل والمثلة بناءً على نزول الآية ، اوولا تحزن على الضّالين الماكرين لك اولعليّ (ع) اوللمؤمنين [وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ] في حقّ اصحابك اوفيك او في عليّ (ع) وهذا اشارة الى الصّفح و تطهير القلب عن الحقد على المسيء [إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا] وهم اصحابك، اوانت واتباعك، اوعليّ (ع) واتباعه فلاتكن في ضيق ممّا فعل باصحابك فانّ لهم الزّلفى عند الله اولاتكن في ضيق ممّا يحتالون فانّهم لن يصلوا بضرر اليك اوالى عليّ (ع) اوالى اتباعه، اوهو تعليل للسّابق والمعنى انّ الله مع الّذين اتّقوا عن الضّيق والحزن اوالحقد على المسيء اوهو اشارة الى آخرة مراتب العبوديّة والتّقوى الحقيقيّة الّتي هي الفناء التّامّ في الله والسّفر بالحقّ في الحقّ ، وقد تكرّر فيما سبق انّ لله مع عباده ومخلوقاته معيّتين؛ معيّة هي من صفات الرّحمة الرّحمانيّة وهي عامّة، ومعيّة هي من صفات الرّحمة الرّحيميّة وهي خاصّة؛ وهذا النّوع من المعيّة هو المراد في امثال المقام [وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ] ذووحسن وهو الولاية اومحسنون الى المسيء اليهم فالآية كما اشير اليه في ذيل تفسير التّنزيل اشارة الى مراتب الانسان من اوّل مقام الاسلام الى آخر كمال الانسان فانّ قوله فان عاقبتم الى قوله لئن صبر تم اشارة الى اولى مراتبه في الاسلام وقوله ولئن صبر تم (الى قوله) الّا بالله اشارة الى ثانيتها من مقام العفو وكظم الغيظ وقوله ولا تحزن عليهم (الى قوله) ممّا يمكرون اشارة الى ثالثتها من مقام الصّفح وتطهير القلب عن الحقد على المسيء ، وقوله انّ الله مع الّذين اتّقوا اشارة الى آخر مقام التّقوى وهو مقام الفناء التّامّ وهو الفناء عن الفناء، وقوله والّذين هم محسنون اشارة الى آخر مقامات الانسان وهو مقام البقاء بعد الفناء، ولوكنت متذكّراً لما اسلفنا فيما أسلفنا من بيان الاسفار الاربعة للسّلاك واصطلاح الصّوفيّة الصّافية فيها امكنك التّفطّن بكون الآيات اشارة الى الاسفار الاربعة والله ولي التّوفيق.

سورة الاسراء

مكّيّة كلّها ، وقيل : سوى خمس آياتٍ؛ آية ولاتقتلوا النّفس ، وآية ولاتقربوا ، وآية اولئك الّذين يدعون ، وآية اقم الصّلوة ، وآية وآت ذا القربى حقّه .
وقيل : مكّيّة الّاثمان آياتٍ ، وان كادوا ليفتنونك (الى قوله) وقل ربّ ادخلنى

[الجزء الخامس عشر]

بسم الله الرحمن الرحيم

[سُبْحانَ الَّذى اَسْرىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلاً] بعض ليلٍ [مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ اِلَى الْمَسْجِدِ الْاَقْصَى] الّذى فى بيت المقدّس اوالى المسجد الاقصى الّذى هوفى السّماء الرّابعة المسمّى بالبيت المعمور الّذى المسجد الاقصى مظهره وهوملكوته كما انّ المسجد الحرام مظهره وهوملكوته ، والسُّرى والاسراء بمعنىً وهوالسّير باللّيل فذكر اللّيل بعده مبنىّ على التّجريد ، اوالتّأكيد ، وتعديته بالباء فقط وليس من قبيل الجمع بين التّعدية بالباء والهمزة [الَّذى بٰارَكْنا حَوْلَهُ] فانّ حول بيت المقدّس الشّام ومصر وكلاهما ممتازان عن سائر البلاد بكثرة النّعم من كلّ جنس ، والبيت المعمور الّذى هوفى السّماء الرّابعة معلوم كثرة بركات ما حوله .

تحقيق المعراج الجسمانىّ

اعلم ، انّ الآية اشارة الى معراج الرّسول (ص) وقداختلف الاخبار فى كيفيّته وسيره (ص) وما رآه مع اتّفاقها على وقوعه وانّه من معجزاته (ص) وقداختلف فى انّه ببدنه الطّبيعىّ ام ببدنه المثالىّ ام بروحه ، وانكرت الفلاسفة كونه بالبدن الجسمانىّ الطّبيعىّ لامتناع دخول الجسم الملكىّ فى الاجسام الملكوتيّة وللزوم الخرق والالتيام فى السّماوات وهومحال ، وقالت المتشرّعة اقتفاءً لظاهر الاخبار انّه كان ببدنه الطّبيعىّ من غير تبيين لوجه صحّته مع قوّة برهان الفلاسفة على امتناعه وسنحقّقه ان شاءالله تعالى ، واورد انّه كما روى كان فى اقصر زمانٍ حيث كان حرارة مضجعه باقيةً ولم يسكن حركة حلقة الباب ولم يتمّ انصباب ماء الابريق الّذى سقط حين عروجه بعد رجوعه وكان ما قصّ علينا ممّا رآه فى معراجه و وقع منه من الصّلوات والمخاطبات لايمكن وقوعه الّا فى زمانٍ طويلٍ فلايمكن التّوفيق **وأشكل أيضاً** بانّه (ص) حين بلغ الى مقام القرب خاطبه علىّ (ع) ومدّ علىّ (ع) يده من وراء الحجاب وشاركه فى الغذاء وسدّ الطّريق على (ع) حين سيره (ص) وكلّ ذلك يدلّ على كون علىٍّ (ع) اكمل منه (ص) مع انّه كان تابعاً له (ص) والتّابع لايكون اكمل من المتبوع .

وتحقيق ذلك بحيث لا يبقى ريب في وقوعه ببدنه الطّبيعيّ ولا اشكال ممّا ذكر يستدعي تمهيد مقدّمة فنقول : العالم ليس منحصراً في هذا العالم المحسوس المعبّر عنه بعالم الطّبع بسماواته وارضيه بل فوقه البرزخ وهو عالم بين عالم الطّبع وعالم المثال وله الحكومة على عالم الطّبع والتّصرّف فيه ايّ تصرّف شاء من الاحياء و الاماتة و ايجاد المعدوم واعدام الموجود وستر المحسوس واظهار غير المحسوس بصورة المحسوس و منه طيّ الارض والسّير على الماء والهواء والدّخول في النّار سالماً وقلب الماهيّات ، ومنه طيّ الزّمان كما ورد في الاخبار انّه قال المعصوم(ع) لمنافق : اخسأ ؛ فصار كلباً ، وقال لآخر : انت امرأة بين الرّجال فصار أمرأة ، وانكر آخر قلب المهيّات عند المعصوم(ع) فصار الى نهر ليغتسل فدخل الماء وارتمس فخرج فرأى نفسه امرأة على ساحل بحر قرب قرية منكورة فدخلت القرية وتزوّجت وعاشت مدّة وولدت لها اولاد ثمّ خرجت لتغتسل في البحر فدخلت الماء وارتمست فخرجت على ساحل النّهر المعهود وهو رجل واذا بثيابه موضوعة كما وضعها فلبسها ودخل بيته واهله غير شاعرين بغيبته لقصر الزّمان ، وامثال ذلك رويت عن التّابعين لهم على الصّدق وهذا من قبيل بسط الزّمان ان كان وقوعه في عالم الملك ، كما نقل انّ امرأة وقع لها ذلك فأخبرت وأنكرها جماعة فاوتيت باولادها بعد ذلك عن بلدة بعيدة مع انّه لم تمض في بلدها قدر ساعة ، اومن قبيل البسط في الدّهر من غير تصرّف في الزّمان ان كان وقوعه في الملكوت ، وفوق البرزخ عالم المثال وله التّصرّف في البرزخ والطّبع ، وفوقه عالم النّفوس الكلّيّات المعبّر عنها بالمدبّرات امراً ، وفوقه الارواح المعبّر عنها بالصّافّات صفّاً ويعبّر عنها في لسان الاشراقيّين بارباب الانواع وارباب الطّلسمات ، وفوقها العقول المعبّر عنها بالمقرّبين وفوقها الكرسيّ وفوقها العرش وهو سرير الملك المتعال وهما بين الوجوب والامكان لا واجبان ولا ممكنان بل فوق الامكان وتحت الوجوب ؛ وكلّ من تلك العوالم له الاحاطة والتّصرّف والحكومة على جميع مادونه فاذا غلب واحد من تلك العوالم على مادونه صار ما دونه بحكمه وذهب عنه حكم نفسه . ثمّ اعلم ، انّ الانسان مختصر من تلك العوالم وله مراتب بازاء تلك العوالم وكلّ مرتبة عالية لها الحكومة على مادونها من غير فرق كما نشاهد من حكومة النّفس على البدن والقوى لكن تلك المراتب في اكثر النّاس بالقوّة و ما بالفعل من النّفس المجرّدة الّتي هي بازاء عالم النّفوس ضعيفة غاية الضّعف بحيث لا يمكنها التّصرّف في بدنها زائداً على ما جعله الله في جبلّتها فكيف بغير بدنها ، فاذا صار بعض تلك المراتب بالفعل كما في اكثر الانبياء والاولياء (ع) او جميعها كما في خاتم الانبياء (ص) وصاحبي الولاية الكلّيّة (ع) كان لهم التّصرّف في ابدانهم بايّ نحو شاءوا ، وفي سائر اجزاء العالم كما روى عن الانبياء والاولياء (ع) من طيّ المكان و الزّمان و السّير على الماء والهواء ودخول النّار واحياء الموتى واماتة الاحياء وقلب المهيّات وغير ذلك ممّا لا ينكر تمامها لكثرتها وتواتر الاخبار بمجموعها وان كان آحادها غير متواترة ، واما التّصرّف في البدن الطّبيعيّ بحيث يخرجه عن حكم الامكان ويدخله في عالم العرش الّذي هو فوق الامكان وفوق عالم العقول والملائكة المقرّبين كما روى انّ جبرئيل تخلّف عن الرّسول (ص) في المعراج وقال : لو دنوت انملة لاحترقت ؛ مع انّه من عالم العقول المقرّبين فهو من خواصّ خاتم الكلّ في الرّسالة والنّبوّة والولاية وهو من خواصّ نبيّنا (ص) لا يشاركه فيه غيره لا نبيّ مرسل ولا خاتم الاولياء ولذلك جعلوا المعراج الجسمانيّ بالكيفيّة المخصوصة من خواصّه (ص) ، ولمّا كان المعراج بتلك الكيفيّة امراً لا يتصوّر امر فوقه من الممكن وكان لا يتيسّر الّا اذا غلب العالم الّذي فوق الامكان على البدن الطّبيعيّ ولا يتيسّر تلك الغلبة بسهولة ولكلّ احد وفي كلّ زمان قالوا : انّ المعراج للنّبيّ (ص) كان مرّتين مع انّه نسب الى بعض العرفاء انّه قال : انّي اعرج كلّ ليلة سبعين مرّة ، والمعراج بالرّوح امر يقع لكثير من المرتاضين بل ورد انّ الصّلوة معراج المؤمن ؛ اذا تقرّر ذلك نقول : انّه (ص) عرج ببدنه الطّبيعيّ وعليه عباؤه ونعلاه الى بيت المقدس ومنه الى

السّماوات ، ومنها الى الملكوت ، ومنها الى الجبروت ، ومنها الى العرش الّذى هو فوق الامكان ، وفى هذا السّير تخلّف جبرئيل (ع) عنه (ص) لانّه كان من عالم الامكان ولم يكن له طريق الى مافوق الامكان لانّ الملائكة كلّ له مقام معلوم لا يتجاوزه بخلاف الانسان ولم يكن منه ذلك المعراج الّا مرّتين كما فى الاخبار ولايلزم منه خرق السّماوات لارتفاع حكم الملك عن بدنه بغلبة الملكوت ، ولااستغراب فى عروج البدن الطّبيعىّ الى الملكوت والجبروت لسقوط حكم الملك بل حكم الامكان عنه مع بقاء عينه ، ولا غرو فى كثرة وقائعه فى المعراج فانّه من بسط الدّهر مع قصر الزّمان كما قال: وانّ يوماً عند ربّك كالف سنة ممّا تعدّون ، وقال ايضاً : فى يوم كان مقداره خمسين الف سنة ، فقدر ساعة من الدّهر بازاء قدر ساعة من الزّمان تكون كالف ساعة من الزّمان او كخمسين الف ساعة ، وتكلّم على (ع) ومدّيده من وراء الحجاب كان بمقامه العلوىّ لا ببدنه الطّبيعىّ والفضل فى المعراج بان يكون بالبدن الطّبيعىّ ولذلك كان من خواصّه (ص) لم يشاركه فيه على (ع) واخبار المعراج وكيفيّة وقائعه مذكورة فى المفصّلات ، ومن هذه الآية يظهر فضل تبيّنا (ص) على موسى (ع) حيث كان سيره الى الله باسراء الله وسير موسى (ع) من قبل نفسه ونفى الرّؤية عنه تأبيداً بعد مسئلته وحصر الرّؤية فى نبيّنا (ص) بدون مسئلته ، يعنى انّ محمّداً (ص) تحقّق بحقيقة السّمع والبصر بحيث لم يكن سمع الّا وهو سمعه ولابصر الّا وهو بصره وما ذلك الّا بالتّحقّق بحقيقة السّمع والبصر وما ذاك التّحقّق الّا التّحقّق بحقيقة الاسماء والصّفات الّتى نفى شهودها عن موسى (ع) [لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا] يعنى فأريناه ايّاها فرآها فتحقّق بها فصار بحيث لم يكن سمع وبصر الّا وهو سمعه وبصره فصار فى حال يقال فى حقّه [إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ] فعلى هذا قوله انّه هو السّميع البصير جواب لسؤال عن حاله (ص) بعد الاراءة كأنّه قيل: فما كان حاله بعد الاراءة؟ فقال: تحقّق بالآيات والاسماء والصّفات ، او حال مفيدة لهذا المعنى وجعل المفسّرون ضمير انّه لله اى انّ الله هو السّميع لكنّه خلاف ظاهر الآية لفظاً [وَآتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدىً لِبَنِي إِسْرَائِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا] قرئ لا يتخذوا بالغيبة على الاصل وبالخطاب على الالتفات ، وان تفسيريّة اومصدريّة ولانافية او ناهية والخطاب لبنى اسرائيل مثل : كتبت اليه ان قم ، على قراءة الخطاب اولامّة محمّد (ص) تعظيماً لشأنهم حيث جعل غاية اتيان الكتاب لموسى (ع) عدم اتّخاذ امّة محمّد (ص) من دون الله وكيلاً يعنى انّ المقصود من ارسال الرّسل سابقاً كان اتّعاظكم وان لاتتّخذوا يا امّة محمّد (ص) [مِنْ دُونِي وَكِيلاً ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ] مفعول اوّل للاتّخذوا و وكيلاً مفعول ثان له مقدّم عليه وحمله على الجمع لجواز حمل فعيل بمعنى الفاعل على الجمع مفرداً نحو حسن اولئك رفيقاً ، اونداء اومنصوب على الاختصاص ، اومفعول لفعل محذوف [إِنَّهُ كَانَ عَبْداً شَكُوراً] اتى بمدحه عقيب ذكره تعليلاً لجعل الكتاب هدى لذرّيّته [وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ] اى اخبرنا بنى اسرائيل بقضائنا [فِي الْكِتَابِ] التّوراة اواخبار النّبوّة [لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوّاً كَبِيراً فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا] وعد عقاب اوليهما [بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَاداً لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ] تنزيل الآية فى بنى اسرائيل ومرّتى الافساد بقتل زكريّا (ع) وبقتل يحيى (ع) ، والعلوّ الكبير استكبارهم وطغيانهم وخروجهم عن طاعة الانبياء (ع) ، والعقوبة الاولى كانت على يد بختنصّر وجنوده وردّ الكرّة عليهم بردّ بهمن بن اسفنديار اساريهم وتمليكه دانيال عليهم وتبسّطهم فى البلاد وتسلّطهم على العباد ثانياً ، والعقوبة الثّانية كانت بتسليط الفرس عليهم مرّة اخرى ، كذا قيل ، وعلى هذا فقوله عباداً لنا اولى بأس شديد بختنصّر وجنوده

[فَجاسُوا خِلالَ الدِّيارِ] تجسّسوا وتفحّصوا المواضع الخفيّة من دياركم للقتل والاسر والنّهب [وَكانَ وَعْدًا مَفْعُولاً] حتماً [ثُمَّ رَدَدْنا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ] على الّذين بعثوا عليكم [وَأَمْدَدْناكُمْ بِأَمْوالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْناكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا] ممّا كنتم اومنهم [إِنْ أَحْسَنْتُمْ] يعنى قلنا لهم ان احسنتم او ان احسنتم يا قوم محمّد (ص) اوان احسنتم يا بنى اسرائيل الحاضرين فى هذا الزّمان [أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَها] استعمال لها ههنا من باب المشاكلة اوالتّهكّم [فَإِذا جاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ] العقوبة الآخرة [لِيَسُوؤُا وُجُوهَكُمْ] متعلّق بجاء اومتعلّق بالجزاء المحذوف والتّقدير فاذا جاء وعد الآخرة ليسوؤا اى العباد اولى البأس وجوهكم بعثناهم عليكم، اوفاذا جاء وعد الآخرة بعثناهم عليكم ليسوؤا وجوهكم [وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ] مسجدكم الاقصى [كَما دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا ما عَلَوْا تَتْبِيرًا] ليهلكوا مدّة علوّهم اوالّذى استولوا عليه [عَسى رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ] بعد ذلك بتقدير القول اوخطاب لامّة محمّد (ص) لانّ الآية تعريض بهم اوخطاب للحاضرين من بنى اسرائيل [وَإِنْ عُدْتُمْ] الى طغيانكم [عُدْنا] الى عقوبتكم وهذه عقوبة دنيويّة لها امد وانقطاع [وَجَعَلْنا] فى الآخرة [جَهَنَّمَ لِلْكافِرِينَ حَصِيرًا] محصوراً فيها اوحاصرة لهم مانعة عن الخروج، وتذكير الحصير امّا لكونه بمعنى المفعول اولتشبيهه بالفعيل بمعنى المفعول، وعن ائمّتنا (ع) انّهم فسّروا الافسادتين بقتل علىّ (ع) وطعن الحسن (ع)، والعلوّ الكبير بقتل الحسين (ع) والعباد اولى البأس بقوم يبعثهم الله قبل خروج القائم فلا يدعون وتراً لآل محمّد (ص) ووعد الله بخروج القائم (ع) ورد الكرّة عليهم بخروج الحسين (ع) فى سبعين من اصحابه عليهم البيض المذهّب حين كان الحجّة القائمة (ع) بين اظهرهم وتملّك الحسين (ع) حتّى يقع حاجباه الى عينيه وفسّر بعلىّ (ع) ويوم الجمل وبنى اميّة وبالقائم (ع) واصحابه على نحو يظنّ انّه تنزيل لا تأويل [إِنَّ هذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ] هذا اشارة الى الصّورة التّدوينيّة من جملة القرآن اومن قرآن الولاية اوالى الرّسالة او الى النّبوّة اوالى الرّسول (ص) اوالى شخص الامام فانّ كلّاً من هذه هو المحسوس المعلوم للخلق وان كان المقصود حقيقةً هى الولاية والهداية الدّلالة والمراد بالّتى هى اقوم الملّة الّتى هى اقوم ملل الانبياء لكون المنزّل عليه اقوم من سائر الانبياء والمنزّل لهم اقوم من سائر الامم، اوالطّريق الّتى هى اقوم من سائر الطّرق من طرق النّفس وهى طريق القلب، اوالطّريقة الّتى هى اقوم من طريق النّبوّة وهى الولاية وهى المقصود فانّها غاية ارسال الرّسل وانزال الكتب وقد فسّرت فى اخبار عديدة بالولاية باختلاف اللّفظ، هذا بالنّسبة الى من لم يدخل فى الاسلام بعد وهو مستعدّ للدّخول اودخل ولم يدخل فى الايمان بالبيعة الخاصّة الولويّة وامّا بالنّسبة الى من قبل الدّعوة الظّاهرة العامّة بالبيعة العامّة النّبويّة ودخل فى الايمان بالبيعة الخاصّة الولويّة وبالنّسبة الى من لم يدخل فى البيعتين ولم يستعدّ للدّخول بانكار الآخرة حالاً اوقالاً فيكون بشارةً اوانذاراً ولذلك عطف على يهدى قوله [وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصّالِحاتِ] اى يعملون طبق ما أخذ عليهم فى تلك البيعة [أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا وَ] يخبر [أَنَّ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنا لَهُمْ عَذابًا أَلِيمًا] اويبشّر انّ الّذين لا يؤمنون، على ان يكون من عطف الجملة اوعطف المفرد ويكون ذلك بشارةً اخرى للمؤمنين [وَيَدْعُ الْإِنْسانُ بِالشَّرِّ دُعاءَهُ بِالْخَيْرِ] يدعو بما هو شرّ فى نفسه وهو لا يعلم انّه شرّ نحو دعائه بما هو خير وهو يعلم انّه خير، والدّعاء بما لا يعلم انّه خير له

ومرضيّ للحقّ مذموم، ورسم خطّ القرآن على اسقاط الواومن يدع فى الكتابة اشارة الى نقصان دعاء الانسان هذا الدّعاء [وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولاً] يدعو بما لا يعلم من غير صبر وتروّ [وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ] اى نيّرى اللّيل والنّهار وهما الشّمس والقمر اوذوى آيتين ويؤيّد هذين التّقديرين قوله لتعلموا عدد السّنين فانّه يعلم عدد السّنين والحساب باختلاف القمر فى الاحوال، اوجعلنا نفس اللّيل والنّهار آيتين ويكون المحو عبارة عن نقصان النّور، وتأديته بهذه العبارة ليذهب السّامع بحسب الاحتمال كلّ مذهب ممكن، وهذا من سعة وجوه القرآن وليمكن تطبيق الآية على جميع مراتب اللّيل والنّهار فانّ اللّيل والنّهار كما مرّ مراراً ليسا مختصّين بالشّهودين المحسوسين بل يجريان فى جميع مراتب الوجود فانّ الملكوت السّفلى بالنّسبة الى الملك انقص نوراً وان كانت مجرّدة تجرّداً برزخيّاً فهى ليل بالنّسبة اليه ، والملك بالنّسبة الى الملكوت العليا ليلٌ والملكوت العليا لاحتجابها بحجاب التّقدّر بالنّسبة الى النّفوس ليلٌ ، والنّفوس لاحتجابها بالتّعلّق التّدبيرىّ بالنّسبة الى الجبروت ليلٌ ، وكلّ ذلك بجهته الامكانيّة ليل بالنّسبة الى جهته الا لهيّة وهكذا الامر فى العالم الصّغير باضافة احواله من القبض والبسط والسّقم والصّحّة والفقر والسّعة والخوف والامن، والمعنى جعلنا اللّيل والنّهار فى كلّ من مراتبهما آيتين [فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ] اى نقصنا نور آية هى اللّيل اوآية مضافة الى اللّيل وهى القمر [وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً] اى آية هى النّهار اوآية مضافة الى النّهار ومبصرة من المجاز العقلىّ اومن ابصره اذا جعله ذا ابصار، اومن ابصر اذا اضاء اومن أبصر اذا صار اهله بُصَراء [لِتَبْتَغُوا فَضْلاً مِنْ رَبِّكُمْ] غاية لابصار آية النّهار وتقديم آية اللّيل لتقدّمها طبعاً فى سلسلة الصّعود وفى انظار ذوى الآية وهم البشر، وتقديم غاية النّهار لشرافتها ولانّ غاية اللّيل غاية لهما [وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ] بسبب اختلاف القمر بالنّسبة الى اوضاعه مع الشّمس هلالاً وبدراً ومحاقاً [وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلاً] يعنى ليس انتظام اللّيل والنّهار والشّمس والقمر فقط لانتفاعكم بل كلّ شيء فى العالم من الماديّات الارضيّات والسّماويّات والمجرّدات المتقدّرات والمتعلّقات وغير المتعلّقات نظمناه نظماً انيقاً يعجز عن ادراك دقائق حكمه ومصالحة عقول البشر، والتّفصيل كما يستعمل فى التّمييز والتّبيين يستعمل فى التّنظيم الانيق فانّه نحو تبيين لدقائق الحكم وتمييز لكلّ من الدّقائق عن الآخر [وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ] الطّائر الّذى يطير، ولمّا كان العرب يتيمّنون بطيران الطّائر الى اليمين ويتشاءمون بطيرانه الى اليسار خصوصاً بعض الطّيور جعل اسماً لمطلق ما يتيمّن ويتشاءم به ، ثمّ استعمل فى مطلق سبب الخير والشّر والمعنى الزمناه سبب خيره وشرّه فى عنقه كأنّه قلادة فيه [وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا] مكتوباً بايدى ملائكتنا ممّا هو عبارة عن الواح نفسه اوما هو خارج عنها [يَلْقَاهُ مَنْشُورًا اقْرَأْ] قائلين اقرء [كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا] محاسباً لاحاجة لك الى محاسب آخر لكشف الغطاء وحدّة البصر وحضور الاعمال مجسّماً ومكتوباً وشهود الميزان وتطاير الكتاب السّجّينىّ الى اليسار والعلّيينىّ الى اليمين [مَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً] فى الصّغير رسول العقل وفى الكبير واحداً من الانبياء والاولياء (ع) [وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا] اى منعميها قرئ امرنا مفتوح العين من الثّلاثىّ المجرّد وآمرنا ممدود الهمزة من باب الافعال و قرئ امرنا بكسر العين من الثّلاثى، و امرّنا مشدّد العين ، و الكلّ بمعنى كثّرنا ، و يجوز ان يكون امرنا بفتح العين وآمرنا من باب الافعال من الامر

ضدّ النهى ؛ ويكون المعنى امرناهم تكويناً بالفسق [فَفَسَقُوْا فيها] اويكون المعنى امرناهم تكليفاً بالعبادات ففسقوا ، ويجوز ان يكون امرّنا بتشديد و آمرنا من باب الافعال من امر بتثليث العين بمعنى صار اميراً ويكون المعنى جعلنا مترفيها وُلاةً عليها ففسقوا ، وتخصيص المترفين على المعانى الاول لانّ غيرهم ينظرون اليهم فيتّبعونهم و لانّهم اقدر واسرع من غيرهم الى الفجور ، ولانّهم افرغ قلباً واجرأ فيكون حيلتهم فى ارتكاب الفجور اكثر وانفذ [فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ] بنزول العذاب والاهلاك بعد فسوقهم [فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ] قيّده ببعد نوح لانّ القرون التى كانت قبله لم يكن فيهم ما كان فيمن كان بعده ، اولانّ ما كان فيهم لم يصل الينا كما وصل ما كان فيمن كان بعده يعنى اهلكنا كثيراً من بعد نوحٍ فلا تبالى باهلاك الفاسقين منكم [وَكَفَى بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا] فلا تجترئوا على الذّنوب لعلم الله بها ومؤاخذته عليها [مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ] الحاضرة وهى الدّنيا وتعيمها بان كان ارادته فى اعماله متعلّقة بها [عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ] بدل من له بدل البعض ؛ وتقييد التّعجيل للاشارة الى انّ ذلك منوط بمشيّة الله لا بارادة المريد وهمّه على ما يريد وليس كلّ مريدٍ يصل الى مراده ولا من يصل يصل الى تمام مراداته [ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَيهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا] مطروداً ، عن النّبىّ (ص) معنى الآية : من كان يريد ثواب الدّنيا بعملٍ افترضه الله عليه لا يريد به وجه الله والدّار الآخرة عجّل له ما يشاء الله من عرض الدّنيا وليس له ثواب الآخرة [وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا] اللّائق بها لا السّعى الّذى زعموه بآرائهم انّه سعيها ، وجعل القرينتين مختلفتين فى الشّرط والجزاء للاشعار بانّ استحقاق العذاب انّما هو بصيرورة ارادة العاجلة سجيّة لا بارادة ما واحدة جزئيّة واستحقاق الثّواب انّما هو بارادةٍ واحدةٍ جزئيّةٍ وسعيٍ واحدٍ بشرط الايمان والى هذا المعنى اشار تعالى بقوله : لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ، وللاشعار بانّ استتباع صور الاعمال الحسنة لتعجيل خيرات الدّنيا عرضىّ محتاج الى الجعل بخلاف استتباعها لغاياتها [وَهُوَ مُؤْمِنٌ] قيّده بالايمان وهو الولاية الّتى تحصل بالبيعة الخاصّة الولويّة لانّ العمل بدون الولاية لا اثر له ولا فائدة فيه كما ورد : لو انّ عبداً عبد الله تحت الميزاب سبعين خريفاً قائماً ليله صائماً نهاره ولم يكن له ولاية ولىّ امره لأكبّه الله على منخريه فى النّار [فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا] مجزيّاً عليه [كُلًّا نُمِدُّ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ] بدل تفصيلىّ من كلّاً [مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ] المضاف وهو الولاية المطلقة او هو التفات من التّكلّم الى الغيبة او هو استيناف خبر مبتدء محذوف كأنّه قيل : من اىّ شيءٍ كان الامداد ، من استحقاقهم او من فضل الله؟ فقال : ذلك من عطاء ربّك [وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ] من القوى والمدارك وما يحتاج المحسن والمسيء اليه من الارزاق والملبوس والمسكون والاسباب الّتى يتوسّل بها الى التّعيّش والاعمال الحسنة والسّيّئة [مَحْظُورًا] منهما [انْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ] لتنبّه للتّفاضل فى الآخرة [وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ] يعنى اكثر درجات او اعظم درجاتٍ بحسب انفسها من درجات الدّنيا [وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا] بالاضافة الى تفضيل درجات الدّنيا [لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ] الخطاب عامّ لكلّ من يتأتّى منه الخطاب او خاصّ به (ص) فى اللّفظ على ، ايّاك اعنى واسمعى يا جارة او على طريق سريان خطاب المتبوع الى الاتباع ، او سريان خطاب الكلّ الى الاجزاء يعنى لا تجعل مع الله فى الآلهة او العبادة او الطّاعة او الوجود ، اولا تجعل مع الله بحسب مظاهره الّذين هم مظاهر الولاية [إِلَهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ]

فتبقى فانّ القاعد يبقى متأخّراً عن الرّفقة [مَذْمُومًا] يذمّك الله وخواصّه [مَخْذُولًا] عن نصرة الله ونصرة خواصّه [وَقَضٰى رَبُّكَ] تكويناً كما امر تكليفاً اوامر تكويناً وتكليفاً على استعمال القضاء بمعنى ايصال الامر الى المأمور سواء كان بنحو التّكوين اوالتّكليف لكن في امره التّكويني لايقع التّخلّف وفي امره التّكليفيّ قد يقع التّخلّف اوثبت في عالم قضائه [أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ] ان مصدريّة ولانافية اوناهية اومفسّرة ولاناهية والمعنى قضى ربّك ان لايقع منكم عبادة تكويناً الّا له اوان لايقع ولايصحّ تكويناً واختياراً اولايصحّ اختياراً وتكليفاً منكم عبادة الّا اله.

بيان انحصار العبادة في الله

اعلم، انّ الله تعالى منزّه عن المثل والثّاني ولكن له المثل الاعلى والانسان مثل اعلى له تعالى، فمثل الحقّ تعالى في العالم الكبير باملاكه وافلاكه وارضه ومواليده مثل النّفس الانسانيّة في العالم الصّغير بقواها العالية والدّانية وارواحها الحيوانيّة السّماويّة واعضائها الارضيّة وصورها الذّهنيّة، فشأن الصّور الذّهنيّة بالنّسبة الى النّفس شأن الملائكة المقرّبين الّذين لاشأن لهم الّا التّعلّق الصّرف ولا انانيّة لهم ولااستقلال بوجه من الوجوه وشأن القوى المدركة والمحرّكة شأن النّفوس وعالم المثال، وشأن الاعضاء شأن عالم الطّبع، وكما انّه ليس للصّور الذّهنيّة شأن الّا الانقياد الصّرف والعبوديّة المحضة كذلك ليس للملائكة الّا الانقياد والعبوديّة، وكما انّ الاعضاء اذا كانت سليمة غير مؤفة شأنها الانقياد للنّفس والعبوديّة لها كذلك عالم الطّبع بشراشره اذا كان سليماً شأنه الانقياد والعبوديّة، وكما انّ الاعضاء اذا طرأ عليها الآفة قد تخرج عن انقياد النّفس كذلك اجزاء العالم اذا كانت مؤفة بآفة اضلال الشّيطان اوبآفة العجب والغرور كما في افراد الانسان والشّياطين والجنّ قد تخرج عن انقياد الله وطاعته، وكما انّ الاعضاء المؤفة الخارجة عن طاعة النّفس والمنقادة للطّبع بحكم الآفة غير خارجة عن انقياد النّفس مطلقاً كذلك اجزاء العالم المؤفة اذا خرجت عن طاعة الله ودخلت في طاعة الشّيطان وعبدت بحكومته سائر اجزاء العالم من الملائكة والسّماويّات والارضيّات والشّياطين والجنّ اختياراً كما انّها عبدت الشّيطان اولاً من حيث لاتشعر لم تكن خارجة عن طاعة الله تكويناً، ولمّا كان اجزاء العالم مظاهر لله الواحد الاحد القهّار بحسب اسمائه اللّطفيّة والقهريّة كان عبادة الانسان لاىّ معبود كانت عبادة لله اختياراً ايضاً بخلاف طبائع الاناسيّ فانّها ليست مظاهر للنّفس الّا بوجه بعيد لايعلمه الّا الرّاسخون، ولذلك لم تكن الاعضاء المؤفة في حكم الآفة منقادة للنّفس عابدة لها مطلقاً فالانسان في عبادتها اختياراً للشّيطان كالابليسيّة وللجنّ كالكهنة وتابعي الجنّ وللعناصر كالزّردشيّته وعابدي الماء والهواء والارض وللمواليد كالوثنيّة وعابدي الاحجار والاشجار والنّباتات كالسّامريّة وبعض الهنود الّذين يعبدون سائر الحيوانات، وكالجمشيديّة والفرعونيّة الّذين يعبدون الانسان ويقرّون بآلهته وللكواكب كالصّابئة وللملائكة كاكثر الهنود وللذّكر والفرج كبعض الهنود القائلين بعبادة ذكر الانسان وفرجه، وكالبعض الآخر القائلين بعبادة ذكر مهاديو ملكاً عظيماً من الملائكة وفرج امرأته كلّهم عابدون لله من حيث لايشعرون، لانّ كلّ المعبودات مظاهر له باختلاف اسمائه ولذلك قيل:

اگر مؤمن بدانستی که بت چیست — یقین کردی که دین دربت پرستی است
اگر کافر ز بت آگاه بودی — چرا در دین خود گمراه بودی

وقال المولوى المعنوىّ قدّس سرّه:

ساخت موسى قدس درباب صغير — تا فرود آرند سر قوم زحير
زانكه جبّاران بدند و سر فراز — دوزخ آن باب صغير است و نياز
آنچنانكه حق ز لحم و استخوان — ازشهان باب صغيرى ساخت هان
ساخت سرگين دانكى محرابشان — نام آن محراب سير و پهلوان
چون عبادت بود مقصود از بشر — شد عبادتگاه گردنكش سقر

لكن تلك العبادة لمّا لم تكن بأمرٍ تكليفيّ من الله لم يستحقّوا الاجر والثّواب عليها بل استحقّوا العقوبة والعذاب، فعلى هذا معنى الآية قضى ربّك قضاءً حتماً لا تخلّف عنه ان لا يعبد عبد عبادةً لشيءٍ من الاشياء الّا كانت العبادة له وبقضائه وامره التّكوينيّ، وقضى قضاء حتماً ان لا يصحّ العبادة من عابدٍ لمعبودٍ الّا اذا كانت باذنٍ من الله وقضى قضاءً تكليفياً بان امر على السنة انبيائه (ع) ان لا تعبدوا الّا اياه فمن كان في عبادته ناظراً الى غيره فقد خرج عن قضائه وامره التّكليفيّ ولم تكن العبادة باذنه فلم تصحّ منه واستحقّ العقوبة من الله تعالى [وَبِالْوَالِدَيْنِ] وان تحسنوا او ان احسنوا حذفه اكتفاءً بقوله [إِحْسَانًا] وهذا غاية التّعظيم للوالدين حيث قرن احسانهما من عبادة نفسه والوالدان اعمّ من الجسمانيّين والرّوحانيّين العلويّين والسّفليّين فانّ السّفليّين احسانهما ان تصاحبهما في الدّنيا معروفاً وقد مضى في سورة البقرة تفصيل وتحقيق تامّ للوالدين واحسانهما [إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ] الهرم والشّيخوخة [أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ] لا تتزجر منهما ولا تظهر انزجارك لهما وورد: لو علم الله شيئاً ادنى من افّ لنهى عنه وهو من ادنى العقوق [وَلَا تَنْهَرْهُمَا] ولا تقهرهما بان تزجرهما [وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا] جميلاً [وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ] مستعارٌ من تذلّل الطّيور فانّها تخفض جناحها عند التّذلّل [مِنَ الرَّحْمَةِ] من رحمتك لهما فانّهما استحقّا بافتقارهما اليك وانت كنت في نهاية الفقر اليهما رحمة منك ولا تكتف باحسانك والرّحمة لهما بل ادع الله لهما في حيوتهما ومماتهما [وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا] عن النّبيّ (ص) انّه قال من غير سابقة رغم انفه؛ ثلاث مرّات، قالوا من يا رسول الله (ص)؟! قال: من ادرك ابويه عند الكبر احدهما او كليهما ولم يدخل الجنّة [رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا] وعد على الاحسان والرّحمة بالنّسبة الى الوالدين [وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ] خصّه بالتّخاطب بعد تعميم الخطاب اشعاراً بانّه (ص) اصل في هذا الحكم وانّ اصل الحقوق بيده وانّ اصل ذوي القربى هو القريب الرّوحانيّ له (ص).

اعلم، انّ الانسان ذو مراتب عديدة بحسب بدنه ونفسه وقلبه وروحه وعقله وسرّه وله في كلّ من المراتب قرابات وقراباته بحسب مراتب القرب متفاوتة بعضها اقرب وبعضها قريب ولكلّ بحسب مرتبته حقّ، هذا في العالم الكبير وله ايضاً في عالمه الصّغير قرابات من نفسه وقواها المدركة والمحرّكة وبدنه واعضائه ولكلّ ايضاً حقّ كالقرابات الجسمانيّة كالعمودين وفروع الاصول حقوقهم ما فرض لهم، وبيّن من الاموال في المواريث ومن تعهّد الاحوال وبشر الوجه وقضاء الحاجات ممّا قرّر في صلة الارحام الصّوريّة والقرابات الصّدريّة النّفسيّة، كالدّاخلين في الاسلام حقوقهم النّصح وتعليم الاحكام وبشر الوجه وتعهّد الحال وقضاء الحاجات وستر العيوب وحفظ الغيب وغير ذلك ممّا قرّر في حسن المعاشرة مع المسلمين، والقرابات القلبيّة الايمانيّة كالمبتاعين بالبيعة الخاصّة الولويّة حقوقهم مع ذلك بذل الوسع في خدمتهم والمواساة بالمال والايثار فيما يقتضي الايثار والتّرحّم والدّعاء لهم بظهر الغيب وغير ذلك ممّا قرّر في حقّ المؤمنين؛ هذا للمسلمين والمؤمنين الّذين هم بمنزلة الاخوة في القرابات الجسمانيّة. وامّا المسلمون بالنّسبة الى النّبيّ (ص) والمؤمنون بالنّسبة الى الامام (ع) الّذي هو كالاب وهم كالاولاد حقوقهم عليه وحقوقه عليهم مع تلك الحقوق امر آخر، وكذلك النّبيّ (ص) بالنّسبة الى خليفته والامام بالنّسبة الى امام بعده حقوقهم غير ذلك، فاذا عرفت ذلك عرفت انّ تفسير ذي القربى بالقرابات الصّوريّة وبالقرابات الاسلاميّة وبالقرابات الايمانيّة وبالامام وباقرباء محمّد وبآل محمّد (ص) كلّها صحيح، وكذا تفسير الحقّ المالي

بالحقّ الميراثيّ و بفدك لفاطمة (ع) و بالتّصدّق من اصل المال على الاقرباء و بالمواساة و قضاء الحاجات و الخدمة للاخوان الاسلاميّة و الايمانيّة و بتعظيم النّبيّ و الامام و بحقّ الامامة للامام كلّها صحيح فاختلاف الاخبار فى تفسير الآية لكثرة مراتبها وسعة وجوهها والكلّ صحيح من غير خلل [وَالْمِسْكِينَ] الّذى اسكنه العجز عن الكسب للقوت وحقّه من الزّكوة والتّصدّقات او اعجزه الشّيطان والنّفس عن الوصول الى الامام (ع) بعد الوصول الى النّبيّ (ص) او عن السّلوك الى الله بعد الوصول الى الامام [وَابْنَ السَّبِيلِ] المنقطع عن بلاده السّائر اليها ولم يكن له زاد بالفعل او بالقوّة ولو بالاستدانة، او المنقطع عن الامام (ع) السّائر اليه ظاهراً او باطناً [وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا] باعطاء غير المستحقّ او اعطاء المستحقّ زائداً عن حقّه، ولمّا امر بايتاء الحقوق للمستحقّين نهى عن التّبذير الّذى هو ايتاء غير المستحقّ و ايتاء المستحقّ زائداً عن الحقّ الّذى هو السّرف فانّ الايتاء من غير تبذير هو الاقتصاد فالتّبذير ههنا اعمّ من الاسراف وان كان قد يقابله، ولمّا كان الامر بايتاء الحقوق مستلزماً للنّهى عن التّقتير بمفهوم المخالفة اكتفى عنه به ونهى صريحاً عن السّرف، و لمّا لم يختصّ ايتاء الحقّ بالمال الصّورىّ ولا بالقرابات الصّوريّة بل يعمّ سائر الحقوق وجميع القرابات فى العالم الكبير والصّغير، ورد عن النّبيّ (ص) انّه مرّ بسعد وهو يتوضّأ فقال: ما هذا السّرف يا سعد؟ـ قال: أفى الوضوء سرف؟ـ قال: نعم وان كنت على عين جارية، وورد عن الصّادق (ع): انّه سئل أفيكون تبذير فى حلال؟ـ قال: نعم، والسّرّ فيه انّ من كان على عين جارية وزاد فى تحريك القوى على ما يؤدّى به الفرض والنّدب كان ذلك منه استعمالاً للقوى وتوجّهاً الى القوى المحرّكة من غير استحقاق وان لم يكن سرف وتبذير هناك للماء، وخلاصة ما يستفاد من الاخبار باختلافها انّ انفاق المال اوالكلام اوالعلم اوالحكمة اوالعرض والجاه اوقوّة القوى اوالانفاق على النّفس وقواها بمشتهياتها من غير التفات الى امر الله وامتثال له تبذير كائناً ما كان، وكلّ ذلك اذا كان بأمر من الله والتفات اليه وامتثال له اقتصاد كائناً ما كان ولذلك ذكروا انّه لو جعلت الدّنيا كلّها لقمة واطعمتها مؤمناً ما كان سرفاً [إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ] المنفقين فى غير طاعة الله وبالغفلة عن أمر الله [كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ] لانّ الانفاق اذا لم يكن بأمر الله كان بأمر الشّيطان فانّه يترصّد العبد وغفلته عن امر الله فيتصرّف فيه ويحكم عليه كما يحكم على شياطينه [وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا] عطف لبيان العلّة يعنى انّ الشّيطان كفور لربّه والمبذّر المنفق من غير التفات الى امر الله كفور لربّه فهو اخ للشّيطان فى الكفوريّة [وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ] ان تعرض [عَنْهُمُ] عمّن أمرت بايتاء حقوقهم بترك اعطاء مسؤلهم لعدم استعدادهم للمسؤل اوعدم وجدان مسؤلهم حين سؤالهم [ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ] بها يستعدّون للمسؤل اوبها تجد المسؤل ويتيسّر لك الاعطاء و اكتفى بابتغاء الرّحمة عن عدم الاستعداد وعدم الوجدان لاستلزام عدمها لابتغاء الرّحمة من حيث انّهما رحمة والفاقد لهما اذا كان له شأنيّة الوجدان يطلبهما واكتفى بذكر الرّحمة عن الاستعداد والسّعة لكونهما مصداقاً لها [تَرْجُوهَا فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مَيْسُورًا] سماعه لا معسوراً سماعه وهو القول الّذى به يطيب قلوبهم، روى انّ النّبيّ (ص) لمّا نزلت هذه الآية كان اذا سئل ولم يكن عنده ما يعطى قال: يرزقنا الله وايّاكم من فضله [وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ] عبّر عن التّقتير والاسراف على سبيل الكناية فانّ التّقتير والاعطاء فى الاغلب بقبض اليد وبسطها وهو تأكيد للاوّل وبيان لغاية الاسراف كما انّ قوله: انّ المبذّرين كانوا اخوان الشّياطين بيان لمبدء التّبذير كما اشير اليه عند تفسيره [فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا] من المال كما ورد فى

نزوله انّه (ص) كان عنده اوقيّة من الذّهب فكره ان تبيت عنده فتصدّق بها فأصبح وليس عنده شيء وجاء من يسأله ولم يكن عنده ما يعطيه فلامه السّائل فأدّبه الله تعالى اومحسوراً من اللّباس كما ورد انّه لم يكن عنده شيء فأعطى السّائل قميصه [إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ] فلاتقدرانت على بسط الرّزق على نفسك بالامساك ولاعلى غيرك باعطاء جميع ما عندك فهو تعليل للنّهى عن القبض والبسط [إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا] فيعلم احوالهم الباطنة ويبصر احوالهم الظّاهرة فيعلم مصالحهم ويعطى مايصلحهم ويمنع ما يفسدهم [وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ] صرف الخطاب عنه (ص) الى القوم لأنّهم المقصودون بالخطاب اصالة [خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ] افلاس من املق اذا افتقر كانوا يقتلون اولادهم بوأد البنات خوف الفقر [نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْأً كَبِيرًا وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً] بالغة فى القبح [وَسَاءَ سَبِيلًا] لانّه سبيل الى النّار وقد عدّ الزّنا من اكبر الكبائر وعن النّبيّ (ص) فى وصيّته لعليّ (ع): يا عليّ فى الزّنا ستّ خصال ثلاث منها فى الدّنيا وثلاث فى الآخرة: فامّا الّتى فى الدّنيا فيذهب بالبهاء ويعجّل الفناء ويقطع الرّزق، وامّا الّتى فى الآخرة فسوء الحساب وسخط الرّحمن والخلود فى النّار [وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ] باسبابه المقرّرة فى الشّرع من الارتداد بعد الايمان وتكرار بعض المعاصى الّتى لها حدّ بعد مراتب الحدّ وقتل النّفس والزّنا بعد الاحصان واللّواط، ولمّا كان الحقّ هو الولاية كما مرّ مراراً، والولاية ظهور الحقّ الاوّل تعالى شأنه فالمعنى على هذا ولاتقتلوا النّفس الّا بفاعليّة الحقّ لابفاعليّة انفسكم كما قال المولوىّ قدّس سرّه:

آنكه ازحق يابد اووحى وخطاب — هرچه فرمايد بود عين صواب
آنكه جان بخشد اگربكشد رواست — نايب است ودست اودست خداست

فما لم يخرج الانسان من حكم نفسه ولم يدخل فى حكم الله اوحكم من دخل فى حكم الله لا يجوز له قتل النّفس اوالحكم بالقتل كائناً من كان القاتل وكائناً من كان المقتول كما قال المولوىّ قدّس سرّه من لسان عليّ (ع):

من چوكيغم وان زننده آفتاب — ما رميت اذرميت در حراب
رخت خودرا من زره برداشتم — غير حق را من عدم انگاشتم
زاجتهاد و از تحرّى رسته ام — آستين بر دامن حق بسته ام

[وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا] غير مستحقّ للقتل [فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ] لمن يلى امره ممّن هو اولى بميراثه وهم جميع الورثة [سُلْطَانًا] تسلّطاً على القاتل بالقصاص اوالرّجوع الى الدّية واذا جعلنا لولىّ المقتول سلطاناً على القاتل [فَلَا يُسْرِفْ] مريد قتل النّفس [فِي الْقَتْلِ] بان يقتل من غير استحقاق فانّه اسراف لانّه حرّك اعضائه وقتل من غير امر من الله، وقرئ فلاتسرفوا خطاباً لمريدى القتل، اوالمعنى فلايسرف الولىّ فى القتل بان يقتل اكثر من واحد بواحد اويمثل المقتصّ منه، اوالآية كما ورد نزلت فى قتل الحسين (ع) والمعنى فلايكن اسراف فى القتل ولو قتل جميع اهل الارض بالحسين (ع) كما فسّرت فى الاخبار به [إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا] انّ المقتول اوالولى كان منصوراً بتسليط الله وليّه ونصرة الحكّام وليّه والمعنى على التّفسيرين الاوّل والثّالث ظاهر، وعلى الثّانى يكون تعليلاً للنّهى اى نهينا عن الاسراف لانّ ولىّ المقتول كان منصوراً وقادراً على الاسراف [وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ]

فضلاً عن التصرّف فيه [إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ] الّا بالخصلة والصّفة الّتي هي احسن خصال قرب المال وهي جمعه وحفظه له وانماؤه ان كان ممكناً [حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ] قد مضى بيان الاشدّ و انّه وقت استحكام جميع القوى والاعضاء [وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ] عموماً وبعهد الاسلام المأخوذ عليكم في البيعة العامّة النّبويّة خصوصاً ، حتّى يؤدّى بكم الوفاء بالعهود عموماً الى الوفاء بعهد الاسلام، ويؤدّى بكم الوفاء بعهد الاسلام الى عهد الايمان الّذي يؤخذ بالبيعة الخاصّة الولويّة والوفاء به [إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْؤُلًا] يعني بعد تجسّم الاعمال يسأل عن العهد أوفوا بكَ ام لا؟ او مسؤلاً عن حاله فيسألون عن حال عهودهم أوفيتم بها ام لا؟ [وَأَوْفُوا الْكَيْلَ] الوفاء والايفاء بمعنىً لكن في الايفاء مبالغة [إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا] الموزونات [بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ] فسّر القسطاس في الخبر بالميزان الّذي له كفّتان ولسان [ذَٰلِكَ خَيْرٌ] في الدّنيا بحسن الصّيت والخروج من رذيلة السّرقة والخديعة [وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا] غايةً او ارجاعاً او مرجوعيّةً الى الغايات لانّ غايته في الدّنيا جلب البركة وفي الآخرة سهولة المحاسبة وحسن المثوبة [وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ] لا تتّبع مدركاً لم يتعلّق علم منك به سواء كان الاتّباع بالاتيان به بالجوارح كالاتيان بالافعال الّتي لم تعلم صحّتها منك او بالاصغاء كالاصغاء الى ما تعلم صحّة الاصغاء اليه منك ، او الابصار كطموح النّظر الى ما لم تعلم صحّة النّظر منك اليه ، او الاقوال كجريان ما لم تعلم صحّة جريانه على لسانك و منه الافتاء بما لم تعلمه او لم تعلم صحّة الافتاء منك به ، و بهذه الآية و امثالها تمسّك من منع من الافتاء بالظنّ والرّأي والقياس والاستحسان ومن منع من تقليد من لم يأذن الله بلا واسطة او بواسطة في امامته وقال : لابدّ للمفتي من العلم القطعيّ بصحّة افتائه كالائمّة (ع) ومن اجازوه للافتاء وللمقلّد من العلم القطعيّ بصحّة تقليد من يقلّده امّا بنصّ واجازة صحيحة صريحة في امامته او ببصيرة باطنة بحاله ، وامّا الّذين يستبدّون بآرائهم في الاحكام من غير وحي والهام ومن غير اجازة ولو بوسائط من صاحب الوحي والالهام واتباعهم الّذين يقلّدونهم و يتّبعونهم من غير علم بكونهم صاحبي الوحي و الالهام او صاحبي الاجازة الصّحيحة فهم مقتفون ما ليس لهم به علم ، وقيل: انّ المراد بالعلم ههنا اعمّ من الظّنّ فيشمل الظّنّ بالاحكام من القياس والاستحسان العقليّ والرّأي من اىّ وجه كان ولو كان كذلك لكان التّعبير بالظّنّ اولى ، لانّ النّهي عن اتّباع ما ليس به ظنّ يستلزم بمفهوم مخالفته الامر باتّباع المظنون والمعلوم يقيناً بخلاف النّهي عن اتّباع غير المعلوم، ولمّا كان الافعال والاقوال غير خالية من سببيّة واحد من السّمع والبصر والفؤاد لها او اكثر قال في مقام تعليل النّهي [إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ] المذكورين على استعمال اولئك في العقلاء او كلّ اولئك الثّلاثة على استعماله في مطلق الجمع مذكّراً كان او مؤنّثاً عاقلاً او غير عاقل [كَانَ عَنْهُ مَسْؤُلًا] اى يسأل عنه ما فعل صاحبك بكَ؟ او ما فعلت لصاحبك؟ ما سمعت وما ابصرت؟ وما تعقّلت وما تخيّلت ؟ ونسب الى النّبيّ (ص) انّه قال: ابوبكر سمعي ، وعمر بصري، وعثمان فؤادي فقيل له في ذلك ، فقرأ الآية ، وورد عن الصّادق (ع) انّه قال : من نام بعد فراغه من اداء الفرائض والسّنن والواجبات من الحقوق فذلك نوم محمودٌ وانّي لا اعلم لاهل زماننا هذا اذا أتوا بهذه الخصال اسلم من النّوم لانّ الخلق تركوا مراعاة دينهم ومراقبة احوالهم واخذوا شمال الطّريق والعبد ان اجتهد ان لا يتكلّم كيف يمكنه ان لا يسمع الّا ماله مانع من ذلك وهو النّوم ، وانّ النّوم اخذ تلك الآلات قال الله تعالى انّ السّمع والبصر (الآية) [وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا] المرح الاختيال الحاصل من شدّة الفرح ولذلك

فسّر بالاختيال وبشدّة الفرح كليهما [إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ] لن تقوى على خرق الارض اولن تقوى على سيرها كلّها [وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا] ولن تبلغ بعظمة جثّتك عظمة الجبال اولن تقوى على الصّعود الى قللها بجعل طولاً تميزاً محوّلاً عن الفاعل اومحوّلاً عن المفعول، فمن كان عاجزاً في نفسه غير قادرٍ لاينبغي له التّطاول والاختيال فهو تعليل للنّهي [كُلُّ ذٰلِكَ] المذكور من الخصال الاربع عشرة المحلّل الى الاكثر من قوله: ولا تجعل مع الله الٰهاً آخر (الى قوله) طولاً [كَانَ سَيِّئُهُ] في الفعل اذا كان منهيّاً عنه ، وفي التّرك اذا كان مأموراً به، وقرئ سيّئة بالتّاء [عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ذٰلِكَ] المذكور من الخصال [مِمَّا أَوْحٰى إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ] العلميّة والعمليّة [وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللهِ إِلٰهًا آخَرَ] كرّره للاشارة الى انّ التّوحيد اهمّ الخصال وكما انّه مبدءٌ لها علماً غايةٌ لها حالاً وعياناً وتحقّقاً فالاوّل لتوحيد الوجوب والالهة وهذا التّوحيد الوجود لانّه غاية الغايات ومنتهى النّهايات ، والاوّل لتوحيد الالهة في نفسها وهذا لتوحيدها في مظهرها الولويّ كأنّه قال: ولا تجعل مع عليّ(ع) وليّاً آخر فانّه ايضاً غاية التّوحيد العلميّ وغاية سائر الخصال العمليّة [فَتُلْقٰى فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا] عند نفسك وعندالله وعند الملائكة وعند النّاس [مَدْحُورًا] مبعداً من الرّحمة، ولمّا كان هذه السّورة نزلت بمكّة ولم يكن الدّين قويّاً ولا المؤمنون راسخين لم يغلظ الله تعالى في اوامرها ونواهيها بل أبداها على طريق النّصح والملاينة كما روى عن الباقر(ع)، انّه لمّا نزل بمكّة على طريق ادب وعظة و تعظيم ونهي خفيف ولم يعد عليه ولم يتواعد على اجتراح شيء ممّا نهى عنه وانذر نهياً عن اشياء حذّر عليها ولم يغلّظ ولم يتواعد عليها [أَفَأَصْفٰيكُمْ رَبُّكُمْ بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلٰائِكَةِ إِنٰاثًا] ردّ على من قال : انّ الملائكة جميعاً اوبعضهم بنات الله كبعض قريش وبعض الهنود [إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا] باثبات الولد لله وتفضيل انفسكم ونسبة الذّكورة والانوثة الى الملائكة المجرّدة العالية منهما ، وتوصيفهم بالانوثة الّتي هي اخسّهما واثبات الولد الاخسّ لله العليّ العظيم [وَلَقَدْ صَرَّفْنٰا فِي هٰذَا الْقُرْاٰنِ] اسقاط المفعول للتّعميم يعني صرّفنا كثير تصريف في امثال عديدةٍ والفاظٍ كثيرةٍ كلّما ينبغي ان يذكر لهم من الحجج والحكايات والعبر والمواعظ والاحكام، ويحتمل ان يكون الصّيغة لتكثير المفعول اي صرّفنا كثيراً من المعاني الّتي ينبغي ان تذكر [لِيَذَّكَّرُوا] اي ليتذكّروا ويتّعظوا [وَمٰا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا] يعني انّهم لغاية حمقهم صار ماهو سبب تذكّرهم وتقرّبهم سبب نفورهم وبعدهم [قُلْ لَوْ كٰانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمٰا يَقُولُونَ إِذًا لَابْتَغَوْا إِلٰى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا] وضع الظّاهر موضع المضمر للاشعار ببرهان ابطال كون الالهة معه يعني انّه مالك العرش و العرش جملة المخلوقات ومنها ما تفرضونها آلهة فكيف يكونون آلهة معه مع كونهم مملوكين له اوانّه صاحب السّرير وصاحب السّرير عبارة عن صاحب الملك و انتم تسلمون انّه صاحب السّرير والسّلطنة من غير منازعٍ فلو كان معه آلهة لابتغوا اليه سبيلاً بالمنازعة وماسلم له الملك، ولمّا كان الملك مسلّماً له فلا آلهة معه وقد فسّروا الآية بانّهم طلبوا التّقرّب الى ذي العرش واستشهدوا على ذلك بقوله اولئك الّذين يدعون يتبغون الى ذي العرش سبيلاً [سُبْحٰانَهُ وَتَعٰالٰى عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا تُسَبِّحُ لَهُ] اي تسبّحه على ان يكون اللّام للتّقوية اوتنزّه وجودها من شوب النّقص والتّعيّن للتّقرّب الى الله [السَّمٰوٰاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ] اي مافيهنّ لكن اتى بمن تغليباً، ولانّ التّسبيح من اوصاف العقلاء فلمّا نسب اليها

ناسب تأديتها بلفظ العقلاء، او المراد العقلاء فقط [وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ] تصريح بالتعميم بعد التأدية بلفظ موهم للتخصيص او تعميم بعد تخصيص وحصر بعد اطلاق وتقييد بالحمد بعد اطلاق التسبيح [وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ].

اعلم، ان الاشياء الامكانية برمتها هاربة من نقائصها طالبة لكمالاتها، والكل متحركة نحو تلك الكمالات وهي شؤن الحق الاول وتجليه وهذا الهرب والطلب هو تسبيحهم الفطري وتنزيههم لاسماء الله التي هي وجوداتها الفائضة من الحق عليها، ولما كان تنزيه اسماء الله تنزيه تعالى كان الكل منزهاً لله ومنزهاً لانفسهم للتقرب الى الله، ولما كان كل موجود امكاني زوجاً تركيبياً من مهيته الامكانية ووجوده التعلقي الفطري وبعبارة اخرى لما كان لكل موجود طبيعي جهة ملكية وجهة ملكوتية كان الاشياء الطبيعية ان كانت صامتة غير شاعرة بالشعور التركيبي بملكها ناطقة بملكوتها بلسان فصيح بل افصح من اللسان الملكي الانساني واجلى بياناً منه شاعرة بالشعور التركيبي بل ادق ادراكاً من الانسان، فكان الاشياء بملكوتها مسبحة لله بلسان فصيح شاعرة باوامره ونواهيه تعالى مبادرة الى امتثالها من غير عصيان وتوان، لكن لا يسمع اصواتها ولا يدرك ادراكها تلك الاصماخ والابصار الحيوانية بل يختص بسماعها وادراك ادراكها الاسماع والابصار الملكوتية ولذلك قال تعالى: لا تفقهون تسبيحهم على خطاب بني نوع الانسان لعدم سمع وبصر ملكوتي لهم، وقرئ لا يفقهون بالغيبة بارجاع الضمير الى الاناسي او ارجاعه الى الاشياء يعني كل الاشياء يسبحون بحمده ولكن لا يفقهون تسبيحهم بجهتهم الملكية المشهودة لكم بابصاركم الملكية لانغمارهم تحت تعيناتهم؛ وعلى هذا فلا حاجة الى تأويل في تسبيحهم كما فعل المفسرون وقد قال المولوي قدس سره:

جملهٔ ذرات عالم در نهان — با تو میگویند روزان و شبان
ما سمیعیم و بصیریم وخوشیم — با شما نامحرمان ما خامشیم
چون شما سوی جمادی میروید — محرم جان جمادان کی شوید
از جمادی درجهان جان روید — غلغل اجزای عالم بشنوید
فاش تسبیح جمادات آیدت — وسوسهٔ تأویلها بر بایدت
چون ندارد جان تو قندیلها — بهر بینش کردهٔ تأویلها
که غرض تسبیح ظاهر کی بود — دعوی دیدن خیال وغی بود
پس چه از تسبیح یادت میدهد — آن دلالت همچو گفتن میشود
۲۸۶ این بود تأویل اهل اعتزال — وای آنکس کو ندارد نور حال

وبهذا اللسان كان حنين الاستن الحنانة وتسبيح الحصا وشهادته في يد محمد (ص) وتجاوب الجبال والطيور لداود (ع) وغير ذلك مما نقل من نطق الاحجار والاشجار والحيوان والطيور، وبهذا اللسان كان نطق الاطفال لكن في قالب اللسان اللحمي وبهذا الشعور كان تمييز الجمادات بين الاشياء كتمييز النار بين ابراهيم (ع) ونمرود واصحابه، وتمييز الريح بين المؤمنين والكافرين وتمييز النيل بين السبطي والقبطي في صيرورته دماً للقبطي ومنفرجاً لعبور السبطي دون القبطي [إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا] تعليل لعدم تفقههم تسبيح الاشياء فان تفقه تسبيحها ما لم يبلغ الانسان مبلغ الرجال اما ان يهلك او يجعل المتفقه مجنوناً جنوناً حيوانياً فان تفقه التسبيح قرين شهود الملائكة ونزولها وبنزول الملائكة قضاء اجلهم كما في القرآن والمعنى لا تفقهون تسبيحهم فتهلكوا او تجنوا لانه كان حليماً لا يعاجل بامضاء سخطه لسوء صنيعكم غفوراً يستر عليكم في حال نقصكم شهود تسبيح الاشياء ابقاء عليكم [وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا] عن انظارهم

اوحجاباً مستوراً به اى ساتراً لكث عن انظارهم والمعنى الاوّل تأسيس والثّانى تأكيد والمقصود جعلنا جثّتك مستورة عنهم لايرونها كما قيل: انّ جمعاً من قريش حجبوا محمّداً (ص) عن انظارهم وقت قراءة القرآن كانوا يمرّون عليه ولا يرونه وجعلنا حقيقتك مستورة عنهم لايرونها ولو رأوها لما كذّبوك ولمّا نفروا عن قراءتك [وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً] جمع الكنان بمعنى مايستر به [أَنْ يَفْقَهُوهُ] كراهة ان يفقهوه او كنّة مانعة من ان يفقهوه [وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا] ان يسمعوه اى يسمعوا مقصوده والّا فلفظه مسموع لهم ولذلك قال [وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَّوْا عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا] لانّهم يسمعون لفظه ولايدركون مقصوده ويرونه مخالفاً لمعتقدهم ويمكن ان يراد بالقرآن القرآن المعهود الّذى هو فى ولاية علىّ (ع) وان يراد بربّك الرّبّ المضاف وهو الرّبّ فى الولاية وهو علىّ (ع) بعلويّته، وفى الاخبار فى الجملة اشعار بماذكر ونفوراً جمع نافر حال من الفاعل او مصدر نفر حال منه او مفعول مطلق نوعىّ من غير لفظ الفعل [نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ] اى بسببه من الاستهزاء والتّغليظ [إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰ] ذوو نجوى اونجوى جمع نجىّ [إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا] سحره ساحر فجنّ ولم يبق له عقل [انْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ] بجعلك تارة مسحوراً وتارة مجنوناً وتارة شاعراً وساحراً وكاهناً [فَضَلُّوا] عن طريق معرفتك الفاء للسّببيّة المحضة اى صار ضلالهم سبباً لضرب الامثال او للسّببيّة والتّعقيب اى صار الاستهزاء بك وضرب الامثال سبباً لضلالهم عن طريق معرفتك ومعرفة كلامك [فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا] الى معرفتك والى معرفة الآخرة والمعاد [وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا] تراباً متناثراً [أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا] على الانكار والاستبعاد والتّعجّب ولذلك اكّد الاستفهام [قُلْ] تهكّماً وتغييظاً لهم [كُونُوا حِجَارَةً] من الغيظ [أَوْ حَدِيدًا أَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ] من حيث البُعد عن الانسانيّة والدّناءة فى الرّتبة فانّه يعيدكم اوقل تقريراً للاعادة: كونوا حجارةً فيكون فى معنى الشّرط يعنى ان تكونوا احجارةً بعيدةً عن الحيوة يمكنه الاعادة فكيف اذا صرتم عظاماً قريبةً من الحيوة الفةً بها [فَسَيَقُولُونَ] استفساراً عن المعيد على سبيل الانكار بعد انكار اصل الاعادة [مَنْ يُعِيدُنَا قُلِ] جواباً لهم بتعيين المعيد [الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ] تعليقاً على الوصف المشعر ببرهان جواز الاعادة [فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ] سيحرّكون ويمدّون اليك [رُؤُسَهُمْ] للسّؤال عن وقت الاعادة [وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ قُلْ] جواباً لهم عن هذا السّؤال الّذى لا جواب له لانّه لاوقت للسّاعة فى عرض الزّمان يمكن تعيينه، وتذكير الضّمير باعتبار البعث اووقت الاعادة [عَسَىٰ أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا] يعنى فى طول الزّمان لا فى عرضه واجمل فى الجواب بحيث لا تكون مصرّحاً بنفى الوقت الزّمانى عنه ولاساكتاً عن الجواب ليحملوا سكوتك على العجز ولامصرّحاً بتعيين الدّهر له لعدم ادراكهم للدّهر [يَوْمَ يَدْعُوكُمْ] امّا جواب لسؤال مقدّر ناش عن اجمال الجواب كأنّه قيل: اىّ يوم هو؟ فقال: هو يوم يدعوكم على السنة الملائكة الموكّلة على النّشر وجمع الخلائق للحساب، اويكون يوم يدعوكم، وامّا خبر بعد خبر ليكون [فَتَسْتَجِيبُونَ] من غير تأبّ وتعصّ كما كنتم غير مجيبين لدعوته على السنة رسله (ع) فى الدّنيا [بِحَمْدِهِ] لساناً كما تستجيبون بحمده حالاً وفعلاً ووجوداً فانّ الاوصاف الحميدة والاخلاق الجميلة كلّها حمده تعالى كما انّ قوى النّفس وجنودها كلّها حمده وجوداً والانسان يبعث بجميع اوصافه واخلاقه وقواه وجنوده قائلاً: سبحانك اللّهمّ وبحمدك

كما ورد فى الاخبار [وَتَظُنُّونَ إِنْ لَبِثْتُمْ] فى القبور او فى الدّنيا او كليهما [إِلَّا قَلِيلًا وَقُلْ لِعِبَادِي] الاشراف المستفاد من الاضافة [يَقُولُوا] قد سبق انّ تعليق الجواب على محض الامر بالقول من دون ذكر مفعول القول اشارة الى تشريف له (ص) كأنّه قال: انّ توجّهك مؤثّر فيهم بحيث انّك لو توجّهت اليهم بالخطاب يتبدّل حالهم الى احسن الاحوال بحيث لا يصدر منهم الّا ان يقولوا [الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ] ولا ينظروا الى الخلق نظر السّخط والازدراء [إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزَغُ بَيْنَهُمْ] يهيّج الشّر وتوجّهك يبعد الشّيطان عنهم، وقولهم الحسن يقرّب الخلق الى الالفة والبعد من طاعة الشّيطان [إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ] بيان للّتى هى احسن وبينهما معترضة او استيناف وصرف للخطاب الى عباده وعداً ووعيداً [إِنْ يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ أَوْ إِنْ يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا] صرف للخطاب اليه (ص) تسكيناً لحرصه على ايمانهم وتسلية لحزنه على تولّيهم ان كان خطاب ربّكم اعلم بكم وما بعده من الله [وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ] فيهدى من يستأهل للهداية ويضلّ من يستحقّ الضّلالة فما لكَ تحرص على هديهم او تحزن على ضلالتهم بل عليك التّكلان عليه والرّضا بفعله، ويعلم ايضاً من يستأهل للنّبوّة ومن لا يستأهل، ومن يستحقّ من الانبياء كمال النّبوّة ومن لا يستحقّ، ومن يستأهل للخلافة والولاية ومن لا يستأهل؛ فما لهم يتكلّمون فى النّبوّة وينكرون نبوّتك لكونك يتيماً غير ذى مال او يتكلّمون فى الخلافة وينكرون خلافة علىّ (ع) [وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ] ممّن يعتقدون نبوّتهم فما لهم ينكرون تفضيلك على بعض الانبياء (ع) [وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا] فما لهم ينكرون نزول القرآن عليك منّا. روى عن النّبىّ (ص) انّ الله فضّل انبياءه المرسلين (ع) على ملائكته المقرّبين (ع) وفضّلنى على جميع النّبيّين والمرسلين (ع)، والفضل بعدى لكَ يا علىّ (ع) وللائمّة من ولدك (ع)، وانّ الملائكة لخدّامنا وخدّام محبّينا [قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ] شركاء الله فى الوجوب ايّتها الثّنويّة او فى الآلهة ايّتها الثّنويّة والصّابئة، او فى العبادة ايّتها الوثنيّة وغير الوثنيّة، او فى الولاية ايّتها التّابعة لغير ولىّ الامر، او فى الطّاعة ايّتها التّابعة للامراء والسّلاطين، او للعلماء السّوء والمبطلين، او فى الوجود والشّهود وهم اكثر النّاس الّا من شذّ وندر وهم المقرّبون من الانبياء والاولياء (ع) الكاملين، واسقط المفعول ليذهب ذهن السّامع كلّ مذهب ممكن كما ذكر، اى قل ادعوا الّذين زعمتم واجبى الوجود او آلهةً او معبودين او اولياء الله او مطاعين او مستقلّين فى الوجود [مِنْ دُونِهِ] التّقييد به للاشعار بصحّة دعوة الاولياء (ع) والمطاعين من الله فانّهم يملكون باذن من الله كشف الضّرّ [فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا] له الى غيركم [أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ] يدعون بمعنى يعبدون او على حقيقته، واولئك مبتدء والموصول خبره واولئك اشارة الى الآلهة او الى المشركين او اولئك العاجزون الّذين يدعوهم المشركون، او اولئك المشركون الّذين يدعون هؤلاء العاجزون، او اولئك العاجزون الّذين يدعون الله مثلكم فما لكم تدعونهم وعلى اىّ من التّقادير فقوله [يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ] مستأنف والفاعل للآلهة او للمشركين او حال عن الفاعل او عن المفعول او عن كليهما والفاعل على حسبه وقوله [أَيُّهُمْ أَقْرَبُ] امّا بدل من اولئك او فاعل يدعون او فاعل يبتغون او عن الوسيلة واىّ موصولة وضمّه على الاخير لحذف صدر الصّلة او جملة حاليّة او مستأنفة واىّ استفهاميّة او موصولة والخبر على تقدير كونها موصولةً يكون محذوفاً او اولئك مبتدء والّذين صفته او بدله ويبتغون خبر له او حال او معترضة والخبر على التّقديرين ايّهم اقرب بكون اىّ استفهاميّة وتقدير القول

واحتمالات الفاعل و احتمالات ايّهم اقرب اذا لم يكن خبراً كالسّابق ، والمراد بالرّبّ امّا الرّبّ المطلق فانّ الملائكة والمسيح وعزير والكواكب كلّهم يبتغون الى الله الوسيلة اوالرّبّ المضاف وهوربّهم فى الولاية فانّ مخالفى علىّ (ع) ايضاً كانوا يبتغون اليه (ع) الوسيلة [وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ] فهم وسائر العباد سواء فى الاحتياج الى الوسيلة وفى الرّجاء والخوف فكيف يكونون وسائل لغيرهم [إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا] فى موضع التّعليل [وَإِنْ مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا] .

اعلم ، انّ الانسان إن لم يتّصل بنفسه وقواها بالله تعالى بتوسّط عروة الولاية الوثقى فانّه سيهلك قبل يوم القيامة عن الحيوة الانسانيّة ويحيى بالحيوة السّبعيّة اوالبهيميّة اوالشّيطانيّة ويحشر فى زمرتها ، وان اتّصل الى الله بنفسه وجميع قواها اوبعضها فانّ المتّصل لا يهلك بل يبقى حيّاً بالحيوة الانسانيّة لكنّه يعذّب ليتخلّص عن خليطه السّجينىّ ويترقّى الى العلّيّين ؛ فالمراد ما من قرية من قرى العالم الكبيراوقرى العالم الصّغيرالا نحن مهلكوها بتمام اهلها اوببعضهم قبل يوم القيامة اومعذّبوها [كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا] فانقيل: لايتصوّر الاهلاك ولاالعذاب بالنّسبة الى الانبياء والاولياء (ع) الّذين كانوا اخلصهم الله لنفسه اجيب بأنّهم اهلكوا فى الدّنيا ما كان عليهم من شوب السّجّين انكان اوعذّبوا انفسهم بالرّياضات والمجاهدات الاختياريّة والبلايا الآلهيّة فيصدق عليهم ذلك ايضاً [وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ] الّتى اقترحها قريش [إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ] فأهلكوا واستوصلوا بتكذيبهم وماكنّا لنهلك امّة محمّد (ص) ومحمّد (ص) فيهم رحمةٌ بهم ، اوالمعنى انّ تكذيب الامم السّابقة بالآيات صارسبباً لمنع انزال الآيات لانّ هؤلآء من اسناخ الامم الماضية الايزون الى ثمود [وَ] قد [آتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ] الّتى اقترحوها [مُبْصِرَةً] من أبصره ، اذاجعله ذابصيرة ، اومن ابصراذا وضح اوصارذا بصراوبصيرة ، فانّ النّاقة كانت مبصرةً بالبصر الظّاهر وبالبصر الباطن حيث كانت لا تتعدّى نوبتها فى شرب يومها [فَظَلَمُوا بِهَا] اى بسبب عقرها انفسهم [وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا] فما لهم يتجرّئون على اقتراحها [وَإِذْ قُلْنَا لَكَ] بالوحى اى تذكّروقت قولنا لك [إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ] اى اهلكهم يعنى اذكر تبشيرنا لك باهلاكهم وقد انجزه له فى بدروغيره ، والتّأدية بالماضى للاشارة الى تحقّق وقوعه اواحاط بهم قدرة فلايستطيعون الخروج من قدرته وحكومته [وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ] اى وماجعلنا الشّجرة الملعونة فى القرآن الّا فتنةً للنّاس ، وقد وردت اخبار كثيرة من العامّة والخاصّة باختلاف الفاظها انّه (ص) رأى فى منامه انّ رجالاً اوقردة من بنى تيمٍ وعدىٍّ اومن بنى اميّة يرقون منبره يردّون النّاس القهقرى ، الّا انّ العامّة رووا من بنى اميّة وحده ولم يذكروا بنى تيمٍ وعدىٍّ ولازريقاً وزفر ، والشّجرة الملعونة فسّرت فى اخبارنا تارة ببنى اميّة عموماً ، وتارةً ببنى مروان ، وتارة بمروان وبنيه .

اعلم ، انّ القرآن تارةً يطلق على المدوّن الّذى اتى به محمّد (ص) وعلى هذا فقوله فى القرآن متعلّق بالملعونة ، وتارة على مقام الجمع المشتمل على جميع مراتب العالم ومنها السّجّين واهله ، وعلى هذا فهو متعلّق بجعلنا يعنى انّ المقصود من ارخاء عنان الاشقياء وامدادهم فى غصب حقّ آل محمّد (ص) ومن جعل السّجّين واهله فى العالم ان يفتتن النّاس بهم ويتخلّص المحقّ عن المبطل ويتميّز الحقّ عن الباطل [وَنُخَوِّفُهُمْ] بانواع التّخويف [فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ

قٰالَ ءَاَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا] هو بتقدير من ليوافق سائر الآيات ، او حال عن المفعول وقد سبق بيان الآية [قٰالَ اَرَاَيْتَكَ] الكاف تأكيد للضّمير المرفوع ومثله كثير في كلامهم [هٰذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ اَخَّرْتَنِ اِلٰى يَوْمِ الْقِيٰمَةِ لَاَحْتَنِكَنَّ] لاستأصلن من الحيوة الانسانيّة [ذُرِّيَّتَهُ اِلَّا قَلِيلًا] ممّن أخلصوا انفسهم لك او ممّن اخلصتهم لنفسك [قٰالَ اذْهَبْ] طرد وردع له او تخلية بينه وبين ما اراد [فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَاِنَّ جَهَنَّمَ جَزٰاؤُكُمْ جَزٰاءً مَوْفُورًا] مكملاً كثيراً لانقص فيه [وَاسْتَفْزِزْ] واستخفف بالجلب الى نفسك [مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ] ان تجلبهم اليك لغاية حمقهم وخفّة عقلهم [بِصَوْتِكَ] من غير حاجة الى جلب جندك [وَاَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ] ممّن لم تستطع جلبهم اليك بصوتك ، او هو عطف لتفصيل بعض اسباب الجلب كأنّه قال: بصوتك وبجلب خيلك [وَرَجِلِكَ] بفرسانك وراجليك [وَشٰارِكْهُمْ فِي الْاَمْوٰالِ وَالْاَوْلٰادِ] .

اعلم ، انّ الانسان كما تكرّر ذكره واقع بين عالمي النّور والزّور والحقّ والباطل ولهما التّصرّف فيه والحكومة عليه فان تخلّص بتوفيق الله واعانته من حكومة العالم السّفلي والرّئيس فيه الشّيطان ودخل في حكومة العالم العلويّ والرّئيس فيه الرّحمن فقد أخلص أمواله وأولاده من شرك الشّيطان ، وان لم يتخلّص من ذلك او تخلّص من حكومة الرّحمن ودخل في صرف حكومة الشّيطان فقد يتّفق ان يخلّص ماله وولده لله اذا كان الانسانيّة باقية والشّيطانيّة عرضيّة ولا يتأثر كسبه ونطفته بما بالعرض كما قيل : الولد سرّ ابيه ، وقد يكون بشراكة الشّيطان وقد يكون بانفراد الشّيطان ، فانّ الكاسب والمضاجع المؤتمر بامر الشّيطان المعرض عن امر الرّحمن ينفرد بماله وولده الشّيطان ان كان قد ابطل انسانيّته والمؤتمر بأمر الرّحمن والشّيطان مع كون الانسانيّة فيه باقية لامحالة يشارك في ماله وولده الشّيطان وقد ذكر في الاخبار ما ذكرنا بالتّصريح والاشعار [وَعِدْهُمْ] المواعيد الّتي بها تغرّهم كوعد المغفرة من الله وانّ الله كريم وانّهم يبقون ثمّ يتوبون ، او المواعيد الّتي بها تطيل آمالهم [وَمٰا يَعِدُهُمُ الشَّيْطٰانُ اِلَّا غُرُورًا] بتزيين الباطل في صورة الحقّ والخطاء في صورة الصّواب [اِنَّ عِبٰادِي] الّذين خرجوا من عبوديّتك [لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطٰانٌ وَكَفٰى بِرَبِّكَ] ايّها الشّيطان او يا محمّد(ص) [وَكِيلًا] في حفظهم عنك وعن اغوائك او عن الشّيطان فلا تحزن عليهم يا محمّد(ص) وقد فسّر العباد في الآية في الاخبار بعليّ بن ابي طالب(ع) لانّه اصل العباد وغيره عباد الله بعبوديّته [رَبُّكُمُ الَّذِي يُزْجِي] يجري [لَكُمُ الْفُلْكَ] فانّه الّذي جعل اخشابها ذوات مسامّ يدخل فيه الهواء فيمنعها من الرّسوب في الماء وجعل الهواء يتبادر الى الخلأ لامتناع الخلأ فيمنع ايضاً من الرّسوب وجعل الهواء متموّجاً فيحرّكها على الماء ، وجعل لكم ما تتفطّنون بكيفيّة صنع الفلك ووضع الشّراع بحيث تتحرّك الى مقاصدكم وجعل لكم ما تتفطّنون بسببه بتموّج الهواء باختياركم كما اخترعوا من تحريك الفلك بالبخار [فِي الْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ] بنقلكم الامتعة الى البلاد البعيدة وتجاراتكم الرّابحة [اِنَّهُ كٰانَ بِكُمْ رَحِيمًا] في موضع تعليل [وَاِذٰا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ] من الاجرام العلويّة والاجسام السّفليّة من الاوثان و الطّواغيت البشريّة وغيرها [اِلَّا اِيّٰاهُ] استثناء من من تدعون اى ضلّ كلّ من تدعونه الّا الله ، والاتيان بضمير النّصب لكون الاستثناء في كلام موجب ، وذلك الضّلال لانّ المدعوّ من دون الله انّما هو مدعوّ باغواء الشّيطان وتصرّف الخيال ، ووقت الضّرّ وغاية الوحشة يفرّ الشّيطان وينقطع تصرّف الخيال فيبقى العقل

الدّاعى لله بلا معارض فيدعو الله بمقتضى جبلّته [فَلَمَّا نَجّيٰكُمْ] من الغرق والبحر [إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ] لانّ الشّيطان يعود والخيال يتصرّف ويعارض الّا من دخل فى كنف امان الله من شرّ الشّيطان وجعل خياله وقواه مسلّمة للعقل منقادة له [وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا] لانّ فى جبلّته النّفس الّتى لاشأن لها الّا كفران النّعم وهو عطف فى معنى التّعليل [أَفَأَمِنْتُمْ] اى ان نجّاكم الى البرّ فأمنتم اوانجوتم من البحر فأمنتم [أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ] ان يغرقكم فى جانب البرّ فانّه قادر على ذلك وان كان خارجاً عن العادة ، وذكر الجانب للاشعار الى التّبادر الى الكفران بمحض الوصول الى السّاحل [أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا] رامياً للحصاة عليكم فانّه قادر عليه ايضاً و ان كان وقوعه نادراً [ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلًا] كما كنتم لا تجدون فى البحر وقت الضّرّ [أَمْ أَمِنْتُمْ أَنْ يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَىٰ] بتسلّط الحرص عليكم حتّى ينسيكم ضرّ البحر [فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا] يقصف اى يكسر كلّ ماهبّ عليه [مِنَ الرِّيحِ] فتكسر سفينتكم [فَيُغْرِقَكُمْ بِمَا كَفَرْتُمْ] بكفرانكم نعمة الانجاء اولاً [ثُمَّ لَا تَجِدُوا] من مدعوّيكم [لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ] اى فى الارسال والاغراق [تَبِيعًا] يتبعنا للانتصار والانجاء [وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ] بحسب ذواتهم لانّا خلقناهم على صورتنا ولاكرامة فوقه فجعلناهم ذوى سعة ومراتب فى الوجود واعطيناهم الاحاطة قوّة اوفعلاً بكلّ الاشياء ، وجعلنا كلّاً منهم حيّاً عالماً سميعاً بصيراً مدركاً متكلّماً مريداً اذا أراد شيئاً ان يقول له كن فيكون بالنّسبة الى مخلوقاته الذّهنيّة وآلاته وقواه النّفسيّة اوبالنّسبة الى جميع الموجودات حين استكماله بقوّة المتابعة [وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ] على الحمير والبغال والخيل والجمال وغير ذلك من الدّوابّ وعلى القدرة والمراكب الملكوتيّة اذا صاروا اهلاً له وهذا كرامة اخرى خارجة عن ذاته [وَالْبَحْرِ] على السّفن وعلى القدرة والمراكب الملكوتيّة اذا صاروا اهلاً له [وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ] طيّبات ارزاق النّبات والحيوان والانسان [وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا] من موجودات عالم الطّبع تماماً ومن موجودات الملكوت السّفلىّ ومن بعض اصناف الملائكة ، واما المقرّبون والاوساط من الملائكة فهم افضل من بنى آدم ما لم يخرجوا من القوّة الى الفعل ، فاذا خرجوا صاروا حينئذ افضل المخلوقات تماماً مثل نبيّنا (ص) ؛ فانّ له مع الله وقتاً لايسعه ملك مقرّب ولا نبىّ مرسل ، وتفصيل التّفضيل ومراتبه ودقائقه قد مضى ، ويمكن ان يقال : انّ اضافة بنى آدم الى آدم تدلّ على انّ المراد من لم يخرج بعد من القوّة الى الفعل من جميع الجهات فيصحّ حينئذ تفضيلهم على الكثير لاعلى الكلّ [يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ] الامام من يؤتمّ به ويقتدى بسيرته ويؤتمر بامره ويتّبع اثره سواء كان حقّاً ام باطلاً ، مشهوداً بالحواسّ البشريّة ام غير مشهود ، آمراً بحسب الظّاهر اوبحسب الباطن ، بلسان القال اوبلسان الحال ، فيشمل ائمّة الحقّ والجور ممّن ترأّس فى الدّنيا اوانتحل الترأّس فى الدّين اوجعلوه رئيساً من غير شعوره بذلك من السّلاطين والامراء وخلفاء الجور والكواكب والاصنام والابالسة والاهواء ، وفى الاخبار اشعار بالتّعميم وان كان بعض الاخبار يفسّر الامام بامام حقّ فى كلّ زمان [فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ] .

اعلم ، انّ للنّفس الانسانيّة صفحتين سفليّة وعلويّة ؛ والسّفليّة بأيدى الشّياطين والعلويّة بأيدى الملائكة ، فان كان عمل العبد من جهة الايتمام بامام حقّ كان مصدره جهتها العلويّة بامداد الملائكة وكان نزول صورة ذلك العمل من تلك الجهة الى الخيال المشابه فى العالم الصّغير لعالم المثال فى العالم الكبير ثمّ منه الى المدارك الظّاهرة

والقوى المحرّكة ثمّ يصعد صورة ذلك العمل من طريق المدارك الظّاهرة الى الخيال ثمّ تثبت فى الجهة الّتى صدرت عنها ثمّ لمّا كان لتلك الجهة ظلّ نورانىّ وهو الكتاب الّذى بيد كاتب الحسنات فيثبت صورة العمل كاتب الحسنات فى ذلك الكتاب وهى ثابتة فيه وفى صفحة النّفس ما لم يأت العبد بما يمحوها اويخرقها مدّخرة له الى يوم القيامة وحينئذ يلقاه العبد كتاباً منشوراً مثبتاً جميع ما عمله من خير، وان لم يكن عمله من جهة الايتمام بامام حقّ كان عمله من جهة الايتمام بامام باطل من الاناسىّ والابالسة والاهواء فكان مصدره الجهة السّفليّة للنّفس بامداد الشّياطين وكان نزول صورة ذلك العمل من تلك الجهة الى الخيال ثمّ الى المدارك ثمّ الى القوى المحرّكة ثمّ تصعد منها الى الخيال ثمّ الى مانزلت منه فتثبت فيه، ولمّا كان لتلك الجهة ايضاً ظلّ ظلمانىّ وهو الكتاب الّذى بيد كاتب السّيّئات فيثبت صورة ذلك العمل كاتب السّيّئات فى ذلك الكتاب وهى ثابتة فيه وفى صفحة نفسه ما لم يأت بمايبدّلها اويمحوها اويغفرها مدّخرة له الى يوم القيامة وحينئذ يلقاه كتاباً منشوراً لايغادر صغيرة ولاكبيرة الّا احصيها؛ ولمّا كان هاتان الجهتان معبّرتين باليمين والشّمال وهو يلقى الكتاب العلوىّ من جهته العلويّة وكتابه السّفلىّ من جهته السّفليّة، وايضاً يرد كتابه العلوىّ الّذى هو ظلّه النّورانىّ الى ما هو ظلّ له وكتابه السّفلىّ الى ما هو ظلّ له فهو يؤتى كتابه بيمينه وشماله فمن اوتى كتابه بيمينه فيقول تبجّحاً هاؤُم اقرؤا كتابيه، ومن اوتى كتابه بشماله فيقول تحسّراً: يا ليتنى لم اوت كتابيه [فَأُولٰئِكَ يَقْرَؤُنَ كِتٰبَهُمْ] فانّهم يبصرون ولا يكونون عمياناً ولا يرون فى كتابهم ما يستحيون من قراءته [وَلٰا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا] الفتيل المفتول الّذى فى شقّ النّواة يعنى لاينقصون من اجورهم شيئاً [وَمَنْ كٰانَ فِى هٰذِهٖ أَعْمىٰ فَهُوَ فِى الْأٰخِرَةِ أَعْمىٰ] المراد بالعمى عمى البصيرة عن معرفة الآخرة وطريقها لاعمى البصر فربّ اعمى عن البصر يبصر امور الآخرة بالبصيرة، وربّ بصير فى الدّنيا يعمى عن امور الآخرة ويخرج البصيرة من القوّة الى الفعل بمعرفة الامام والعمى بانكاره ويبقى قوّة البصيرة من دون حصول فعليّة البصيرة، اوالعمى اذا لم يكن منكراً ولا عارفاً، وهذا وان كان فى حكم الاعمى لكنّه يرجى له البصيرة فى الآخرة كما يخاف عليه العمى فيها [وَأَضَلُّ سَبِيلًا] فى الآخرة منه فى الدّنيا اوممّن ضلّ السّبيل فى الدّنيا [وَإِنْ كٰادُوا لَيَفْتِنُونَكَ] وانّهم كادوا يصرفونك بفتنتك [عَنِ الَّذِى أَوْحَيْنٰا إِلَيْكَ] عن المعهود الّذى اوحينا اليك وهو ولاية علىّ (ع) كما روى [لِتَفْتَرِىَ عَلَيْنٰا غَيْرَهُ وَإِذًا لَاتَّخَذُوكَ خَلِيلًا وَلَوْلٰا أَنْ ثَبَّتْنٰاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا] من الرّكون، وقد ورد فى الاخبار انّ هذه الآية من قبيل: ايّاك اعنى واسمعى يا جارة، وورد انّها من فرية الملحدين ولو كان الخطاب له (ص) من غير كونه على طريق، ايّاك اعنى واسمعى يا جارة، ولم تكن فرية لم يكن فيها ازدراء به (ص) بل يكون صدر الآية ازدراء بالملحدين لاشعاره بانّهم بالغوا فى فتنته يعنى انّهم مااهملوا شيئاً ممّا يفتن به ولو كان المفتون غيرك ولم يكن تثبيت من الله لفتن، وذيلها بيان امتنان عليه (ص) بأنّه تعالى اثبته فى مثل هذا المقام [إِذًا لَأَذَقْنٰاكَ ضِعْفَ الْحَيٰوةِ وَضِعْفَ الْمَمٰاتِ] اى عذاب الحيوة الدّنيا وعذاب الآخرة على ما قيل: انّ الضّعف اسم للعذاب، اوضعف عذاب الحيوة اى ضعف ما ينبغى ان يعذّب فى الحيوة لو كان هذا الرّكون من غيرك لانّ امرذوى الخطر اخطر، وقيل: المراد بضعف الحيوة عذاب الآخرة وبضعف الممات عذاب القبر [ثُمَّ لَاتَجِدُ لَكَ عَلَيْنٰا نَصِيرًا] يدفع عنك العذاب [وَإِنْ كٰادُوا لَيَسْتَفِزُّونَكَ] ليزعجوا لكى استفزّه استخفّه واخرجه من داره وازعجه [مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهٰا وَإِذًا

لا يَلْبَثُونَ خِلٰافَكَ إِلّٰا قَلِيلًا] اذا اخرجوك لا يمكثون بعدك الّا قليلاً [سُنَّةَ مَنْ قَدْ أَرْسَلْنٰا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنٰا] نصب على المصدر اى سننّا ذلك المذكور من فتنة قومك، وتبثيتنا ايّاك واستفزاز قومك لارادة اخراجك وعدم لبثهم بعدك سنّة من قد ارسلنا اوسنّ ذلك سنّة من قد ارسلنا ، اوهو مفعول به لمقدّر اى ركبوا فى ذلك سنّة من قد ارسلنا [وَلٰا تَجِدُ لِسُنَّتِنٰا تَحْوِيلًا أَقِمِ الصَّلٰوةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ] اللّام بمعنى فى اى فى وقت دلوك الشّمس وزوالها [إِلىٰ غَسَقِ اللَّيْلِ] الى شدّة ظلمته وفسّر فى الاخبار بانتصاف اللّيل وقد بيّن الآية فى الاخبار بالصّلوات الاربع الظّهر والعصر والمغرب والعشاء [وَقُرْآنَ الْفَجْرِ] وقت اجتماع الفجر باعتراضه فى الافق اشارة الى صلوة الصّبح [إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ] اى وقته [كٰانَ مَشْهُودًا] وقد فسّر فى الاخبار بشهادة الملائكة اللّيليّة والنّهاريّة فانّها بصير الصّلوة حينئذ مثبتة فى كتابيهما [وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ] وبعضاً من اللّيل فحذف الموصوف واقيم الصّفة مقامه لقوّة معنى البعضيّة فى من التّبعيضيّة حتّى قيل باجراء احكام الاسم الخالص على من ومجرورها بل قيل: بكون من اسماً ولفظة الفاء زائدة اوبتوهّم امّا اوعاطفة من قبيل عطف التّفسير على المفسّر بالفاء، والتّهجد كما يستعمل فى النّوم يستعمل فى الاستيقاظ فهو من الاضداد ، ويمكن ان يكون مأخوذاً من الهجود بفتح الهاء وهو المصلّى باللّيل والمعنى بعض اللّيل فاستيقظ بذلك البعض اى فى ذلك البعض وصلّ وبالغ واجتهد فى صلوتك فى ذلك البعض ، وامّا جعله من الهجود بضمّ الهاء وجعل الصّيغة للسّلب فبعيد غاية البعد [نٰافِلَةً لَكَ] عطيّة لك اوصلوة نافلة لك وعلى الاوّل فهو مفعول فعل محذوف اى اعطيناعطيّة لك وعلى الثّانى مفعول تهجّد بناء على تضمينه معنى افعل اوعلى تجريده عن معنى الصّلوة اى فافعل بالاستيقاظ نافلة لك ، اوفافعل نافلة لك على معنى التّهجّد ولام لك للاختصاص ومعنى اختصاصه به اختصاص وجوبه به وان كان استحبابه مشتركاً بينه (ص) وبين امّته ، ويمكن استنباط الوجوب من الآية مع قطع النّظر عمّا ورد فى الاخبار من وجوب التّهجّد عليه (ص) لانّه عطف التّهجّد على اقامة الصّلوة لدلوك الشّمس ، والامر هناك للوجوب و التّوافق يقتضى ان يكون ههنا ايضاً للوجوب، وتفصيل النّوافل وكيفيّتها ووقتها وفضيلتها موكول الى كتب الفقهاء رضوان الله عليهم [عَسىٰ أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقٰامًا مَحْمُودًا] التّنوين للتّعظيم اى مقاماً عظيماً محموداً وهو منصوب على الظّرفيّة اوعلى الحاليّة باعتبار انّه (ص) قام فى المقام المحمود وصار بنفسه مقاماً محموداً ، والمقام المحمود هو آخر مقامات السّالك وهو مقامه مع الحقّ فى الخلق فانّ اوّل مقاماته وهو مقامه فى الخلق مع الخلق مقام مذموم والانسان مأمور بالفرار والهجرة منه وعدم الوقوف فيه ، وثانى مقاماته وهو مقامه فى الحقّ سالكاً منه الى الحقّ مقام تنزيه وقدس وليس مقاماً محموداً ، وثالث مقاماته وهو مقامه فى الحقّ مع الحقّ فانياً فيه انتهاء مقام قدسه وتنزيهه ولا اسم له ولا رسم فى ذلك المقام فضلاً عن الحمد والفضل ، ورابع مقاماته وهو مقامه فى الخلق مع الحقّ مقام محمود ومقام الفضل ومقام الجمع بين التّنزيه والتّشبيه والحقّ والخلق والتّوحيد والتّكثير ، ولكون هذا المقام بعد الفناء اتى بلفظ البعث الدّالّ على الاحياء بعد الممات فانّ الفانى ميّت بالموت الاختيارىّ والرّاجع الى الخلق يحيى بعد فنائه وذلك المقام وان كان لكلّ نبىّ لكن مطلقه وعظيمه وما ينبغى ان يكون الكامل عليه كان مطلوباً منه وباعتبار ذلك المقام العظيم امره تعالى بالسّؤال بعد الامر بالنّافلة باللّيل الّتى هى عبارة عن المقام فى ذلك المقام والّا كان اصله حاصلاً له بوجه ، وذلك انّ صاحب هذا المقام امّا ان يكون نظره الى الخلق غالباً اويكون نظره الى الحقّ غالباً وهذان المقامان

ليسا محمودين على الاطلاق وهما نشأتا موسى (ع) وعيسى (ع)، اويكون نظره الى الحقّ ونظره الى الخلق متساويين بمعنى ان يكون النّظر الى كلّ كما يقتضيه من غير نقصان من حقّ شيء منهما وهذا هو المقام المحمود على الاطلاق وهو كان لمحمّد (ص) وكلّ ما ورد فى تفسير المقام المحمود يرجع الى ما ذكرنا، ولمّا كان ذلك المقام من اعظم المقامات ووعده الله دخوله فيه على تهجّده امره (ص) بمسئلة الدّخول فى ذلك المقام والانتظار له فقال [وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي] فى ذلك المقام وماورد من تفسيره بدخول مكّة اوبدخول كلّ مُدخل اوبدخول كلّ مدخل يخاف منه انّما هو لسعة وجوه القرآن وجواز تعميم الآية، ولا ينافى كون المقصود فى ذيل وعد البعث الى المقام المحمود مسئلة الدّخول فى ذلك المقام، ولمّا كان خطابه (ص) يشمل امّته نحو شمول خطاب الكلّ للاجزاء اوخطاب المتبوع للتّابع كان الامّة مقصودة وكان المقصود بالنّسبة اليهم سؤال دخول مقامات السّالكين الى الله اوسؤال دخول المقام المحمود الجزئىّ الّذى هو آخر مقامات السّالكين بحسب مراتبهم [مُدْخَلَ صِدْقٍ] ادخال صدقٍ اومحلّ ادخال صدق، وقرئ بفتح الميم والاضافة الى الصّدق للمبالغة اى ادخالاً ثابتاً للصّدق لايكون له الّا شأن الصّدق، اوالصّدق بمعنى الصّادق اى ادخال صادق ويكون التّعبير بالصّدق للمبالغة فيكون الاضافة ايضاً للمبالغة فانّ المعنى حينئذٍ ادخال شخصٍ لا يبقى فيه الّا الصّدق وصدق الادخال فى مقام ان يدخل ويتمكّن فيه بحيث لايتصوّر له الخروج وزوال ذلك المقام عنه ولذلك قيل: الخروج من غير دخول جهلٌ يعنى الخروج من مقامٍ من غير تمكّن الدّخول فيه جهلٌ والّا فالخروج فرع الدّخول [وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ] والاخراج بالصّدق يكون بالتّمكّن فى المدخل [وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا] والتّنوين للتّفخيم والسّلطان النّصير هو الولاية المطلقة الظّاهرة فى مظاهرها الكلّيّة والجزئيّة، واصل كلّ المظاهر علىّ (ع) ببشريّته كما انّه حقيقة الولاية المطلقة بعلويّته وقد اجابه (ص) الله تعالى حيث كان علىّ (ع) معه بعلويّته سرّاً وببشريّته جهراً وهو كان بعلويّته السّكينة النّازلة عليه (ص) بصورته المثاليّة/[وَقُلْ] بعد مسئلتك السّلطان النّصير واجابتنا لك ونزول الولاية الكلّيّة المعبّر عنها بعد النّزول بالسّكينة تبجّحاً بما اعطيناك [جَاءَ الْحَقُّ] فانّ الولاية المطلقة هى الحقّ وبحقّيّتها حقّيّة كلّ ذى حقّ [وَزَهَقَ الْبَاطِلُ] فانّ الباطل يزهق ويضمحلّ بمجيء الحقّ فى العالم الصّغير وفى العالم الكبير [إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا] لكن بدون مجيء الحقّ يترائى حقّيّة له وبعد مجيء الحقّ يظهر انّه كان باطلاً ولم يكن له حقيقة وحقّيّة [وَنُنَزِّلُ] عطف على جاء الحقّ فيكون من جملة مقوله (ص) يعنى قل بعد مجيء الحقّ وزهوق الباطل ننزّل بصيغة الجماعة تعظيماً لشأنك فانّك بعد مجيء الحقّ تصير متّحداً مع الولاية المطلقة الّتى هى المشيّة الّتى هى كلّ الموجودات بوجهٍ اوتشريكاً لنفسك مع الحقّ النّازل ان كنت ترى نفسك فى البين، اوقل بلسانٍ صار لسان الله ننزّل، اوهو كلام من الله وعطف باعتبار المعنى كأنّه قال: ننزّل الحقّ ونظهر زهوق الباطل وننزّل بعد ذلك [مِنَ الْقُرْآنِ] من للتّبعيض والظّرف حال ممّا بعده اومن ابتدائيّة والظّرف صلة لننزّل والمراد بالقرآن صورة الكتاب التّدوينىّ اومقام الجمع الّذى هو المقام المحمود [مَا هُوَ شِفَاءٌ] للابدان والارواح من كلّ آفة وداء فانّ المنزل من مقام الجمع اذا كان المنزل عليه الّذى هو الواسطة بين مقام الجمع والخلق مطهّراً من النّقص والآفة كان شفاء من كلّ داء لمن استشفى به واتّصل بالمنزّل عليه [وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ

إِلَّا خَسَارًا] لانّهم كالعذرة لايزيدها كثرة اشراق الشّمس الّا العفونة . روى فى طبّ الائمّة عن الصّادق (ع) : ما اشتكى احد من المؤمنين شكايةً قطّ وقال باخلاص نيّة ومسح موضع العلّة : وننزّل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظّالمين الا خساراً الّا عوفى من تلك اية علّة كانت؛ ومصداق ذلك فى الآية حيث يقول : شفاء ورحمة للمؤمنين . وعنه (ع) لابأس بالرّقية والعوذة والنّشرة اذا كانت من القرآن [وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ] عنّا [وَنَأَىٰ بِجَانِبِهِ] اى نای عنّا ملصقاً بجانبه والباء للتّعدية والمقصود استبداده وغفلته عن منعمه، او استكباره وطغيانه كقوله : انّ الانسان ليطغى ان رآه استغنى [وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يَؤُسًا] شديد اليأس من روح الله يعنى انّ الانسان سجيّته الطّغيان والكفر بالمنعم بحسب مقام نفسه عند النّعمة واليأس من روح الله عند زوالها ومسيس الضّرّ له والحال انّه عبد مربوب ليس له اضافة شيء الى نفسه بل عليه ان يرى النّعمة والضّرّ من مولاه ويكون حين النّعمة شاكراً له مضيفاً للنّعمة اليه خائفاً من زوالها وحين الضّرّ راجياً لرفعه مضيفاً له الى نقصان نفسه [قُلْ كُلٌّ] من الله وافراد العباد [يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِ] مشتملاً على نيّة هى شاكلته فانّ النّيّة شاكلة حال الانسان ومقامه وسجيّته ، او المعنى كلّ يبنى عمله على نيّة وفعليّة من نفسه هى شاكلة حاله ومقامه .

اعلم، انّ الانسان بحسب فعليّة بشريّته نوع واحد وله حدّ واحد لكنّه بحسب الباطن انواع متباينة بالقوّة ولكلّ نوع حدّ غير حدّ النّوع الآخر فاذا صار بحسب الباطن نوعاً بالفعل مثلاً اذا صار بالفعل واحداً من انواع السّباع او البهائم او الشّياطين او الانسان المشتمل على انواع الملك ، فاذا اراد فعلاً من الافعال سواء كان فى صورة العبادات او المعاصى او المباحات تمثّل تلك الصّورة عند نفسه وقصد من ذلك الفعل بواسطة تمثّل تلك الصّورة كمال ما هو بالفعل هو وتلك الصّورة وذلك القصد نيّة الفعل وهو حين العمل مشتمل عليه ويبنى عليه العمل؛ مثلا الانسان المعجب بنفسه او المرائى لغيره اذا اراد الصّلوة تمثّل صورتها عنده وقصد بفعله بواسطة تلك الصّورة تزيين نفسه بما يزعمه ممدوحاً عند النّاس فيعمل الصّلوة مشتملاً على تلك النّيّة المشاكلة لما هو بالفعل هو وهو النّوع المعجب بنفسه كالطّاووس مثلاً ، وبعبارة اخرى يبنى عمله على اسّ هو قصد تزيين نفسه الّذى هو شاكلة حاله وفعليّته وهكذا، والحقّ الاوّل تعالى شأنه شاكلته اوّلاً وبالذّات صفاته الجماليّة من الرّحمة والجود والاحسان والعفو والصّفح والغفران فليس عمله بالقصد الاوّل الّا على تلك لكنّها قد تصير قهراً وغضباً وانتقاماً بحسب القوابل بالقصد الثّانى وبالعرض والمعنى قل لهم انّ الله يعمل على شاكلته من الرّحمة والاحسان وانتم تعملون على شاكلتكم ممّا يجعل رحمته رضاً او سخطاً [فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا] يعنى ان كان كلّ يعمل على شاكلته والشّاكلة من الامور الغيبيّة الباطنة وصورة العمل لاعبرة بها فمن تختاره نه بصورة العمل يمكن ان يكون غير مختار بحسب الشّاكلة بل المختار من اختاره الله لانّ ربّكم اعلم بمن هو اهدى سبيلاً؛ فالفاء داخلة على ما قام مقام جزاء شرط مقدّر ولاينافى ذلك تعميم الآية لجميع موارد صدقها كما هو شأن جميع الآيات من كون المقصود بالذّات من ذكر الخيرات علياً (ع) ومن ذكر الشّرور اعداءه مع تعميمها لجميع موارد صدقها بالتّبع [وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ] اى الرّوح الّتى بها الحيوة الانسانيّة فانّ الرّوح تطلق على البخار المتكوّن فى القلب المنتشر فى البدن بواسطة الشّرائين وتسمّى روحاً حيوانيّة ، وعلى البخار المتصاعد من القلب الى الدّماغ فتعتدل ببرودته وتسمّى روحاً نفسانيّة ، وعلى الّتى بها حيوة الحيوان وتسمّى نفساً حيوانيّة ، وعلى الّتى بها حيوة الانسان وتسمّى نفساً ناطقة وهذه هى مراد السّائلين لانّها المدركة لهم بالآثار دون سابقتها فانّها مختفية تحت شعاع نفس الانسان ، وتطلق على طبقة من الملائكة وتسمّى فى لسان الاشراق بارباب

الانواع وفى لسان الشّرع بالصّافّات صفّاً ، وعلى ملك اعظم من جميع الملائكة وله بعدد كلّ انسان وجه وهو ربّ نوع الانسان وله الرّياسة والاحاطة على جميع الانواع واربابها وهو مع كلّ افراد الانسان وليسوا معه ، وماورد فى بيان الرّوح انّها ملك اعظم من جبرئيل وميكائيل وكان مع محمّد (ص) ثمّ مع الائمّة (ع) اشارة الى هذا المعنى ومعنى كونه مع محمّد (ص) دون سائر الانبياء انّ معيّته مع محمّد (ص) كان بمعيّة محمّد (ص) معه والّا فهو مع كلّ افراد الانسان بل مع كلّ ذرّات العالم ونفخت فيه من روحى اشارة الى تلك ، فانّ الرّوح المنفوخة فى آدم (ع) ظلّ تلك الرّوح ، ولمّا كانت الرّوح المسؤل عنها امراً مجرّداً معقولاً لايدركه الّا ذووالعقول وكان السّائلون اهل الحسّ لايتجاوز ادراكهم المحسوسات امره (ص) بالاجمال فى الجواب فقال [قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي] اى ناشئة من امر ربّى من غيرسبق استعداد مادّة حتّى تكون محسوسة فتدركونها بالحواسّ الظّاهرة اوالباطنة اومن عالم امره ولايصل ادراككم اليه ولذلك قال [وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا] منكم اوقليلاً من العلم وهو العلم بالمحسوس من آثارها وليس لكم علم عالم الامر ولفظة ما نافية اواستفهاميّة انكاريّة [وَلَئِنْ شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ] اى بالقرآن او بالاحكام النّبويّة او بالرّوح الّتى او حيناها اليك اوبالعلم الّذى آتيناك [ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِ] بالّذى اوحينا اوبالاذهاب [عَلَيْنَا وَكِيلًا] تكل اليه امرك فيتسلّط علينا ويستردّ ما ذهبنا به [إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ] استثناء منقطع اى لكن رحمة من ربّك تبقيها اوتستردّها [إِنَّ فَضْلَهُ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا] قد سبق التّحدّى بامثال هذه الآية وبيانه [وَلَقَدْ صَرَّفْنَا] كرّرنا فى الفاظ مختلفة وعبارات متوافقة ومتخالفة [لِلنَّاسِ] لانتفاعهم وتذكّرهم [فِي هَذَا الْقُرْآنِ] جملة القرآن اوقرآن ولاية علىّ (ع) كما اشير اليه فى الخبر [مِنْ كُلِّ مَثَلٍ] اى من كلّ حكاية وقصّة من حكايات الاخيار والاشرار الّتى صارت امثالاً واسماراً يعنى كرّرنا شيئاً من تلك الحكايات فى عبارات مختلفة مثل ذكر حكاية موسى (ع) مع فرعون ومع قومه ومع خضر (ع) فمفعول صرّفنا محذوف ، ولفظة من فى من كلّ مثل للتّبعيض فانّ المذكور فى القرآن ليس الّا بعضاً من كلّ حكاية اجمالاً ، ولفظة كلّ للمبالغة فانّ المذكور ليس من كلّ الحكايات والامثال [فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ] من الاعتبار بها والاستدلال بها على آلهتنا اوعلى صدق نبوّتك اوعلى صدقك فى ولاية علىّ (ع) [إِلَّا كُفُورًا] بالله اوبنبوّتك اوبولاية علىّ (ع) وفى الخبر انّما نزل جبرئيل (ع) فأبى اكثر النّاس بولاية علىّ (ع) الّا كفوراً [وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا] عيناً [أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ] فى توعيدك ايّانا [عَلَيْنَا كِسَفًا] قطعاً متكاسفة محسوسة جمع الكسفة بالكسر بمعنى القطعة [أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا] القبيل بمعنى العيان والمقابل والكفيل والجماعة من الثّلاثة فمافوق ، والعريف الّذى يعرف مايرى والكلّ مناسب ههنا [أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرُفٍ] من ذهب [أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ] وحده [حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرَؤُهُ] فيه تصديق نبوّتك وتصديق توحيد الله وكلّ تلك الاسئلة انّما كانت لعناد

نفوسهم ولجاجها وكانوا يريدون بذلك مانسبوا انكارهم اليه وكانوا مصرّين على الانكار عازمين عليه ولم يكونوا مريدين بها رفع شبهة اودفع شكّ ، ومثل ذلك لاجواب له ، فان اجيب كان محض التّفضّل على السّائل كماروى انّه (ص) اجابهم عن كلّ ما قالوا ولذلك امره (ص) ان يجيبهم بترك الاجابة في صورة العجز عن الجواب فقال [قُلْ سُبْحانَ رَبِّي] من ان يتحكّم عليه او يأتي بما اقترحه الجهّال عن عناد ولجاج [هَلْ كُنْتُ إِلّا بَشَرًا رَسُولًا] فليس لي ان آتي بمسؤلكم بنفسي اواقترح على ربّي مثل اقتراحكم عليّ ، وقدنقل كيفيّة اجتماع المشركين على الاستهزاء به والاقتراح عليه بما يعجز عن الاتيان به توهيناً له وتصغيراً لشأنه ؛ من اراد فليرجع الى المفصّلات من التّفاسير وغيرها [وَما مَنَعَ النّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جاءَهُمُ الْهُدى] اى الرّسالة اوالكتاب السّماوىّ اوالولاية فانّ الكلّ ما به الهداية الى الله كما انّ الاوّلين[1] هداية الى الولاية ايضاً [إِلّا أَنْ قالُوا أَبَعَثَ اللهُ بَشَرًا رَسُولًا] يعنى الّا انكارهم رسالة البشر لكنّه اتى بالقول اشعاراً بانّ هذا الانكار محض قول يقولون من غير اعتقاد وبرهان عليه ، ولمّا كان انكار رسالة البشر تعريضاً برسالة الملك امره (ص) الله تعالى ان يقول في جوابهم انّ الملك من الملكوت ولا يظهر على الملك الّا بخرابه اختياراً اواضطراراً فقال [قُلْ] في جواب انكارهم رسالة البشر انّ رسول البشر لابدّ ان يكون بشراً ليجانسهم ويأنسوا به ولايجانسهم الملك ؛ نعم [لَوْ كانَ فِي الْأَرْضِ مَلائِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنا] اى قل لهم يقول الله ذلك لكنّه حذف القول لايهام انّ قول الرّسول وفعله قول الله وفعله [عَلَيْهِمْ مِنَ السَّماءِ مَلَكًا رَسُولًا] قُلْ] بعد لجاجهم وعنادهم معرضاً عنهم متكلاً على ربّك [كَفى بِاللهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ إِنَّهُ كانَ بِعِبادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا] هذا من جملة المحكيّ بالقول اومستأنف من الله وكذا قوله [وَ مَنْ يَهْدِ اللهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ] يعنى ليس الاهتداء بكثرة السّؤال والاقتراح انّما هو امر الهيّ لمن يشاء من عباده لا اختياريّ باختيار العبد وحيلته [وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِياءَ مِنْ دُونِهِ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيامَةِ عَلى وُجُوهِهِمْ] يعنى منكوساً ارجلهم من فوق ورؤسهم من تحت [عُمْيًا] مطلقاً اوعن رحمة الله وفضله [وَبُكْمًا وَ صُمًّا] مطلقاً اوعمّا ينفعهم [مَأْواهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّما خَبَتْ زِدْناهُمْ سَعِيرًا] توقّداً [ذلِكَ جَزاؤُهُمْ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِآياتِنا] واصل الآيات وأعظمها عليّ (ع) وانكروا الآخرة والمعاد [وَقالُوا أَإِذا كُنّا عِظامًا وَ رُفاتًا أَإِنّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمواتِ وَالْأَرْضَ] وقد اعترفوا بابداءه خلق السّماوات والارض [قادِرٌ عَلى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ] فانّهم وامثالهم أسهل خلقاً من السّماوات والارض ، والاعادة أسهل من الابداء ، ويؤيّد هذه الآية قول من يقول : انّ الاعادة وان كانت باشخاصهم بعينها لكنّها بأبدانهم بامثالها بوجه [وَجَعَلَ لَهُمْ] لانفسهم او لامثالهم بحسب الاعادة او بحسب الحيوة الدّنيا اوبحسب المكث في البرازخ قبل القيامة [أَجَلًا لا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى الظّالِمُونَ] بعد وضوح الامر [إِلّا كُفُورًا] بالتّوحيد اوبكث اوبعليّ (ع) [قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي] رحمة الرّبّ هي الولاية وسائر النّعم الظّاهرة والباطنة تسمّى رحمة باتّصالها بالولاية واذا لم تتّصل بالولاية تكون سخطاً ونقمة

(١) الرّسالة والكتاب السّماوى .

واستدراجاً ، وجمع الخزائن للاشعار بانّ له خزائن عديدة فی مراتب العالم [إِذاً لَأَمْسَكْتُمْ] عن الانفاق والایصال الی المستحق [خَشْيَةَ الْإِنْفاقِ] خشیة النفاد بالانفاق لانکم ماخرجتم عن بشریتکم والبشر فی جبلته حبّ المال وخشیة نفاده [وَكانَ الْإِنْسانُ قَتُوراً] عطف للتعلیل ای فی جبلته البخل ولذلک اتی بکان فانه یدلّ علی کون الوصف سجیته سواء جعل قتوراً مبالغة اوصفة مشبهة ، والمقصود التعریض بمدّعی الخلافة وبانهم غیر مستحقین للولایة والخلافة لعدم خروجهم من البشریة [وَلَقَدْ آتَيْنا مُوسى تِسْعَ آياتٍ بَيِّناتٍ] تسلیة للنبیّ (ص) وتعریض بمقترحی الآیات یعنی من کان فی جبلته العناد واللجاج لاینفع فیه الآیات کما انّ فرعون شاهد من موسی (ع) تسع آیات بیّنات وزاد لجاجه وعناده وقد ورد الاخبار بالاختلاف فی تعیین التسع ففی بعضها عدّ رفع الطور والمنّ والسلوی منها ، وفی بعضها لم یُعدّ ، والظاهر انّ المراد بالآیات التسع کما فی الخبر عن الصادق (ع) الجراد والقمّل والضفادع والدم والطوفان والبحر والحجر والعصا والید البیضاء [فَاسْئَلْ بَنِي إِسْرائِيلَ] یعنی ان کنت فی شکّ علی طریق ایاک اعنی واسمعی یا جارة فاسئل بنی اسرائیل عن موسی (ع) وآیاته [إِذْ جاءَهُمْ] اذ اسم خالص مفعول اسئل اوظرف لآتینا وقوله فاسئل اعتراض [فَقالَ لَهُ فِرْعَوْنُ] بعد ظهور آیاته عناداً [إِنِّي لَأَظُنُّكَ يا مُوسى مَسْحُوراً] مجنوناً [قالَ لَقَدْ عَلِمْتَ ما أَنْزَلَ هؤُلاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمواتِ وَالْأَرْضِ بَصائِرَ] اسباب بصیرة اطلق البصائر علیها مبالغة [وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ] لاعلمک ادّی بالظنّ مشاکلة لقوله ، اوکان ظاناً لم یعلمه الله بعده عن الخیر اوهلاکته اکمالاً لدعوته [يا فِرْعَوْنُ مَثْبُوراً] مصروفاً عن الخیر او هالکاً [فَأَرادَ أَنْ يَسْتَفِزَّهُمْ] یخرجهم اویستأصلهم [مِنَ الْأَرْضِ] ارض مصر اومطلق الارض بالاستیصال [فَأَغْرَقْناهُ وَمَنْ مَعَهُ جَمِيعاً] یعنی اخرجناه من الارض عکس مراده [وَقُلْنا مِنْ بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرائِيلَ اسْكُنُوا الْأَرْضَ] التی اراد فرعون ان یستفزکم منها [فَإِذا جاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ] وعد دار الآخرة [جِئْنا بِكُمْ] یعنی بنی اسرائیل و قوم فرعون اوالخطاب لبنی اسرائیل فقط [لَفِيفاً] مختلطین ، المحقّین والمبطلین من بنی اسرائیل وقوم فرعون ، اودانی الدرجة ومرتفعیها [وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْناهُ] بسبب الحقّ اوبالغایة الحقّة اومتلبساً بالحقّ ، والضمیر لمطلق القرآن اولقرآن الولایة [وَبِالْحَقِّ نَزَلَ وَما أَرْسَلْناكَ إِلَّا مُبَشِّراً وَنَذِيراً وَقُرْآناً] ای امراً مجتمعاً مجملاً عظیماً [فَرَقْناهُ] فصّلناه فی صورة الحروف والالفاظ ونزّلناه نجوماً [لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلى مُكْثٍ] فانه اقرب الی القبول والحفظ [وَنَزَّلْناهُ تَنْزِيلاً] عن مقام جمعه الذی هو المشیة والولایة الی الاقلام اجمالاً ثمّ الی الالواح ثمّ الی الاکوان فی صور الموجودات الکونیة ، وفی صور الحروف والاصوات والنفوس والکتابات ، ویجوز ان یراد بالقرآن الامر بالولایة مخصوصاً وان یراد بتفریقه تنزیله اشارةً مثل انما ولیکم الله واطیعوا الرسول ، وتصریحاً مثل بلّغ ماانزل الیک فی علیّ (ع) [قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لا تُؤْمِنُوا] یعنی سواء ایمانکم وعدم ایمانکم عندی وعند الله وانما یعود نفعه الیکم [إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ] ای من قبل القرآن مثل اهل الکتاب الذین علموا بعثتی وصدق کتابی من کتبهم قبل ظهوری اومن قبل القرآن الذی فی ولایة علیّ (ع) کالذین تیقنوا عظمة شأن علیّ (ع) من امة محمد (ص) وهو فی موضع تعلیل للتسویة یعنی انّ الحکمة فی نزول القرآن ، الدعوة والحکمة

فى الدّعوة ايمان الخلق فاذا آمن بعض الخلق فقد حصل الحكمة ولم يبطل الغاية وقدآمن به كثير فيستوى ايمانكم وعدم ايمانكم لانّ الّذين اوتوا العلم آمنوا به و [إِذٰا يُتْلىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْاَذْقٰانِ] اللّام بمعنى على [سُجَّدًا] تأثّراً به وانسلاخاً من بشريّتهم وشكراً لله لانجاز وعده وللوصول الى مطلوبهم [وَيَقُولُونَ سُبْحٰانَ رَبِّنٰا] اظهاراً للتّشكر باللّسان [إِنْ كٰانَ وَعْدُ رَبِّنٰا لَمَفْعُولًا وَيَخِرُّونَ لِلْاَذْقٰانِ] كرّره للتّأكيد المطلوب فى مقام المدح [يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا] لتأثّرهم به [قُلِ ادْعُوا اللّٰهَ اَوِادْعُوا الرَّحْمٰنَ] .

اعلم ، انّ القرآن ذووجوه بحسب التّنزيل وذوبطون بحسب التّأويل ، وانّ اسماءه اللّفظيّة عناوين لاسمائه الكونيّة وهى مظاهر لاسمائه الحقيقيّة الّتى هى مبادى اسمائه الكونيّة وارباب انواعها والظّاهرة فيها ، والاسماء الحقيقيّة عنوانات لحقيقة الوجود المطلق كما انّ اسماءه الكونيّة واللّفظيّة والكتبيّة عنوانات لتلك الحقيقة باعتبار تلك الاسماء الحقيقيّة . وانّ الحقّ الاوّل تعالى مسمّىً بالله باعتبار انطواء الكثرات فيه ، ومسمّىً بالرّحمن باعتبار اظهاره للكثرات والمراتب والحدود ، وانّ فعله المعبّر عنه بالمشيّة والولاية الكلّيّة مظهر لله باعتبار انطواء الكثرات فيه ومظهر للرّحمن باعتبار انبساطه على الكثرات ويسمّى المشيّة بالاعتبار الاوّل عرشاً وبالاعتبار الثّانى كرسيّاً و لذلك يعبّر عنها حين الاضافة الى الكثرات بالكرسىّ كما قال : وسع كرسيّه السّموات والارض ، وحين الاضافة الى الحقّ الاوّل تعالى بالعرش الرّحمن على العرش استوى ، وكون العرش مظهراً لله باعتبار انطواء الكثرات فيه لا ينافى كونه منسوباً اليه الرّحمن لانّه باعتبار مغايرته له تعالى من جانب الكثرات فاضافته تعالى اليه مثل اضافة الكرسىّ الى الكثرات ، والحقّ الاوّل باعتبار وصف الرّحمن مصدر له ومضاف اليه ، وكلّ من مراتب الجبروت والملكوت مظهر لله و للرّحمن بالاعتبارين المذكورين . و المراتب عاليها مظهر لله من حيث اجمال الكثرات فيه بالنّسبة الى دانيها ، ودانيها مظهر للرّحمن من حيث التّفصيل بالنّسبة الى العالى ، ولمّا كان الانسان منطوياً فيه جميع الاسماء والمراتب كان من حيث روحه مظهراً لله ومن حيث نفسه مظهراً للرّحمن ان لم يصر بالتّنزّل مظهراً للشّيطان ، وهكذا فى جملة مراتبه . وخلفاء الله الّذين هم اكمل افراد الانسان مظاهر لله وللرّحمن بالاعتبارين ؛ فالنّبىّ باعتبار ولايته مظهرٌ لله تعالى ومن حيث نبوّته ورسالته مظهرٌ للرّحمن ، بل النّبوّة من حيث وجهتها الى الولاية مظهرٌ لله ، تعالى ومن حيث وجهتها الى الرّسالة مظهرٌ للرّحمن ، وشخص النّبىّ من حيث اخذ الميثاق والبيعة من العباد مظهرٌ لله ، وتابعه المعاضد له فى تعليم العباد طريق الوصول اليه والبيعة معه مظهر للرّحمن ، وهكذا خلفاؤهما المأذونون منهما فى اخذ الميثاق والبيعة من الخلق ، ويسمّى النّبىّ وخليفته من تلك الحيثيّة شيخ الارشاد ، والتّابع وخليفته من تلك الحيثيّة شيخ الدّلالة ، والعباد المطيعون من حيث نشأتهم فى الجذب مظاهر لله ومن حيث حالهم فى السّلوك مظاهر للرّحمن . والدّعاء قد يطلق على التّسميّة ويكون متعدّياً الى مفعولين ، وقد يطلق على الذّكر ويكون متعدّياً الى مفعول واحد ، وقد يطلق على دعوة الغير لاحضاره ومجيئه بنفسه بحيث يكون المدعوّ بنفسه مطلوباً ، وقد يطلق على دعوة الغير فى المهمّات ؛ وبالمعنى الاوّل يقال : دعوت ابنى زيداً ، وبالثّانى يقال : يدعون الله بالليل والنّهار ، كما يقال بالثّالث والرّابع : يدعون الله مطلقاً اوفى مهمّاتهم ، ومعنى الآية تنزيلاً سمّوا الله ، الله اوالرّحمن بحذف المفعول الاوّل ، ووجه اسقاط المفعول امكان التّعميم بين وجوه التّنزيل وبطون التّأويل ، **وقد نقل فى نزوله** انّه (ص) كان فى المسجد الحرام وقال : يا الله يارحمن ، فقال المشركون انّه ينهانا عن الاشراك وهو يدعو آلهين ؛ فنزلت . **ونقل ايضاً** : انّ اليهود قالوا له (ص) : انّك لتكثر ذكر الله ولا تذكر الرّحمن وفى التّوراة تكرّر ذكر الرّحمن ؛ فنزلت . اومعنى الآية اذكروا لفظ الله ، اواذكروا لفظ الرّحمن ، اواذكروا الذّات باعتبار جمعه للكمالات ، اوباعتبار انبساطه

على الكثرات ، اوادعوا الذّات بعنوان اوصافه الجلاليّة اوبعنوان اوصافه الجماليّة فانّ الله وان كان امام الاسماء تماماً لكنّه باعتبار انطواء الكثرات المعتبر فيه ادلّ على اوصاف الجلال ،والرّحمن امام اوصاف الجمال، ومعنى الآية تأويلاً ادعوا مظهر اسم الله اومظهر اسم الرّحمن لافرق بينهما فى جميع مراتبهما ، وادعوا الولىّ(ع) اوالنّبىّ(ص) وادعوا فى مقام الجذب اوفى مقام السّلوك [أَيًّا مَا تَدْعُوا] يؤدّبكم اليه لانّ اسماء الوجود وعنوانات الحقّ ومظاهر النّور لا شركة لغيره فيها [فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ] لا لغيره بخلاف الاسماء السّوءى الّتى هى اسماء العدم وعنوانات الحدود والتّعيّنات ومظاهر الشّرور والظّلمات فانّها لغيره لاله ، والله والرّحمن ومظاهرهما من الاسماء الحسنى [وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ] لا تتجاوز فى اعلان الصّوت عن المعتاد حين التّخاطب مع الاحباب بحيث تسمع من بعُد عنك [وَلَا تُخَافِتْ بِهَا] بحيث لاتسمع نفسك،كذافسّر افى اخبارنا [وَابْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا] متوسّطاً يعنى اقرء قراءة تسمعها نفسك ومن قرب منك ولا تسمعها من بعد عنك فانّ السّمع له حقّ فى الصّلوة وهوسماع اذكاره وسنّة الاحباب عدم الجهر بالخطاب،ولمّا كان الصّلوة الحقيقيّة هى الولاية والنّبوّة قالبها والرّسالة قالب النّبوّة ، وقبول الولاية والرّسالة من القوالب، وصورة الصّلوة القالبيّة والقلبيّة ايضاً من القوالب صحّ تفسير الصّلوة بكلّ منها،وصحّ جعل الخطاب عامّاً وخاصّاً بمحمّد(ص) ،وصحّ تفسير الاجهار والاخفات بمايناسب كلّاً منها، وقداشير الى التّعميم فى بعض الاخبار [وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُ وَلِيٌّ مِّنَ الذُّلِّ] بعد امره بالتّوسّط فى الاقوال اوالافعال امره بالتّوسّط فى توصيفه تعالى بالجمع بين التّشبيه والتّنزيه قولاً واعتقاداً وشهوداً فأمره تعالى بالحمد اى ملاحظة ظهوره تعالى فى كلّ شيء وفي ء مع تنزيهه عن اصول النّقائص ، وهى كون الثّانى له سواء كان تحت يده اومقابلاً له اومستعلياً عليه محتاجاً اليه وكان هوعاجزاً فانّ الذّل ينشأ من العجز عن دفع الضّرّ اوجلب النّفع ، ولمّا كان ذلك موهماً لتوصيفه ومعرفته امره ثانياً بتكبيره عن التّوصيف والمعرفة فقال [وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا] عن كلّ ما يوهم النّقص اوالتّوصيف ، ولذلك ورد فى جواب من قال: الله اكبر من كلّ شيء عن الصّادق(ع) : وكان ثمّة شيء فيكون اكبر منه؟ ! فقيل: وماهو؟ـ قال : اكبر من ان يوصف .

سورة الكهف

وهی مائة واحدی عشرة آیة مکّیّة کلّها ، وقیل : سوی آیة
واصبر نفسك مع الّذین یدعون ربّهم (الایة)

بسم الله الرحمن الرحیم

[اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِی اَنْزَلَ عَلٰی عَبْدِهِ الْکِتٰابَ] اضافة العبد للعهد یعنی محمّداً (ص) والمراد بالکتاب کتاب النّبوّة وصورته القرآن او القرآن وبعد اشعاره بمحمودیّته علی جمیع ما یحمد علیه بتعلیق الحمد علی الله المشعر بجمیع الاوصاف الحمیدة ذکر معظم ما یحمد علیه من الاوصاف وهو انزال کتاب النّبوّة الّذی به قوام المعاش والمعاد [وَلَمْ یَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا] العوج کعنب الاعوجاج من کلّ شیء من الاجسام المحسوسة وغیرها ، او العوج محرّکة اعوجاج الاجسام الّتی من شأنها الاستقامة کالحائط والعصا ، والعوج کعنب خاصّة بالمعانی ، والمعنی لم یجعل لکتاب النّبوّة انحرافاً عن الاستقامة نزولاً وصعوداً لانّه نازل منه علی الاستقامة ومنته الیه علی الاستقامة وذاهب بمن توسّل به الی الله علی الاستقامة [قَیِّمًا] حال من الکتاب او من الضّمیر المجرور باللّام وهو مبالغة من قام الرّجل المرأة وعلیها ، وقام الرّجل اهله اذا مأنهم وقام بشأنهم ، والمقصود انّ کتاب النّبوّة قیّم علی جمیع الکتب السّماویّة حتّی القرآن ببیانها وتعیین موارد احکامها وقیّم علی جمیع من توسّل به بافادة ما یحتاجون الیه فی امر معاشهم ومعادهم ، او هو حال عن العبد فانّه ایضاً قیّم لکلّ معوّج وکاف لکلّ محتاج [لِیُنْذِرَ بَأْسًا شَدِیدًا] عذاباً شدیداً فی الدّنیا بالقتل والاسر والنّهب کما انذر ووقع ذلک البأس وکما یقع للکفّار حین الاحتضار وفی الآخرة بعذاب البرازخ والقیامة والجحیم ، وقد فسّر البأس الشّدید بعلیّ (ع) فانّه الرّحمة للمؤمنین والبأس للکافرین فی الدّنیا والآخرة [مِنْ لَدُنْهُ] من لدن العبد المنزل علیه الکتاب کما فسّر ، او من لدن الله وقد فسّر لدن رسول الله (ص) بعلیّ (ع) وکذا لدن الله تعالی [وَیُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِینَ الَّذِینَ یَعْمَلُونَ الصّٰالِحٰاتِ] اطلق الانذار اشعاراً بانّه للمؤمنین والکفّار بخلاف التّبشیر فانّه خاصّ بالاخیار ، وانذار المؤمنین من حیث شوب الکفر والّا فحیثیّة الایمان تقتضی التّبشیر لا الانذار [اَنَّ لَهُمْ اَجْرًا حَسَنًا] هو الجنّة ونعیمها ورضوان من الله اکبر [مٰاکِثِینَ فِیهِ اَبَدًا وَیُنْذِرَ الَّذِینَ قٰالُوا اتَّخَذَ اللّٰهُ وَلَدًا] تخصیص بعد تعمیم تفضیحاً لهذا الصّنف من الکفّار ومبالغة فی قبح قولهم

وهم الّذين قالوا : الملائكة بنات الله ، والّذين قالوا : عزيرٌ ابن الله ، والمسيح ابن الله ، ونحن ابناء الله [مٰا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ] نفى علمهم به اوّلاً مع انّه باطلٌ من اصله منفيٌ بنفسه اشعاراً بانّ المذمّة على القول من غير علمٍ سواء كان المقول باطلاً اوحقّاً مقدّم على سائر جهات الذّم فويلٌ لمن قال بظنّه من غير علمٍ ومن غير اذنٍ واجازةٍ ثمّ يقول : هو من عندالله حيث قال من غير علمٍ ثمّ نسب قوله الى الله [وَلَا لِآبٰائِهِمْ] كلمة مبالغة تقال فى مقام الذّم مبالغة اوهو ذمٌ آخر يعنى انّهم قالوا من غير علمٍ وقلّدوا فى ذلك آباءهم الّذين لم يكن لهم علم فلهم المذمّة من حيث التّقليد ومن حيث الاخذ ممّن لاعلم له [كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوٰاهِهِمْ] بعد ما ذمّهم على القول بغير علمٍ وعلى التّقليد فى قولهم وعلى تقليد من لاعلم له ذمّهم على قبح المقول ايضاً [إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا] لاشوب صدقٍ فيه [فَلَعَلَّكَ بٰاخِعٌ نَفْسَكَ] قاتل نفسك غمّاً [عَلىٰ آثٰارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهٰذَا الْحَدِيثِ] حديث اصحاب الكهف اوالقرآن جملةً اوحديث ولاية علىٍّ (ع) وهو المقصود [أَسَفًا] تأسّفاً على تولّيهم عن الايمان شفقةً بهم وحرصاً على ايمانهم بعلىٍّ (ع) [إِنّٰا جَعَلْنٰا مٰا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهٰا] تعليلٌ لما يستفاد من مفهوم العتاب يعنى لا ينبغى لك التّحسّر على تولّيهم لانّهم اغترّوا بما على الارض زينة لها وانّا جعلنا ما على الارض زينةً لها [لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا] يعنى انّ الغاية جهد المؤمن فى حسن العمل واغترار الكافر طارٍ بالعرض [وَإِنّٰا لَجٰاعِلُونَ مٰا عَلَيْهٰا صَعِيدًا جُرُزًا] ارضاً لا نبات فيها ، والجرز من الجرز بمعنى القطع اى مقطوعاً نباته وهو تسفيه للمغترّين بزينتها وتزهيدٌ لطالبى الآخرة وتسليةٌ لمن لايكون له من زينتها شيءٌ [أَمْ حَسِبْتَ] الخطاب للنّبىّ (ص) اولكلّ من يتأتّى منه الخطاب وهو اضراب عن قوله : فلعلّك باخعٌ نفسك باعتبار المعنى فانّه فى معنى آنت باخع نفسك ؟ لانّه فى مقام الانكار وان كان بلفظ التّرجّى واحسبت انّ ما على الارض يمنعهم من الايمان ام حسبت انّ مقام الايمان واصحاب الايمان كان من آياتنا عجباً لا يمكن الوصول اليه فحسبت [أَنَّ أَصْحٰابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ] ورد فى اخبارنا انّ الرّقيم كان لوحاً اولوحين من نحاسٍ وكان مرقوماً فيه امر الفتية وقصّتهم وما اراد منهم دقيانوس الملك ، وقيل: انّ الرّقيم كان اسم الجبل الّذى فيه الكهف ، اوالوادى الّذى فيه الكهف ، اواسم قريتهم ، اواسم الكلب الّذى كان معهم ، وقيل: اصحاب الرّقيم كانوا قوماً آخرين لم يذكرالله قصّتهم ، وكان قصّتهم انّهم كانوا ثلاثة وخرجوا يرتادون لاهلهم فأخذهم المطر فأووا الى كهفٍ فانحطّت صخرة وسدّت باب كهفهم ، فقال احدهم : ليذكر كلّ منكم ما عمل من حسنة خالصاً لله لعلّ الله يرحمنا ، فقال احدهم: انّى استعملت اُجَرَاء ذات يومٍ فجاء رجل وسط النّهار وعمل فى بقيّته مثل عملهم فأعطيته مثل اجرهم فغضب احدهم وترك اجره فوضعته فى جانب البيت ثمّ مرّبى بقرة فاشتريت به فصيلها فبلغت ماشاءالله فرجع الىّ بعد حينٍ شيخاً ضعيفاً لا اعرفه وقال: انّ لى عندك حقّاً وذكره حتّى عرفته فدفعتها اليه جميعاً ؛ اللّهمّ ان كنت فعلت ذلك لوجهك فافرج عنّا ، فانصدع الجبل حتّى رأوا الضّوء ، وقال آخر: كان فىّ فضل واصاب النّاس شدّة فجاءتنى امرأة فطلبت منّى معروفاً ، فقلت: لا الّا ان تعطينى حظّى من نفسك ، فأبت ورجعت ثم عادت فقلت لها مثل ماقلت سابقاً ، فأبت ورجعت ، ثمّ ذكرت لزوجها ، فقال لها : اجيبيه واغيثى عيالك ، فأتت وسلّمت الىّ نفسها فلمّا تكشّفتها وهممت منها ارتعدت فقلت: مالك؟ قالت: اخاف الله ، فقلت: خفته فى الشّدّة ولم اخفه فى الرّخاء ، فتركتها وأعطيتها ملتمسها ؛ اللّهمّ ان فعلته لوجهك فافرج عنّا ، فانصدع حتّى تعارفوا ، وقال الثّالث : كان لى

ابوان همّان وكانت لي غنم وكنت أطعمهما وأسقيهما ثمّ أرجع الى غنمي، فحبست ذات يوم حتّى امسيت فأتيت اهلي فأخذت محلبي وأتيتهما فوجدتهما نائمين فلم اوقظهما وتوقّفت عندهما حتّى اصبحا واستيقظا، فسقيتهما؛ اللّهمّ ان فعلته لوجهك فافرج عنّا، ففرّج الله عنهم. **وقصّة الكهف اجمالاً كما يستفاد من الاخبار** انّهم كانوا اصحاب دقيانوس الملك و انّه كان يدعو الخلق الى عبادة الاصنام، وهؤلاء آمنوا بربّهم وحده ورفضوا عبادة الاصنام واسرّوا التّوحيد واظهروا التّشرك وكانوا يحضرون معهم الى عبادة الاصنام ولم يعلم احد بدينهم ولا يعلم كلّ منهم دين صاحبه ومضوا على ذلك مدّة متمادية، حتّى سئموا وملّوا من موافقة دقيانوس وقومه فخرجوا من القرية فراراً منهم واظهروا قصد الصّيد، فاتّفق ان كان خروجهم في يوم واحد فتلاحقوا في البادية فتساءلوا عن شأنهم وخروجهم كلّ عن الآخر، فأخذوا المواثيق واظهر كلّ دينه وقصده، فعرفوا انّهم كانوا على دين واحد وقصد واحد فتوافقوا في المسير ومرّوا براعٍ، فدعوه الى التّوحيد فلم يجبهم واجابهم كلبه وذهبوا على وجههم ودخلوا الكهف فأماتهم الله ثلاثمائة وتسع سنين اوانامهم على اختلاف في الرّوايات، فأحياهم الله اوأيقظهم بعد ذلك وتساءلوا بينهم كما حكى الله. **وسبب نزول هذه السّورة كما في الخبر** انّ قريشاً بعثوا ثلاثة نفر الى نجران اليمن الى علماء اليهود ليتعلّموا مسائل منهم ويسألوا محمّداً (ص) بعد رجوعهم لعلّهم الزموه، فذهبوا اليهم وسألوهم فقالوا: سلوه عن ثلاث مسائل فان اجابكم فيها على ما عندنا فهو صادق ثمّ سلوه عن مسئلة واحدة فان ادّعى علمها فهو كاذب، فقالوا: سلوه عن فتية خرجوا وغابوا وناموا مدّة كم كان عددهم؟ وكم كان نومهم؟ وما كان معهم من غيرهم؟ وما كان قصّتهم؟ ثمّ سلوه عن موسى (ع) ومن امره الله باتّباعه من هو؟ وكيف كان قصّته؟ ثمّ سلوه عن طائف طاف المشرق والمغرب حتّى بلغ سدّ يأجوج ومأجوج، من هو؟ وكيف كان قصّته؟ وأملوا القصص الثّلاث عليهم، فرجعوا وسألوه فقال: اخبركم غداً ولم يستثن، فحبس الوحي عنه (ص) اربعين يوماً حتّى اغتمّ النّبيّ (ص) وشكّ اصحابه وفرحت قريش واستهزؤا وآذوا وحزن ابو طالب فلمّا كان بعد اربعين يوماً نزل جبرئيل (ع) بسورة الكهف وكان سبب تأخيره تركه (ص) الاستثناء [كانُوا مِنْ آياتِنا عَجَبًا] آية عجباً يعني لا ينبغي لك ذلك الحسبان مع ما آتيناك من عجائب الآيات وارياك من معظمها، فانّ اصحاب الكهف وايمانهم امر سهل في غاية السّهولة في جنب ما آتيناك [إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ] اذ تعليل للحسبان اولعجباً او مفعول لا ذكر مقدّراً او ذكّر، والفتية جمع الفتى، وهو كما يطلق على العبد والشّاب والخادم والمطيع يطلق على المؤمن فانّه شاب عقلاً وان لا فانّهم كانوا كهولاً [فَقالُوا] التجاء واستغاثة [رَبَّنا آتِنا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنا مِنْ أَمْرِنا] من ديننا الّذي صار سبباً لمهاجرة الكفّار والفرار من الاشرار وابتغاء سنّة الاخيار [رَشَدًا] في معاشنا ما نصير بسببه راشدين يمكن لنا التّعيّش مع الخلق كما قال تعالى: ويهيّئ لكم من امركم مرفقاً يعني مايمكن لكم المداراة مع الخلق [فَضَرَبْنا عَلى آذانِهِمْ] حجاباً يمنعهم من سماع الاصوات بالموت اوالنّوم [فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا] ذوات عدد [ثُمَّ بَعَثْناهُمْ] من الموت اوالنّوم بعد ثلاثمائة سنة [لِنَعْلَمَ] ليظهر علمنا [أَيُّ الْحِزْبَيْنِ] حزب الله ومنهم قومك السّامعون منك وحزب الشّيطان ومنهم المشركون والمحاجّون عليك اوايّ الحزبين من اصحاب الكهف أنفسهم وممّن اطّلع عليهم [أَحْصى] فعل ماض وعلى هذا فقوله [لِما لَبِثُوا] حال من قوله [أَمَدًا] وهو مفعول احصى اولما لبثوا مفعول له واللّام زائدة للتّقوية وامداً تميز، و يحتمل ان يكون احصى افعل تفضيل من الاحصاء على خلاف القياس، وعلى هذا فقوله امداً تميز عن مافي لما لبثوا [نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ بِالْحَقِّ] مقابل الكذب،

وتقديم المسند اليه امّا لمحض التّقوّى اوللحصر [إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدىً] يعنى انّ الايمان كان هداية من الله الى الله، ولمّا حصّلوه بتوفيقه زادهم ايماناً [وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ] الحبّ فجذبهم الينا اواوقعنا الرّبط على قلوبهم بمعنى جعلناهم متحابّين مربوطاً قلب بعضهم على بعض وذلك بعد معرفة كلّ حال الآخرين واتّحادهم فى الدّين [إِذْ قَامُوا] عن القعود مع المشركين واظهارالاشراك للفرارعنهم [فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمٰوٰاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ إِلٰهًا] لا باطناً ولا ظاهراً [لَقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا] قولاً ذاشطط ذا بعد اوميل عن الحقّ قالوا ذلك فيما بينهم بعد التّلاقى فى خارج البلد ، اوفى انفسهم قبل الخروج والتّلاقى [هٰؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ] على الالهة [بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ] حجّة واضحة يعنى انّ اعتقاد شيء من غير برهان باطل وان كان المدّعى حقّاً [فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرٰى عَلَى اللّٰهِ كَذِبًا] يعنى ممّن نسب الى الله مالم يأذن به الله حقّاً كان اوباطلاً ، ولذلك وردمن فسّر القرآن برأيه وأصاب الحقّ فقدأخطأ [وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللّٰهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ] استيناف من الله يعنى وقلنا اذ اعتزلتموهم اومقول لهم يعنى قال بعضهم لبعض واذ اعتزلتموهم فأووا الى الكهف فراراً منهم واخلوا مع الله [يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ] اجابة لمسؤلكم [وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرْفَقًا] ما تدارون به الخلق من قوّة الصّبرعلى اذاهم والعفوعن مسيئهم والنّصح لمحسنهم والاحسان الى كلّهم [وَتَرَى] يامحمّد(ص) اذارأيت كهفهم اويامن يتأتّى منه الرّؤية [الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزٰاوَرُ] تميل [عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ] اى الى الجهة من الكهف ذات يمين الواقف خارج الكهف مقبلاً على الباب اوداخل الكهف مدبراً عن الباب ، هذا اذاكان الكهف واقعاً فى جهة الجنوب وبابه الى جهة الشّمال، وبالعكس ان كان واقعاً فى جهة الشّمال وبابه الى جهة الجنوب، اوعن الجهة ذات يمين الواقف خارج الكهف مدبراً عن الباب ، اوداخل الكهف مقبلاً على الباب اذاكان الكهف واقعاً فى جهة الجنوب وبابه الى جهة الشّمال، وبعكس ذلك ان كان الكهف بعكس ذلك ، اوالمعنى ترى الشّمس اذا طلعت حالكونها فى الجهة ذات يمين الواقف ، اوحالكونها صاحبة يمين الواقف ، اوتزاور حالكونها فى يمين الواقف اوذات يمين الواقف ، وتصويروضع الكهف غيرخفىّ بعد مامضى ، اوالمعنى تزاورفى الجهة ذات اليمين على ان يكون ظرفاً لغواً وتصوير وضعه كما اذاكان المعنى تزاورالى ذات اليمين [وَإِذَا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ] الى ذات الشّمال اوعن ذات الشّمال اوفى ذات الشّمال اوحالكونها ذات الشّمال ، وتصويرها بعد تصويرسوابقها غيرصعب [وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ] متّسع من الكهف بحيث لايتأذون من حرّ الشّمس ولاكرب الغار [ذٰلِكَ] اى كونهم فى الكهف بالوصف المذكوراوذلك المذكورمن قصّة اصحاب الكهف وهوجملة معترضة لتذكير السّامعين [مِنْ آيَاتِ اللّٰهِ مَنْ يَهْدِ اللّٰهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ] معترضة اخرى للاشارة الى وجه من وجوه التّأويل وتمثيل حالهم لحال جملة المؤمنين [وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا] عطف على ترى الشّمس يعنى من رآهم يحسب انّهم ايقاظ لكون اعينهم مفتوحة ناظرة ، اويحسب انّهم احياء لطراوة اجسادهم ونضارة ابدانهم [وَهُمْ رُقُودٌ] نائمون اواموات [وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ] اى على الجهة ذات اليمين اوفى الجهة ذات اليمين يعنى لانديم منهم جنباً واحداً على الارض حتّى يتغيّر ويتصرّف فيه الارض ، وفيه اشارة الى اجابة دعائهم

حيث سألوا الرّحمة والتّقليب الى ذات اليمين والرّشد يعنى التّقليب الى ذات الشّمال والمقصود التّوسّط بين الجذب والسّلوك، ولا يخفى على البصير الاستبصار بالتّاويل [وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ] بفناء الكهف كالبوّاب المطيع [لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ] يا محمّد (ص) على طريقة : ايّاك اعنى واسمعى ياجارة ، اويا من يتأتّى منه الاطّلاع [لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا] وذلك لما اعطاهم الله من الهيبة والخشية، اولانّ اجسادهم كانت كأجساد الموتى وكانت عيونهم مفتوحة بحيث يتوحّش النّاظر منهم [وَكَذٰلِكَ بَعَثْنَاهُمْ] يعنى كما انمناهم آية غريبة بعثناهم آية اخرى [لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ] عن حالهم فيعرفوا انّ حالم اغرب من ان يعرف ، وانّ صنع الله بهم لايعرف كنهه ويزداد يقينهم فى امر البعث [قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا] اى الآخرون [لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ] بناءً على ما هو المعتاد من النّوم وذلك قبل ان نظروا الى تغيّر حالهم وطول شعورهم واظفارهم وبعد مانظروا الى ذلك [قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ] اوالاوّل كان لبعضهم وهذا لبعض آخر، ولمّا رأوا انّه لا طريق لهم الى معرفة ذلك اعرضوا عنه واخذوا فيما يهمّهم من الحاجة الى الغذاء وقالوا [فَابْعَثُوا] يعنى اذا لم تقدروا على معرفة ذلك فابعثوا [أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هٰذِهِ] الورق الفضّة المسكوكة [إِلَى الْمَدِينَةِ] واسمها كما نقل كان طرسوس او افسوس [فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا] اىّ اهلها اواىّ الاطعمة [أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ] فى المعاملة حتّى لايغبن اوفى التّخفىّ حتّى لايعرف [وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ] ان يطّلعوا اويظفروا بكم [يَرْجُمُوكُمْ] يقتلوكم اشدّ قتلة [أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ] وقد انعم الله عليكم بالنّجاة منها [وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا وَكَذٰلِكَ] يعنى مثل اطّلاعنا ايّاهم على حالهم وطول مدّة منامهم ليزدادوا بصيرة بقدرتنا وعودهم الينا [أَعْثَرْنَا] غيرهم [عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا] يعنى المطّلعين [أَنَّ وَعْدَ اللّٰهِ] بالبعث والاحياء بعد الاماتة [حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا] فى اتيانها ، روى انّه قد رجع الى الدّنيا ممّن مات خلق كثير منهم اصحاب الكهف اماتهم الله ثلاثمائة عام وتسعة ثمّ بعثهم فى زمان قوم انكروا البعث ليريهم قدرته ؛ وهذا الخبر يدلّ على انّهم ماتوا فى تلك المدّة كما انّ بعض الاخبار يدلّ على انّهم ناموا ، ونقل انّ المبعوث لمّا دخل المدينة انكرها وتحيّر واخرج الدّرهم وكان عليه اسم دقيانوس فاتّهموه بانّه رأى كنزاً واخذوه وذهبوا به الى الملك وكان نصرانيّاً موحّداً فقصّ القصّة عليه فقال بعض الحاضرين: انّ آباءنا اخبرونا انّ جماعةً فرّوا فى زمن دقيانوس بدينهم لعلّهم هؤلاء ، فانطلق الملك واهل المدينة جميعاً الى الكهف ورأوهم وكلّموهم ثمّ قال الفتية نستودعك الله ايّها الملك، ورجعوا الى مضاجعهم فماتوا ودفنهم الملك ، وقيل : تقدّمهم المبعوث، وقال اخبرهم لئلّا يفزعوا فعمى عليهم باب الكهف فبنوا هناك مسجداً [إِذْ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ] ظرف لأعثرنا والمعنى اعثرنا عليهم اذ يتنازع الفتية امرنومهم قلّةً وكثرةً اويتنازع اهل البلد امر الفتية من حيث دفنهم وتركهم كما كانوا واخذ المسجد عليهم، اواذ يتنازع المطّلعون امر دينهم وامر البعث بينهم بالانكار والاقرار يبعث الارواح دون الاجساد اوبعث الارواح والاجساد جميعاً اوظرف ليعلموا ، والمعنى ليعلم الفتية علماً شهوديّاً بعد ما كانوا علموا يقينيّاً اذ يتنازعون بينهم امرهم فى نومهم ومدّته ، اوليعلم المطّلعون انّ وعد الله حقّ اذ يتنازعون بينهم امر بعثهم [فَقَالُوا ابْنُوا] عطف على يتنازعون عطف التّفصيل على الاجمال على بعض الوجوه، اوعطف على

اعثرنا [عَلَيْهِمْ بُنْيٰانًا] يحفظ اجسادهم من السباع والانظار [رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ] من تتمّة قولهم يعنى اتركوهم على حالهم ولاتجسّسوا وابنوا عليهم بنياناً ، اومعترضة من الله يعنى ربّ الفتية اعلم بحال الفتية اوبحال المتنازعين فيهم ، اوربّ المتنازعين اعلم بحالهم من ارادة الخير او الشرّ فى نزاعهم وما قالوه [قٰالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلٰى أَمْرِهِمْ] امر الفتية اوامر اهل البلد من الرؤساء ، اوقال الّذين غلبوا على امر انفسهم بالاسلام وغلبتهم على الشّيطان [لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا] معبداً يعبد فيه ويزار ويتبرّك [سَيَقُولُونَ ثَلٰثَةٌ رٰابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ] اى سيقول الحاضرون فى زمانك من اهل الكتاب ومن قريش ومن امتك [وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سٰادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ] كانّهم سلّموا انّ عددهم كان فرداً ولذلك ردّدوا بين الثّلاثة والخمسة والسّبعة [رَجْمًا بِالْغَيْبِ] رمياً من افواههم بالخبر الغائب عنهم ، وتعقيب القولين بذلك دليل تزييفهما [وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثٰامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ] ادخال الواو ههنا دون سابقيه لاعتيادهم ذلك عند تعداد مراتب العدد فانّهم يقولون خمسة ستّة سبعة وثمانية وذلك لانّ السّبعة عدد كامل عندهم كما هو كذلك عند اهل الشّرع فقبل البلوغ الى السّبعة كان المراتب الآتية من متمّمات السّابقة وتخلّل الواو كأنّه تخلّل بين اجزاء شيء واحد ولذلك يسمّى هذه الواو عندهم واو الثّمانية ، فماقيل: انّ دخول الواو ههنا لتأكيد اللّصوق ، ليس فى محلّه ، لانّه للاشعار بالتّفارق لا بالتّقارب [قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ مٰا يَعْلَمُهُمْ إِلّٰا قَلِيلٌ] وفى الاخبار ما يشعر بكونهم سبعة وثامنهم كلبهم [فَلٰا تُمٰارِ فِيهِمْ] فلا تجادل فى خبرهم وعددهم قريشاً واهل الكتاب [إِلّٰا مِرٰاءً ظٰاهِرًا] لاواقعاً فانّهم لاعلم لهم ولايقولون الّا عن جهل والقائل عن جهل لا خطاب معه ، وهذا يدلّ على انّ الجدال كما يحرم عمّن لاعلم له يحرم مع من لاعلم له [وَلٰا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا] واقتصر على ما اوحينا اليك لانّهم لايقولون ما يقولون عن علم وبصيرة ، وهذا يدلّ على انّ الاستفتاء عمّن لاعلم له حرام سواء قال عن تقليد اوعن ظنّ وتخمين [وَلٰا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فٰاعِلٌ ذٰلِكَ غَدًا إِلّٰا أَنْ يَشٰاءَ اللّٰهُ] استثناء مفرّغ من لاتقولنّ اى لا تقولنّ لشيء بضمّ شيء الّا بضمّ ان يشاء الله اوفى حال الّا فى حال ضمّ ان يشاءالله ، والمقصود الّا بتذكّر مشيّة الله ، وهذا تأديب له (ص) وتعليم لغيره ان لايقولوا شيئاً منوطاً بمشيّة الله الّا ان يستثنوا ، وقد سبق انّه (ص) قال فى جواب سؤالهم المسائل الثّلاث : اخبركم غداً ، ولم يستثن ، فحبس الوحى عنه اربعين يوماً [وَاذْكُرْ رَبَّكَ إِذٰا نَسِيتَ] الاستثناء فى الخبر انّ للعبد ان يستثنى ما بينه وبين اربعين صباحاً [وَقُلْ عَسىٰ أَنْ يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هٰذٰا] الاستثناء القولىّ [رَشَدًا] وهو الاستثناء الحالىّ والعيانىّ والتّحقّقىّ يعنى انتظر صيرورة حالك حال الاستثناء دائماً اومعاينة مشيّة فى كلّ شيء اوتحقّقك بمشيّته ، وقيل فيه غير ذلك [وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ] عطف من الله على يقولون ، اوكلام منهم عطف على سبعة وثامنهم كلبهم [ثَلٰثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدٰادُوا تِسْعًا قُلِ اللّٰهُ أَعْلَمُ بِمٰا لَبِثُوا] هذا يؤيّد كونه كلاماً منهم [لَهُ غَيْبُ السَّمٰوٰاتِ وَالْأَرْضِ] علمه مختصّ به [أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ] اتى بصيغة التّعجّب اشعاراً بانّ بصره وسمعه فوق مايتصوّر بحسب ادراك الدّقائق والاحاطة بكلّ ما يتصوّر ادراكه [مٰا لَهُمْ] لاهل السّموات والارض اوللسّائلين عن نبإ اصحاب الكهف [مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلٰا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا وَاتْلُ مٰا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتٰابِ رَبِّكَ] فى الاخبار عن القصص الماضيات ، اوفى الاخبار عن المغيبات مطلقاً ، اوفى احكام العباد ، اوفى ولاية علىّ (ع) وهذا هو المناسب

لما بعده [لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ] فلا تخف من التّغيير والتّبديل وظهور الخلف فى اخبارك [وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا] ملتجأ [وَاصْبِرْ نَفْسَكَ] ذكر النّفس بعد الصّبر مبنىّ على تجريد الصّبر عن النّفس فانّ الصّبر هو حبس النّفس عن الجزع اوعن هواها والمعنى احبس نفسك عن اتّباع هواها [مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدٰوةِ وَالْعَشِيِّ] يعنى فى جملة اوقاتهم وهم الّذين يذكرون الله مخرجاً لهم عن ظلمات الطّبع والنّفس الى نور القلب والرّوح لمشاهدة وجه ربّهم المضاف وهو ربّهم فى الولاية وهم الّذين اخذوا الذّكر من صاحب الاذن واهل الذّكر [يُرِيدُونَ وَجْهَهُ] الملكوتى وهو التّسكينة الّتى ينزلها الله على المؤمنين وهو الذّكر الّذى به يطمئنّ قلوب المؤمنين [وَلَا تَعْدُ عَيْنٰاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيٰوةِ الدُّنْيٰا] وهذا على: ايّاك اعنى واسمعى ياجارة [وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنٰا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنٰا] والذّكر هو الرّسول (ص) اوامير المؤمنين (ع)، اوالمراد من الذّكر تذكّر الله وتذكّر اوامره ونواهيه وثوابه وعقابه، اوالمراد الذّكر المأخوذ من صاحب الذّكر [وَاتَّبَعَ هَوٰاهُ وَكٰانَ أَمْرُهُ فُرُطًا] افراطاً وتجاوزاً للحدّ فى الخروج عن تحت حكم العقل، روى انّ جمعاً من فقراء المسلمين منهم سلمان رضى الله عنهم كانوا عند النّبىّ (ص) فدخل عليه جمع من اغنياء المؤلّفة قلوبهم فقالوا: يا رسول الله (ص) ان جلست فى صدر المجلس ونحّيت عنّا هؤلآء وروائح جبابهم جلسنا نحن اليك واخذنا عنك، فقاموا من عنده (ص)، فلمّا نزلت الآية قام النّبىّ (ص) يلتمسهم فأصابهم فى مؤخّر المسجد يذكرون الله عزّوجلّ فقال: الحمد لله الّذى لم يمتنى حتّى امرنى ان اصبر نفسى مع رجال من امّتى معهم المحيا ومعهم الممات [وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ] يعنى قل للغافلين اللّائمين لك فى مجالسة الفقراء الحقّ ما جاء من قبل ربّكم وهو الصّبر مع الفقراء [فَمَنْ شٰاءَ فَلْيُؤْمِنْ] اى من شاء فليسلم بى [وَمَنْ شٰاءَ فَلْيَكْفُرْ] اوقل الولاية هو الحقّ من ربّكم فمن شاء فليؤمن بالبيعة الخاصّة الولويّة ومن شاء فليكفر فانّه لااكراه فى الدّين وطريق الولاية فالاختيار فى ذلك اليكم [إِنَّا أَعْتَدْنٰا] هيّانا [لِلظّٰالِمِينَ] انفسهم فى الكفر بك اوفى ترك الولاية وغصب الخلافة [نٰارًا أَحٰاطَ بِهِمْ سُرٰادِقُهٰا] وان كانوا لايشعرون بها وسيظهر لهم انّها كانت محيطة بهم [وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغٰاثُوا بِمٰاءٍ كَالْمُهْلِ] كدردىّ الزّيت المغلى اوكالنّحاس المذاب [يَشْوِي الْوُجُوهَ] لفرط حرارته ونتنه حينما يقرب الى الفم [بِئْسَ الشَّرٰابُ] المهل [وَسٰاءَتْ] النّار [مُرْتَفَقًا] متّكأ ليّناً يستراح به وهوامّا من باب المشاكلة مع قوله وحسنت مرتفقاً، اومن باب استعمال الضّدّ فى الضّدّ تهكّماً [إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا] بالولاية بالبيعة الخاصّة الولويّة اوانّ الّذين اسلموا بك بالبيعة العامّة النّبويّة [وَعَمِلُوا الصّٰالِحٰاتِ] بالاتّصال بالولاية [إِنّٰا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا] وضع الظّاهر موضع المضمر اشعاراً بعلّة الحكم وانّهم محسنون [أُولٰئِكَ لَهُمْ جَنّٰاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهٰارُ يُحَلَّوْنَ فِيهٰا مِنْ أَسٰاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيٰابًا خُضْرًا مِنْ سُنْدُسٍ وَاسْتَبْرَقٍ] ممّا رقّ من ثياب الحرير وما غلظ [مُتَّكِئِينَ فِيهٰا عَلَى الْأَرٰائِكِ] على السّرر، وفسّرت فى الاخبار بالسّرر عليها الحجال [نِعْمَ الثَّوٰابُ] دخول الجنّة والتّحلّى بحليّها [وَحَسُنَتْ] الارائك [مُرْتَفَقًا وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا] اى لحال المؤمن والكافر اولحال المخلص والمنافق [رَجُلَيْنِ] اى حكاية حال رجلين [جَعَلْنٰا لِأَحَدِهِمٰا جَنَّتَيْنِ]

قيل مثّل حال المؤمن فى زهده فى زهرة الحيوة الدّنيا وقنوعه بقليل منها وحال الكافر فى جمعه لها وافتخاره بها بحال رجلين كانا جارين وكان لاحدهما بستانان كبيران كما حكى الله وكان الآخر فقيراً فافتخرا لغنىّ على الفقير [مِنْ اَعْنٰابٍ وَحَفَفْنٰاهُمٰا بِنَخْلٍ] اى جعلناهما محاطتين بالنّخل بجعل النّخل حولهما اوحولهما واواسطهما ايضاً [وَجَعَلْنٰا بَيْنَهُمٰا] بين كرومهما ونخلهما [زَرْعًا] فكانتا بحيث يحصل منهما ثماره وادامه وخبزه [كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ اٰتَتْ] افراد الضّمير بلحاظ لفظ كلتا [اُكُلَهٰا] مأكولها من الثّمار والتّمر والحبوب [وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئًا] لم تنقص من الاكل شيئاً بالآفة اوبتغيير بحسب الاعوام كسائر البساتين فانّها كثيراً تثمر كما ينبغى فى عام وينقص ثمرها فى عام آخر [وَفَجَّرْنٰا خِلٰالَهُمٰا نَهَرًا] ليدوم شربهما ولايتعب فى سقيهما ويزيد بهاءهما [وَكٰانَ لَهُ] لصاحب الجنّتين [ثَمَرٌ] مال كثيرٌ من غير هما من: ثمر ماله، اذا كثر [فَقٰالَ لِصٰاحِبِهِ] الفقير [وَهُوَ] اى الصّاحب الفقير اوصاحب الجنّتين [يُحٰاوِرُهُ] يجاوبه فى الكلام [اَنَا اَكْثَرُ مِنْكَ مٰالًا وَاَعَزُّ نَفَرًا] افتخاراً عليه [وَدَخَلَ جَنَّتَهُ] مع صاحبه بقرينة ما يأتى [وَهُوَ ظٰالِمٌ لِنَفْسِهِ] بالفخر والعجب والغرور والغفلة من الله [قٰالَ] اغتراراً بصورة نضرتها وغفلة من الله وقدرته [مٰا اَظُنُّ اَنْ تَبِيدَ هٰذِهِ اَبَدًا وَمٰا اَظُنُّ السّٰاعَةَ قٰائِمَةً] ادّى به الاغترار الى انكار المعاد [وَلَئِنْ رُدِدْتُ اِلىٰ رَبّى] فرضاً كما تزعم [لَاَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهٰا مُنْقَلَبًا قٰالَ لَهُ صٰاحِبُهُ وَهُوَ يُحٰاوِرُهُ اَكَفَرْتَ بِالَّذِى خَلَقَكَ مِنْ تُرٰابٍ] بحسب مادّتك البعيدة [ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ] بحسب المادّة القريبة [ثُمَّ سَوّٰيكَ رَجُلًا لٰكِنّٰا] اصله لكن انا خفّفت الهمزة وادغم النّون واجرى بالالف وصلاً بنيّة الوقف [هُوَ اللّٰهُ رَبّى وَلَا اُشْرِكُ بِرَبّى اَحَدًا وَلَوْلٰا اِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مٰا شٰاءَ اللّٰهُ] هذا ماشاء الله اوماشاء الله كائن اقراراً بقدرته وانّ الكلّ بمشيّته [لَا قُوَّةَ اِلَّا بِاللّٰهِ] مقول القول اومستأنف من الصّاحب [اِنْ تَرَنِ اَنَا اَقَلَّ مِنْكَ مٰالًا وَوَلَدًا فَعَسىٰ رَبّى اَنْ يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِنْ جَنَّتِكَ] فى الدّنيا اوفى الآخرة [وَيُرْسِلَ عَلَيْهٰا حُسْبٰانًا] جمع حسبانة بمعنى الصّاعقة [مِنَ السَّمٰاءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا] يزلق عليها لعدم نبات وشجر فيها، وكثيراً مايقال: ارض زلق لمالانبات فيها [اَوْ يُصْبِحَ مٰاؤُهٰا غَوْرًا] غائراً فى الارض [فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا] بتنقية مجراه وتجديد منبعه واخراج الماء منه [وَاُحِيطَ بِثَمَرِهِ] اهلك امواله تماماً اوثمر جنّته كما قال له صاحبه وانذره، **نقل عن الخبر** انّ الله ارسل عليها ناراً فاهلكها وغار ماؤها [فَاَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ] يعنى على فخذيه لغاية تحسّره فانّ المتحسّر يضع كفّيه على فخذيه ويضربهما على فخذيه ظهراً وبطناً اويقلّب كفّيه لغاية تحيّره فانّ المتحيّر يقلّب كفّيه [عَلىٰ مٰا اَنْفَقَ فِيهٰا] تحسّراً على ماانفق فيها [وَهِيَ خٰاوِيَةٌ عَلىٰ عُرُوشِهٰا] ساقطة كرومها على عروشها التى كانت الكروم عليها [وَيَقُولُ يٰا لَيْتَنِى لَمْ اُشْرِكْ بِرَبّى اَحَدًا] تذكّراً لما خوّفه به صاحبه [وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِئَةٌ يَنْصُرُونَهُ] بدفع الاهلاك اوردّ المهلك [مِنْ دُونِ اللّٰهِ وَمٰا كٰانَ مُنْتَصِرًا] بنفسه عن اهلاك الله وممتنعاً عنه [هُنٰالِكَ الْوَلٰايَةُ لِلّٰهِ الْحَقِّ] فى موضع تعليل والولاية بالفتح التّصرّف والنّصرة والتّربية وبالكسر السّلطنة والامارة وقرئ بهما، وهنالك اسم اشارة يشار به الى المكان والمراد به مرتبة من النّفس لتشبيهها بالمكان يعنى فى تلك الحال التى تنقطع آمال النّفس من كلّ ما سوى الله يظهر لها انّ الولاية لله الّذى يظهر

انّه كان حقّاً لاغير، ولذلك كانت ولايته باقية وولاية غيره باطلة فائدة التّوصيف الاشعار بظهور كونه تعالى حقّاً حينئذٍ وكون غيره باطلاً، ولا يخفى على المستبصر تأويل الآية وتنزيلها على موسى الفقير العقل وفرعون الغنيّ النّفس، وصفحتي النّفس العلّامة والعمّالة اللّتين هما جنّتان كثيرتا الثّمار والاجل الّذى هو مهلك الجنّتين ويبيّن هذا التّأويل قوله واضرب لهم مثل الحيوة الدّنيا [هُوَ خَيْرٌ ثَوٰاباً] حال من الله او استيناف جواب لسؤال مقدّر يعنى هو بذاته ثواب للمتّقين الكاملين فى التّقوى وهو خير من كلّ ثواب [وَخَيْرٌ عُقْباً] وهو بذاته عاقبة لاهل التّقوى ولا عاقبة احسن منه [وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلَ الْحَيٰوةِ الدُّنْيٰا] اصله اضرب الاسماع بمثل الحيوة الدّنيا لكنّه لكثرة الاستعمال حذف الاسماع و اقيم المثل مقامه و اريد منه معنى اذكر او اجر او صيّر وعلى الاوّلين فقوله [كَمٰاءٍ أَنْزَلْنٰاهُ مِنَ السَّمٰاءِ] حال من المثل اومستأنف بتقدير مبتدء، وعلى الثّانى فهو مفعول ثان لاضرب [فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبٰاتُ الْأَرْضِ] بعد نبته و نموّه واشتداده فصار مصفرّاً ومبيضّاً [فَأَصْبَحَ هَشِيماً] منكسراً [تَذْرُوهُ الرِّيٰاحُ] تفرّقه وللاشارة الى سرعة زوالها اتى بالفاء دون ثمّ [وَكٰانَ اللّٰهُ عَلىٰ كُلِّ شَيْءٍ] من انزال الماء وانبات الارض و جعل النّبات مشتدّاً مختلطاً ثمّ جعله يابساً هشيماً متفرّقاً ومن نفخ الرّوح واحياء البدن الجماد بالحيوة العرضيّة الدّانية وجعل قواه مشتدّة قويّة ثمّ جعل البدن ذابلاً وجعل قواه ضعيفة بعد قوّتها ثمّ نزع الرّوح منه وجعله وجعل قواه غير مقتدرة على التّماسك والتّمانع [مُقْتَدِراً] وبعد ما ذكر عدم بقاء الحيوة الدّنيا وانّ نضرتها ايّام قلائل لاينبغى ان يغترّ بها العاقل ذكر اصول مايتعلّق به النّفوس فى الحيوة الدّنيا وتهتمّ فى جمعه وحفظه واضافها الى تلك الحيوة اشعاراً بسرعة زوالها وانّ العاقل لاينبغى ان يهتمّ بشأنها بل ينبغى ان يهتمّ بشأن ماهو باق نافع له فقال [اَلْمٰالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيٰوةِ الدُّنْيٰا] فتزول بزوالها [وَالْبٰاقِيٰاتُ الصّٰالِحٰاتُ] لا الزّائلات الفاسدات وهى ما تهتمّ به النّفوس من المال والبنين وما يتبعهما وما يلزمهما [خَيْرٌ] من المال والبنين وان كانا خيراً فى انظاركم اوخيراً فى الواقع [عِنْدَ رَبِّكَ ثَوٰاباً وَخَيْرٌ أَمَلاً] فينبغى ان يطلبها الانسان ويجعلها مأمولة دون المال والبنين، والمراد بالباقيات الصّالحات كلّما يفعله الانسان بحكم العقل لابحكم النّفس، وبعبارة اخرى كلّ فعل يبقى اثره فى الكلمة الباقية من الانسان وهى صفحة النّفس الباقية وبعبارة اخرى كلّما يفعله من وجهته الولويّة التّكوينيّة وهى وجه الله الباقى الظّاهر بالولاية التّكليفيّة الحاصلة بالمبايعة الباطنة الايمانيّة، ولمّا لم يكن لها اختصاص بفعل خاصّ وعمل مخصوص اختلف الاخبار فى تفسيرها، فقد فسّرت فى الاخبار بصلوة اللّيل، وبمطلق الصّلوة، وبالصّلوات الخمس المفروضة، وبالتّسبيحة الكبرى، وبالاولاد الصّالحين، وبالاشجار المثمرة الّتى يغرسها الانسان، وباصل كلّ الصّالحات وهى الولاية، وبالمحبّة اللّازمة للولاية اوالمستتبعة لها [وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبٰالَ] بجعلها هباءً منبثّاً فى الجوّ وهو عطف على عند ربّك اوهو بتقدير ذكر والجملة عطف باعتبار المعنى [وَتَرَى الْأَرْضَ بٰارِزَةً] من تحت الجبال وخلف التّلال بحيث لايكون فيها تلال ووهاد [وَحَشَرْنٰاهُمْ] للحساب فى تلك الارض البارزة والجملة امّا حال، وماضويّتها بالنّسبة الى عاملها، اوعطف وماضويّتها لتحقّق وقوعها [فَلَمْ نُغٰادِرْ مِنْهُمْ أَحَداً] لا محسناً ولا مسيئاً [وَعُرِضُوا عَلىٰ رَبِّكَ صَفًّا] مصطفّين صفوفاً عديدة كماورد انّهم فى ذلك اليوم مائة وعشرون الف صفّ وذلك بحسب مراتبهم فى القرب والبعد، فانّ بنى آدم بحسب الظّاهر نوع واحد ولكنّهم بحسب الباطن انواع عديدة ولهم مراتب عديدة وكلّ نوع منهم فى مرتبة منها مصطفّ بحسب افراده، ولكلّ

مرتبة وصفّ نبيٌّ وامامٌ غير من كان للصفّ الآخر ولذلك كانت الانبياء (ع) بعدد الصفوف مائة وعشرين الفاً بحسب عدد مراتب بني آدم [لَقَدْ جِئْتُمُونَا] استيناف جواب لسؤال مقدّر كانّه قيل: وما تفعل بهم؟ـ وما تقول لهم؟ـ فقال: نقول لهم لقد جئتمونا، او حال عن فاعل نسيّر او فاعل حشرنا او مفعوله او فاعل لم نغادر او ضمير منهم او فاعل عرضوا منفرداً او على سبيل التنازع والكلّ بتقدير القول يعني نقول لهم لقد جئتمونا منفردين عن الازواج والاولاد والعشائر والمؤانسين وعمّا كسبتم في الدّنيا من المعايش وعمّا كسبتم من العلوم والصّنائع الخياليّة الدّنيويّة؛ وعمّا اعطيناكم من القوى والمشاعر الدّنيويّة وعن الاعضاء والآلات البدنيّة الطّبيعيّة، وعمّن اتّخذتم اولياء من دون الله وذلك كقوله تعالى لقد جئتمونا فرادى [كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ] عراة عن ذلك كلّه والتّقييد بأوّل مرّة للاشارة الى انّ الاعادة خلقة اخرى ثانية او للاشارة الى انّ الانسان من بدو خلقته كلّ آن في خلقة اخرى ثانية بناءً على الحركة الجوهريّة، اوعلى تجدّد الامثال، اوعلى تحلّل بدنه واتّحاده مع بدنه، اوعلى تبدّل كيفيّاته [بَلْ زَعَمْتُمْ] لمّا كان قوله لقد جئتمونا ردّاً عليهم في زعمهم عدم البعث كانّه قال لقد جئتمونا وما زعمتم المجيء بل زعمتم عدمه حسن الاتيان بكلمة بل [أَلَّنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِداً وَوُضِعَ الْكِتَابُ] اى كتب اعمال الخلائق على ان يكون اللّام للاستغراق، او الكتاب الّذي فيه اعمال الخلائق من الالواح العلويّة على ان يكون اللّام للعهد، او وضع الكتاب كناية عن نشر الحساب اذ المحاسب يضع كتاب الحساب بين يديه والمراد بوضع الكتاب على الاوّلين وضعه بين ايديهم، او على ايمانهم، وشمائلهم او في الميزان بناء على انّ صحائف الاعمال توزن [فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ] ممّا ثبت فيه من صغائر ذنوبهم وكبائرها [وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا] على طريق يا حسرتنا من تنزيل الاعراض منزلة ذوي العقول ثمّ ندائها [مَالِ هَذَا الْكِتَابِ] تعجّبوا منه ومن احصائه جميع اعمالهم وقد رسم في المصاحف فصل لام لهذا الكتاب من مدخوله اشعاراً بانّهم من غاية دهشتهم يقفون على الجارّ الّذي هو كالجزء من الكلمة [لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً] فعلة صغيرة او سوأة صغيرة [وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا] الّا عدّها [وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا] جزاء ما عملوا او نفس ما عملوا ابناءً على تجسّم الاعمال او رسم ما عملوا في الكتاب [حَاضِراً] والاوّلان اولى للتّأسيس [وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَداً] بنقص ثواب منه او بالعقوبة له من غير استحقاق، او باظهار مساويه واخفاء محاسنه، او بنسبة ما لا يفعله من المساوي اليه، في الخبر: اذا كان يوم القيامة رفع الى الانسان كتابه ثمّ قيل: اقرأ فيقرأ ما فيه فيذكره فما من لحظة ولا كلمة ولا نقل قدم إلّا ذكره كانّه فعله تلك السّاعة فلذلك قالوا: يا ويلتنا (الآية) [وَإِذْ قُلْنَا] عطف على عند ربّك والمعنى انّ الباقيات الصّالحات خير ثواباً في الابد والازل، او عطف على يوم نسيّر الجبال بتقدير ذكّر اى ذكّرهم وقت قولنا قبل خلقتهم [لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ] قد سبق تفصيله في البقرة [أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي] يعني انّه لم يطع ربّه الّذي خلقه وربّاه وانعم عليه فلا ينبغي ان يجعل ولياً فانّ الخارج عن امر المنعم لا يأتي منه الاحسان [وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ] والحال انّهم مع الخروج عن طاعة الرّبّ لكم عدوّ فلا ينبغي ان تتّخذوهم اولياء يعني انّهم في انفسهم لا يستحقّون الولاية وبالاضافة اليكم ايضاً لا يستحقّونها [بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ] بجعل الولاية لغير المستحقّ او هو وجه آخر للمنع عن اتّخاذه ولياً كانّه قال: وهو للظّالمين وليّ ومن كان للظّالمين ولياً لا ينبغي

ان يتّخذ وليّاً [بَدَلًا] من الله [مَا أَشْهَدْتُهُمْ] ما أشهدت ابليس وذرّيّته ، اوما أشهدت المشركين كما روى انّ رسول الله (ص) قال: اللّهمّ اعزّ الاسلام بعمر بن الخطّاب اوبأبي جهل بن هشام فأنزل الله هذه الآية ، وعلى الاوّل فهو وجه آخر للمنع من جعل ابليس وذرّيّته اولياء يعني ما احضرتهم [خَلْقَ السَّمٰوٰاتِ وَالْأَرْضِ] فكيف يكونون خالقيهما اومتصرّفين فيهما ، ومن لا تسلّط ولا تصرّف له فيهما لا ينبغي أخذه وليّاً [وَلَا خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ] فهم غير شاعرين بكيفيّة خلقتهم فكيف بخلقة غيرهم والتّصرّف فيه [وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا] وضع الظّاهر موضع المضمر اشعاراً بعلّة الحكم وذمّ آخر لهم وهو ايضاً وجه آخر للمنع من ولايته [وَيَوْمَ يَقُولُ] عطف على عند ربّك اوعلى يوم نسيّر الجبال بتقدير ذكرهم [نَادُوا شُرَكَائِيَ] على زعمكم والمراد بالشّركاء أعمّ من الشّركاء في الوجوب والآلهة والعبوديّة والطّاعة والولاية والوجود [الَّذِينَ زَعَمْتُمْ] انّهم شركاء [فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ مَوْبِقًا] اى بين المشركين والشّركاء موبقاً لا يصل بعضهم الى بعض ، اوجعلنا وصلهم في الدّنيا سبب هلاكهم في الآخرة كما قيل : انّ بين بمعنى الوصل [وَرَأَ الْمُجْرِمُونَ النَّارَ] وضع الظّاهر موضع المضمر اشعاراً بعلّة الحكم وتهديد الغير المشركين من المجرمين واشارة الى ذمّ آخر وتطويلاً في مقام الذّمّ [فَظَنُّوا] ايقنوا كما سبق انّ يقين ارباب النّفس ظنّ لا يقين [أَنَّهُمْ مُوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هٰذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ] بتذكّر ويعتبر ويدرك به الحقّ والانسان لغلبة النّسيان والغفلة عليه لا يتذكّر ويخفى عليه الحقّ [وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ] يتأتّى منه الجدل [جَدَلًا] وخصومة فانّ الانسانيّة المقتضية لادراك الكلّيّات وتدبير الامور تقتضي الفحص عن الامور وردّ المردود وقبول المقبول ، وبما ذكرنا ظهر وجه الاتيان بالنّاس اولاً وبالانسان ثانياً [وَمَا مَنَعَ النَّاسَ] كلمة مانافية اواستفهاميّة، والاتيان بالنّاس للاشعار بانّ مادّة الانكار وعدم الاستغفار هي النّسيان [أَنْ يُؤْمِنُوا] بالايمان الخاصّ والبيعة مع عليّ (ع) بقرينة [إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدٰى] فانّ الهداية خاصّة بشأن الولاية كما انّ الانذار خاصّ بشأن النّبوّة كما قال: انّما انت منذرٌ ولكلّ قوم هادٍ [وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ] بالاستغفار الحاصل في ضمن البيعة و الايمان فيكون تفصيلاً لان يؤمنوا باعتبار بعض اجزائه اوبالاستغفار العامّ الحاصل بالنّدم على المساوى وطلب المغفرة لساناً [إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ] الّا انتظار ان تأتيهم سنّة الله في الاوّلين من احلال العذاب بهم في الدّنيا اواستعداد ان تأتيهم سنّة الاوّلين من العناد واللّجاج مع اهل الحقّ ، وعلى هذا فلا حاجة في قوله [أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ] الى التّخصيص بعذاب الآخرة [قُبُلًا] مقابلاً مشهوداً [وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ] فانّ الرّسول لامحالة يكون جامعاً بين جهتي التّبشير والانذار ليصرف الخلق بالانذار عن دواعي النّفس ويقرّبهم بالتّبشير الى موائد الآخرة المسبّبة عن اقتضاء العقل، ولمّا كان التّبشير من جهة ولايته والانذار من جهة رسالته وكان الرّسول في الاغلب مخاطباً من جهة رسالته لظهورها فيه قال: انّما انت منذرٌ بطريق الحصر يعني من جهة رسالتك [وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ] بالقول الباطل كقولهم ما انتم الّا بشرٌ، مثلنا باعتقاد انّ البشريّة تنافي الرّسالة اوبالسّبب الباطل وهو النّفس والشّيطان [لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ] ليزيلوا بالجدل اوبالمبدء الباطل الحقّ عن الثّبات والاستقرار

[وَاتَّخَذُوا اٰيٰاتِي وَمَا اُنْذِرُوا هُزُوًا] واعظم الآيات الانبياء والاولياء(ع) [وَمَنْ اَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِاٰيٰاتِ رَبِّهِ] من الانبياء والاولياء(ع) وكتبهم السماويّة ومواعظهم الوافية وسائر الآيات الآفاقيّة والانفسيّة، والمقصود ههنا الانبياء والاولياء(ع) فانّهم الآيات العظمى واسباب ظهور سائر الآيات من حيث انّها آيات [فَاَعْرَضَ عَنْهَا] لعدم الاقبال على الانبياء(ع) وعدم قبول مواعظهم والعناد معهم وعدم التّدبّر لسائر الآيات وعدم التّنبّه بها [وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ] من المساوى فانّ التّوجّه الى الانبياء والاولياء(ع) سبب ظهور المساوى وهو سبب كلّ خير كما ورد: اذا اراد الله بعبد خيراً بصّره عيوب نفسه واعماه عن عيوب غيره، واذا اراد الله بعبد شرّاً بصّره عيوب غيره وأعماه عن عيوب نفسه، والاعراض عنهم سبب للغفلة عن سائر الآيات ونسيان المساوى عن نفسه وظهور مساوى غيره [اِنَّا جَعَلْنَا عَلٰى قُلُوبِهِمْ اَكِنَّةً] استئنافٌ، تعليلٌ للاعراض عن الآيات وتسلية له (ص) لانّه كان يتحسّر على اعراضهم وعدم قبولهم، اوجوابٌ للسّؤال عن حالهم وعمّا ادّى اليه اعراضهم [اَنْ يَفْقَهُوهُ] كراهة ان يفقهوه اولان لايفقهوه بحذف اللّام ولا النّافية، وتذكير الضّمير وافراده باعتبار القرآن الّذى هو مصداق الآيات ومظهرها ومُظهرها، ويحتمل ان يكون قوله: انّا جعلنا، جواباً عن السّؤال عن علّة عدم التّدبّر فى القرآن الّذى به يهتدى الى سائر الآيات ويتنبّه لها كأنّه قيل: لم لايتدبّرون القرآن حتّى يتذكّروا بسائر الآيات ويُقبلوا عليها؟ـ فقال: انّا جعلنا على قلوبهم اكنّة ان يفقهوا القرآن، ويحتمل ان يكون كلاماً منقطعاً عن سابقه من قبيل المخاطبات الّتى تكون بين الاحباب بحيث لايطّلع عليها رقيب ويكون جواباً عن تحيّره فى عدم قبولهم قوله (ص) فى علىّ (ع) وولايته كأنّه قال: مالك تتحيّر فى عدم قبولهم قولك فى ولاية علىّ (ع) انّا جعلنا، اومالك تتحسّر على اعراضهم عن علىّ (ع) انّا جعلنا، ولمّا كان طريق النّجاح منحصراً فى التّحقيق والتّفقّه الّذى هو شأن القلب والتّقليد من صادقٍ والتّسليم الّذى يحصل بالسّماع والانقياد للمسموع كما اشار اليهما بقوله: لمن كان له قلب اوالقى السّمع وهو شهيدٌ قال تعالى كراهة ان يفقهوه تحقيقاً [وَفِي اٰذَانِهِمْ وَقْرًا] يمنعهم عن السّماع والتّقليد كراهة ان يسمعوه ويقبلوه تقليداً [وَاِنْ تَدْعُهُمْ اِلَى الْهُدٰى] كالنّتيجة للسّابق يعنى اذا كان على قلوبهم اكنّة وفى آذانهم وقر، فان تدعهم الى الهدى [فَلَنْ يَهْتَدُوا اِذًا اَبَدًا] لانحصار طريق الهداية فى التّحقيق والتّقليد وهم ممنوعون من كليهما [وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُمْ بِمَا كَسَبُوا لَعَجَّلَ لَهُمُ الْعَذَابَ] يعنى انّ طبع القلوب ووقر الاذان بسبب عملهم ومن رحمته لايعجّل لهم العذاب [بَلْ لَهُمْ] اى لعذابهم [مَوْعِدٌ] يعنى القيامة اوحين الموت اويوم بدر كما قيل ان كان الاضراب عمّا يتوهّم من عدم العذاب رأساً، اوالمعنى بل لمغفرتهم ونزول الرّحمة بهم بحيث يظهر لكلّ احدٍ موعد هو يوم القيامة ان كان الاضراب عمّا يتوهّم من العذاب بعد عدم التّعجيل [لَنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ] من دون الله اومن دون الموعد [مَوْئِلًا] ملجأً، وهو استيناف اوحال اوصفة لموعد [وَتِلْكَ الْقُرٰى] اى قرى الامم الماضية [اَهْلَكْنَاهُمْ] من قبيل الاستخدام اوبتقدير المضاف فى المرجع، اوبارادة الاهل من القرى مجازاً [لَمَّا ظَلَمُوا] انفسهم بالمعاصى والاعراض عن الآيات اوظلموا الآيات بالعناد اوالخلق بالصدّ والمنع من الآيات وهو تعريض بامّة محمّد (ص) وتحذير عن الاعراض عن الآيات وترغيب فى الاقبال عليها وقبول قوله (ص) فى علىّ (ع) [وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ] اى لهلاكهم اواهلاكهم على قراءة فتح الميم وضمّه [مَوْعِدًا] لايتجاوزون عنه فلاتغترّوا يا امّة محمّد (ص) بالامهال وعدم التّعجيل فى المؤاخذة، وفسّر المهلك بنار الآخرة،

٦٠ والموعد بالقيامة [وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَاهُ] واذكر تعلّماً اوذكّر تعليماً.

اعلم، انّ فى قصّة موسى (ع) وخضر (ع) انواعاً من العبر وتعليماً لكيفيّة الطّلب وانّ الطّالب لطريق الآخرة ينبغى ان يكون همّته الوصول الى الانسان الكامل الّذى هومجمع بحرى الوجوب والامكان ومرآة تمام الاسماء والصّفات الحقيّة وجميع الحدود والتّعيّنات الخلقيّة وان يكون له عزم فى الطّلب الى انقضاءعمره، وتعليماً لكيفيّة المسئلة بعدالوصول ليحصل له القبول، ولكيفيّة الصّحبة بعدالقبول، وبياناً لاوصاف الشّيخ وانّ الشّيخ كيف ينبغى ان يربّى ويروّض، وبياناً لتمام مقامات السّالكين الى الله كما يأتى كلّ فى مقامه. والفتى والفتاة يقالان للعبد والامة، وللخادم والخادمة، وللمطيع والمطيعة، وللمؤمن والمؤمنة، ولصاحب الفتوّة الّذى يؤثر على نفسه ولوكان به خصاصة، وللشّاب والشّابّة، والمراد به ههنا يوشع بن نون (ع) وصىّ موسى (ع) ودليل ارشاده وواسطة بيعته وخليفة نبوّته وكان فتاه بتمام معانيه حيث انّه باع نفسه من الله بواسطته، وكان خادمه ومطيعه، ومؤثراً له على نفسه وشاباً بروحه، وكان سبب طلب موسى (ع) بعد مقام الرّسالة وفضل العزم كما يستفاد من الاخبار انّه لمّا كلّمه الله وآتاه الالواح وفيها كما قال الله: وكتبنا له فى الالواح من كلّ شيء موعظة وتفصيلاً لكلّ شيء رجع الى بنى اسرائيل فصعد المنبر واخبرهم بما اعطاه الله، فدخل فى نفسه انّه ماخلق الله خلقاً أعلم منه فأوحى الله الى جبرئيل: ادرك موسى (ع) فقد هلك وأعلمه انّ عندملتقى البحرين عندالصّخرة رجلاً اعلم منك فصر اليه وتعلّم من علمه، فنزل جبرئيل (ع) واخبره وذلّ موسى (ع) فى نفسه وعلم أنّه اخطأ ودخله الرّعب وامر فتاه يوشع (ع) ان يتزوّد لطلب ذلك الرّجل.

اعلم، انّ العجب ورؤية الكمال من النّفس من اعظم المهلكات فانّه اصل معظم المعاصى واوّل معصية وقعت فى الارض لانّه الّذى منع ابليس من السّجود واوقعه فى الاستكبار، ثمّ الحقد والعداوة، ثمّ المكر والخديعة اعاذنا الله منه وجميع المؤمنين، بل نقول: ارسال الرّسل وانزال الكتب ومعاناة الانبياء (ع) ومقاساة الاولياء (ع) وطاعات الخلق ومجاهداتهم وامتحان الله لهم وابتلاؤهم بانواع البلاء لخروجهم من الانانيّة ورؤية النّفس ولذلك قيل: تمام اهتمام المشايخ فى تربية السّالك لان يخرجوا من الانانيّة ونسبة شيء من الافعال والاوصاف الى انفسهم فاذا رأى الشّيخ من السّالك رؤية النّفس والاعجاب بها انزجر منه كمال الانزجار [لَا أَبْرَحُ] عن السّير والطّلب [حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ] بحرى الرّوم والفارس الّذى وعدالله تعالى موسى (ع) لقاء مجمع بحرى الامكان والوجوب عنده [أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا] الحقب الدّهر والزّمان لكن المراد كما فسّر فى الخبر ثمانون سنة دلّ موسى (ع) بلفظ لا ابرح الّذى يدلّ على دوام السّير ولفظ الحقب الّذى هومنتهى ما يمكن من عمره على ثبات عزمه على الطّلب بحيث لا يشغل بغيره حتّى يصل الى مطلوبه اويفنى عمره فى طلبه، والمقصود من نقله تعليم طريق الطّلب وثبات العزم عليه وانّ الطّالب لطريق الآخرة ينبغى ان يكون كذلك والّا رجع بخفّى حنين [فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا] تركاه غفلة منه اونسيا امره حين حيي ودخل البحر ونسى يوشع (ع) ان يخبر موسى (ع) بأمره وقد كان علامة لقائه العالم حيوة الحوت المملوح كما سيجيء الاشارة اليه، ونسبة النّسيان اليهما مع انّه كان من يوشع (ع) من باب التّغليب وهو تغليب شائع كثير غالب على لسان العرف [فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا] سلوكاً اوسالكاً، مصدر من غير لفظ الفعل اوحال، وقد اختلف الاخبار اختلافاً كثيراً فى ذكر الحوت وكونه علامة للوصول الى العالم وكيفيّة حيوته وانفلاته الى البحر وكيفيّة نسيانه، والسّر فى اختلافها الاشعار بالتّأويل وانّ صورة التّنزيل عنوان لحقيقة التّأويل فانّ تنزيله كما يستفاد من مجموع الاخبار ما حاصله انّ موسى (ع) قال لجبرئيل (ع) باىّ علامة اعرف الوصول الى مجمع البحرين؟ قال: آيتك ان تحمل معك حوتاً فاذا انتعش وحيى دلّك على

وصولك فحملا حوتاً وسارا ومرّا برجلٍ ولم يعرفاه فقام موسى (ع) يصلّي واخرج يوشع (ع) الحوت ووضعه على حجرٍ فحيي اوغسّله في ماء عين الحيوان فحيي وافلت من يده ودخل البحر، اوقطر قطرة في المكتل فاصابه وحيي ونسي يوشع (ع) ان يخبر موسى (ع) اوتركاه على الصّخرة وسارا من ذلك الموضع [فَلَمَّا جَاوَزَا] الموضع عيا وكان موسى (ع) لم يعي في سفرٍ قطّ اوفي هذا السّفر الّا في هذا السّير حين جاوزا مجمع البحرين و [قَالَ لِفَتَيٰهُ آتِنَا غَدَاءَنَا] الغداء ما يتغدّى به في الصّباح [لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَٰذَا] في ابدال اسم الاشارة اشعارٌ بانّه لم يعي قبل ذلك في سفرٍ [نَصَبًا] عياءً [قَالَ أَرَأَيْتَ] كلمة تعجّب في العرب والعجم بلفظها وترجمتها والاصل: ارأيت مادهاني ؟ [إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ] فحذف الموصول وصلته واقيم الظّرف مقامه، اوالاصل ارأيت بليّة اذ اوينا، فحذف المضاف وابقي المضاف اليه، اوالظّرف بنفسه مفعول على طريق المجاز العقليّ، اوالمفعول محذوف، واذ أوينا مستأنف مفسّر للمفعول المحذوف، ولفظة اذ متعلّق بمحذوفٍ مفسّر بقوله [فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ] اي تركته على الصّخرة اونسيت امره الغريب ان اذكره لك حين حيي وافلت الى البحر، وذكرانّه للكثرة ماكان يرى من امثاله من موسى (ع) لم يكن يبالي به وبذكره [وَمَا أَنْسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ] لك اواتذكّره [وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا قَالَ ذَٰلِكَ] اي امر الحوت لانّه كان دليلاً على المطلوب، اوالرّجل المستلقى عند الصّخرة [مَا كُنَّا نَبْغِ] حذف اللّام للوصل بنيّة الوقف اشعاراً بعدم تمام الطّلب والسّلوك مع الخضر (ع) [فَارْتَدَّا عَلَىٰ آثَارِهِمَا] في الطّريق الّذي جاء فيه طلباً للموضع والرّجل الّذي كان في ذلك الموضع [قَصَصًا] يقتصّان آثارهما قصصاً، اومقتصّين، اوهو مصدر من غير لفظ الفعل [فَوَجَدَا] بعد الانتهاء الى الموضع [عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا] شرّفه تعالى بالعبديّة والاضافة الى نفسه [آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا] ثمّ وصفه بايتاء الرّحمة وخصّها بكونها من عنده اشارة الى الرّحمة الخاصّة الّتي هي مقام الولاية، فانّ الرّحمة العامّة الّتي هي من اظلال اسم الرّحمن يؤتيه لكلّ احدٍ بل لكلّ موجودٍ لانّ ظهور الاشياء ووجودها وقوامها وبقاءها تكون بها، والرّحمة الخاصّة الّتي هي من اظلال اسم الرّحيم تكون لكلّ من قبل الدّعوة العامّة وباع البيعة النّبويّة، ولكلّ من قبل الدّعوة الخاصّة وباع البيعة الولويّة؛ لكنّها لا تكون من عندالله بل من عند خلفائه فلاتوصف بكونها من عندالله، والرّحمة الموصوفة بكونها من عندالله هي الّتي تحصل للسّالك بعد انتهاء سلوكه بحسب استعداده وفنائه عن ذاته وبقائه بالله بعد فنائه واستخلاف الله اياه لدعوة عباده الدّعوة الباطنة اوالدّعوة الظّاهرة وهي المسمّاة بالولاية والموصوفة بكونها من عندالله، وفيه اشارة الى كون الخضر (ع) وليّاً داعياً الى الله بخلافته، واماّ كونه نبيّاً فلايستفاد منه، وفي بعض الاخبار انّه كان نبيّاً ايضاً، ويمكن حمل مافي الاخبار من كونه نبيّاً على خلافة النّبوّة فانّ الولي من حيث تعليمه للعباد احكام القالب له خلافة النّبوّة كما قيل: الشّيخ في قومه كالنّبيّ في امّته [وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا] وصفه بتشريف تعليمه وكون التّعليم من لدنه وكون ما علّمه من لدنه علماً لاصنعةً فانّ تعليم الانبياء والاولياء (ع) تعليم الله لكنّه ليس من لدنه بل من لدن خلفائه وكون التّعليم من لدنه قد يتعلّق بالصّنعة كما في قوله تعالى: وعلّمناه صنعة لبوسٍ لكم؛ فقد اشار تعالى الى اوصاف سبعة للخليفة والشّيخ:

اوصاف الوليّ وهي سبعة

وانّ الدّاعي الى الله ينبغي ان يكون متّصفاً بتلك الاوصاف، **الاوّل** العبديّة والخروج من حكم نفسه والدّخول في حكم غيره، **والثّاني** العبديّة لله تعالى فانّ الخروج من حكم النّفس والدّخول في حكم الغير اعمّ من الدّخول في حكم الله فانّ المريد داخل في حكم المراد والمطيع

فی حکم المطاع ولیس بداخل فی حکم الله بلاواسطة ، **والثّالث** ایتاء الرّحمة ، **والرّابع** ایتاء الرّحمة الخاصّة الموصوفة بکونها من عنده ، **والخامس** تعلیم الله ، **والسادس** کون التّعلیم من لدنه ، **والسّابع** تعلّق التّعلیم بالعلم لا بالصّنعة وقد ذکر الاوصاف علی ترتیبها الحاصل للسّالک فانّ العبدیّة لخلفاء الله مقدّمة علی العبدیّة له بلاواسطة ، والعبدیّة له مقدّمة علی ایتاء الرّحمة ، وایتاء الرّحمة مطلقة مقدّم علی صیرورتها من عنده ، وصیرورة الرّحمة من عندالله مقدّمة علی التّعلیم ، فانّ المراد بالتّعلیم ههنا تعلیم احکام الکثرة من حیث الدّعوة والتّأدیة الی الله ، وصیرورة التّعلیم لدُنیّاً متأخّرة عن التّعلیم المطلق ومقدّمة علی تعلیم العلم من لدن الله ، وقد ذکر قصّة ملاقاتهما ومخاطباتهما فی المفصّلات [قَالَ لَهُ مُوسٰی] بعد الملاقاة واتمام التّحیّة وماجری بینهما من المخاطبات [هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلٰی أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا] مفعول تعلّمنی اوحال من فاعل اتّبعك اومفعوله اوکلیهما اومن فاعل تعلّمنی اومفعوله اوکلیهما اومن مرفوع علّمت اوتمیز مبیّن لکلمة ما اومبیّن لنسبة اتّبع الی الکاف اومصدر لقوله اتّبعك بتقدیر مضاف ای اتّباع رشد اومصدر لقوله تعلّمنی اوعلّمت بتقدیر مضاف ای تعلیم رشد اومصدر لفعل محذوف حالاً ممّا سبقه اومنقطعاً عمّا قبله دعاء اوتعلیلاً اومفعول له حصولیّ اوتحصیلیّ محتمل التّعلیل لکلّ من الافعال الثّلاثة، ویحتمل جریان بعض وجوه رشداً بالنّسبة الی قوله قال له علی بُعد . والمراد بالرّشد الاهتداء الی تنظیم المعاش وحسن المعاشرة مع النّاس بحیث یؤدّی الی حسن المعاد واستحقاق الاجر من الله ویعبّر عنه بسیاسة المدن والاهتداء الی سیاسة النّفس وکلّ من کان تحت الید من القوی والجوارح والاهل والعیال وادخالهم تحت حدود الله ویعبّر عنه بتدبیر المنزل والاهتداء الی اصلاح النّفس بتخلیتها عن الرّذائل وتحلیتها بالخصائل، ویعبّر عنه بتهذیب الاخلاق. وامّا العقائد الحقّة الثّابتة الجازمة فهی وان کانت اصل الرّشد وبدونها لایحصل الرّشد لکن لا یطلق الرّشد علیها فی الغالب وهی کانت حاصلة لموسی(ع) ویعبّر عن الاوّلین بالسّنّة القائمة ، وعن الثّالث بالفریضة العادلة ، وعن الرّابع بالآیة المحکمة ، والیها اشیر فی الحدیث النّبویّ حیث قال: انّما العلم ثلاثة آیة محکمة ، اوفریضة عادلة، اوسنّة قائمة. ولقد اجاد(ع) فی الطّلب حیث تنزّل عن مقامه العالی الی مقام الفقیر المحتاج وابرز الطّلب والسّؤال بصورة الاستفهام لا الامر المشترك بین الامر والسّؤال ، وفی حکایته تعلیم للعباد وانّ من أراد العلم والارادة کیف ینبغی ان یطلبوا العلم والارادة للعالم والشّیخ وتنبیه علی انّ المرء وان کان ذافضائل کثیرة ومراتب علیّة لا ینبغی ان یتأنّف عن التّعلّم بل ینبغی ان یطلب ما افتقده عمّن یعلم انّ المفقود عنده وان کان الّذی عنده المفقود ادون منه ولاینظر الی دنوّ رتبته بل یری نفسه من حیث جهله المفقود ادون منه ومحتاجة الیه فیتضرّع عنده ویتکدّی علیه.

بیان النّیابة للرّسالة والولایة

اعلم ، انّ الانبیاء(ع) لهم **مقامات ثلاثة** بحسب نسبتهم الی الخلق : **الاوّل** مقام البشریّة وبه یتعیّشون مثلهم ویأکلون ویشربون ویسعون فی حاجاتهم ویحتاجون فی المعایش الی معاونتهم وهذا الّذی سدّ طریق الخلق عن قبول نبوّتهم وطاعتهم من حیث انّهم یرونهم محتاجین فی المعایش ساعین فی تحصیلها ولایرون منهم مقاماً آخر لاختفائه عن النّظر، ولم یشعروا ایضاً بطریق العلم والبرهان ولابطریق الذّوق والوجدان انّ لهم وراء المرئیّ مقاماً لکون علومهم مقصورة علی ما فی هذه الدّار کما قال تعالی؛ ذلك مبلغهم من العلم ،

اندرین سوراخ بنّائی گرفت در خور سوراخ داتائی گرفت

ولذلك قصروا اوصافهم ومقاماتهم علی المرئیّ فقالوا : ان انتم الّا بشرٌ مثلنا ،

انبیا را مثل خود پنداشتند همسری با انبیا برداشتند

والثّاني مقام الرّسالة وبه يؤسّسون نظام معاش الخلق بحيث يؤدّى الى صلاح الدّارين ويسنّون حدود الله والعبادات القالبيّة وبحسب هذا المقام كانوا يدعون الخلق عموماً باللّطف والقهر والاختيار والاجبار ويأخذون البيعة منهم على شرائطها المقرّرة عندهم، ويسمّى تلك الدّعوة دعوةً ظاهرةً عامّة وهذه البيعة بيعة عامّة نبويّة وبعد هذه البيعة يقع اسم الاسلام عليهم، والثّالث مقام الولاية وبحسب ذلك المقام كانوا يدعون المستعدّين دون غيرهم الى طريق القلب والسّير الى الله والسّلوك الى الآخرة باللّطف فقط من غير قهر واجبار كما قال تعالى: لا اكراه فى الدّين فانّه فى هذه الدّعوة يرتفع الاكراه ولا يتأتّى الاجبار لانّ السّير بها سلوك من طريق القلب الّذى هو مستور عن الانظار ولا يتصوّر فيه الاجبار، وكانوا من هذه الجهة يعلّمونهم احكام القلب ولوازم السّلوك وحدوده بحسب مراتبه وكانوا يأخذون البيعة منهم على شرائطها المقرّرة عندهم ويسمّى تلك الدّعوة والبيعة دعوة خاصّة باطنة وبيعة خاصّة ولويّة، وبعد تلك البيعة يقع اسم الايمان عليهم وفائدة البيعة العامّة والاسلام الدّخول تحت الحدود والاحكام وحفظ الدّماء والاعراض وتصحيح المناكحة والمواريث وغايته قبول الولاية وقبول الدّعوة الباطنة والبيعة الخاصّة، ولمّا كان ذلك يحصل بالانتحال والانقياد لاحكام الشّرع اكتفوا بعد زمن النّبيّ (ص) فى اطلاق اسم الاسلام وجريان احكامه بمحض هذا الانقياد من دون حصوله بالبيعة او بحصوله بالبيعة الفاسدة مع خلفاء الجور بخلاف الايمان، فانّ ثمرته الارتباط والاتّصال باطناً وبذر ذلك الاتّصال لا يحصل الّا بالبيعة والاتّصال الصّوريّ والعقد بالايمان والعهد باللّسان واخذ الميثاق وشراء الانفس والاموال ولذلك التزموا فيه البيعة ولم يرضوا عنها باعتقاد الجنان فقط، ومن هذا يظهر سرّ من اسرار قعود علىّ (ع) فى بيته وارخاء العنان نحواً من خمس وعشرين سنة، وهكذا كان حال اولياء الله (ع) وائمّة الهدى الّا انّ مقام الرّسالة كان لهم بحسب الخلافة لا الاصالة، ومقام الولاية كان بالاصالة فقد كانوا يستنيبون فى كلّ من المقامين او فى كليهما وكانت سلسلة النّيابة جارية بعد الغيبة الكبرى الى زماننا هذا وقد سمّى النّوّاب فى مقام الرّسالة بمشايخ اجازة الرّواية، والنّوّاب فى مقام الولاية بمشايخ اجازة الارشاد، والجامعون بين النّيابتين بكلا الاسمين، ويسمّى الاوّلان بالنّوّاب الخاصّة كما يسمّى غيرهم ممّن نصبوه لامامة الجماعة او لجمع الاموال او غير ذلك بهذا الاسم، ويسمّى الثّالث بالنّوّاب العامّة لعموم نيابتهم فى كلّ ما يرجع الى الامام وقد كانت سلسلة اجازة الرّواية فى مشايخها منضبطةً متّصلةً من زمن المعصومين (ع) الى زماننا هذا، وكذا سلسلة اجازة الارشاد كانت منضبطة متّصلة من الخاتم (ص) بل من زمن آدم (ع) الى زماننا هذا؛ فمن ادّعى الفتيا او الارشاد من غير اجازة من المأذون فى الاجازة من المعصوم (ع) فقد أخطأ وغوى وأغوى، ومن أفتى او أرشد بالاجازة فانّ مدادهم افضل من دماء الشّهداء. وشأن مشايخ الرّواية رضوان الله عليهم تعليم العباد عبادات القالب وسياسة البلاد كالحدود والمواريث وآداب المعاملات والمناكحات ونظرهم الى الكثرات ومراتبها واعطاء كلّ ذيحقّ حقّه من اللّطف والقهر والاعطاء والمنع ولذلك يسمّون بالعلماء لانّ العلم بوجه هو ادراك مراتب الكثرات وحقوقها، وشأن مشايخ الارشاد تعليم احكام القلب والسّلوك الى الله والتّجريد عن الكثرات وعدم الالتفات اليها وتهذيب الاخلاق والاتّصاف بصفات الرّوحانيّين واماتة الغضب والشّهوة ولذلك يسمّون بالحلماء؛ لانّهم اماتوا الغضب ورضوا بقضاء الله، وشأن مشايخ الاجازتين الجمع بين الحقّين وحفظ مراتب الكثرة مع التّمكّن فى مقام الوحدة، والدّعوة الى الوحدة مع الابقاء فى الكثرة والتّصرّف فى النّفوس بجذبها الى الوحدة مع توسعتها فى الكثرة وخلاصتها حفظ جميع المراتب كما ينبغى ولذلك يسمّون بالحكماء. وقد اشير الى الثّلاثة فيما روى عن السّيّد السّجّاد (ع) انّه قال: لو يعلم النّاس ما فى طلب العلم لطلبوه ولو بسفك المهج وخوض اللّجج؛ انّ الله تبارك وتعالى اوحى الى دانيال (ع) انّ امقت عبيدى الىّ الجاهل المستخفّ بحقّ اهل العلم التّارك للاقتداء بهم، وانّ احبّ عبيدى الىّ التّقىّ الطّالب للثّواب

٤٤٣ الجزيل اللّازم للعلماء التّابع للحلماء القابل عن الحكماء ، والمقصود ملازمة العالم من حيث علمه ومتابعة الحليم من حيث حلمه والقبول عن الحكيم من حيث حكمته ، سواء كانت الاوصاف حاصلة لشخص واحد او كان كلّ في شخص. **اذا تمهّد هذا فنقول:** انّ الحكيم قد اغناه الله بعلمه عن علم غيره ولا حاجة له الى الرّجوع الى غيره ، واما العالم الّذى هو شيخ الرّواية فهو غنيّ عن غيره من جهة علم الكثرات ، واما من جهة احكام القلب وتهذيب الاخلاق وعلوم الاسرار فهو محتاج الى غيره فاقد لما هو عند غيره فينبغى له ان يرجع الى الحليم الّذى هو شيخ الارشاد ويأخذ ما افتقده عنه ولا ينبغى له التّأنّف عنه وان يرى نفسه افضل من الحليم، كما انّ موسى (ع) فى كمال مرتبة الرّسالة وكونه من اولى العزم وكمال مرتبة علمه بالكثرات رجع الى الخضر (ع) مع انّ مرتبة الخضر (ع) من هذه الجهة كانت ادون من مرتبته وسأل عنه ما كان عنده فى كمال التّواضع والتّضرّع وحفظ الادب وسؤال الاتّباع والقبول مع تأنّف الخضر (ع) عن القبول واستكباره عليه ، وقد اشير فى الاخبار الى انّ الحافظ لمراتب الكثرات وحقوقها افضل واجمع من المستغرق فى التّوحيد واسراره ، وقد ورد ايضاً انّ موسى (ع) كان افضل من الخضر (ع) لذلك وكذلك ينبغى لشيخ الارشاد اذا لم يحصل له مرتبة اجازة الرّواية ان يرجع الى شيخ الرّواية و يتعلّم منه احكام الكثرات ولا يتأنّف عن الرّجوع اليه بل يتواضع عنده ويتذلّل لديه ويسأل احكام الشّريعة عنه، وينبغى لكلّ ان يأمر اتباعه بالرّجوع الى الآخر فيما عنده حتّى يقع الوداد بين العباد ويرتفع النّزاع والعناد ويستحقّوا الرّحمة والفضل من ربّ العباد وهكذا كان حالهم فى زمن الائمّة (ع) وبعده الى مدّة من الغيبة الكبرى . ثمّ لمّا طال الغيبة واختلط الامّة واختفى المشايخ واشتبه الحال على المتسمّين بالشّيعة وتوسّلوا بعلوم العامّة وصوفيّتهم وحصّلوا علم الشّريعة وآداب الطّريقة لاغراض نفسانيّة واعراض دنيويّة وتشبّهوا بالمحقّين من مشايخ الشّيعة وقع التّحاسد والتّباغض والنّزاع والخلاف بينهم وطعن كلّ فى طريق الآخر وكفّر بعضٌ بعضاً وتفل بعض فى وجوه بعض وماهذا الّا لاهواء كاسدة واغراض فاسدة ، اعاذنا الله وجميع المؤمنين من شرّه فى الدّنيا وتبعته فى الآخرة [قَالَ] الخضر (ع) تتميماً لعزمه وتثبيتاً لقدمه وتكميلاً لتضرّعه واستعداده وتمهيداً لاخذ الميثاق الاكيد عنه [إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا] لانّى وكلت بامر لاتطيقه ووكلت انت بعلم لاتطيقه كما فى الخبر وذلك لانّ موسى (ع) وكّل بعلم الكثرة وحفظ المراتب والنّظر الى الظّواهر وحفظ الحقوق وايصالها الى اهلها واجراء احكام القالب وحدوده، وذلك امر عظيم قلّما يتحمّله الاولياء (ع) الّا من اجتباه الله للرّسالة واستكمله فى مقام الكثرة مع كماله فى التّوحيد كموسى (ع) وان كان غير مطّلع على بعض اسرار التّوحيد وغرائبه ، والخضر (ع) وكّل بامر الولاية واسرارها وغرائب التّوحيد ومن كان حافظاً لاوضاع الشّريعة واحكام الكثرة غير محيط بغرائب الولاية والتّوحيد لا يمكنه تحمّل مايظهر من الغرائب من صاحب الاسرار مخالفاً لاوضاع الكثرة واحكام الشّريعة، وفى الخبر كان موسى (ع) اعلم من الخضر (ع) وفى خبر آخر ولم يكن ذلك باستحقاق للخضر (ع) الرّتبة على موسى (ع) وهو افضل من الخضر (ع) وكأنّه كان عالماً بانّ موسى (ع) لايصير مستكملاً فى الجهتين ولذا اتى بكلمة لن المشعرة بالتّأبيد وقال [وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا قَالَ] موسى (ع) متضرّعا اليه خارجاً من انانيّته متوسّلاً بمشيّة الله تعالى [سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا] فلمّا تضرّع عليه وتوسّل بالمشيّة واعطى الميثاق من نفسه بعدم العصيان قبله وشرط عليه ان لايسأل عن شيء صدر منه وينتظر الاخبار منه من غير استخبار ، وفى حكايته تعليم وتنبيه على طريق المتابعة والارادة بترك الانانيّة والاعتراض والسّؤال وان كان ما يراه مخالفاً لظاهر الشّريعة .

[الجزء السّادس عشر]

[قٰالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلٰا تَسْئَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتّٰى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا] وذلك لانّه اراد تربيته وتكميله بأسرار الولاية وتعليمه آداب السّلوك وكيفيّة التّربية فقبل ذلك الشّرط موسى (ع) لكنّه ما وفى به لثقل ما رآه من الغرائب الّتى كانت مخالفة للشّريعة [فَانْطَلَقٰا] طالبين للسّفينة [حَتّٰى إِذٰا رَكِبٰا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهٰا] تثنية الضّمير مع كونهم ثلاثة لكون يوشع (ع) تابعاً وكونهما مقصودين بالحكاية [قٰالَ] موسى (ع) [أَخَرَقْتَهٰا لِتُغْرِقَ أَهْلَهٰا] استنكر فعله وانكر عليه نسياناً للشّرط الّذى كان بينهما لعظم ما رأى منه فانّه كان ينكر الظّلم ولا يتحمّل مشاهدته [لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا] اى منكراً عجيباً [قٰالَ] الخضر (ع) تنبيهاً على خلفه وقلّة صبره وتحمّله وتذكيراً لوعده [أَلَمْ أَقُلْ] اسقط كلمة لك ههنا تخفيفاً للعتاب اوّل مرّة [إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا] فتذكّر موسى (ع) عهده بعدم السّؤال وخلفه لوعده واعتذر عن خلفه وسأل القبول وعدم المفارقة و [قٰالَ] سائلاً متضرّعاً [لٰا تُؤٰاخِذْنِي بِمٰا نَسِيتُ] لفظة ما موصولة او موصوفة او مصدريّة وعلى الاوّلين فالمعنى لا تؤاخذنى على العهد المنسىّ [وَلٰا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا] ولا تغشّنى من متابعتى او نسيانى او مخالفتى عسراً لا يمكننى معه المتابعة، نقل عن النّبىّ (ص) انّ الاولى من موسى (ع) كانت نسياناً؛ وفيه تنبيه على طريق التّربية وتعليم لكيفيّة السّلوك لانّ السّالك فى اوّل الامر لابدّ له من تخريب سفينة البدن والنّفس حتّى يتخلّص من سلطان ابليس ويأمن من غصبه [فَانْطَلَقٰا] بعد الخروج من البحر فى البرّ [حَتّٰى إِذٰا لَقِيٰا غُلٰامًا] يلعب بين الصّبيان حسن الوجه كأنّه قطعة قمر وفى اذنه درّتان فنظر اليه الخضر (ع) فأخذه من غير تروّ واستكشاف حال [فَقَتَلَهُ] فوثب موسى (ع) لما اخذته الغيرة لأنّه رأى منه ما استنكره غاية الاستنكار ورأى منه ما بعدّه فى ظاهر الشّريعة غاية الظّلم وانّ صاحبه مستحقّ للقتل وكأنّه اخذ البغض فى الله الاختيار منه فوثب مضطرّاً وأخذ الخضر (ع) وجلد به الارض ولذلك قال النّبىّ (ص) كانت الاولى منه نسياناً [قٰالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ] بغير قتل نفس ولا يستحقّ الصّبىّ القتل فى شرع [لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا] النّكر ابلغ فى الاستنكار من الامر قال الخضر (ع) انّ العقول لا تحكم على امر الله بل امر الله يحكم عليها فسلّم لما ترى منّى واصبر عليه فقد كنت علمت انّك لن تستطيع معى صبراً؛ و [قٰالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا قٰالَ] موسى (ع) بعد التّنبّه بانّ غيرته لم تكن فى محلّها وانّ فعله هذا لا عذر له وانّه لا طاقة له على تحمّل ما يرى من الخضر (ع) [إِنْ سَئَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهٰا فَلٰا تُصٰاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا] اعترف بالتّقصير واستحيى عن سؤال المصاحبة بعد ما وقع منه، نقل عن النّبىّ (ص): رحم الله اخى موسى (ع) استحيى فقال ذلك، لو لبث مع صاحبه لابصر أعجب العجائب، وروى عنه (ص) ايضاً: وددنا انّ موسى (ع) كان صبر حتّى يقصّ علينا من خبرهما؛ وفيه تعليم وتنبيه على انّ السّالك بعد تخريب سفينة البدن ينبغى ان يقتل الغلام المتولّد من آدم الرّوح وحوّاء النّفس الّذى يتولّد فى اوّل تعلّق الرّوح الانسانيّة بالنّفس الحيوانيّة وهو الّذى شأنه التّدبير واستعمال الحيل فى الوصول الى المآرب الحيوانيّة والاهوية الكاسدة النّفسانيّة ويعبّر عنه تارة بالشّيطنة، وتارة بالخيال، وتارة بالوهم لاستعمال الشّيطان له واستعماله الخيال والوهم فى استنباط الحيل واستعمالها، ولو لم يقتل هذا الغلام لافسد فى الارض واهلك الحرث والنّسل وافسد ابويه، ولو قتل ابدلهما الله

ربّهما غلام القلب الّذى اذا بلغ اشدّه آتاه الله العلم والحكم واصلح فى الارض وكان أقرب رحماً لابويه [فَانْطَلَقَا حَتّٰى اَتَيَا اَهْلَ قَرْيَةٍ] هى النّاصرة واليها تنسب النّصارى وكانوا لايضيّفون احداً قطّ ولا يطعمون غريباً [اسْتَطْعَمَا اَهْلَهَا فَاَبَوْا اَنْ يُضَيِّفُوهُمَا] وكانا جائعين [فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ] يشرف [اَنْ يَنْقَضَّ] ينشقّ [فَاَقَامَهُ] بوضع يده عليه وقوله: قم باذن الله، وفيه تعليم وتنبيه على انّه ينبغى فى آخر السّلوك اقامة جدار البدن واصلاحه حتّى يستتمّ كمال النّفس باصلاحه والتّعبير فى الاوّل بالسّفينة وفى الآخر بالجدار للاشعار بانّ البدن فى اوّل السّلوك كالسّفينة المملوّة من كلّ متاع وفى آخره كالجدار المجرّدة عن متاع النّفس [قَالَ] موسى (ع) [لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ اَجْرًا] يعنى لم ينبغ ان تقيم الجدار حتّى يطعمونا ويأوونا، وهذا السّؤال وان لم يكن مثل سابقيه لكنّه لمّا عهد مع الخضر (ع) ان لايصاحبه ان سأله [قَالَ هٰذَا فِرَاقُ بَيْنِى وَبَيْنِكَ] اى الفراق الّذى كان معهوداً بينى وبينك اوفراق فى بينى وبينك [سَاُنَبِّئُكَ بِتَاْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا] اى بارجاعه الى امر حقّ اوبحقيقته [اَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِى الْبَحْرِ] ويتعيّشون بها [فَاَرَدْتُ اَنْ اَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَاْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ] اى صالحة وقد قرئ كلّ سفينة صالحة [غَصْبًا] وقد فسّر وراءهم فى الخبر بامامهم، وان كان المراد خلفهم فالمعنى انّ خلفهم ملكاً يأخذ كلّ سفينة صالحة غصباً، وهذه السّفينة اذا رجعت اليه صالحة يأخذها غصباً، ونظم المعنى يقتضى تقديم قوله وكان وراءهم الى الآخر على قوله فأردت ان اعيبها الى الآخر لانّ ارادة العيب مسبّبة عن اخذ الملك كلّ سفينة غصباً وعن كون ارباب تلك السّفينة مساكين لكنّه وسّطه بين جزئى السّبب اشعاراً بانّ الاهتمام فى ارادة العيب بحفظ معيشة المساكين والتّرحّم عليهم لابرفع الظّلم ومنع الظّالم، وبعبارة اخرى كان الجزء المهتمّ به فى تلك الارادة من جزئى السّبب هو الحبّ فى الله لا البغض فى الله، وبعبارة اخرى كان داعيه الى تلك الارادة هو الرّحمة لا الغضب [وَاَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ اَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا اَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا فَاَرَدْنَا اَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكٰوةً] طهارة من الكفر والشّرك والذّنوب، اونموّاً فانّ غلام القلب اطهر وانمى من غلام الشّيطنة [وَاَقْرَبَ رُحْمًا] رحمة وعطفاً على والديه، اوهو مأخوذ من الرّحم بالكسر والسّكون والرّحم بفتح الرّاء وكسر الحاء بمعنى القرابة وهذا اوفق بالمعنى اذ القرب بالقرابة اقرب منه بالرّحمة، روى انّهما ابدلا بالغلام المقتول ابنة فولد منها سبعون نبيّاً [وَاَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ] وهما تأويلا قوّتا القلب العلّامة والعمّالة فانّ القلب بعد تولّده يحصل له قوّتان باحديهما يتصرّف فى كثرات عالمه الصّغير على وفق حكم العقل، وبالاخرى يتوجّه الى العقل ويأخذ ما هو صلاحه من العلوم والمكاشفات بحسب نفسه اوبحسب عالمه، وبعبارة اخرى يصير ذا جهتين؛ جهة الوحدة وجهة الكثرة ويتمهما عبارة عن عدم اتّصالهما بابيهما العقل، اوعدم اتّصالهما الى ابيهما المرشد المعلّم، وبقاء جدار البدن يستخرجان ما هو المكنون تحته من كنز الجامعيّة بين التّنزيه والتّشبيه والتّسبيح والتّحميد وهو مقام الجمع الّذى هو قرّة عيون السّلاك وللاشارة الى جهة التّأويل ورد اخبار مختلفة كثيرة فى تفسير الكنز بأنّه لم يكن من ذهب ولافضّة، وفى بعضها كان: لا آله الا الله، محمّد (ص) رسول الله؛ وبعده بعض كلمات النّصح والوعظ، وفى بعضها بسم الله الرّحمن الرّحيم وبعده بعض الكلمات النّاصحة، وفى بعضها الجمع بين التّسمية والتّهليل ورسالة محمّد (ص) وبعده كلمات النّصح، وفى بعضها الاقتصار على التّهليل فقط وبعده الكلمات النّاصحة، وبعد اعتبار جهة التّأويل يرتفع الاختلاف عن الكلّ ويتّحد المقصود

من مختلفها [فِي الْمَدِينَةِ] اى النّاصرة [وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا] وصلاح ابيهما صار سبباً لمراعاتهما واقامة جدارهما وحفظ كنزهما، فانّ الله ليحفظ ولد المؤمن الف سنة كما فى الخبر وانّ الغلامين كان بينهما وبين ابويهما سبعمائة سنة ، وفى الخبر انّ الله ليصلح بصلاح الرّجل المؤمن من ولده وولد ولده ويحفظه فى دُويرته ودويرات حوله فلا يزالون فى حفظ الله لكرامته على الله [فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا] قوّتهما قيل: هو مابين ثمانى عشرة سنةً الى ثلاثين وهو مفرد على بناء الجمع نادر النّظير ، اوجمعٌ لاواحد له من لفظه، اوواحده شِدّ بالكسر اوشَدّ بالفتح لكنّهما غير مسموعين بهذا المعنى، ومعنى الجمع اوفق بالمقصود لانّه اريد به قوّة جميع القوى البدنيّة والنّفسانيّة [وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ] اى مارأيت من العجائب اوما رأيت من اقامة الجدار [عَنْ أَمْرِى] ورأيى .

مراتب السّلوك

اعلم ، انّ مقصود الخضر (ع) كان من اظهار تلك الغرائب ظاهراً و اجرائها باطناً تعليم موسى (ع) طريق التّكميل، وتكميله من جهة حاجته الى التّعليم وان كان موسى (ع) من جهة الرّسالة ومراقبة احكام الكثرة وحفظ مراتبها افضل واكمل من الخضر (ع) كما مرّ لكنّه كان محتاجاً الى تعليم الخضر (ع) طريق التّكميل فى جهة الوحدة والسّلوك الى الله، ولمّا كان السّالك فى اوّل مراتب سلوكه وهو السّير من الخلق الى الحقّ محتاجاً الى خراب البدن واضمحلال القوى النّفسانيّة حتّى يتخلّص من سلطان الشّيطان وغصبه ويسلّم للقوى العقليّة الّتى هى فى اوّل الامر مساكين عاجزون عن اكتساب مايحتاجون اليه اظهر عليه السّلام تخريب السّفينة تنبيهاً وتعليماً وتكميلاً ، واسباب تخريب البدن وكسر قوى النّفس غير محصورة ولاضبط لها ولاميزان بل تكون اختياريّةً كانواع الرّياضات والسّياحات والعبادات ، وتكون اضطراريّة كانواع البلايا والامتحانات الّتى يوردها الله على السّالك بحسب مايقتضيه حكمته بل نقول: دخول السّالك فى السّلوك وقبول الشّيخ اياه والتّوبة على يده و تلقينه الذّكر بشروطه اوّل كسر قوى النّفس واوّل مراتب جهاده ومقاتلته مع قوى النّفس واوّل قدرة الانسان على الجهاد والغلبة و يحصل له بامداد الشّيخ الغلبة مرّةً بعد اخرى حتّى يحصل له السّلطنة والحكم ، والسّالك فى تلك المرتبة من السّلوك كافر محض بالكفر الشّهودىّ حيث لايرى الله مجرّداً ولا فى مظاهره حالاً اومتّحداً معها ؛ والشّيخ ينبغى ان يتنزّل عن مقامه العالى الى هذا المقام ويخاطب السّالك مطابقاً لحاله مشعراً بكفره واستتار الحقّ عنه ولذلك قال الخضر (ع) فى اوّل الامر امّا السّفينة فكانت لمساكين يعملون فى البحر فأردت ان اعيبها، بنسبة الفعل الى نفسه استقلالاً واظهاراً لانانيّته من غير اشارة الى شراكة اوتسبيب من الله ، ولمّا كان كلّ ما ينسبه السّالك الى نفسه وكلّ ما يراه من انانيّته نقصاً وشرّاً وعيباً ابرز الفعل المنسوب الى انانيّته بلفظ العيب تنبيهاً على انّ السّالك ينبغى ان لايرى الّا عيب فعله فى ذلك المقام وان كان خيراً فقال ان اعيبها ولم يقل ان استخلصها من الغصب اواسلّمها لاربابها، ولايرى السّالك حينئذٍ الّا طريق[1] الاعتزال ويرى نفسه مختارة والحقّ معزولاً . فاذا انتهى سفره هذا وابتدء السّفر الثّانى وهو السّير من الحقّ والخلق الى الحقّ وبعده من الحقّ الى الحقّ ينبغى ان يقتل ويمحو الشّيطنة الّتى هى رئيس تمام القوى النّفسانيّة والجنود الشّيطانيّة حتّى يتولّد طفل القلب ويطهر بيت الصّدر وينزل الاملاك فيه ويعمروا بيت القلب ويطهّروه لدخول ربّ البيت فيه ، وفى هذا السّفر منازل كثيرة جدّاً بحسب تجلّيه تعالى بأسمائه على السّالك مفردةً اومنضمّةً ، وفى هذا السّفر يظهر عليه جميع العقائد الباطلة وينحرف الى جميع المذاهب المختلفة من الثّنويّة و الابليسيّة و الوثنيّة والصّابئيّة والجنّيّة والملكيّة و الغلوّ والنّصب

(١) ـ من انتساب الافعال الى العبد بنحو التّفويض لعدم رؤيته حينئذٍ غير نفسه حتّى يداخله فى فعله .

والاعتزال والجبر والتّوسّط بينهما والحلول والاتّحاد والوحدة والاباحة والالحاد ونفي الحشر واثبات المعاد وانكار النّبوّة واثباتها بحسب تجلّياته المختلفة باسمائه المختلفة المتضادّة بحيث يرى كلّ هذه لو لم يكن عناية شيخٍ عليه حقّه وجميع المذاهب نشأت من هذا السّير من حيث انّه لم يكن سلّاكه تحت امر شيخ يربّيه ، ويظهر بطلان الباطل عليه ؛ فانّه قد يظهر عليه عالم النّور والظّلمة ويراهما متصرّفين في عالم الطّبع فيحسب انّ للعالم مبدئين النّور والظّلمة ، وقد يرى في العالمين حاكمين يتصرّف فيهما وفي عالم الطّبع فيحسب انّ المبدء يزدان واهريمن ، وقد يرى العالمين وحاكمهما مستقلّين غير معلول احدهما للآخر فيظنّ انّهما قديمان ، وقد يرى عالم الظّلمة وحاكمه معلولين للنّور وحاكمه فيحسب انّ احدهما قديم والآخر حادث ، وقد يتجلّى تعالى شأنه على بعض المظاهر كالاملاك والافلاك والفلكيّات والعناصر والعنصريّات والابالسة والجنّة باسم الآلهة فيظنّ انّه مستحقّ للعبادة وقد يتجلّى ببعض اسمائه على السّالك او على غيره بحيث يراه حالّاً فيه فيعتقد الحلول ، وقد يعتقد في هذا التّجلّي الجبر حين يرى الفعل منه تعالى جارياً عليه ، وقد يتجلّى كذلك بحيث يرتفع الاثنينيّة فيعتقد الاتّحاد وقد يعتقد في هذا التّجلّي التّوسّط بين الجبر والتّفويض ، وقد يتجلّى عليه او على غيره بحيث لا يبقى شعور من السّالك بغيره تعالى وان كان باقياً عليه بعدُ شيءٌ من البشريّة فيظهر منه حينئذ الشّطحيّات مثل: سبحاني ما اعظم شاني ، وليس في جبّتي سوى الله ، وانا الحقّ ؛ وامثال ذلك ، وقد يعتقد السّالك الغلوّ في كلّ من تلك التّجلّيات الثّلاثة ، ولعلّ قوله تعالى: فلم تقتلوهم ولكنّ الله قتلهم كان اشارة الى الثّالث من تلك المقامات ، لانّه تعالى لم يشر الى بقاء نفسيّة لهم في العبارة ، وقد يتجلّى باسم الواحد عليه وعلى ما سواه فيمحو المراتب والتّعيّنات عن نظر السّالك فيعتقد الوحدة ويتولّد منه الاباحة والالحاد والزّندقة وانكار الرّسالة وانكار المبدء والمعاد وسقوط العبادات ولا يخلو السّالك في هذا السّفر عن الشّرك الوجوديّ ورؤية الانانيّة من نفسه مع شهود الحقّ مجرّداً او في المظاهر ، **وايضاً** قلّما ينفكّ عن الخشية وان كان قد زال عنه الخوف لانّه جاوز السّفر الاوّل ؛ والخوف من لوازمه ، وللاشارة الى هذا السّفر والاشراك والخشية اللّازمين فيه قال فخشينا تشريكاً في الانانيّة حيث تنزّل الى هذا المقام مداراةً مع موسى (ع) وموافقةً له ، والخشية وان لم يصحّ نسبتها الى الله تعالى منفرداً لكن تشريكه تعالى في الانانيّة مع كون نسبتها الى احدهما صحيح ، **وايضاً** الخشية حالة حاصلة عن التّرحّم والخوف[1] ، وبعبارة اخرى حالة ممتزجة من لذّة الوصال والم الفراق والفوات ، ونسبتها اليهما باعتبار جزئيها صحيحة ولرؤية الارادة من نفسه ومن الله قال فأردنا بالتّشريك ، ونهاية هذا السّفر نهاية الفقر وبداية الغنى كما اشير اليه بقوله : الفقر اذاتم هو الله ، وفي تلك الحالة ان بقي عليه شيءٌ من بقايا نفسه وبقايا البشريّة يظهر منه الشّطحيّات كما سبق ، وبعد هذا السّفر السّفر بالحقّ في الحقّ ، وفي هذا السّفر لا يبقى عين من السّالك ولا اثرٌ فلا يكون منه ومن سفره خبر ، ولذا لم يظهر الخضر (ع) منه شيئاً ولم يخبر عنه بشيء ، وبعد هذا السّفر السّفر بالحقّ في الخلق ، وهو آخر مقامات السّالكين ونهاية سير السّائرين وبحسب السّعة والضّيق والتّمكّن والتّلوّن في تلك المقامات يتفاضل السّلّاك والاولياء والرّسل (ع) ، وهذا السّفر هو البقاء في فناء والبقاء بالله ، وفيه شهود جمال الوحدة في مظاهر الكثرات ، وفيه حفظ الوحدة في عين لحاظ الكثرة ، وحفظ المراتب وحدودها في عين شهود الوحدة ، وجمال الحقّ الاوّل ، وفي هذا السّفر لا يبقى الانانيّة الّا لله الواحد القهّار ، ولا يرى السّالك فعلاً وصفةً وحولاً وقوّةً الّا من الله وبالله فيقول عن شهود وتحقيق : لا آله الّا الله ، ولا حول ولا قوّة الّا بالله ، وهو الاوّل والآخر والظّاهر والباطن ، وهو بكلّ شيءٍ عليمٌ ، وهو بكلّ شيءٍ محيطٌ ، ولا مؤثّر

(١) فينسب ترحّم والوصال الى الله والخوف والفراق الى العبد فانّ جهة العبديّة ليست الّا الخوف والفراق والجهة الالهيّة ليست الّا التّرحّم والوصال فلا يظهر الوصال الّا برفع جهة العبديّة.

فی الوجود الّا الله ، وفی هذا المقام صدر عن بعض الكاملين ماظاهره وحدة الوجود الممنوعة مثل، سبحان من أظهر الاشياء وهو عينها، فانّه بتجلّيه الفعلیّ عين كلّ ذيحقيقة وحقيقته فالمعنى وهو بفعله الّذی هو المشيّة حقيقة كلّ ذيحقيقة ، ومثل قول الشّاعر بالفارسيّة :

غيرتش غير در جهان نگذاشت زان سبب عين جمله اشيا شد

فانّ الغيرة من صفاته الفعليّة وهی من اسماء المشيّة يعنی انّ غيرته الّتی هی فعله صارت حقيقة كلّ ذيحقيقة ومثل: ليس فی الدّار غيره ديّار؛ ومثل قوله :

كه يكی هست وهيچ نيست جزاو وحده لا اله الّا هو

وغير ذلك ممّا قالوه بالعربيّة والفارسيّة نثراً ونظماً ممّا يوهم الوحدة الباطلة فانّها كلّها صحيحة كما اشير الی صحّتها ان كان صدورها عن صاحب هذا المقام، وان كان صدورها عن صاحب السّفر الثّانی كانت من جملة الشّطحيّات كماسبق، ولعلّ قوله تعالی: وما رميت اذرميت ولكنّ الله رمی باثبات نفسيّة للرّسول (ص) ونفی الفعل عنه واثباته له كان اشارة الی هذا المقام . ولمّا حصل مقصوده (ع) من تعليم الخضر (ع) وانتهی سفره الی هذا السّفر واستكمل سيره فی المراتب الممكنة للانسان ولم يبق ممّا يستحقّه بحسب الاستعداد شيء ، قال الخضر (ع) : هذا فراق بينی و بينك ، ولمّا لم يبق فی نظر شهوده الّا الله و تجلّی له باسمه الجامع علی كلّ شيء وفي شيء ولم ير فعلاً وحولاً وقوّة الّا من الله تعالی تبرّء الخضر (ع) حينئذ موافقاً لحال موسی (ع) من انانيّته ونسب الفعل مطابقاً لشهود موسی (ع) الی الله وحده فقال فارادربّك ان يبلغا اشدّهما ومافعلته عن أمری ، وفيما روی عن الصّادق (ع) اشارة اجماليّة الی جميع ما ذكر لانّه قال فی قوله فأردت ان اعيبها فنسب الارادة فی هذا الفعل الی نفسه لعلّه ذكر التّعييب لانّه ارادان يعيبها عند الملك اذا شاهدها فلايغصب المساكين عليها وارادالله عزّوجلّ صلاحهم بما امره به من ذلك فذكر فی علّة التّفرّد بالانانيّة التّعييب هناك واشار (ع) فی الفقرة الثّانيه الی الوجه الآخر الّذی هو احتجاب الله عن نظره فی هذا المقام حيث قال فی قوله : فخشينا ان يرهقهما انّما اشترك فی الانانيّة لانّه خشی والله لايخشی لانّه لايفوته شيء ولايمتنع عليه أمر اراده وانّما خشی الخضر (ع) من ان يحال بينه وما أمره به فلايدرك ثواب الامضاء فيه ووقع فی نفسه انّ الله جعله سبباً لرحمة ابوی الغلام فعمل فيه وسط الامر من البشريّة مثل ماكان عمل فی موسی (ع) لانّه صار فی الوقت مخبراً وكليم الله موسی (ع) مخبراً ولم يكن ذلك باستحقاق للخضر (ع) الرّتبة علی موسی (ع) وهو افضل من الخضر (ع) بل كان لاستحقاق موسی (ع) للتّبيين لانّ قوله (ع) : لانّه خشی والله لايخشی: وان كان بظاهره لايناسب الاشتراك فی الانانيّة لكنّه بضميمة قوله ووقع فی نفسه انّ الله جعله سبباً لرحمة ابوی الغلام مع قوله (ع) فعمل فيه وسط الامر من البشريّة يصير مناسباً للاشتراك فی الانانيّة ، فانّ معناه انّ الخشية بتمام اجزائها لايصحّ نسبتها الی الله لكنّها باعتبار جزءها الّذی هو الرّحمة يصحّ نسبتها اليه تعالی، وقوله فعمل فيه وسط الامر اشارة الی وسط حال الانسان من مشاهدة نفسه ومشاهدة الله ، وكذا قوله: وقع فی نفسه انّ الله جعله سبباً لرحمة ابوی الغلام ، يدلّ علی مشاهدة الله وتسبيبه، وقوله : مثل ماكان عمل فی موسی (ع) يشير الی انّ الخضر (ع) تصرّف فی موسی (ع) ورفع درجته عن مقام الاحتجاب الی مقام شهود الله وشهود الواسطة ، وقوله : لانّه صار فی الوقت مخبراً، تعليل لتصرّف الخضر (ع) فی موسی (ع) مع انّه كان انقص منه ؛ والمعنی انّ الخضر (ع) صار فی وقت اتّباع موسی (ع) مخبراً ومعلّماً لما لاعلم لموسی (ع) به وموسی (ع) صار تابعاً ومتعلّماً وتصرّف الخضر (ع) كان من هذه الجهة ، ولا ينا فی ذلك اكمليّة موسی (ع) من جهة اخری ولذا قال: ولم يكن ذلك باستحقاق للخضر (ع) الرّتبة علی موسی (ع) والّا فمحض المخبريّة والمخبريّة تقتضی الرّتبة للمخبر علی المخبر بوجه ، وقال (ع) فی

قوله : فأراد ربّك فتبرّء من الانانيّة في آخر القصص ونسب الارادة كلّها الى الله تعالى ذكره في ذلك لانّه لم يكن بقي شيء ممّا فعله فيخبر به بعد ويصير موسى (ع) به مخبراً ومصغياً الى كلامه تابعاً له فتجرّد من الانانيّة والارادة تجرّد العبد المخلص ثمّ صار متنضّلاً ممّا اتاه من نسبة الانانيّة في اوّل القصّة ومن ادّعاء الاشتراك في ثاني القصّة فقال رحمةً من ربّك وما فعلته عن أمري فقوله (ع) لانّه لم يكن بقي شيء ممّا فعله فيخبر به يعني لم يكن بقي شيء ممّا فعله فيخبر به حتّى يحتاج الى وساطته ويراه واسطة بل تجرّد نظره الى الله واستغنى عن الواسطة وفي قوله ويصير موسى (ع) به مخبراً ومصغياً الى كلامه تابعاً له ، اشارة الى انّه استغنى عن الشّيخ والواسطة واستكمل في جهة نقصه وتعلّم مايحتاج الى تعلّمه [ذٰلِكَ] المذكور من بيان حكمة كلّ ممّا رأيته [تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا] اى حقيقته وحكمته فانّ التّأويل كثيراً ما يستعمل فيما يؤل اليه اوارجاع ما لم تسطع الى حقيقة صحيحة وحكمة مقتضية من مصدره وغايته، واسقط التّاء من لم تسطع ههنا اشعاراً بظهور نقصان طاقته عن الصّبر عليه ولم يسقط التّاء عمّا سبق من قوله لن تستطيع في الموارد وقوله سأنبئك بتأويل ما لم تستطع لعدم ظهور نقصان الاستطاعة بعد على موسى (ع) بل كان مدّعياً للاستطاعة كما روي عنه (ع) انّه قال بل استطيع [وَيَسْئَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ] ورد في سبب نزوله ماسبق في سبب نزول قصّة اصحاب الكهف، ووردانّه سأله (ص) نفر من اليهود عن طائف طاف المشرق والمغرب .

اعلم ، انّ المسمّى بذي القرنين كان اثنين اكبر واصغر وكلاهما ملكا في الارض وانّ ذا القرنين الاكبر هو الّذي كان عبداً صالحاً نبيّاً اوغير نبيّ وهو الّذي طاف المشرق والمغرب وبنى سدّ يأجوج ومأجوج، وهو كان غلاماً من اهل الرّوم وكان ابن عجوز فقيرة وهبه الله تعالى الملك والسّلطنة، وورد انّه سمّي بذي القرنين لانّه بعث في قومه فدعاهم الى الله فضربوه على قرنه الايمن فاماته الله اوغاب عنهم على اختلاف الرّوايات خمسمائة عام اومائة عام اومدّة على اختلاف الرّوايات ايضاً ، ثمّ بعثه الله فدعا الى الله فضربوه على قرنه الايسر فاماته اوغاب عنهم في المدّة المذكورة، ثمّ بعثه الله تعالى فملك المشرق والمغرب، وورد ايضاً انّه عوّضه الله في مكان الضّربتين على رأسه قرنين اجوفين وجعل عزّ ملكه وآية نبوّته في قرنيه، ثمّ رفعه الله الى السّماء الدّنيا فكشط له عن الارض كلّها جبالها وسهولها وفجاجها حتّى ابصر ما بين المشرق والمغرب وآتاه الله من كلّ شيء سبباً فعرف به الحقّ والباطل وايّده في قرنيه بكسف من السّماء فيه ظلمات ورعد وبرق، ثمّ اهبطه الى الارض واوحى اليه سر في ناحية غربيّ الارض وشرقيّها فقد طويت لك البلاد وذلّلت لك العباد فارهبتهم منك وذلك قول الله تعالى انّا مكنّا له في الارض ، ووردايضاً انّه رأى في المنام كأنّه دنا من الشّمس حتّى اخذ بقرنيها في شرقها وغربها فلمّا قصّ رؤياه على قومه وعرفهم سمّوه ذا القرنين فدعاهم الى الله فأسلموا ، وذكر في التّواريخ انّه لمّا طاف المشرق والمغرب سمّي ذا القرنين . وقيل: انّه لمّا كان كريم الطّرفين اباً وامّاً سمّي ذا القرنين، وقيل: كان له ضفيرتان من طرفي رأسه ولذلك سمّي ذا القرنين، وقيل : كانت صفحتا رأسه من صفر اومن نحاس اومن حديد اومن ذهب ولذلك سمّي ذا القرنين . وقد اختلف الاخبار في نبوّته وعدمها واسمه كان عبدالله بن الضحّاك ولقبه كان عيّاشاً، واختلاف الاخبار في باب قرنيه ونبوّته يشعر بالتّأويل خصوصاً ماذكر في الاخبار من قولهم (ع) : وفيكم مثله مشيرين الى انفسهم؛ فانّه كلّما ذكر لشخص في العالم الكبير فهو جار فيه في نوعه، وكلّما كان في العالم الكبير شخصاً اونوعاً فهو جار في العالم الصّغير، وقد اختلف الاخبار والتّواريخ في زمان ظهوره فانّه ذكر انّه كان بعد زمان نوح (ع)، وذكر انّه كان معاصراً لابراهيم (ع)، وذكر انّه كان بعد عيسى (ع) [قُلْ سَأَتْلُوا عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا] اى مايتذكّر به وهو قوله تعالى [إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ]

مشرقها ومغربها [وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا] وعلّة من علله بها تمكّن تمكّناً تامّاً من الوصول اليه والتّصرّف فيه والتّسلّط عليه فانّ الاشياء الكونيّة كلّها مسبّبات عن الموجودات العلويّة من الاشباح المثاليّة والارواح المجرّدة ولكلّ بحسب المراتب الطّوليّة علل واسباب عديدة بها يمكن الوصول اليه والتّصرّف فيه والتّسلّط عليه، وقد ورد انّه رفع الى السّماء فكشط له عن الارض وهو كناية عن اتّصاله بالملكوت ، وعالم الملكوت اسباب قريبة لما فى الملك فأعطى من كلّ شيء سببه وعلّته ولذلك سهل عليه السّير فى شرق الارض وغربها والتّسلّط على سهلها وجبلها [فَأَتْبَعَ سَبَبًا] من الاسباب الّتى اوتى يعنى ادرك من الملكوت سبب المغرب وعلّة وجوده وتوسّل بتلك العلّة الى السّير اليه [حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ] اى الجانب الّذى يلى المغرب من الرّبع المسكون تنزيلاً ومقام الطّبع من عالم الكون والملكوت السّفلىّ من العالم الّتى هى دار الشّياطين والجنّة ومقام الاشقياء والاشرار فانّ الكامل يتنزّل تارةً الى عالم الطّبع والملكوت السّفلى حتّى يشاهد دقائقهما ويستجمع كمالاتهما ويصعد اخرى وقوله [وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ] ذات الطّين الاسود، يشير الى التّأويل؛ فانّ شمس الرّوح والعقل غروبهما فى عين الطّبع الحمئة الّتى اختلط ماء الوجود فيها بحمأة المادّة ولوازمها من الحدود والتّعيّنات والاعدام فى العالم الصّغير والكبير وفى عين الملكوت السّفلى الّتى ماؤها اقلّ وحمأتها اكثر ، واما غروب الشّمس المحسوس فانّه ليس الّا بالتّجاوز عن دائرة الافق ، وماقيل فى بيانه من احتمال انّه بلغ ساحل البحر المحيط فلم يكن فى مطمح نظره الّا الماء فرآها تغرب فى الماء ، لايناسب التّعبير بالغروب فى العين الحمئة بل يناسبه التّعبير بالغروب فى الماء اوفى البحر واما عالم الطّبع وماتحته فيناسبه التّعبير عنه بالعين الحمئة لاختفاء ماء الوجود تحت حمأة المادّة ولوازمها فيه . وما روى عن سيّدنا ومولانا امير المؤمنين (ع) من قوله فى عين حامية فى بحر دون المدينة الّتى ممّا يلى المغرب يعنى جابلقا ، ناظرٌ الى التّأويل فانّ البحر الّذى دون جابلقا هو عالم الطّبع فانّ جابلقا هو عالم المثال الهابط وهو المدينة الّتى تلى المغرب ودونه عالم الطّبع ودون عالم الطّبع عالم الجنّة والشّياطين المعبّر عنه بالملكوت السّفلى، ولفظ الحامية امّا من الحمأة بمعنى الحمئة اومن الحمى بمعنى الحارّة وهكذا قوله (ع) لمّا انتهى مع الشّمس الى العين الحامية وجدها تغرب فيها ومعها سبعون الف ملك يجرّونها بسلاسل الحديد والكلاليب يجرّونها فى قعر البحر فى قطر الارض الايمن كما تجرى السّفينة على ظهر الماء ، ناظرٌ الى التّأويل ، والمراد بقطر الارض الايمن عالم الطّبع فانّه ايمن بالنّسبة الى عالم الجنّة ، اوالمراد به عالم المثال العلوىّ فانّه كثيراً مايعبّر عنه بالارض [وَوَجَدَ عِنْدَهَا] عند العين الحمئة [قَوْمًا] نكّر القوم ولم يصفه بوصف كما فى قرينتيه تحقيراً لهم كأنّهم لغاية حقارتهم ونكارتهم لايمكن توصيفهم وتعيينهم بوجه [قُلْنَا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ] هذا الخطاب يدلّ على نبوّته اذ شأن الانبياء (ع) ان يخاطبوا بخطاب الله الّا ان يقال : انّ الله خاطبه على لسان نبىّ وقته [إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ] بسبب كفرهم وبعدهم بالقتل والاسر والنّهب وسائر انواع التّعذيب [وَإِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا] بتعليم الشّرائع واصلاح المفاسد ووضع السّياسات الشّرعيّة فيهم والعفو عن مسيئهم، وان مع صلته مبتدءٌ والخبر محذوف اى امّا تعذيبك كائن فيهم اواتّخاذك الحسن فيهم [قَالَ] بعد تخيير الله تعالى اياه مجيباً له بما فيه خروج عن الظّلم وعمل بالعدل كما هو شأن الانبياء (ع) [أَمَّا مَنْ ظَلَمَ] على نفسه بالاصرار على كفره بعد دعوته اوعلى الغير بعدم قبول السّياسات والخروج من تحت الحدود الالهيّة [فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ] بمايليق بحاله من القتل وقطع الاطراف والاسر والنّهب والاستعباد [ثُمَّ يُرَدُّ إِلَى رَبِّهِ]

بعدالموت [فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُكْرًا] منكراً لم يعهد مثله [وَأَمَّا مَنْ آمَنَ] بقبول الدّعوة وترك ظلم نفسه [وَعَمِلَ صَالِحًا] بأخذ الحدود والاحكام الشّرعيّة وعدم التّجاوز عنها بعدالايمان حتّى لايصير ظالماً على نفسه ولاعلى غيره [فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَى] من ربّه ، قرئ جزاءً بالنّصب والتّنوين على ان يكون الحسنى مبتدءً وله خبراً له ، وجزاءً حالاً اوتميزاً اومفعولاً مطلقاً لفعلٍ محذوف ،وقرئ جزاءٌ مرفوعاً منوناً على ان يكون مبتدءً والحسنى بدله، وقرئ جزاءُ الحسنى بالرّفع والاضافة واعرابه ظاهر ، وقرئ جزاءَ الحسنى بالنّصب من غير تنوين على ان يكون سقوط التّنوين بالتقاء السّاكنين لابالاضافة ويكون مثل صورة التّنوين بحسب الاعراب ، اوعلى ان يكون سقوط التّنوين بالاضافة ويكون مفعولاً مطلقاً للخبر المحذوف اى له جزاء جزاء الحسنى وقدّم تعذيبه فى القرينة الاولى على تعذيب الله لكون تعذيب الله مختصّاً بالآخرة كما صرّح به وكون مرتبته بعد مرتبة تعذيبه فى الدّنيا ، وقدّم جزاء الرّبّ فى القرينة الثّانية على جزاء نفسه للاشعار بعموم جزاء الرّبّ للدّنيا والآخرة ، ولواخّر لاوهم اختصاصه بالآخرة مثل قرينته [وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا] فى الخراج وفى وضع السّياسات [يُسْرًا] اى امراً سهلاً يسهل تحمّله [ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا] وعلّة من علل جانب المشرق من الرّبع المسكون اومن العالم تمكّن منها من الوصول اليه والتّسلّط على اهله والتّصرّف فيهم [حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ] من الرّبع المسكون اومن العالم [وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَى قَوْمٍ لَمْ نَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونِهَا سِتْرًا] قد ورد فى تنزيله انّهم لم يعلموا صنعة البيوت ولاصنعة الثّياب ، وعن علىٍّ (ع) انّه ورد على قوم قد احرقتهم الشّمس وغيّرت اجسادهم والوانهم حتّى صيّرتهم كالظّلمة، لكنّ الآية تشعر بالتّأويل لانّه قال حتّى اذا بلغ مطلع الشّمس ولم يقل حتّى اذا بلغ المشرق فانّ المشرق وان كان بمعنى المطلع لغةً لكنّه فى العرف اختصّ باوّل بلاد يشرق الشّمس عليها اوّلاً من الرّبع المسكون، اوبلاد واقعة فى طرف المشرق من الرّبع المسكون بخلاف مطلع الشّمس فانّه على معناه اللّغوىّ وبمعناه اللّغوىّ كلّ اجزاء الارض مطلع ومغرب باعتبارين ، وكذا قوله: وجدها تطلع على قومٍ دون ان يقول وجد فيه قوماً اوعنده قوماً، فانّ فيه اشعاراً بانّ البالغ مطلع الشّمس يكون نظره الى الشّمس وطلوعها بخلاف البالغ مغرب الشّمس فانّه وان كان ناظراً الى الشّمس وغروبها لكنّه لتراكم الكثرات واختفاء ضوء الشّمس يقع نظره على الكثرات استقلالاً ، ولعلّه أراد بالقوم المجذوبين الفانين فى الله الّذين لم يبق عليهم من التّعيّنات الكونيّة الّتى هى بمنزلة اللّباس والسّاتر من اشعّة الشّمس الحقيقيّة شيءٌ ، وللاشارة الى كون بقائهم وتعيّنهم ووجودهم ببقاء الله وتعيّنه ووجوده قال : لم نجعل لهم من دونها ستراً كما ورد فى القدسىّ، انّ اوليائى تحت قبابى لايعرفهم غيرى [كَذَلِكَ] صفة لستراى ستراً مثل ذلك السّتر يعنى لم نجعل لهم قبل ذلك السّتر، اوحال من الشّمس اى وجدها حالكونها مثل ذلك ، اوتطلع حالكونها مثل ذلك المذكور ممّن عند الشّمس بان لم نجعل لها من دونها ستراً من غيم التّعيّنات والحدود وغبرة الاهواء والكثرات، اوحال من فاعل وجدها اى حالكون ذى القرنين كذلك اى مثل من كان عند الشّمس غير مستور بستر غير الشّمس، اوخبر مبتدء محذوف جواباً لسؤال مقدّر عن حال ذى القرنين ، اوعن حال الشّمس ، اوعن حال القوم على سبيل الاعجاب كأنّه قيل: على سبيل الاستعجاب والاستغراب؛ الم يكن لهم ستر غير الشّمس؟- فأجاب تأكيداً بقوله: حالهم كذلك، اوالتّقدير: امره كماذكر [وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا] علماً، يعنى انّ ذاالقرنين ومن عنده حين البلوغ الى مطلع الشّمس واحوالهم ومالهم من الاموال فى العالم الصّغير والكبير وان كانوا مختفين عن اهل العالم غير معلومين

لهم لغاية البعد هذا بحسب التّنزيل ولفنائهم عن افعالهم واوصافهم وذواتهم بحسب التّأويل لكنّهم معلومون لنا باقون فى علمنا لم يعزبوا عن علمنا والجملة حاليّة اومستأنفة [ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا] موصلاً الى ما بين مطلع الشّمس ومغربها [حَتّٰى إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ] اى الجبلين الّذين بنى بينهما سدّاً، سمّاهما باسم السّدّ مجازاً بعلاقة المجاورة، اوسمّاهما سدّين لكونهما حاجزين من العبور [وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا] لا من خلفهما [قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا] لبعدهم عن ارباب اللّغات المعروفة وقلّة فطانتهم بحيث لايفقهون المقصود الاخروىّ من الكلام لعدم توجّههم الى الآخرة وعدم سلوكهم اليها، بل علومهم كانت محصورة على عمارة الدّنيا لكنّهم كانوا مستعدّين للتّفطّن والاصلاح ملقين السّمع للتّسليم والانقياد ولذا لم يقل تعالى: امّا ان تعذّب اوتتّخذ فيهم حسناً وقالوا تسليماً هل نجعل لك خرجاً [قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ] هما بحسب التّنزيل قبيلتان من ولد يافث بن نوح (ع) كماقيل، وقيل: يأجوج من التّرك ومأجوج من الجيل، وروى انّ جميع التّرك والسّقالب ويأجوج ومأجوج والصّين من يافث بن نوح (ع) حيث كانوا، وامّا بحسب التّأويل فالمراد بيأجوج ومأجوج الشّياطين والجنّة، اوصنفان منهم فى العالم الكبير وما تولّد منهما من القوى والجنود فى العالم الصّغير وهما خلف البرزخ فى العالم الكبير وخلف السّدّ الّذى يبنيه خلفاء الله بالتّلقين والتّعليم فى العالم الصّغير، واشتقاقهما من اجّ النّار اذا اشتعل النّار، وهو يشعر بالتّأويل فانّ الشّياطين والجنّة خلقوا من النّار وهم مسرعون فى الفساد، وعلى هذا كان منع صرفهما للعلميّة والتّأنيث وان كانا عجميّين فللعجمة والعلميّة، وماورد فى الاخبار من بيان حالهما وجثّتهما وكيفيّة نقبهما للسّدّ وخروجهما من خلف السّدّ واكلهما النّاس وشربهما للانهار المشرقيّة والبحيرة الطّبريّة وكثرتهما وطول بقائهما وكثرة ماتناسلوا تماماً يدلّ على التّأويل، وامّا سدّ يأجوج ومأجوج فى وجه الارض فلم ينقل احد من المورّخين على التّحقيق كيف هو؟ واين هو؟ وماحال يأجوج ومأجوج؟ وماحال من دون السّدّ؟ ولعلّه غار فى الماء اوغاب عن الانظار حتّى انمحى خبره عن الاخبار واثره عن الآثار واّلا لما انمحى خبره؛ وما ذكر من التّواريخ اخبار تقريبىّ وذكر تخمينىّ [مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ] يعنى فى ارضنا بالقتل والنّهب، وورد انّهم كانوا يأكلون النّاس وكانوا يرعون فى الزّروع والثّمار ويأكلون المأكولات ويحملون غير المأكولات [فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا] نؤدّيه اليك التمسوا منه قبول الخراج [عَلٰى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا] يمنعهم عن الخروج علينا ولعلّه كان خروجهم من طريق واحد لايمكنهم الخروج من غيره كما اشعر به قوله بين السّدّين [قَالَ] تيسيراً عليهم وترحّماً [مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ] ممّا تجعلون لى من الخراج فلاحاجة لى الى الخراج [فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ] يعنى لاحاجة لى الى اموالكم لكن امدّونى بقوّتكم ومقدوركم من العملة والآلات وما يحتاج اليه بناء السّدّ [أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا] وهواعظم من السّدّ اجابهم باعظم من مسؤلهم [آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ] الزّبرة القطعة العظيمة والجملة بدل تفصيلىّ من قوله اعينونى [حَتّٰى إِذَا سَاوٰى] يعنى فآتوه زبر الحديد حتّى اذا ساوى ذوالقرنين اوالحديد [بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ] قرئ الصّدفين بالتّحريك وبضمّتين وبضمّ الاوّل وسكون الدّال والمقصود منهما جانبا الجبلين [قَالَ] للعملة [انْفُخُوا] فى المنافيخ [حَتّٰى إِذَا جَعَلَهُ نَارًا] كالنّار باحمائه [قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا] قطراً امتنازع فيه لكلا الفعلين، والقطر النّحاس روى عن مولانا ومقتدانا امير المؤمنين (ع) انّه قال: فاحتفروا له جبل حديد فقلعوا له امثال اللّبن فطرح بعضه على بعض فيما بين الصّدفين، وكان ذوالقرنين هواوّل

من بنى ردماً على وجه الارض ثمّ جعل عليه الحطب والهب فيه النّار ووضع عليه المنافيخ فنفخوا عليه قال فلمّا ذاب قال آتونى بقطرٍ فاحتفر وله جبلاً من مسٍّ فطرحوه على الحديد فذاب معه واختلط به [فَمَا اسْطَاعُوا] بحذف تاء الاستفعال اشعاراً بنفى القدرة الضّعيفة فضلاً عن القويّة [أَنْ يَظْهَرُوهُ] لملاسته وغاية ارتفاعه، ولعلّهم كانوا كالبهائم لم يتفطّنوا صنعة الدّرج اوجمع التّراب خلف السّدّ بحيث يستوى التّراب مع السّدّ فانّهم مع كثرتهم لو تفطّنوا به سهل عليهم ذلك وكان الجبلان محيطين بهم من اطرافهم اومنتهيين الى البحر بحيث لايمكنهم العبور من نواحيهما وكان ارتفاع الجبلين كالسّدّ فى الملاسة والارتفاع من غير سفحٍ ولم يعلموا صنعة النّقب اولا يمكنهم لانّ ذا القرنين حضر الارض حتّى بلغ الماء فبنى السّدّ [وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا] لصلابته [قَالَ] ذوالقرنين [هٰذَا] السّدّ اوالاقتدار على تسويته [رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي] بقيام السّاعة اوبخراب الدّنيا، وان كان المراد بوعد الرّبّ قيام السّاعة فالمعنى اذاقرب مجيء وعد ربّى [جَعَلَهُ دَكَّا] مدكوكاً مسوّىً بالارض، وقرئ دكّاءَ بالمدّ [وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا] لاتخلّف فيه، نقل انّه اذاكان قبل يوم القيامة فى آخر الزّمان انهدم ذلك السّدّ وخرج يأجوج ومأجوج الى الدّنيا وأكلوا النّاس وهوقوله حتّى اذا فتحت يأجوج ومأجوج وهم من كلّ حدبٍ ينسلون، وعن الصّادق (ع) ليس منهم رجل يموت حتّى يولد له من صلبه الف ولدٍ ذكرٍ ثمّ قال: هم اكثر خلقٍ خلقوا بعد الملائكة، وعن النّبيّ (ص) انّه عدّ من الآيات الّتى تكون قبل السّاعة خروج يأجوج ومأجوج، وعنه (ص) انّه سئل عن يأجوج ومأجوج فقال: يأجوج امّة ومأجوج امّة، وكلّ امّةٍ اربعمائة امّةٍ؛ لايموت الرّجل منهم حتّى ينظر الى الف ذكرٍ من صلبه كلّ قد حمل السّلاح، قيل: يارسول الله (ص) صفهم لنا، قال: هم ثلاثة اصناف؛ صنف منهم امثال الارز[1] قيل: يارسول الله (ص) وما الارز؟ـ قال: شجر بالشّام طويل، وصنف منهم طولهم وعرضهم سواءٌ، وهؤلاء الّذين لايقوم لهم جبل ولاحديد، وصنف منهم يفترش احدى اذنيه ويلتحف بالاخرى ولايمرّون بفيلٍ ولاوحشٍ ولاجملٍ ولاخنزيرٍ الّا اكلوه، مقدّمتهم بالشّام وساقتهم بخراسان، يشربون انهار المشرق وبحيرة الطّبريّة، ووردايضاً انّهم يدأبون فى حفر السّدّ نهارهم حتّى اذا امسوا وكانوا يبصرون شعاع الشّمس قالوا: نرجع غداً ونفتحه ولايستثنون، فيعودون من الغد وقد استوى كما كان حتّى اذا جاء وعدالله قالوا: غداً نفتح ونخرج ان شاء الله فيعودون اليه وهو كهيئته حين تركوه فيحفرونه فيخرجون على النّاس فيشربون المياه و يتحصّن النّاس فى حصونهم منهم فيرمون سهامهم الى السّماء فترجع وفيها كهيئة الدّماء فيقولون: قد قهرنا اهل الارض وعلونا أهل السّماء، فيبعث الله عليهم بِقّةً فى اقفائهم فتدخل فى اذانهم فيهلكون بها، وعن الصّادق (ع) فى قوله عزّوجلّ اجعل بينكم وبينهم ردماً قال التّقيّة فما اسطاعوا ان يظهروه وما استطاعوا له نقباً، قال اذاعملت بالتّقيّة لم يقدروا لكعلى حيلةٍ وهو الحصن الحصين وصار بينك وبين اعداء الله سدّاً لا يستطيعون له نقباً فاذا جاء وعد ربّى جعله دكّاً قال: رفع التّقيّة عند الكشف فانتقم من اعداء الله، وهذه الاخبار كما ترى على التّأويل ادلّ منها على التّنزيل خصوصاً الخبر الاخير فانّه صريح فى التّأويل/ [وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ] يعنى يوم اتمام السّدّ خلف السّدّ يموجون يختلطون لايقدرون على الخروج اويوم دكّ السّدّ والخروج يموجون على وجه الارض لاسراعهم الى القتل والنّهب اويوم القيامة كما نسب الى مولانا امير المؤمنين (ع)، والتّأدية بالماضى على الاوّل ظاهر وعلى الثّانيين لتحقّق وقوعه اولوقوعه بالنّسبة الى محمّد (ص) [وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا] اى يأجوج ومأجوج ومن دون

(١) الارز بفتح الهمزة وضمّها وسكون الرّاء المهملة شجر الصّنوبر اوشجر السّرو.

السّدّ ويأجوج ومأجوج فقط [وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرْضًا الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَنْ ذِكْرِي] اى عن تذكّرى حين رؤية المصنوعات الّتى يتذكّر بها .

اعلم ، انّ الذّكر ههنا بمعنى ما يتذكّر به وبهذا المعنى جملة المصنوعات ذكر لله وبحسب اختلاف التّذكّر بها يختلف المصنوعات فى اطلاق الذّكر عليها قوّة وضعفاً ولذا سمّى بعضها ذكراً دون بعض كالقرآن والرّسول (ص) والامام (ع) ، ولفظ اللّسان وذكر الجنان والسّكينة القلبيّة والصّلوة ، والمقصود انّ الكافرين هم الّذين كانت اعينهم القلبيّة فى غطاء من الاهواء والآمال وسائر صفات النّفس عمّا يتذكّر به الله من حيث انّه ذكر لله وان كانت اعينهم الظّاهرة مشاهدة للمصنوعات كالقرآن والرّسول (ص) والامام (ع) مثلاً ، ولمّا كان علىّ (ع) بعلويّته حقيقة ذكر الله تعالى فسّروه بعلىّ (ع) وولايته ؛ فعن الرّضا (ع) انّ غطاء العين لايمنع من الذّكر والذّكر لايرى بالعين ولكن الله عزّوجلّ شبّه الكافرين بولاية علىّ (ع) بن ابى طالب بالعميان لانّهم كانوا يستثقلون قول النّبىّ (ص) فيه ولايستطيعون له سمعاً ، وعن الصّادق (ع) فى هذه الآية يعنى بالذّكر ولاية امير المؤمنين (ع) قال : كانوا لايستطيعون اذا ذكر علىّ (ع) عندهم ان يسمعوا ذكره لشدّة بغض له (ع) وعداوة منهم له (ع) ولاهل بيته (ع) [وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا] اى لايقدرون على التّقليد والانقياد ، والمقصود انّ الكفّار ليس لهم قلب حتّى يمكنهم التّحقيق به والشّهود لعلىّ (ع) من حيث كونه ذكراً ولايلقون السّمع والانقياد حتّى يكونوا من اهل التّسليم والسّلامة كما اشار الى المقامين بقوله تعالى : لمن كان له قلب اوالقى السّمع وهو شهيد [أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا] بولاية علىّ (ع) [أَنْ يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِنْ دُونِي] من دون اذنى [أَوْلِيَاءَ] اوان يتّخذوا عبادى حال كونهم من دونى اى مغايرين لى اولياء يعنى افحسبوا ان يتّخذوا معاوية وليّاً من دون علىّ (ع) اومن دون اذنى اومغايرين لى غير متّصلين بى هكذا فسّرت الآية فى الاخبار ولا بنا فى ذلك تعميم الآية فى كلّ كافر وفى كلّ متّخذ وليّاً اومعبوداً من دون اذن من الله فى ولايته اوفى توليه [إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ] بولاية علىّ (ع) [نُزُلًا] منزلاً اومهيّاً لهم تشريفاً فانّ النّزل ما يتهيّؤ للضّيف النّازل تشريفاً له [قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا] خسران الرّجل ضلاله ، وخسران التّجارة المبايعة بنقصان البضاعة اوالغبن فى المعاملة ، وخسران العمل ضياعه وبطلانه بلاثمر ، فالخاسر العمل من لايترتّب على عمله فائدته المقصودة منه ولايبقى من عمله اثر ينفعه ، والاخسر من كان يترقّب بعمله خيراً كثيراً ويتعب نفسه فيه ثمّ لم يترتّب على عمله مأموله اوترتّب عليه ضدّ مأموله .

اعلم ، انّ الانسان من حيث مقام نفسه واقع بين العالمين قابل لتصرّف الجنّ والشّياطين فيه ولتصرّف الملائكة والارواح الطّيّبة ، وكلّما يفعله فى هذا المقام يكون امّا بحكومة حكّام الله اوبحكومة حكّام الشّيطان لانّه فى هذا المقام محكوم صرف لاحكومة له فى نفسه ولافى غيره ولذا فسّر قوله تعالى : ومن لم يحكم بما انزل الله بمن حكم بغير ما انزل الله لانّه لايكون خالياً عن حكم ما البتّة ، واذا لم يحكم بما انزل الله يكون حاكماً فى حكم مابغير ما انزل الله ، وكلّما يفعله بحكومة الشّيطان يكون ضائعاً خاسراً لكنّه اذا تنبّه بان فعله بحكومة الشّيطان وانزجر من فعله ولام نفسه اوتردّد فى انّ فعله من حكومة الله اوحكومة الشّيطان اوكان غافلاً عن الحكومتين فى فعله كان خاسراً ولم يكن اخسر عملاً ، لانّه لم يبطل استعداده لمراتب الطاف الله من الغفران والعفو والصّفح والتّكفير وتبديل السّيّئات حسنات ، واذا لم يتنبّه بذلك بل اعتقد انّ فعله بحكومة الله وانّ له عليه اجراً يكون اخسر ، لانّه ضلّ عمله وهو يحسب انّ عمله مدّخر له وابطل بذلك استعداده لتدارك الطاف الله بجهله المركّب الّذى عدّه علماء الاخلاق من

الدّاء الّذى لادواء له، وقدفسّر الاخسرين فى الآية باهل الكتاب وبكلّ من ابتدع رأياً وهويرى انّه حسن، وباهل الشّبهات والاهواء من اهل القبلة وباهل البدع منهم وباهل حروراء، ولا ينا فى ذلك تعميم الآية لكلّ من يفعل بحكومة الشّيطان وهويرى انّه حسن بل يستفاد التّعميم من اختلاف التّفسير وللاشارة الى التّعميم فسّره بقوله [اَلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيٰوةِ الدُّنْيٰا] فى الحيوة الدّنيا ظرف لسعيهم اولضلّ اولكليهما على سبيل التّنازع، ولمّا كان كلّما يفعله الانسان بحكومة الشّيطان متوجّهاً الى الدّنيا وضائعاً فيها وان كان الشّيطان يظهر فى بادى الامر على الفاعل وجهة اخرويّة صحّ تعليق الظّرف بكلّ من السّعى والضّلال [وَهُمْ يَحْسَبُونَ اَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا] وذلك الحسبان جهل مركّب وخسران فوق كلّ خسران لايمكن تداركه كمامرّ [اُولٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِاٰيٰاتِ رَبِّهِمْ] الاتيان باسم الاشارة البعيدة لتفضيح حالهم ولاحضارهم بما وصفوا به ، وتعريف المسند لافادة الحصر والمراد بالآيات الاوصياء(ع) بل المراد بالكفر بالآيات الكفر بعلىّ (ع) فانّ الكفر به كفر بتمام الآيات وقد فسّر فى الاخبار بذلك [وَلِقٰائِهِ] قد سبق مراراً انّه ان كان المراد بالرّبّ ربّ الارباب فالمراد باللّقاء لقاء حسابه اوحسّابه، وان كان المراد بالرّبّ الرّبّ المضاف فالمراد باللّقاء لقاء وجه الرّبّ لكن وجهه الملكوتىّ الّذى يسمّونه فى الطّريق بالفكر والحضور والسّكينة [فَحَبِطَتْ اَعْمٰالُهُمْ] الّتى عملوها محتسبين انّ لهم عليها اجراً [فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيٰمَةِ وَزْنًا] يعنى لانفسهم قدراً وزنة ، روى عن النّبىّ (ص) انّه ليأتى الرّجل السّمين يوم القيامة لايزن جناح بعوضة ، اوالمعنى لانقيم لاعمالهم يوم القيامة ميزاناً لانّه لايبقى عمل خير لهم يوزن [ذٰلِكَ جَزٰاؤُهُمْ جَهَنَّمُ] ذلك مبتدء اوخبر اومفعول لمحذوف، وجزاؤهم جهنّم جملة مستأنفة، اوذلك مبتدء اشارة الى الحسبان والحبط ،جزاؤهم جهنّم خبره والعائد محذوف اى ذلك الحسبان جزاؤهم به جهنّم ،اوذلك مبتدء وجزاؤهم خبره، وجهنّم بدل من ذلك نحو بدل الاشتمال اى ذلك وعدم القدر جزاؤهم بل جهنّم جزاؤهم على ان يكون فيه معنى الاضراب والتّرقّى ،اوذلك مبتدء وجزاؤهم بدله وجهنّم خبره [بِمٰا كَفَرُوا] اى كفروا بآياتى بقرينة مابعده [وَاتَّخَذُوا اٰيٰاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا] المراد بالآيات الاوصياء(ع) كماورد عنهم والمراد بالكفر الكفر بهم وقوله حبطت اشارة الى خسران العمل وجزاؤهم جهنّم اشارة الى اخسريّته لترتّب ضدّ مأمولهم عليه [اِنَّ الَّذِينَ اٰمَنُوا] بالبيعة العامّة النّبويّة وقبول الدّعوة الظّاهرة [وَعَمِلُوا الصّٰالِحٰاتِ] بالبيعة الخاصّة الولويّة وقبول الدّعوة الباطنة اوآمنوا بالبيعة الخاصّة وعملوا الصّالحات طبق ما شرط عليهم فى البيعة الخاصّة [كٰانَتْ لَهُمْ جَنّٰاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا] والفردوس اعلى درجات الجنان وورد انّ هذه نزلت فى ابى ذرّ (ره) والمقداد (ره) وسلمان الفارسىّ (ره) وعمّار بن ياسر (ره) جعل الله عزّوجلّ لهم جنّات الفردوس نزلاً اى مأوى ومنزلاً ، والنّزل المنزل وما يهيّأ للضّيف ان ينزّل عليه تشريفاً [خٰالِدِينَ فِيهٰا لٰا يَبْغُونَ عَنْهٰا حِوَلًا] حيث لا درجة اعلى منها يرغبون عنها فى اعلى منها [قُلْ لَوْ كٰانَ الْبَحْرُ مِدٰادًا لِكَلِمٰاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ اَنْ تَنْفَدَ كَلِمٰاتُ رَبِّي] الآية جارية بحسب الظّاهر على طريق المخاطبات العرفيّة حين المبالغة فى امر من وضع قضايا فرضيّة وتعليق الحكم عليها يعنى انّ كلمات الرّبّ من الكثرة وعدم النّهاية بمرتبة لوفرض انّ جميع بحار الارض اوجنس بحار الارض كان مداداً لها لما وفى بها مثل قوله تعالى: لوانّ ما فى الارض من شجرة اقلام والبحر يمدّه من بعده سبعة ابحر مانفدت كلمات الله ، لكن لمّا كانت مفروضات الله

تعالى شأنه مبتنيةٌ على حقائق عينيّة بحسب الواقع وان كانت تتراءى فرضيّة بحسب الانظار الحسّيّة، فانّه لامجازفة ولااغراق فى كلمات الله وكلمات خلفائه كان المراد بالبحر هو البحر الفاعلىّ الّذى هو المشيّة وقد فسّرت فى قوله تعالى ن ، والقلم بهذا البحر، ويكون المراد حينئذ بسبعة ابحر المراتب السّبع الفاعليّة الّتى كلّ بمنزلة المداد بالنّسبة الى ما بعده وهى الملائكة المهيّمون المقرّبون والصّافّات صفّاً والمدبّرات امراً والنّفس الانسانيّة والحيوانيّة والنّباتيّة والطّبع الجماديّة ، اوالمراد بسبعة ابحر الابحر القابليّة من مادّة الكلّ والجسم المطلق والعنصر والجماد والنّبات والحيوان والانسان بحسب بشريّته فانّ كلّاً بجهته القابليّة مادّة ومداد لما فوقه ، اوالمراد بالبحر البحر القابلىّ الّذى هو مادّة الموادّ وهيولى الهيولیات ، والمراد بسبعة ابحر الابحر القابليّات السّتّة المذكورة بجعل بحر الانسان باعتبار نفسه وعقله بحرين ، اوالمراد بسبعة ابحر البحار السّبعة الفاعليّات وكلّ ذلك من سعة وجوه القرآن وصحّة حمله على الكلّ [وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا] قرئ بكسر الميم وفتحه من المداد اوالمدد، والمراد بالمثل ان كان المراد بالبحر الفاعليّة المطلقة القابليّة المطلقة ، اوالقابليّة المطلقة فالمراد الفاعليّة المطلقة ، وان كان المراد بالبحر المشيّة والفاعليّة الاولى فالمثل القابليّة الاولى اوالقابليّة الاولى فالفاعليّة الاولى، ولمّا اوهم امره تعالى له (ص) بان يخبر القوم بانّ كلمات الله غير متناهية انّه احاط بها ولو اجمالاً وليست تلك الاحاطة بقوّة بشريّة بل بشأن آلهىّ وقوّة غير بشريّة امره تعالى شأنه ان يتنزّل الى مقامه البشرىّ ولا يرفع شأنه عمّن ارسل اليهم ليتوهّموا المجانسة ويأنسوا به فقال [قُلْ] لهم [إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ] بطريق الحصر يعنى لاشأن لى فى هذا المقام الّا البشريّة والمثليّة معكم لكن خصّنى الله تعالى شأنه بما لم يخصّكم به فانّه [يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ] يعنى يوحى الىّ بخلع الانداد وترك الاشراك فى جميع مراتب الاشراك، فانّ توحيد الآلهة يقتضى توحيد الواجب وتوحيد الوجود وهما يقتضيان التّوحيد بحسب العلم والحال والقال وهو يقتضى توحيد العبادة والطّاعة ولذا عطف توحيد العبادة عليه على سبيل التّفريع [فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ] ان كان المراد بالرّبّ ربّ الارباب فالمراد باللّقاء كما فى الاخبار لقاء حسابه وثوابه وحسّابه ، وان كان المراد به الرّبّ المضاف وهو الرّبّ فى الولاية فالمراد باللّقاء لقاء ملكوته ثمّ لقاء جبروته ، واماّ لقاء ملكه فانّه ليس لقاء حقيقة لانّ مافى هذا العالم من الاجسام والجسمانيّات كلّها فى البعد والغيبة والانفصال، بل الجسم الواحد المتّصل كلّ اجزائه فى غيبة بعضها عن بعض وعن الكلّ ولا شهود ولا لقاء حقيقة لشيء من اجزاء الاجسام بخلاف الملكوت فانّ اجزائها كالمرائى يتراءى كلّ فى كلّ ويتّصل كلّ بكلّ نحو اتّصال الصّورة بالمرآة بل اتّصالاً فوقه لايوصف بالكنه، ورجاء الشّيء يقتضى التّوجّه اليه وانتظار وصوله وجمع البال لحصوله [فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا] يعنى فليعمل ما يصدق عليه انّه عمل صالح جليلاً كان اويسيراً وقد مضى انّ صلاح العمل باتّصاله بالولاية وانّ غير المتّصل بالولاية غير صالح كائناً ماكان، والمتّصل صالح كائناً ماكان؛ ولذا ورد عنهم (ع) : اذا عرفت فاعمل ماشئت، يعنى من قليل الخير وكثيره، والسّرّ فيه انّ من اتّصل بولىّ الامر وتمسّك بالعروة الوثقى وابتغى الوسيلة الى الله كفاه ظهور ذلك الاتّصال بشيء ما من اعمال جوارحه ويكفيه ذلك الاتّصال فى النّجاة بل فى الارتقاء على مراقى الآخرة ، لكن لاينبغى له عدم المبالاة بالاعمال الشّرعيّة والسّنن النّبويّة فانّها حافظة لذلك الاتّصال ومبقية لتلك الوسيلة ولولا الاعمال الشّرعيّة خيف عليه قطع الاتّصال والوسيلة وفى قطعه هلاكته الابديّة، اوالمعنى فليعمل عملاً صالحاً عظيماً لايمكن ان يوصف، على ان يكون التّنوين للتّفخيم وذلك العمل العظيم الصّالح ليس الّا ما هو اصل الصّلاح وصلاح كلّ ذى صلاح وهو الولاية العمليّة الّتى هى البيعة مع صاحب الولاية وقبول الشّروط والمواثيق عنه واخذ بذر الايمان منه وهو الّذى يدخل فى القلب [وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ

رَبِّهِ أَحَدًا] الاشراك في العبادة امّا بان يشرك في نفس العمل كالاشراك في الوضوء والغسل بان يصبّ الغير الماء على الاعضاء، وكالاشراك في الصّلوة بالاتّكال في القيام مثلاً على جدار او خشب او انسان ، او بان يشرك في باعث العمل فانّ الباعث على العبادة ينبغي ان يكون احد امور ثلاثة ؛ امر الآمر ، او محبّة المعبود والعشق له، او طلب لقائه الّذي هو غاية العبادة ونتيجة المحبّة، فاذا اشرك في شيء من الثّلاثة كان مشركاً في العبادة، او بان يشرك في غاية العبادة فانّ غاية العبادة ينبغي ان تكون ذات المعبود ولقاءه او نفس المحبّة الباعثة ، او امتثال الامر بل فناء العابد وبقاء المعبود فاذا اشرك في ذلك غيره مثل الجنان ونعيمها، او اتّقاء النّيران وحميمها ، او محمدة من النّاس وثناء، او صيت في النّاس وشهرة، او محبّة في قلوب النّاس، او حفظ مال وعرض ودم في النّاس، او امضاء عادة فانّ ترك العادة يوذي النّفس، او خروج من عهدة التّكليف وثقله ؛ وغير ذلك ممّا لا يحصى من مخفيّات النّفس بل اذا كان المقصود طلب رضاء الرّبّ او القرب منه بان يكون الانسان مرضيّاً او مقرّباً كان مشركاً في العبادة، وامّا الاشراك في ذات المعبود كاشراك الوثنيّة والصّابئة وعابدي الملائكة والجنّ و ابليس وكاشراك الثّنويّة القائلة بالنّور والظّلمة او يزدان و اهريمن فهو اشراك في الآلهة، ونفاه تعالى بقوله: إِنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ، وامّا الاشراك في الوجود والشّهود في العبادة بالالتفات الى غير المعبود ورؤية الغير حين العبادة وان كان نفيه امراً عظيماً والخلوص منه مرتبة شريفة ولا يخلو الانسان منه ما لم يكن فانياً صرفاً فهو مطلوب من اهله ، واللّقاء الحقيقيّ لا يحصل بدونه ؛ رزقنا الله وجميع المؤمنين الخلوص من هذا الاشراك بمنّه وجوده ومحض احسانه الّذي هدانا به بعد الضّلالة .

هذا ما اردنا تسويده من المجلّد الثّاني من التّفسير المسمّى ببيان السّعادة في مقامات العبادة

والحمد لله اوّلاً وآخراً والشّكر له على ما ألهم كثيراً ، والصّلوة والسّلام على اشرف خلقه محمّد واهل بيته .

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

فهرست السّور والمطالب

عنوان	صفحة
سورة النساء	١
تحقيق كون السّيئات تماماً بجهالة	٦
تحقيق حرمة منظورة الاب والابن على الآخر	٩
الجزء الخامس	١٠
تحقيق تعميم الاكل والبطلان	١١
تحقيق الكبير والصّغير	١٢
تحقيق الوالدين وسائر الاقرباء وتعميمهم	١٥
تحقيق تمثّل الصّورة الشّيخ عند السّالك	٦١
تحقيق معنى البخل والتّقتير والتّبذير	١٧
تحقيق معنى السّكر	٢١
تحقيق معنى الحكمة	٢٧
تحقيق معنى الامانات	٢٨
تحقيق معنى اولى الامر	٣٠
تحقيق حديث انظروا الى من كان منكم	٣٣
تحقيق توفّى الله وتوفّى الملائكة والرّسل	٤٥
الجزء السّادس	٦٢
سورة المائدة	٧٠
الجزء السّابع	١٠٧
حكاية علىّ (ع) وبلال وعثمان بن مظعون عند قوله كلوا مّما رزقكم الله حلالاً طيّباً	١٠٩
سورة الانعام	١٢١
الجزء الثّامن	١٤٨
سورة الاعراف	١٦٩
الجزء التّاسع	١٩٤
سورة الانفال	٢٢٧
الجزء العاشر	٢٣٧
سورة التّوبة	٢٤٥
الجزء الحادى عشر	٢٧٣
امّهات منازل السّالكين	٢٨١
سورة يونس	٢٩٠
تحقيق تعلّق الشّفاعة ومنها الافتاء للنّاس على الاجازة من الله	٢٩١
سورة هود	٣١٨
الجزء الثّانى عشر	٣٢٠
بيان فى وحدة الوجود	٣٣٠
بيان فى خلود اهل النّار وعدم خلودهم	٣٣٩
شرح فى عوالم البرازخ والمثال والآخرة	٣٤٠
سورة يوسف	٣٤٦
بيان العشق ومراتبه ومراتب الحبّ	٣٥٢
بيان البرهان الّذى رآه يوسف (ع)	٣٥٦
بيان مراتب القلب	٣٥٩
الجزء الثّالث عشر	٣٦٥
سورة الرّعد	٣٧٦
سورة ابراهيم	٣٨٨
سورة الحجر	٣٩٧
الجزء الرّابع عشر	٣٩٧
بيان ردع الشّياطين بتولّد عيسى (ع) ومحمّد (ص) عن السّماوات	٣٩٨
بيان انّ لكلّ شئ خزائن عند الله	٣٩٩
سورة النّحل	٤٠٧
بيان العدل	٤٢٣
سورة الاسراء	٤٣١
الجزء الخامس عشر	٤٣١
تحقيق المعراج الجسمانىّ	٤٣١
بيان انحصار العبادة فى الله	٤٣٧
سورة الكهف	٤٥٨
اوصاف الولىّ وهى سبعة	٤٧١
بيان النّيابة للرّسالة والولاية	٤٧٢
الجزء السّادس عشر	٤٧٥
مراتب السّلوك	٤٧٧